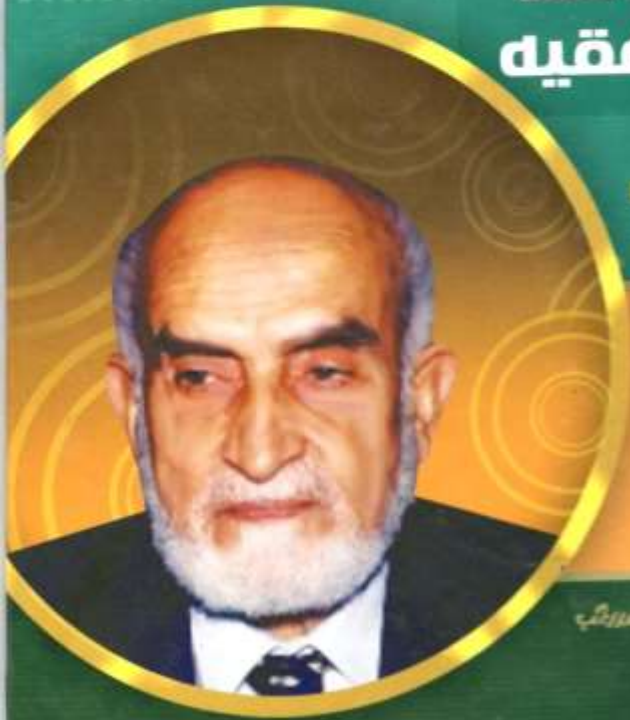


مصطفى ممتازهور

الإمام المجاهد
و الداعية الفقيه

تأليف
أحمد حسن نتوربجي



تقديم
مستقر / عبد الله العقيل
مستقر / علي جرينتنة

مراجعة
إشراف
محمد أحمد البحيري

دار الدعوة

مصطفى مشهور

الإمام المجاهد.. الداعية الفقيه

تأليف

أحمد حسن شوريجي

إشراف

محمد أحمد البحيري

تقديم

المستشار عبد الله العقيل

تقديم

المستشار الدكتور على جريشة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

• إلى روح الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله ورضى عنه وأرضاه.

واضع البذرة ومؤسس الدعوة.

• إلى روح ملهم هذا الكتاب: الإمام مصطفى مشهور رحمه الله ورضى عنه وأرضاه.

أمين هذه الدعوة.

• وإلى تلامذته ومحبيه.. وإلى فلذات كبده..

أهدى هذا الكتاب وفاءً.. وإخلاصاً.. وحباً.. وجزءاً
من رد الجميل، ليكون ضياءً ونوراً على طريق الدعوة؛
نتأسى به ونحتذى، لنهتدى بإذن الله سبحانه وتعالى.

تقديم: بقلم المستشار الدكتور على محمد جريشة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن إبراهيم كان أمة.. هل يمكن بعده، وبعد محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد الصحابة والتابعين.. من يكون أمة؟؟ تذكرت ذلك.. وأنا أتذكر «عمر بن عبد العزيز»، وأتذكر من بعده من التابعين أمثال «أبو حازم».. وأخيراً أمثال «مصطفى مشهور»، وكما تكفل الله أن يصطفى لرسالته من يشاء من عباده، فقد تكفل سبحانه وتعالى أن يجتبي لدعوته من يشاء من عباده كذلك.. ولقد كان ممن اجتبي لدعوته في العصر الحديث (حسن البنا.. ثم حسن الهضبي.. ثم عمر التلمساني.. ثم محمد حامد أبو النصر.. ثم مصطفى مشهور.. ثم محمد المأمون الهضبي.. ثم محمد مهدي عاكف.. ثم.. محمد بديع سامي) ولئن كتبت نزرًا يسيرًا عن المؤسس «حسن البنا» رسالتين صغيرتين في الدعوة والداعية، فلقد كان صعبًا أن أكتب عن المجدد «مصطفى مشهور» كما أسماه المؤلف -عرفته.. ثم عايشته.. في ساعة العسرة إبان محنة الأمة عام ١٩٨١م -صدر القرار الظالم بالتحفظ على أكثر من ألف من خيرة رجال العصر، وكان أيام القرار في الكويت، فنصحوه بالاتجاه إلى ألمانيا، وكنت قد سبقت الأستاذ مصطفى مشهور إليها.. فكنت في استقباله، ونزل ضيفًا في بيتي الخاص هناك، وجاء بعده الأستاذ عباس السيسى ونزل كذلك في البيت نفسه.. وكنت أفيد منهما. وقبل أن أذكر شيئًا من الذكريات أذكر حكمًا صدر عن يوثق في حكمه: لمستواه الرفيع إذ كان يومئذ أحد كبار الدبلوماسيين المصريين العاملين بالخارج.. حضر زائرًا.. ونزل كذلك في البيت نفسه. وكنت أترك الثلاثة الكرام، لأمارس عملي في المركز الإسلامي في «ميونخ».. وأحضر ساعة الظهر، ثم أنصرف إلى العمل حتى العاشرة مساء تقريبًا. كان مجموع ساعات عملي لا يقل عن ثماني عشرة ساعة، لا يقطعها إلا إعداد الإفطار صباحًا، وإعداد الغداء ظهرًا، وإعداد العشاء مساء.. وكنت لا أقبل أن يقوم بذلك عنى أحد آخر. وذات يوم أويت إلى فراشي بعد العاشرة فحضر إلى غرفتي الخاصة الدبلوماسي الكبير «ح. ج.» وطلب مني أن يتحدث حديثًا خاصًا، فسألته إذا كان يمكن تأجيل ذلك إلى الفجر.. فرفض.. فاستأذنته أن

أستمع إليه «مستلقياً» فلا أستشعر من تعب اليوم كله وحتى لا يطيل على . . فقبل ، وعرض نقطتين . . الأولى : قال إنه عرف جماعة أخرى غير جماعة الإخوان المسلمين وانتظم فيها ثلاثين عاماً . . لكنه كان أول مرة «يعايش» فيها «إخواناً مسلمين» قال : إنك تعد الطعام ، وتأكل ، وتمضى . . ثم أرى في كل وجبة كلا من الاستاذ مصطفى مشهور ، والأستاذ عباس السيسى يتنازعان على غسل الأطباق . . ثم صمت وقال : لقد أيقنت من السلوك أنكم الجماعة التي على الحق ، وأنا أريد أن «أبايع» . . قلت له : فى الصباح . . قال لى : أريد الآن . . ! . ثم عرض للقضية الثانية : قال إن خالد الإسلامبولى يحاكم ، وإن الإعدام ينتظره ، وإن لى ولدين فقط . . مستعد أن أقدم أحدهما لأفدى به خالد الإسلامبولى ! ثم بكى !! .

أما الذكرى الثانية : فقد كنت وأسرتى نصحبه لتناول الغداء عند أخ كريم . . وكان صمته طويلاً ، لكنه كان مصحوباً بأمرين : صدر يعلو ويهبط ، وزفير طويل إذا أراد أن يأخذ نفسه . . ! ، وأثناء هذا الصمت الطويل انطلقت من أولادى الأطفال (دعاء ٦ سنوات ، عبد الله حوالى خمس سنوات) انطلقت منهم فى وقت واحد . . هذه الكلمات :

يا جنود الله صبرا . . . إن بعد العسر يسراً لا تظنوا السجن قهراً . . . رب سجن قاد نصراً

يا جنود الله صبرا . . .

وكان هذه الكلمات . . كانت الغيث الذى نزل على الرجل «المعنى» فأنعشته . . فإذا به يلتفت إلى الأولاد ويقول لهم : باسم الله ما شاء الله «إيه يا ولاد الكلام الحلوده . . جبتم الكلام ده منين ؟ . . وضحك الأولاد . . وحتى اليوم لا أعرف مصدر هذه الكلمات ولا من حفظها للأولاد . . لكنه فضل الله يؤتیه من يشاء .

أما الثالثة : فقد أسأت فيها . . وظهر معدن الرجل . . حضر إلى ألمانيا ضيفان اثنان من كبار قادة الإخوان فى سوريا ، وكان الجهاد قد أعلن هناك . . وطلبوا الاجتماع مع الأستاذ مصطفى مشهور . . وانعقد الاجتماع قريباً من بيتى . . وطلبوا إلى قرب نهاية الاجتماع أن يصلوا العشاء فى مسجد المركز الإسلامى . . واتصلت هاتفياً بالمركز وطلبت أداء الأذان فى موعده وتأخير الإقامة حتى نصل المركز بإذن الله . . ولما كانت مواقيت الصلاة توزع فى ألمانيا من هذا المركز ومبين فيها وقت الأذان ، ووقت الإقامة كذلك لمساعدة من يريد الحضور إلى المسجد لإدراك الصلاة . . فقد وضعت بالمسجد (قنبلة موقوتة) تنفجر مع الإقامة أثناء الصلاة . . وكان الهدف فى ظنى الأخوين السوريين . . وقبل أن نهم بالذهاب ، ووقت

الإقامة، اتصل بي مساعد الإمام . . وهو تركي يتكلم العربية . . وقال لي في صوت مرتعش :
(قبيلة . . قبيلة) . . فسألته : هل أصيب أحد؟ قال : لا . . فقلت له في هدوء : بلغوا
الشرطة، وأرسلوا لي سيارة للحضور . . وقبل أن أتحرك من مكاني أدركت مسئوليتي عن
ضيو في . . فاتصلت بأخ سوري جاءني على نحو عاجل فأمرته بحمل الضيفين خارج مدينة
ميونخ . . ثم التفت إلى الأخ الأستاذ مصطفى مشهور وقلت له : أنا أسف لا بد من نقلك إلى
مكان آخر . . فقال لي في حزم : لن أغادر هذا المكان . . فقلت له : من المسئول هنا يا أخ
مصطفى؟ قال لي : أنت . قلت : أنا أمرك بالانتقال . . فقال : حاضر يا أخ على . . وضرب
مثلا في الجندي الصادقة وهو قائد كبير .

ويعد...

فإن الحديث لا يمل . . لكن أردت أن أشوق القارئ ليعرف شيئاً عن هذا الرجل
الفاضل . . قبل أن يبدأ هذا السرد الطويل الذي قد يظنه البعض مملاً . . لكن ما فيه من
أحداث، وما فيه من تصوير للتاريخ مع كل مرحلة . . يذهب عنه «احتمال» الملل . . ويعطيه
في الوقت نفسه ميزة أخرى . . إنه في الوقت نفسه موسوعة لتاريخ الجماعة من خلال ما
حاول الأخ الأستاذ أحمد حسن شوريجي أن يجمع وأن يدقق . . كذلك قد يدرك القارئ
شيئاً من التكرار . . خاصة فيما نقل الأخ أحمد عن حسن البنا وعن مصطفى مشهور . . لكن
في كل موقع يكون مناسباً لما يسرده الأخ أحمد من أحداث . . والله المثل الأعلى فإن قصة
فرعون تكررت في القرآن أكثر من عشرين مرة . . لكنها تكون في كل مرة دلالة على شيء
يختلف عن الموقع الآخر لها . . والله أعلم . .

جزى الله أئامنا الأستاذ أحمد حسن شوريجي كل خير . . وجزى من كتب وإخوانه
وأساتذته وتلاميذه كل خير بما قدمه (من الإخلاص) لله سبحانه و (جهاد في سبيله) .
والله المستعان . .

الفقير إلى ربه

المستشار الدكتور

على محمد جريشة

•••

الإقامة، اتصل بي مساعد الإمام.. وهو تركى يتكلم العربية.. وقال لى فى صوت مرتعش:
(قبلة.. قبلة).. فسألته: هل أصيب أحد؟ قال: لا.. فقلت له فى هدوء: بلغوا
الشرطة، وأرسلوا لى سيارة للحضور.. وقبل أن أتحرك من مكانى أدركت مسئوليتى عن
ضيو فى.. فاتصلت بأخ سورى جاءنى على نحو عاجل فأمرته بحمل الضيفين خارج مدينة
ميونخ.. ثم التفت إلى الأخ الأستاذ مصطفى مشهور وقلت له: أنا أسف لا بد من نقلك إلى
مكان آخر.. فقال لى فى حزم: لن أغادر هذا المكان.. فقلت له: من المسئول هنا يا أخ
مصطفى؟ قال لى: أنت. قلت: أنا أمرك بالانتقال.. فقال: حاضر يا أخ على.. وضرب
مثلا فى الجنديّة الصادقة وهو قائد كبير.

وبعد...

فإن الحديث لا يمل.. لكن أردت أن أشوق القارئ ليعرف شيئاً عن هذا الرجل
الفاضل.. قبل أن يبدأ هذا السرد الطويل الذى قد يظنه البعض مملاً.. لكن ما فيه من
أحداث، وما فيه من تصوير للتاريخ مع كل مرحلة.. يذهب عنه «احتمال» الملل.. ويعطيه
فى الوقت نفسه ميزة أخرى.. إنه فى الوقت نفسه موسوعة لتاريخ الجماعة من خلال ما
حاول الأخ الأستاذ أحمد حسن شوريجى أن يجمع وأن يدقق.. كذلك قد يدرك القارئ
شيئاً من التكرار.. خاصة فيما نقل الأخ أحمد عن حسن البنا وعن مصطفى مشهور.. لكن
فى كل موقع يكون مناسباً لما يسرده الأخ أحمد من أحداث.. والله المثل الأعلى فإن قصة
فرعون تكررت فى القرآن أكثر من عشرين مرة.. لكنها تكون فى كل مرة دلالة على شيء
يختلف عن الموقع الآخر لها.. والله أعلم..

جزى الله أخانا الأستاذ أحمد حسن شوريجى كل خير.. وجزى من كتب وإخوانه
وأساتذته وتلاميذه كل خير بما قدمه (من الإخلاص) لله سبحانه و (جهاد فى سبيله) .
والله المستعان..

الفقير إلى ربه

المستشار الدكتور

على محمد جريشة

•••

تقديم بقلم: المستشار عبد الله العقيل

أخي: بعد قراءتي لكتاب (مصطفى مشهور . . الإمام المجاهد . . الداعية الفقيه) . .
أقول: إن هذا الكتاب قيّم لا بد من الإسراع في طباعته؛ لأنه يتناول الدعوة والداعية
النموذج (مصطفى مشهور)، والإخوان في كل مكان في حاجة لمثل هذا الكتاب لترسم خطى
الدعوة من خلال هذا المنهج .

أبو مصطفى العقيل

٩ محرم ١٤٢٢ هـ



شكر وتقدير

شكرى أولاً وأخيراً الله رب العالمين، شارح الصدر وملهم مواقع الحق، والهادى إلى الصراط المستقيم، الواقى من الشيطان الرجيم، الموفق لإعداد هذا الكتاب الذى رجونا الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخوان الصف؛ كأنهم بنيان مرصوص، وجميع المسلمين من أمة محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم.

ثم لإخوانى وأساتذتى ومشايخى الذين أسهموا فى إعداد مادة هذا الكتاب وتكرموا وسمحوا لى بإجراء حوارات معهم^(١) . . . رغم ظروفهم الصعبة ومشاغلتهم التى لا حدود لها، فمنهم من هو على رأس قيادة الجماعة، ومنهم من بلغ من الكبر عتياً، ومنهم من سيطر على حركته ونشاطه المرض . . . وكلهم تعامل معى بكل حب وود وتقدير، ومائة خلق وسعة صدر ورحابة ساحة وفيض كرم، فمنهم من أحاطنى بأبوية رعايته، ومنهم من شملنى بإخلاص إخوته وصادق حبه ومودته . . . ومنهم جميعاً تزودت بالإرشادات والتوجيهات السديدة، ونهلت من بحر علمهم الواسع وثاقب فكرهم الذى أنار لى المستقبل.

قلهم جميعاً جميل الثواب وجزيل الأجر، وأسأله سبحانه أن يبارك فى أعمارهم وأوقاتهم وأعمالهم، وأن يجزيهم عنى وعن إخوانى وجميع المسلمين خير الجزاء . . .

وكلهم لما عرفوا أن الحوار عن سيرة أستاذنا الحاج مصطفى مشهور، فرحوا فرحاً شديداً، المريض منهم عادت له صحته وقت الحوار، فقام وجلس بعد أن كان طريح الفراش، وكبير السن ضعيف الذاكرة، جرت الدماء الحارة - دماء الشباب - فى عروقه وعادت له ذاكرته وقت الحوار، أما المشغول فيهم فقد رأى أن وقت الحوار قصير جداً، فطلب أوقاتاً أخرى، وبالفعل ترددت عليهم مرة ومرتين وثلاث مرات . . . هكذا حال الإخوان إذا تلاقوا وتقابلوا وجلسوا مع بعضهم البعض، خصوصاً من كانت لهم معاً ذكريات داخل السجون والزنايات . . . وكما قالوا: [لقاء الإخوان جلاء الأحزان].

كانوا هم المصدر الرئيسى لإعداد هذا الكتاب، واستقيت منهم المعلومات المكونة لموضوعه التى لا توجد فى الكتب المنشورة ولا عند كثير من الإخوان القدامى منهم والجدد.

(١) منها حوارات مسجلة على أشرطة كاسيت، ومنها حوارات غير مسجلة . ومنها ما هو مكتوب بخط يد بعضهم.

وأقول: إن اللقاءات بهم والحوارات معهم تحتاج إلى كتابتها ونقل صورها إلى الناس جميعاً؛ لما فيها من عبر وفوائد جمة تفيد المسلمين جميعاً وخصوصاً الدعاة منهم وإخوان الصف.

وفيما يلي أسماء هؤلاء الإخوة الكرام:

- ١- الدكتور محمد السيد حبيب- النائب الأول للمرشد العام للإخوان المسلمين سابقاً.
- ٢- الدكتور محمود عزت- الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين سابقاً.
- ٣- الدكتور رشاد البيومي- عضو مكتب الإرشاد- نائب المرشد العام.
- ٤- الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح- عضو مكتب الإرشاد سابقاً.
- ٥- الأستاذ محمد هلال رحمه الله- عضو مكتب الإرشاد والقائم بأعمال المرشد (سابقاً).
- ٦- الأستاذ أبو الحمد ربيع- عضو مكتب الإرشاد (رحمه الله رحمة واسعة).
- ٧- الأستاذ لاشين أبو شنب- عضو مكتب الإرشاد سابقاً.
- ٨- الشيخ محمد عبد الله الخطيب- عضو مكتب الإرشاد سابقاً.
- ٩- الأستاذ جمعة أمين عبد العزيز- نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.
- ١٠- الأستاذ مسعود السبحي- سكرتير المرشد العام للإخوان المسلمين سابقاً.
- ١١- الدكتور عصام العريان- عضو مكتب الإرشاد.
- ١٢- الحاج أحمد حسنين رحمه الله- عضو مكتب الإرشاد سابقاً- (من الرعيل الأول).
- ١٣- الحاج حلمي عبد المجيد- رئيس النظام الخاص بعد عبد الرحمن السندی وقبل يوسف طلعت (من الرعيل الأول).
- ١٤- الحاج محمد عمارة رحمه الله- من الرعيل الأول.
- ١٥- الحاج عبد الحكيم شاهين رحمه الله- من الرعيل الأول.
- ١٦- الحاج شفيق شرف الدين رحمه الله- من الرعيل الأول.
- ١٧- الحاج محمد السعيد محمد المهدي- من الرعيل الأول.
- ١٨- الحاج علي نويتو- من الرعيل الأول.
- ١٩- الحاج عبد الرحمن البنان- من الرعيل الأول.
- ٢٠- الأستاذ جلال عبد العزيز- مسئول محافظة كفر الشيخ سابقاً.

- ٢١- المهندس سعد لاشين - من الرعيل الأول ، مسئول محافظة الشرقية سابقاً .
- ٢٢- الحاج فرج النجار رحمه الله - من الرعيل الأول .
- ٢٣- الأستاذ محمد عبد المنعم محمد - الداعية الإسلامى الكبير .
- ٢٤- الأستاذ أحمد أحمد جاد - من الرعيل الأول .
- ٢٥- الحاج محمود شكرى رحمه الله - من الرعيل الأول .
- ٢٦- الأستاذ أحمد عادل كمال - من الرعيل الأول - قيادى فى النظام الخاص سابقاً .
- ٢٧- الأستاذ محمود الصياغ - من الرعيل الأول - قيادى فى النظام الخاص سابقاً .
- ٢٨- الأستاذ مصطفى كمال عبد المجيد - سائق السيارة الجيب - فى القضية المشهورة - من الرعيل الأول .
- ٢٩- الدكتور محمد عبد الجواد - زوج ابنة الحاج مصطفى مشهور .
- ٣٠- الأستاذة وفاء مصطفى مشهور .
- ٣١- الأستاذة سميرة مصطفى مشهور .
- ٣٢- المهندس مشهور مصطفى مشهور .
- ٣٣- الأستاذة سلوى مصطفى مشهور .
- ٣٤- الحاج محمد العزباوى - عضو سابق فى مجلس الشعب .
- ٣٥- الأستاذ ماجد سالم عبد العزيز رحمه الله - كان معتقلاً فى قضية ١٩٦٥ م .
- ٣٦- الدكتور محمد عبد المعطى الجزائر - حكم عليه بالمؤبد فى قضية ١٩٦٥ م .
- ٣٧- الدكتور سناء أبو زيد رحمه الله - مدير الجمعية الطبية الإسلامية فرع التحرير (داعية إسلامى) .
- ٣٨- الدكتور إبراهيم الزعفرانى - أمين عام نقابة أطباء الإسكندرية والقيادى الإخوانى المعروف .
- ٣٩- الحاج طلعت الشناوى - القيادى الإخوانى رئيس المكتب الإدارى للإخوان المسلمين بمحافظة الدقهلية .
- ٤٠- الأستاذ عبد المحسن الشرقاوى - من الرعيل الأول .

- ٤١- الأستاذ مدحت أبو الفضل - محام بالنقض - إخواني قديم .
٤٢- الأستاذ أحمد السيوفى - صحفى ومراسل بقناة العالم .
٤٣- الأستاذ صبرى عرفة الكومى - عضو مكتب الإرشاد سابقاً .
٤٤- الدكتور حلمى الجزار - القيادى الإخوانى .
٤٥- الحاج السيد النقاض - رئيس المكتب الإدارى للإخوان المسلمين بمحافظة الغربية الذى قام بالتصحيح اللغوى لهذا الكتاب .
٤٦- الدكتور سيد عبد المقصود - الذى قام بتخريج الأحاديث وضبطها ومراجعتها .
- أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم من مات منهم ويشفى المريض منهم ويبارك فى أعمار الباقين ، وأن يعين المسئولين الذين يحملون أعباء هذه الدعوة المباركة وأن يجعل أعمالهم وأعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم ، وأسأله تعالى القبول والرضى والثواب الجزيل .

المؤلف

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد- فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

لا أحصى ثناءً عليك يا الله، أنت كما أثبتت على نفسك، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، يا من أنعمت على بنعمة الإسلام وهي خير النعم، ثم أنعمت على وأنا في سن الشباب بالتعرف على جماعة الإخوان المسلمين والارتباط بها والسير على طريق الدعوة، وأنعمت على أن عاصرت تلاميذ الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وعنهم جميعاً، فأفدت من ذلك كثيراً، وأنعمت على وشرفتنى بمشاركة هذه المسيرة الإسلامية الدعوية الطاهرة المباركة فيما تعرضت له من ابتلاء وتمحيص، وأنعمت على بالصبر والثبات وأعتنتى على مواصلة السير على طريق الدعوة دون انحراف أو تبديل .

كل ذلك فضل وكرم منك ورحمة، أسألك منه المزيد، وأن تتم نعمتك على وعلى إخواني بحسن الخاتمة، وأن ترزقنا الشهادة في سبيلك، وأن تنزلنا الفردوس الأعلى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ويعد . . كم كاد أعداء الله لهذه الدعوة وتأمروا عليها ومازالوا، وكم اعتقلوا وسجنوا وعذبوا وقتلوا وصادروا وأصقوا التهم الباطلة وفعلوا ما فعلوا برجال الدعوة ومازالوا، وكم أرادوا لأجيال الشباب الضياع والتهيه وسط التيارات والمذاهب الأرضية لكي لا يعرف الطريق إلى الله ومازالوا، وكم قصدوا تجفيف المنابع التي تغذى الحركة المباركة بالعناصر الجديدة والدم الجديد الذي يحقق لها الاستمرارية والحيوية، ظناً منهم أن بانقراضها تنتهى الحركة ولا تتجدد لبعد الشباب عنها وجهله بها ومازالوا . . ولكن مكر الله تعالى دائماً ما يحبط كيدهم . . فما كان لهم أن يمنعوا نور الله أن يصل إلى قلوب هذه الأجيال فيضيئها ويرشدها إلى طريق الدعوة .

وعلى هؤلاء الأعداء تمضى الأيام وثيدة الخطى أو لاهثة، وتضرب أستار النسيان على الملايين من البشر في بطون الحقب والقرون . . لأنهم عاشوا ولم يوجدوا - كما تمضى القرون

والحقب على أعلام من البشر لا تطوى ذكراهم ولا تخفى معالم حياتهم ولا تدع للنسيان سبيلاً يزحف منه على جلائل مواقعهم من أجل الحق وفي سبيل الخير . . رجال انفردوا بسجايا وخصال وعاشوا على مستوى المثل والقيم وشقوا في الحياة طريقاً على مبادئ وأصول لقوا الموت في سبيلها أو تحملوا صنوف العذاب من أجلها .

أرأيت الرجل من آل فرعون يوم أن التقى القوم على الفتك بموسى ، وتلمس كل طريق إلى رضا فرعون ، بالوشاية بموسى وذكره بكل سوء ومفسدة . . فيقف فريداً وحيداً . . وسط الكفر والفساد ، ومن خلال الظلم والظلام ، ولا يبالي ولا ينافق . . بل يقذف بالحق من أعماقه . . ناصعاً كالنور قوياً كجيش يحركها الإيمان : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [غافر : ٢٨] ، ويمضى إلى موسى محذراً ناصحاً : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ ﴾ [القصص : ٢٠] ، ترى كم من الآلاف أو مئات الآلاف من انحنا لفرعون كل زمان وسجدوا له وتقربوا إليه وساروا في ركبته وأعلنوا الإيمان به إلهاً من دون الرحمن والتمسوا الرزق والخير والقصور ومتاع الدنيا في رضاه ، ظناً منهم أنه المانع والمانع والمحیی والممیت . .

ترى كم من هؤلاء مضى كما مضى فرعون كل زمان وراحوا في طي النسيان ، وإن حلت ذكراهم يوماً في الأذهان انهالت عليهم اللعنات ولحق بهم كل خزي وعار . .

ويبقى الرجل المؤمن ذكرى على الدرب الطويل تحتل مكانها في التاريخ صفحات من نور ، كلها مجد وفخار واعتزاز . . وقدوة ومثال وعطر ونور وهداية . .

فهلا اصطفتينا من أبناء دعوة الله الولادة مصطفى؟

إن الله تبارك وتعالى اصطفى الإسلام واختاره لعباده ، فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه ، وأقل ما توجهه رعاية الله لهم ، وفضل الله عليهم ، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه ، والحرص على ما اختاره لهم ، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

واصطفى الله من عباده من يحمل الرسالة الواحدة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة ، ليكونوا طلائع الموكب الإيماني في شتى مراحل المتصلة على مدار الأجيال والقرون . . فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب - وإن كان نسب الجميع يلتقى في آدم ونوح - فهي أولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي ، ونسب هذه العقيدة الموصول في ذلك الموكب الإيماني الكريم قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

والاصطفاء يصدر عن صاحب القوة العزيز الجناح للملائكة وللرسل، ومن لدن القوى العزيز، جاء العزيز محمد، جاء بسلطان من عند القوى العزيز الذي اختاره واصطفاه؛ فأني يقف له من يركنون إلى تلك الآلهة العاجزة الضعيفة المزdraة قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

واصطفى إبراهيم في الدنيا إماماً، وشهد له في الآخرة بالصلاح.. اصطفاه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ . . فلم يتلكأ، ولم يرتب، ولم ينحرف، بل استجاب فور تلقى الأمر.. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٥) إذ قال له ربُّه أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١].

واصطفى موسى على أهل زمانه بالرسالات، واصطفاه بالكلام منفرداً، وأمره بأخذ ما آتاه، والشكر على الاصطفاء والعطاء، فهو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن يقابل به نعمة الله. والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- قدوة للناس، وللناس فيهم أسوة، وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشكر، استزادة من النعمة، واصلاحاً للقلب، وتحرزاً من البطر واتصالاً بالله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

واصطفى طالوت ملكاً، وزاده بسطة في العلم والجسم، والله ﴿يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ﴾ فالملك ملكه، وهو سبحانه صاحب التصرف فيه، وهو يختار ويصطفى من عباده من يشاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . . ليس لفضله خازن، وليس لعطائه مد وهو الذي يعلم الخير، ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

كما اصطفى الله تعالى من النساء مريم، فأعدها لتلقى النفحة العلوية بالطهارة والقنوت والعبادة، إنه الاصطفاء للأمر المفرد في تاريخ البشرية.. وهو بلا جدال أمر عظيم: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

لقد اصطفى الله تعالى من الرسل أسراً وأفراداً، فاصطفى آل إبراهيم وآل عمران،

وإصطفى نوحاً وإبراهيم وموسى، وختم اصطفاؤه بسيدهم وأشرفهم سيد الخلق وأشرفهم حبيب الحق محمد، صلى الله عليهم جميعاً وسلم تسليماً.

فمن صفات الرسل التكرمية أن الله تبارك وتعالى أخلصهم بصفة خاصة ليذكروا الدار الآخرة ويتجددوا من كل شيء سواها: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦] فهذه ميزتهم، وهذه جعلتهم عند الله مختارين اختياراً: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

ولاستكمال نعمة الاصطفاء - اصطفاؤه دين الإسلام، واصطفاءه دعائه وحمله لوائه ورايته من الملائكة، من الناس، يُعلم الله تبارك وتعالى رسوله، أن يقول الكلمة التي تليق أن يفتح بها المؤمن حديثه ودعوته وجداله بالتي هي أحسن ويختمه كذلك: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ المستحق للحمد من عباده على آياته، وفي أولها هدايتهم إليه، وإلى طريقه الذي يختاره، ومنهجه الذي يرضاه. ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ لحمل رسالته وتبليغ دعوته وبيان منهجه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

استمر الاصطفاء بعد ختم الرسالات وختم الرسل، فأكرم الله تعالى أمة محمد، وحملها التبعة... وهذه التبعة ضخمة وذات تكاليف، أكرمها بالاصطفاء للوراثة، ثم أكرمها بفضله في الجزاء حتى لمن أساء... ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

ونحن^(١) مصطفى رجلاً من رجال الدعوة، بقي ذكرى على الدرب الطويل تحتل مكانها في التاريخ صفحات من نور، كلها مجد وفخار واعتزاز... بقي قدوة ومثالاً وعطراً ونوراً وهداية... تقدمه للأجيال ليبدأوا من حيث وصل، ليتم الالتحام بين الأجيال، وليرثوا هذه الأمانة بشمولها ونقاها والتزامها بكتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم...

وكما يقول فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب: «نحن نقدر الرجال الأوفياء الذين خدموا الإسلام ورفعوا رايته، وبذلوا أرواحهم في سبيل الله، نقدر هؤلاء جميعاً في كل عصر من عصور التاريخ، ولكن لا نقدرهم، وفرق كبير بين الأمرين، وحاش لله أن يقدر بشر غير معصوم، لكننا في عصر صراع القيم واختلال المفاهيم، واستباحة الكلمة عند البعض بالتلاعب بها وتسخيرها للحديث عن الشيء وضده حتى يصعب على البعض أن يميزوا بين

(١) المقصود باصطفائنا: أن نختار رجلاً من رجال الدعوة ونكتب عنه، أما اصطفاؤه الله له ولا تزكيه على الله فهذا ما سنكتبه عنه.

الشعارات المتعارضة والأشكال المتزاحمة في الساحات المختلفة. وقد استغل البعض أجهزة الإعلام في تشويه رسالة الحق، وحرفوا صورتها الربانية متأثرين بما تقوله الموجات المادية الطاغية، ولقد كشف الإخوان الأعيب السياسة والسياسيين، ولم تصب هذه السهام دعوة الإمام البنا، بل ارتدت إلى صدورهم دائماً. ولعل السبب في هذا أن الإمام البنا رغم رحيله عنا منذ أكثر من خمسين سنة. لا يزال أثره باقياً».

هذا الرجل الذي كشف فيه الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه سر الاصطفاء فقال عنه: «إنه أمين دعوة الإخوان المسلمين»^(١).

والحديث عن أمين دعوة الإخوان المسلمين حبيب إلى كل قلب، والتعريف بقدره وجدارته وامتزته كإمام من أئمتها وكقائد من قادتها في العصر الحديث، إنما يحتاج إلى مجلدات يتصفح القارئ فيها عظمتها، فهو: المؤمن المجاهد الصابر المحتسب المرعى الداعية... مهد الأرض وبذر الحب وغرس الثمار، ثم تعهد النبتة فسقاها أكثر من ستين سنة نحسبه عاشها مخلصاً متجرداً مضحياً حتى توتى أكلها كل حين بإذن ربها... .

تربى هذا الرجل في دعوة الإخوان تربية إسلامية صحيحة، على الشهامة والمروءة وقول الحق والثبات عليه، نهل من شتى العلوم الإسلامية، وكان ذواقة ذا إحساس مرهف وشعور حى نبيل، وكانت حياته الفكرية وقفة تأمل وانبهار أمام إعجاز القرآن وبلاغة الرسل... وانطبع ذلك كله عليه إحساساً وشعوراً... وإيماناً وفهماً وسلوكاً... يقول عنه عارفوه ومحبه: «كان قوى الشخصية... ثابت النظرة... كثير الصمت... صمته فكرة... وكلامه عبرة... دائم الفكر فيما حوله... راسخ الجنان... رزيناً... ذكياً... حسن الخلق... جم الأدب... رقيقاً رقيقاً... تقياً... نقياً... وفيياً... صادقاً... زاهداً في الدنيا ومتاعها... مقبلاً على ربه... محباً لرسوله... يذوب حباً في الصحابة والتابعين... صواماً... قواماً... متواضعاً... يتفانى في حبه لإخوانه... ثابتاً على الفكر والفكرة... مضحياً من أجلها وفي سبيلها صلباً في الدفاع عنها... شغله الشاغل أحوال المسلمين وأمورهم وقهر المستعمرين وتسلطهم... كان سيره حثيثاً... وخطوه سديداً، لتحقيق الأهداف والغايات... يتحرى الوسائل الشرعية... يستعين بالله ولا يعجز... قوى الثقة بربه... فكيف بمثله لا يصطفى؟!... وافق الاسم سميته، فصار اسماً على مسمى... كل هذا ليس مصادفة ولكنها مشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته لهذا الرجل... إنه: «مصطفى مشهور»..

ومصطفى مشهور ورث الكتاب مع من ورث من أمة محمد ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

(١) سنوضح ذلك تفصيلاً في باب السمات الشخصية من هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿ . . . أنعم الله تبارك وتعالى عليه بنعمة الاصطفاء؛ أن هداه إلى الإسلام ثم هداه بالانضمام لجماعة الإخوان المسلمين، واصطفاه لحمل رسالته فلم يتلكأ، واصطفاه لتبليغ دعوته فلم يرتب، واصطفاه لبيان منهجه فلم ينحرف، بل استجاب فور التزامه بين يدي شيخه وإمامه الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه.

والحديث عن أستاذنا وشيخنا فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين (الخامس) الأستاذ مصطفى مشهور -رحمة الله عليه- أمر صعب وشاق على كل من يريد الحديث عنه، فالرجل -جزاه الله خيراً- قد قدم حياته كلها ولا نركيه على الله، من أجل دين الله سبحانه وتعالى: جهاداً وتربية ودعوة وإرشاداً وتعلماً وتعليماً وتنظيماً وتوريثاً وقيادة. . إلخ. . كل هذه الأعمال وغيرها التي لم نذكرها أو لم نعلمها، مارسها أستاذنا منذ أن التحق بقافلة الإخوان المسلمين وهو ابن الخامسة عشرة حتى توفاه الله سبحانه وتعالى في بيت من بيوته بعد صلاة العصر.

فالحديث عنه وعمما قدمه عبر أكثر من ستين سنة قضاها جهاداً ودعوة، أمر شاق وصعب، فإنه لم يكن مجرد مجاهد وإنما كان قائداً من قادة المجاهدين. . ولم يكن مجرد داعية وإنما كان إماماً من أئمة الدعوة. . وكذلك في مجال فقه الدعوة الذي تلقاه يافعاً ومارسه شاباً وثبتته الله عليه رجلاً وامتحن فيه شيخاً. . وأنعم الله عليه بتزويده عناصر الكفاية علماً وعملاً، سطر للأجيال قههاً شاملاً للدعوة بمداد من المعاشة والتجارب، فخرج كتاب «من فقه الدعوة» في ثوب قشيب يجد فيه كل داعية مأربه.

لذلك جعلنا الحديث عن الأستاذ مصطفى مشهور في هذا الكتاب تحت عنوان: «الإمام»^(١) المجاهد. . الداعية الفقيه».

وها أنذا بعون الله وحده، أدلى بدلوى وإن كان ماؤه قليلاً ولكن يكفيني شرفاً أن أكون ضمن هذه القافلة المباركة التي تذود عن هذه الدعوة المباركة، وأشارك بجهد المقل توضيحاً لحياة إمام من أئمتها وقائد من قادتها وأحد مرشديها، والتي أسأل الله أن يبارك فيها وأن يجرى الخير على يدي أتباعها، فإن أصبت فتوفيق الله وإن أخطأت فمن نفسي. والله أسأل أن يغفر زلاتنا. . إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله أكبر والله الحمد *

كتبها

الفقيه الراجي عفو مولاه،

أحمد حسن شوريجي

(١) الإمام: هو الذي يتقدم الراغبين إلى الله ويقودهم إلى الخير، وليس في هذا أثر ولا استعلاء، فالركب كله في الطريق إلى الله.

الباب الأول:
النشأة الصالحة
[١٩٢١م - ١٩٤٦م]

الفصل الأول: الميلاد الميمون.

الفصل الثاني: مراحل الدراسة النافعة.

الفصل الثالث: الزواج المبارك.

الفصل الأول:

الميلاد الميمون^(١)

ولد الحاج مصطفى مشهور يوم ١٥/٩/١٩٢١م الموافق ١٣٤٠هـ في قرية السعديين التابعة لمركز منيا القمح في محافظة الشرقية .

اسمه: مصطفى مشهور مشهور سالم خليل مشهور، ينتمي إلى عائلة المشاهرة وهي من العائلات العريقة، تنحدر من أصل عربي، حيث إن الجد الرابع والعشرين هو (على زين العابدين) رضى الله عنه حفيد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولما عرفت هذه العائلة بعراقتها وأصالتها وأنها من العائلات المحافظة فى الشرقية، فكانت العمودية فى بلدة السعديين من هذه العائلة الكريمة .

والده: الحاج مشهور مشهور، يعمل بمهنة الزراعة، وكان رجلاً متديناً مهتماً بحفظ القرآن الكريم ويسعى جاهداً دون كلل أو ملل فى تحفيظ أولاده كتاب الله تبارك تعالى .

لما رزق هذا الرجل الصالح بمولود سماه (مصطفى)، فلقد رأى رؤية سالحة: رأى رجلاً حسن المنظر، وسمع هاتفاً يقول له: (إن الله اصطفى مصطفى). . فكانت رؤية سالحة لرجل صالح فى ولد صالح .

والدته: السيدة الفضلى «نفيسة» وهى امرأة متوسطة الحال فى الدين والمادة .

إخوته: خمسة ذكور هم: على، عبدالستار، عبداللطيف، محمد، عبدالحليم .

وأربع إناث .

نشأ مصطفى نشأة سالحة، بفضل الله، ثم باهتمام الده فى تربية أولاده، فقد كان يصحبه وإخوته إلى المساجد ويشرف على تحفيظهم القرآن، وكان مصطفى يسابق والده فى الحفظ فقال له أبوه ذات مرة: (أتريد أن تسبقنى فى الحفظ يا ولديا مصطفى)^(٢) .

أحب مصطفى الصلاة فى المساجد فواظب عليها منذ طفولته، فكانت لا تفوته صلاة فى

(١) مقابلة مع ابته الأستاذة سمية، زوجة الدكتور أحمد نشأت .

(٢) حكاية عن مشهور أحمد مشهور -رئيس هيئة قناة السويس سابقاً، ابن عمه، منقولة من كتاب: حياة مصطفى مشهور - كما عاشتها أسرته، أ. د. محمد عبد الجواد، م. مشهور مصطفى مشهور .

المسجد أبداً، وكان يطيل المكث فيها، ويحكى أن خادماً المسجد كان يحمله نائماً إلى البيت حيث كان يلازم المسجد بعد صلاة العشاء^(١).
نشأ مصطفى نشأة صالحة، أحسن والده تربيته وأدبه، ليكون نسلًا صالحًا وخيرًا جاريًا وأثرًا باقياً..

روى الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن»^(٢)، نحل بفتح النون والحاء: أى أعطى ووهب.
يا لها من سعادة أسعد الله بها السعديين، فوفق آل مشهور ورزقهم ليبدروا هذه البذرة الطيبة فى الأرض الطيبة ليكون أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.
فلله الحمد والمنة أن تعهد مصطفى بعنايته منذ طفولته، وحفظه برعايته من كل مكروه يضره ويؤذيه.

لم تكن نشأة مصطفى نشأة عادية، فمنذ تفتحت طفولته تفتحت معه قريحته، فواظب على الصلاة فى المساجد، وتعهد حفظ كتاب الله الكريم، فنعم الولد الصالح، ولتتهنأ أسرته أن اصطفى الله لهم مصطفى.

هكذا كانت طفولته الصالحة.. فكيف كانت مراحل دراسته النافعة؟

نرى ذلك فى الفصل الثانى بعون الله وتوفيقه.



(١) مقابلة مع ابنته سمية، ومن العجيب أن حفيده «عبد الله» ابن الدكتور أحمد نشأت قد كرر نفس الحدث، وكان الأستاذ مسعود السبحى يحمله إلى البيت نائماً.. أدعو الله تعالى أن يصلح نشأته وينبته نباتًا حسنًا ويكون فى المستقبل كمصطفى مشهور رضى الله عنه.

(٢) ضعفه الألبانى فى سلسلة الضعيفة ج/ ٣ برقم ١١٢١ - وإن كان الحديث صحيح فى المعنى.

الفصل الثاني:

مراحل الدراسة النافعة^(١)

نشأ مصطفى مشهور في البيئة الريفية القروية حيث الحقول والتجبل والأراضي البور المتسعة الفسيحة التي سمحت له باللعب والجري وممارسة وسائل من اللهو الجماعي لا تتسع لها شوارع المدينة وأزقتها، فاستراحت عيناه على الأرض المخضرة وعلى السماء، فلم يصب بقصر النظر، وأعان الهواء النقي والشمس الساطعة على حسن صحته، وعدم مهاجمة الأمراض المنتشرة وقتئذ والمتفشية له، كما نمت الألعاب الجماعية التي كان يمارسها الروح الاجتماعية له، وأبعدت عنه الصفة الانطوائية التي تعلق بالأطفال الذين لا تسمح لهم ظروفهم بالانطلاق وممارسة الألعاب الجماعية بطريقة طبيعية غير متكلفة، كل ذلك أكسبه طفولة سعيدة، لقد حفظه الله تعالى في طفولته من كل سوء.

●● المرحلة الابتدائية ١٩٢٨م:

التحق مصطفى مشهور في هذه المرحلة بمدرسة في مركز منيا القمح، وكان ينتقل إلى المدرسة بالحمار ذهاباً وإياباً، وأكمل هذه المرحلة بتفوق في عام ١٩٣٣م.

●● المرحلة الثانوية ١٩٣٣م:

في الثانية عشرة من عمره التحق بالسنة الأولى بمدرسة الزقازيق الثانوية، وقضى فيها عامين. يقول الأستاذ محمود الصباغ^(٢): (شاء قدرى الطيب أن أكون جازاً في الفصل الدراسي بمدرسة الزقازيق الثانوية لتلميذ من سنى هو التلميذ مصطفى مشهور، وكنا حينئذ لم نتجاوز الثانية عشرة من أعمارنا بالسنة الأولى الثانوية، ولكن صحبتي لمصطفى في هذا العام لم تدم إلا شهراً واحداً أو أكثر قليلاً حيث حول قيده من الزقازيق الثانوية إلى العباسية الثانوية، منتقلاً بذلك من الحياة في مديرية الشرقية إلى الحياة في مدينة القاهرة، ولم يجمعني بهذا التلميذ الزميل إلا براءة الطفولة، فكنا أحباباً نستمتع إلى دروسنا، ونلعب سوياً في أوقات الفسحة، بقطعة من الطوب، تمثلها كرة يلاعب كل منا صاحبه ليظفر منه بالكرة كلما استطاع حتى نهاية الفسحة.

(١) مقابلة مع ابنته الأستاذة سمية.

(٢) انظر كتاب: حقيقة التنظيم الخاصة، لمحمود الصباغ ص ٥٧.

تحول مصطفى مشهور إلى مدرسة العباسية بالقاهرة، وفي هذه المرحلة تعرّف على الإخوان المسلمين وانضم إليهم، وكان ذلك في سنة ١٩٣٦م، وكان عمره خمس عشرة سنة. أكمل دراسته الثانوية بتفوق يمكنه من دخول أحسن الكليات. وبذلك يكون قد نال الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م.

•• المرحلة الجامعية: كلية العلوم ١٩٣٩م:

قبل مصطفى مشهور بجامعة فؤاد «القاهرة» كلية العلوم شعبة الرياضة والفيزياء. . وكان المشهور عن كلية العلوم أنها الكلية المختصة بتخريج العلماء ولا يستطيع أن يلحق بها إلا المتفوقون، وكان مصطفى مشهور من المتفوقين.

يقول الأستاذ محمود الصباغ^(١): كان مصطفى مشهور قد تخلف عنى سنة كاملة في دراسته الثانوية لظروف لا أعلمها، ولكنى لاحظت ذلك عند تخلفى في السنة الأولى لكلية العلوم، ومشاهدتى لمصطفى مشهور طالباً مستجداً معى في نفس الشعبة في السنة المعادة، وقد قبل في الكلية لتفوقه، ونال منها عند القبول مكافأة دراسية قدرها عشرون جنيهاً لحصوله على التقدير اللازم لنيل هذه المكافأة في امتحان تجربة الكلية للمستجدين في اللغة الإنجليزية، أما أنا فقد كان رسوبى في أول عام بالكلية سبباً مباشراً للقائى بأخى مصطفى، ولو نجحت لكنت في السنة الثانية وكان هو في السنة الأولى وقد لا نلتقى، كما كان رسوبى هذا سبباً في تفوقى في السنة المعادة وحصولى على تقدير يؤهلنى إلى مجانية كاملة بكلية العلوم حافظت عليها بحمد الله حتى التخرج.

وقد شملت هذه المجانية مصطفى مشهور، لأنه كان متفوقاً في دراسته ولازمته حتى التخرج.

تخرج مصطفى مشهور من كلية العلوم في سنة ١٩٤٣م بتقدير جيد جداً وكان الأول على دفعته. ثم تخصص في العلوم الفلكية واستكمل دراسة الماجستير، والتحق بمصلحة الأرصاد الجوية، وفي سنة ١٩٤٥م عمل بمصلحة الأرصاد بالإسكندرية، ثم انتقل إلى القاهرة بعد أن قضى عاماً بها حيث عمل في كوبرى القبة.

(١) انظر المصدر السابق ص ٦١.

الفصل الثالث: الزواج المبارك

● قصة الزواج (١)

كان لمصطفى مشهور ابنة عم اسمها «زيدة عبد الحليم مشهور»، كانت قد أكملت دراسة المرحلة الابتدائية، وهي بنت متدينة ومثقفة، وخطابها كثيرون مما يوحى أنها كانت من أجمل بنات السعديين، إلا أنها كانت ترفض كل من يتقدم لزوجها. وكان لها أخ اسمه عبد الرؤوف مشهور كان صديقاً لمصطفى مشهور منذ صباه. كان رفض زيدة قد أزعج العائلة من كثرتهم وانشغل الأهل بأمر ابنتهم، إلا أنهم لم يعرفوا لهذا الرفض سبباً، وفشلوا في ثنى ابنتهم في إقناعها بأحد. حتى رأى أخوها عبد الرؤوف في المنام أنه يسألها ويقول لها: لماذا ترفضين من يتقدم للزواج منك؟! فردت عليه أخته زيدة في المنام: أنها تريد أن تتزوج ابن عمها مصطفى مشهور ولا تريد سواه!!

في اليوم التالي قابل عبد الرؤوف مصطفى فسأله قائلاً: متى تريد أن تتزوج يا مصطفى؟ فرد عليه مصطفى أن أمامه سنة كاملة، في ذلك الوقت كان مصطفى مشهور قد تخصص في العلوم الفلكية وعمل سنة بالإسكندرية ثم انتقل إلى الأرصاد الجوية بكوبري القبة. فعرض عليه عبد الرؤوف الزواج من أخته زيدة، ولكن مصطفى مشهور قال له: خلال هذه السنة المتبقية إذا تقدم لها من هو أفضل منى فزوجها، وإن لم يتقدم أحد وبقيت فبعد انتهاء هذه السنة سوف أتزوجها بإذن الله، ولكن زيدة كعادتها رفضت كل من تقدم حتى انتهاء هذه السنة، ولم يكن لديها أى علم بما جرى بين أخيها ومصطفى مشهور في موضوع زواجها. وبعد انتهاء الموعد المحدد تقدم مصطفى مشهور يطلب زواجها فوافقت وكان ذلك سنة ١٩٤٦ م.

وتحكى زيدة لبناتها أن والدهم قال لها قبل البناء: إنه متزوج بأخرى، فتعجبت وقالت له كيف ذلك؟! قال لها: الزوجة الأخرى التي أحببتها وتزوجتها قبلك هي (الدعوة إلى الله تبارك وتعالى) هي ستشغلني عنك كثيراً وسأتأخر كثيراً بسببها، فأرجو ألا تغارى منها. ولكن الله تبارك وتعالى وفقني في الرد فقلت له: وأنا سأكون لها خادمة بإذن الله.

(١) حوار مع الأستاذة سمية مشهور.

عاش مصطفى مشهور مع زوجته حياة سعيدة في ظل الدعوة، وكل منهما يبادل الآخر المودة والمحبة والتراحم ومراعاة الشعور. ولما رزق منها ذرية طيبة صالحة مباركة وفقه الله في تربيتهم تربية صالحة وعلمهم الشورى والتعاون والتألف فيما بينهم، كما أدبهم بأدب القرآن الكريم وكان يدرسه ويحفظهم، ويعلمهم الرياضة، ويعقد لهم دروساً من السيرة العطرة ليتعلموا كيف يلتزم المسلم بالقرآن الكريم التزاماً واقعياً في حياته، وعلمهم أن السيرة تعلمنا الترجمة الحقيقية والواقعية للقرآن.

لم يعيش معهم حياة متواصلة ولكنه كان يتركهم لعناية الله تعالى ثم عناية الزوجة الصالحة التي تخلقت بأخلاق الدعوة، فقد فارقهم لفترات طويلة تقرب من العشرين سنة كما سنعلم في باب المحن التي عاشها مصطفى مشهور. . . ولكن الزوجة الصالحة كانت صابرة. . . محتسبة. . . راضية. . . مؤمنة. . . شاكرة، قامت بدورها كاملاً وكانت موفقة في رعاية أولادها وتربيتهم والمحافظة عليهم بحفظ الله تعالى، وهكذا تكون الزوجة الصالحة. . . لقد ضربت أروع مثال للوفاء بالعهد ولم تنس عهداً معها في أول يوم لها في حياة الزوجية المباركة، وكانت خير خادمة لدعوة الله تبارك وتعالى.

لقد قامت بدور مهم أيام المحن سنكشف عنها في حينه، ثم كان لمصطفى مشهور بعض المواقف التربوية العظيمة في حياته الزوجية التي سنذكرها في باب أبرز السمات الشخصية والفكرية. . .

رزق مصطفى مشهور من هذا الزواج المبارك ذرية صالحة وهم:

١- مشهور المولود سنة ١٩٤٧ م.

٢- سلوى المولودة سنة ١٩٤٨ م.

٣- وفاء المولودة سنة ١٩٥٢ م.

٤- سمية المولودة سنة ١٩٥٥ م.

بارك الله له في ذريته وأحفاده وأخرج منهم للأمة الإسلامية صوراً متكررة من هذا الرجل العظيم مصطفى مشهور.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

الباب الثاني
بداية طريق الدعوة
[١٩٣٦م - ١٩٤٨م]

الفصل الأول: الانضمام للإخوان المسلمين.

الفصل الثاني: الإعداد والتكوين.

الفصل الثالث: النظام الخاص.

الفصل الأول: الانضمام للإخوان المسلمين

•• كيف تعرف على الإخوان وانضم إليهم:

انتقل ابن القرية مصطفى مشهور من قريته الصغيرة إلى القاهرة ليكمل دراسته، وانتقلت معه قيم وأخلاقيات القرية والمبادئ الريفية حيث الأصالة والعراقة، ولكنها لدى مصطفى كانت من منطلق إيماني نتج عن غرس والده فيه حب المساجد والمواظبة على الصلوات فيها وحفظ القرآن الكريم، وقد ضرب هذا الغرس بجذوره في أعماق نفسه وقلبه وروحه وسرح بين أضلعه وحناياه فتمكن منه أيما تمكن، فكان هو هو لم يتغير ولم تبهره أو تغريه مظاهر ومناظر المدينة ولم يتأثر ببهرجها ولا ببيرقها، وإنما كان ثابتاً على الاستقامة بحزم وعزم وإيمان ولم تنقطع صلته بالمساجد.

في أحد مساجد الحى سمع أحد المصلين يعلن عن درس ويدعو إلى حضور هذا الدرس، وبينما هو يعلن عن هذا الدرس كان يوزع مجلة اسمها (جريدة الإخوان المسلمين).

ذهب مصطفى مشهور إلى هذا الدرس، فأعجبه الدرس مما جعله يواظب عليه، وفي إحدى المرات سمع الأخ المتحدث في هذا الدرس يعلن عن درس آخر في مكان آخر للأستاذ حسن البنا.

عزم مصطفى على الالتزام بحضور هذه الدروس للاستزادة من فوائدها، فذهب في اليوم المحدد إلى درس الأستاذ حسن البنا، ولكنه وجد عجباً، أخذ الحديث بمجامع قلبه وملك عليه لبه، إنه حديث من نوع خاص ليس كغيره من الدروس ولكن له جاذبية خاصة، المتحدث يأخذ قلبك ولا يرده!!

وارتبط مصطفى مشهور بهذا الدرس وانتظم في الحضور وداوم عليه وهناك تعرف عليه الإخوان وضمّوه إليهم فصار واحداً منهم وهو ابن الخامسة عشرة بالصف الثالث الثانوى وكان ذلك سنة ١٩٣٦ م.

قبل أن أستكمل المسيرة الإيمانية مع مصطفى مشهور وإخوانه الذين انضم إليهم حديثاً. أردت أن أزيل التباساً قد ألم بكثير من ذوى الاهتمام من قراء وكتاب في هذه الجزئية من تاريخ هذا الرجل العظيم، وهى كيف تعرف على الإخوان، وتتمثل في أربع نقاط هى:

- ١- المجلة التي كان يوزعها أحد المصلين .
 - ٢- الدار أو مقر المركز العام للإخوان المسلمين الذي ذهب إليه .
 - ٣- الدرس الذي أعلن عنه في الدرس الذي ذهب إليه .
 - ٤- انضمام مصطفى مشهور إلى الأسرة .
- وستناول هذه النقاط بشيء من التوضيح وإزالة اللبس عنها بما تتطلبه الأمانة العلمية والدقة التاريخية .

١- المجلة التي كان يوزعها أحد المصلين^(١):

بدأت صحافة الإخوان المسلمين أول ما بدأت بالرسائل والنشرات ، وكانت أولى هذه الرسائل : (القانون الأساسي للإخوان المسلمين) ، واللائحة الداخلية ، ثم صدرت رسالة المرشد ، وظهر منها عددان فقط ، كانت الرسالة الأولى بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ١٣٥١ هـ تقريباً الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٣٢ م والثانية بتاريخ ٥ رمضان ١٣٤٩ هـ ، الموافق ٢ يناير ١٩٣١ م .

ثم ظهرت جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، صدر التصريح وبدأ الطبع للعدد الأول بتاريخ : الخميس ٢٨ صفر ١٣٥٢ هـ - الموافق أواخر شهر مايو سنة ١٩٣٣ م .

عاشت جريدة الإخوان المسلمين مدة أربع سنوات ، ثم تنازل الإمام الشهيد عن امتيازها في ١١ ربيع الآخر ١٣٥٦ هـ الموافق ٢١ مايو ١٩٣٧ م ، واستمرت في الصدور بعد التنازل حتى العدد ٦٨ من السنة الخامسة والذي صدر في ١٢ رمضان ١٣٥٧ هـ - ٤ / ١١ / ١٩٣٨ م حيث تغير اسمها إلى (الخلود) . . ثم توقفت في ١٥ ديسمبر ١٩٣٩ م .

استصدر الإخوان بعد ذلك ، رخصة أخرى بمجلة (النذير) ، سياسية أسبوعية ، وصدر العدد الأول منها بتاريخ الاثنين ٢٩ ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ، يوافق مايو سنة ١٩٣٨ م .

أما مجلة التعارف فلم تكن قد استصدرها الإخوان المسلمون أو ملكوا امتيازها ، وإنما استأجروها لفترة أو فترات محدودة ، هي ومجلات أخرى مثل : النضال والمباحث . .

يقول الأستاذ محمود عبد الحلیم : (بعد أن فقد الإخوان مجلة النذير في أعقاب الفتنة الأولى (فتنة شباب محمد) لم يعد للإخوان مجلة يملكون امتيازها ، فلجئوا إلى استئجار مجلات كان

(١) راجع : مذكرات الدعوة والداعية - حسن البنا - ص ١٤٢ - ١٤٤ ، أوراق من تاريخ الإخوان - جمعة أمين عبد العزيز - ج ٢ / ص ١١٩ - ١٣٦ ، أحداث صنعت التاريخ - محمود عبد الحلیم - ج ١ / ص ٥٢ ، ٨١ ، ١٢٤ - ٢٧٢ ، ٢٧٦ - ٢٥٠ .

أصحابها قد حصلوا على الترخيص بها لإصدارها لحسابهم - لأنهم يعجزون عن ذلك - وإنما فعلوا ذلك حتى تستأجرها منهم هيئة من الهيئات . . . وقد ظل المركز العام منذ انتقاله إلى الخلمية الجديدة يستأجر مجلات من هذا النوع عدة سنوات، وكلما صودرت واحدة استأجر أخرى ومن هذه المجلات: النضال والمباحث والتعارف). ولم ينتقل المركز إلى الخلمية إلا سنة ١٩٣٩ م. والثابت أن مصطفى مشهور تعرف على الإخوان سنة ١٩٣٦ م، وهو في الخامسة عشرة من عمره، في الصف الثالث بالمرحلة الثانوية.

وباستعراضنا لصحافة الإخوان المسلمين، من بدايتها حتى سنة ١٩٣٦ م، فإن المجلة التي كانت تصدر باسم الإخوان في ذلك الوقت هي: (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية، التي لم تتوقف إلا بعد تنازل الإمام الشهيد عن امتيازها في ٢١ مايو ١٩٣٧ م. كما بينا أن مجلة التعارف قد استأجرها الإخوان المسلمون بعد انتقال المركز العام إلى الخلمية سنة ١٩٣٩ م.

نخلص من ذلك إلى:

١- إما أن تكون المجلة التي كان يوزعها الأخ هي (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية بموجب ما شرحناه آنفاً.

٢- أو تكون المجلة التي كان يوزعها الأخ هي (التعارف)، فإذا كانت التعارف فإنها لم تكن باسم الإخوان، لأنها في ذلك الوقت لم يكن الإخوان قد استأجروها، وجريدتهم (جريدة الإخوان المسلمين) هي التي كانوا يصدرونها.

٢- مقر المركز العام:

بعد انتقال الإمام البنا من الإسماعيلية إلى القاهرة، اتخذ عدة مقرات للمركز العام للإخوان المسلمين وهي:

١- حارة نافع رقم ٢٤ المتفرعة من حارة عبد الله بك إحدى جوارى شارع السروجية، وكان ذلك في أكتوبر ١٩٣٢ م.

٢- حارة المعمار رقم ٦ بشارع سوق السلاح، وذلك في ذى القعدة ١٣٥٢ هـ - الموافق مارس ١٩٣٤ م.

٣- العودة لحارة نافع، في ذى القعدة ١٣٥٣ هـ - فبراير ١٩٣٥ م وكان العنوان ٣٠ حارة نافع بالسروجية.

- ٤- شارع الناصرية رقم ١٣ بالسيدة زينب، في غرة رجب ١٣٥٤هـ - ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥م.
- ٥- العتبة الخضراء - عمارة الأوقاف رقم ٥ بميدان العتبة الخضراء، في مارس ١٩٣٧م.
- ٦- الحلمية الجديدة - ١٣ شارع أحمد بك عمر بميدان الحلمية الجديدة - الدار القديمة، في ١٢/١٠/١٩٣٩م - ١٣٥٨هـ.
- ٧- الحلمية الجديدة.

هذه هي مقار المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة في تلك الفترة، وباستعراض هذه التواريخ فإن مصطفى مشهور قد ذهب إلى دار المركز العام بالناصرية والتي حضر بها الدرس الذي أعلن عنه الأخ في قصة انضمام مصطفى مشهور إلى الإخوان سنة ١٩٣٦م.

٣- الدرس الذي كان يحضره مصطفى مشهور^(١):

بعد أن أثبتنا أن الدار أو مقر المركز العام الذي ذهب إليه مصطفى مشهور هي دار الناصرية بالسيدة زينب، فإنه بالضرورة استعراض الدروس التي كانت تلقى فيها، ثم تحديد الدرس الذي أعلن عنه الأخ وحضره مصطفى مشهور لأول مرة.

والدروس هي:

كانت تنتظم الدروس في دار الناصرية بالسيدة زينب، أربعة أيام في الأسبوع، ينتظم فيها الإخوان لسماح الدروس، ثلاثة منها تلقى بمسجد الدار، والرابعة محاضرة عامة تصف لها الكراسي (والدكك) في فناء الدار، ويدعى إليها الجمهور.

- ١- درس في التصوف، يلقيه رجل كبير في السن يدعى (حامد بك عبد الرحمن) كان مفتشاً للرى وأحيل إلى المعاش، وكان درسه في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري.
- ٢- درس في تفسير القرآن الكريم، يلقيه حكيم الإسلام الشيخ طنطاوي جوهرى، وكان يفسر القرآن بالعلوم الحديثة، وهو لون لم يكن مألوفاً في ذلك الوقت، وكان الرجل بارعاً في التفسير وفي الإقناع، حيث كان على قدم راسخة في التفسير وفي العلوم الكونية معاً.
- ٣- والدرس الثالث (درس التكوين)، وهو درس لا تستطيع أن تسميه درس تفسير ولا درس تصوف ولا درس تاريخ ولا درس أخلاق ولا درس سياسة ولا درس أدب، وإنما هو جامع لذلك كله، ويجمع إلى ذلك آفاقاً أخرى ليس من السهل الإحاطة بها، لأن كل هذه العلوم

(١) أحداث صنعت التاريخ - ج/ ١ ص ٣٨، أوراق من تاريخ الإخوان - الكتاب الثاني - ص ١١٦، ١١٧.

والفنون كانت تقدم إلى السامعين ممزوجة بذوب النفس وعصارة القلب ومهجة الفؤاد، وهو ما يجعل مزيج هذه العلوم والفنون قادراً على صهر النفوس وصياغتها من جديد.
وكان يلقي هذا الدرس المرشد العام حسن البنا، ومع أن الدرسين السابقين لم يكن يواظب عليهما إلا سبعة أشخاص أو ثمانية، فإن درس التكوين لم يكن يتخلف عن حضوره أحد من الإخوان، لأنه طراز لا عهد لأحد بمثله.

٤- أما المحاضرة العامة، فبالرغم من المجهود الذي كان يبذله الإخوان في الإعداد لها وفي دعوة الناس في الشوارع المجاورة لحضورها، فإن معظم المقاعد تظل خالية، مع أن الذي كان يلقيها في أكثر الأحيان هو المرشد العام حسن البنا، ولا يتخلف إلا لعذر، فإذا تخلف قام شقيقه عبد الرحمن الساعاتي بإلقائها.

نخلص من عرض هذه الدروس الخاصة والمحاضرة العامة وهي التي كان يعلن عنها للجمهور لغير الإخوان، فإن مصطفى مشهور أول ما حضره كانت هي المحاضرة العامة ولم يكن حديث الثلاثاء.

٤- انضمام مصطفى مشهور إلى الأسرة سنة ١٩٤٣م:

ترجع ظروف نشأة نظام الأسر إلى نوعين من العوامل^(١):

الأول: يتعلق بالظروف والأوضاع السياسية العامة في مصر إبان الحرب العالمية الثانية.
الثاني: يرتبط بالأحوال الداخلية للإخوان.

أما الأمر الأول وهو المتعلق بالظروف السياسية لمصر أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد تعرض الإخوان للتضييق عليهم من قبل الحكومات المختلفة وبإيعاز من الإنجليز، وشمل ذلك: التضييق والنفي والاعتقال ومحاولات لقتل المرشد حسن البنا، كما شمل الإغراء بالمال والتهديد بالنفي، وإغلاق الشعب... الخ.

أما بالنسبة للأوضاع الداخلية للإخوان، فقد قام الإمام البنا بوضع نظم مختلفة في التربية؛ لإخراج صف إسلامي يتمتع بالفهم الصحيح للإسلام، تربط الأخوة بين لبناته، ويتكافل عند الشدائد والمحن، فنظم الكتاب، ووضع رسالة التعاليم والمنهج، ووضع رسالة المنهج العلمي... ولكن هذه المشاريع لم يتم تطبيقها على النحو المطلوب... لذلك تم استحداث

(١) أوراق من تاريخ الإخوان - الكتاب الرابع - ص ٢٨٢ - ٢٨٤. وانظر نفس المرجع - الكتاب الخامس - ص ٨، وانظر ص ١٦٠ - ١٧١ نظام الأسر تفصيلاً.

نظام الأسر في مارس سنة ١٩٤٣م، مع استمرار بقية الوسائل والنظم من كتائب ومعسكرات.

وبذلك يتضح أن الأسر لم يكن لها وجود سنة ١٩٣٦م.

ولذلك نقرر أن مصطفى مشهور لم ينضم إلى أسرة، وإنما ارتبط بدروس المركز العام للإخوان المسلمين بالناصرية بالسيدة زينب.

ونفيد القارئ بأن الذي دفعنا لهذا التوضيح أنه قد ورد في كتاب: (حياة مصطفى مشهور - كما عاشتها أسرته - إعداد: أ. د. محمد عبد الجواد، م. مشهور مصطفى مشهور) في بابه الأول - النشأة والتعليم والزواج - ١-٣ - تعرفه على الإخوان: ما نصه: (حكى لنا الوالد كيفية التحاقه بالإخوان، وكان ذلك وهو في القاهرة في السنة الثالثة من المرحلة الثانوية، وكان مواظباً على الصلاة في المسجد كعادته فقال: سمعت أحد المصلين وهو يعلن عن درس في الحى ويدعو إلى حضوره وكان يوزع مجلة تسمى التعارف، وفعلاً ذهبت إلى اللقاء وسمعت من يتكلم عن الإسلام وأعجبنى حديثه، فحرصت على المواظبة على حضور هذا اللقاء، وسمعت الأخ المتحدث في المسجد في إحدى المرات وهو يعلن عن درس للأستاذ البنا وهو يوم الثلاثاء في الحلمية، فحضرت اللقاء وأعجبنى حديثه إعجاباً شديداً حرصت على المداومة عليه، وتعرفت على بعض الإخوة وضموني إليهم في أسرة سنة ١٩٣٦م، وبايعت معهم على الالتزام بدعوة الإخوان، وقد استمرت صلتى بهم أثناء فترة الدراسة في كلية العلوم حيث تخرجت فيها سنة ١٩٤٣م.

الجدير بالذكر أن هذا النص في قصة انضمام مصطفى مشهور للإخوان المسلمين كنت قد اطلعت عليه في موقع (إخوان أون لاين) - ملف شخصيات - المرشدين - المرشد الخامس مصطفى مشهور. . واللافت للنظر أن النص هو هو!! . . .

إن هذا النص الوارد في الكتاب والموقع، ليس دقيقاً من الناحية التاريخية بموجب ما أثبتناه من حقائق بالدليل والبرهان من كتب التاريخ المعتمدة لدى الإخوان المسلمين والموثقة، والتي تعد مرجعية الإخوان وغيرهم في تاريخ الدعوة. .

●● الانتظام والالتزام:

لما أعجب مصطفى مشهور بدرس الإمام البنا إعجاباً شديداً، وحق له أن يعجب، فدرسُ البنا ليس كغيره من الدروس، وأحس أن نفسه تنصهر وتصاغ من جديد، وكما عرفنا أن بداية

حضور مصطفى مشهور هذه الدروس كانت المحاضرة العامة التي كان الإخوان يعلنون عنها للجمهور ولعامّة الناس، فحضرها مصطفى مشهور، ولما تعرف عليه الإخوان وضموه لدرس الإخوان والذي وصفناه بأنه جامع لكل الدروس (التفسير والتصوف، والتاريخ والأخلاق والسياسة والأدب... الخ... كان هذا الدرس يجمع آفاقاً ليس من السهل الإحاطة بها، والأعجب والأغرب أن الإمام البنا وهو الذي يلقي هذا الدرس كان يقدم لهم هذه الفنون بكل أحاسيسه وأعماق شعوره وكان متحرّقاً يخرج كلامه من قلبه فيدخل هذا الكلام في قلب سامعيه مباشرة... فكيف لا يكون له تأثير على سامعه. إن نفس السامع لتصهر في هذه البوتقة التي تجمع عصارة هذه العلوم والفنون الممزوجة بذوب نفس وعصارة قلب ومهجة فؤاد المعلم الأستاذ المرشد؛ فتفاعل وتصاغ صياغة جديدة وتصبغ صبغة خاصة؛ تصبغ هذه النفس بالتزام الإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً وسلوكاً وأخلاقاً هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، كان هذا الدرس يسمى (درس التكوين)..

داوم مصطفى على حضور هذه الدروس، وانتظم في حضوره، والتزم بها في سلوكه وأخلاقه، واستفاد منها أعظم إفادة، ولما انتقل مقر المركز العام للإخوان المسلمين إلى ميدان العتبة الخضراء سنة ١٩٣٧م ثم الحلمية الجديدة سنة ١٩٣٩م، انتقل معهم مصطفى، بمدارمته وانتظامه والتزامه هذا طيلة فترة المرحلة الثانوية.. حتى أكملها سنة ١٩٣٩م بتفوق، وقبل بكلية العلوم - جامعة فؤاد، وكذلك أكمل معها مرحلة التعريف في الدعوة بتفوق، وكان مؤهلاً لدخول مرحلة التكوين.. وهذا ما سنراه في الفصل الثاني بعون الله تعالى.



الفصل الثاني: الإعداد والتكوين

تخرج مصطفى مشهور من المرحلة الثانوية وقُبل بكلية العلوم جامعة فؤاد، وقد أكمل الإخوان المسلمون مرحلة التعريف التي انتهت سنة ١٩٣٨م؛ بإعلان الإمام الشهيد حسن البنا الانتقال بالدعوة من ميدان الكلام إلى ميدان العمل، ومن مرحلة التعريف إلى مرحلة التكوين، وكان ذلك في المؤتمر الخامس المنعقد في الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٥٧هـ - الموافق ٢ فبراير ١٩٣٩م بالقاهرة.

ومن تعليقات الإمام البنا بعد المؤتمر قوله:

(أيها الإخوان، إنكم في دور التكوين، ولم تتم خطواتكم الثانية بعد، بل أنتم لا زلتم في أولها...).

وقوله: (أيها الإخوان: الإيمان القوى، والعمل الصحيح، والإقبال على الطاعة، والبعد عن المعصية، والحرص على الوحدة والعمل الدائب، والجهاد المستمر، وحسن النظام، وإخلاص الغاية... كلها دعائم لا بد أن تتوفر في مجتمعاتكم بوضوح تام، حتى تذللوا ما يعترض طريقكم من عقبات، وإنها لكثيرة، لا تتيسر إلا لمن يسرها الله عليه...).

حدد الإمام البنا ثلاث مراحل لدعوة الإخوان المسلمين هي:

١- مرحلة التعريف. ٢- مرحلة التكوين.

٣- مرحلة التنفيذ.

وجعلها سلسلة متصلة الحلقات، متداخلة فيما بينها، ولا يعنى انتهاء مرحلة وبداية الأخرى أن المرحلة الأولى قد استنفدت أهدافها ولا وجود لأهدافها في المرحلة التي تليها، وأن هذه المراحل لا يفصلها حد قاطع ولكنها متداخلة، والذي يميزها هو ترتيب الأولويات، أما الانتقال من مرحلة إلى أخرى فهو تدريجياً.

والمرحلة الأولى وهي مرحلة التعريف كان لها ما يناسبها من وسائل وأساليب، مثل الدروس والمحاضرات والرسائل والنشرات والزيارات والاحتفالات والمواسم الدينية، والتوعية بصفة عامة.

أما مرحلة التكوين فقد استحدث لها الإمام البنا وسائل خاصة مناسبة لها . كانت الفترة ما بين ١٩٣٨م - ١٩٤٠م بداية لطور جديد من أطوار الدعوة، فقد شهدت بداية الاهتمام البالغ بتكوين واستخلاص العناصر التي تستطيع أن تحمل أعباء الجهاد، استحدثت لها الإمام البنا كثيراً من الوسائل التربوية منها:

أولاً: نظام الكتائب، الذي وضع له برامجه ومتهاجه، وقام بالعمل على تنفيذه لفترة، ثم ما لبث أن عمم هذا النظام على مستوى جميع شعب الإخوان، لما له من أثر تربوي نافع .

ثانياً: المعسكرات: لتربية الإخوان التربية الجهادية السليمة، فبدأ بمعسكر الدخيلة في صيف عام ١٩٣٨م، ثم أقيمت المعسكرات المركزية، وتلاها معسكرات المناطق، ثم انتشرت المعسكرات بعد ذلك على مستوى الشعب كأسلوب للتربية كان له أثره الفعال .

كانت هذه الفترة هي الفترة التي أراد الإمام البنا أن يستخلص فريقاً ممن عرفوا الدعوة، واستجابوا لها . الذين يفهمون الفكرة حق الفهم، ويطبقونها على أنفسهم ومن يليهم تمام التطبيق، ويستعدون لحمل أعبائها والبذل في سبيلها .

وأراد أن تكون هناك علاقة بين الجماعة والمجتمع المصري والدولي، فهذه الفئة المستخلصة يؤازرها ويؤيدها بعض الخاصة من كبار الأمة ورجالها البارزين^(١) .

وستناول هاتين الوسيلتين بشيء من الإيضاح :

أولاً: الكتائب

تعد الكتائب من أهم الوسائل التي اتخذها الإمام البنا لتكوين وتربية فريق؛ فهم فكرة الإخوان المسلمين حق الفهم، سلوكاً وتطبيقاً، على أنفسهم ومن يلونهم من إخوانهم، وليكونوا جميعاً على استعداد للبذل في سبيل تحقيق فكرتهم والتضحية من أجلها بكل غال وعزيز .

•• أول كتيبة^(٢)؛

عقدت أول كتيبة في خريف عام ١٩٣٧م في شهر سبتمبر أو أكتوبر من ذلك العام تقريباً، وكان أغلب روادها من الطلاب .

(١) أوراق من تاريخ الإخوان - الكتاب الرابع .

(٢) مجلة الدعوة الأسبوعية العدد ٦٣ السنة الثانية - ٥ شعبان ١٣٧١هـ - ٢٩ أبريل ١٩٥٢م .

•• كتيبة الإمام البنا (نموذج الكتاب):

- اسم الكتيبة^(١): كان الإمام البنا يتمثل في تسمية الكتيبة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]. فأفراد الكتيبة هم أنصار الدعوة وحماتها.

- شعار الكتيبة^(٢): جعل الإمام البنا شعار الكتيبة قوله تعالى: ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

- مكان الكتيبة^(٣): كانت الكتيبة تقام خارج المركز العام، في صحراء عين شمس والمعادي وحلوان والغفير، إلا في أوقات المطر والبرد القارس، فكانت تقام بالمركز العام.

- عدد أفراد الكتيبة^(٤): كانت تتكون من أربعين أخاً من الإخوان من الرعيل الأول، ومعظمهم في هذه المرحلة الزمنية كانوا من الطلاب.

- برنامج الكتيبة^(٥): كان برنامج الكتيبة يبدأ كالاتي:

* الساعة السابعة مساء: التجمع لصلاة المغرب أو العشاء في جماعة حسب توقيت الصلاة التي تختلف باختلاف الفصول، وكانت بداية الكتيبة الأولى في صلاة العشاء، وهو ما يرجح أن الكتيبة بدأت لأول مرة في شهر سبتمبر تقريباً، ثم يقرأ الإخوان الوظيفة منفردين وفي خشوع.

* الساعة الثامنة: طعام العشاء، ويتم الانتهاء منه خلال نصف ساعة.

* الساعة الثامنة والنصف: يبدأ التمام على الأفراد والأمتعة، وكان الأخ يكلف بإحضار بطانية وإبريق من الزنك للوضوء وبقاب وملبس للنوم وعشاء خفيف، وتُحضر المجموعة المنظمة للكتيبة بعض الحصر للنوم عليها، ثم تلقى التعليمات الإدارية على إخوان الكتيبة، ويستغرق ذلك كله نصف ساعة.

* الساعة التاسعة: الاستعداد للنوم، بحيث يدعو كل أخ أدعية النوم دون صوت، ويتوسد حذاءه ويلتحف ببطانيته إن وجدت، أو يفترش جزءاً منها ويلتحف الباقي إن لم توجد حصر.

(١) مجلة الدعوة الأسبوعية - السنة الثانية - العدد ٦٧ - ٣ رمضان ١٣٧١هـ - ٢٧ مايو ١٩٥٢م.

(٢) نفس المرجع.

(٣) مجلة الدعوة الأسبوعية - السنة الثانية - العدد ٦٣ - ٥ شعبان ١٣٧١هـ - ٢٩ أبريل ١٩٥٢م.

(٤) نفس المرجع.

(٥) مجلة الدعوة الأسبوعية - السنة الثانية - العدد ٦٣ - ٥ شعبان ١٣٧١هـ - ٢٩ أبريل ١٩٥٢م.

وكان الإمام البنا أقلهم نومًا، فكان يتفقد الإخوان وهم نيام في هدوء، ويصلح الأغطية بنفسه، فإذا وجد قدمًا مكشوفة سترها بالغطاء. فإذا اطمأن على جميع إخوانه قام إلى الصلاة، فإذا استيقظ إخوانه وجدوه أولهم قيامًا لله في جوف الليل، فكان أقلهم نومًا، بل لا يكاد ينام، ويقول الدكتور عبد العزيز كامل - وكان أحد أفراد الكتبية الأولى - : إنى لا أكاد أذكر أنى رأيت نائمًا.

* الساعة الواحدة صباحًا: وبعد أربع ساعات من النوم يقوم الإخوان إلى الصلاة في جوف الليل، يبدءون بالوضوء، ومن توضع يداً بالتهجد فيصلى سنة الوضوء، ثم ثمانى ركعات ثم الوتر ثلاث ركعات بتسليمتين، أما منتظر الوضوء فكان يشتغل بالاستغفار والدعاء والمناجاة استغلالاً للوقت والاستفادة به.

* الساعة الثالثة صباحًا: يلقي الإمام البنا كلمة إيمانية روحية لمدة ساعة، وكان الدرس الأول عن مداخل الشيطان للعاملين في حقل الدعوة، وكيف يدخل عليهم من أبواب الجاه والمناصب، وكيف يؤثر فيهم عن طريق النساء، ويستشهد بذلك من الواقع العملى، حيث يضرب أمثلة لسلوك بعض الوطنيين الذين آمنوا بالوطنية وحدها دون ارتباط بالله، وكيف تحطمت مشاريعهم أمام سلطان النساء، ثم يوضح كيف أن الاستعمار يدرس نفسية العاملين في الميدان الإسلامى، ويحاول فتنة كل منهم بما يحب ويهوى. لذلك كان يحرض الشباب على الاستعانة بطاعة الله ليقوى على مقاومة الشيطان، وذلك بالصوم والصلاة وفعل الطاعات والبعد عن المنبهات كالمكيفات والدخان بصفة خاصة، ثم تقليل قهوة البن والشاي حتى لا تستعبدهم عادة ولا تتحكم فيهم رغبة ولا شهوة.

وقد استغرق في موضوع مداخل الشيطان عدداً من الدروس، تلا ذلك دروس عن الأخوة فى الله، والعمل على تقوية علاقة الأخوة بين أفراد الكتبية، وتأكيد على روح الترابط بين أفراد الكتبية، وزيادة أواصر المحبة بينهم، ولكى يحببهم فى هذه الحصال كان يستشهد بما كان عليه حال الصحابة فى مكة والمدينة؛ من حب وإيمان وتعاون؛ وإيثار استطاعت بها هذه العصابة القليلة أن تتغلب على الكفار كما قال ربنا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وكان الإمام البنا يهتم اهتماماً بالغاً بتقوية الروابط بينه وبين أفراد الكتبية، وكان دائماً يتمثل حال النموذج الذى كانت عليه الجماعة الإسلامية الأولى، والعلاقة التى كانت بين النبى ﷺ وصحابته، ويردد قول الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٤٢].

[٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١] (١).

* الساعة الرابعة صباحاً: كان الإمام البنا يبدأ في تلاوة وشرح الورد القرآني، وكان يختاره من عشر آيات تتكلم في موضوع واحد، مثل ورد المعرفة والوفاء والتفكير والمراقبة والإخلاص والإيمان، وهو ما سنشير إليه بعد قليل، ثم يصلي إخوان الكتيبة الفجر جماعة، يتبع ذلك قراءة الوظيفة بطريقة جماعية، وهو ما سبب إثارة البعض للشبهات حول هذا الأداء، وقالوا لم يرد عن رسول الله ﷺ الذكر الجماعي، كما قد يؤدي للخلط في القراءة، فكان رد الإمام البنا مختصراً دقيقاً بأن الرسول ﷺ أمر بالذكر، ولم ينه عن الذكر في جماعة، فهو على الإباحة ما لم يكن هناك نهى، ولتلافي الخلط في القراءة جعل الإمام البنا من نفسه عريقاً للإخوان، يقرأ ويقراءون معه في جماعة، متعمداً للخلط، ورغبة في تعليم الإخوان الذكر الجماعي الذي يولد الرهبة والخشوع في النفوس مادام خالياً من البدع.

* الساعة السادسة صباحاً: يضيع الإخوان ويستريحون لمدة ساعة.

* الساعة السابعة صباحاً: معاد الاستيقاظ، فيرتدى الإخوان ملابسهم ويحزمون أمتعتهم خلال نصف ساعة.

* الساعة السابعة والنصف صباحاً: طعام الإفطار، يتناول الإخوان إفطارهم، ويتم الانتهاء منه خلال نصف ساعة على الأكثر.

* الساعة الثامنة صباحاً: يقف الإخوان طابور الصباح؛ الذي يقومون فيه ببعض التدريبات الرياضية، وينصرفون إلى أعمالهم.

●● أوراद الكتيبة (١):

- ورد المعرفة:

١- ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) المرجع السابق - ثم انظر أحداث صنعت التاريخ - ج ١.

- ٢- ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣].
- ٣- ﴿ وَتِلْكَ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣) قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آتِخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٣ - ١٨].
- ٤- ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٦) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٧) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٨) وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيحِبِّطُنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٩) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٧].
- ٥- ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٤، ٨٥].
- ٦- ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَتِلْكَ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٦، ٣٧].
- ٧- ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١].
- ٨- ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].
- ٩- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].
- ١٠- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص].

- ورد الوفاء:

١- ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠].

٢- ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوقِفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

٣- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ أَنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٨].

٤- ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَبْلَىٰ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهْمُ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٤].

٥- ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

٦- ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٧- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٨- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠].

- ٩- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].
- ١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٧﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِيَانًا مَرْصُوعًا ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٢ - ٤].
- ورد التفكير:

- ١- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].
- ٢- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سَبَّحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

- ٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ الْبُقْعَاتِ يُخْرِجُ مِنْهَا حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْجِبَالُ يَسْفِطُهَا وَيَنْحَرِبُهَا وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ لَئِيمٌ غَافِلٌ ﴿١٦٧﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَصَّلْنَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

- ٤- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

- ٥- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ نَازِلًا لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يونس: ٥، ٦].

٦- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجِينَ اثْنين يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿الرعد: ٢-٤﴾.

٧- ﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ حَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رِوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿النحل: ١٤-١٦﴾.

٨- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿المؤمنون: ١٢-١٤﴾.

٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿فاطر: ٢٧، ٢٨﴾.

١٠- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿الطلاق: ١٢﴾.

- ورد المراقبة:

١- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿الأنعام: ٥٩-٦٢﴾.

٢- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ

فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴿ يونس : ٦١ ﴾ .

٣- ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ (١٥) له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴿ [الرعد : ١٠ ، ١١] .

٤- ﴿ وإن ربك ليعلم ما تكمن صدورهم وما يعلنون ﴾ (٧٤) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴿ [النمل : ٧٤ ، ٧٥] .

٥- ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ (١٦) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴿ [لقمان : ١٦ ، ١٧] .

٦- ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ (٢٢) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴿ [فصلت : ٢٢ ، ٢٣] .

٧- ﴿ أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون ﴾ (٧٩) أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم بلئى ورسلنا لديهم يكتبون ﴿ [الزخرف : ٧٩ - ٨٠] .

٨- ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٦٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴿ [ق : ١٦ ، ١٧] .

٩- ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿ [المجادلة : ٧] .

١٠- ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ (٢٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴿ [الملك : ١٣ ، ١٤] .

- ورد الإخلاص:

١- ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (١٣٨) قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴿ [البقرة : ١٣٨ ، ١٣٩] .

٢- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿ [النساء: ١٤٤ - ١٤٧].

٣- ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿ [الأنعام: ٧٩ - ٨٢].

٤- ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

٥- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ [الكهف: ١١٠].

٦- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٧﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢٨﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ [الزمر: ٢ - ٤].

٧- ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ ﴿ [الزمر: ١١ - ١٦].

٨- ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿ [غافر: ١٤، ١٥].

٩- ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [غافر: ٦٤، ٦٥].

١٠- ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

- ورد الإيمان:

١- ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٦) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ (١٧٦) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ (١٧٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا نِعْمَةَ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (١٧٦) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٧١ - ١٧٥].

٢- ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿ (١٤٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿ (١٤٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥].

٣- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿ [الأنفال: ٢ - ٤].

٤- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ [الأنفال: ٧٢].

٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ الثَّابِتُونَ الْعَابِدُونَ النَّحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿التوبة: ١١١، ١١٢﴾.

٦- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون: ١ - ١١﴾.

٧- ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿العنكبوت: ١ - ٣﴾.

٨- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿الأحزاب: ٢١ - ٢٣﴾.

٩- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿الحجرات: ١٤، ١٥﴾.

١٠- ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التغابن: ٨، ٩﴾.

•• تعليمات الكتيبة^(١):

١- رأس مالنا الوقت فاحرصوا عليه، وبخاصة في هذه الليلة.

(١) مجلة الدعوة الأسبوعية العدد ٦٣ - ٥ شعبان ١٣٧١هـ - ٢٩ أبريل ١٩٥٢م.

٢- اللغو يحبط العمل، وكثرة الضحك تيمت القلب، ورأس الأمر الخشوع، والغاية جد، فلا يفوتك ذلك.

٣- دقائق الليل غالية، فلا ترخصوها بالغفلة.

٤- في التربية الذاتية يجب أن يكون لك الحكم على نفسك، فكن حازماً ألا تنهون معها.

٥- هذا النظام ينفذ جميعه، فلا يسمح لأحد الإخوان بمخالفته، ومعنى هذا أن تأكل وأنت شعبان، وتنام وأنت مستيقظ، نزولاً على إرادة الجماعة.

•• بيعة الكتيبة^(١)؛

كانت بيعة الكتيبة تتمثل في ثلاث كلمات هي:

١- العمل.

٢- الطاعة.

٣- الكتمان.

•• ورد المحاسبة^(٢)؛

كان يوزع على أفراد الكتيبة في أول كل شهر استمارة تتضمن عشرين سؤالاً، يجيب عليها الأخ بـ(نعم) أو (لا) وتسلم في نهاية الشهر للأخ المسئول، وكان يقرؤها الإمام البنا بنفسه، وكانت الأسئلة مأخوذة من رسالة التعاليم، لا سيما واجبات الأخ العامل، وكانت تتعلق بقدرة الفرد على ترك المكيفات، وقدرة الأخ على التنظيم المالى لحياته، وعلى معرفته بإخوانه في الكتيبة، ومدى صلته بالإمام البنا. وذلك لإجابة الأخ على هذه الأسئلة ومراجعته لنفسه فتكون تربية ذاتية، ولتعلم القيادة مدى استفادة الإخوان من نظام الكتيبة ومدى تأثير هذا النظام في حياتهم.

•• اجتماعات الكتيبة^(٣)؛

كان من المفترض أن تصل اجتماعات تلك الكتابب إلى أربعين ليلة خلال العام، حيث كانت تقام الكتيبة مرة كل أسبوع، وكان الإمام البنا يتمثل في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤١]. ولكن هذه الكتابب توقفت بانتهاء العام الدراسي ولم يكتمل هذا العدد، وذلك لتغيير نظام الكتابب

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجلة الدعوة الأسبوعية العدد ٦٧ - ٣ رمضان ١٣٧١ هـ - ٢٧ مايو ١٩٥٢ م.

وصدور رسالة «المنهج» التي تنظم الكتاب، حيث رأى الإمام البنا تعميمها على جميع شعب الإخوان، وعدم اقتصارها على المركز العام.

•• كتائب رسالة المنهج:

صدرت رسالة المنهج^(١) سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م شهر أبريل أو مايو تقريباً، وتحدثت عن مرحلة التكوين وحددت أهدافها، والتي منها: إنشاء الكتائب في جميع أنحاء القطر المصري، حيث يكون عددها ثلاثمائة كتيبة في مدى أربع سنوات، وذلك في رجب ١٣٦٠ هـ على النحو التالي:

رجب ١٣٥٧ هـ - ٢٥ كتيبة كاملة.

رجب ١٣٥٨ هـ - ٧٥ كتيبة كاملة.

رجب ١٣٥٩ هـ - ١٠٠ كتيبة كاملة.

رجب ١٣٦٠ هـ - ١٠٠ كتيبة كاملة.

بحيث يكون عدد الإخوان في هذه الكتائب (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفاً، مجهزين تمام التجهيز مادياً وروحياً؛ وهو العدد الذي حدده الإمام الشهيد حسن البنا لبداية التغيير، فقال في رسالة [المؤتمر الخامس]: «... في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين.. ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة.. في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لبحر البحار، وأقتحم بكم عتات السماء، وأغزو بكم كل جبار عنيد، فأني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة»^(٢)، إنى أقدر لذلك وقتاً ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيتته، وقد تستطيعون أنتم - معشر نواب الإخوان ومندوبيهم - أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتهم هممتكم وضاعفتهم جهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فاشعروا أنفسكم بالعبء،

(١) رسالة المنهج - للإمام الشهيد حسن البنا - هذه الرسالة كتبت ووزعت على نطاق ضيق في أبريل ومايو عام ١٩٣٨ م تقريباً، وطبعت ووزعت على جميع الشعب في رجب ١٣٥٧ هـ - سبتمبر ١٩٣٨ م، وقد صدرت لإخوان الكتائب، وذلك حتى يتعرف إخوان الكتائب على فضل قيام الليل والاستغفار، كما تضمنت الرسالة مجموعة من الأدعية والمأثورات.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود في سننه (الجهاد والسير والغزو) - صحيح سنن أبي داود بتخريج الألباني.. وتمامه: [عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة] صحيح.

وألّفوا الكتاب، وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب، وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل».

•• الهدف:

تخريج صنف ممتاز من الشباب الإسلامي يقوم بعبء الدعوة.

•• الوسيلة:

الدرس والتربية الروحية والرياضية التي تقوم على الطاعة والنظام والاستقامة وتقديم الواجب وتمام الاستعداد.

•• عدد أفراد الكتيبة:

يجب ألا يقل عدد أفراد الكتيبة عن عشرة أفراد ولا يزيد على أربعين.

•• شروط عضوية الكتيبة:

١- أن يكون سبق اتصاله بالإخوان.

٢- لا تقل سنه عن ثماني عشرة هجرية، ولا تزيد عن الأربعين وقت انتسابه للكتيبة، وللإخوان الذين تزيد سنهم عن الحد المقرر أن يتسبوا إلى الكتيبة استثناء ويعفوا من ارتداء الزي الخاص (زي الكشافة)، ويصح أن يختار منهم نقيب الكتيبة أو يكون أحد مندوبيها، ولكن لا يدخلون في عدد الكتيبة الرسمي.

٣- أن يكون معروفاً لدى بقية أعضاء الكتيبة ومزكى منهم جميعاً.

•• واجبات عضو الكتيبة:

١- أن يتعهد بالمحافظة على أداء الأوامر واجتناب النواهي الشرعية.

٢- أن يجدد التوبة ويرد الحقوق والمظالم إلى أهلها لأول عهده بالكتيبة.

٣- أن يمتنع عن المكيفات كلها وعن السهر في غير ليلة الاجتماع.

٤- أن يأخذ نفسه بالجد والوفاء دائماً، مع محاسبة النفس والإقلال من الضحك.

٥- أن يحرص على الوقت، فلا ينفق جزءاً منه في غير فائدة.

٦- أن يقتصد بعض ماله مهما كان دخله، للطوارئ.

٧- أن يسدد اشتراكه الشهري للمكتب العام.

٨- أن يتحدث بالعربية الفصحى، ويستخدم التاريخ الهجري ما أمكنه ذلك.

- ٩- أن يترك حزبيته السياسية، ويتخلى عن صلته بأية هيئة من الهيئات متى طلب منه ذلك .
- ١٠- أن يضع ظروف حياته تحت تصرف الدعوة، مضحياً في سبيلها بكل شيء عند اللزوم .
- ١١- أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة أو يتعهد بتعلمهما .

•• ما يلزم الضرد من أدوات:

- ما يلزم للعبادة: مصحف، سجادة صغيرة، سواك .
- ما يلزم للتدريب: رداء الكشافة، زمزمية، جرابندية، لوازم التدريب العسكرية كلها .
- ما يلزم للثقافة: مجموعة رسائل الإخوان .
- ما يلزم للنوم: بطانية، وسادة صغيرة .

•• اسم وشعار الكتيبة:

يطلق على كل كتيبة اسم إسلامي له معنى خاص، وكان شعار الكتائب العام ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ [يوسف: ٢١] .

•• تكوين الكتيبة:

عند البدء في تكوين الكتيبة يتم حساب عدد أفرادها، فإذا لم يصل عددها إلى أربعين آخاً، فإن باب الانتساب لها يظل مفتوحاً لمدة أربعة أسابيع حتى يتم العدد، ويتم إغلاق باب الانتساب إليها بنهاية المدة، أو باكمال العدد، ثم تبدأ الاجتماعات الرسمية للكتيبة .

•• إدارة الكتيبة:

تتكون لجنة الكتيبة من نقيب ووكيل وعدد من المندوبين .

•• نقيب الكتيبة:

هو رئيسها والمشرف عليها، ويُختار من بين أعضاء الكتيبة بالاقتراع السري .

•• وكيل النقيب:

يتم اختيار وكيل النقيب ليقوم بمعاونته ويحل محله في حالة تغيبه .

•• المندوب:

تقسم الكتيبة إلى مجموعات، كل مجموعة منها عشرة أفراد، وتختار كل مجموعة مندوباً لها يشارك في إدارة الكتيبة، فيساعدون النقيب في مهمته، ويجب عليه مشاورتهم في شئون الكتيبة، والأخذ بالصواب من آرائهم من غير إلزام .

•• مالية الكتيبة:

يتم تنظيم مالية الكتيبة، إما عن طريق الاكتتاب بين أفرادها، أو بنظام الاشتراك، حيث يتكفل أفراد الكتيبة بكل ما تحتاجه الكتيبة من مصروفات.

•• سلطة النقيب:

له أن يتخذ مع أعضاء كتيبته بعض الإجراءات التأديبية في حالة مخالفة الأخ، سواء كانت تلك المخالفات تنظيمية أو شرعية، وتلك الإجراءات تتمثل في:

- ١- التنبه على أخطاء الأخ على انفراد.
- ٢- تأنيب الأخ المخطئ علناً أمام أعضاء الكتيبة.
- ٣- تكليفه ببعض الأعمال التي تخلصه من الذنوب مثل الاستغفار، التنفل بالصلاة أو الصيام.
- ٤- تعزيز الأخ المخطئ ببعض العقوبات المادية.
- ٥- تكليف إخوان الكتيبة بهجر الأخ حتى يقلع عن خطئه.
- ٦- إلغاء اجتماعاته السابقة كلها أو بعضها.
- ٧- فصل الأخ نهائياً من الكتيبة، ويتوقف تنفيذ تلك العقوبة على إقرار مكتب الإرشاد لها.

•• بيعة الكتيبة:

تتم في أول اجتماعات الكتيبة وفي حضور مندوب مكتب الإرشاد الذي يأخذ البيعة من أفراد الكتيبة أمام جميع إخوانهم، نائباً عن المرشد.

•• كيفيتها:

يقوم الأخ ويتوضأ ويصلى ركعتين نافلة، ثم يستغفر الله سبعين مرة، ثم يؤدي قسم البيعة، الذي نصه: [أقسم بالله على الطاعة والعمل والكتمان] على أن يجدد نقيب الكتيبة وجميع أعضائها بيعتهم للمرشد عند أول لقاء به.

•• سجل الكتيبة:

هو سجل خاص بكل كتيبة، تدون فيه أسماء أعضاء الكتيبة، وكافة البيانات اللازمة عنهم، كما يتضمن عدد مرات الحضور والغياب وملف خاص بكل فرد من أفراد الكتيبة.

•• عدد الاجتماعات:

تجتمع الكتيبة مرة واحدة كل أسبوع لمدة عام، بحيث لا يقل عدد اجتماعاتها عن أربعين

اجتماعاً، وتكون اجتماعاتها بعد ذلك تطوعاً، وللأخ الذي يتم مدة الكتيبة أن يستمر معها أو مع غيرها من الكتائب ما شاء من الجلسات.

● البرنامج:

- ١- صلاة العشاء والتدريب الرياضي.
- ٢- تناول عشاء خفيف معاً.
- ٣- مذاكرة في شئون الكتيبة.
- ٤- درس التعاليم، ويتم فيه شرح رسالة التعاليم.
- ٥- أدعية مأثورة من أذكار المساء ومن أدعية الاستعداد للنوم.
- ٦- النوم بضع ساعات (٤ ساعات) والاستيقاظ قبل الفجر.
- ٧- الوضوء والتهجد وتلاوة حزب من القرآن.
- ٨- دعاء واستغفار ومناجاة إلى أذان الفجر.
- ٩- صلاة الفجر والاشتغال بالذكر إلى قبل الشروق.
- ١٠- تدريبات رياضية.
- ١١- تناول الإفطار معاً والانصراف.

● الدراسة:

يتم في الكتائب تدريس قانون الإخوان المسلمين ورسائلهم، وكان من الملاحظ أن هناك عناية خاصة برسالة التعاليم، فكانت واجبة من حيث الفهم والحفظ حتى يصدر الإخوان عن فهم واحد، ويكلف كل فرد بقراءة ورد خاص من القرآن، يقرأ في الصباح والمساء، بالإضافة إلى التدريب الرياضي الكامل.

● الإجازة:

يمنح مكتب الإرشاد الأخ الذي حضر أربعين اجتماعاً، وحفظ رسالة التعاليم، وألم بقانون الإخوان وخطتهم، وشهد له إخوانه بحسن الاستعداد وشرف المسلك في أثناء مدة الكتيبة - إجازة شرفية، وعندها يبايع الأخ مرة ثانية، وينشر اسمه وصورته في سجل الإخوان العاملين، وتثبت له حقوق الأخوة الكاملة.

ويمكن للأخ بعد حصوله على الإجازة أن يكون نقيباً لكتيبة جديدة، وداعية من دعاة الإخوان الرسميين إذا رأى مكتب الإرشاد فيه الكفاءة لذلك، ونلاحظ أن الإجازة تتطلب ثلاثة أمور هي:

- ١- الانضباط الحركي، ويتمثل في المحافظة على حضور الاجتماعات.
- ٢- الفهم والثقافة الدعوية، ويتمثل في فهم وحفظ رسالة التعاليم التي تمثل دستور الثقافة الإسلامية، كما قال عنها الشيخ الغزالي، بالإضافة إلى الإلمام بقانون الإخوان وخطتهم بالعمل.
- ٣- الجانب السلوكي والأخلاقي: الذي يتمثل في شهادة إخوانه الذين صاحبوه على مدار عام كامل وعاشه كل واحد منهم أربعين ليلة على الأقل، فيشهدون له بحسن استعداده وشرف مسلكه.

ومن هنا كان التوازن الذي يجب أن يعمل به الدعاة في إجازة الأفراد، فلا يكفي بجانب دون آخر، فلا بد من تكامل الشخصية حتى يتم الله لهذه الدعوة النجاح، كما نلاحظ أن تلك الإجازة مرتبطة باستقامة الأخ واستمراره على هذا المستوى الراقى.

●● مشهور الأخ العامل:

انتظم مصطفى مشهور في هذه الكتاب منذ بدايتها، واجتهد في المحافظة على حضورها، وبرز بين إخوانه بثقافته الدعوية من حفظ وفهم لرسالة التعاليم وقانون الإخوان وخطتهم، وشهد له إخوانه الذين عاشوه وصاحبوه بحسن الاستعداد وشرف المسلك. فحاز الإجازة الشرفية ونشر اسمه وصورته في سجل الإخوان العاملين وثبت له حقوق الأخوة الكاملة، وكان مؤهلاً ليكون نقيباً، ومنذ ذلك الوقت كان داعية معروفاً في الدعوة العامة. وكان ذلك سنة ١٩٤٠ م.

ثانياً: الجوالته (١)

اشتملت حجرة المركز العام للإخوان المسلمين بدار شارع الناصرية بالسيدة زينب، حجرة صغيرة لفرقة الرحلات، وكان يرأس فريق الرحلات الطالب [محمد أحمد سليمان] بكلية الطب... وكان جميع الإخوان وقتذاك أعضاء في هذا الفريق، وكان له ملابس خاصة تشبه ملابس ركوب الخيل فهي: قميص كاكم، وبنطلون بمنفاخ.

كان الإمام الشهيد قد رسم في ذهنه صورة لوسائل إبراز حقيقة الدعوة الإسلامية، ولكنه وجد أن هذه الصورة لا تكتمل إلا بوجود مظهر للقوة البدنية، ولكن لم يستطع أن يعبر عن المظهر في ذلك الوقت، كما لم تسعفه الوسائل إلا بتخصيص حجرة صغيرة من حجرات المركز العام لهذا النشاط، ووضع على بابها لافتة باسم هذا النشاط.

كما أراد أن يعبر عن معنى الجهاد في الفكرة الإسلامية، فكلف نجاراً - بإرشاد من أحد العسكريين - بصناعة أتمودج لبندقية، وكان هذا الأخ العسكري يدرّب الإخوان في فناء الدار على استعمال البندقية في مختلف الظروف والأوضاع، بهذا النموذج الخشبي.

ولما انتقل المركز العام إلى العتبة حيث الدار هناك أوسع، رأى الإمام البنا الفرصة مواتية لإبراز الصورة التي في ذهنه إبرازاً أوضح، فطور فريق الرحلات إلى فريق الجوالته.

إن الصورة التي رسمها الإمام البنا في ذهنه منذ قام بدعوته في الإسماعيلية عن هذا الجانب من نشاط الدعوة لم تكن هي فريق الرحلات أو فريق الجوالته، وإنما كانت فريقاً عسكرياً يحقق فكرة الجهاد في الإسلام، ولكن الرجل كان يؤمن بالتدرج والتطور وأنه قانون الحياة، ولا بد للدعوات أن تخضع لقوانين الحياة، إذا هي أرادت أن تشق طريقها، ولم يكن الرجل يتجاهل ما حوله ولا يتعامى لما بين يديه، فتدرج بالصورة التي في خاطره تدرج الأم بمولودها.

كان الإمام الشهيد يتحرق شوقاً إلى إبراز النشاط العسكري لتجلية فكرة الجهاد، ولكنه رأى الدعوة لازالت في مهدها ولم تتجاوز في طورها الجديد مرحلة الحبو، ورأى الحكومات المصرية ومن ورائها الإنجليز لا بد أنهم مترصبون - في يوم ما - بالدعوة الدوائر لأنها عدوهم الأساسي، فلا بد للدعوة أن تتحاشى كل ما يعتبرونه في عرفهم خروجاً على القانون، وفي ذلك الوقت كان تكوين منظمات عسكرية لا يعد خروجاً على القانون فحسب، بل يعد إحدى الكبائر، لذلك لجأ الإمام في إبراز الطور الجديد في خاطره إلى مظهر ألبسه لباس القانون.

(١) انظر: أحداث صنعت التاريخ، ج/١ ص ١٧٨.

لم يكن في مصر وقتذاك صورة فيها رائحة العسكرية مسموح بها إلا جمعية الكشافة الأهلية التي يرأسها الملك فاروق، وكان صغار السن من المنتسبين إليها يسمون «كشافة» وكان الكبار يسمون «جواله» وصار الإخوان المسلمون فرقة جواله منتسبة إلى جمعية الكشافة الأهلية.

●● نظام الجواله وإصلاح الشباب^(١)؛

تبنى الإخوان قانون الكشافة وهو يتمشى مع الفضائل الاجتماعية التي يدعو إليها الإسلام، ولم يعدل الإخوان في هذا القانون إلا لفظاً واحداً في إحدى موادته التي تقول: وأن أطيع رؤسائي طاعة عمياء.. فعدلوها إلى طاعة تامة، لأن الإسلام لا يعترف بالطاعة العمياء - وشرح- الإخوان قانون الكشافة بأيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، وكان فريق الإخوان المسلمين هو الفريق الوحيد من المنتسبين إلى جمعية الكشافة الأهلية الذي استعمل هذا القانون استعمالاً كاملاً وطبقه أحسن تطبيق.

وكان هناك ما يشبه التلازم بين الكتائب والجواله، فعضو الكتائب يكون في أغلب الأحيان جوالاً، لأن الإمام البنا كان هو رئيس النظامين، وكان أسلوب الجواله في أكثر الأحوال هو الخطوة الأولى للشباب الذين انضموا تحت لواء الدعوة، لأنه نظام عسكري المنظر فيه معنى الفتوة التي تستهوى الشباب، وكم من الشباب تم إصلاحه وظهرت مواهبه عن طريق نظام الجواله وكان من قبل شاباً عابثاً.

كنت ترى في نظام الجواله أهدافاً سامية ومبادئ رفيعة، تحث على الأخوة والإيثار والشجاعة والمروءة والتضحية.. وكان الإخوان المسلمون بمثابة الروح التي ردت إلى الجسد وهو الكشافة والجواله، فبعثت فيه حرارة الحياة. وكان نظام الجواله في الإخوان المسلمين وسيلة لإصلاح الشباب بطريقتين:

١- صاغ نظام الجواله الشباب الذين انضموا في سلكه صياغة جديدة بعثت من أعماق نفوسهم ما كان كامناً فيها من طاقات خارقة، ومواهب باهرة، وصاروا مثلاً علياً في الاستقامة والإيثار والتضحية.

٢- وما كانت جموعها الحاشدة، وطواويرها المنظمة، ومخطواتها المنسقة وطبولها المثيرة، وهتافاتها المزلزلة، وعسكريتها غير المحترفة، من روح تشعر هذا الشعب بأن للحق قوة تحميه، فتطمئن قلوب تحب الحق ولكنها كانت خائفة، وتهتز فرقاً قلوب كانت سادرة في الباطل فكانت تجاهر بباطلها اعتماداً على أن الطريق أمامها سهل مفتوح، فلما رأت بعينها قوة الحق انكشفت بباطلها مستخفية مرتجفة.

(١) انظر: نفس المرجع ص ١٨٠، ١٨١.

ثالثاً: المعسكرات (١)

بعد أن استحدث الإمام الشهيد حسن البنا الكتيبة كوسيلة من وسائل التربية المؤثرة، استوحى فكرة المعسكر، من خلال فرق الجواله، واستهدف من وراء تلك المعسكرات: تربية الإخوان تربية شاملة تعنى بالروح والعقل والجسد، فكانت التربية الروحية من خلال قيام الليل والتهجد وقراءة الوظائف والأوراد وتلاوة القرآن. أما التربية الثقافية التي تغذى العقل فكانت من خلال المحاضرات والمدارس التي تتم أيام المعسكر، أما الاهتمام بالنواحي البدنية فكانت من خلال الأنشطة الرياضية المختلفة التي يتضمنها برنامج المعسكر، بالإضافة إلى التدريب العسكري الذي يتضمن التدريب على الرياضة العنيفة والتدريب على أنشطة الدفاع عن النفس.

ولم يكتف الإمام البنا بذلك، فقد أضاف إليها توثيق التعارف وتعميقه بين الإخوان وتعويدهم الانضباط والطاعة والاعتزاز بالنفس المؤمنة، كما دربهم على ممارسة الدعوة إلى الله عملياً، من خلال الخروج في بعض أيام المعسكر لدعوة الناس، وقدم من نفسه النموذج العملي لكل ذلك - وقد تم ذلك في أول معسكر للإخوان بالدخيلة - كما هي عادة الإمام البنا حين يطبق وسيلة من وسائل التربية، فإنه يبدأ بنفسه ليقدم للإخوان النموذج المطلوب عملياً، ثم بعد ذلك يطالبهم بتنفيذ ما شاهدوه وتعلموه وعاشوه مع بقية إخوانهم، ولذلك بعدما أقام معسكر الدخيلة (بالإسكندرية) جاء في العام التالي وقسم الجمهورية إلى مناطق، وعين لكل منطقة قائداً لمتابعة المعسكر والقيام على شئونه، ثم ما لبثت تلك الوسيلة أن انتشرت في جميع المناطق حتى أصبح لكل شعبة معسكرها.

كانت معسكرات الإخوان تدريجياً على الصبر والاحتمال، وتعويداً للنفس على تحمل أشق الظروف. . وكانوا يقيمون هذه المعسكرات باعتبارهم من فريق الجواله المسجلة في جمعية الكشافة الأهلية، وكان من حقهم بهذا الاعتبار أن يستغلوا الأماكن التي أعدتها هذه الجمعية لإقامة المعسكرات الكشفية، فكثيراً ما أقام الإخوان معسكرات كانت في بعض الأحيان تستمر طوال الصيف في معسكر الكشافة بحلوان، وكان لكل معسكر برنامج يستوعبه أفراد كل دفعة، يتضمن أنواعاً من الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية والتربية الروحية، ومنها حفظ قدر معين من القرآن الكريم مع تفسيره، ويعقد في نهاية المدة امتحان للدفعة قبل تسريحها.

(١) أوراق من تاريخ الإخوان الكتاب الرابع - ٤٨ - ٥١.

(٢) أحداث صنعت التاريخ - ج/١ - ص ١٨٥.

•• معسكر الدخيلة: المعسكر النموذج:

هو أول معسكر للإخوان المسلمين بعد استحداث البنا لنظام المعسكرات . بدأ الإخوان الترتيب له بعد انتهاء العام الدراسي ١٩٣٧م - ١٩٣٨م وقد وجه مكتب الإرشاد خطابات الدعوة للإخوان للاشتراك في المعسكر في أول يوليو عام ١٩٣٨م الموافق جمادى الأولى ١٣٥٧هـ . ولقد نشرت مجلة «النذير» صورة من ذلك الخطاب حتى يتسنى للإخوان الاطلاع عليه والاشتراك في المعسكر ، وقد حدد في هذا الخطاب موعد المعسكر وقيمة الاشتراك والإجراءات المطلوبة وكيفية الوصول إليه^(١) .

•• مكان المعسكر:

أقيم المعسكر على أرض رملية قريبة من شاطئ البحر في منطقة بين المكس والدخيلة ، وكان أقرب إلى منطقة الدخيلة ، ولذلك سمي بمعسكر الدخيلة .

•• مدة المعسكر:

بلغت مدة المعسكر حوالي اثنين وثلاثين يوماً ، ابتداء من ٢٧ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ الموافق ٢٥ يوليو ١٩٣٨م حتى ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٣٨م^(٢) . ومن لم يستطع من الإخوة البقاء طوال تلك المدة ، فله أن يشترك بعض الوقت ، بشرط أن يخطر اللجنة المكلفة بإدارة المعسكر بعدد الأيام التي يريد قضاءها وتوقيتها ، حتى يتسنى للجنة المعسكر تدبير أمرها .

•• قيمة الاشتراك:

بلغت قيمة الاشتراك طوال فترة المعسكر مائة وخمسين قرشاً للطلبة ومائتي قرش للموظفين ، وذلك بالإضافة إلى مصاريف الذهاب إلى الإسكندرية والعودة منها . أما المشاركون لأيام محددة فكان يقدر اشتراك اليوم الواحد للطلاب بخمسة قروش وللموظف بسبعة قروش ، ولما كانت التكاليف المادية يجب ألا تكون هي العائق أمام الأخ عن الاشتراك في المعسكر مع إخوانه ، فإن من لم يستطع سداد الاشتراك أو جزء منه عليه أن يرأس اللجنة ويبلغها بما يستطيع دفعه ، وعلى اللجنة أن تبذل وسعها لتغطية هذا العجز ، ولكن في نهاية الأمر فإنها تبلغ الأخ بالترحيب باشتراكه وحضور المعسكر^(٣) .

(١) مجلة النذير الأسبوعية - السنة الأولى - العدد ٦٦ - ٦ - جمادى الأولى ١٣٥٧هـ - ٤ يوليو ١٩٣٨م .

(٢) المصدر نفسه .

•• الملابس والأدوات:

حددت لجنة المعسكر الأدوات والملابس التي يجب على الأخ إحضارها، وهي غطاء (بطانية أو بطانيتان)، فرش أرض خفيف، ملابس النوم، الملابس الداخلية، إبرة وخيوط، شيشب أو قبقاب، ومنشفتان، كلصون صوف للسباحة، ملابس خاصة للخروج، أدوات الأكل [طباقان، شوكة، ملعقة، كوب صاج]، لباس كشافة، فإذا لم يكن لدى الأخ ملابس كثرافية فعليه إبلاغ اللجنة لتوفير ذلك^(١).

•• أهداف المعسكر:

- ١- التزكية الروحية: من خلال صلاة التهجد كل ليلة، والدعاء في السحر، وقراءة القرآن، والمحافظة على الوظائف والأوراد، وذكر الأوقات والأحوال والمناسبات.
- ٢- التربية العلمية: وذلك من خلال دروس الإمام البنا، حيث كان يقوم بشرح رسالة التعاليم التي كان يشرحها لأول مرة في [معسكر الدخيلة]، والقراءة الحرة والمدارس.
- ٣- التربية الرياضية: وذلك من خلال طوابير السير والتدريبات البدنية.
- ٤- الدعوة إلى الله: [داخل المدن التي كانت تقام بها المعسكرات]، وذلك من خلال تخصيص أيام الجمع والأحد والثلاثاء من كل أسبوع لنشر الدعوة خارج المعسكر.
- ٥- الاستعداد للعام الدراسي القادم بمنهج عملي حافل، حيث كان أغلبية الحضور في المعسكر من الطلاب^(٢).

•• برنامج المعسكر^(٣):

البرنامج	الساعة
استيقاظ	٢ صباحاً
رياضة روحية [تهجد ومناجاة وتلاوة]	٥-٢
رياضة بدنية	٧,٣٠-٥,٣٠
إفطار	٩-٨
تنظيم المعسكر	١٠-٩

(١) مجلة النذير الأسبوعية - العدد ٦ - السنة الأولى - ٦ جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ - ٤ يوليو ١٩٣٨ م.

(٢) مجلة النذير الأسبوعية - العدد ٢ - السنة الأولى ٧ ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ - ٦ يونيو ١٩٣٨ م.

(٣) مجلة النذير الأسبوعية - العدد ٦ - ٦ جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ - ٤ يوليو ١٩٣٨ م.

البرنامج	الساعة
طابور سير	١١ - ١٠
راحة	١١,٣٠ - ١١
صلاة الظهر	١٢,٣٠ - ١٢
غداء	١,٣٠ - ١٢,٣٠
نوم	٤ - ١,٣٠
صلاة وتفتيش	٥ - ٤
قراءة	٦ - ٥
درس كشف	٧ - ٦
صلاة المغرب	٧,٣٠ - ٧
عشاء	٨,٣٠ - ٧,٣٠
استعداد للنوم	٩ - ٨,٣٠

•• حقيقة معسكرات الإخوان المسلمين:

كتب الأستاذ صالح عشاوي مقالاً بمجلة النذير الأسبوعية، يصف فيه حقيقة معسكرات الإخوان المسلمين على لسان زائر في أحد هذه المعسكرات، فكتب يقول: (١) «أعود بذاكرتي إلى الليلة الأولى التي وصلت فيها المعسكر، وكان الوقت ليلاً، وكيف قدم إلى طعام العشاء، فنظرت إليه فإذا هو عدس، هممت بالاحتجاج، لأن الطيب يحتم على أكل خضار مسلوقة، ولكنني أطبقت شفتي لأنني في معسكر أخضع لنظامه لا لأمر الطيب، أكلت وحمدت الله، ثم نهضت إلى مكان النوم، فإذا به خيمة وفراش فيها الغبراء - وفي الأرض صلابة وخشونة - وأنا رجل مريض، تعودت اللين من الفراش، ولكن عبثاً حاولت التكلم، فليس من هذه الضجعة مفر! فنمت كما أكلت بعد أن دعوت الله، ولكن لم يطل نومي، فقد أيقظني أخ كريم، فنهضت أستفسره الأمر، فأخبرني أن عليّ الليلة حراسة، نعم عليّ أن أهجر هذا الفراش عليّ ما فيه من تقشف لأقف وسط المعسكر تظللني السماء، وييدي عصا لأقوم على حراسة زملائي وإخواني في الله، ولم يكن أمامي سوى الطاعة.

اتخذت مكاني وسط المعسكر، والهواء يعصف بي من كل جانب، والريح تأتيني من كل مكان، فيهتز جسدي النحيل، ثم أخذت أغدو وأروح، وأسرح نظري في السماء تارة فإذا بها

(١) مجلة النذير الأسبوعية، العدد ٢٣ - السنة الثانية - ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ - ٢٥ يوليو ١٩٣٩ م - بمناسبة معسكر حلوان بالقاهرة.

مرفوعة بغير عماد مزينة بالنجوم والقمر، وفي الأرض تارة أخرى فإذا بها ممدودة حيناً، عالية شامخة بالتلال حيناً آخر، أخذت أتأمل وأفكر، فيطول بي التفكير، وأبحث وأقدر، فيستوى أمامي التقدير!!

أجل، هنا أحسست بعظمة الله وقدرته، فجرت على لساني قول الحق تبارك وتعالى ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثم تقمت إلى الراحة فوجدت منضدة يعلوها مصباح من ورائها مقعد وعليها كتاب، فتحتة فإذا به دستور السماء، جلست أقطع الوقت بتلاوة القرآن أرتله ترتيلاً، ولقد قرأت القرآن قبل ذلك كثيراً وقليلاً، ولكن ما أحسست بروعة الآيات وعذوبة التلاوة، وما سمعت بصوتي رتيباً كله جلال ووقار كما أحسست في هذه الليلة، حتى أذن الفجر بالانبثاق، فأسرعت أوقظ الإخوان، واستعد الكل، واستوت الصفوف، وتقدم الإمام، فأقمت الصلاة، وركعنا وسجدنا، ثم سبحنا بحمده، واستغفرناه.

مرت فترة قصيرة دوت بعدها صفارة الزعيم، فهب القوم، وتنادوا مصبحين، وانتظموا صفوفاً كالبنين المرصوص، وبدأت الرياضة البدنية، فسأرتهم فيها بقدر ما سمحت عضلاتي التي ألفتها الراحة والسكون، ثم صدر الأمر بالسير... إلى أين؟ إلى العين الجديدة..

بدأنا السير في اعتدال، ثم أسرعنا الخطى في اتزان، ثم انقلب السير عدواً وركضاً، و«الزعيم» يتقدمنا ينفخ في صفارته كأنه ينفخ فينا من روحه وحماسه، حتى إذا بلغنا تلاً مرتفعاً ليس له منفذ، فكدت أصبح بهم: إننا ضللنا الطريق، لولا أني رأيت «الزعيم» ومن ورائه الإخوان يتخذون سبيلهم في التل عجباً، ولم يطل ترددي، فقد عز علي أن أقعد مع الخوالب، فتبعتهم بعون الله، حتى إذا بلغت نهاية التل إذا بي أرى الجمع ينحدر كالسيل إلى بطن الوادي، ففوضت أمري إلى الله، وهبطت معهم، أو على الأصح من ورائهم... حتى إذا بلغنا أسفل الوادي وجدنا قناة، فعبرناها، ثم تلاً تسلقناه، وآخر هبطناه، حتى بلغنا منبع الماء، وقد لقينا من رحلتنا هذه نصيباً.

عدنا إلى المعسكر من نفس الطريق، وقد علمني هذا [الطابور] كما يقولون أن أمام الإخوان عقبات لا بد أن يجتازوها، وحواجز لا بد أن يتخطوها في عزيمة وإرادة، وفي قوة وشجاعة، وقد سألت عند عودتي: هل يذهب الناس إلى العين بهذه المشقة؟ فعلمت أن للعين سبيلاً سهلاً ممهداً، وطريقاً محدودة، أيقنت عندئذ أن للإخوان طريقاً غير طريق الناس،

يسرعون عندما يبطنون، ويصعدون الهضاب المرتفعات، بينما يتلمس الناس السهول والوديان أو يعبرون الترع والقنوات في الوقت الذي يخشى الناس فيه البلبل والرزاذ من الماء!
ولم يكن من هذا بد ماداموا قد صلحوا في وقت فسد فيه الناس، وماداموا قد اتخذوا الله غايتهم في عصر اتخذ مواطنوهم بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وما داموا يريدون أن يأمرؤا بالمعروف، وينهوا عن المنكر في زمن شاعت فيه الفاحشة، وتحكمت الشهوات، وماداموا قد بايعوا الرسول زعيماً وإماماً وقد هزأ الناس بالرسول وستته، واستباحوا لأنفسهم الطعن فيه وفي شريعته، وما داموا قد اتخذوا القرآن دستورهم في وقت اتبع الناس فيه دستوراً لا شرقياً ولا غربياً يحلونه عاماً ويحرمونه أعواماً.

حان وقت الإفطار، فكان الملح والخبز غداءً، ثم وقف الزعيم يرفع العلم، ووقفنا صفوفاً نحيه سلاماً وهتافاً، يملء الفضاء، ويبلغ عنان السماء، ولم يكن هتافنا إلا حمداً وتكبيراً:
[الله أكبر والله الحمد، الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا].

ثم أخذنا نتعلم تلحين نشيد الكتاب، وأشهد أني قرأت هذا النشيد أكثر من مرة وأنا جالس في مكتبي، فما أثار في نفسي إحساساً، ولكن في هذه المرة فتحت أمامي معان لم أكن أدركها، وشعرت بحقائق لم أكن ألمسها، فلا عجب إذا أنشدناه في قوة.. لأننا نقول ما نفعل ونحس بما نقول وما أروع ما ننشد:

نبي الهدى قد جفونا الكرى وعفنا الشهي من المطعم
نهضنا إلى الله نجعلو السرى بروعة قرأه المحكم

مضت أيام، ثم جاءني من تربطني به صلة القرابة في زيارة، فعلم كيف أكل وكيف أنام..
فهاه الأمر، وقد قال لنفسه: ما لهذا المترف المريض ينام نوم الأصحاء، ويأكل أكل الفقراء؟!
فلما اختلى بي مكاناً قصياً بادرني بقوله: هل أنت مجنون؟ قلت: هذا أحد الفرضين، قال:
هل هناك فرض آخر؟ فقلت: نعم، وهو أني «محب»، فابتسم بخبت، ولعله قد عجب كيف يحب الإخوان المسلمون! فقلت له: هون عليك، فقد أحببنا الله ورسوله حباً ملك علينا نفوسنا، فجفونا الكرى، وعفنا الشهي من الطعام، وإذا كان الواحد منكم يحب امرأة لجمالها فيهجر مضجعه، ويحرم على نفسه لذيق الأكل والشراب ويهيم في الطرقات يساهر النجوم ويناجي من أحب بغناء فيه ضعف وذلة وفيه خضوع واستجداء، فأولى بمن أحبوا الله ورسوله

أن تتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفاً وطمعاً، وأن يعفوا عن لذيذ الطعام والشراب، يستغفرون ربهم عشيّة وأسحاراً، ويناجون مولاهم لا بغناء ذليل، وإنما بقرآن كريم يرتلونه ترتيلاً، ولا يقضون أيامهم في خضوع واستجداء، وإنما في تحقيق قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، حتى يعود للإسلام مجده، وحتى يفرضوا على الناس حده، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

الآن وقد انتهى المعسكر، كم خلف في نفوسنا من حسرة، وإنى لأذكر في يومنا الأخير كيف أصبحنا ننظر إلى السماء وأطلنا النظر، وسرحنا الطرق فيما حولنا، فشرد بنا الفكر والبصر، ثم نظر كل أخ إلى أخيه وكأنه يودعه ولسان حاله يقول:

لقد كان المعسكر رائعاً جليلاً عظيماً جميلاً، ما أظن أنى أستطيع أن أحيط بكل ناحية من نواحي عظمته، لم يكن لهواً كما قدرت، ولعباً كما ظننت، ولكنه كان عملاً وإعداداً وتدريباً وجهاداً، تلك هي الحقيقة، على أن أروع ما في المعسكر هو جو الأخوة الذي ساده.

والآن وقد انتهت أيام المعسكر، فذهب كل إلى داره يحمل بين جنبيه أعذب الذكريات، وإنى لأتخيل الواحد منا وقد أهاجته الذكرى، فذكر أيام المعسكر وإخوان المعسكر، ففاضت عيناه، ثم أخذته النشوة فأنشد من أعماق قلبه وكأنه فيهم وكأنهم معه:

تمتع من شميم عرار نحمد فما بعد العشيّة من عرار



رابعاً: نظام الأسر^(١)

أشرنا في الفصل السابق أن نظام الأسر قد نشأ في ظروف خاصة وهي التضيق الذي تعرضت له دعوة الإخوان المسلمين من قبل الحكومات المختلفة وبيعاز من الإنجليز، وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠م - ١٩٤٣م.

وبما أن للإخوان المسلمين أنظمة إدارية تدير أنشطتها من خلال المركز العام والشعب التي في مختلف المناطق - تعقد فيها الاجتماعات وتلقى فيها المحاضرات، فكان لابد أن يتضمن هذا التضيق إغلاق المركز العام والشعب وجميع الدور الإخوانية التي تمارس فيها أنشطتهم المختلفة، إلى جانب الأساليب الأخرى مثل النفي والاعتقال والإغراء بالمال، ووصلت الحسة والندالة إلى محاولات لقتل الإمام حسن البنا.

ظن الأعداء أنهم بهذه الأساليب سيحققون مرادهم بوأد هذه الدعوة ومحو آثارها من الوجود واقتلاعها من جذورها!! ولكن...

هيهات هيهات وقد تكفل الله تعالى بحفظ دينه ودعوته، لقد اصطبغت هذه النفوس بصبغة الإسلام وأثيرت تلك القلوب بنور الله جل وعلا. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

فوفق الله تبارك وتعالى الإمام البنا، باستحداث نظام يحافظ على ربط الإخوان بعيداً عن هذه الأبنية واللافتات.

فاستحدث نظاماً يقوم على أساس الأخوة والحب والإيثار والتعاون، ورفع له أركاناً من التعارف والتفاهم والتكافل... وكان هذا النظام هو: [نظام الأسر].

●● الوضع الإداري في الأسر:

كان الأفراد المشتركون في نظام الأسر يقسمون في كل شعبة إلى عشرات، تسمى كل عشرة منها [أسرة] وتختار الأسرة من بينها نقيباً يكون هو المسئول عنها، وتتكون من كل أربع أسر عشيرة يرأسها نقيب الأسرة الأولى، وتكون القيادات دائماً بالتسلسل بين الأعضاء والنقباء،

(١) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان - ج/٤، وانظر: أحداث صنعت التاريخ - ج/١.

وكان المفروض أن تربط اللجنة المركزية لهذا النظام - ومقرها العام بالقاهرة، ويرأسها الأستاذ المرشد - بين هذه العشائر كلها، فتتألف من كل خمس عشائر رهط، ومن كل خمسة رهوطاً كتيبة، وكان المفروض أن يتنظم الإخوان المخلصون في سلك هذا النظام^(١).

•• واجبات الأفراد في نظام الأسر:

قسمت واجبات الأفراد في نظام الأسر إلى: واجبات شخصية وواجبات اجتماعية وواجبات مالية:

- الواجبات الشخصية:

- ١- إخلاص النية لله، وتجديد التوبة، مع رد المظالم إلى أهلها- ما أمكن.
- ٢- المواظبة على الورد القرآني والأدعية الماثورة- بقدر الإمكان.
- ٣- تجديد البيعة على السمع والطاعة والصبر والثبات في سبيل الفكرة.
- ٤- تقدير حق إخوانه وتقديمه في كل المعاملات، وعدم التأخير عن اجتماعاتهم إلا بعذر قاهر لا يمكن دفعه.
- ٥- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها.
- ٦- أداء زكاة المال متى كان الأخ مالكاً للنصاب، مع استشارة الأسرة في طريقة التصرف فيها.
- ٧- الحج لمن لم يكن أدى الفريضة وكان قادراً على ذلك.
- ٨- صومه رمضان صياماً صحيحاً.
- ٩- التطهر من الربا والمقامرة والكسب الحرام في كل المعاملات.
- ١٠- اجتناب الزنا وما يتصل به، والخمر وما هو في حكمه، ومقاطعة دور اللهو العابثة.
- ١١- أن يعتبر الأخ نفسه جندياً للدعوة، ويشعر بأن لها حقاً في نفسه ووقته وماله، وأن يقوم بأداء اشتراكه لصندوق التعاون مهما تكن ظروف الأخ متى تعهد بذلك، ولم تعفه أسرته مئة.
- ١٢- أن يشعر أهله بهذا التطور الجديد في حياته، وأن يجتهد في أن يطبع بيته بالطابع الإسلامي، وأن ينتهز الفرصة المناسبة، ويعاهد زوجته على العمل للدعوة معه، وأن يلزم أولاده وخدمه آداب الإسلام.

(١) المركز العام - قسم الأسر - الرسالة الأولى - نظام الأسر، نشأته وأهدافه.

- الواجبات الاجتماعية:

هى التى يقوم بها الفرد لتوثيق الإخاء بينه وبين إخوانه فى الأسرة، ويقوم بها جميع أفراد الأسرة، فواجب كل أسرة أن تتخير مكاناً تجتمع فيه ليلة فى الأسبوع غير دار الشعبة، ويحسن أن يكون ذلك فى بيوت أعضائها بالتبادل، ويحسن أن يبيت أعضاؤها معاً ليلة فى الشهر فى مكان واحد على هيئة معسكر كشف، ويتناولون معاً طعام العشاء والإفطار، ويحسن أن يجتمع أعضاء الأسر جميعاً فى صلاة الجمعة فى مسجد واحد، وأن يؤدوا صلاة الفجر والعشاء فى جماعة فى دار الشعبة أو فى مسجد أو فى أى مكان يختارونه.

- الواجبات المالية:

جعل نظام الأسر جميع أعضاء الأسرة متكاملين فيما بينهم فى احتمال أعباء الحياة، فمن نكب منهم أو تعطل عن عمله لسبب خارج عن إرادته أو مات، فبقية إخوانه فى الأسرة ملزمون بسد حاجياته وحاجة أولاده ورعايتهم ومساعدتهم حتى يغنيهم الله من فضله. وحث كل أسرة أن تنشئ صندوقاً تعاونياً خاصاً، يشترك فيه كل أخ بجزء من إيراده، ويُنفق من المتحصل فى كفالة الإخوان المتعاونين، ويؤخذ الخمس من صناديق الأسر جميعاً ويورد لصندوق التعاون العام بالمركز العام، وكان المفروض أن تحوّل هذه الأموال إلى [شركة تأمين اجتماعى إسلامى]^(١).

•• حل مشكلات الأسر:

وضع نظام الأسر التعاونية طريقة لحل المشكلات داخل الأسر، فجعل كل خلاف بين أفراد الأسرة مرده إلى النقيب، وكل خلاف بين النقيب وأحد الأفراد مرده إلى الأسرة، فإذا لم يسوِّ الخلاف رُفِعَ إلى رئيس العشيرة، فإذا عجز فللجنة العامة الرأى فى ذلك وحكمها واجب النفاذ^(٢).

•• أركان الأسرة:

كتب الإمام البنا خطاباً توجيهياً لإخوان الأسر، أراد به أن يضع الأسس التى يقوم عليها هذا النظام، وكيف يستطيع الإخوان ملء أوقات الاجتماعات الأسبوعية، وأن يؤكد لهم مدى أهمية هذا النظام، ويحثهم على الاهتمام بتطبيقه، ويظهر لهم فيه اهتمامه البالغ بهذا النظام. وعُرف هذا الخطاب فيما بعد بـ [رسالة الأسر]^(٣).

(١، ٢، ٣) المصدر السابق.

يقول الإمام البنا في الخطاب: «هذا النظام أيها الإخوان نافع لنا، ومفيد كل الفائدة للدعوة بحول الله وقوته، فهو سيحصر الإخوان الخلقاء، وسيجعل من السهل الاتصال بهم، وتوجيههم إلى المثل العليا للدعوة، وسيقوى رابطتهم ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات، كما حدث فعلاً في بعض الأسر التي أصيب فيها بعض أعضائها، وسيتج بعد قليل رأس مال للإخوان من لاشيء، فاحرصوا أيها الإخوان على أن ينجح هذا النظام في محيطكم، والله يتولاكم».

ويؤكد ذلك المعنى بعد ذلك فيقول: «فإذا أدبتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية، فإن أركان هذا النظام ستتحقق بلا شك، وإذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت، وفي موته أكبر خسارة لهذه الدعوة، وهي اليوم أمل الإسلام والمسلمين»^(١).

وفي تحديد أركان الأسرة يقول الإمام البنا: «وأركان هذا الرباط ثلاثة، فاحفظها واهتم بتحقيقها حتى لا يكون هذا تكليفاً لا روح فيه».

١- التعارف:

هو أول هذه الأركان، فتعارفوا وتحابوا بروح الله، واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم، واجتهدوا أن لا يعكر صفو علاقتكم شيء، وتمثلوا الآيات الكريمة دائماً والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم وتذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد».

ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات الحمديّة بعد الصدر الأول كلاماً على ألسنة المسلمين، وخيالاً في نفوسهم، حتى جتتم معشر الإخوان المتعارفين، تحاولون تطبيقها في مجتمعكم، وتريدون تأليف الأمة المتأخية بروح الله وأخوة الإسلام من جديد، فهنيئاً لكم إن كنتم صادقين، وأرجو أن تكونوا كذلك والله ولي توفيقكم.

٢- التفاهم:

وهو الركن الثاني من أركان هذا النظام. فاستقيموا على منهج الحق، وافعلوا ما أمركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه. وحاسبوا أنفسكم حساباً دقيقاً على الطاعة والمعصية. ثم بعد ذلك

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا - رسالة الأسر.

لينصح كل منكم أخاه . متى رأى فيه عيباً . وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح ، ويشكر له ذلك . وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة ، وليحذر أن يشعره بانتقاصه أو بتفضيل نفسه عليه ، ولكنه يتستر عليه شهراً كاملاً ، ولا يخبر بما لاحظته أحداً إلا رئيس الأسرة وحده إذا عجز عن الإصلاح ، ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة ، فإن مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب ، والنصيحة ركن الدين [الدين النصيحة] والله يعصمكم من بعض ، ويعزكم بطاعته ، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان .

٣- التكافل:

هو الركن الثالث . فتكافلوا ، وليحمل بعضكم عبء بعض ، وذلك صريح الإيمان ولب الأخوة ، فليتعهد بعضكم بعضاً بالسؤال والبر ، وليبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وتصوروا قول رسول الله ﷺ «لأن يمشى أحدكم في حاجة أخيه خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهراً» ، «من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم ير الله له جزاء إلا الجنة» ، والله يؤلف بين قلوبكم بروحه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

أيها الإخوان : في الواجبات التي بين أيديكم - إن وعيتموها - والأعمال التي بين أيديكم - إن اتبعتموها - ما يكفل تحقيق هذه الأركان . فراجعوا دائماً واجبات الأخ التعاوني ، وليحاسب كل منكم نفسه على إنفاذها ، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره ، ثم ليبادر كل منكم إلى تسديد ما عليه لصندوق أسرته ، حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف ، فإذا أدبتم هذه الواجبات الفردية الاجتماعية والمالية ، فإن أركان هذا النظام ستتحقق ولا شك . وإذا قصرتم فيها فسيضاءل حتى يموت ، وفي موته أكبر خسارة لهذه الدعوة ، وهي اليوم أمل الإسلام والمسلمين . ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الأسبوعي كأسرة ، وذلك أمر سهل ميسور وما أكثر الواجبات وأقل الأوقات ، فليكن ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها :

١- يعرض كل أخ مشاكله ، ويشاركه إخوانه في دراسة حلولها ، في جو من صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله ، وفي ذلك توطيد الثقة ، وتوثيق للرابطة [المومن مرآة أخيه] وحتى يتحقق فينا شيء من مأنور قوله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

لينصح كل منكم أخاه . متى رأى فيه عيباً . وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح ، ويشكر له ذلك . وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة ، وليحذر أن يشعره بانتقاصه أو بتفضيل نفسه عليه ، ولكنه يتستر عليه شهراً كاملاً ، ولا يخبر بما لاحظته أحداً إلا رئيس الأسرة وحده إذا عجز عن الإصلاح ، ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة ، فإن مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب ، والنصيحة ركن الدين [الدين النصيحة] والله يعصمكم من بعض ، ويعزكم بطاعته ، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان .

٣- التكافل:

هو الركن الثالث . فتكافلوا ، وليحمل بعضكم عبء بعض ، وذلك صريح الإيمان ولب الأخوة ، فليتعهد بعضكم بعضاً بالسؤال والبر ، وليبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وتصوروا قول رسول الله ﷺ «لأن يمشى أحدكم في حاجة أخيه خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهراً» ، «من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم ير الله له جزاء إلا الجنة» ، والله يؤلف بين قلوبكم بروحه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

أيها الإخوان : في الواجبات التي بين أيديكم - إن وعيتموها - والأعمال التي بين أيديكم - إن اتبعتموها - ما يكفل تحقيق هذه الأركان . فراجعوا دائماً واجبات الأخ التعاوني ، وليحاسب كل منكم نفسه على إنفاذها ، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره ، ثم ليبادر كل منكم إلى تسديد ما عليه لصندوق أسرته ، حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف ، فإذا أدبتم هذه الواجبات الفردية الاجتماعية والمالية ، فإن أركان هذا النظام ستتحقق ولا شك . وإذا قصرتم فيها فسيضاءل حتى يموت ، وفي موته أكبر خسارة لهذه الدعوة ، وهي اليوم أمل الإسلام والمسلمين . ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الأسبوعي كأسرة ، وذلك أمر سهل ميسور وما أكثر الواجبات وأقل الأوقات ، فليكن ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها :

١ - يعرض كل أخ مشاكله ، ويشاركه إخوانه في دراسة حلولها ، في جو من صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله ، وفي ذلك توطيد الثقة ، وتوثيق للرابطة [المومن مرآة أخيه] وحتى يتحقق فينا شيء من مأنور قوله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

ولم يتوقف الأمر على الجانب الثقافي، بل كان هناك يوم في الأسبوع تلتقى فيه الأسرة على صلاة الفجر، ثم يقرأون الورد القرآني، ثم المأثورات، ثم تنطلق الأسرة للجري لمسافة من ٣-٤ كيلو مترات، مع أداء بعض التمرينات الرياضية لتقوية الأبدان، ثم تضمن برنامج الأسرة المشاركة في أفراح وأتراح الناس العامة.

ويقول: «بعد حوالي عام قسمت تلك الأسرة على أسرتين، وأصبحت الأسرة خماسية، كما زاد برنامجها الثقافي وزاد الاهتمام بحفظ سور القرآن الطويلة مثل سورة البقرة وآل عمران، ثم كان هناك برنامج مصاحب لتعلم السباحة وركوب الدراجات البخارية والسيارات ومعرفة أعطالها، وغير ذلك من أنواع النشاط».

أصبحت الأسرة تتكون من خمسة أفراد، هذا العدد هو أدنى عدد لجماعة تريد أن تؤدي جميع أنشطة الدعوة، من دراسة للفكر ونشر لها والأخذ بنظم التربية البدنية والعقلية والروحية، مع متابعة تطورات الأحداث ودراسة كل تطور وإصدار القرار المناسب له، وتلقى التعليمات من القيادة ووضعها موضع التنفيذ والإلمام التام بغيرها من الأسر، ويمكن التعبير عن الأسرة بأنها [هيئة الإخوان المسلمين في صورة مصغرة].

وتكوين الأسرة من هذا العدد القليل يسهل لها الوجود في أي مكان وفي أي وقت دون تقييد بمكان معين وزمن معين.

وهكذا فإن نظام الأسر ليس حلقة مغلقة وليس بالنظام العقيم، بل هو نظام ولاد مشمر، فقد تلد الأسرة نتيجة اتصال أفرادها بمجتمعهم أسراً جديدة بعدد أفرادها، وتلتزم الأسرة الجديدة بنظم الأسرة المقررة؛ من الدراسة والتربية والبدل ونشر الدعوة.

وهكذا أعد الإخوان المسلمون أنفسهم لمواجهة الظروف التي قد تتعرض لها كل دعوة بهذا الرباط المحكم الوثيق^(١).

•• مشاركته في الأنشطة الطلابية^(٢) :

تنوعت أنشطة الطلاب في تلك الفترة، فكانت هناك أنشطة تتم داخل الجامعات والمدارس، وأخرى خارجها يقوم بها قسم الطلاب أو المناطق والشعب.

شارك مصطفى مشهور في هذه الأنشطة داخل الجامعات، التي كانت تتمثل في تأليف الجمعيات داخل الكليات.

(١) أحداث صنعت التاريخ - ج/١.

(٢) جريدة الدستور: ٢٦ ربيع الأول ١٣٦١هـ - ١٢ أبريل ١٩٤٢م.

ففى كلية العلوم: قام طلاب الإخوان المسلمين بالكلية فى عام ١٩٤٢م بتأليف جمعية لإحياء الثقافة الإسلامية، وأسندوا العميد الكلية منصب الرئيس الشرفى، كما تكون لها مجلس إدارة من الطلاب بطريق الانتخاب، يتكون من:

١- على ناصف: رئيساً عاملاً.

٢- عيسى مصطفى إبراهيم: وكيلاً.

٣- محرم وهب محمود: سكرتيراً.

٤- مصطفى مشهور: أميناً للصندوق.

٥- سيد رمضان حسنى: عضواً.

٦- محمد عبد الوهاب عبدالشافى: عضواً.

٧- محمود عزت: عضواً.

٨- محمد ماهر: عضواً.

٩- عبد الفتاح عمار: عضواً.

١٠- كمال مرعى: عضواً.

واختير حضرات الأساتذة:

١- الدكتور/ إبراهيم محمد فرج: مستشاراً لمجلس الإدارة.

٢- الدكتور/ أحمد محمد مجاهد: مستشاراً لمجلس الإدارة.

٣- الدكتور/ جمال الدين نوح: مستشاراً لمجلس الإدارة.

●● مشهور والمحاضن التربوية:

الأمر الذى أولاه رسول الله ﷺ اهتمامه وعنايته فى بداية دعوته هو بناء الفرد المسلم، فبالفرد المسلم تبنى الأسرة المسلمة، وبالأ أسرة المسلمة يبنى المجتمع المسلم الذى يقيم حكومة مسلمة تسلم أمرها لخلافة إسلامية تحكم وتسود الأرض كل الأرض بشرع الله تعالى خالق السماوات والأرض.

فأقام ﷺ لتحقيق هذا البناء محضناً تربوياً فى [دار الأرقم بن أبى الأرقم] وذلك ليبنى الأنفس وينشئ العقول، ويصيغ الأفراد صياغة جديدة مصبوغة بصبغة الإسلام، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، فعابشهم ﷺ وتعهدهم ورباهم على مبادئ الإسلام الصحيح بفهمه

الشامل، وربطهم برباط الأخوة والحب، وأعددهم للجهاد في سبيل الله جل وعلا... واستمر هذا الإعداد وهذا التكوين وهذه التربية في [دار الأرقم] ثلاثة عشر عاماً، وتخرج الرجال الأبرار في مدرسة النبوة، وحملوا الأمانة وبلغوا الرسالة، لا في الجزيرة العربية وحدها وإنما في العالم أجمع، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين -رضى الله عنهم أجمعين-

ودعوة الإخوان المسلمين هي صدى الدعوة الأولى، دعوة محمد ﷺ، وامتداد لها، وكان أمراً بديهياً أن يكون بناء الفرد المسلم في بداية الدعوة هو الشغل الشاغل لمؤسس هذه الدعوة ومنشئها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه... فوقه الله تبارك وتعالى وهدهداه إلى استحداث بعض الأنظمة التي هي بمثابة المحاضن التربوية، تبنى وتنشئ الأنفس والعقول وتصيغ الرجال صياغة جديدة. وتصيغهم بصيغة الإسلام التي هي صيغة الله... وكان الإعداد والتأهيل والتربية أمراً في غاية الأهمية، فحدد لها الإمام مرحلة التكوين والتي تمثلت في [نظام الكتائب، الجواله، المعسكرات، ونظام الأسر]، ذلك لأن المسلم العامل لديه لا يدوحنماً أنه سيواجه تيارات معادية ومناوئة لدينه وعقيدته، وفتناً كثيرة، ومحاولات للاقتضاض على العمل الإسلامى.

ومصطفى مشهور من الأوائل الذين احتضنتهم هذه المحاضن التربوية مع إخوانه، قترى فيها، ورضع ألبان الهداية وتغذى بنور الإسلام، ورياه الإمام الشهيد على مبادئ الإسلام الصحيح وفهمه الشامل، وربط بينه وبين إخوانه برباط الأخوة والحب، وأعدده للجهاد في سبيل الله جل وعلا وتخرج هو وإخوانه في مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا مدرسة الإخوان المسلمين وقد أدرك أن هذا الطريق الذى رسمه الإمام الشهيد طريق طويل وشاق، ولكن ليس هناك طريق غيره، وأنه طريق محفوف بالمكاره والمخاطر والابتلاءات، وأن هذه هي سنة الله تعالى في الدعوات وذلك للتمحيص والصقل... فأخذ يهتف مع إخوانه: «الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

فقطع عهداً على نفسه أن يحمل أمانة الإسلام، ويبدل من ذات نفسه، ومن قوته وعصارة حياته، وأن يعمل جاهداً في تكوين نفسه وصياغة بيته على أساس دينه، ويتحرى وجه الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يكون نوره من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعمله موجه إلى خالقه، لا يبتغى به عند الناس جاهاً، ولا فى الأرض مقاماً، ولا بين الإخوان منصباً، وأن يعيش بين العاملين تقياً خفياً، ويرجو الله أن يطلع من عمله على أكرم مما يطلع عليه الناس، وأن يضحى ويجاهد فى طمأنينة الذاكرين وسكينة المؤمنين.

ثم بايع على العمل بتوجيهات الدعوة والتمسك بتعاليمها والجهاد في سبيلها، فاشترك اشتراكاً منظماً في نواحي نشاطها، واستعد للمشاركة مهما كانت ظروفه ومؤهلاته العلمية، فالتزم بأنظمة الدعوة.

تخرج مصطفى مشهور من هذه المحاضن التربوية، على هذا المستوى، وكان من أبرز الإخوان في الدعوة العامة، وشارك في مختلف الأنشطة، وأثبت إخلاصه وصدقه وقدرته على الصبر والمثابرة.

في هذه المرحلة كان مصطفى مشهور طالباً بكلية العلوم في السنة الأولى في عام ١٩٣٩م. . وكان قد أكمل مرحلة التكوين بتفوق باهر ملحوظ، فاخترته قيادة الإخوان المسلمين لأمر عظيم، كان هو أهل له. . وهذا ما سنراه في الفصل الثالث بإذن الله تبارك وتعالى.



الفصل الثالث: النظام الخاص

لما أكملت الدعوة سنواتها العشر بعد التأسيس، وانتقلت من ميدان الأقوال إلى ميدان الأفعال، وتخطت مرحلة التعريف، ودخلت مرحلة التكوين، تمهيداً لمرحلة التنفيذ، كان مقر مركزها العام قد انتقل إلى الحلمية الجديدة في عام ١٩٣٩م، فانتشرت الدعوة وذاع صيتها، وصلب عودها وقوى ساعدها، فبرزت على الساحة وعلى مسرح الحياة المصرية، وبطبيعة الحال فإن نجاح أولياء الرحمن لا يعجب أولياء الشيطان... ومن هنا أدرك الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه أن الاستعمار الإنجليزي الجاثم على صدر وأنفاس المصريين وبمعاونة أذنايه من الحكام المصريين سيقفون ضد الدعوة بالمرصاد... فهل يترك الدعوة كي تكون فريسة سائغة!! وفي نفس الوقت كان المستعمر الإنجليزي متورطاً في توأته مع اليهود لاحتلال فلسطين وإقامة دولة صهيونية يهودية في أرض المعراج، وكم سعى الإنجليز في تمكين اليهود من تحقيق مأربهم، فأغدقوا عليهم أنواع المساعدات وتسليح العصابات اليهودية.. وكان الإمام البنا قد أعلن تبنيه للقضية الفلسطينية، وأن قضية فلسطين هي قضية الإخوان المسلمين، وعزم على مواجهة عصابات اليهود وتحرير المقدسات الإسلامية وإنفاذ الأقصى من التدنيس اليهودي.

في ذات الوقت كانت الحكومات العربية غير مأمول فيها كي تقوم بالواجب الوطني والديني، وذلك لأنها كانت ضعيفة هائلة متخاذلة، بل متواطئة مع الاستعمار.. ولم يكن لها جيوش سوى الجيش المصري الهزيل الضعيف الذي ليس له خبرة ولا يقوى على مواجهة عصابات اليهود المدربة المسلحة بأحدث الأسلحة الإنجليزية والأمريكية. كل هذه الظروف كانت هي الدافع الحقيقي التي جعلت الإمام البنا يفكر في إنشاء النظام الخاص والذي عُرف (بالجهاز السري) وذلك نسبة لإحاطته بالسرية المطلقة.

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم (عضو الهيئة التأسيسية): «كان ذلك في عام ١٩٤٠م»^(١)

(١) هؤلاء الخمسة اختارهم الإمام البنا كلجنة تأسيسية واستشارية مؤقتة وكان هذا الاستدعاء قبل هذا التاريخ، وذلك لأن التأسيس الفعلي وتكوين النظام الخاص بطريقة عملية كان في نهاية سنة ١٩٣٩م على يد عبدالرحمن السندی ومصطفى مشهور ومحمود الصباغ وأحمد زكي حسن وأحمد حسنين، أما حسين كمال الدين وأحمد علام وثلاثة آخرون، فلم يستمروا معهم.

حين دعا الإمام البنا خمسة منا هم: «صالح عشاوي، حسين كمال الدين، حامد شريت، عبد العزيز أحمد، محمود عبد الحلیم» وعرض علينا الدواعي التي رآها تقتضي الاستعداد وإنشاء نظام خاص تواجه الدعوة به مسئولياتها في المستقبل - وهي الظروف التي ذكرناها آنفاً... واقتنعنا برأيه، فكون منا نحن الخمسة قيادة لهذا النظام، وعهد إلينا بإنشائه وتنظيمه وتدريبه، على أن يكون على أساس من العسكرية الإسلامية القوية النظيفة، وعلى أن يحاط بالسرية المطلقة بحيث لا يعرف عنه أحد شيئاً إلا أعضاؤه، وعلى أن يكون تمويله من جيوب أعضائه.

من المعلوم أن الطلاب هم العنصر الأساسي في جميع التكوينات، فتخيرت هذه المجموعة من توسمت فيهم الجِد وعَمق الفهم والاتزان، وعرضت عليهم الفكرة فاستجابوا لها، وكانوا هم نواة هذا النظام، كما تخيرت أفراداً من شباب الموظفين ومجموعة من العمال الفنيين ذوى الثقافة الإسلامية، واستجاب الجميع، فكانوا هم الرعيل الأول في هذا النظام، وكل الذين استجابوا وانخرطوا في هذا النظام هم خلص الإخوان، فهذا النظام هو الترجمة الفعلية لما درسوه وسمعوه عن الفكرة الإسلامية الشاملة التي ما قامت إلا لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فهذا الجهاز يعتبر بمثابة ذروة سنام العمل الإسلامي في الدعوة.

●● بداية تكوين النظام الخاص^(١)؛

يقول الأستاذ محمود الصباغ أحد القياديين للنظام: «عرفني الأخ مصطفى مشهور على أخى في الله: عبد الرحمن السندی يرحمه الله بصفته المسئول عن إعداد الجيش المسلم في تنظيم الإخوان المسلمين، وقد كان ذلك عام ١٩٣٩، وكان الأسلوب في ذلك الوقت هو أن يربط بالأخ عبد الرحمن السندی كل من يرى نفس الرأي ويشعر نفس الشعور ويحب الارتباط بالجيش المسلم الذي يجري إعداده لأداء فريضة الجهاد. (كان مصطفى مشهور ومحمود الصباغ في السنة الأولى بكلية العلوم).

وكان أول ما يتعاهد عليه من يكتشف الأخ الصالح للارتباط بهذا الجيش مع العضو الجديد، هو تمييز هذا الجيش عن الدعوة العامة بالسرية في كل أقواله وأفعاله، فلا يصح الحديث في شأنه إلا مع زميل من أعضائه الذين يتعرف عليهم بواسطة قيادة النظام.

وكان أول ما يختبر به جدية العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة في الجهاد في سبيل

(١) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين - محمود الصباغ، راجع ما سنكتبه عن النظام الخاص في هذا الكتاب.

الله أن يكلف بشراء مسدس على نفقته الخاصة، ولم يكن ثمن المسدس يتعدى ثلاثة جنيهات، يكلف العضو الجديد بادخارها من مصروفه إذا كان طالباً أو دفعها من كسب يده إذا كان مكتسباً، لا يستثنى أحد من هذه القاعدة لأى عذر من الأعذار.

•• خطوات التكوين:

يقوم جماعة يسمون بالمكونين، بإحضار الشخص (المرشح للانضمام إلى النظام) ومقابلته على أفراد فى مكان محدد، ويكون الضوء مناسباً بحيث يكون للمقابلة الأثر المطلوب فى نفس الشخص، ويتم التكوين فى عدة جلسات:

- الجلسة الأولى:

التعارف: وفيها يكون السؤال عن نواحي الجهاد والأنشطة التى يشترك فيها الفرد، والأعمال التى ساهم فيها، مع النصح بالعدول عن المكيفات إذا كان الشخص من الشخصين، والاستعلام عن خصائص صحته، ويطلب منه كتمان ما دار فى هذه الجلسة.

- الجلسة الثانية:

هذه الجلسة روحية، تشمل: تلاوة القرآن والمأثورات والصلاة، مع تأكيد الثقة التامة بالقيادة وسؤال شخصى عن عمل ما، لاستيضاح مدى اقتناعه بمشروعية العمل، وتوجيهات خاصة بالكتمان والصمت والطاعة وحسن تكييف الأمور وتغطية المواقف والهرب من التورط.

- الجلسة الثالثة:

تتم فيها التوجيهات اللازمة عند تأدية العمل بأن يكون الشخص طبيعياً، ولا يتكلف عندما يحمل شيئاً أو يقوم بعمل، وأن يفكر سلفاً فى كل حركة يقوم بها، مع ضرب الأمثلة لكل حالة بقصة، ثم تكليف الشخص بكتابة وصيته ويسلمها للقائم بالتكوين، قبل الجلسة.

- الجلسة الرابعة:

فى هذه الجلسة يتم الاختيار بتكليف صامت وفى مكان ناء، مع تكليف شخص آخر بمراقبته.

- الجلسة الخامسة:

يكلف الشخص بعمل له أهمية، وترسم الخطة «سرياً» ويعطى الشئ لاستعماله وذلك بعد دراسة تفصيلية^(١).

(١) بالضبط كما تفعل القوات المسلحة فى مناوراتها التدريبية، فإنها تفترض وقوع عمليات عسكرية بين فرقة من قواتها وفرقة من قوات العدو، وتمثل العدو فرقة من جنود مصر، ثم تتم المناورة بين الفرقتين ليعتاد الجند على عمليات القتال وهم فى أرض الوطن حتى يتقنوه على أرض الأعداء.

- الجلسة السادسة:

تقيم العبرة من التكليف ونتائجه والعلاج على ضوء الجلسات السابقة ووجوب تفسير مقبول لكل شيء قبل أن يحدث، وإعداد إجابات لكل الأسئلة المنتظرة.

- الجلسة السابعة:

مراقبته أثناء التنفيذ ويفهم الشخص في آخر لحظة بالعدول عن الفكرة، مع توضيح الأسباب بشكل معقول.

- الجلسة الثامنة والأخيرة:

في حال النجاح في الاختبار السابق يقدم الشخص للبيعة في القاهرة بصحبة باقي أفراد جماعته، ويكون ارتباط أفراد الجماعة لأول مرة وقت البيعة.

يقوم رقم (١) بتوصية الأفراد بحق الطاعة لأمرهم بعد البيعة مباشرة، وفي حالة الرسوب في أحد الاختبارات السابقة يلحق الشخص بأسرة أو ما أشبه ذلك من الأعمال العامة، وفي حالة النجاح يفهم أن ما فات إنما كان اختباراً، وقد اجتازه بنجاح، وأنه الآن في انتظار أوامر حقيقية.

•• شكل البيعة:

كانت البيعة تتم في منزل يحيى الصليبية، حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه، والأخ عبد الرحمن السندي المسئول عن تكوين الجيش الإسلامى داخل الجماعة، وبعد استراحة في حجرة الاستقبال يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة، فيجدونها مغطاة الأنوار، ويجلسون على بساط في مواجهة أخ في الإسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض تخرج من جانبيه يدها ممتدتان على منضدة منخفضة «طلبية» عليها مصحف شريف، ولا يمكن للقادم الجديد مهما أمعن النظر في من يجلس في مواجهته أن يخمين بأي صورة من صور التخمين من عسى أن يكون هذا الأخ^(١).

وتبدأ البيعة بأن يقوم الأخ الجالس في المواجهة، يتلقاها نيابة عن المرشد العام، بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التي تحض على القتال في سبيله وتجعله فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتبين له الظروف التي تضطرننا إلى أن نجعل تكويننا سرياً في هذه المرحلة، مع بيان شرعة هذه الظروف: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»، ثم يذكر بأنه مادام قد قدم

(١) كان هذا الأخ هو الأستاذ صالح عشاوى وكيل الجماعة، رحمه الله رحمة واسعة.

مؤمناً بفرضية الجهاد في سبيل الله عازماً على العمل في صفوف المجاهدين، فإننا نأخذ البيعة على الجهاد في سبيل الله حتى ينتصر الإسلام أو نهلك دونه، مع الالتزام بالكتمان والطاعة، ثم يخرج من جانبه مسدساً، ويطلب من المبايع أن يتحسسه وأن يتحسس المصحف الشريف الذي يبايع عليه، ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السرف سوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير. فإذا قبل العضو بذلك كُلف بأداء القسم على الانضمام عضواً في الجيش الإسلامي والتعهد بالسمع والطاعة.

•• مراحل تكوين العضو بعد البيعة:

- المرحلة الأولى:

مدتها خمسة عشر أسبوعاً، تعطى فيها خمس عشرة حصة على الأقل، وموضوع الدراسة: تعارف تام، أي معرفة تامة بظروف الأفراد وأوقات فراغهم وكيفية الاتصال بهم في الأحوال العادية وفي الحالات الفجائية، وتذكير بحق البيعة، وتدارس التكاليف الثابتة بجدول المحاسبة وإعطاء بعض الدروس في السويدى ومعرفة تقديم تقرير، ودراسة قطعة من المحفوظات [اسم حركى للسلاح] دراسة تفصيلية، ومعرفة التوجيهات الخاصة بجمع الأخبار وتلخيصها وتقديم التقارير عنها، ودراسة رسالتين من المأثورات وجزمين من المصحف الشريف، والقيام برحلة رياضية ثم دراسة باقى قطع المحفوظات [اسم حركى للسلاح] والقيام برحلة تدريب، مع تكليف بدارسة كتابين لكل فرد من المنهج الثقافى الخاص بهذه المرحلة، وذلك لتقديم تقرير كتابى عنهما، ودروس فى القانون، ثم تدارس للتقارير التى قدمت عن الكتب والقيام برحلة رياضية، ودروس فى الإسعاف، ومجموع هذه الدروس خمسة عشر درساً.

وكانت التكاليف الروحية لها رعاية خاصة فى هذه المرحلة وكذلك الرياضية فى كل حصة، مع مراقبة تنفيذ جدول المحاسبة، وأنه فى حالة وجود أفراد غير متعلمين بالجماعة؛ يكلف المتعلمون بتعليمهم بقدر المستطاع، وتدرس الكتب الثقافية لهم، كما أشير إلى وجوب إجادة ركوب الدراجة والتجديف والسباحة وأنواع الرياضة الأخرى بحسب الحالة (صيفاً أو شتاء)، وممارسة السويدى والملاكمة والمصارعة وغيرها أثناء الرحلات الرياضية.

وبعد الانتهاء من دراسة هذه المرحلة، تعقد القيادة امتحاناً فيما ورد فيها لأفراد الجماعات بعد دفع تأمين قدره جنيه مصرى من كل فرد، يرد للناجحين دون الراسبين، مع منح جوائز قيمة للممتازين.

- المرحلة الثانية:

مدة الدراسة خمسة عشر أسبوعاً، يعطى خلالها خمسة عشر درساً على الأقل، موضوعها تحليل البرنامج لهذه المرحلة، ودراسة قانونية ودراسة نظرية في تقدير المسافات ورحلة خلوية لتقدير المسافات عملياً ودراسة جغرافية في رسم الخرائط وقراءتها ودراسة البوصلة دراسة تفصيلية نظرية، ورحلة تطبيقية لرسم خريطة مع تقدير المسافات واستعمال البوصلة، وتكليف الأفراد بتقديم تقارير عن هذه الرحلة الأخيرة قبل بدء الجلسة التالية، ثم مناقشة التقارير في جلسة أخرى والقيام برحلة سفن شراعية ورحلة تدريب ودروس في الإسعاف.

ويلزم إجادة قيادة السفن الشراعية إذا كان الوقت صيفاً، والملاكمة إذا كان الوقت شتاء، وأن تكون التكاليف الروحية موضع رقابة من أمير الجماعة^(١) في جميع الجلسات، وعند بدء تنفيذ هذه المرحلة يجب أن يتطوع أحد أفراد هذه الجماعة في جمعية الإسعاف العمومية مع المواظبة على أعمال الجمعية، ثم يجرى في آخر المرحلة امتحان بنفس شروط المرحلة الأولى.

- المرحلة الثالثة:

مدتها خمسة عشر أسبوعاً ودروسها خمسة عشر درساً، وتشمل تحليل برنامج المرحلة الثالثة وقيادة الموتوسيكل وسيارة، ورحلة رياضية وأخرى للتدريب ودروس في القانون، ودراسة منطقة معينة في القاهرة والأقاليم مع رسم خريطة جغرافية لها وبيان الأبنية المهمة تفصيلياً، ودروس في الإسعاف.

ويجب قيادة الموتوسيكل، مع ملاحظة التكاليف الروحية لجميع الجلسات، ثم يعقد امتحان بنفس شروط الامتحانات السابقة.

- المرحلة الرابعة:

مدتها خمسة عشر أسبوعاً ودروسها خمسة عشر درساً، وتشمل تحليل برنامجها، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بحصر قوات بوليس قسم معين وقيادة سيارة إن أمكن أو رحلة رياضية كركوب الخيول والجمال وحصر قوات المرور وأماكنهم في منطقة معينة ودراسة عملية شاملة لمدينة القاهرة وذلك ببيان أحيائها وعلاقتها ببعض ومساكنها ومواصلاتها وكيفية مهاجمة مكان ما، ورحلة تدريب ودروس في القانون وإقامة معسكر للمبيت تمارس فيه أنواع الرياضة المختلفة ودراسة حربية ثم دراسة في التعقب يقوم بها كل فرد، ودروس في الإسعاف.

(١) أمير الجماعة هو رئيس مجموعة من المجموعات، كان يطلق عليه هذا الاسم اصطلاحاً، وسوف يتكرر هذا الاسم كثيراً فلا يجب أن يفخم ويؤول، فهو ببساطة رئيس المجموعة المكونة من خمسة أشخاص.

ومن الضروري مراقبة التكاليف الروحية في كل حصة لإجادة قيادة ركوب السيارة أو ركوب الخيل والجمال وإجادة قيادة السفن الشراعية إن كان الوقت صيفاً أو الملائمة والتحطيب إن كان الوقت شتاءً. ويُعقد امتحان في آخر المرحلة بنفس الشروط السابقة.

●● اللائحة العامة:

على رأس اللائحة أشير إلى أن:

«رابطتنا أقوى الروابط لأنها في سبيل أنبل غاية وأسمى فكرة، وهي تتطلب اليقظة التامة والعمل المتواصل على أساس من التعاون والحب والأخوة في هدوء لا تشويه استكانة، وفي قوة لا اندفاع معها، مع تقرير المسؤولية على أساس من يقظة الضمير ومحاسبة النفس».

وجاء في اللائحة بعض القواعد ملخصها:

أن لأمير الجماعة حق الطاعة التامة على جميع أفراد جماعته، وأن للجماعات جلسات ورحلات دورية، وأن الأمير يستشير أفراد جماعته دون أن يكون عليه التزام، إذ له أن يستمسك برأيه متى اعتقد أن الصواب في جانبه وله أن ينزل على رأي الفرد، إن رأى الخير فيه وأن للفرد حق نقد أمير الجماعة، ورفع الأمر إلى من يليه في التسلسل بعد أن يتأذنه في ذلك، وليس للأمير أن يحول دون هذا، بل عليه أن يسهل مهمة المقابلة، وأن على الأمير الإبلاغ أولاً بأول عن الطوارئ الاجتماعية التي تمر بأفراد جماعته كمرض أو وفاة، وأن يعمل اللازم لسرعة العلاج، وعلى الفرد ألا يقدم على عمل يؤثر في مجرى حياته كالزواج والطلاق قبل أن يحصل على تصريح به من القيادة عن طريق أمير الجماعة، وأن عقوبة التأخير عن تأدية الواجب والتقصير في التكاليف يوقعها أمير الجماعة، سواء أكانت عقوبات مادية أو أدبية، وله أن يضيف تكاليف أخرى مجهدة كالصيام والسير على الأقدام لمسافات طويلة.

ومن بين القواعد: أن الأمير والأفراد متضامنون في المسؤولية في كل تصرف يحدث في محيطهم الخاص والعام سواء أساء إلى المجموعة وحدها أو إلى العمل والنظام كله، وأنه إن كانت الإساءة ذات بال، يُشكل مجلس للتحقيق من مدير القاهرة وأمير الجماعة والفرد إذا كان المخطئ فرداً، ومن مندوب الإقليم ومبعوث القاهرة في الأقاليم وأمير الجماعة إذا كان المخطئ أمير الجماعة، ومن مدير الإقليم ومبعوث القاهرة في الأقاليم ومندوب الإقليم إذا كان المخطئ مندوب الإقليم.

ويشكل المجلس من رقم (١) ومدير الأقاليم ومبعوث القاهرة إذا كان المخطئ هو هذا الأخير.

وللمجلس حق تقرير الجزاء والعقوبة، مادية أو أدبية، وفي حالة عدم تنفيذها يضاعف الجزاء وينذر المخطئ لرفع أمره إلى القيادة، فإذا كان الأمر له خطره تخطر القيادة للتصرف عن طريق رقم (١) وليس لأحد مهما كانت منزلته من الجماعة الحق في رفع الأمر إلى القيادة إلا عن طريق رقم (١).

• تكاليف البيعة:

ملخص تكاليف البيعة هو:

«تقوى الله في السر والعلانية والصلاة والخشوع والجماعة في المسجد والتهجد والدعاء والاستغفار للفرد وللجماعة، وللقيادة وللفكرة، وتلاوة ورد الاستغفار والقرآن الكريم، والكتمان والصمت والجزاء والطاعة للقيادة ولأمراء الجماعات والتذكير بالموتق على مواصلة الجهاد ليتنصر الإسلام ويسود القرآن أو الاستشهاد».

كما جاء في اللائحة: ضرورة الانسجام في السن والثقافة والمادة في تكوين كل مجموعة.

• قانون التكوين:

جاء في قانون التكوين:

أن للجيش هيئات ثلاث: ١- القيادة. ٢- الأركان. ٣- الجنود.

١- القيادة:

تتكون القيادة من مجلس مكون من عشرة أشخاص مهمتها دراسة طرق التنفيذ لما يصل من خطط صادرة من الأركان- وتنفيذ كل ما هو ممكن عمله- وإصدار بيانات يشترك فيها جميع الأعضاء، وبيان الصعوبات القائمة في طريق تنفيذ ما يراه المجلس غير قابل للتنفيذ، كما أن من وظيفة هذا المجلس الإشراف التام على أحوال الجند والاطمئنان على دوام قوتهم المعنوية، وذلك بدراسة التقارير التي تصل عن كل فرد أو كل مجموعة، والمطالبة بإيضاحات إذا كان في التقارير إهمال بعض النواحي، كما أن مهمة المجلس دراسة برنامج روحى قوى يشمل قصص الأبطال وطريق المغامرات على أن تصل هذه القصص والروحانيات إلى الجنود شفوياً، ويقوم المجلس بالاتصال بالقيادة العليا وتبليغ الأركان بكل ما يحتاج إليه من إرشاداتها، ويجب أن يكون كل فرد من الأفراد العشرة المكونين لمجلس القيادة على استعداد لتولى القيادة في أى لحظة.

٢- الأركان: اللجنة الفنية:

هى مجلس مكون من خمسة أشخاص ويمكن أن يزيد عددها كلما احتاج الأمر،

ومهامته : وضع خطط لتنظيم القوات في كل من أوقات السلم والحرب ، ودراسة المعدات عملياً وتحديد ما يصلح فيها لاستعمال الجيش وإصدار بيانات بمميزات كل معدة ، وطرق استعمالها وحفظها ، مع تحديد الأهداف ورسم خطة تنفيذها من زمان ومكان وقوات ، ودراسة كل ما يصل إليها (إلى الأركان) عن طريق مجلس القيادة من صعوبات ومشاكل عملية ، ومطالب مستجدة وإصدار بيانات بنتيجة الدراسة ترسل إلى مجلس القيادة .

٣- الجنود:

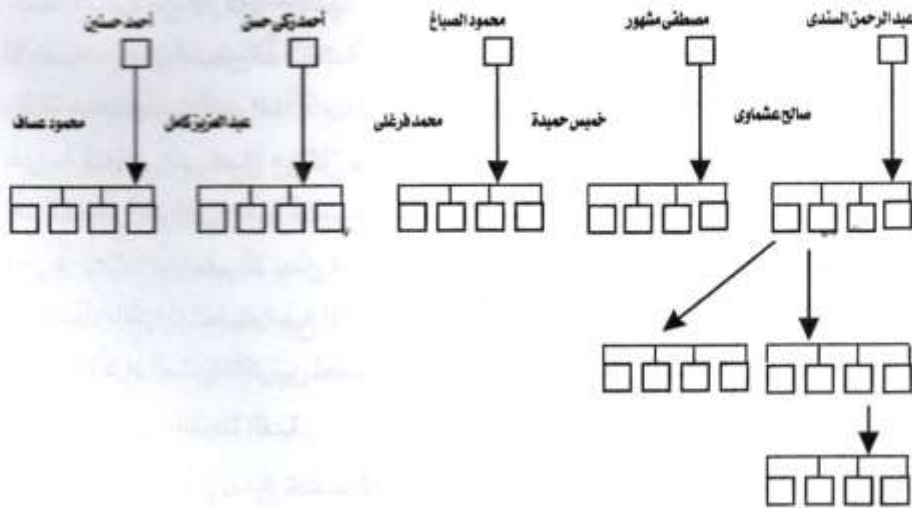
أما مهمة الجنود فهي : الاستعداد الروحي والعقلي والطاعة والتنفيذ .

•• تنظيم الجنود في أوقات السلم:

الجنود ثلاثة أنواع :

- النوع الأول: يمكن أن يكون بعيداً عن النشاط الظاهري ، وهذا النوع يجب أن ينقطع انقطاعاً تاماً ويمكن تكليفه بدراسات أكثر اتساعاً وأعمال أكثر خطورة .
- النوع الثاني: لا يبتعد عن النشاط الظاهري ويكون معداً ، ولا يستخدم أبداً إلا وقت الحرب العلنية ، ويلاحظ أن يجري تدريبه في حرص تام .
- النوع الثالث: يمكن أن يمون الناحية العامة من الناحية الخاصة ، ولكن بعد تمام التكوين حتى يتيسر الانقطاع التام عن الناحية الخاصة .

رسم يوضح تشكيل القيادة وكيفية الاتصالات بين أفراد النظام:



يتضح من هذا الشكل أن قيادة النظام تتشكل من خمسة أفراد يمثلون الصف الأول في قيادة النظام، ويرأس كل منهم مجموعة من أربعة أشخاص فيكون مجموع الأفراد الجدد عشرين فرداً يمثلون الصف الثاني في قوة النظام، ثم يرأس كل فرد من هؤلاء الأربعة مجموعة أخرى تتكون من أربعة أشخاص فيكون مجموع الأفراد ثمانين فرداً يمثلون الصف الثالث في قوة النظام. . وهكذا إلى ما لا نهاية .

وبهذا التسلسل يكون الأفراد الذين يمكن أن يتصل بهم أى عضو من أعضاء النظام فيما يتصل بأعمال الجيش الإسلامى لا يزيد على ثمانية أفراد، فى وقت السلم، وفى هذا ضمان لسرية أعمال هذا الجيش فى حالة وقوع أى فرد من أفرادها فى قبضة الأعداء وتعريضه للتعذيب للإدلاء بأسماء من يعرفهم من الأعضاء .

أما الخمسة الآخرون (صالح عشاوى، خميس حميدة، محمد فرغلى، عبدالعزيز كامل، محمود عساف) فلا يتصل أحد منهم اتصالاً مباشراً بأى من أعضاء النظام، فهم من رجال الدعوة العامة، المؤمنون على سر وجود تنظيم للجماعة، وهؤلاء الخمسة لا يتحملون مسئولية أى أعمال تنفيذية فى النظام لانشغالهم التام فى أعمال الدعوة العامة، ولكن يمكنهم أن يشتركوا فى اجتماعات قيادة التنظيم كلما وجهت إليهم الدعوة حين اقتضاء الضرورة، مثل دراسة تعديل قواعد النظام ويتطلب الأمر مناقشتها على نظام أوسع من نطاق الخمسة المسئولين .

وبناءً على ذلك فإن ترتيب قيادة النظام هو :

١- عبد الرحمن السندى .

٢- مصطفى مشهور .

٣- محمود الصباغ .

٤- أحمد زكى حسن .

٥- أحمد محمد حسنين .

أما الخمسة المؤمنون على سر وجود النظام ولا يتحملون مسئولية أى عمل تنفيذى ويمكن أن نسميهم : الخمسة المستشارون للنظام فهم :

١- صالح عشاوى .

٢- د . محمد خميس حميدة .

٣- الشيخ محمد فرغلي .

٤- د . عبد العزيز كامل .

٥- د . محمود عساف .

●● الهدف من إنشاء النظام الخاص:

كان هدف الإمام البنا من إنشاء النظام الخاص هو مقاومة المحتل الغاصب لمصر والمدنس لأراضيها ما يزيد على السبعين عاماً متصلة . . .

لذلك فكر الإمام البنا ويتوفيق من الله تعالى في تكوين جيش مسلم وإن كان هذا التكوين لم يكتمل ليصل إلى حجم الجيش المعروف، ولكنه كان قادراً على حرب العصابات وهي الحرب التي كانت مناسبة في ذلك الوقت، فإنه لم تكن تستطيع الحكومات ولا غير الحكومات أن تواجه المستعمر بجيش منظم، وحرب العصابات هي التي دوخت الإنجليز وكانت سبباً في إجلائهم من مصر .

وضع الإمام البنا هذا الهدف عام ١٩٣٩م قبل أن تنشأ قضية فلسطين بتسع سنين، ولما ظهرت قضية فلسطين وتبناها الإمام البنا وجعلها قضية الإسلام والمسلمين، ضم هذه القضية كهدف من أهداف النظام الخاص في دعوة الإخوان المسلمين .

نخلص من هذا الكلام إلى أن الهدف من إنشاء النظام الخاص هو: «مقاومة الاحتلال الغاصب لمصر والمدنس لأراضيها ويتمثل في الإنجليز، ومقاومة الاحتلال الغاصب لفلسطين والمدنس للأقصى المقدس الطاهر وأرض فلسطين والمتمثل في اليهود الصهاينة» .

لذلك نجد أن جميع العمليات التي قام بها النظام الخاص محصورة في مقاومة الاحتلال الغاصب لمصر وفلسطين (الإنجليز واليهود) .

●● أول عملية للنظام الخاص^(١):

في أوائل أعوام الحرب العالمية الثانية، كانت القاهرة تعج بجحافل الإنجليز، وكان المواطن لا يكاد يمشى في شارع من شوارع القاهرة لا سيما الشوارع الرئيسية خصوصاً بالليل إلا وتحتك به جماعات من هؤلاء الجنود في حالة سكر وعريضة يهاجمون النساء والرجال، ويعبثون بكل ما تصل إليه أيديهم، في الوقت الذي تلازمهم فيه أسلحتهم كأنهم في ميدان قتال .

(١) أحداث صنعت التاريخ، ج/١ - ص ٢٩٣، ٢٩٤ .

وجار الأهالي بالشكوى من عبث هؤلاء الجنود، من كثرة ما جنوه من قتل أبرياء وهتك أعراض وتخطيم محلات، ولكن الحكومات التي تحكم البلاد لم تكن تجرؤ حتى على توصيل هذه الشكاوى إلى مسامع السادة الإنجليز.

ورأى إخوان (النظام الخاص) أن يعملوا عملاً يبيث الخوف في قلوب هؤلاء الجنود العابثين، لعل هذا الخوف يردعهم عن عبثهم حين يشعرون أن الطريق أمامهم ليس سهلاً كما اعتادوا وأن هناك من يقف لهم بالمرصاد وأن حياتهم ستكون ثمناً لهذا العبث.

وقرر (النظام الخاص) لكي يكون للعمل أبلغ الأثر أن يختاروا توقيتاً معيناً ومكاناً ومناسبة معينة، فاختاروا ليلة عيد الميلاد، واختاروا النادي البريطاني، حيث يكون مكتظاً بالجنود وضباطهم، وألقوا عليهم قنبلة لم تقتل أحداً ولكنها بثت الرعب في نفوسهم وحقت الغرض منها تماماً، فبدأ الإنجليز يفهمون أنهم يعيشون وسط قوم يستطيعون أن يحفظوا كرامة أنفسهم وأن يلقنوا من يعتدى عليهم دروساً قاسية، وقد قبض في هذا الحادث على بعض الإخوان منهم: [نيس حمدي وحسين عبد السميع].

•• عمليات النظام الخاص ضد الاحتلال الإنجليزي^(١)،

سجل التاريخ عمليات النظام الخاص ضد الاحتلال الإنجليزي وكلها عمليات فدائية ناجحة وهي:

- ١- تفجير القطارات الإنجليزية التي تحمل الدبابات والبتترول وصناديق الذخيرة والسلاح والجنود والضباط الإنجليز.
- ٢- نسف خطوط السكك الحديد التي ينتفع بها الإنجليز.
- ٣- مهاجمة الدوريات الإنجليزية.
- ٤- قذف السيارات الإنجليزية وناقلات الجنود بالقنابل والزجاجات الحارقة.
- ٥- ضرب السيارات المصفحة الإنجليزية أثناء تغيير نوبات الحراسة.

(١) لمراجعة هذه العمليات بالتفصيل انظر: ١- المقاومة السرية في قناة السويس - كامل الشريف.

٢- صفحات من التاريخ - صلاح شادي.

٣- الإخوان المسلمون بين إرهاب فاروق وعبد الناصر - علي صديق.

٤- حقيقة التنظيم الخاص - محمود الصباغ.

- ٦- نسف القوافل الإنجليزية التي تحمل الجنود.
- ٧- نسف مخازن الذخيرة التابعة للإنجليز.
- ٨- إحراق مخازن البترول التي يسيطر عليها الإنجليز.
- ٩- تدمير أنابيب المياه وقطع أسلاك التليفون واصطياد الأطقم الإنجليزية التي تصل لإصلاح الأعطال.
- ١٠- مهاجمة المطارات الحيوية لدى الإنجليز.
- ١١- محاولة اغتيال كبار القادة الإنجليز.
- ١٢- نسف الجسور الحيوية التي ينشئها الإنجليز للاستخدام الخاص.
- ١٣- الهجوم على المستعمرات التي يسكنها الإنجليز والدخول في معارك ضدهم.
- ١٤- الدخول في معارك ضد الإنجليز مثل المعركة الشهيرة (معركة التل الكبير) التي استشهد فيها: (عمر شاهين وأحمد المنيسى).

●● عمليات النظام الخاص هي سر الجلاء:

ليست المفاوضات المصرية الإنجليزية هي التي أجبرت الاحتلال الإنجليزي على قبول مبدأ الجلاء عن مصر وتنفيذه دون إبطاء، فالإنجليز يقدرّون مصلحتهم الفعلية وهم عمليون لا يحركهم إلا الأمر الواقع بمقتضى هذه المصلحة.

فالسر الحقيقي في قبول الإنجليز مبدأ الجلاء هو هذه الصفحة البيضاء الناصعة البيضاء من جهاد الإخوان المسلمين في القناة (عمليات النظام الخاص)، هذه العمليات المروعة التي قام بها أبطال الإخوان وقادة النظام الخاص.

أوفد النظام الخاص أحمد زكى حسن أحد أعضاء مجلس قيادة النظام في أواخر عام ١٩٥١م في جولة في منطقة القناة لدراسة الموقف، فكتب تقريراً صارخاً بأن الإنجليز في القناة، وما ينشئون من تحصينات وتوسيعات يجزم بأن هؤلاء الناس يخططون للبقاء في مصر إلى الأبد، ولكن صدق توكل المجاهدين على الله على الرغم من أن معظمهم كانوا ممن اشتركوا في معارك حرب فلسطين، وشاهدوا مآسى السياسة العربية فيها، فلم يزداهم ذلك إلا استبسلاً في المعارك، كما أنهم ما إن خرجوا من معركة فلسطين حتى دخلوا سجون عبد الهادي لترسم

كرايبيج زبانيته على أجسامهم نياشين الصبر والثبات على العقيدة، فخرجوا من سجونهم في أواخر ١٩٥١م ليلهبوا ظهور المستعمرين بهذا السيل من العمليات الفدائية، حتى آمنوا أن لا بقاء لهم بين شعب أخرج أمثال هؤلاء الرجال، فاستسلموا للمفاوضين، وقبلوا الجلاء.

استمرت عمليات النظام الخاص الفدائية ضد الاحتلال منذ نشأته ومع بدايات الحرب العالمية الثانية في أواخر ١٩٣٩م. وحتى أجبر المستعمر على الجلاء من مصر.

● النظام الخاص وقضية فلسطين:

إن الدعم المادي والمعنوي الذي كان يقدمه الإمام الشهيد حسن البنا لقضية فلسطين وجعلها قضية الإسلام والمسلمين كان مستمراً منذ الثلاثينيات، ولكن التحريك العملي نحو الجهاد قد بدأ في عام ١٩٤٦م وذلك لما نزل سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وأعوانه لاجئين سياسيين في القاهرة.

فقد تم الاتفاق على أن يسهم الإخوان المسلمون في تسليح الفلسطينيين وبمباركة الملك وحكومته الذي كان بينه وبين سماحة المفتي تعاون وثقة في العمل السياسي ضد الإنجليز.

فقد كان تركيز دور الجماعة في خدمة قضية فلسطين مبنياً على إسهامها في تسليح الفلسطينيين خاصة أن تقرير الصاغ محمود لبيب عضو الهيئة التأسيسية للجماعة ورئيس منظمة شباب فلسطين، كان يقطع بأن تحرير فلسطين لا يحتاج إلى رجال من الخارج، وإنما يحتاج إلى تسليح الفلسطينيين أنفسهم.

فكان على النظام الخاص أن يقوم بهذا الدور المهم في خدمة القضية الفلسطينية، فركز على الاستفادة من الكميات الهائلة من الأسلحة والمتفجرات المتخلفة عن الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية، حيث كانت القوى المتحاربة قد نقلت إلى أرض المعركة حول العلمين كل إمكاناتها من هذه الأسلحة والمتفجرات المتخلفة عن الحرب بانتصار الحلفاء في هذه المعركة وهزيمة الألمان، وبكسب الحرب أصبحت كل هذه الكميات عديمة الفائدة بالنسبة للدول المتحاربة ولا تستحق تكاليف نقلها إلى مخازنها، وكانت هذه الكميات من الضخامة بحيث تكفي الجيوش العربية مجتمعة للتدريب والقتال عشر سنوات.

وبالفعل سهلت الحكومة للإخوان المسلمين وصرحت لها بجمع السلاح والمفرقات وتسليح الهيئة العربية العليا، وكذلك تدريب وتسليح وسفر المتطوعين المصريين عامة والإخوان المسلمين خاصة إلى فلسطين.

•• دخول الإخوان المسلمين فلسطين:

فى فبراير ١٩٤٨م دعا الإمام الشهيد حسن البنا النظام الخاص إلى اجتماع فى منزل عبد الرحمن السندى رئيس النظام الخاص، وشملت الدعوة جميع قادة النظام الخاص فى القاهرة والأقاليم. وقال فى هذا الاجتماع: إنه يشعر أنه أدى واجبه فى تبليغ رسالة الدعوة إلى الناس كافة، فأصبح الإخوان المسلمون فى مصر وفى جميع أنحاء العالم على وعى كامل بالدعوة الإسلامية فى صورتها السلفية الصحيحة، بحيث إنه لم يعد يجد لديه زيادة يمكن أن تضاف فى هذا المجال، وإنه أصبح مطمئناً إلى أن الإخوان فى جميع أنحاء العالم أصبحوا قادرين على التقدم بدعوتهم قدماً حتى النصر إن شاء الله.

ولقد بقى عليه أن يقاتل فى فلسطين حتى النصر أو الشهادة، فالقتال فرض عين والإخوان أحق الناس بالقيام به.

ولهذا فإنه عزم على دخول فلسطين مقاتلاً مع كل من يتطوع معه من الإخوان المسلمين حتى النصر أو الشهادة.

وافق الإمام البنا فى هذا الاجتماع على اقتراح النظام الخاص بدخول الإخوان بقيادة أحد الإخوان، بأعداد تتفق مع إمكانات الإخوان الحالية، ثم يتوسع الإخوان تدريجياً فى الدخول إلى فلسطين وفق ما تفرضه الظروف والإمكانات.

فكان الدخول فى شكل أفواج:

١- الفوج الأول: فبراير ١٩٤٨م:

كان على رأس هذا الفوج [محمود الصباغ] عضو مجلس قيادة النظام، وعدد المتطوعين ناهز المائة متطوع من متطوعى منطقة الدقهلية، وانضم إليهم من القاهرة الشيخ سيد سابق، والأخ على الخولى، والأخ عبد الرحمن عبد الخالق من العباسية. وزود هذا الفوج بالأسلحة والذخيرة والمفرقات والخيام.

وقد كائت خطة الإمام البنا أن يدعو الإخوان للجهاد فور تحرك الدفعة الأولى من المتطوعين، وأن يدعو الأمة للإسهام فى تكاليف الجهاد دفاعاً عن قضيتها المقدسة فى فلسطين متخذاً من تحرك الدفعة الأولى من المجاهدين سنداً مادياً لما يدعوا إليه الناس.

٢- الفوج الثانى: فبراير ١٩٤٨م:

سافر الفوج الثانى بقيادة الشيخ محمد فرغلى، وتطوع له بعض الإخوان من منطقة

الإسماعيلية والقناة، وكان من بين أفراد الشهيد يوسف طلعت، وانضم إلى الفوج الأول ودخلت هذه القوة إلى فلسطين وعسكرت في معسكر البريج، وكان معظمهم من إخوان النظام الخاص. ثم انضم إليهم الأخ كامل الشريف من إخوان العريش، وكان من جنود المعسكر الإخوة: حسن عبد الغنى، وحسن دوح، ونجيب جويقل، ومحمد سليم، وقد ساعد الإخوان على التوسع في إرسال دفعات أخرى من المتطوعين إلى هذا المعسكر، سماح الحكومة للضباط الوطنيين الراغبين في المساهمة في القتال مع أشقائهم الفلسطينيين، وكان من بينهم الشهيد أحمد عبد العزيز، والضابط كمال الدين حسين، وحسن فهمى عبد المجيد، وعبد المنعم عبد الرؤوف وغيرهم كثير، وصرحت الحكومة لهؤلاء الضباط بأخذ ما يشاءون من أسلحة ومدافع وذخيرة من مخازن الجيش المصرى، فانحلت بذلك أزمة الإمكانات المادية التى يتطلبها قتال المتطوعين فى فلسطين.

٣- الفوج الثالث: مارس ١٩٤٨م:

بعد أن تم تجهيزه بالأسلحة والعتاد سافر الفوج الثالث، وكان يتكون من ثلاث فصائل وزعها الإمام الشهيد بنفسه، وعين على كل منها قائد يتولى قيادتها، وقد كان الأخ على صديق قائداً للفصيلة الأولى، والأخ مالك نار قائداً للفصيلة الثانية، والأخ يحيى عبد الحلیم قائداً للفصيلة الثالثة، وتولى قيادة الكتيبة الأخ محمود عبده. وقد انضم هذا الفوج إلى معسكر قطنا فى سوريا الذى يشرف عليه من القادة العسكريين ضابط بالجيش السورى ومن الإخوان المسلمين، وهو الأخ مصطفى السباعى رئيس الإخوان بسوريا ووكيل القائد العسكرى والمستول الروحى للمعسكر.

٤- الفوج الرابع:

وتتابع سفر الأفواج الأخرى بعده من معسكر هايكستب: وبناءً على توصية اللجنة العليا لإنقاذ فلسطين افتتحت جامعة الدول العربية معسكراً لتدريب المتطوعين فى هايكستب على غرار قطنا بسوريا، وقد عجز هذا المعسكر بألاف المتطوعين من الإخوان المسلمين الذين سافروا فى أفواج متتالية إلى أرض المعركة. وكانت قيادة المعسكر للبكباشى حسين أحمد مصطفى من خيرة ضباط الجيش المصرى، يعاونه عدد من صفوة الضباط والمعلمين، وكانت الكتيبة الأولى لهذا المعسكر مكونة من

متطوعي الإخوان الذين اجتازوا الكشف الطبى الدقيق، وقد قُسمت إلى أربع سرايا تتكون كل سرية من فصيلتين، وكل فصيلة من ٢٤ متطوعاً، وكانت كل كتيبة يتم تدريبها ترحل إلى الميدان لتلحق بإخوانها فى ساحة الشرف والنضال.

•• عمليات النظام الخاص ضد اليهود^(١)؛

١- معركة دير البلح الأولى «كفار ديروم»، وهى أول معركة للمصريين ضد اليهود خاضها الإخوان المسلمون، ولقد أبدى الإخوان فى هذه المعركة من صنوف البطولة والفداء ما شهدت به الأعداء. ولكن قلة عددهم وعدتهم لم تمكنهم من احتلال المستعمرة، فانسحبوا بعد أن استشهد منهم اثنا عشر أختاً، ولم يصب واحد منهم من ظهره، بل كانت إصابتهم جميعاً من الأمام.

رأى القائد البريطانى -الذى استغاث به اليهود لإيقاف الهجوم الشرس من الإخوان، جاء وهو يرفع الأعلام البيض- الشهداء، وأطلعه قائد الإخوان على تفاصيل المعركة وكيف أن العرب لم يخسروا من أسلحتهم شيئاً، بل إنهم استعادوا أسلحة الشهداء والجرحى، فدهش وذهب إلى حيث يرقد الشهداء وأحنى رأسه قائلاً: [إننى فى دهشة كيف استطعتم أن تفعلوا كل هذا، لقد كنت فى فرقة الكوماندوز البريطانية ولم أشهد جرأة كالتي رأيتها الآن.. ولو كان معى ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين، ثم تقدم القائد البريطانى إلى الجرحى المصريين وقبل كلا منهم فى جبينه، وقال: من أى بلد هؤلاء الأبطال؟ فقالوا: من مصر].

٢- معركة دير البلح الثانية، والتي حدث فيها بعض الأخطاء فتم الانسحاب.

٣- معركة الطيران بغزة، كان نصر الله للمؤمنين عظيماً.

٤- ضرب مستعمرة بير إسحاق. ضرب الإخوان هذه المستعمرة وعادوا سالمين.

٥- ضرب مصفحات يهودية فى معسكر الطيران.

٦- احتلال العوجة وعسلوج وبئر سبع.

٧- احتلال التبة ٨٦.

٨- استرداد الإخوان للتبة بعد أن استردها اليهود وحاول الجيش المصرى أن يستردها مرتين ولكن باء بالفشل، ثم استردها الإخوان المسلمون بأعجوبة.

(١) لمعرفة تفاصيل هذه العمليات انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين- كامل الشريف. أحداث صنعت التاريخ- محمود عبد الحليم. حقيقة التنظيم الخاص- محمود الصباغ. يوميات يحيى عبد الحليم. سلسلة «أكبر بطولات إسلامية معاصرة» دار الأنصار. فى قافلة الإخوان المسلمين- عباس السيسى.

- ٩- عمليات فى منطقة بيت لحم وصور باهر - وهى :
- احتلال مستعمرة رامات راحيل .
 - احتلال معسكر ديرمار إلياس .
 - تدمير مستعمرة تل بيوت .
 - دحر اليهود فوق جبل المكبر واحتلال رأس الأحرش .
 - احتلال تبة اليمين وإطلاق اسم تبة الإخوان المسلمين عليها .
 - ١٠- تموين الإخوان المسلمين لقوات الجيش المصرى المحاصر فى الفالوجا .
 - ١١- عمليات الحصار ونسف الطرق والدفاع عن العريش :
 - تدمير شبكات المياه بين مستعمرتى «بيرى» و«أتوكوما» .
 - حرق جثث الذين أقدموا على محاولة تسميم الآبار فى خزاعة .
 - معركة أبو معيلق .
 - حصد اليهود على مشارف كفار ديروم .
 - حرق سيارات اليهود المتجهة من رامات راحيل إلى مستعمرة الدجاج .
 - قطع الطرق المؤدية إلى «بيرون إسحاق» أثناء هجوم الجيش المصرى .
 - انتقام الإخوان من اليهود لهجومهم على أحد مضارب البدو وإشعال النيران به بعد أن قتلوا كثيراً من رجاله وجاء الأحياء منهم يشكون من هذه المذبحة .
 - اشتراك الإخوان فى الهجوم على مستعمرة دير سنيد بعد إحكام محاصرتهم لها .
 - ١٢- ضرب المؤسسات اليهودية والإنجليزية فى مصر .

●● سبب نجاح عمليات النظام الخاص ضد الإنجليز واليهود:

لم يكن الأمر يقتصر بالنسبة لأعضاء النظام الخاص على الدراسة النظرية من فك وتركيب وتنظيف لقطع الأسلحة المختلفة وأنواع القنابل المختلفة فى الاجتماعات، ولكن كان لابد من التدريب على ضرب النار واستعمال القنابل .

وقد اتخذ النظام الخاص من الجبال والصحارى المحيطة بالقاهرة ونظائرها فى الأقاليم ميادين للتدريب .

ولم يقتصر تفكير النظام الخاص على التدريب على الأسلحة والقنابل التقليدية، بل فكر في صناعة ما يستطيع تصنيعه محلياً من المتفجرات التي لا تتوفر في الأسواق مثل قطن البارود فقد تم إنتاجه بنجاح، وكذلك ساعات التوقيت التي تحدد وقت انفجار العبوة الزمنية، فقد تم تطوير الساعات العادية إلى ساعات زمنية لتفجير العبوات.

وقد كان لهاتين الصناعتين أثر كبير في نجاح العمليات ضد الصهاينة والإنجليز، لأن معظم عمليات النسف لا بد وأن تكون زمنية بحيث يمكن أن يجد الفدائي وقتاً كافياً للبعد عن موقع الانفجار قبل وقوعه.

ولقد زود النظام الخاص الشهيد عبد القادر الحسيني المشلول عن تسليح الفلسطينيين بأعداد كبيرة من الساعات الزمنية من تصنيع ورشة النظام الخاص لاستخدامها في معارك ضد اليهود، وذلك لعدم توفر هذا الصنف في الأسواق.

•• مصطفى مشهور والنظام الخاص (١)

كما تقدم فإن النظام الخاص قد نشأ محاطاً بالسرية المطلقة، وبالنسبة لانضمام الأفراد فإنه لم يصرح الأخ عن كيفية انضمامه، فمن الصعوبة أن يعرف أحد كيفية انضمام أعضاء هذا النظام. ونحن من خلال الحوارات التي أجريناها مع بعض الشخصيات القيادية لهذا النظام، استطعنا أن نستنتج كيفية انضمام مصطفى مشهور للنظام الخاص وتحديد دوره فيه كما يلي:

١- اختيار مشهور في النظام الخاص:

من خلال المحاضرات التربوية التي تربي فيها مصطفى مشهور، فقد عُرف لدى القيادة الإخوانية بالجدية والرزانة والحزم والعزم وقلة الكلام وكثرة العمل وأنه رجل دعوة من الطراز الممتاز، إلى جانب أنه كثير الذكر والعبادة وقوى الصلة بكتاب الله... إلى آخر هذه الصفات التي تحتم الاختيار في مثل هذا النظام. أما بالنسبة للجهة التي اختارته:

فيقول أحد القياديين: [عهدناه بيني وبنشئ الرجال، لذلك فقد اختارته القيادة].

ويقول آخر: [مصطفى مشهور يمثل التيار المعتدل في النظام ولهذا اختير لمجلس قيادة النظام].

ويقول أحدهم: [قبل انضمامي للنظام الخاص، كان الإمام البنا قد رتب واختار مسبقاً من سيكون في قيادة النظام - وذكر ثلاثة أسماء - هم: صالح عشاوي وعبد الرحمن السندي ومصطفى مشهور].

(١) حوارات مع بعض أعضاء مجلس قيادة النظام الخاص منهم: [أحمد حسنين وحلمى عبد المجيد ومحمود الصباغ] وغيرهم من قيادات في أماكن أخرى مختلفة منهم: [الحاج فرج النجار وعبد الرحمن البنان وأحمد عادل كمال].

وقال آخر: [مصطفى مشهور رمز من رموز الدعوة العامة، فقهها فقهًا عميقًا في نفسه، وكان جديرًا بالاختيار من قبل القيادة].

وقال أحدهم: [أدخلني النظام الخاص ولم يبذل مجهودًا في تعريفى بعبد الرحمن السندى].

وقال آخر: [شخصية مصطفى مشهور شبيهة بشخصية الإمام البنا وكان مقربًا له وأظن أن الإمام البنا هو الذى اختاره للنظام الخاص].

نخلص من هذه الأقوال الموثقة من أصحابها - وكلهم من قيادات النظام الخاص - أن الإمام البنا هو الذى اختاره عضواً فى مجلس قيادة النظام الخاص.

٢- دور مصطفى مشهور فى النظام الخاص:

اختير مصطفى مشهور فى قيادة النظام الخاص نظراً لشخصيته القيادية البارزة فى الجانب التربوى والربانى والروحى، ولصفاته التى أنعم الله بها عليه، التى كشف عنها النقاب وتمأها الإمام الشهيد حسن البنا من خلال المحاضن التربوية التى اجتازها مشهور بتفوق مذهل. . فهو يعتبر صمام الأمان لهذه الجوانب داخل النظام الخاص. .

فتدرب مثل إخوانه جميع التدريبات العسكرية، وحمل السلاح كما حمله إخوانه، وشارك بمجموعته فى عمليات ضد الإنجليز مع إخوانه فى النظام.

إلا أنه لم يكلف بأعمال خاصة، ذلك لأنه رمز من رموز الدعوة العامة، ولكن تمثلت أدواره فى بناء الرجال وإعدادهم. .

لكنه شارك فى جميع الأعمال القيادية، مثل: -وضع قانون التكوين ولوائح النظام، الاجتماعات القيادية، التخطيط، إصدار القرارات، المتابعة والإشراف. . إلى غير ذلك من الأعمال القيادية. .

وبرز دوره الأساسى فى بناء الرجال وإعدادهم، ببث الروح الجهادية وترسيخ مفاهيم ومبادئ الدعوة فى قلوبهم، وتذكيرهم وحضهم على مداومة الذكر والعبادة من قيام وصيام وصلاة ومداومة ذكر الله بالقرآن الكريم والتفكير والتدبر فى الكون وفى آيات القرآن.

إن الأساس المتين الذى يبنى عليه الفرد المسلم عامة وعضو النظام خاصة هو ترسيخ الإيمان وتقويته، ليكون الفرد على يقين أن أعماله هذه فى سبيل وإعلاء كلمته. . وهو المجاهد فى سبيل الله ومهمته هى الجهاد فى سبيل الله الذى هو ذروة سنام الإسلام.

وفق الله تبارك وتعالى مصطفى مشهور في أدائه لهذا الدور العظيم، منذ أن اختير في هذا النظام وحتى نهاية أعمال النظام الخاص ودخول الإخوان محنة ١٩٥٤ م.

٣- مشهور والجهاد في فلسطين:

كان لمصطفى مشهور دور بارز في قضية فلسطين بصفته من قادة النظام، وبصفته رجل دعوة من الدرجة الأولى فقد شارك في جميع الأعمال القيادية للنظام الخاص من تخطيط وتنفيذ وتوجيه وإعداد المجاهدين روحياً ومعنوياً وبث روح الجهاد والاستشهاد فيهم وترغيبهم في رضى الله تعالى وما أعدده للشهداء والمجاهدين عنده يوم القيامة .

ولكن ما نريد توضيحه أن مصطفى مشهور لم يذهب إلى أرض الجهاد في فلسطين ولكنه كان يعد الرجال ويرغبهم ويدفع بهم إلى ساحة الجهاد.

يقول أحد قادة النظام الخاص عن عدم ذهاب قادة النظام الخاص إلى أرض الجهاد: [لم تشارك معظم قيادات النظام وغالبية أفرادها في حرب فلسطين، لكنهم كانوا العمود الرئيسي في التدريب والتسليح والتجهيز. وكان الإمام الشهيد حسن البنا يقول لكل من يستعجل منهم السفر: انتظروا فإنى أقدم المتحمسين من الإخوان لإشعال المعركة وسيأتى وقت لا أجد من يسافر فأرسلكم لتكونوا وقود المعركة المستمر وفتحها الصامد]^(١).

٤- مشهور أمين النظام الخاص:

في أوائل الأربعينيات سافر الحاج فرج النجار إلى القاهرة ليتفقد أحوال أحد طلاب ميت خاقان - شيين الكوم - التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد وكان هذا الطالب من أعضاء النظام الخاص واسمه محمود على الزناتى، ويسكن مع مصطفى مشهور بالحى المحمدى بالدمرداش، وكان مصطفى مشهور وقتذاك طالباً بكلية العلوم، وهو العضو بمجلس قيادة النظام الخاص.

يقول الحاج فرج النجار: [.] واتفقت مع الأخ مصطفى مشهور ومع الأخ محمود على الزناتى - وهو الذى جاء من أجله الحاج فرج من ميت خاقان - على المبيت معهما بعد درس الثلاثاء، وأسعدنى الحظ أن أكون فى ضيافته بإحدى الشقق التى كان يستعملها النظام الخاص فى التدريب النظرى على القنابل والأسلحة الخفيفة وعلى جمع المعلومات بإشراف المخبرات الإخوانية وتسجيلها.

(١) حوارات مع المهندس حلمى عبد المجيد- رئيس النظام الخاص بعد عبد الرحمن السندى وقبل الشهيد يوسف طلعت.

كان الأخ محمود على الزناتى فى حجرة والحاج مصطفى مشهور فى حجرة، وبقية الحجرات خاصة بالتنظيم الخاص .

وكانت المفاجأة فى الصباح قبل أن يخرجوا إلى الكلية، أن قادنى الحاج مصطفى مشهور إلى حجرة فى الشقة عبارة عن مجموعة من الدوسيهات وسحب واحداً منها خاص بمجالس إدارات الشركات المصرية وقال: اقرأ فى هذا حتى نعود من الكلية، وتركنى وحدى بالشقة وقرأت فى الدوسيهات ما سجل كثير منه فيما بعد فى قضية «السيارة الجيب» بمحضر تحقيق [محمد عبد السلام] وكيل نيابة الاستئناف يوم الأربعاء ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨م بسراى القبة ابتداءً من صفحة [١٩٣٩]. وهذه صورة لبعض مجالس الإدارة:

مصانع نسيج القاهرة

الرئيس: محمد خطاب بك

الأعضاء:

- ١- أميل عدس .
- ٢- بيل ديرمان .
- ٣- رولان لينين .
- ٤- مينو بوسو .
- ٥- يوسف زكار .

صورة أخرى لمصنع آخر

الرئيس: هنرى دى بتشو

نائب الرئيس: عبد الرحمن البيلى .

الأعضاء:

- ١- لوسيان دى .
- ٢- بتشتو .
- ٣- جوزيف دانورى .
- ٤- ليتون جاش .
- ٥- موريس موصيرى .
- ٦- أميل عدس .

وهكذا عشرات الشركات التى كان يملكها اليهود وانتشار مصانع الخمور والخمارات، وكان كشفها مفخرة للتحرك الإسلامى المتحرر المتقدم .

وكذلك وجدت فى الدوسيهات مجموعة من الأسر اليهودية كانت تحيط بالملك فاروق إضافة إلى السور بالعصم، وهى أسرة [قطاوى، وموصيرى] وغيرهما كثير . .

وقد علمت فيما بعد أن كل محتويات الشقة التي كان يقيم فيها الحاج مصطفى مشهور والأخ محمود على الزناتي هي التي ضبطت في قضية السيارة الجيب .

على أن القبض على هذه الدوسيهات وثبوت صحتها جعلني أعتز وأهيم فخراً وتقديراً للمنهج الذي أشرف عليه الحاج مصطفى مشهور في تكوين الجيل المسلم الجديد [النظام الخاص] والإعداد الصحيح لتأسيسه على نهج دعوة [الحق والقوة والحرية] .

ومن أخطر ما قرأت في هذه الدوسيهات : أن راقصة يهودية تسمى نفسها [كاميليا] واسمها الحقيقي [ليليان كوهين] كانت عشيقه الملك فاروق وكان لها شأن في حكم مصر، خصوصاً في الأمر العسكري الذي أصدره النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان المسلمين، وفي غياب الملك فاروق كان عشيقها مدير الأمن العام الذي أعد للنقراشي مذكرة حل جماعة الإخوان المسلمين وهو [عبد الرحمن عمار] .

وكذلك لعبت دوراً كبيراً في المؤامرة الكبرى وهي : الاعتداء على إمام الجيل الجديد واغتياله [الإمام الشهيد حسن البنا] رضى الله عنه وأرضاه .

أرسل الملك فاروق لهذه الراقصة اليهودية طائرة أمريكية [ستابر أوف مريلان] من طراز كونستلاش، لتسافر إليه في فرنسا، ولكن ما كادت الطائرة تغادر القاهرة حتى انفجرت في الصحراء الغربية واحترقت جثتها في عام ١٩٥٠ م .

وتستطيع أن تكشف النظام الحاكم في مصر، من خلال الجنازة التي أقامتها الدولة وملاّت بها شارع قصر النيل لهذه الراقصة، في الوقت الذي منعت جنازة الإمام الشهيد حسن البنا من اتخاذ أي مراسيم لها واكتفت بأن يحمل نعشه النساء^(١) .

وفي قضية السيارة الجيب ضبطت مع مصطفى مشهور حافظة بها أوراق كثيرة خاصة بالنظام الخاص منها : قانون التكوين ولوائح النظام، وأوراق أخرى بها بعض الدراسات النظرية، وبعض المعلومات، وبها دراسات عن مشروعات عمليات ضد اليهود رداً على عدوانهم على أهل فلسطين، وكذا مراقبات لأنشطتهم في مصر وبعض عملائهم .

•• شبّهات حول النظام الخاص:

النظام الخاص هو : [التنظيم العسكري السري للإخوان المسلمين، ومهمته هي المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإنجليزي] . .

(١) حوارات مع الحاج فرج النجار .

أسس الإمام البنا هذا النظام على [الكتاب والسنة] كتاب الله تبارك وتعالى القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وعلى السنة الشريفة المطهرة. . . وقد أدرك أن الله تعالى فرض الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حماية للدعوة وضمناً للمسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبثها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وأن الإسلام كما فرض القتال أشاد بالسلام. وأخذ بإجماع الفقهاء على أن: [الجهاد فرض كفاية على الأمة لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها]^(١).

الذين لا يعرفون حقيقة النظام الخاص، وظروف نشأته، وماهية مهمته ومبررات وجوده، يتوجسون خيفة منه ومن الخوض في تفاصيله والحديث عنه!!

والذين يعادون دعوة الإسلام في كل زمان ويتربصون بها ويحصون أخطاءها وزلاتها مسترشدين بما ترده الأبواق متتهزين الأجواء التي عتمها حارقو البخور وضاربو الطبول من المنافقين والعملاء، يصطادون في الماء الذي عكره هؤلاء وأولئك - وهكذا يواجه دعاة الإسلام أعداءهم في كل زمان ومكان - فيلصقون التهم الباطلة واصفين الدعاة بكل صفات النقص والترخص، والنظام الخاص بالنسبة لهؤلاء: [التنظيم العسكري يعنى عندهم الجيش المناهض للشرعية التي تحكم البلاد!! . . . وسرية النظام الخاص تعنى إخفاء الأعمال الإجرامية عن الشعب!! والمقاومة المسلحة للاستعمار تعنى الإرهاب ولا ينظرون لكلمة الاستعمار!! . . . وهكذا . . .

ومن هنا ثارت شبهاتهم حول:

- ١- التنظيم العسكري.
- ٢- السرية المطلقة.
- ٣- المقاومة المسلحة (الإرهاب).
- ٤- الاغتيالات.

ونحن سنتناول هذه الشبهات بشيء من الإيجاز:

١- التنظيم العسكري:

أراد منشى النظام الخاص الإمام حسن البنا أن يكون هذا النظام تنظيمًا عسكريًا يواجه به الاستعمار الإنجليزي وذلك استجابة لأمر الله تعالى، بعبادة الجهاد في سبيل الله التي فرضها

(١) راجع رسالة الجهاد - للإمام الشهيد حسن البنا.

الله تعالى على المسلمين المؤمنين لدفع هجوم الكفار عليهم ، وكان الحال في مصر استعمار جائم على صدور المسلمين نيقاً وسبعين سنة . . وأنه ما عادت تجدى الخطب والمواظ ، وأن الأمر جد لا هزل فيه ، وكان الإمام البنا قد رتب لدعوته ثلاث مراحل [التعريف ، والتكوين ، والتنفيذ] ، وكان لابد من تكوين هذا النظام العسكرى لمواجهة الاستعمار .

٢- السرية المطلقة:

تطلب تكوين النظام الخاص إحاطته بالسرية المطلقة ، وذلك لأن الاستعمار الإنجليزي وضع قانوناً يمنع حيازة السلاح ويعاقب كل من يحمل أو يحوز سلاحاً بعقوبة الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة . . طبعاً لحماية نفسه من المقاومة الوطنية المسلحة التى تسعى لتحرير البلاد .

والنظام الخاص يقوم على مقاومة الاستعمار بالسلاح ، فلا بد من حيازة السلاح ولهذا وجب أن يكون سرياً . . وما الجريمة فى أن يحاط النظام بالسرية؟! ولا يصح أن يقوم مثل هذا النظام إلا ويحاط بالسرية . .

والسرية لا تعنى الرعب والتدليس على الناس وإخفاء المبادئ التى قام عليها النظام الخاص .

فلو لم يكن هذا النظام سرياً لانكشف أمره لدى الاستعمار الإنجليزي وقضى عليه ، وهم إنما يستعمرون البلاد والعباد بقوة السلاح!!
فالأمر الطبيعى أن يكون سرياً . . .

٣- استعمال السلاح ، المقاومة المسلحة ، الإرهاب:

المقاومة المسلحة ضد الاستعمار مشروعة فى دين الله تبارك وتعالى ، وفى جميع القوانين الوضعية ، وهى إرهاب مشروع بنص القرآن الكريم ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

ولم يفكر الإمام البنا ولم يدر بخلده أن يواجه أحداً غير الاستعمار الإنجليزي ، ثم اليهود أحفاد القردة والخنازير ، ولم ينشئ هذا النظام ليواجه به الشعب المسلم ولا الأنظمة الحاكمة حتى ولو لم تحكم بشريعة الإسلام . . . كما ولا يجوز شرعاً إرهاب المسلمين ، والأمنين غير المحاربين من الكفار . .

٤ - الاغتيالات:

فى تلك الحقبة من الزمن ، أى الفترة التى نشأ فيها النظام الخاص ١٩٣٩م وحتى دخل الإخوان محنة ١٩٥٤م ، كانت البلاد خاضعة للاستعمار الإنجليزى يحكمها الملك فؤاد ثم فاروق ، ووزارات الأحزاب لا حول لها ولا قوة ، همها وهدفها كرسى الحكم . . فىلى جانب النظام الخاص كانت هناك تنظيمات سرية أخرى ، حتى إن الملك فاروق كان له تنظيم سرى «اليد الحديدية» كان يقوم بأعمال انتقامية إرهابية وتصفيات جسدية لخصومه . . . وكذلك الأحزاب كانت تقوم بأعمال الاغتيالات .

فمثلاً:

- أحمد ماهر باشا قتله محمود العيسوى من شباب الحزب الوطنى .
- أمين عثمان باشا ، قتله شباب من حزب مصر الفتاة وكان من بينهم أنور السادات «رئيس جمهورية مصر السابق» .
- اللواء حسين سرى عامر باشا ، أحد رؤساء الوزارة فى عهد فاروق ، حاول اغتياله جمال عبد الناصر «رئيس جمهورية مصر الأسبق» .
- وكان دافع الاغتيال إما دافعاً وطنياً أو سياسياً .
- أما الإخوان المسلمون فكانوا يقومون بأعمال فدائية ضد الإنجليز أو بعد ذلك ضد اليهود ، ويحرمون الاغتيالات السياسية .
- ولكن فى سجل الشبهات يرد د الأعداء إلى يومنا هذا تورط الإخوان فى قتل النقراشى والحازندار ومحاولة قتل حامد جودة .
- والرد على الشبهات موجود فى أرشيف المحاكم التى نظرت هذه القضايا وثابت فى كتب التاريخ التى سجلت هذه الأحداث بصدق وإنصاف ودقة . .
- فىالنسبة لمقتل النقراشى ، فقد استنكره الإمام ورفضه وغضب غضباً شديداً ، ولم يكن يعلمه ولكن كان تصرفاً فردياً من شاب متحمس من شباب الإخوان ، غضب لما قام النقراشى بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها واعتقال رجالها ، وقد أصدر الإمام البنا بياناً يستنكر فيه هذه الجريمة الشنعاء وهو البيان المشهور [ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين] .
- أما قتل الحازندار ، فالذى أمر بذلك هو عبد الرحمن السندى ودون إذن ودون علم الإمام البنا ، فعل ذلك كرد فعل لأحكام القاضى الحازندار القاسية على شباب الإخوان

والتساهلة على سفاح الإسكندرية، وعلى السيدة التي عذبت خادمتها حتى الموت... فاستنكر الإمام البنا هذا الحادث علناً ورفضه رفضاً باتاً وكان له تصرف مع عبد الرحمن السندی، وكذلك النظام الخاص.

- أما محاولة اغتيال حامد جودة، فكان معظم الإخوان داخل السجون ومعظم أعضاء النظام الخاص، فحاول بعض الشباب التردد بإبراهيم عبد الهادي -الذي قتل الإمام البنا- وقتله ولكنه ظهر أن الذي في الموكب هو حامد جودة.

وقد ظل الأعداء يلصقون تهمة الإرهاب بالإخوان إلى يومنا هذا، وقد نسوا أو تناسوا ما قام به جمال عبد الناصر وأنور السادات والتنظيم السري الخاص بالملك، وظلوا يرددون هذه الشبهات خصوصاً قتل النقراشي والحازندار، والإخوان من هاتين الجريمتين براء، والجماعة ليست مسئولة عنهما.

•• هل من عودة للنظام الخاص؟

كما ذكرنا آنفاً أن الظروف التي نشأ فيها النظام الخاص كانت ظروف استعمار، فأنشئ النظام بقصد مقاومة هذا الاستعمار، ولما ظهرت قضية فلسطين قام النظام بدوره كاملاً في أرض فلسطين، ثم عاد بسبب تأمر الحكام، وإعلان الهدنة وحل جماعة الإخوان واعتقال الأبطال في نفس المعسكر الذي كانوا قد انطلقوا منه بعد التدريب لمقاتلة اليهود [الهايكتب] ثم رحلوا إلى مصر، وبعد أن أفرجت عنهم الحكومة استمروا في الأعمال الفدائية ضد الإنجليز في القناة حتى أجبروهم على المفاوضات ثم الجلاء.

أما في هذا الزمان فالأمر لا يحتاج إلى نظام خاص، فليس للاستعمار وجود فعلي داخل البلاد، والذين يحكمون البلاد من بنى جلدتنا ومسلمون وإن كانوا لا يحكمون بشرع الله، ولكن الأمر يختلف كثيراً ولا يجوز مواجهتهم بالسلاح ومقاتلتهم وإنما بالحوار والجدالة بالنسبة هي أحسن، ومقارعة الحججة بالحجة، والمشاركة السياسية، وإذا احتاج الأمر إلى مقاومة فهي مقاومة سلمية مثل «المظاهرات والاحتجاجات والاستنكار» وتوعية الناس والتفاعل مع الشعب بالإصلاح عن طريق الوسائل المشروعة ووفقاً للدستور... وكذلك إنشاء حزب سياسي ذي مرجعية إسلامية بموجب الدستور...

ومن ناحية أخرى إذا سمحت الأنظمة بعودة النظام الخاص لمقاومة اليهود في فلسطين، فلا مانع لدى الإخوان المسلمين في إنشاء النظام الخاص من جديد للجهاد في سبيل الله وإعلاء

كلمته بمقاتلته اليهود في فلسطين وتحرير المقدسات من التدنيس اليهودي ، والإخوان مستعدون لهذا الأمر استعداداً تاماً . .

إن جماعة الإخوان المسلمين إنما هي جماعة فكرية دعوية سلمية تدعو إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة وتجادل بالتي هي أحسن ، وإذا تطلب الأمر إلى جهاد وقتال فيكون ضد الكفار ولصد الاعتداء على البلاد والتحرير من الاستعمار .

ولا يمكن بحال أن يواجه الإخوان المسلمون الشعب أو الحكام المسلمين بالسلاح بأى حال من الأحوال ، ونحن اليوم نراهم يزج بهم في السجون ويحكم عليهم بأحكام عسكرية ويزج بهم في المعتقلات دون أحكام ويحرمون من ممارسة حقوقهم السياسية بموجب الدستور ، ونرى النظام يقول إنها الجماعة المحظورة !!! ورغم كل هذا الظلم إلا أن الجماعة لا يمكن أن تتخذ العنف أسلوباً في التعامل مع النظام ، وليس في قاموسها كلمة «الانتقام» ولكن : «أذهبوا فأنتم الطلقاء» . . وهي ماضية في طريقها لا يشيها أسلوب القمعي ، وتسعى للإصلاح ، وستظل كذلك رغم موقف النظام تجاهها . .

●● في الختام نقول:

المسلمون يؤمنون بما ورد في السيرة ويوقنون بما ظهر على أيدي صحابة رسول الله ، من بسالة وبطولة منقطعة النظير وحب للجهاد والاستشهاد ورغبة حقة في الموت في سبيل الله أدت إلى الانتصار على الدول العظمى وقتذاك : الفرس والروم ، في فترة وجيزة من الزمان رغم قلة العدد والعتاد . .

والكفار يعلمون أن رجال محمد بن عبد الله ﷺ انتصروا على الفرس والروم بتمسكهم بالمبادئ والأخلاق وحسن التربية على الإيمان والإخوة والطاعة . .

ونحن المسلمون نعتقد أن نصر الله لا يقتصر على جيل دون جيل إذا توفرت شروط الانتصار . .

وصفحات الإخوان المسلمين أثبتت أنهم ساروا على نفس الطريق الذي سار عليه أصحاب رسول الله ، ورأى كل من عاصرهم من حكام في بلاد العرب أو بلاد المسلمين ، أو غير الحكام ، استباليهم ويطولاتهم منقطعة النظير ورغبتهم وإقبالهم على الموت في سبيل الله ، تماماً كما كان الأصحاب رضوا الله عنهم أجمعين . فأعادوا سيرة الأمجاد وضربوا لذلك أروع الأمثلة في جهتي القتال سواء في فلسطين أو القناة .

فبدلاً من أن يُكرموا ويستفاد بهم في جيوش العرب والمسلمين، قلب لهم الحكام ظهر المجن، ونفذوا تعليمات أسيادهم الذين اجتمعوا في فايد [سفراء: بريطانيا وفرنسا وأمريكا] وقرروا حل جماعة الإخوان المسلمين، واغتيال مرشدتهم، وبالفعل صدر قرار الحل، وصادروا ممتلكات الإخوان، واعتقل جميع الإخوان، وتُرك الإمام ليغتال... وتم الاغتيال في ١٢ فبراير ١٩٤٩ م.

وقدر الله تبارك وتعالى - وهم في بداية تنفيذ قرار الحل الذي بدءوه في منطقة القناة - أن كشفت الحكومة بعض الأوراق والمعدات المتعلقة بالجهاد وهي تنقل من مكان إلى مكان تحسباً لهذا القرار، فدبرت لها قضية [السيارة الجيب] وهي التي حملت عليها هذه الأشياء... وكان هذا تدبيراً سماوياً لحماية الدعوة وليس للبشر أدنى فضل..

وبدأ مسلسل من المحن عاشته جماعة الإخوان وهي: [محنة السيارة الجيب - محنة عام ١٩٥٤ - محنة عام ١٩٦٥] وقد عاشها مصطفى مشهور وعائشها؛ قائداً في صفوف المجاهدين... وهذا ما سنراه بإذن الله في الباب الثالث.



الباب الثالث:
المحن في حياة مشهور
[١٩٤٨م - ١٩٧١م]

الفصل الأول: قضية السيارة الجيب ١٩٤٨م.

الفصل الثاني: محنة ١٩٥٤م.

الفصل الثالث: محنة ١٩٦٥م.

توطئة:

رسائل الإمام الشهيد حسن البنا المستقاة من الكتاب والسنة تشرح الدعوة، وتبين الفكرة، وترسم المنهج، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها، وبينت حقيقتها وأهدافها...

وفى إحدى هذه الرسائل [بين الأمس واليوم] بين الإمام الشهيد العقبات التي تعترض الطريق، وعوامل النجاح.

ويعرف عن هذه الرسالة أنها وضعت في فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية، وكانت المرحلة التي تمر بها الدعوة بداية مرحلة التكوين وهي المرحلة التي تلي مرحلة التعريف، ولم تكن الدعوة قد عرفت بعد ولم تتعرض لمحن، وهذه الفترة تقريباً أواخر سنة ١٩٣٨م وبداية سنة ١٩٣٩م.

إلا أن الإمام البنا أراد أن يصارح الإخوان بعقبات الطريق وعوامل النجاح فقال لهم:

●● العقبات في طريقنا:

«أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات. أما الآن فلازلم مجهولين ولازلم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد.

سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم.

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن

يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهرها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتمدين بأموالهم ونفوذهم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وستدخلون بذلك ولاشك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٤] فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟

•• عوامل النجاح:

ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعاً أننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات، وننادي بفكرة الإسلام وهي أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهدها ويهيئ سبيلها، وأنا بحمد الله براء من المطامع الشخصية، بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وأنا نترقب تأييد الله ونصرته، ومن نصره الله فلا غالب له ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. ففوة دعوتنا وحاجة الناس إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا، هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

نعم أيها الإمام، فإن سنة الله في الدعوات أن يتعرض المؤمنون والداعون إلى الله تبارك وتعالى إلى الابتلاء والامتحان، وقد يشتد بهم البلاء إلى درجة الزلزلة، فالإيمان ليس قولاً

باللسان أو شعارات تطلق أو مظاهر أو هتافات . لكن لا بد من الامتحان والابتلاء، ولا يأتي نصر الله إلا بعد اجتياز هذا الامتحان بنجاح .

ونحن في هذا الباب نسير على طريق الدعوة مع إمامنا المجاهد مصطفى مشهور وإخوانه الذين ساروا على هذه الطريق العزيزة الغالية، طريق الجنة والرضوان، بل طريق الله - فاللهم ثبت أقدامنا على طريقك - وهى طريق محفوفة بالمكاره وليست مفروشة بالورود، بها عقبات تقعد وعلى جوانبها منعطفات تبعد، وبها منح فى صورة محن .

يقول الأستاذ مصطفى مشهور :

«إن المحن على طريق الدعوة سنة الله فى الدعوات وليست نتيجة أخطاء . بل إن عدم تعرض أصحاب الدعوات للمحن يشكك فى صحة الطريق الذى يسلكونه، وليس من الممكن لأصحاب الدعوات تفادى المحن أو تخفيف حدتها أو تقليل مدتها مع دوام استمسكهم بها وإصرارهم على العمل بها ولها، كما أن المحنة ليست فترة مية فى عمر الدعوة ولكنها فترة حية لازمة وأساسية» .

إن صور الأضرار التى تصاحب المحن هى فى حقيقتها خير ونفع للدعوة والجماعة والأفراد، وإن كان ظاهرها ضراً، وعلى هذا فالمحن على طريق الدعوة، قوى دافعة وليست ضربات قاضية وكلها خير وليست ضراً، فما يريد الله لدعوته خير .

لهذا نقول إنها منح فى صورة محن .

وعلى الدعاة إلى الله أن يطمثنوا إلى أن دعوتهم تسير سيرها الطبيعى فى الطريق التى سار عليها رسول الله ، وصحابته من قبل دون تغيير أو تبديل فى حفظ من الله ورعايته يسدها ويرد الكيد عنها . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] .
﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] . ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] .

نستعرض من هذه المحن :

١- قضية السيارة الجيب سنة ١٩٤٨ م .

٢- محنة عام ١٩٥٤ م .

٣- محنة عام ١٩٦٥ م .

ونخصص لكل منها فصلاً مستقلاً .

الفصل الأول:

قضية السيارة الجيب^(١)

كشفت هذه القضية عن حقيقة الإخوان المسلمين وعن جهادهم وتضحياتهم، مما كان الإخوان حريصين على إخفائه إشاراً لما عند الله؛ فعرفت مصر والعروبة وبلاد الإسلام في العالم أجمع أن في التاريخ الحديث رجال أعادوا مجد الإسلام في عصره الأول من الدعوة الإسلامية، وكذلك عرفوا أن الإخوان المسلمين هم معقد الرجال ومناطق الأمل، والعنصر الفعال لإجلاء الإنجليز من مصر، واليهود عن البلاد المقدسة التي مكنهم الاستعمار من اغتصابها. . فالإخوان المسلمون لا يبالون بالموت ولا يعرفون النكوص على الأعقاب. . فالجهاد في سبيل الله هو سبيلهم، والموت في سبيل الله أسمى أمانهم.

وهذه القضية بكل فخر واعتزاز صفحة مشرقة وسراج من السرج المضيئة والصفحات المشرقة في تاريخ مصطفى مشهور وإخوانه، بل في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين بأسرها. . . أكدت ذلك وأثبتته المحكمة التي نظرت هذه القضية وأصدرت الحكم فيها، فأعلنت شرف المقصد ونبل الغاية. . .

ليس ذلك فحسب وإنما أصبح القاضى الذى نظر هذه القضية وأصدر الحكم فيها، واحداً من الإخوان المسلمين. . . وكذلك فعل معظم الشهود في القضية. . .

●● انتشار الدعوة وغدر الأعداء بها:

لفتت الدعوة نظر الأعداء منذ أن انتقلت إلى القاهرة سنة ١٩٣٢م. . . ولما انتشرت وذاع صيتها بسبب انفتاحها على المجتمع وانتقالها من ميدان الأقوال إلى ميدان الأفعال، ولم يعد في مصر مكان يخلو من شعبة، كما أصبحت الجامعة والأزهر قلعتين من قلاع الدعوة فتجذرت في أرض مصر وبعثت بلقاحها إلى البلاد العربية فانتشرت هناك واعتبرتها البلاد الإسلامية قيادة لها، وبذلك صار حديثها أعلى صوت شعبي، وصار لها أقوى نفوذ على مستوى الأمة. . . فأنشأت نظاماً خاصاً يقاوم الاستعمار ويقض مضجعه، ولما ظهرت قضية فلسطين في أوائل ١٩٣٧م تبنت هذه القضية وجعلتها قضية الإسلام والمسلمين. . . فنشرت

(١) انظر تفاصيل هذه القضية: حقيقة التنظيم الخاص، أحداث صنعت التاريخ، في قافلة الإخوان المسلمين.

الوعى بين الناس وجمعت التبرعات وأقامت المؤتمرات بل وأرسلت المجاهدين إلى هناك . .
ولما أعلن قرار التقسيم دعا الإمام الشهيد إلى مظاهرة كبرى اشترك فيها الأزهر والجامعة،
وتجمعت في ميدان الأوبرا ودعى إليها زعماء من الدول العربية أمثال: (رياض الصلح والأمير
فيصل بن عبد العزيز وإسماعيل الأزهرى . . وغيرهم) . .

وخطب الإمام الشهيد فقال:

«بيك فلسطين . . دماؤنا فداء فلسطين وأرواحنا للعروبة . . يا زعماء العرب . . يا قادة
الأمة العربية . . إننى أنادى الأمم المجاهدة، الحجاز وسوريا والعراق وشرق الأردن ولبنان
وأبناء وادى النيل وكل عربى يجرى فى عروقه دم العروبة الحر . . أيها الزعماء . . أنتم
القادة . . وهؤلاء الجنود . . قد وقفوا دماءهم ل دفاعكم المقدس . . إن هذا الشباب ليس
هازلاً . . ولكنهم جادون . . عاهدوا الله وعاهدوا الوطن على أن يموتوا من أجله .

إنه وإن كان يتقصنا اليوم السلاح فنستخلصه من أعدائنا ونقذف بهم فى عرض البحر . .
لقد تألبت الدنيا تريد أن تسلبنا حقنا، وقد عاهدنا الله أن نموت كراماً أو نعيش كراماً .
إننى أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع
للاستشهاد فى سبيل فلسطين . . وهم على أتم استعداد لتلبية نداءكم» .

رفض الحكام هذا العرض واكتفوا بالسماح للإخوان بجمع الأسلحة للفلسطينيين، ثم
سمحوا بعد ذلك بدخول كتائب الإخوان والمشاركة فى القتال فى حدود ضيقة . . لم يقف
الأعداء مكتوفى الأيدي أمام المد الإخوانى ولكنهم منذ تبنى الإخوان لقضية فلسطين بدأ
الإنجليز محاولاتهم عن طريق صنائعهم من حكام مصر التى لا تنقطع ولا تهدأ، لتعويق
الدعوة وبث العقبات والعراقيل فى طريقها، لكسر شوكتها وثنيها عن جهادها . . واستعملوا
وسائل وأساليب مختلفة .

ولكن الدعوة بفضل الله تعالى ثم مرشدها الموفق، استطاعت أن تتخطى كل هذه العقبات،
وأن تثب فوقها وثباً سبقت به أقرانها المنحدرين من عقبات الطريق وكمائن الأعداء . . وبهت
الأعداء حين رأوا الدعوة وقد شبت عن طوقها، وبلغت رشدتها وامتد رواقها حتى كسا أرض
مصر وظلل الكثير من الأرض العربية والعالم الإسلامى . . ولم يعد فى مصر - وهى المنار
الذى يهتدى به كل عربى ومسلم - صوت أعلى من صوتها ولا يد أقوى من يدها ولا كلمة
أنفذ إلى القلوب من كلمتها .

فوضع الأعداء خطة لاستئصال هذه الدعوة من جذورها . . .
كانت هذه الخطة في اجتماع لسفراء (بريطانيا وفرنسا وأمريكا) في مدينة فايد، حيث قرروا
حل جماعة الإخوان المسلمين . . . وبعد حل الجماعة اغتيال مرشدها . . .
كلفت الحكومة المصرية رسمياً من الحكومة البريطانية بإصدار أمر عسكري بحل جماعة
الإخوان المسلمين . . .

فبدأت الحكومة المصرية بإصدار أمر عسكري بحل جماعة الإخوان المسلمين في منطقة
القناة، في وقت كان الإمام الشهيد يؤدي فريضة الحج مع مجموعة من الإخوان، وكان
متطوعوا الإخوان في الميدان يعملون جنباً إلى جنب في فدائية فذة مع جيش مصر على أرض
فلسطين، مما يقطع بالتعاون الوثيق بين الحكومة والإخوان في هذه الفترة من الزمان، ولم يكن
لهذا القرار أي مبرر . . .

وبعد عدة أيام أصدرت الحكومة قراراً عسكرياً بحل الإخوان في جميع أنحاء القطر .
ومصادرة الممتلكات، وزجوا بجميع الإخوان في السجون والمعتقلات حتى المجاهدين في
فلسطين وترك الإمام الشهيد وحده ليديره له كميناً فيقتالوه، وبالفعل استشهد عليه الرضوان
في ١٢ فبراير ١٩٤٩ م. وكان القرار قد صدر في ٨/٢/١٩٤٨ م.

•• مشهور في هذه الأونة:

كان مصطفى مشهور قد تخرج في كلية العلوم سنة ١٩٤٣ م وعمل بالأرصاد الجوية ثم
أنهى دراسة الماجستير، وفي سنة ١٩٤٥ م عمل بالإسكندرية رئيساً لمحطة أرصاد مطار
النزهة، وحل محله في مجلس قيادة النظام الخاص الدكتور محمود عساف، وقضى عاماً
بالإسكندرية كله نشاط وحيوية بين إخوانه، ونزل الإمام البنا في بيته زائراً له ويحكي لنا
الحاج عباس السيسى قصة هذه الزيارة فيقول: «كان حسن البنا روحاً كبيرة فسيحة تملأ كل
الفراغ كما يملأ الهواء كل الأجواء، وكان الحضور معه يعنى أن تعيش مغموراً في بحر من
السعادة والنور . . . فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره،
وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية ولكنها عاطفة حقيقية صادقة رقيقة تجيش
بالحب، والأمثلة على ذلك كثيرة: أذكر منها ما أحسسته بنفسى وشعورى، كان ذلك في
منزل الأستاذ مصطفى مشهور في شارع زين العابدين بمحرم بك بالإسكندرية عام
١٩٤٥ م، وهناك وجدت مجموعة من الإخوة قد سبقونى، وبعد لحظات وصل إلى المنزل

فضيلة المرشد حسن البنا وكانت مفاجأة سارة... . جلس يتحدث معنا في تطورات الدعوة وواجبنا نحوها بروح لطيفة مؤنسة... . وقمنا لوداعه، وكان عناقاً حاراً مؤثراً، أبلغ وأعطر وأذكى ما فيه تلك الدموع التي تساقطت من عينيه ويا لها من لحظات في حياتنا لا تنسى أبداً. «^(١) واضح من القصة أنها كانت زيارة خاصة للأستاذ مصطفى مشهور بدليل أنها كانت مفاجأة للحاج عباس وللإخوان الذين حضروا كذلك.

عاد مصطفى مشهور إلى القاهرة ليعمل بالأرصاء الجوية بكوبرى القبة، ورجع إلى مكانه الذي تركه للدكتور محمود عساف في مجلس قيادة النظام الخاص، وتزوج سنة ١٩٤٦م، ليستأنف عمله بالأرصاء وعمله القيادي بالنظام الخاص... حتى أحداث قضية السيارة الجيب، التي رزق قبلها بمشهور سنة ١٩٤٧م وسلوى ١٩٤٨م.

●● نشر خبر ضبط السيارة الجيب^(٢)؛

في صباح يوم ٢١ من نوفمبر عام ١٩٤٨م نشرت الصحف تباً أفجعته وزارة الداخلية يقول: «إنه قد تم ضبط سيارة جيب بها كميات كبيرة جداً من المتفجرات الخطرة والأوراق، في دائرة قسم الوايلي أمام أحد المنازل. وتبين أن راكبي السيارة الذين جرى وقبض عليهم من جماعة الإخوان المسلمين».

●● ملايسات ضبط السيارة الجيب^(٣)؛

كان ضبط السيارة الجيب والقبض على قادة النظام ترتيباً إلهياً لا يد للبشر فيه، قدر الله سبحانه وتعالى ضبط هذه السيارة لحماية الدعوة، وليس لرجال الأمن فيه أدنى فضل... . كانت تفاصيل ضبط السيارة كما يلي:

أوقع الله في نفس الأخ أحمد عادل كمال بعد أن رأى حل الإخوان بالإسماعيلية وانتشار إرهابات كثيرة عن عزم الحكومة على حل جماعة الإخوان المسلمين عامة، أن ينقل بعض الأوراق والمعدات المتعلقة بالجهاد من إحدى الشقق بحي المحمدى إلى شقة أحد الإخوان بالعباسية، وهو عمل تنظيمي صغير لا يستحق أمراً به من القيادة العليا، ولا تدبيراً خاصاً لتأمينه، فاصطحب معه الأخ: طاهر عماد الدين في إحدى السيارات المخصصة لأعمال الجهاد وهي سيارة جيب يقودها الأخ: مصطفى كمال عبد المجيد.

(١) حسن البنا... مواقف في الدعوة والتربية، -عباس السيسى.

(٢) هذه الصحف هي: جريدة المصري، والكتلة، والمقطم، بتاريخ ٢١/١١/١٩٤٨م.

(٣) حوارات مع أحمد عادل كمال نفسه، ومصطفى كمال عبد المجيد سائق السيارة الجيب.

ولقد تم نقل كل موجودات شقة المحمدى إلى السيارة واتجهت حتى وصلت منزل الأخ إبراهيم محمود على بالعباسية لتودع هذه الموجودات أمانة هناك، وكان ذلك حوالى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٥ / ١١ / ١٩٤٨م فى شارع جنينة القوادى بحى الوايلى أمام المنزل رقم ٣٨، ولم يكن أحمد عادل كمال يدري بأن من بين سكان هذا المنزل مخبراً فى حالة خصام مع جاره إبراهيم محمود على، هو البوليسى الملكى صبحى على سالم، ذلك ليقع أمر الله، حيث لو علم أحمد عادل كمال بذلك لاختار منزلاً آخر لحفظ هذه الموجودات، وهناك لاحظ المخبر - دون أى تدبير من قيادته فى البوليس - أن السيارة لا تحمل أرقاماً وأنها تخص خصمه إبراهيم محمود على، فزين له عداؤه لإبراهيم أن يضبط السيارة كيداً فى إبراهيم، وقد اشتد سروره عندما تبين أن الأمر أكبر من مجرد استعمال سيارة بدون ترخيص ففى السيارة بعض المحظورات من الأسلحة والمتفجرات.

جرى ركاب السيارة ولكنه لاحقهم واستعان بالناس صارخاً أنهم صهيونيون، فتم ضبط كلا من أحمد عادل كمال وظاهر عماد الدين، أما مصطفى كمال عبدالمجيد فلم يرد الله أن يضبط ليتم بذلك التدبير السماوى الحكيم.

أبلغ مصطفى كمال عبد المجيد الأخ سعد كمال صاحب ورشة سيارات فى شارع أحمد سعيد قرب تقاطعه بشارع الملكة نازلى (رمى حالياً) بواقعة ضبط السيارة وأعطاه فكرة عن محتوياتها.

●● القبض على قيادة التنظيم^(١) ●●

شاءت القدرة الإلهية أن يكون فى نفس اليوم الذى وقعت فيه هذه الحادثة اجتماع لقيادة النظام فى تمام الساعة الخامسة مساءً بمنزل مصطفى مشهور، الذى يقع منزله قريباً من ورشة سعد كمال، فتوجه الأخ سعد كمال إلى منزل مصطفى مشهور دون أن يعلم شيئاً عن الاجتماع المنتظر بمنزله، ليبلغه بحادثة ضبط السيارة، كما توجه مصطفى كمال عبد المجيد إلى منزل الأخ محمود الصباغ دون أن يعلم هو أيضاً شيئاً عن هذا الاجتماع، ليبلغه بهذه الحادثة، وكان هذان البلاغان قبل موعد اجتماع قيادة النظام بما يقرب من ساعتين.

أما مصطفى مشهور فلأنه معروف فى الدعوة العامة، اتجه تفكيره لإخلاء منزله من أية أوراق لها علاقة بأعمال الجهاد، تحسباً أن يُفتش منزله كغيره من إخوان الدعوة العامة، فجعلها جميعاً فى حقيبة وذهب ليودعها عند قريب له لا علاقة له بالإخوان، وهو لا يدري أنه

(١) حوارات مع محمود الصباغ وأحمد حسين - عضوى مجلس قيادة النظام الخاص.

سيسير في نفس الشارع الذي ضبطت فيه السيارة الجيب، وترك رسالة لإخوانه أعضاء مجلس قيادة النظام الخاص في منزله أنه سيعود حالاً لحضور الاجتماع.

كان محمود الصباغ أول من حضر لمنزل مصطفى مشهور من قيادة النظام، فأخبر بالرسالة من زوجة مصطفى مشهور ولكنه لم يطلب الدخول وحده على الرغم من أن باب حجرة الاستقبال كان مفتوحاً على السلم الخارجي، ولا يحتاج من يدخل إلى المرور بأي جزء من أجزاء الشقة، وقفل راجعاً، ولكنه قابل كلا من الأخوين أحمد حسين وأحمد زكي حسن من قيادة النظام قادمين لحضور الاجتماع، فأبلغهما خبر وجود مصطفى مشهور خارج المنزل وتوقع حضوره بعد دقائق، ورجع معهما إلى منزل مصطفى ليبتظروه في حجرة الصالون، وثلاثتهم لا يدرون أن مصطفى مشهور قد قبض عليه وهو يسير إلى منزل أحد أقاربه لإيداع الحقيبة التي احتوت على الأوراق المتعلقة بالجهاد والموجودة لديه هناك.

دخل ممثلو النيابة والبوليس إلى شقة مصطفى مشهور لتفتيشها فوجدوا هؤلاء الثلاثة فظنوا أنهم أقاربه، ولما عرفوا أنهم أصدقاءه قبضوا عليهم، أما عبد الرحمن السندی فقد لاحظ وهو في الطريق إلى الاجتماع حركة غير عادية خارج منزل مصطفى مشهور، فاستمر في السير إلى منزله ولم يقبض عليه في هذا اليوم، وإن كان قد قبض عليه بعد ذلك عندما ورد اسمه في التحقيقات.

ولعل هذا القدر هو الذي شجع الحكومة بعد إيداعها لجميع القيادات في الدعوة العامة للسجون والمعتقلات، وبعد عزل المرشد عنها ببقائه تحت الرقابة المشددة في منزله وبعد اطمئنانها للقبض على قيادات النظام، بضرية قدرية ليس لها فيه فضل، ولا لرجال أمنها فيه أدنى جهد، لتضرب ضربتها بحل الإخوان المسلمين في جميع أنحاء القطر قبل مضي ثلاثة أسابيع على هذه الحادثة.

●● تقرير الاتهام:

تتابعت حركة القبض حتى مارس ١٩٤٩ م.. وأدرجوا عدة قضايا تحت عنوان هذه القضية عرفت جميعها بـ(قضايا الإخوان)^(١).

١- قضية اغتيال النقراشي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ م.

٢- قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف ١٢/١/١٩٤٩ م.

(١) راجع تفاصيل هذه القضايا، أحداث صنعت التاريخ.

- ٣- قضية السيارة الجيب ١٩٤٨/١١/٢١ م.
 - ٤- قضية محاولة الاعتداء على حامد جودة ٦ مايو ١٩٤٩ م.
 - ٥- قضية الأوكار.
- أما تقرير الاتهام في قضية السيارة الجيب، فكان هذا التقرير هو نفسه في جميع القضايا التي سميت بقضايا الإخوان - فهو كما يلي:
- إنه في يوم ١٩٤٩/٩/٢٥ م وضع النائب العام محمد عزمى بك تقرير الاتهام في هذه القضية، فقدم ٣٢ متهماً بتهمة الاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم، وأثبت أحد عشر بنداً قد اعتادت النيابة على الاستناد عليها في مثل هذه القضايا الجائرة وهي:
- ١- قلب وتعديل دستور الدولة وشكل الحكومة بواسطة عصابات مسلحة. . المادتان ٨٧، ٨٨ عقوبات.
 - ٢- إتلاف سيارات وأسلحة الجيش المصرى المعدة للدفاع عن البلاد، الأمر المنطبق عليه المادة ٨١ عقوبات.
 - ٣- تخريب المنشآت الحكومية وأقسام ومراكز البوليس ومحطات الإضاءة والمياه وغيرها. . المادة ٩٠ عقوبات.
 - ٤- قتل عدد كبير من المصريين والأجانب المبينة أسماؤهم بالكشف المرفق عمداً مع سبق الإصرار والترصد، مما ينطبق عليه المواد: ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢ عقوبات.
 - ٥- تعريض أموال الناس وحياتهم عمداً للخطر باستعمال القنابل والمفرقات في عدد من السفارات والقنصليات الأجنبية وغيرها من الأماكن العامة والخاصة المأهولة بالسكان والمبينة بالكشف- المادة ٢٥٨ عقوبات.
 - ٦- تعطيل وسائل النقل العامة بنسف قطارات السكة الحديدية وجسورها وخطوطها ونسف الطرق والكبارى العامة وسيارات الأتوبيس، وتعطيل القوى الكهربائية المولدة لحركة الترام- المادة ١٦٧ عقوبات.
 - ٧- إتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية عمداً في زمن الفتنة، بقطع أسلاكها وقوائمه ونسف أدواتها- المادتان ١٦٥، ١٦٦.
 - ٨- سرقة البنك الأهلى وبعض المحال التجارية بطريق الإكراه، باقتحامها بأشخاص مسلحين.

٩- إتلاف مباني شركة قناة السويس .

١٠- قتل خيول البوليس عمداً .

١١- إقامة واستعمال محطات إذاعة سرية .

●● أما المتهمون فهم:

١- عبد الرحمن على فراج السندی (٣٢ سنة)، موظف بوزارة الزراعة .

٢- مصطفى مشهور مشهور (٢٩ سنة)، موظف بمصلحة الأرصاد الجوية .

٣- محمود السيد خليل الصباغ (٣٠ سنة)، موظف بمصلحة الأرصاد الجوية .

٤- أحمد زكي حسن (٢٦ سنة)، مدرس بالجيزة الابتدائية مصر القديمة .

٥- أحمد محمد حسنين (٣٠ سنة)، مراقب حسابات بشركة المعادن بالسيدة عائشة .

٦- محمد فرغلي النخيلي (٣٠ سنة)، تاجر معادن بشارع غيظ النوي .

٧- أحمد قدرى الحارثى (٢٤ سنة)، مهندس بمصلحة الطيران المدني .

٨- محمد حسنى أحمد عبد الباقي (٣٥ سنة)، عضو مجلس مديرية الجيزة .

٩- أحمد متولى حجازى (٣٠ سنة)، مهندس وتاجر راديو .

١٠- السيد فايز عبد المطلب (٣٠ سنة)، مهندس ومقاول مباني .

١١- أحمد عادل كمال (٢٤ سنة)، موظف بالبنك الأهلى المصرى .

١٢- طاهر عماد الدين (٢٥ سنة)، مهندس معمارى ومقاول .

١٣- إبراهيم محمود على (٢٧ سنة) ترزى، وحصل على الشهادة الابتدائية بالسجن .

١٤- أحمد الملط (٣٤ سنة)، طبيب بوزارة الصحة ومستشفى الملك .

١٥- جمال الدين إبراهيم فوزى (٣٤ سنة)، موظف بمصلحة البريد .

١٦- محمود حلمى فرغلى (٢٦ سنة)، موظف بالداخلية .

١٧- محمد أحمد على (٢٦ سنة)، موظف بمصلحة المجارى، حصل على الثقافة العامة

بالسجن .

١٨- عبد الرحمن عثمان (٢٤ سنة)، طالب حقوق ونقل إلى السنة الرابعة وهو بالسجن .

١٩- السيد إسماعيل شلبى (٤٤ سنة)، تاجر وقومسيونجى .

- ٢٠- أسعد السيد أحمد (٢٨ سنة)، موظف بسلاح الصيانة- ميكانيكي .
- ٢١- محمد بكر سليمان (٢٤ سنة)، نساخ بشركة النيل .
- ٢٢- صلاح الدين محمد عبد المتعال (٢٠ سنة)، طالب توجيهي، حصل على الشقافة بالسجن .
- ٢٣- جمال الدين طه محمود الشافعي (٢٤ سنة)، مهندس رى .
- ٢٤- جلال الدين يس (٢٩ سنة)، طالب وموظف بوزارة التجارة .
- ٢٥- محمد الطاهر حجازي (٢٤ سنة)، مدرس بالمعارف، وطالب بالزراعة .
- ٢٦- عبد العزيز أحمد البقلي (٢٦ سنة)، تروى .
- ٢٧- كمال السيد القزاز (٢٧ سنة)، نجار .
- ٢٨- محمد سعد الدين السناني (٣١ سنة)، تاجر ومقاول نقل .
- ٢٩- على محمد حسنين الحريري (٢٩ سنة)، تاجر وقمسيونجي .
- ٣٠- محمد محمد فرغلي وفا (٤٤ سنة)، واعظ منطقة الإسماعيلية، اتهم وهو في فلسطين بقود مجاهدي الإخوان .
- ٣١- محمد إبراهيم سويلم (٣٥ سنة)، فلاح - مزارع - من القطاوية .
- ٣٢- سليمان مصطفى عيسى (٢٤ سنة)، مدرس - متخرج من المعهد العالي للعلوم التجارية .

●● ملاحظات النيابة:

أوردت النيابة في ملاحظاتها: وجود رسم حارة اليهود، ورسم للسفارة البريطانية، وآخر للسفارة الأمريكية، وتقرير عن «حسن رفعت باشا» وهو - في ذلك الوقت - الأستاذ الأعظم للماسونية، عن محل إقامته، والأشخاص الذين يترددون عليه، والأماكن التي يتردد هو عليها، وكذلك تقرير عن نسف مصنع النيل للمنسوجات بشبرا .

وقد قرر المتهم محمد بكر سليمان أنه حرر هذه الأوراق بخطه، وزعم أنه حررها من نسج الخيال لتحسين خطه .

والملاحظة الأخيرة هي: أنه ضبط في دار المركز العام للإخوان المسلمين مشروع اعترف المتهم سليمان مصطفى عيسى بأنه حرره، وجاء فيه أنه يقترح أن يكون هذا النظام جمهورياً اشتراكياً، وأن ينتخب رئيس الجمهورية لمُدَى الحياة .

● المحكمة التي رفعت أمامها القضية:

أرادت النيابة أن تكسب هذه القضية وضعاً خاصاً، فقدمتها إلى المحكمة العسكرية العليا، في ظل الأحكام العرفية والتي عقدت حوالى سبعة وأربعين جلسة منها ثلاث جلسات عسكرية برئاسة سعادة إبراهيم كامل بك، وكانت الأحكام العرفية على وشك الزوال والانهاء، لذلك كان الدفاع دائماً يطلب تأجيل النظر فى القضية لكيلا يلقى بالمتهمين فى جوف محاكمة عسكرية لا تتوفر فيها ضمانات الدفاع، وكانت المحكمة تلبى طلب الدفاع فى التأجيل، حتى ألغيت الأحكام العرفية. ثم تقدم المتهمون بمعارضات فى أمر حبسهم، ونظرت هذه المعارضات فى جلسة ١٠ يونيو ١٩٥٠م، فتقرر الإفراج عن ثمانية منهم، وبدأ النظر الفعلى للقضية أمام دائرة جنائيات عادية برئاسة سعادة أحمد كامل بك وعضوية محمود عبد اللطيف بك وزكى شرف بك، ومثل النيابة محمد عبد السلام بك، وعقدت هذه المحكمة لنظر هذه القضية جلسات متوالية، كانت أول جلسة فى هذه الدائرة يوم ٢/١٢/١٩٥٠م، واستمر نظرها إحدى وأربعين جلسة، ثم حُددت الجلسة الثانية والأربعون للنطق بالحكم فى ١٧ من مارس ١٩٥١م، وبذلك يكون نظر القضية قد استغرق ثلاثة شهور ونصف الشهر^(١).

● هيئة الدفاع فى هذه القضية:

تكونت هيئة الدفاع فى هذه القضية من الأساتذة المحامين الآتى أسماؤهم:

- | | |
|-------------------------------|------------------------|
| ١- محمود كامل . | ٢- الدكتور عزيز فهمى . |
| ٣- على حسين بك . | ٤- حمدى المسمارى . |
| ٥- أحمد رشدى بك . | ٦- زكى عريى . |
| ٧- على بدوى بك . | ٨- إسماعيل وهبى . |
| ٩- عبده أبو شقة . | ١٠- يوسف حلمى . |
| ١١- شمس الدين الشناوى . | ١٢- حسن العثمراوى . |
| ١٣- حسن الجداوى . | ١٤- فهمى أبو غدیر . |
| ١٥- الدكتور مصطفى القللى بك . | ١٦- حنفى عبود . |
| ١٧- على منصور . | ١٨- فهمى القلعاوى . |

(١) قضية النيابة العمومية رقم ٣٣٩٤ الوايلى لسنة ١٩٥٠م، ورقم ٢٢٧ لسنة ١٩٥٠م [سيارة الجيب].

- ١٩- عبد المجيد نافع .
 ٢٠- جمال عبد الفتاح .
 ٢١- صلاح توفيق .
 ٢٢- فتحى رضوان .
 ٢٣- هنرى فارس .
 ٢٤- مختار عبد العليم .
 ٢٥- إبراهيم رياض .
 ٢٦- طاهر الخشاب .

•• علاقة هذه القضية بحرب فلسطين:

فى مرافعته قال الأستاذ طاهر الخشاب : حيث إن السيارة ضبطت فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨م أى بعد دخول حرب فلسطين ، فإننا نطلب شهوداً كثيرين ليشهدوا بأن هذه الأسلحة كانت تُجمع لحساب فلسطين . ومن طلبهم للشهادة : [اللواء أحمد الماوى بك ، واللواء فؤاد صادق - قائدى حملة فلسطين ، واللواء سيد طه] ، والصاغات : [كمال الدين حسين ، وصلاح سالم ، وحسن فهمى] ، واليوزباشيات : [معروف الحضرى ، وخالد فوزى ، وصلاح متولى] ، كما طلب شهادة سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين . . فأشادوا ببطولة وبسالة الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين . . . وسنستعرض معاً أهم هذه الشهادات .

•• أبرز وأهم الشهود فى القضية:

١- شهادة إبراهيم عبد الهادى:

تعتبر شهادة إبراهيم عبد الهادى من أهم ما أدى من شهادات هذه القضية ، بالرغم من اعتصامه بالإنكار وحذاقة مراوغته . . ولأهمية هذه الشهادة فإننا نثبتها كاملة :

أديت هذه الشهادة فى الجلسة الرابعة فى ١٩/١٢/١٩٥٠م . .

المحكمة: عبد الرحمن عثمان أحد المتهمين فى القضية ، يقول إنه أخذ من السجن إلى محطة القاهرة ، وأنه سافر معك إلى الإسكندرية ، واختليت به فى صالونك الخاص فإيه الحكاية؟

الشاهد: قبل سفرى إلى الإسكندرية بيوم ، وكان ذلك فى شهر يولية ١٩٤٩م كنت أسأل عن مجريات التحقيق فى القضية ، فقبل لى إن أحد المتهمين له اعتراف جديد فطلبت اللواء أحمد طلعت بك وسألته عن هذا الاعتراف ، فقال إن هذا المتهم يعترف على ابن خالته وهو نجل محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية وكان وقتئذ طالباً فى الكلية الحربية أو البوليس ، فأحبيت أن أسمع هذا الاعتراف من المتهم نفسه ، فطلبت لى طلعت بك أن تحضره لى لأسمع أقواله .

وفي اليوم التالي جد أمر استوجب سفرى إلى الإسكندرية، فنزلت من مكتبى وقصدت إلى المحطة لأستقل قطار الظهر، فلحق بى طلعت بك وذكرنى برغبى فى مقابلة هذا المتهم، وقال إنه جاء به إلى المحطة، فطلبت إليه أن يحضره إلى فى القطار. وفعلاً ركب المتهم القطار واستمعت لاعترافه. ولا أدرى ماذا حدث بعد ذلك، هل استمر فى القطار مع الضابط المرافق له فى الإسكندرية أم غادره فى الطريق؟

المحكمة: لماذا طلبتم سماع أقوال هذا المتهم؟

الشاهد: لكى أوجه التعليمات اللازمة. فمثلاً طلب إلى اعتقال الشخص الذى ذكره هذا المتهم فلم أوافق على ذلك، وأحببت أن أعرف الحكاية إيه.

محمود كامل المحامى: من الذى يعرض على دولة الشاهد نتائج التحقيق وتطوراته؟

الشاهد: (يجيب فى حدة): لم يعرض على أحد نتائج التحقيق ولا خلافه. ولا يُعرض على شىء إلا حين أسأل أنا عن شىء، فلم يعرض الحكمدار على حلقات التحقيق. وكل ما فى الأمر لما يكون فيه حاجة مهمة أسأل أنا عنها أو يطلعونى عليها.

ونفى دولته اختلاءه بالمتهم فى القطار، وقال إن أحمد طلعت بك كان حاضراً الاجتماع. وكذلك نفى أنه تحدث مع المتهم فى أى شىء آخر غير موضوع اعترافه. وقال إنه لا يعرف الأستاذ عبد الحكيم عابدين.

وأجاب دولته على سؤال خاص بتمويل جماعة الإخوان المسلمين بأنه لا يذكر أنه سأل المتهم عبد الرحمن عثمان عن مصدر هذا التمويل، وأنه لم يتحدث إليه بشأن حل الجماعة. ولم يعرض عليه بعض المرطبات، وإن كان قد قدم طعاماً إلى متهم آخر فى قضية أخرى.

وسُئل الشاهد: هل علم أن هناك تعذيباً وقع على المتهمين فأجاب بالنفى وقال: إن هذه مجرد إشاعات، وهنا ذكر الأستاذ محمود كامل أن المتهم عبد الرحمن عثمان قال إنه فى يوم ١٠ يوليو ١٩٤٩م أثناء تولى دولتك الحكم جىء به إلى المحافظة وعذبه الضابط محمود طلعت والضابط محمد الجزار بوضع ساقيه فى فلكة وضربه بالسياط، وأن الطيب الشرعى أثبت الإصابات التى فى جسمه. فهل سمعت دولتك بذلك؟

وذكر الدفاع واقعة تعذيب أخرى لهذا المتهم، قضى دولته حدوث أى تعذيب يعلمه وأنه لم يكن يحضر إلى المحافظة فى أثناء التحقيق.

وسُئل دولته: هل رأى مصطفى كمال عبد المجيد؟

فقال : إنه في ليلة وقوع حادث محاولة الاعتداء على الأستاذ حامد جودة قصد إلى قسم مصر القديمة ، فوجد هناك مصطفى كمال عبد المجيد . وبمجرد أن رأى دولته صاح مستغيثاً به . فسأله دولته لماذا فعل ذلك فأجاب أنه فعل ذلك تحت تأثير العقيدة وأنه سيُعترف بكل شيء . ثم صعد إلى الطابق العلوي ، وظل في القسم حتى حضر المحققون وباشروا التحقيق .

وأقسم إبراهيم عبد الهادي بشرفه أن مصطفى كمال عبد المجيد لم يعذب أمامه ، وقال دولته رداً على سؤال إنه ذهب إلى المحافظة بضع مرات أثناء تحقيق قضية حامد جودة . واللييلة الوحيدة التي سهر فيها بالمحافظة إلى الخامسة صباحاً هي ليلة اعتقال محمد مالك .

وهنا أراد عبد الرحمن عثمان أن يوجه أسئلة إلى دولة الشاهد فاعترضت المحكمة قائلة إن لكل متهم محامياً يسأل عنه ما يشاء - فندخل سعادة محمد هاشم باشا المحامي ورجا المحكمة أن تفسح صدرها للمتهمين فهم أولى بالسؤال من المحامين - وبعد مناقشة سمحت المحكمة للمتهم بإلقاء أسئلته عليها أولاً . . وتبين من إلقائها أن دولة الشاهد سبق أن سُئل عنها وأجاب عليها ، وأكثر هذه الأسئلة كانت خاصة بتعذيب هذا المتهم .

ثم سأله المتهم : ألم تقل لي دولتك إن الشيخ حسن البنا قتل واسترحنا منه وأنت تدرس القانون ومن مصلحتك أن تنجو بنفسك وهذه قضية عسكرية؟

الشاهد: ماكنش فيه موجب لكل هذا .

وسأل الأستاذ زكي عريبي دولة الشاهد : تؤكد لنا دولتك أن النيابة لم تكن تتلقى وحيًا؟

الشاهد: نعم . . ثم قال إنه يأمر باعتقال شخص أو الإفراج عن شخص بحكم كونه حاكماً عسكرياً لا يعرف إن كان القبض نتيجة تحريات البوليس أو تحقيق النيابة ، إنما تعرض عليه أسماء مطلوب اعتقال أصحابها ، كان لا بد أن يسأل عن سبب اعتقاله ، فالمسألة ليست مسألة توجيه النيابة ولكنها مسألة حفظ أمن البلاد .

وسأل الأستاذ مختار عبد العليم دولة الشاهد عن سبب استغاثة مصطفى كمال عبد المجيد حين رآه في القسم .

الشاهد: كان يستغيث أنا عطشان . عايز أشرب (ضحك) وأجاب على سؤاله بأنه لا يعرف جمال فوزي - وهو أحد المتهمين في القضية - ولا يذكر هذا الاسم . ولا يعرف إن كان أحمد طلعت بك استأذن النيابة في خروج عبد الرحمن عثمان من السجن أم لا .

ونفى دولته أنه تحدث إلى الشيخ حسن البنا في شأن جمع الأسلحة في أثناء توليه رئاسة الديوان الملكي . وقال : إن كل ما حدث أن الشيخ حسن البنا كان يريد السفر إلى اليمن أثناء الثورة اليمنية فنصحته بالعدول عن ذلك .

وهنا انتهت شهادة إبراهيم عبد الهادي . وحدث أثناء خروجه من القاعة أن أخذ المتهمون يهتفون : «رحم الله شهيداً أعزل» و«يحيا الشعب ويسقط الظلم» ، وقد غضبت المحكمة لهذا الهتاف وأثبتت المتهمين عليه ، واعتذر الدكتور هاشم باشا بالنيابة عن المتهمين ، فصفحت المحكمة .

٢- شهادة اللواء أحمد المواوي بك :

كان اللواء أحمد المواوي أول قائد للجيش المصري في فلسطين . وجاء في شهادته ما يلي :

●● جيش بلا معدات:

قرر الشاهد أن هؤلاء المتطوعين كانت روحهم المعنوية قوية ، واشتركوا في معارك كثيرة ، وقاموا بانتزاع الألغام من النطاق الخارجي للمستعمرات اليهودية ، واستعملوا هذه الألغام ضد اليهود الذين تكبدوا بسببها الخسائر حتى أنهم تقدموا إلى مراقبي الهدنة الأولى شاكين .

وكان هذا العمل من الإخوان له أهميته إذ لم يكن لدى الجيوش النظامية ألغام .

الرئيس : هذا شيء عجيب . كيف لا يكون لدى جيش ألغام؟

الشاهد : من المعروف أن الجيش دخل الحرب بدون معدات .

ثم ذكر الشاهد كيف استمات الإخوان حتى استردوا العسلوج بعد أن فقدوا الجيش ، وكانت رئاسة الجيش قد أرسلت أمراً باستردادها مهما كان الثمن لخطورة موقعها .

وأجاب على سؤال عن الشروط التي يجب توفرها في رجل العصابات «الكوماتدوز» فقال إنه يجب أن يكون مثل هؤلاء الرجال الأذكياء الذين يمتازون بالجرأة وحسن التصرف بسرعة ولا يعتمد الواحد منهم إلا على نفسه . . . هذا إلى جانب المهارة في استعمال السلاح والتسلل والتخفي وتسلق الأشجار ، فضلاً عن اعتياده على أعمال الكشافة . وقال إن نظام الفرق الفدائية قد استحدث في الحرب الأخيرة وأصبح لا غنى عنه .

المحكمة : هل في جيشنا هذه الفرق؟

الشاهد : لا . . . ولكن الفكرة موجودة .

•• عشرة آلاف متطوع:

وقرر الشاهد أن عدد المتطوعين كان حوالي عشرة آلاف من مختلف البلدان والأديان ومعظمهم من الإخوان . وكانت الجامعة العربية هي التي تتولى مدهم بالسلاح ، وقد حدث مرة أن أعطيتهم بعض الذخيرة .

•• متطوع في المائة من عمره:

واستطرد قائلاً: كان فيه مشايخ متطوعون عمر الواحد مائة سنة .

الرئيس: مائة سنة ويحارب . . ده تطوع لدخول اللجنة بسرعة .

الشاهد: الروح المعنوية كانت عظيمة جداً حقاً .

وقال إن أسلحة المتطوعين كانت مدافع خفيفة ورشاشة وتومى وقنابل يدوية إيطالية .

ثم سمعت المحكمة شهادة اللواء فؤاد باشا ثاني قائد للجيش المصري في فلسطين ، فكانت شهادته مطابقة لشهادة اللواء المواوي وكانت شهادتهما قد أدليا بها في جلسة ٢٠/١٢/١٩٥٠م .

٣- شهادة اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين:

* الرئيس: نريد أن نعرف رأى سيادتكم بصفتمكم قائداً عاماً لحملة فلسطين عن موقف الإخوان المسلمين المتطوعين في هذه الحرب وفي ميدانها؟

* الشاهد: كانوا جنوداً أبطالاً أدوا واجبههم على أحسن ما يكون .

* الرئيس: هل يسمح الباشا أن يذكر لنا وقائع معينة تدل على البطولة؟

* الشاهد: نعم ، سمعت بعد وصولي لرئاسة القوات في قلم المخابرات العسكرية أن اليهود يبحثون دائماً عن مواقع الإخوان المسلمين ليتجنّبوا في هجومهم ، فبحثت عن حالهم من الناحية الفنية ، وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود ودخلوا مدارس التدريب ، وأصبح يمكن الاعتماد عليهم في كثير من الأحوال التي تستدعي بطولبة خاصة ، مثلاً: أرسلتهم من دير البلح إلى ما يقرب من ١٠٠ كيلو إلى الجنوب لملاقاة الهجوم الإسرائيلي على العريش فاستبسوا وأدوا واجبههم تماماً ، واشتركوا أيضاً في حملة للدفاع عن موقع ٨٦ في دير البلح وأعطيتهم واجباً من الواجبات الخطيرة فكانوا في كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من أجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لهم مكافأة بنياشين وذكرت بعضهم للشجاعة في الميدان ، وبعضهم ذكر اسمه في الأوامر العسكرية ، واتصلت بالحكومة في ذلك الوقت

وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوا لهم أعمالاً عندما يعودون، ويعاونون أسرهم، والحكومة ردت ووافقت وأرسلت تأخذ معلومات عنهم، وكان ده تكريم الحكومة لهم.

* الرئيس: في أى تاريخ أرسل الباشا الإخوان ليحموا العريش.

* الشاهد: في المدة من ٢٦ ديسمبر إلى ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨ م.

* الرئيس: ماذا كانت الروح المعنوية عند الإخوان المسلمين المتطوعين بعد قرار الحل؟

* الشاهد: قاتلوا ببسالة ولم يؤثر قرار الحل على روحهم المعنوية.

* الرئيس: ما هو الدور الخطير الذى قام المتطوعون الإخوان به فى دير البلح؟

* الشاهد: قلت إنهم قاتلوا قتالاً مجيداً وعندما رأيت الخطر فى المعركة، فاعتمدى عليهم جعلنى أقدم المتطوعين من الإخوان لأنهم أحسن ما لدى من الجنود.

* الرئيس: ما هى الشروط الواجبة فى رجل العصابات؟

* الشاهد: يكون فدائياً وعلى بطولة كاملة وإمام ببعض العمليات العسكرية كسفن الطرق

ووضع ألغام فى طرق العربات - مهاجمة - كمين . . . إلخ.

* الرئيس: هل زرت معسكر الإخوان المسلمين بفلسطين؟

* الشاهد: أنا أعطيتهم أسلحة لمقاومة العدو وذلك تكملة لسلاحهم.

٤- شهادة السيد أمين الحسينى مفتى فلسطين:

* سأله الأستاذ حسن العشماوى المحامى عن دور الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين . . .

فأجاب بأن الإخوان كان لهم دور كبير منذ البداية، فقاموا بالدعاية للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٣٦ م وأثناء الجهاد جمعوا أسلحة وذخيرة واستمروا على خدمة القضية بأقصى جهدهم.

وقال: كانوا يعاونون المرحوم عبد القادر الحسينى فى جمع الذخائر ويساهمون فى دفع

ثمنها، ومنهم «الصباغ» المتهم . . . فقد اشترى بثلاثة آلاف جنيه أسلحة وقام بتسليمها للهيئة العربية العليا» كما استشهد فريق منهم فى معركة القسطل.

ولقد استمروا على ذلك بعد دخول الجيوش النظامية، كما استمرت الهيئة العربية فى جمع

الأسلحة، فبعد دخول الجيوش العربية فلسطين زارنى المرحوم الشيخ حسن البنا وقال لى ما

ينم عن قلقه من موقف التخاذل الذى اتخذته جيوش بعض الدول العربية، وما لمسه من

دسائس تحاك فى الظلام، لتودى بقضية فلسطين بسبب الدسائس والتخاذل من «البعض».

وابتسم سعادة رئيس المحكمة لكلمة «البعض» فابتسم سماحة الشاهد بدوره .

•• عشرة آلاف متطوع؛

ومضى سماحته يقول : إن الشيخ البنا قال إنه لا بد من عمل حاسم ، وإنه سيقوم على الفور بإعداد عشرة آلاف متطوع من الإخوان ليشاركوا مع المجاهدين في الميدان ، وإنه سيعرض الأمر على الحكومة حتى تمدهم بالسلاح ، فإذا تعذر ذلك فإنه سيصدر أوامر إلى كل شُعبة للإخوان بأن تتولى تسليح متطوعيها بسلاح تشتريه .

•• لم يمكن إرسالهم؛

وتابع كلامه بقوله : إنه متأكد من أن الشيخ البنا كان مصمماً على تنفيذ هذه الفكرة ، وأنه في سبيل تنفيذها اتصل بكافة الشُعب لتجميع الأسلحة ولتدريب المتطوعين . ويبدو أن العقبة كانت في أنه لم يكن من المستطاع إرسالهم .

وقال : إن الإخوان عملوا على شراء الأسلحة حتى بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين ، بسبب خيبة الآمال في بعض الجيوش العربية لتخاذلها .

•• لا تتوسل بالعنف؛

وسأله الأستاذ مختار عبد العليم عن رأيه في هيئة الإخوان المسلمين وأهدافها ووسائلها وعمّا إذا كان من بين وسائلها العنف والإرهاب؟ فقال : أعتقد أن الإخوان المسلمين هيئة إسلامية تعتنق المبادئ الإسلامية وتحمل دعوتها . وتعمل على إنشاء جيل على مبادئ الإسلام وأخلاقه ، وذلك لصالح المسلمين وغير المسلمين ، ولا أعتقد أنها تتوسل بأي عمل يخالف الشرع كاستعمال العنف .

•• كيف يمكن إنقاذ فلسطين؛

ووجه إليه الأستاذ مختار عبد العليم السؤال الآتي : بوصفكم المسئول الأول عن القضية الفلسطينية هل يمكن أن تشرحوا لنا الطريقة المثلى لإنقاذ فلسطين؟

عضو اليمين - يعني الجهاد الشعبي هو الأفضل أم المجهود الحكومي؟

الشاهد: إن اللجنة العسكرية المختصة قررت سنة ١٩٤٧م الخطة المثلى ، وذلك في اجتماع الجامعة العربية في عالية بلبنان . وأسس هذه الخطة هو التعويل على عرب فلسطين أنفسهم في الدفاع عنها ، على أن تعاونهم الدول العربية بتسليحهم وتدريبهم وتحصين قراهم . أي تضعهم في نفس الوضع الموضوع فيه اليهود في فلسطين .

ولقد وافق مجلس الجامعة على تقرير هذه الخطة بالتعويل على عرب فلسطين ثم المتطوعين ، أما الجيوش العربية فتقف على الحدود مترقبة .

● لماذا عدل عن هذه الخطة؟

كانت هذه هي الخطة المثلى المتفق عليها . . ولكن حدث بعد ذلك أن قدمت إحدى الدول الأجنبية مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة . وبذلك أوقف تسليح عرب فلسطين وتدريبهم وتحصينهم ، وترتب على ذلك العدول عن الخطة المثلى .

ومضى سماحته فقال : إن كفاح فلسطين بين عقيدتين متعارضتين ، العقيدة العربية والعقيدة الصهيونية ، فالسلاح الأول في هذه المعركة إنما هو الإيمان والعقيدة .

ولقد فطن الأعداء إلى هذه الحقيقة ، فوجهوا كل همهم إلى إبعاد العناصر المؤمنة عن ميدان المعركة . ثم تنوا بالسعى لإبعاد الفريق الثاني في الأهمية وهم المتطوعون من العرب كالأخوان وغيرهم ، وذلك حتى يخلو الميدان فلا يبقى فيه إلا الجنود النظامية . وبذلك استطاعوا أن يأمنوا . . إذ أبعدها العناصر المصممة تصميماً أبدياً على الكفاح .

ثم أجاب سماحته بناء على مناقشة الدفاع أنه لم يفهم من النقراشى باشا حقيقة الدفاع إلى مصادرة السلاح ، وأن النقراشى باشا لم يخبره بأنه يخشى من تسرب جانب من أسلحة مخازن الهيئة العربية لاستعمالها في حوادث داخلية .

● أهم مرافعة في هذه القضية:

ترافع في هذه القضية الأستاذ عبد المجيد نافع والأستاذ هنرى فارس والأستاذ شمس الدين الشناوى والأستاذ حنفى عبود والأستاذ طاهر الخشاب والأستاذ فتحى رضوان وغيرهم ، ولكننى سأذكر مرافعة الأستاذ شمس الدين الشناوى لأهميتها وذلك لأن هذه المرافعة قد كشفت أهم وأخطر وثيقة وقتذاك .

● مرافعة الأستاذ شمس الدين الشناوى:

في جلسة بتاريخ ٢١ / ١ / ١٩٥١م أمام محكمة الجنايات بالقاهرة . . قام الأستاذ شمس الدين الشناوى مترافعاً في قضية السيارة الجيب ورداً على ادعاء النقراشى باشا وإصراره على أنه هو الذى أصدر أمر حل جماعة الإخوان المسلمين من تلقاء نفسه وأن أحداً لم يتدخل فيه ولم يوعز به .

حيث قال : إنهم أدخلوا الجيش المصرى فلسطين حتى يتذرعوا بذلك لإعلان الأحكام العرفية حتى يتمكنوا فى ظلها من ارتكاب جريمة حل الإخوان المسلمين .

•• الوثيقة:

أثناء هذه المرافعة رفع الأستاذ شمس الدين الشناوى يده ملوحاً وبها ورقة في حجم الكارت البوستال وقال: [هذه هي الفضيحة الكبرى، وهذا هو الدليل المادى الذى ينطق بالحق، وهذه هي وثيقة مكتوبة باللغة الإنجليزية] وسلمها للمحكمة.

وأخذ يتلو الوثيقة باللغة العربية. وهي عبارة عن رد من القيادة العليا للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط على إشارة وردت إليها من السفارة البريطانية، وتقول القيادة فى الوثيقة: [لقد أخطرت هذه القيادة رسمياً بأن خطوات دبلوماسية ستتخذ لإقناع السلطات المصرية بحل الإخوان المسلمين فى أقرب وقت ممكن].

وقد ذيلت هذه الوثيقة بإمضاء رئيس إدارة قوات القيادة العليا الحربية البريطانية فى الشرق الأوسط.

وفى جلسة ١٠/٢/١٩٥١م قدم ممثل النيابة كتاباً من السفارة البريطانية يكذب الوثيقة. ولكن من جانبه أكد الأستاذ شمس الدين الشناوى صحة هذه الوثيقة وأنها قد صدرت من القيادة العليا البريطانية فى الشرق الأوسط، وهي مذيلة بإمضاء «السير ماك درموث» قائد القوات البريطانية. . وأن المهم هو معرفة حقيقة هذا الإمضاء - وأمام هذه الأمر لا يصدر التكذيب إلا من صاحب التوقيع الفعلى، وهو بنفسه الذى يحق له إنكار الوثيقة. . وعليه فإن تكذيب السفارة البريطانية لا يفيد من قريب أو بعيد.

واستطرد الأستاذ شمس الدين الشناوى قائلاً: نحن واثقون من صحة الوثيقة التى تقدمنا بها ولدينا من الأدلة (يقصد وثائق أخرى) ما يؤيدها ويعززها ولسوف نقدمه لكم فى القريب.

حيثيات الحكم:

فى ١٣/٤/١٩٥١م نشرت الصحف حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب على النحو التالى:

(المحكمة تعلن - وهي مطمئنة - أن تعديباً وقع على المتهمين).

(كان التحقيق فوضى، تارة تتولاه النيابة، وأخرى يتولاه عبد الهادى باشا).

(المحكمة تشيد بمبادئ الإخوان المسلمين، ولكن المتهمين انصرفوا عنها بدوافع وطنية كأبناء بلد محتل مغلوب على أمره، وتحت تأثير كارثة فلسطين).

وقع أمس سعادة أحمد كامل بك رئيس دائرة الجنايات المكونة من سعادته وعضوية محمود عبد اللطيف بك ومحمد زكى شرف بك، حيثيات حكمها فى قضية السيارة الجيب، التى كان متهمًا فيها ٣٢ شخصًا من الإخوان بالاتفاق الجنائى العام على قلب نظام الحكم وإحراز الأسلحة، وقضى ببراءة ١٤ متهمًا وبحبس الباقين مددًا تتراوح بين ثلاث سنوات وستة واحدة - ويقع الحكم فى ٣٨٥ صفحة فلوسكاب . وقد بدئ بأسماء المتهمين والتهم المنسوبة إليهم وبيان الأوراق والأسلحة التى ضبطت ثم جلسات المحاكمة - ثم أشار إلى اعترافات عبد المجيد حسن قاتل النقراشى - ثم عرض إلى اعترافات عبد الرحمن عثمان .

•• اعترافات مصطفى كمال:

ثم انتقل الحكم إلى سرد اعترافات مصطفى كمال عبد المجيد - المتهم الأول فى قضية الاعتداء على حامد جودة - المتضمنة أنه تعرف بالمتهم الأول أحمد عادل كمال، وأنه كان يتردد على شعبة الظاهر، وعلم أن محمود الصباغ اشترى سيارتين من سيارات الجيب عهد بإصلاحهما لأنيس أنس، وأنه اشترك مع أحمد عادل كمال فى نقل أوراق من أحد المنازل بالسيارة - وبعد ذلك ضبط مع بعض المتهمين أثناء وجودهم فى السيارة الجيب بالوايلى، ولكنه استطاع الهرب داخل القاهرة، وظل مختفيًا تحت أسماء مستعارة - وأنه دبر هو وزملاؤه مؤامرة لقتل إبراهيم عبد الهادى باشا، ولكن تصادف مرور سيارة الأستاذ حامد جودة فظنوه عبد الهادى باشا وألقوا على سيارته القنابل بمصر القديمة .

•• عدم تعرف المعترف:

وأشارت المحكمة إلى أنه بناء على الاعترافات صحب المحقق هذا المتهم المعترف للإرشاد عن منزل أحمد عادل كمال الذى يُردد فى اعترافاته، فإذا به لا يستطيع الإرشاد، بل أرشد عن منزل آخر تبين أن صاحبه لاصلة له بالحادث .

•• اعترافات صنعها التعذيب:

ثم تناولت المحكمة عدول هذا المتهم عن اعترافاته، وقوله إن أقواله المذكورة لم تصدر منه على الاطلاق، وأنه عُدب فور القبض عليه فى ٥ مايو ١٩٤٩م على أثر محاولة الاعتداء على الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب وقتئذ، وأن التعذيب ترك بجسمه آثارًا . وأن المحكمة استجابت لطلب الدفاع بضم التقرير الطبى الشرعى عنه .

•• سبغ نذب بعد عدة شهور:

تم استطراد الحكم يقول: إنه بمراجعة التقرير الطبي تبين أن الكشف على المتهم المذكور إنما تم بعد خمسة أشهر من وقوع التعذيب المدعى به، وقد وجد بساعده وعضده سبغ نذب لشقوق يتراوح طولها بين سنتيمترين وستة سنتيمترات، وأنها قد تكون معاصرة للوقت المدعى بحصول الاعتداء فيه كما قد تكون سابقة لهذا التاريخ، وأنه لا يوجد لدى الطبيب ما يساعده على الجزم بأن هذه الآثار ناشئة بالذات عن ضرب الكرياج، ومن الممكن تخلفها من الاحتكاك بأجسام صلبة أيًا كانت طبيعتها.

•• لولا قرار المحكمة:

ثم استطردت المحكمة معلنة رأيها في هذه الواقعة قائلة: إنه ثابت في صدر التقرير الطبي أن هذا المتهم مصطفى كمال عبد المجيد عندما كشف عليه تنفيذاً لقرار المحكمة العسكرية العليا في ٨ أكتوبر ١٩٤٩م لم يكن أحد قد عنى من قبل ذلك بإحالاته إلى الكشف الطبي.

•• في قبضة البوليس:

وأنه لا نزاع في أن المتهم المذكور كان في قبضة رجال البوليس وتحت سلطتهم في الفترة ما بين ٥ مايو ١٩٤٨م وهو تاريخ القبض عليه وبين ١٠ أكتوبر ١٩٤٩م وهو تاريخ الكشف الطبي عليه.

•• حيموتوني يا باشا:

وحيث إن دولة إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس مجلس الوزراء وقتذاك قد أدلى بأقواله أمام هذه المحكمة بجلسة ١٨ ديسمبر ١٩٥٠م وجاء فيها أنه عندما وصل إلى علمه نبأ محاولة الاعتداء على حياة رئيس مجلس النواب السابق انتقل إلى قسم مصر القديمة، وهناك رأى مصطفى كمال عبد المجيد مقبوضاً عليه، وأنه استغاث بدولته قائلاً: في عرضك أنا عطشان حيموتوني. فسأله دولته عن الحادث واشترآكه فيه فأقر بما ارتكب.

•• الشعب المعتدى:

وأضاف عبد الهادي باشا إلى أقواله أنه علم أن الأهالي اعتدوا على مصطفى كمال عبد المجيد عقب القبض عليه.

•• استغاثتها دلائلها:

وعلقت المحكمة على هذه الشهادة من إبراهيم عبد الهادي باشا قائلة: إن عبارات الاستغاثة التي أسندها دولة إبراهيم عبد الهادي باشا إلى المتهم إن دلت على شيء فإيما تدل

على أن المتهم كان محل اعتداء بعد القبض عليه وبعد أن أصبح تحت سلطان رجال البوليس وحدهم في دار القسم وبعيداً عن تناول الأفراد .

•• لو كان في مأمن:

ولو أن هذا المتهم كان بعد القبض عليه في مأمن من أى اعتداء لكانت استغاثته بدولة عبد الهادى باشا غير مستساغة ولا معنى لها .

•• من هم عبد الهادى باشا:

وحيث إنه من هذا ترى المحكمة أن هذا المتهم كان محلاً للاعتداء في دار قسم مصر القديمة بعد القبض عليه ، وأن العبارات التى قال رئيس مجلس الوزراء الأسبق أنه قاه بها إنما تدل على أن الاعتداء كان شديداً .

•• المحكمة تعلن ثبوت التعذيب:

واستطردت المحكمة تعلنها مدوية : إن المحكمة تستطيع أن تقرر وهى مطمئنة أن الأثار التى شوهدت بجسم مصطفى كمال عبد المجيد بعد ما يزيد على خمسة أشهر من وقت ضبطه ، يمكن إرجاعها كلها أو بعضها على الأقل إلى ما كان يقارفه من تولوا ضبطه والحفاظة عليه من رجال البوليس .

•• وتعلن بطلان الاعترافات:

وتطردت المحكمة مرتبة على هذا رأى الخطير نتيجة خطيرة فقالت : حيث إن ما أدلى به هذا المتهم فى التحقيقات الخاصة بهذه القضية - قضية السيارة الجيب - عن قيادته للسيارة الجيب مع بعض المتهمين ونقل أوراق وغير ذلك من وقائع إنما كلها أتى بعد وقوع الاعتداء عليه إثر ضبطه ، ولذا فإن المحكمة لا تطمئن إلى أقواله جميعاً . وترى أن تسقطها من حسابها عند الكلام على الدليل .

•• تسليم النيابة بالإصابات:

ولقد أرفق ممثل الاتهام الخطابات التى كتبها أحمد عادل كمال وزملاؤه بالتحقيقات وأن إرفاق هذه الخطابات دون سؤال مرسلها يدل على ما ورد بها عن إصابتهم - أيًا كان سببها - كان أمراً مسلماً به . ويدل على ذلك شهادة دولة إبراهيم عبد الهادى باشا عن استغاثته مصطفى كمال عبد المجيد به - ولا محل لسماح شهادة ممثل الاتهام عن هذه الواقعة وقد تبينت المحكمة حصول اعتداء عليه داخل القسم .

•• تعذيب في صالون:

ثم انتقل الحكم بعد ذلك إلى الكلام عن المتهم عبد الرحمن عثمان فتناول الواقعة الخاصة بتعذيبه في ١١ يوليو ١٩٤٩م بقصد الاعتراف أمام المحقق في اليوم التالي، وواقعة أن إبراهيم عبد الهادي باشا اصطحبه معه في صالونه الخاص في سفره إلى الإسكندرية.

•• ظروف:

ثم استطردت المحكمة تقول: إنها ترى قبل الكلام على الأدلة القائمة قبل هذا المتهم أن تعرض للظروف التي تم فيها ضبطه، ثم الظروف التي أدلى فيها بأقواله سواء أكان ذلك في التحقيقات أو بمحضر جلسة قضية مقتل النقراشي باشا.

•• إنكار يتهار فجأة:

وأشارت إلى القبض عليه وتمسكه بالإنكار ثم تقديمه طلباً إلى النيابة بأنه يريد الاعتراف. وأبرزت ظروف ذلك مقررة أنها تلاحظ أن آخر استجواب للمتهم قبل اعترافه كان بتاريخ ١٩٤٩/٦/٢٥م وقد ووجه بجانب من تقرير الخبراء من أن التقارير المضبوطة في المحافظة بخطه وأصر رغم ذلك على الإنكار ولم يجد جديد في شأنه حتى تقدم بالطلب المؤرخ ١١ يوليو ١٩٤٩م عن طريق السجن يريد الاعتراف.

•• تعليل النيابة غير معقول:

وحيث إن النيابة في مرافعتها قالت إن المتهم تبين بعد ورود التقرير بخطه أن إنكار الحقيقة لم يعد مجدياً. وهذا القول مردود، لأن المتهم ووجه بتقرير الفحص فأصر على الإنكار. ثم كان الطلب بعد أن أصر بنحو ٢٦ يوماً دون أن يجد جديد، فلم يواجه مثلاً بأقوال شاهد أو بأقوال متهم معترف عليه، بل إن الطلب قدم دون أسباب أو مقدمات.

•• سر له أثر حاسم:

وحيث إن الثابت من الاطلاع على دفتر سجن الأجانب أن المتهم خرج منه مع أحد ضباط القسم السياسي وقضى ٦ ساعات في دار المحافظة ثم ظهر أنه قدم الطلب الذي يبدي فيه رغبته للاعتراف في نفس هذا اليوم. وأن الطلب كتب بعد عودته من المحافظة، وذلك ينطوي على مسألة قد يكون لها أثر حاسم في القضية محل التحقيق.

•• خفايا المحافظة:

وحيث إنه لا يوجد في الأوراق ما يكشف عن حقيقة ما دار في الفترة التي قضاها المتهم في

دار المحافظة، ولم يتحدث أحد بما حصل سوى الدفاع عن المتهم الذى قرر أنه عذب واستكتب طلباً بالاعتراف .

●● الاعتراف أقل ما يقال:

وألقت المحكمة برأيها فى هذه الواقعة، فأعلنت أن أقل ما يقال فى هذا الشأن أن المتهم كان تحت تأثير اعتداء أو تحريض من رجال البوليس لدفعه إلى كتابة ما كتب وللإدلاء بعد ذلك بما أدلى من اعتراف فى ١٣ يوليو ١٩٤٩ م.

وحيث إنه ما يلفت النظر، أنه فى اليوم التالى للاعتراف أخرج عبد الرحمن عثمان من السجن مرة أخرى (لتوصيله لنيابة الاستئناف) ولكنه لم يصل إلى النيابة .

وقد دعا الدفاع إبراهيم عبد الهادى باشا للإدلاء بأقواله أمام هذه المحكمة . وكان من بين ما قرره أن المتهم ركب معه القطار فى ذلك اليوم واستجوبه لفترة قصيرة بشأن اعترافه على قريب له هو ابن محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية، وذلك لكى يتحقق دولة الشاهد - وهو الحاكم العسكرى العام - من صحة هذا الاعتراف ويتصرف على مقتضى ما يصل إليه فى هذا الشأن - واستطرد دولة الشاهد فقال إنه بعد أن سمع من المتهم ما أراد سماعه صرقه ولا يعرف ما تم فى أمره بعد ذلك .

وأمسكت المحكمة بهذه الرواية من إبراهيم عبد الهادى باشا لتبدي رأيها فيها قائلة: إن ما قرره دولة إبراهيم عبد الهادى باشا بشأن ابن محمود يوسف باشا لم يكن شيئاً فى أوراق هذه القضية . ولم يخطر دولته المحقق بهذه المقابلة وبما تم فيها .

وانطلق الحكم يدوى بكلمة المحكمة: وحيث إنه مع التسليم بأن من حق الحاكم العسكرى أن يدعو الأفراد ويستجوبهم بنفسه وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالمحافظة على الأمن العام، إلا أن ما تم بشأن هذا المتهم بالذات يدعو إلى إمعان النظر .

فلقد أخرج المتهم من السجن بحجة توصيله إلى نيابة الإستهئناف - ولم يصل ذلك اليوم على الإطلاق - واقتيد إلى محطة القاهرة حيث ركب القطار والتقى بدولة رئيس مجلس الوزراء وقتذاك وكان ما كان بينهما مما رواه دولة الشاهد الذى لم يعن بإثبات ما تم بينه وبين المتهم أو تبليغ المحقق أمر هذه المقابلة .

●● وواصل الحكم يجهر برأيه عن هذه الواقعة يسجل قائلاً:

وحيث إنه مهما يكن من سلطان الحاكم العسكرى فى هذا الشأن، فإن حريات الأفراد

يجب أن يكون لها حدود تقيها من العبث أياً كان مصدره، وألا يترك أمر استجواب المتهمين المقبوض عليهم فوضى يتولاه تارة المحقق، وطوراً الحاكم العسكري صاحب السلطان الأكبر. . . وذلك في غيبة المحقق وعلى غير علم منه دون إخطاره بشأن الاستجواب.

•• اعترافات فاسدة:

وانتهت المحكمة من هذه الصيحة المدوية إلى القول بأنها ترى أن كتابة المتهم الطلب الخاص بالاعتراف ثم اعترافه، كل هذا شابه عوامل غير عادية قد تكون تعذيباً كما زعم المتهم أو على الأقل إغراء وتحريضاً. وهذه الأقوال لا تعول عليها المحكمة وتعدّها مهذرة.

وحيث إن هذه المحكمة ترى أن إطلاق يد البوليس في مقابلاتهم للمتهمين، يلقونهم متى يشاءون، ويخرجونهم من السجن متى أرادوا، ويعيدونهم ثانياً طبقاً لأهوائهم، ودون رقابة من رجل النيابة المحقق. . . هذه السلطة المطلقة لا تتفق مع ما كفله القانون للمتهم من حرية الدفاع عن نفسه والإدلاء بأقواله في جو بعيد عن شتى المؤثرات.

•• حيثيات المحكمة بشأن جماعة الإخوان المسلمين:

وحيث إنه تبين للمحكمة من الأوراق المقدمة من الدفاع وما ضبط في دار المركز العام للإخوان المسلمين أنه في عام ١٩٢٨م أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين ووضع لها مع آخرين قانوناً جاء فيه: «أن الغرض منها تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويعمل بتعاليمه وأن وسائلها لتحقيق هذا الغرض هي تغذية الفضائل الخلقية وإحياء الشعور بكرامة الأمة وتحرير النفوس من الضعف والتحذير من الاندفاع في حياة المتعة والترف ونشر الثقافة والمحافظة على القرآن ومحاربة الأمية وتأسيس المنشآت النافعة للأمة كالمستوصفات الطبية ومحاربة الآفات الاجتماعية كالمخدرات والمسكرات والمقامرة والبغاء، وتشجيع أعمال الخير وتقوية روابط التعارف بين الشعوب الإسلامية، مع تنمية روح التعاون والاقتصاد والنشاط عن الإسلام ومقاومة كل عدوان يراد به، وتقوية الروح الرياضية في نفوس الشباب.

تم تحت القانون عن الوسائل التي تتبعها الجماعة لتحقيق الأغراض السابقة الذكر، فقال إن الدعوة بطريق الشر والتربية الدينية والروحية والمدنية الصالحة، مع تثبيت معنى الأخوة الصادقة والتعاون ليكون رأى عام موحد، مع وضع المناهج الصالحة في كل شئون المجتمع من تربية وتعليم وتشريع وغيرها، والتقدم بهذه المناهج إلى الجهات المختصة والوصول بها إلى الهيئات النيابية والشريعة، والتنفيذية في الدولة، لتخرج من دور التفكير النظري إلى دور

التطبيق العملى، ومن بين الوسائل أيضاً العمل على إنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية وعلمية ودينية وتأليف لجان لتنظيم الزكاة وأعمال البر، ومقاومة الآفات الاجتماعية وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة وشغل وقت الفراغ بما ينفع، وتنشأ لذلك أقسام مستقلة طبقاً للوائح وخاصة القانون ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم الجمعيات الخيرية، وأعمال البر وتسجيلها بوزارة الشؤون الاجتماعية، وجاء فى القانون أيضاً أن الأعضاء يستعينون بكل وسيلة مشروعة أخرى.

فيتبين مما تقدم أن الجماعة حريصة على أن تسجل فى قانونها التزام الأوضاع الدستورية لتحقيق أغراضها:

وانتقل بعد ذلك إلى القول بأن للجماعة هدفين أساسيين هما:

- ١- تحرير الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى.
 - ٢- أن تقوم فيه دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتبلغ دعوته للناس.
- ثم تحدث عن الأهداف الخاصة فقال: إنها إصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة.

ثم انتقل المرشد بعد ذلك إلى تحديد الوسائل فقال: إن الخطب والأقوال لا تجدى ولا تحقق غاية، ولكن الوسائل التى لا تتغير ولا تتبدل هى:

١- الإيمان العميق.

٢- التكوين الدقيق.

٣- العمل المتواصل.

ثم قال بعد ذلك تحت عنوان (العقبات فى طريقنا):

أحب أن أصارحكم أن دعوتكم مازالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة. ونبه أعضاء الجماعة إلى ما عساه أن يلقوه من مشقات فى سبيل الوصول إلى أهدافهم، شأنهم فى ذلك شأن أصحاب الدعوات، مشيراً فى تفصيل العقبات إلى أن الحكومة ستقف فى وجوههم محاولة الحد من نشاطهم، كما أن الغاصبين سيتذرعون بكل طريق لمناهضة الجماعة وإطفاء نور دعوتهم، يستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة.

ثم طالب الإخوان بعد ذلك بقوله: إنهم ليسوا جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً.

وانتهى كتاب المرشد العام بتنبية الإخوان إلى الإيمان بالله ولا يخافون غيره ولا يرهبون سواه وأن يؤدوا فرائضه ويتجنبوا نواهيه ويتخلقوا بالفضائل، ويتمسكوا بالكمالات ويتدارسوا القرآن والسيرة النبوية وأن يكونوا عمليين لا جدليين .

•• مناقضة أدلة الاتهام:

قالت المحكمة:

حيث إن الاتهام وقد عزا إلى جماعة الإخوان المسلمين السعى إلى قلب نظام الحكم بالقوة وقال إن الإدارة التي أعدوها لتحقيق هذه الغاية هي جماعة إرهابية دربت وأعدت وسميت بالنظام الخاص .

وهذا الذي صورته الاتهام فيه خلط بين أمرين:

الأول: التدريب على استعمال الأسلحة وحرب العصابات .

الثاني: ذلك الاتجاه الإرهابي الذي انزلق إليه بعض المتطرفين من أفراد تلك الجماعة، وكان من أثر هذا النظر أن انتهى الاتهام إلى القول بأن النظام الخاص بجملته نظام إرهابي .

وحيث إن المحكمة ترى التفرقة بين الأمرين، فالنظام الخاص يرمى إلى إعداد فريق كبير من الشباب إعداداً عسكرياً تطبيقاً إلى ما دعا إليه مؤسس هذه الجماعة في رسائله المتعددة من أن الأمر أصبح جدّاً لا هزلاً، وأن الخطب والأقوال ما عادت تجدى، وأنه لا بد من الجمع بين: (الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل)، وأن حركة الإخوان تتم بثلاثة مراحل:

- ١- مرحلة التعريف . . بنشر الفكرة .

- ٢- مرحلة التكوين . . لاستخلاص العناصر الصالحة لأعباء الجهاد . . ، ونظام الدعوة في هذا الطور مدني من الناحية الروحية وعسكري من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائماً: (أمر وطاعة من غير بحث ولا مراجعة).

- ٣- مراحل التنفيذ . .

وهذا الإعداد دائماً قصد به تحقيق ما ورد صريحاً في قانون الجماعة من أن من بين أهدافها تحرير وادي النيل والبلاد الإسلامية . .

وهذا النظام الخاص بحكم هذا التكوين لا يدعو إلى الجريمة، ولا يعنيه أن فريقاً من أفرادها كونوا من أنفسهم جماعة اتفقوا على أعمال القتل والتدمير .

● المحكمة تبرئ النظام الخاص من كل اتهام؛

وقالت المحكمة :

وحيث إن هذا النظر تأيد من وجود كتب عسكرية مما يدرس للجيش تشمل فضلاً عن شرح أنواع الأسلحة والتدريب على استعمالها واقتناص الدبابات وتدميرها ووضع الألغام ونزعها وكل هذه الأمور لا تطلبها أعمال فئة إرهابية إنما يستلزمها مقاومة من يستعمل تلك الأسلحة .

وحيث إنه مما يدل على أن النية لدى أفراد هذا النظام الخاص كانت متجهة إلى مقاومة جيش الاحتلال، أن بعض ما ضبط في السيارة من أوراق وقتها أوراق تخص على أعمال الفدائيين أشير فيها إلى أن الصداقة البريطانية المصرية مهزلة وأن الإنجليز يظنون شعوب الشرق مسألة ساذجة، حيث تحدث كاتب هذه الأوراق عن التدريب على زجاجة مولوتوف، وعرقلة المواصلات وتعطيل وسائل النقل الميكانيكية والقوات المدرعة، وانتهى إلى القول في صراحة إنهم إنما يقاومون العدو الغاصب، كما جاء في أوراق أخرى ما يدل على هذا الاتجاه طبقاً لما سبق أن أثبتته المحكمة مفصلاً عند استعراض الأوراق المضبوطة .

وحيث إن أثر هذا التدريب الروحي والعسكري قد ظهر عندما قامت مشكلة فلسطين وأرسلت الجماعة الكثيرين من متطوعيها للمقاتل إذ شهد أمام المحكمة كل من اللواء أحمد بك المواوي القائد الأول لحملة فلسطين واللواء أحمد فؤاد صادق باشا الذي خلفه، بما قام به هؤلاء المتطوعون من أعمال دلت على بسالتهم وحسن مرانهم وسمو روحهم المعنوية وإلمامهم بفنون حرب العصابات .

وحيث إنه يخلص مما تقدم أنه لا التنظيم العسكري ولا ماورد في الأوراق المجهول كاتبها ما يدل على قيام اتفاق جنائي على قلب نظام الحكم .

وحيث إن التهمة الأولى الموجهة إلى المتهمين هي أنهم اشتركوا فيما بينهم ومع آخرين لم يُعلموا في اتفاق جنائي الغرض منه ارتكاب جرائم قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بالقوة وإتلاف سيارات وأسلحة الجيش المصري المعد للدفاع عن البلاد وتخريب المنشآت الحكومية وأقسام ومراكز البوليس ومحطات الإضاءة والمياه وغيرها، وتعطيل وسائل النقل العامة بنسف قطارات السكك الحديدية وجسورها وخطوطها ونسف الطرق والكبارى العامة وسيارات الأتوبيس، وتعطيل القوى الكهربائية المولدة لحركة خطوط ترام القاهرة وإتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية عمداً في زمن الفتنة وقتل خيول البوليس عمداً بدون مقتضى بطريق التسميم وجرائم أخرى بقصد الاستيلاء على الحكم بالقوة .

وحيث إنه سبق للمحكمة أن عرضت لجريمة قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بالقوة وانتهت إلى القول بأنها لا أساس لها .

وحيث إنه متى تقرر هذا كان إسناد الاتفاق الجنائي على ارتكاب تلك الجرائم إلى المتهمين على غير أساس، وترى المحكمة أن ماتم من اتفاقات جنائية على القتل والنسف والتدمير والسرقة إنما كان من متهمين معينين طبقاً لما يرد بيانه .

وحيث إنه مما تقدم يتبين أنه لم يكن من قصد المتهمين الاستيلاء على الحكم بالقوة، وإنما الثابت في حق بعضهم هو اتفاق جنائي على القتل والنسف والتدمير والسرقة طبقاً لما ستورده المحكمة من الكلام عن كل متهم على حدة .

وحيث إنه سبق للمحكمة أن استظهرت كيفية نشأة جماعة الإخوان المسلمين ومسارة فريق كبير من الشباب للالتحاق بها، والسير على المبادئ التي رسمها منشئها والتي ترمى إلى تطهير النفوس مما علق أو يعلق بها من شوائب، وإنشاء جيل جديد من إخوان مثقفين ثقافة رياضية عالية، مشربة قلوبهم بحب وطنهم والتضحية في سبيله بالنفس والمال .

ومضت تقول : وقد كان لا بد لمؤسسي هذه الجماعة لكي يصلوا إلى أغراضهم أن يعرضوا أمام هذا الشباب مثلاً أعلى يحتذونه، ووجدوه في الدين الإسلامي وقواعده التي تصلح لكل زمان ومكان، فأثاروا بهذا المثل العواطف التي كانت قد خمدت وخبثت في النفوس، وقضوا على الضعف والاستكانة والتردد، وهذه الأمور تلازم عادة أفراد شعب محتل مغلوب على أمره، فقام هذا النفر من الشباب يدعو إلى التمسك بقواعد الدين والسير على تعاليمه، وإحياء أصوله، سواء أكان ذلك متصلاً بالعبادات والروحانيات أو بأحكام الدنيا . ولما وجد أن العقبة الوحيدة في سبيل إحياء الوعي القومي في هذه الأمة هي جيش الاحتلال، الذي ظل بين المحتل وبين فريق من الوطنيين الذين ولوا أمر هذا البلد مباحثات ومفاوضات على إقرار الأمور ليخلص الوادي لأهله، ولم تنته هذه المفاوضات والمحاولات الكلامية إلى نتيجة طيبة . ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صاحبها من ظروف وملابسات .

ولما كان كل هذا . . . اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الإخوان، فبدلاً من أن يسيروا على القواعد التي رسمها زعمائهم والتي كانت قديرة حتماً على تربية فريق كبير من أفراد الشعب وتثقيفهم وإعلاء روحهم المعنوية . . . بدلاً من السير على هدى هذه المبادئ، أرادوا أن يختصروا الطريق - ظناً منهم أن أعمال العنف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير .

فأحدثت إرادتهم على القيام بأعمال قتل ونسف وغيرها مما قد لا يضر المحتلين بقدر ما يؤذى مواطنيهم . وذهبوا في سبيل ذلك مذهباً شائكاً، منحرفين عن الطريق الذي رسمه لهم رؤساؤهم والذي كان أساساً قوياً لبلوغهم أهدافهم بالطرق المشروعة .

وحيث إنه من هذا يتبين للمحكمة أن هذه الفئسة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة، وإنما انحرفوا عن الطريق السوى، فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درساً حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم .

•• درس وعوف:

على المحكمة أن تراعى في هذا الدرس جانب الرفق، فتأخذهم بالرفقة تطبيقاً للمادة ١٧ عقوبات نظراً لأنهم كانوا من ذوى الأغراض السامية التي ترمى أول ما ترى إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره .

•• النطق بالحكم في هذه القضية:

صدرت أكبر الصحف اليومية في ذلك اليوم السبت ١٨/٣/١٩٥١م صفحتها الأولى بالخط العريض وباللون الأحمر خبر الحكم في قضية السيارة الجيب - فقد كان لهذه القضية صدى داخل مصر وخارجها، وأثار عميقة في تاريخ مصر ومستقبلها، ودلالات بعيدة المدى . . . وقالت الصحيفة : كان المتهمون ينشدون نشيد السجون الذي ألفه أحدهم وهو :

الله أكبر في سبيل «أدخلنا السجون والمخرجون من الديار بلا ذنوب يجسون
الله أكبر وليكن بعد الحوادث ما يكون لا نستعين بغير ناصرنا وما نلقى يهون

الله أكبر في سبيل الله أدخلنا السجون

•• منطوق الحكم:

قالت المحكمة : من أجل هذا وبعد الاطلاع على المواد المشار إليها في هذا الحكم حكمت المحكمة حضورياً :

أولاً: بمعاينة كل من :

١- مصطفى مشهور مشهور .

٢- محمود السيد خليل الصباغ .

٣- أحمد محمد حسين .

- ٤- أحمد قدرى البهى الحارثى .
 - ٥- السيد فايز عبد المطلب .
- بالسجن لمدة ثلاث سنوات .
- ثانياً: بمعاقة كل من :
- ١- عبد الرحمن على فراج السندى .
 - ٢- أحمد زكى حسن .
 - ٣- أحمد عادل كمال .
 - ٤- محمود حلمى فرغلى .
 - ٥- محمد أحمد على .
 - ٦- عبد الرحمن عثمان عبد الرحمن .
 - ٧- جلال الدين ياسين .
 - ٨- محمد سعد الدين السنائيرى .
 - ٩- على محمد حسنين الحريرى .
 - ١٠- طاهر عماد الدين .
 - ١١- صلاح الدين عبد المتعال .
 - ١٢- جمال الدين طه الشافعى .
- بالسجن مع الشغل ستين .
- ثالثاً: بمعاقة :
- ١- محمد إبراهيم سويلم .
- بالحبس مع الشغل لمدة سنة واحدة .
- رابعاً: مصادرة السيارة المضبوطة وجميع الأسلحة والذخائر والمفرقات والآلات المفرقة المضبوطة .
- خامساً: براءة المتهمين جميعاً من التهمة الرابعة والخامسة بحيازة أجهزة وأدوات لمحطة إتاحة لاسلكية بدون إخطار .

سادساً: براءة كل من :

- ١- محمد فرغلي النخيلي .
 - ٢- محمد حسني أحمد عبد الباقي .
 - ٣- أحمد متولي حجازي .
 - ٤- إبراهيم محمود علي .
 - ٥- د . أحمد الملط .
 - ٦- جمال الدين إبراهيم فوزي .
 - ٧- السيد إسماعيل شلبي .
 - ٨- أسعد السيد أحمد .
 - ٩- محمد بكر سليمان .
 - ١٠- محمد الطاهر حجازي .
 - ١١- عبد العزيز محمد البقلي .
 - ١٢- كمال سيد القزاز .
 - ١٣- محمد محمد فرغلي .
 - ١٤- سليمان مصطفى عيسى .
- مما أسند إليهم .

صدر هذا الحكم وتلى علناً بجلسة يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩٥١م الموافق ٩ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ .

وحيث إن مدة الاعتقال أثناء المحاكمة قد قاربت مدة المحكمة فقد تم الإفراج عن جميع المتهمين ، وعلى رأسهم مصطفى مشهور .

•• أعضاء هيئة المحكمة ينضمون إلى جماعة الإخوان المسلمين؛

أعلن القضاة الذين نظروا وحكموا في قضية السيارة الجيب ، بعد أن استعرضوا الأوراق السرية لهذه القضية وثبت لهم بيقين من أعمال الرجال الذين قاموا على تنفيذ ما احتوت عليه هذه الأوراق من أفكار ومبادئ وخطط ، أنهم على الحق المبين ، هرعوا إلى الانضمام لصفوفهم ، وقد كانت قوى البطش تستنجد بهم لبخفوا حقيقة ظلمهم وطغيانهم ، ويستروا

خيانتهم وفجورهم ، تماماً كما فعل السحرة الذين استدعاهم فرعون من أعماق مصر ، أن
خروا ساجدين لله تبارك وتعالى معلنين إيمانهم بموسى وربه بعد أن استيقنوا من صدقه ،
وكفروهم بفرعون وجنده ، وقد ثبتت لهم حقيقة ضلالهم وكفرهم ، لم يمنعهم من ذلك ما
وعدهم به فرعون من أموال وسلطان إن كانوا هم الغالبين ولم يرهيبهم أن يقول لهم فرعون :
﴿ أمنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) قالوا لا ضير إننا إلى ربنا منقلبون (٢) إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا
خطايانا إن كنا أول المؤمنين ﴿ [الشعراء : ٤٩ - ٥١] .

فقد علم القاصي والداني بتصريح المستشار محمود عبد اللطيف عضو اليمين في هذه
المحكمة فور الانتهاء من نظر قضية السيارة الجيب حيث قال : « كنت أحاكمهم فأصبحت
واحدًا منهم » (١) ، كما علم القاصي والداني بتصريح المستشار أحمد كامل بك رئيس هذه
المحكمة بطلب التقاعد من خدمة هذه الحكومة الطاغية والانضمام إلى الإخوان المسلمين ،
وقد نفذ هذا الرجل العظيم ما صرح به فتقاعد فعلاً فور الانتهاء من نظر القضية وانضم إلى
الإخوان المسلمين واشتغل بالمحاماة في مدينة الإسكندرية ، وترافع ضد الحكومة في قضية
مقتل الإمام الشهيد حسن البنا .

يقول الأستاذ محمود الصباغ (٢) - أحد قادة النظام الخاص والمتهم في قضية السيارة الجيب
- لقد عمى البشر ذات يوم ، وأنا أشتغل بالتجارة في الشركة التي أسستها مع إخواني
(مصطفى مشهور وأحمد قدرى الحارثي) فور خروجنا من السجن وهي : (الشركة الشرقية
للتجارة والهندسة «ايتكو») وكان مقرها شارع شريف باشا في القاهرة في العمارة المشهورة
باسم عمارة شوشة المقابلة لوزارة الأوقاف ، حين رأيت المستشار أحمد كامل بك يهمل علينا
زائراً بالمعرض ، ولم يكن له من غرض إلا التعرف علينا عن قرب ، فظهر إعجابه بما قرأ وعرف
من حقائق عن جهود النظام الخاص ورجاله في الدفاع عن مصر خاصة وعن الأمة الإسلامية
عامة أثناء دراسته لقضية السيارة الجيب ومناقشته للمتهمين والشهود ، وتعرفه على الحقائق
التي عملت الدولة على إخفائها لتستر خيانتها وتخفي استيادها .

لقد انضم قضاة مصر إلى الإخوان رغم ما عانوه وهم يدرسون قضيتهم من قراءة الصفحات
الطوال والاستماع إلى المرافعات والمناقشات المضنية ، التي تحولت بفضل الله إلى متعة حقيقية لا

(١) انظر : صفحات من التاريخ - صلاح شادي - ص ٦٨ .

(٢) حوارات مع الأستاذ محمود الصباغ .

يشعرها إلا المؤمنون ، والذين يستعذبون الجهد والعناء ماداموا مخلصين في سبيل نصرته الحق والوطن والدين ، فلم يجدوا إلا افتراءات لا أساس لها إطلاقاً ، ووجدناهم يشيدون بشرف الغاية ونبل المقصد ، وصدق الوعد وبذل النفيس والغالى في حب الوطن والإسلام ، فأعلنوا ذلك كله على الملأ في حكمهم التاريخي ثم أصبحوا بعد ذلك من الإخوان المسلمين . وكان نصر الله للمؤمنين عظيماً .

● المستشار الذي حاكم الإخوان المسلمين أصبح واحداً منهم:

تحت هذا العنوان أجرت صحيفة أخبار اليوم تحقيقاً صحفياً في عددها الصادر بتاريخ ١٢/٧/١٩٥٢ مع رئيس المحكمة التي أصدرت حكمها في قضية السيارة الجيب «المستشار أحمد كامل بك» . .

الإسكندرية - مكتب أخبار اليوم:

بدأ الإخوان المسلمون في تعديل لائحة الجماعة ، وذلك على إثر صدور حكم مجلس الدولة ببطلان الأمر العسكري الصادر بحل الإخوان .

وقرر مكتب الإرشاد العام اتخاذ الإسكندرية حقلاً لأول تجارب اجتماعية من نوعها تقوم بها الجماعة . حتى إذا ما نجحت التجربة عممت هذه المشروعات في جميع بلاد القطر .

وقد اختيرت الإسكندرية بالذات لإجراء هذه التجارب الجديدة بعد أن انضم إلى الجماعة سعادة أحمد كامل بك الرئيس السابق لمحكمة جنايات مصر . الذي أصدر حكمه في قضية السيارة الجيب . . وقد اختير سعاده رئيساً للجنة الاستشارية للإخوان في العاصمة الثانية ، لبحث وينظم هذه التجارب على ضوء دراساته وتجاربه الماضية .

وسيشرف سعاده على تنفيذ هذه المشروعات التي وضعت لصالح الجماعة وهي :

١- الضمان الاجتماعي .

٢- التأمين الصحي والعلاجي .

٣- تنظيم جباية الزكاة وإنفاقها في وجوهها الشرعية .

● الرجل الذي غير مصير الإخوان:

وقبل عامين كان أحمد كامل بك هو الرجل الوحيد في مصر كلها ، بل في العالم العربي كله ، الذي يتحكم في مصير الإخوان المسلمين ، وكانت كلمة منه كفيلاً بالقضاء على المستقبل

السياسى للجماعة، وإغلاق فروعها وشعبها فى كل قرية ومدينة وفى سوريا ولبنان والباكستان، وفى كل قطر إسلامى وقتت عنده أو امتدت إليه الدعوة الجديدة .

... كلمة واحدة فقط كان يمكن أن تغير مصير الدعوة، وكان يمكن أن تؤدى إلى تشريد كل من يدين بمبدأ الإخوان . . وأبقى الرجل على الجماعة حتى قدر له أن يصبح واحداً منها، يساهم بجهده من أجلها بعد أن ظل مصيرها كله معلقاً به .

•• من فوق المنبر العالى:

وجلس الرجل فوق المنصة العالية أربعة شهور متتالية، يدرس برامج الجماعة، ويتعمق فى تحليل حقيقة أهدافها ومراميتها، وتلتقط أسماعه أوقالاً متناثرة فى ساحة القضاء، ليصدر بعد ذلك حكمه بأن الإخوان المسلمين جمعية إسلامية تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامى مثالى يحكمه الدين .

•• إذاعة السر:

هذه المراحل الثلاث المتضاربة بقيت سرّاً مكتوماً فى ضمير القاضى . حتى فتح قلبه «لأخبار اليوم» هذا الأسبوع ليروى القصة كاملة . . . قصة القضية التى غيرت مصير الإخوان، وغيرت أيضاً مصير القاضى نفسه . . . بحيث نقلته إلى الصف الأول من صفوف المكافحين، يجلس بينهم، بعد أن كانوا جميعاً يقفون بين يديه، وكان ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم رهن كلمة منه .

•• قصة الماضى:

وتبدأ القصة مع الرجل فى ماضيه البعيد عام ١٩٣٠، عندما خلع الأستاذ أحمد كامل روب المحاماة بعد ستة عشر عاماً ليرتدى وشاح القاضى .

وفى المنيا سمع لأول مرة عن هيئة دينية جديدة تسمى «الإخوان المسلمون» وكان يظنهم جماعة صوفية تشبع أفرادها بالتعصب الدينى وكراهية الأجانب وتخيل أن عملهم مقصور على حفلات الذكر . . . ولم يحاول أن يصل إلى حقيقة فى هذا الأمر، فلم يكن يعنيه منه شىء، وما خطر بباله يوماً أن الوصول إلى حقيقته سيكون شغله الشاغل .

•• كانت الفكرة تطاردنى:

وانتقلت نفس الفكرة معه من المنيا إلى بنى مزار وكلما تقلب بين بلاد القطر كانت الفكرة لا تزال مسيطرة عليه، أو كما يروى «كانت تتبعنى دائماً بل كانت تطاردنى . . هربت منها فى

إننا ولكنها لحقتني في أسيوط، وتعقبت خطواتي كلما ارتقيت درجة في السلك القضائي، كانت معي في طنطا ودمنهور والقاهرة. . ولم أكن أعرف أني سألتقى بهذه الفكرة التي رسبت في أعماقي في معركة حاسمة في محكمة جنایات القاهرة».

●● اللقاء الأول والأخير:

وسرح الرجل بفكره وهو يذكر قصة لقائه الأول بحسن البناء، وهو اللقاء الأخير أيضاً. وكان ذلك في الزقازيق عام ١٩٤٥م وقد أضحى القاضي الشاب مستشاراً في محكمة الجنایات.

●● بين العقل والقلب:

واستمع في هذا اليوم إلى حسن البناء وهو يتحدث عن العالم الإسلامي كما ينشده الإخوان المسلمون، وعن المجتمع المثالي إذا نفذت برامجهم. وشعر حينئذ أن الرجل خطيب ممتاز يؤثر في سامعيه. ولم يحاول أن يفاضل بين الخاطر الذي استقر طويلاً في عقله والخاطر الجديد الذي بدأ يطرق زوايا قلبه طرفاً رقيقاً هيناً ولكن في نعم حلو.

وبين العقل والقلب قام الكفاح أربعة أشهر حتى انتهى الاثنان إلى رأى واحد بعد أن جمعت أمامه، بل حُشدت له جميع بيانات حسن البناء وخطبه وأحاديثه الدينية ومذهبه السياسي، جمعتها له النيابة كمستندات ضد اثنين وثلاثين شخصاً من الإخوان المسلمين أو «الأعضاء الإرهابيين في الجماعة المنحلة» كما أطلق عليهم في ذلك الحين.

●● الفكرة السجينة:

وحلقت خواطر القاضي السابق بعيداً وهو يذكر تلك الأيام من شهر ديسمبر ١٩٥٠م: وكانت أمامنا أوراق كثيرة، ربما عشرة آلاف صحيفة، وربما تزيد على ضعف هذا العدد، وكنا مطالبين بأن نقرأها جميعاً.

وأقولها مخلصاً: لم يكن يعنينا كثيراً في هذه أمر هؤلاء الاثنين والثلاثين متهماً الذين وقفوا يحملقون فينا وراء القضبان. . بل كان يعنينا كثيراً تلك الفكرة السجينة خلف هذه القضبان، ما هي؟ ما حقيقتها؟ ما وراءها من آمال ومطامع؟ إن صح أن للدعوة مطامع على الإطلاق عدا المثالية في مجتمع مأساته الأولى أخلاق بنيه.

كانت الفكرة السجينة هي هدف المحاكمة الأول. كنا نريد أن نحكم لها أو عليها. . فإما أن

يتاح لها أن تظل برأسها على مصر والعالم من جديد، وإما أن تلفظ أنفاسها صريعة داخل القضبان.. حيث يطويها العدم والفناء.

كان يعنينا كثيراً مصير عشرات الألوف بل ومئات الألوف من «رهبان الليل وفرسان النهار» كما قالت عنهم الصحف ووكالات الأنباء، وكان علينا أن نقرر مرة واحدة وإلى الأبد: هل هؤلاء جميعاً يسعون إلى قلب نظام الحكم وإتلاف أسلحة الجيش المصري وتخريب المنشآت الحكومية ونسف الطرق والكبارى والسرقة المسلحة؟.. وما أكثر ما وجه إلى هؤلاء الأبرياء.. الذين أصبحت واحداً منهم.

•• الحقائق المطلقة للقاضي:

إن الحقائق نسبية لجميع البشر إلا للقاضي. فإنه لا يعرف إلا حقيقة واحدة مطلقة. وأقل شك لديه يغير مصير حياته والحيوات الأخرى المتعلقة بكلمة القدر التي تنطق بها شفتاه.

كنت حريصاً على أن أقرأ كل شيء. فتتبعت نشأتهم وأحسست إذ ذاك بروحي تجوب معهم شوارع الإسماعيلية في عام ١٩٢٨م، ثم ترك المدينة الضيقة لتضيء كل مكان في مصر، وحتى في ميدان القتال على أرض فلسطين.

واستمعت إلى أحد الشهود.. ولم أستطع أن أنسى شهادته إلى الآن.. ما أكثر ما ناقشته في تلك الأيام.. وكنت أنا وهو حريصين على أن نصل إلى الحقيقة كاملة.. وعرفنا الحقيقة الكاملة، أنا وزميلى اللواء أحمد على المواوى بك قائد حملة فلسطين، الذى انضم إلى الإخوان المسلمين فى الشتاء الماضى عضواً فى اللجنة الاستشارية، ليضع خطوطاً جديدة لتحركات الإخوان فى الميادين الاجتماعية والرياضية.

•• من كان يدري:

هل كنت أستطيع فى ذلك الوقت أن أتنبأ بأنى سأضيف إلى مشروعاتهم صفحة جديدة؟ لا أحد يدري.. وربما كان الاثنان والثلاثون متهماً الذين كنت قاضيهم هم آخر من يتوقع ذلك.

•• القصة غيرت مجرى القضية:

إن قصة «العسلوج» غيرت كثيراً من مجرى القضية.. لقد روى المواوى بك القصة كاملة، قصة الذين قيل عنهم إنهم أرادوا إتلاف أسلحة الجيش المصرى.. لقد نفذت ذخيرة ألف وخمسمائة جندي من الجيش. ولم يستطيعوا التقدم للاستيلاء على الموقع.. وتقدم خمسة وعشرون من فرسان النهار رهبان الليل من كتيبة المرحوم أحمد عبد العزيز ليستولوا على الموقع

ونجحوا في ذلك.. حقيقة كانوا قلة، ولكن كان لهم شعارهم الخالد، شعار الأجيال ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

•• تضررت:

وبدأ فكري يتحرر من رواسب سبعة عشر عاماً. وبدأت خواطري القديمة عنهم تتلاشى، وبدأ حسن البناء يفقد في ناظري شخصية شيخ الطريقة المتصوف الذي يعقد حلقات الذكر، لتجل محلها شخصية قائد الدعوة.

•• قاضيهم ومحاميهم:

كنت مطالباً بأن أكوّن عقيدة لنفسي قبل أن أكوّن عقيدة لغيري، وكان يجب أن أعيش في القضية مكان المتهمين ومكان أعضاء الجماعة ومكان قائد الدعوة، لأؤمن بما يؤمنون به، أو لأكفر بما يعتقدون أنه الحق.. وبين الإيمان والكفر كانت تنظر قضية السيارة الجيب لتحدد وإلى الأبد.. مصير الإخوان المسلمين.. ولتحديد بعد ذلك مصيري.. فإني أعتقد أن هذه القضية هي وحدها التي هدتني إليهم، وهي التي دفعتنني إلى أن أصبح عضواً عاملاً في الجماعة، أسير معهم وأدافع عنهم عندما يحين لقضية «الأوكار» أن تعرض أمام القضاء.

•• مشهور بعد الإفراج:

خرج مصطفى مشهور بعد الإفراج، واستلم عمله بالأرصاد الجوية، كما أسس شركة تجارية مع إخوانه محمود الصباغ وأحمد قدرى الحارثي [الشركة الشرقية للتجارة والهندسة «ايتكو»]، ولكنها لم تستمر طويلاً، ثم رزقه الله بمولودة سماها [وفاء] وكان ذلك في سنة ١٩٥٢م. إلا أنه أبعده في عمله بالأرصاد الجوية عن القاهرة ونقل إلى مرسى مطروح سنة ١٩٥٣م.

انتقل مصطفى مشهور إلى مرسى مطروح فأخذ معه زوجته وأولاده [مشهور وسلوى والطفلة وفاء]، وعاش بهم في كوخ صغير خال من الأثاث إلا من بعض الحصير، وبعض البطاطين الميري، وبرميل لتخزين المياه، وموقد جاز.

كان شغله الشاغل وهمه الأكبر أن تعيش أسرته لله، وألا تشغل بالسفساف وتحزن على ما فات من عرض الدنيا الزائل، فكان ييشهم كل ما تعلمه وتشربه ونشأ عليه في المحاضن التربوية، من الإيمان والخلق الإسلامي القويم.. وكانت زوجته الصابرة المحتسبة بطاعتها له حبها، تعاونه ليخرجها هذه الأسرة الصغيرة المعزولة البعيدة عن الأهل والأحباب من جو

الكأبة والخمرمان من العطف والحنان الأسرى إلى جو من المرح والسرور والسعادة . . وكان كثيراً ما يصطحبهم معه إلى البحر للاصطياد والتنزه واللعب والرياضة .
عاش مشهور بين أسرته الصغيرة مهتماً بهم بالغ الاهتمام في بنائهم روحياً بالقرآن وجسدياً بالرياضة . .

كما عاش هذه الفترة بين إخوانه في شعبة مرسى مطروح يشاركونهم جميع أعمالهم وأنشطتهم ، وكذلك كان يقوم بأعماله في النظام الخاص على أكمل وجه .
ولكنه لم يستمر طويلاً ، فقد أخذ من بينهم في نوفمبر عام ١٩٥٤م ليعيش مع إخوانه محنة عام ١٩٥٤م في السجون والمعتقلات مرة ثانية . . .
ولكن ليست كالمرة الأولى ، بل كانت المحنة أشد وأقسى ، في اتهامها الباطل وسرعة الاعتقال وسرعة المحاكمة وإصدار الأحكام الجائرة والقسوة داخل السجون بالتعذيب إلى غير ذلك . . وهذا ما ستراه في الفصل الثاني بإذن الله .

الفصل الثاني:

محنة ١٩٥٤م

●● علاقة ثورة يوليو بالإخوان^(١)

أنشأ الإمام الشهيد حسن البنا تشكيلاً عسكرياً داخل الجيش بجانب النظام الخاص الذي كان يرأسه عبد الرحمن السدي، وقسم الوحدات برئاسة صلاح شادي.. وأسند رئاسته إلى الصاغ محمود لبيب، وهو التشكيل الذي عُرف بعد ذلك باسم تشكيل الضباط الأحرار.. وكان محمود لبيب هو الذي اختار لهم هذا الاسم، حتى يتعد تنظيمهم عن أعين الحكومة إذا عرف أنه تشكيل مرتبط بجماعة الإخوان، وكان محمود لبيب في ذلك الوقت وكيلاً للجماعة.

انقطعت صلة هذا التشكيل بالجماعة فترة قصيرة ثم عادت مرة أخرى، وكان ذلك في الفترة ما بين صدور القرار بحل الجماعة في ١٨ ديسمبر ١٩٤٨، وعودة الجماعة في أواخر سنة ١٩٤٩م في عهد حسين سرى باشا وصدور حكم المحكمة ببطان قرار الحل.

أفرز هذا التشكيل بعد ذلك انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م - أو ما يسمى (ثورة يوليو) الذي حرص قاده على استئذان الجماعة للقيام به.. فقد ذهب جمال عبدالناصر ومعه كمال الدين حسين قبل قيام الثورة بلبنتين إلى المنزل الذي يسكن به الأستاذ صالح أبو رقيق والأستاذ عبد القادر حلمي، واجتمعوا في شقة عبد القادر حلمي، كل من: [جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين (من الضباط الأحرار) وصالح أبو رقيق وحلمي عبد القادر وصلاح شادي وحسن العشماوي ومحمد فريد عبد الخالق (من الإخوان المسلمين)] وكان الاجتماع للنشاور والاستئذان، وكان فضيلة المرشد وقتذاك بالإسكندرية، وألح الضباط لمعرفة رأي المرشد بسرعة وأنهم سيؤجلون تنفيذ الحركة يوماً لهذا الغرض.. وبالفعل سافر الإخوان: [صالح أبو رقيق وحسن العشماوي وحلمي عبد القادر وفريد عبد الخالق] إلى الإسكندرية، فطلب منهم المرشد إبلاغ جمال عبد الناصر موافقته وتأييده وحمايته للثورة، كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان حتى يتدخل الإنجليز لمقاومتها، واقترح الإخوان أن يتولى على ماهر الوزاة لأنه غير حزبي وتطمئن له جميع الجهات، وكان رئيساً

(١) من كتاب: الصامتون يتكلمون - سامي جوهر، حيث روى قصة هذه العلاقة اللواء صلاح شادي، ووردت بالنص في كتاب: أحداث صنعت التاريخ - ج/ ٣ والذي نقله ونقلنا عنه.

للوزراء وقت وفاة الملك فؤاد واستطاع أن يقود البلاد . فأبلغ عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو بموافقة المرشد^(١) . . وقامت الثورة ونجحت ، وقام رجال الإخوان بحراسة المرافق ليلة الثورة ، وبعد أيام اتصل كمال الدين حسين بصلاح شادى وأبلغه أن قوات بريطانية ستتحرك من السويس إلى القاهرة . . فأرسل الإخوان مجموعة من الإخوان الفدائيين إلى الكيلو ٩٦ لعرقلة تقدم الإنجليز وظلوا يحرسون الطريق عدة أيام .

تم أول لقاء بين جمال عبد الناصر والمرشد يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢م . . حضر عبد الناصر إلى منزل الأستاذ صالح أبو رقيق ، حيث ينتظره الأستاذ المرشد ، وعبد القادر حلمي ، وحسن العشماوي ، وصلاح شادى . . وقال عبد الناصر للأستاذ صالح أبو رقيق وهما يصعدان درجات السلم : [أنا خايف على الأولاد من نشوة النصر فقال له الأستاذ صالح أبو رقيق بسرعة : نصر إيه . . ده لسه المشوار طويل . . عايزين نلظف البلد ونظهرها من الفساد وتقوم المشروعات . .] . . وعندما وصلا ودخل عبد الناصر وصافح الأستاذ المرشد فأجأ الإخوان بقوله للمرشد : [قد يقال لك إن احنا اتفقنا على شىء . . إحنا لم نتفق على شىء] . . وكانت مفاجأة . . فقد كان الاتفاق بين الإخوان وعبد الناصر أن تكون الحركة إسلامية ولإقامة شرع الله . .

استمرت المقابلة في مناقشات أنهاها المرشد بقوله لجمال عبد الناصر : [اسمع يا جمال . . ماحصلش اتفاق وسنتبركم حركة إصلاحية . . إن أحستهم فأنتم تحسنون للبلد . . وإن أخطأتم فسنتوجه لكم النصيحة بما يرضى الله] وانصرف جمال . . وقال المرشد للإخوان وكأنه كان يستطلع الغيب : [الراجل ده مافهش خير ، ويجب الاحتراس منه] .

شكلت وزارة برئاسة على ماهر كما اقترح الإخوان ، ولكن بعد شهر شكك عبد الناصر من على ماهر بماطلته في إصدار قوانين الإصلاح الزراعي ، وسأل المرشد عن من يتولى الحكم بعد على ماهر . . وكان رأى الإخوان : [أى شخص صالح] . . فتم تشكيل وزارة برئاسة محمد نجيب .

•• وكان أول صدام بين عبد الناصر والإخوان

أراد عبد الناصر شيئاً . . وكان يعتقد أنه إذا أراد فيجب أن يطاع . . أراد أن يدخل الإخوان الوزارة . . وقال له مكتب الإرشاد [لا] ، الكلمة التي كانت تثيره دائماً . . لما ناقش الإخوان هذا الأمر في مكتب الإرشاد رأى بعض الإخوان أن اشتراكهم في الوزارة سيجعلهم مبصرين

(١) يقول صلاح شادى الذى أبلغ عبد الناصر بالحضور يوم ٢٢ يوليو ومعه كمال الدين حسين : وقيل أن يتصرف جمال عبد الناصر التحيت به جانباً ، وطلبت أن يقرأ معنى الفاتحة أن تكون الحركة لإقامة شرع الله . . فقرأها معي . . وتعالقنا وانصرف .

بكل الخطوات التي تقوم بها الحكومة . . ولكن المرشد كان له رأى آخر وهو أنه : لو حدث أخطاء من الحكومة فإنها ستلقى على الإخوان فضلاً عن أن رسالة الإخوان كما كان يراها المكتب فى تلك الآونة هى عدم الزج بأنفسهم فى الحكم .

•• ثم جاء الصدام الثانى..

أو كلمة [لا] الثانية . . التى قالها الإخوان لعبد الناصر . . كان عبد الناصر يريد من جماعة الإخوان أن تنصهر داخل هيئة التحرير ويصبحا تنظيمًا واحدًا . . ولكن الإخوان قالوا له : إن معنى هذا القضاء على الإخوان . . وهيئة التحرير ما هى إلا حزب سياسى ونحن جماعة دينية . . ولكن جمال كان يخطط بخبث فإذا ما انصهرت جماعة الإخوان داخل هيئة التحرير قام بإصدار قرار بحل جميع الأحزاب ، وبذلك يقضى على الإخوان .

•• أما الصدام الثالث..

فكان فى أواخر عام ١٩٥٣ م . . اشتد الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر . . كان الإخوان يطالبون بعودة الحياة الديمقراطية للبلاد وتحديد موعد لإعلان الدستور . . وحاول عبد الناصر أن يستقطب بعض أعضاء مكتب الإرشاد للوقوف ضد المرشد حسن الهضيبى ، وعندما فشل أصدر مجلس الثورة قراراً فى ١٢ يناير ١٩٥٤ م بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وكان المرشد يرى أن الثورة لم تنفذ الأحكام الإسلامية المتفق عليها . . وبدأ عبد الناصر عدة محاولات لتشويه سمعة الإخوان . . فأعلن اكتشاف مخزن للأسلحة فى عزبة حسن العشماوى !! ومعروف أن هذه الأسلحة اشتراها عبد الناصر بمبلغ أعطاه له الإخوان ، وفى حادثة حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ م طلب من الإخوان البحث عن مكان لإخفاء هذه الأسلحة التى كان يخفيها فى مدرسة الأسلحة الخفيفة خشية أن تقوم السلطات بتفتيش المدرسة فتعثر عليها ، وبمساعدة الإخوان : [منير دلة وحسن العشماوى وعبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق نقلت الأسلحة إلى منزل عبد القادر حلمى ولكن طلب عبد الناصر نقلها إلى الريف فنقلت إلى عزبة حسن العشماوى فى الشرقية وبتخطيط جمال عبد الناصر ورسمه بنى مخزن تحت الأرض وعزل بالإسبتوس لحماية الأسلحة من الرطوبة والحريق . . وسبب شراء هذه الأسلحة هو الكفاح المسلح ضد الإنجليز وجهاد اليهود فى فلسطين . . أما المحاولة الثانية للتشويه فكانت : اتفاق عبد الناصر مع عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى - وكان المرشد الهضيبى قد عزله بعد أن أعلن أن لا سرية فى الدعوة ، وعين بدلاً منه يوسف طلعت - على أن يقوم بعض معاونيه باحتلال المركز العام لإرغام المرشد على الاستقالة . . وفشلت المحاولة .

ثم وقعت أحداث فبراير ١٩٥٤ بعد إعلان قبول استقالة محمد نجيب . . وخرجت المظاهرات تطالب نجيب بالبقاء، وكان من المعروف أنها بتدبير الإخوان المسلمين، حيث شهدت القاهرة أعنف المظاهرات مما اضطر عبد الناصر إلى إعادة نجيب .

وفي ٢٨ فبراير خرجت المظاهرات فرحة بعودة محمد نجيب وانجحت إلى ميدان الجمهورية أمام قصر عابدين . . وقرر نجيب في هذا اليوم أن تكون الجمهورية برلمانية، وأعلن أنه سيبدأ فوراً بتأليف جمعية تأسيسية تمثل كافة هيئات الشعب المختلفة تؤدي وظيفة البرلمان مؤقتاً، وتراجع نصوص الدستور بعد أن يتم وضعها، وبعد ذلك تعود الحياة النيابية إلى البلاد في مدى أقصاه نهاية فترة الانتقال . . كانت كلمة نجيب هذه سبباً في انصراف الجماهير . . وأثارت ثائرة عبد الناصر ضد الإخوان المسلمين . . فقد همس معاونوه أن الذي أوحى لنجيب بهذا الكلام هو عبدالقادر عودة أحد أقطاب الإخوان، الذي كان يقف إلى جوار نجيب في شرفة قصر عابدين، وقد استعان به نجيب في صرف الجماهير فأشار لهم عبد القادر عودة بإصبعه وأمرهم أن يتصرفوا راشدين فانصرف الناس في هدوء وأخلوا الميدان في لحظات^(١) .

بعد مرور ثلاثة أيام وفي يوم ٢ مارس قامت سلطات البوليس الحربي باعتقال ١١٨ شخصاً بينهم ٤٥ من الإخوان، ٢٠ من الاشتراكيين، ٥ من الوفديين، ٤ شيوعيين، بتهمة أنهم كانوا يدبرون فتنه في البلاد مستغلين فرحة الشعب بعودة نجيب . . وكان في مقدمة المقبوض عليهم فضيلة المرشد حسن الهضيبي وعبدالقادر عودة وصالح أبو رقيق . . وتعرض رجال الإخوان المسلمين لأبشع عمليات التعذيب داخل السجن الحربي . . وفي ٨ مارس ١٩٥٤م رفع نقيب المحامين الأستاذ عمر عبد القادر عودة، وعمر التلمساني، وأحمد حسين زعيم الاشتراكيين (مصر الفتاة).

وفي يوم ٢٥ مارس تم الإفراج عن جميع أعضاء الإخوان المسلمين المعتقلين وكانوا بالآلاف . . واقترح جمال عبد الناصر أن يخرج المرشد فوراً ومعاونوه الستة الذين جاء ذكرهم في بيان الاتصالات بالإنجليز . . ويذهب إليهم عبد الناصر في منزل المرشد ويهتتهم بصفته وباسم مجلس الثورة، وينشر ذلك في الصحف . . وفعلاً قبل الإخوان هذا الاقتراح لما فيه من دلالات، وتم الإفراج، وذهب عبد الناصر وصالح سالم إلى منزل المرشد للتهنئة .

(١) كانت هذه الحادثة وظهور عودة وصرفه للجماهير بإشارة قد أسرها جمال في نفسه، وكانت هي سبب إعدام عبد القادر عودة فيما بعد، فإن جمال عبد الناصر لا يريد لأحد غيره أن يطاغ بهذه الصورة، فقد صرح لفرید عبد الخالق وقال له: [أنا عايز في خلال ستين ثلاثة أوصول إلى أني أضغط على زر . . البلد تتحرك زى ما أنا عايز . . وأضغط على زر . . البلد تنقف] . واعتقد الإخوان أنه يحلم ولكنه استطاع فعلاً أن يحقق الحلم بعد ذلك .

كان للإخوان المسلمين دور مهم في المفاوضات مع الإنجليز للجلء عن مصر . . في فبراير ١٩٥٣م واستغله عبد الناصر بعد ذلك للتشهير بالإخوان واتهامهم بالعمالة والتعاون مع الإنجليز . . والقصة هي : أن السفارة البريطانية بعثت رسولا للإخوان المسلمين يبلغهم رغبة السفارة في أن يلتقى الإخوان بمستر إيفانز المستشار الشرقى بالسفارة لاستطلاع رأى جماعة الإخوان فيما يرتضونه لنجاح مفاوضات الجلء التى ستبدأ مع الحكومة . . وكان الإنجليز يعلمون موقف الإخوان ودفعهم بالشباب لمحاربة القوات البريطانية فى منطقة القناة فى حرب عصابات لإجلاتهم . .

بعد مناقشات ودراسة متفحصة للأمر أمسك المرشد حسن الهضيبى سماعة التليفون واتصل بجمال عبد الناصر وأبلغه رغبة السفارة البريطانية، فرحب عبد الناصر بذلك أشد الترحيب وطلب أن يطلع على نتائج المحادثات . . فانتدب فضيلة المرشد الأخوين : [صالح أبو رقيق ومنير دلة] للمحادثات مع إيفانز، وكتب تقرير بهذه المحادثات وسلم للمرشد فاتصل بجمال عبد الناصر الذى سارع إلى منزل الهضيبى وقال بالحرف الواحد بعد أن قرأ التقرير : [كويس ده أنتم استطعتم الوصول إلى حاجات لم يكن من الممكن أن نوصل لها]. وكان إيفانز ينتظر رداً من المرشد بنفسه، فأبلغ المرشد رغبة إيفانز لعبد الناصر الذى طلب منه مقابلته .

وفعلاتم مقابلة المرشد بإيفانز يوم ٩ فبراير فى منزل المرشد، وبعد أن خرج إيفانز اتصل المرشد مباشرة بجمال عبد الناصر وأبلغه فى مقابلة تمت بعد ذلك فى منزل منير دلة كل تفاصيل المقابلة . . وتوثقت بعد ذلك اتصالات إيفانز بالإخوان بعد أن بدأت المباحثات الرسمية التى تعثرت أكثر من مرة . . حتى انتهت بتوقيع الاتفاق النهائى فى سبتمبر ١٩٥٤م .

بدأت جماعة الإخوان المسلمين تستأنف نشاطها من يوم ٢٦ مارس ١٩٥٤ - وهذا يعنى بطلان قرار الحل الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٤م - واعتقد الجميع أن الحياة النيابية ستعود . . ولكن فى نفس اليوم بدأ عبد الناصر فى تنفيذ خطته، وفوجئت القاهرة بتوقف جميع وسائل النقل بها فى الساعة الواحدة ظهراً ما عدا الترام، لقد استطاع جمال عبد الناصر أن يستميل إليه [الصاوى أحمد الصاوى] رئيس اتحاد نقابات النقل، وقد دفع له مبلغ ٤ آلاف جنيه ثمناً لمهمته - ليعلن إضراباً شاملاً لمطالب خاصة . . ثم بدأت الإذاعة تذيع إضراب العمال بسبب قرارات عودة الحياة النيابية للبلاد ورغبتهم فى الإبقاء على مجلس الثورة . . وخرجت جريدتا الأهرام والأخبار تؤيدان هذا الاتجاه، وانفردت جريدة المصرى بالوقوف ضده . وبدأت المظاهرات تشتد وهى المظاهرات التى كان يدبرها البوليس الحزبى وكانت تطالب بعدم عودة الحياة النيابية .

أصدر المرشد بياناً يناشد فيه الشعب أن يعتصم بالهدوء والسكينة ورباطة الجأش وأن ينصرف أبناؤه جميعاً إلى أعمالهم في انتظام وطمأنينة مع التوجه إلى الله العلي الكريم أن يحفظ البلاد من كل سوء وأن يعين الساعين ويجمع المسئولين على الحل الكامل السليم الذي يخرج البلاد من المأزق الحاضر، ويحفظ وحدة الأمة ويصون حقوق الشعب وحرياته ويحقق الاستقرار المنشود في ظل حياة نيابية نظيفة محوطة بالضمانات التي تجنبها مساوئ الماضي، وتوفر الجهود لتخليص الوطن من الغاصب المستعمر، ولتتابعة حركة الإصلاحات الإيجابية التي تستكمل البلاد بها نهضتها.

وأذيع هذا البيان الذي طلب جمال عبد الناصر من المرشد بعد اتفاق من الاثنين على توقف المظاهرات، ونشر البيان يوم ٢٩ مارس نفس يوم مغادرة الملك سعود الذي كان في زيارة لمصر. ولكن عبد الناصر لم ينفذ الاتفاق واستمرت المظاهرات. . . ففي نفس اليوم توجهت مظاهرة إلى مجلس الدولة واعتدى المتظاهرون على المرحوم الدكتور عبد الرازق السنهوري رئيس مجلس الدولة. . . وكلف المرشد الأستاذ صالح أبو رقيق بالذهاب إلى عبد الناصر لمعاتبته لإخلاله بالاتفاق وفض المظاهرات التي تحاصر جريدة المصري وعدم الاعتداء عليها، وتنفيذ قرارات مجلس الثورة بإعادة الحياة النيابية. . . فقال له جمال عبد الناصر: [أنتم يهمكم إليه مادتم أنتم أحرار، ما لكم ومال الباقي؟ فقال له الأستاذ صالح أبو رقيق: هل تستطيع أن تعلن ذلك في مؤتمر صحفي؟ فضحك وقال: طبعاً لا.

ومرت أزمة مارس، وتوقفت المظاهرات، وبقي محمد نجيب رئيساً للجمهورية وجمال عبد الناصر رئيساً للوزراء. . . واكتشف الإخوان تلاعب عبد الناصر بالحريات والديمقراطيات. ثم بدأت محادثات الجلاء. . . وفي شهر يونيو وقع بالحروف الأولى على اتفاقية الجلاء. . . ووجد الإخوان أن الاتفاقية لا تحقق الهدف فعارضوها وبعثوا بعريضة إلى جمال تتضمن أوجه اعتراضهم. . . فبدأ عبد الناصر يشن حملاته الدعائية ضد الإخوان ويحدث الانشقاق في صفوفهم، وهاجمهم علناً في خطاب بهيئة التحرير يوم ٥ سبتمبر ١٩٥٤م وجند جميع الصحف لنشر أبناء عن المرشد - وكان في جولة بالبلاد العربية - على أساس أنه يعلن عداوه للثورة.

•• حادث المنشية:

يتناول الأستاذ صالح أبو رقيق هذا الحادث بطريقته الخاصة إذ يقول: [لن أتجنى على أحد وأقر شيئاً عن تلك المحاولة. . . وعمّا إذا كانت حقيقية أم محاولة مدبرة. . . إنما سأسردها كما

جاءت في الصحف في ذلك الوقت . . وللقارئ وحده أن يقارن بين الوقائع وظروف المحاكمة ، ويقرر هل كانت محاولة حقيقية أم مدبرة؟^(١) .

الزمان : مساء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ م .

المكان : ساحة ميدان المنشية في مدينة الإسكندرية .

الساحة مزدحمة بالآلاف من المواطنين . . حضروا للاستماع إلى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي سيلقيه بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز يوم ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤ م .
ودخل جمال عبد الناصر المنصة الرئيسية ومعه صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وحسن إبراهيم والشيخ الباقوري ، والسيد المرغنى حمزة وزير الزراعة والمعارف بالسودان وأحمد بدر المحامى السكرتير المساعد لهيئة التحرير بالإسكندرية .

ووقف عبد الناصر ليلقى خطابه . . ومرت دقائق . . وفجأة دوى صوت الرصاص . وساد الهرج المكان . . وأمسك عبد الناصر بالميكروفون يردد كلمات مرجلة يقول : [أيها الأحرار . . حياتي فداء لكم . . دمي فداء لمصر . .

أيها الرجال . . أيها الأحرار . . أتكلم إليكم بعون الله بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا علي . . فدمي فداء لكم . . إن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم . .

أيها الرجال . . أيها الأحرار . . هذا هو جمال عبد الناصر بينكم . . أنا لست جباناً . . أنا قمت من أجلكم . . من أجل عزتكم وكرامتكم وحريتكم . . أنا جمال عبد الناصر منكم ولكم . . عشت بينكم وسأعيش حتى أموت عاملاً من أجلكم ومكافحاً في سبيلكم ، وأموت من أجل حريتكم وكرامتكم ومن أجل عزتكم . .

أيها الرجال . . أيها الأحرار . . فليقتلونى . . لقد غرست فيكم العزة وغرست فيكم الكرامة . . لقد أنبت في هذا الوطن الحرية والعزة والكرامة فلأمت من أجل مصر . . من أجلكم . . من أجل أحفادكم . . كافحوا واحملوا الربالة وأدوا الأمانة من أجل عزتكم ، ومن أجل كرامتكم . .] ويكرر نفس الكلام ثم يقول :

[أيها الرجال . . أيها الأحرار . . منذ ٢٤ ساعة اعتدت يد الاستعمار على الهاتفين بالحرية في هذا الميدان ، فقتل من قتل واستشهد من استشهد ، فإذا كان جمال لم يقتل في الماضي وجاء ليقتل اليوم بأيدي الاستعمار وأعوانه ونجما . . فقد نجوت لأحقق لكم العزة ولأحقق لكم

(١) المصدر السابق نفسه ، وقد جمعها الأستاذ صالح أبو رقيق من الصحف اليومية وتذاك .

الكرامة ولأحقق لكم الحرية . . إن الخيانة تريد أن تكبلكم وتستبد بكم ، فإذا نجوت فلكني أزيدكم حرية وعزة وكرامة ، وليعلم الخونة أن جمال عبد الناصر ليس فرداً واحداً في هذا الوطن فكلكم جمال عبد الناصر .

يا إخواني دمي من دمكم . . وروحي من روحكم . . ومشاعري من مشاعركم . . أيها الرجال . . لقد استشهد الخلفاء الراشدون جميعاً في سبيل الله . . وإذا كان جمال يقتل ، فأنا مستعد لذلك في سبيلكم وفي سبيل الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وتعالت الهتافات : [الله معاك يا جمال] . وأنهى عبد الناصر الكلمة التي ارتجلها ، أو هكذا بدت .

وكانت الكلمة مذاعة على الهواء . . وسمع جميع أبناء مصر أصوات طلقات الرصاص والكلمة الرائعة التي ألقاها جمال عبد الناصر . . واحتل قلوب الجميع . . وحقق الزعامة التي كان يحلم بها . . وأصبح الأسطورة في أحاديث كل الناس . . ولم تنم الأمة العربية بأسرها في تلك الليلة . . الكل ينتظر الصباح ليقرأ شيئاً عن الحادث . . ومن الجاني .

وظهرت صحف الصباح - صباح ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤م - تحمل في صدر صفحاتها الأولى نبأ القبض على الجاني الأثيم بدون نشر صورته . . قالت جريدة الأهرام :

[لم يكذ الجاني الأثيم يطلق رصاصاته الغادرة، حتى كان الجمهور قد هجم عليه وعلى ثلاثة أشخاص يقفون على مقربة منه ودخان الرصاص يتصاعد من حولهم، وكاد يفتك بهم لولا أن يادر رجال البوليس والمخابرات إلى القبض عليهم وضبط السلاح في يد الجاني، وهكذا نشرت جميع الصحف، كما أنه لم ينشر شيء بعد ذلك عن الثلاثة الآخرين الذين قيل إنهم ضبطوا مع الجاني، وقد اقتيد الأربعة إلى نقطة بوليس شريف . . ويدعى الجاني محمود عبد اللطيف ويعمل سباكاً في شارع السلام بامبابية .

وقد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار ٣٦ ملميمتر وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط مع المتهم، إذ إن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع المشط الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة].

كان هذا ما نشرته جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤م، وأثار ذلك التساؤل عن سر اختلاف الأظرف الفارغة عن طلقات المسدس المضبوط في يد الجاني . . وبدأت همسات : هل هناك شخص آخر؟!

وفي نفس العدد نشرت الصحف أن الجاني ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين . وتوالى في الأيام التالية نشر اعترافات محمود عبد اللطيف وأنه من الجهاز السرى للإخوان المسلمين . . وكان مكلفاً باغتيال عبد الناصر ، لتبدأ حركة اغتيالات لبقية أعضاء مجلس الثورة و ١٦٠ ضابطاً من الضباط الأحرار والقيام بثورة، وأن الجهاز السرى كان سيوقف أمام أى تحركات مضادة .

ومع الاعترافات بدأ نشر أنباء اكتشاف مخازن أسلحة للجهاز السرى والقبض على أفرادها، ومخازن فى جميع محافظات الجمهورية، ومتهمين من مختلف الفئات والمهن . . طلاب بالجامعات ومحامين ومدرسين وعمال وفلاحين وضباط بالجيش وضباط بوليس وتجار . . أى من فئات الشعب جميعاً: العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية .

بدأت للجميع أن نهاية جماعة الإخوان المسلمين أصبحت محققة . . فما كانت تنشره الصحف من اعترافات الذين قبض عليهم من أفراد الجهاز السرى، وكيف أنهم كانوا يسعون إلى قيام حرب أهلية واغتيال جميع أعضاء مجلس الثورة، وتحويل البلاد إلى مجموعة من الخرائب . . كان ما ينشر كافياً لشحن كل الشعور والقوى ضد الإخوان المسلمين .

فبدأ الناس فى لهفة شديدة لمعرفة شكل الجاني الأثيم . . ومضت خمسة أيام كاملة دون أن تنشر له صورة واحدة . . وأخيراً نشرت صورته وأثار التعذيب واضحة تماماً على وجهه . . ونشر تحتها أنها صورة للجاني ويبدو فيها آثار اعتداء المواطنين عليه وقت القبض عليه .

وللتاريخ، فإن ما نشر عن جرائم التعذيب التى ارتكبها أعوان عبد الناصر فى هذه القضية لا توازى واحداً على الألف مما تعرض له الإخوان المسلمون فيها .

وفجأة وبلا أى مقدمات - فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٤م أى بعد الحادث بستة أيام - نشرت جميع الصحف الصباحية صورة جمال عبد الناصر وأمامه عامل بناء ممسكاً بمسدس . . ومع الصورة حكاية مثيرة . . تقول الحكاية: إن عامل البنلة خديوى آدم . . وهذا اسمه . . كان يستقل الترام يوم الحادث عائداً إلى منزله . . وعند ميدان المنشية شاهد جماهير من الناس مجتمعة وسأل عن سر تجمعهم ولما علم أن عبد الناصر سيلقى خطاباً نزل من الترام واندرس وسط الجماهير .

وعندما دوى صوت طلقات الرصاص وساد الهرج الآلاف المجتمعة سقط فوق الأرض وشعر بشيء يلسعه فى ساقه، وتحسسه فوجده مسدساً وكانت ماسورة المسدس لا تزال

ساخنة . . وأيقن في الحال أنه المسدس الذي استخدمه الجاني في إطلاق الرصاص على زعيم البلاد!! ووضع المسدس في جيبه واعتزم بينه وبين نفسه ألا يسلم المسدس إلا لعبد الناصر شخصياً .

وتستطرد القصة استكمال حبكة خيوطها، وحتى لا يتساءل القارئ عن السر في عدم تسليمه المسدس في نفس الليلة وانتظاره خمسة أيام .

فتقول القصة:

إن العامل خديوى آدم فقير جداً يوميته ٢٥ قرشاً . . ولم يكن يملك ثمن تذكرة قطار أو أتوبيس لحمله إلى القاهرة . . فسار على قدميه المسافة بين الإسكندرية إلى القاهرة . . فوصلها يوم أول نوفمبر، وتوجه في الحال إلى مجلس الثورة وطلب مقابلة جمال عبد الناصر . . وأعطاه المسدس فكافأه عبد الناصر بمائة جنيه!! .

وهكذا ظهر سلاح جديد في الجريمة طلقته من عيار ٣٦ ملليمتر لتكون من نفس أظرف الطلقات التي عثر عليها . . واختفت تماماً سيرة المسدس الذي ضبط في يد الجاني لحظة القبض عليه .

وفي اليوم الثاني مباشرة نشرت الصحف أن الجاني تعرف على المسدس الذي عثر عليه خديوى آدم، وقرر أنه نفس المسدس الذي استخدمه لاغتيال عبد الناصر، وأنه تسلمه من رئيسه في الجهاز السرى المحامى هنداوى دوير، وتعرف هنداوى دوير هو الآخر على المسدس وقرر أنه نفس المسدس الذى أعطاه للجاني، وكان رئيسه فى الجهاز السرى المحامى إبراهيم الطيب قد أعطاه له ليسلمه للجاني . . إلا أن إبراهيم الطيب أنكر أن المسدس الذى عثر عليه خديوى آدم يتعلق بالجهاز السرى .

•• بعض الآراء فى تدبير محاولة الاغتيال:

١- يقول الأستاذ محمد فريد عبد الخالق:

[لأشك أنها كانت محاولة وهمية لاغتيال عبد الناصر . . فلم يكن أحد ابتداء من المرشد العام إلى أعضاء مكتب الإرشاد يفكر فى اغتيال عبد الناصر . . بل إن المرشد هو الذى استجاب لنداء عبد الناصر بحل الجهاز السرى عندما طلب منه ذلك وأعلن أن لا سرية فى الدعوة . . وعندما رفض عبد الرحمن السندى حل الجهاز عزله وعين يوسف طلعت بدلاً منه تمهيداً لتصفيته].

وقال فريد: [إن المعلومات التي وصلته هي أن الحكومة هي التي دبرت المحاولة للتخلص من الإخوان، وأن «محمد الجزائر» الذي كان ضابطاً في القلم السياسي قبل الثورة واتهم في الاشتراك في حادث اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا، كان يتردد على مركز الإخوان المسلمين محاولاً تبرئة نفسه أمام قادة الإخوان. وفي إحدى مرات تروده وكانت العلاقة بين الحكومة والإخوان متوترة سمع المرحوم هندواى دوير - وكان من الشباب المتهورين - يردد: «لازم نقتل جمال عبد الناصر»، والتقط الخيط وذهب إلى المباحث العامة في محاولة للتقرب من السلطات وأبلغهم أن هندواى دوير يدبر خطة لاغتيال جمال عبد الناصر.

ووجدها المسئولون فرصة.. تعقبوا هندواى وعلموا أنه يرأس خلية في إمبابة أعضاؤها طلبة بالجامعة، والسمكري محمود عبد اللطيف.. وقع اختيارهم على تدبير المحاولة وإسنادها إلى محمود عبد اللطيف ليكون بداية خيط للتخلص من الإخوان، واختاروا الزمان والمكان.. ونفذت الخطة.. اختطفوا محمود عبد اللطيف وأخذوه إلى الإسكندرية ومعه مسدس عثروا عليه في منزله.

واقتماده ثلاثة منهم إلى ميدان المنشية.. وأجلسوه في الصفوف الأمامية وأحاطوا به.. وفي لحظة الصفر أطلق أحدهم.. ولا يد أنه من أمهر الرماة.. ثماني رصاصات لم تصب واحدة منها أحداً من الذين فوق المنصة رغم كثرة عددهم باستثناء إصابة سطحية للمحامى أحمد بدر بينما أصابت الرصاصات اللمبات الكهربائية.

ويؤكد ذلك أن الجماهير قبضت على ثلاثة كانوا مع محمود عبد اللطيف، ثم لم يأت ذكرهم بعد ذلك.. وبعد الإعلان أنه تم ضبطه وفي يده المسدس عادت الصحف ونشرت أن عامل بناء عثر على المسدس الذى استخدم فى الحادث.. واختفت سيرة المسدس الأول تماماً.

٢- وهناك رواية أخرى: تلخص فى: أن المحاولة تمت بتدبير بين جمال عبد الناصر وهنداوى دوير الذى استطاع أن يقنع محمود عبد اللطيف بضرورة اغتيال عبد الناصر وأعطاه المسدس ورسم له الخطة.. بينما نفذ إطلاق الرصاص أحد أعوان عبد الناصر بمسدس آخر، ويؤكد هذه الرواية أن هندواى قام بتسليم نفسه بعد وقوع الحادث مباشرة، ولو كان مشتركاً فى الجريمة فعلاً لظل هارباً حتى يقبض عليه، إنما سلم نفسه حتى يسرد اعترافات تطيح بجماعة الإخوان المسلمين وبالرئيس محمد نجيب، على أمل أن يكون له مكان مرموق بعد ذلك، ولكن جمال عبد الناصر تخلص من الشاهد الوحيد ضده الذى يمكن أن يكشف الحقيقة، بإعدامه.. وكان ذلك سبباً فى أنه كان يردد وهو فى طريقه إلى المشنقة: ضحكوا علينا.. ماكنش ده اتفاقنا.

•• محاكمة الإخوان:

بعد الحادث بأربعة أيام فقط أي يوم ١ من نوفمبر ١٩٥٤م أصدر مجلس الثورة برئاسة جمال عبد الناصر أمره بتأليف محكمة مخصوصة لمحاكمة المتهمين في محاولة اغتيال جمال عبد الناصر برئاسة قائد الجناح جمال سالم - وكان معروفاً للجميع بالتصرفات الشاذة - وكان أمر تشكيل المحكمة شاذاً أيضاً . فقد تضمن أن للمحكمة كل السلطات، وأن يلحق بها مكتب للدعاءات يتولاه البكباشي زكريا محيي الدين يقوم بإعلان المتهم بالدعاءات المقامة ضده قبل المحاكمة بـ ٢٤ ساعة فقط - ولا يجوز تأجيل المحاكمة أكثر من مرة واحدة، ولمدة لا تزيد على ٢٤ ساعة للضرورة القصوى . . وأحكامها نهائية ولا يجوز الطعن فيها بأي طريقة من الطرق أو أمام أي جهة من الجهات، أما أعضاء المحكمة فهم: القائم مقام أنور السادات، وزير الدولة والسكرتير العام للمؤتمر الإسلامي ومدير عام دار التحرير، والبكباشي حسين الشافعي وهما عضوا مجلس قيادة الثورة .

•• جمال سالم يتغافل التحقيق في أهم الأمور:

أولاً: نشرت الصحف أنه قد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار ٣٦ ملليمتر، وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط مع المتهم، إذ إن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع المشط الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة . كما نشرت قصة عامل البناء المدعو خديوي آدم الذي عثر على مسدس يوم الحادث، وثبت أنه هو المسدس الذي استخدمه الجاني في إطلاق الرصاص على زعيم البلاد . وبسرعة نشرت الصحف أن الجاني تعرف على هذا المسدس وقرر أنه نفس المسدس الذي استخدمه لاغتيال عبد الناصر .

بعد ذلك اختفت تماماً سيرة المسدس الأول الذي ضبط مع الجاني لحظة القبض عليه . .

لم يحقق جمال سالم هذه النقطة المهمة . . أغفلها تماماً .

ثانياً: كما أغفل أثناء المحاكمة تكليف الادعاء بتقديم شهود الإثبات الذين ضبطوا الجاني لحظة ارتكاب الجريمة . . وكانوا بالمصادفة من العاملين بمديرية التحرير التي أنشأها مجدى حسين أقرب الضباط الأحرار إلى قلب جمال عبد الناصر والشهود الثلاثة أولهم: عبد الحميد محمود حبيب العامل بمديرية التحرير، وكان أول من أمسك مسدس الجاني أو هكذا قال . . والثاني البيوزباشي جمال النادى وهو من مديرية التحرير أيضاً وقد كسر ذراعه أثناء مقاومة

الجاني له أو هكذا قال . . أما الثالث فهو حامد حسنين عجمي العامل بمديرية التحرير أيضاً وقد عضه المتهم فى ساقه عندما أمسك به أو هكذا قرر!!

ولعل الادعاء خشى أن يقدمهم ويقدم خديوى آدم العامل الذى عثر على المسدس حتى لا تتخبط أقوالهم ، ويظهر شيء محظور كانوا يسعون لإخفائه . . فهؤلاء الأربعة الذين يعتبرون شهود الإثبات فى القضية لم يدلوا بشهادتهم عند محاكمة الجاني!!

ثالثاً: ما نشرته الصحف عن نبأ القبض على الجاني بدون نشر صورته وهو ما قالته جريدة الأهرام : لم يكذ الجاني الأثيم يطلق رصاصاته الغادرة ، حتى كان الجمهور قد هجم عليه وعلى ثلاثة أشخاص يقفون على مقربة منه ودخان الرصاص يتصاعد من حولهم وكاد يفتك بهم لولا أن بادر رجال البوليس والمخابرات إلى القبض عليهم وضبط السلاح فى يد الجاني . لم يحقق جمال سالم ويتحرى عن الثلاثة أشخاص الذين كانوا مع الجاني ، بل واختفى هؤلاء الثلاثة تماماً ولم يعد يذكرهم أحد على الإطلاق.

●● محاكمة بدون محامين:

وتقرر تقديم محمود عبد اللطيف إلى محكمة الشعب برئاسة جمال سالم . . وللتاريخ فإن الأوراق التى قدمت إلى أعضاء هيئة المحكمة كانت كافية لأن تصدر أحكامها بإعدام كل الذين يتقدمون إليها . . كانت أمام هيئة المحكمة أوراق تتضمن اعترافات تقول: إن الهضبي أنشأ جيشاً سرياً ضخماً لتأمين حكم الإخوان المسلمين بعد قيامهم باغتيال جمال عبد الناصر وجميع أعضاء مجلس الثورة باستثناء محمد نجيب ، وكذلك اغتيال ١٦٠ ضابطاً من الضباط الأحرار ، وأن هذا الجيش كان سيقف أمام جيش مصر وبوليس مصر ويقوم بقمع الحركات الشعبية التى كان من المتوقع حدوثها ، وأن غرض هذا الجيش ليس محاربة المستعمر ، بل إعلان حرب داخلية فى مصر للاستيلاء على الحكم . . وأن الخطة كانت تقسيم بلاد الجمهورية إلى مناطق . . وكل منطقة لها قائد وفصائل ، وكل فصيلة لها قائد ، وأن الذين أشرفوا على هذا الجيش ثلاثة هم : يوسف طلعت وكان يختص بأفراد الجيش من المدنيين ، وصلاح شادى وهو قائد تنظيم رجال البوليس ، وعبد المنعم عبد الرؤوف قائد التنظيم فى صفوف الجيش المصرى . . وأن جميع الأسلحة والقنابل والذخائر التى ضبطت فى مخازن الإخوان المسلمين كانت تكفى لتدمير ثلاثة أرباع مدينة القاهرة وتحويلها إلى خرائب .

وبدأت محكمة الشعب أولى جلساتها يوم الثلاثاء ٩ نوفمبر ١٩٥٤م ، وكانت عمليات القبض على بقية زعماء الإخوان المسلمين وأعضاء الجهاز السرى لا تزال مستمرة . . بل كان

يقبض على بعضهم وفي اليوم التالي مباشرة يقاد إلى محكمة الشعب لسماع أقواله كشاهد في القضية الأولى التي تنظرها المحكمة . . وكانت القضية الأولى أو المحاكمة الأولى للمرحوم محمود عبد اللطيف الذي أسندت إليه محاولة اغتيال عبد الناصر بمسدس ضبط في يده وقت الحادث، ثم اعترف بارتكابه الحادث بمسدس آخر عشر عليه العامل بمديرية التحرير خديوى آدم وظهر بعد الحادث بخمسة أيام .

ووجه إلى محمود عبد اللطيف ادعاءان :

الأول: اشترك مع آخرين في تنفيذ اتفاق جنائى ، الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم ، وذلك بإنشاء نظام سرى مسلح للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى يتسمى إليها على مقاليد الحكم بالقوة .

الثانى: شرع فى قتل البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر رئيس الحكومة تنفيذاً للاتفاق الجنائى المشار إليه فى أولاً .

وتلا رئيس المحكمة الادعاءين على المتهم وسأله السؤال التقليدى : مذنب أم غير مذنب؟ وعادة . . بل ودائماً يقرر المتهم فى مثل هذه الحالات أنه غير مذنب . . وهو فى ذلك يتعلق بأخر خيط من الأمل لينقذ رقبتة من المشنقة . أما فى حالة محمود عبد اللطيف وأغلب زملائه الذين وقفوا أمام تلك المحكمة فإنهم كانوا يقررون أنهم مذنبون . . كان يقررها البعض عن جهالة ، مصدقاً ما قالوه له قبل المثول أمام المحكمة من أن زعيم البلاد سيخفف عنه الحكم بل ويلغيه ، وأن المقصود فقط هو محاكمة زعمائه فى جهاز الإخوان .

والبعض كان يقررها لفقده الثقة فى أى بصيص من نور العدالة بعدما تعرض له من أبشع ألوان التعذيب . وكان محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير من النوع الأول . . يؤكد ذلك أنه يوم تنفيذ حكم الإعدام فيهما أخذ هنداوى دوير يردد فى هستيرية وهم يقتادونه إلى حبل المشنقة . .

[ضحكوا على . . خدعوني . . ضحكوا على . . مش ده اتفاقتنا . . ماكنش ده الاتفاق . . مش ده اتفاقتنا] .

يقول الأستاذ صالح أبو رقيق راوى تفاصيل هذا الحادث : [المهم . . إننى هنا لا أحاول أن أتجنب على شخص ما . . ولكنى أذكر الحقيقة التى أسجلها للتاريخ . . والتى جمعتها مما نشر

فى ذلك الوقت عن تلك المحاكمات، وهى صورة غريبة وغريبة جداً للعدالة فى تلك الأيام- وبعد أن قرر المتهم أنه مذنب وقف المدعى العسكرى وقال: وأنا هنا أنقل بالحرف الواحد: [حين أعلن المتهم بالادعاءات المقامة عليه فى سجنه سألناه إذا كان قد وكل أحد المحامين للدفاع عنه، فقال إنه لم يوكل أحداً.. والأمر بتشكيل المحكمة لا يحتم وجود محام مع المتهم أثناء المحاكمة، فضلاً عن أن القضية معدة والشهود موجودون].

أى والله هذا ما قاله المدعى العسكرى.. إنه يقدم متهمًا بادعاءات عقوبتها الإعدام ويطلب بمحاكمته بدون محام يدافع عنه، لأن أمر تشكيل المحكمة لا يحتم وجود محام.. هكذا كان الأمر مخالفاً لأبسط مبادئ العدالة وكل الدساتير فى العالم التى تكفل للمتهم حق الدفاع عن نفسه.. ولكن دستور عبد الناصر كان خلاف كل الدساتير كما كانت أفعاله خلاف كل الأفعال.

ويلتقط رئيس المحكمة خيوط الكلام من المدعى ويتوجه بالأسئلة إلى المتهم الواقف أمامه بلا حول ولا قوة ويسأله: عايز حد يدافع عنك؟

ويتعلق محمود عبد اللطيف ببصيص من نور الأمل ويهمس:

أيوه: عايز يا أفندم.

ويدور أغرب حوار بين رئيس محكمة ومتهم.. يسأله رئيس المحكمة:

مين؟ ويرد المتهم: محمود سليمان غنام.

ويفاجئه رئيس المحكمة وكأنما يقرأ الغيب ويسأله: وإذا ما قبلش؟

فيرد محمود: يبقى فتحى سلامة. ويكرر رئيس المحكمة: وإذا ما قبلش؟ فيرد محمود: يبقى مكرم عبید. ويسد رئيس المحكمة أمامه كل الأبواب ويسأله: وإذا ما قبلش؟ وكان رئيس المحكمة يتوقع من المتهم أن يجيب: يبقى أمرى لله وأترافع عن نفسى، ولكنه خيب أمله وقال: يبقى أى واحد تانى.

ويلتفت جمال سالم إلى ناحية المدعى ويصدر قراره، ونصه:

[على مكتب الادعاء أن يتصل بالمحامين الذين ذكرهم المتهم بالترتيب، فإذا حضر أى واحد منهم كان بها.. وإلا انتدب أى محام آخر، ويؤجل الجلسة ٤٨ ساعة، وتعقد فى الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس ١١ نوفمبر].

ونفذ مكتب الادعاء قرار المحكمة أو هكذا نشر فى الصحف صباح اليوم التالى: اتصل المدعى أولاً بالأستاذ محمود سليمان غنام، وصرح المدعى العسكرى أنه اعتذر لأنه أصلاً

يستنكر الجريمة ولا يمكنه أن يترافع عن المتهم من الناحية القومية، لأنه يستنكر استخدام أساليب العنف في الجدل السياسي - هكذا!!

واتصل المدعى بعد ذلك بالأستاذ فتحي سلامة وقال المدعى إنه هو الآخر اعتذر لسببين: أولهما: الشعور الوطني، والآخر: احتقاره للمجرم الأثيم.. هكذا!! واتصل المدعى بآخر المحامين الثلاثة وهو مكرم عبيد.. وقال المدعى إنه قال حين فوَّح برغبة المتهم: غريب أن يُطلب مني الدفاع عن المتهم، فأنا لا أستطيع أن أدافع عن من يعتدى على الرئيس جمال عبد الناصر فهذا إجرام خطير.. هكذا!!

ونترك للقارئ الكريم التعليق على هذا الجزء من المسرحية.

وانعقدت الجلسة الثانية للمحاكمة يوم الخميس ١١ نوفمبر ١٩٥٤م.. والكل يعتقد أن المحاكمة ستتم بدون محام يعكر صفوها.. ويفاجأ الجميع أن محامياً كبيراً هو المرحوم حمادة الناحل يقف معلناً تطوعه للدفاع عن المتهم بعد أن قرأ اعتذارات زملائه.. ولأن شرف المهنة يقتضيه أن يقف مدافعاً عن المتهم.

وكانت جرأة حمادة الناحل وتمسكه بمبادئ المهنة وشرفها سبباً لأن يتعرض بعد ذلك لأبشع أنواع التعذيب، ودخل السجن ولفقت له القضايا هو وغيره من المحامين الذين كانوا يتطوعون للدفاع عن المتهمين أمام محاكم عبد الناصر الاستثنائية.

ويتحضر رئيس المحكمة للمحامي الجريء.. ويرفض كل طلب يتقدم به لمعاونته في مهمته للدفاع عن المتهم.. كان يرفض الطلب قبل أن يكمل المحامي كلامه.. واتخذ رئيس المحكمة منذ اللحظة الأولى موقف المهاجم دائماً لكل شاهد.. وكان كل الشهود من المتهمين أيضاً.. يحاول أن ينكر أقواله التي سبق أن أبدأها في التحقيقات تحت الظروف المعينة التي يعرفها الجميع.

•• صور ومهازل من المحاكمة:

وإليك بعض المهازل أو الصور المبكية لمصرع العدالة.. ينقلها لنا الأستاذ صالح أبو رقيق كما نشرتها الصحف في ذلك الوقت وهي تنشر كل تفاصيل محاكمة الإخوان.

في خلال سماع أقوال على نويتو أحد أعضاء الجهاز السرى وأثناء مناقشته عن هدف الجهاز قال الشاهد: إن الغرض من الجهاز هو تدريب شباب الإخوان المسلمين لتكوين جيش إسلامي لمعاونة حركات التحرير في الدول الإسلامية كالجزائر وتونس، كما يتدرب الإخوان ليساهموا في معارك فلسطين ومعارك القناة ضد قوات الاحتلال.

- سنواجه الشاهد بأقواله فى التحقيق إذ قرر ما يأتى : وكانت تلك هى الحقيقة التى من أجلها انخرط آلاف الشبان فى جماعة الإخوان المسلمين - ووقف المدعى العام يقول : [الجيش الإسلامى كان سيقاوم الحكومة التى لا تحكم بالقرآن، واحضروا لنا الأسلحة للتدريب العسكرى . أما عن الخطة فكانوا يقولوا لازم الشعب كله يقوم بثورة!!

وقال على نويتو : مش دى أقوالى !!

وصرخ فيه رئيس المحكمة : مش مضيت على أقوالك .

ويرد الشاهد : أنا ما قرأتش الأقوال دى - ويضحك رئيس المحكمة ويقول للمدعى : يا ريت كنتم خليتوه يوقع على شيك بـ ٥٠٠ جنيه .

ويرد المدعى ضاحكاً : يا ريت يا افندم .

ولم يحقق رئيس المحكمة أقوال الشاهد . . ولا كيفية توقيعه على أقوال لم يقلها . ويقول الأستاذ صالح أبو رقيق : إن كل متهم من أعضاء الإخوان المسلمين كانوا يرغمونه على التوقيع على أقوال . . دون سماعها . . كانوا يوجهون الأسئلة على الورق . . ويضعون لها الإجابة . . ثم يكلفون المتهم بالتوقيع . . ومن كان يحاول أن يقرأ أو يعترض يتعرض لكل أصناف التعذيب .

وكانت تلك صورة تتكرر مع كل شاهد . . ومع كل متهم . . كان رئيس المحكمة جمال سالم يعتقد أنها مؤامرة حقيقية ، ولم يخطر بباله أن الأوراق التى أمامه كلها مزيفة تماماً ، كما اعتقد زملاؤه أن ثورة الشعب والمظاهرات فى أزمة مارس كانت ثورة تلقائية سببها تعلق الشعب بهم . . ثم اكتشفوا بعد ذلك أنها كانت ثورة مدبرة دفع أجر لقيامها أربعة آلاف جنيه إلى الصاوى أحمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل ، وأن الذين حركوا المظاهرة هم مجموعة من الضباط الذين جمعهم عبد الناصر من غرز الحشيش والمواخير كما وصفهم كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة .

ولعل الدليل الأكيد أن الرئيس جمال عبد الناصر كان لا ينقل إلى زملائه الحقيقة أبداً . . إنما كان يعطيهم دائماً الصورة التى يرسمها بنفسه . . هو ما حدث خلال جلسات تلك المحاكمات عندما كان المرحوم منير الدلة أحد زعماء الإخوان المسلمين وواحد من كانوا على صلة بعبد الناصر حتى أنه رشحه للوزارة سنة ١٩٥٣ م . . يدلى بشهادته أمام المحكمة ودار بينه وبين رئيس المحكمة الحوار التالى :

سأله رئيس المحكمة: هل تذكر يوم ما رحلت مع صلاح شادى إلى جمال عبدالناصر سنة ١٩٥٣م وطلبتكم منه أن تعرض عليكم مشروعات القوانين قبل صدورها؟ وأجاب منير دلة: احنا قابلنا جمال عبد الناصر، لنبدى له أن الإخوان المسلمين يؤيدون الثورة، وتطرق الحديث بين الرئيس وبين صلاح شادى إلى موضوع القوانين، وقال له صلاح: حبذا لو عرض الحاكم مشروعات القوانين على الشعب قبل إصدارها، ودا كان رأى شخص ولم يكن رأى الجماعة. وقاطعه جمال سالم صارخاً: أنتم قلتكم: لازم الحكومة تعرض القوانين على الجماعة، فقال لكم: الحكومة لا تقبل وصاية الإخوان، والحكومة تمثل الشعب أكثر من الإخوان.

- ورد الشاهد: أنا أقسمت على كلامى.

- ولم يتركه جمال سالم يكمل بل قاطعه قائلاً:

- احنا كمان أقسمنا اليمين بيننا وبين ربنا.

فقال الشاهد: أنا أروى الواقعة كما حدثت.

فصرخ جمال سالم: كلامك ده فيه نوع من الاتهام لجمال عبد الناصر، إنه مش عارف ينقل الكلام صح^(١).

أما فى محاكمة يوسف طلعت فكان أبرز ما حدث أمام المحكمة هو صورة المواجهة بينه وبين جمال سالم رئيس المحكمة.

سأل جمال سالم يوسف طلعت: تعرف تقرأ سورة الفاتحة بالقلبة (مقلوبة)!!

قال يوسف وهو يشير بيده إلى جمال سالم - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ثم بدأ تلاوة سورة الفاتحة على نهجها الصحيح كما أنزلها الله فى كتابه العزيز.. وكان رد يوسف طلعت ذروة الثبات والشجاعة^(٢).

●● أحكام بالجملة:

عقدت أول جلسة لمحكمة الشعب صباح يوم الثلاثاء ٩ نوفمبر ١٩٥٤م أى بعد أسبوعين تماماً من حادث المنشية، واستمرت إلى يوم ٢ ديسمبر ١٩٥٤م، وقد حوكم أمامها بالإضافة إلى محمود عبد اللطيف، حسن إسماعيل الهضيبى المرشد العام، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وهنداوى دوير، ومحمد خميس حميدة نائب المرشد، والشيخ محمد فرغلى عضو

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥٤م.

(٢) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٥٤م.

مكتب الإرشاد، وعبد القادر عودة وكيل الجماعة، والدكتور حسين كمال الدين، والدكتور كمال خليفة، ومنير الدلة، وصالح أبو رقيق، ومحمد حامد أبو النصر، والشيخ أحمد شريت، وعمر التلمساني، وعبد العزيز عطية، وعبد الرحمن البنا، والبهي الخولي، وعبد المعز عبد الستار. كان الثلاثة الأخيرون مفرجاً عنهم.

وفي ٢٨ نوفمبر تألفت ثلاث دوائر فرعية، تألفت الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة، والثانية برئاسة القائم مقام حسين محفوظ ندا، والثالثة برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن شحاتة عنان، وقد عقدت جلسات هذه الدوائر الثلاث في مبنى الكلية الحربية، بينما عقدت جلسات محكمة الشعب الرئيسية بمبنى قيادة الثورة بالجيزة.

وفيما عدا قضية محمود عبد اللطيف، التي استمعت فيها المحكمة إلى كثير من الشهود من أعضاء الجهاز السرى وقيادات الإخوان السياسية واستمرت بالتالي وقتاً طويلاً، إذ استمرت إلى يوم ٢٠ نوفمبر - فإن بقية المحاكمات لم تستغرق وقتاً يذكر، فلم تستغرق قضية حسن الهضيبي المرشد العام سوى ثلاثة أيام وانتهت في ٢٥ نوفمبر - واستغرقت محاكمة يوسف طلعت يوماً واحداً هو يوم ٢٧ نوفمبر، وفي يوم ٢٩ نوفمبر نظرت قضيتا كل من هندأوى دوير وإبراهيم الطيب، وفي يوم ٣٠ نوفمبر نظرت خمس قضايا لكل من: محمد خميس حميدة، ومحمد فرغلي، وعبد القادر عودة وحسين كمال الدين وكمال خليفة، كما نظرت قضايا منير الدلة وصالح أبو رقيق ومحمد حامد أبو النصر وأحمد شريت وعمر التلمساني وعبد العزيز عطية في يوم واحد...

وهذا كله يبين صورية المحاكمة، ومدى الضمانات التي كان يتمتع بها المتهمون. . لقد كانت جلسات للتشهير لا للحكم والقضاء والفصل كما يحدث في المحاكمات الحقيقية.

وكان الأمر في الدوائر الفرعية لمحكمة الشعب من المهازل الكبرى، نظراً للأعداد الضخمة من قضايا المتهمين التي كانت تنظرها في اليوم الواحد. وعلى سبيل المثال، ففي ٩ ديسمبر نظرت قضايا ٢٨ متهماً، وفي ١١ ديسمبر نظرت ٢١ قضية، وفي ١٢ ديسمبر نظرت ١٣ قضية، وفي ١٣ ديسمبر نظرت ١٩ قضية، وفي يوم ١٨ ديسمبر نظرت ٤٠ قضية، وفي ٢١ ديسمبر نظرت ٤٨ منها، وفي ٢٨ منه نظرت ٤٢ قضية، وفي ٩ فبراير أعلنت الصحف عن محاكمة ٦٩ إرهابياً (كما كانت تطلق على المتهمين). أمام الدائرة الثالثة وحدها ١٢٦ متهماً في مدى شهر ونصف، فقط أدين منهم مائة وسبعة وبرى تسعة عشر، وقد حكمت هذه الدوائر بأحكام كثيرة بالإعدام والمؤبد والأشغال الشاقة لمدد متفاوتة، ولكن أحكام الإعدام خففت إلى المؤبد، والوحيد بين المتهمين الذي حوكم في جلسة سرية كان صلاح شادى الذي حكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم عليه.

•• حكم الإعدام وتنفيذه:

أصدرت محكمة الشعب يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٤م أحكامها بالإعدام على سبعة من الإخوان على رأسهم فضيلة المرشد العام الأستاذ المستشار حسن إسماعيل الهضيبي . . ولما أذاعت وكالات الأنباء هذا الخبر اندلعت مظاهرات الاحتجاج الصاخبة حول السفارات والقنصليات المصرية في السودان وسوريا والأردن ولبنان وباكستان . . كما قامت مسيرات للجماعات الإسلامية في كثير من البلاد تندد بأحكام الإعدام وتهتف ضد الطاغية جمال عبد الناصر . . كما أبرق زعماء العالم الإسلامي باحتجاجهم وطلب تخفيف الأحكام، وأمام هذه الموجة العارمة بالغضب والاحتجاج أسرع عبد الناصر بتخفيف الحكم عن الأستاذ المرشد إلى الأشغال الشاقة . .

ولكن تم تنفيذ حكم الإعدام في ستة من الإخوان يوم الثلاثاء ١١ من ربيع الأول ١٣٧٤هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٥٤م وهم:

- ١- محمود عبد اللطيف .
- ٢- يوسف طلعت .
- ٣- إبراهيم الطيب .
- ٤- هندأوى دوير .
- ٥- محمد محمد فرغلي .
- ٦- عبد القادر عودة .

لقد فوجئ باقي الإخوان داخل السجون والمعتقلات بخبر تنفيذ حكم الإعلام على إخوانهم الشهداء فأصيبوا بالذهول والصمت والبكاء، فلم يكن يتصور أحد أبداً أن يبلغ الأمر بالحكومة هذا الحد من الخصومة والحقد والفجور . .

•• اعتقال مشهور والحكم عليه:

كان الأستاذ مصطفى مشهور في مرسى مطروح التي أبعدها بعد خروجه من السجن في قضية السيارة الجيب . . وبما أنه كان من القيادات المعروفة في الدعوة العامة والنظام الخاص، وكانت سياسة جمال عبد الناصر القضاء على الإخوان المسلمين واستئصال شأفتهم؛ فقد طال الاعتقال مصطفى مشهور في مرسى مطروح وكان ذلك في أول نوفمبر ١٩٥٤م ونقل إلى السجن الحربى تاركاً أسرته الصغيرة في غربتها في رعاية الله وحفظه فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين . .

ترك مصطفى مشهور زوجته الصالحة المؤمنة وترك معها أطفاله الثلاثة: مشهور سبع سنوات، وسلوى ست سنوات، ووفاء سنتان، وجنيناً في بطنها، تركهم جميعاً في ذلك البيت الصغير المتواضع الذي يخلو من الأثاث، تركهم جميعاً بعيداً عن الأهل والأحباب في غربة وعزلة... تركهم بعد أن كان يملأ حياتهم سعادة وهناء، يأخذهم معه إلى البحر للتنزه والصيد، يلاعبهم ويعلمهم الرياضة، ويحفظهم القرآن، ويضفي عليهم جواً من المرح ليزيل عنهم آلام الغربة والعزلة... يأخذهم على طريق الدعوة: إن الحياة في كنف زوج صالح مؤمن تهون من أجله ألوان الحرمان من متع الدنيا الزائلة.

كانت حياتهم سعيدة برغم ما فيها من مشقة وبساطة في العيش والمسكن والمأكل والملبس، وبرغم خلو البيت من الأثاث...

أخذ الزوج تلك السعادة وتركهم في جو كثيب حزين عاشته الأسرة، وذاتت الزوجة ألم الفراق وتجذرت مرارة المحنة ولكنها كانت صابرة محتسبة، واثقة فيما عند الله تبارك وتعالى كما كان يعلمها زوجها ويعدها لمثل هذا اليوم، فقد كانت تهتم بخدمة أطفالها ورعايتهم طوال النهار حتى إذا جم الليل لجأت إلى ربها تدعوه وتشكو إليه ظلم العباد... تدعو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، فيرد عليها مولاها ويهدئ من روعها وينزل عليها السكينة ويفرغ على قلبها الصبر ويلهمها الاحتساب ويعينها على الثبات ثم يطمئنها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿﴾ [إبراهيم: ٤٣].

مرت خمسة أيام على هذه المؤمنة الصابرة المحتسبة وهى على هذا الحال، حتى جاء شقيق زوجها (الحاج عبد اللطيف مشهور)، فربطت عزالها في بطاطينها وكفكفت دموعها وملت شعثها وجمعت أولادها حولها، واستقلت الأسرة الكريمة المحرومة من عائلها ظلماً وعدواناً القطار من مرسى مطروح إلى الإسكندرية، وكانت رحلة شاقة لسوء القطارات من بطء فى السرعة ورداءة المقاعد، ثم من هناك إلى قرية السعديين مع العم الكريم... ذهبت الأسرة لتعيش بين الأهل والأحباب لتخفف عن نفسها الآلام والأحزان، وهى على يقين أن الله تعالى سيجبر كسرهما ويرد إليها عائلها...

أما الزوج فقد ذهب إلى هناك وما أدراك ما هناك، ذهب إلى السجن الحربى، لقد اعتقل الرجل وأخذ إلى السجن الحربى بسبب الجريمة الكبرى التى ارتكبها والذنب العظيم الذى

اقتصره وهو الانتماء إلى الإسلام والانتظام في صفوف دعاة الإسلام دعاة الحق والقوة والحرية . . هذا الشرف العظيم ، وهذه العزة والكرامة تعد جريمة في نظر أشباه الرجال المرتكسين المتكسين بل الموكوسين . . .

لقد استقبلوه عند دخول باب السجن الحربى استقبالاً غير مسبوق لأمثاله من الكرام الشرفاء البررة . . استقبلوه بعاصفة من الصفع بالأيدى والركل بالأقدام والضرب بالعصى في كل مكان في جسمه ، ثم حلقوا له رأسه حلقاً يكاد يزيل كل ما به من شعر ، وأمروه أن يحمل أمتعته ويجرى بها إلى زنزانه التي لا يعرفها ولا يعرف كيف يصل إليها ، كل ذلك تحت عاصفة أخرى من الصفع والركل حتى يدخل باب زنزانه وتعلق عليه - إلى جانب إهانته بالسباب والألفاظ الفاحشة البذيئة والتي لا تعد إهانة إذا قيست بما سواها من الإهانات .

ابتلعه إحدى زنازين سجن (٤) مع سبعة من إخوانه ، وهذه الزنزانه حجرة صغيرة تقل مساحتها عن ثلاثة أمتار في مترين ، أرضيتها من الأسفلت ، وبابها قطعة واحدة من الحديد ليس له إلا ثقب صغير في مساحة العين يمكن إغلاقه من الخارج ، ومزلاج الباب من الخارج ، وليس بهذه الحجرة نوافذ إلا طاقة صغيرة قرب سقفها مساحتها نحو ٦٠ سم × ٣٠ سم شبه مسدودة بأعواد من الحديد ، وبالزنزانه جردلان أحدهما للتبول والآخر للشرب ، ويصرف لكل معتقل بطانينتان سوداوان من بطاطين الجيش وعليه أن يدبر لنفسه وسادة يضعها في النوم تحت رأسه ، وكانت الوسادة عادة هي الحذاء يغطي بجزء من إحدى البطانيتين ، والزنازين مجردة من أى شيء ينام عليه المعتقل فليس بها أسرة ولا ألواح من الخشب ولا حتى البرش . وتظل الزنازين مغلقة طوال اليوم والليل ولا يفتح بابها إلا خمس مرات : في الثالثة صباحاً أى بعد منتصف الليل وقبل الفجر وذلك للتحقيق مع المعتقلين . وفي الساعة السابعة صباحاً لتقديم الإفطار وهو عبارة عن شاي في قده من الألومنيوم القدر . وفي الواحدة بعد الظهر لتقديم الغداء ويتكون من رغيف وحلاوة طحينية . وفي الخامسة مساءً لتقديم العشاء وهو عادة عديس أو خضار مطبوخ مع رغيف وقطعة من اللحم النيء ، ولم يكن طبخه أكثر من إلقاء الخضار كما هو في ماء مغلى حيث لا تستطيع أن تميز أى نوع من الخضار هو ، لأنه لا طعم له . وتفتح الزنزانه وقت الضحى للخروج إلى الطابور اليومي .

•• طابور الإرهاب والإهانة:

في وقت الضحى يخرج هذا العدد الكبير من المعتقلين حيث يربو على الثلاثة آلاف من زنازينهم في أقصى سرعة جرياً إلى فناء السجن في شكل فصائل في صفوف متظمة في وضع

انتباه لا حركة ولا صوت . . ولفظاعة ما كان يتأبهم في هذه الطوابير من إرهاب وإجرام ، كانوا يخرجون من الزنازين ولا يعرفون : هل سيعودون إليها أحياء أم سيضربون بالرصاص ويدفنون في سفح الجبل!؟ . .

تحيط بهذا الطابور حراسات مدججة بالسلاح ، وفوق الأسطح جنود يمسكون بأسلحتهم في وضع الاستعداد . . أما السادة الضباط فإنهم يقودون المعركة في أنفة وكبرياء واستعلاء . . وينطلق الميكرفون بصوت أم كلثوم التي كانت لها أغنية عقب حادث المنشية كان مطلعها : (يا جمال يا مثال الوطنية ، أجمل أعيادنا المصرية ، بنجاتك يوم المنشية) ويطلب من الإخوان أن يرددوا معها هذه الأغنية . . ويقوم الأستاذ المرشد بعمل كالميسترو ويشير بيده للجماهير الهائل من رجال الإخوان . . ويراقب جنود فرعون ، الذين لا يفتحون أفواههم يرددون هذه الأغنية ، فيضاعفون لهم العذاب . وقد ثبت عند الإخوان أن المشير عبد الحكيم عامر كان يحضر بنفسه ومعه بعض حاشيته ليشهدوا بشماتة هذه الصورة تشفياً في رجال الإخوان .

وبعد انتهاء الأغنية يبدأ الطابور في الجرى بالخطوة السريعة على شكل دائرة يتقدمهم الأستاذ المرشد ، ويستمر هذا الجرى من ساعة إلى ساعتين دون راحة أو رحمة بالمرضى والشيوخ الذين يتساقطون منهكين على أطراف الطابور ، فتنهال عليهم الركلات بالأقدام حتى يقوموا ويشاركوا في الطابور . . ويستمر الإخوان جميعهم في الجرى السريع والكرابيج تلهب أجسادهم في كل مكان . .

•• ألوان من التعذيب (١) :

- ١- يأمر جنود الحراسة أن يتطح الإخوان على وجههم على الأرض . . وتقوم مجموعة من العساكر بالجرى والقفز على ظهور الإخوان بأحذيتهم الخشنة الغليظة لا يباليون أين تقع أحذيتهم على رؤوسهم أو أذانهم وهم يهزأون ويضحكون .
- ٢- وبعض الإخوة بأسمائهم قد تعرضوا لأفحش وأبشع نوع من إذلال الكرامة الإنسانية ، حيث أجريت معهم عملية نفخ من أسفل حتى تكاد الأمعاء والبطون أن تنفجر . ومثل هؤلاء قد أصيبوا بعد ذلك بأمراض أقلها هو الخلل في التفكير ووظائف مكونات الجسم وسلامته .
- ٣- وبعضهم كان من ضمن وسائل تعذيبه هو وضع ما يشبه الطوق حول رأسه يقفل على رأسه رويداً رويداً حتى يكاد يصيبه الجنون .

(١) في قافلة الإخوان المسلمين - عباس السيسى - ج/٣ ص ١٣٢ .

٤- وفي السجن جعلوا من زنزانة بالدور الأرضي ما سمي (ثلاجة) حيث قاموا بإغلاق نصف ارتفاع باب الزنزانة بالمباني - وملئت بالماء القذر شديد البرودة حيث كان الوقت شتاء . ويؤتى بالأخ كيوم ولدته أمه فيقذفونه بها . يظل هذا الإنسان واقفاً لا يستطيع جلوساً فيغرق ولا منفذ فيخرج ولا طعام ولا ماء . . والحارس يرقبه حتى إذا أدركه الهلاك . . أخرجوه إلى مكاتب التحقيق ليقول (الحق) ويعترف على ما لا رأى ولا سمع!! . .

٥- الإنسان والماء : يروي أحد الإخوان أنهم حبسوه حبساً انفرادياً بدون طعام ولا غطاء ولا ماء ثلاثة أيام متوالية حتى أخذته الجهد واشتد به العطش . . ثم دخلوا عليه ومعهم إناء به ماء . . وظن أنهم عطفوا عليه بالماء . . ولكنهم صبوا الماء على أرض الزنزانة . . وقالوا له إذا كنت تريد أن تشرب فعليك أن تلحس الماء . . ولشدة العطش أخذ يلحس الماء من على الأرض كما يلحسه الحيوان .

٦- التعذيب بالكلاب : كان في السجن الحربى مجموعة من الكلاب كالوحوش مدربة على وسائل معينة من التعذيب ولها أكثر من مدرب . . . وكم من الإخوان تعاملت معهم هذه الكلاب بصورة مفزعة وفي أماكن حساسة يستحى الإنسان من ذكرها وهي صورة يندى لها جبين الإنسان والزمان . . وكم نهشت من لحوم بعض الإخوان بعد أن تقطعت بالكرايبج . . . وكم باتت تحرس بعض الإخوان داخل زنزينتهم وقد حبسوا حبساً انفرادياً وقد أعدوا هذه الكلاب تجويعاً عدة أيام ولكنها حرمت على نفسها فضلاً عن لحم الإنسان الطعام والشراب الذي كان يقدم بعد أيام من الحبس الانفرادى مع الكلب، فكانت لا تأكل ولا تشرب حتى يأكل ويشرب الأخ وهي تحرسه!!! والله في خلقه شئون، والله تبارك وتعالى أكرم الأكرمين ويكرم أوليائه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٧) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

•• الخطوات المتبعة في التحقيق^(١)••

كانت التحقيقات هي الجامعة لكل صنوف التعذيب والإهانة والإذلال، وكانت الخطوات المتبعة في هذه التحقيقات كما يلي:

أولاً: يسحب الأخ المطلوب التحقيق معه من زنزانه سراً بعد العشاء ويقاد إلى المكاتب .

(١) أحداث صنعت التاريخ - ج/٣ ص ٤٥٦.

ثانياً: يكون المحققون قد كتبوا محضراً كاملاً للتحقيق مع هذا الشخص قبل حضوره بما فيه من أسئلة وأجوبة كما يريدون .

ثالثاً: يقدم الأخ المطلوب إلى المحقق الذى يجلس بجانبه قائد السجن الحربى وضابط المخابرات وضابط على الأقل من رجال جمال عبد الناصر الشخصيين . ويقرأ المحقق على الأخ التهمة المطلوب اعترافه بها فينفيها الأخ لعدم معرفته بها ولا بالأشخاص الواردة أسماؤهم فيها .

رابعاً: يأمر الزبانية عساكر التعذيب بخلع ملابس الأخ عن جسمه فيفعلون .

خامساً: يبدأ بضربه بالكراييج على جميع أجزاء جسمه وهو طبعاً يصرخ ويستغيث .

سادساً: يؤمر بإيقاف الضرب ويطلب منه الاعتراف بالتهمة فيقول لهم كيف أعترف بشيء لم يحصل ولا علاقة لى به .

سابعاً: يؤمر بمعاودة تعذيبه فتستعمل طرق أخرى من التعذيب غير الضرب لأن جسمه لم يعد فيه ستيتمتر واحد خال من آثار الكراييج - فيستعمل وسائل أخرى كالإحراق بأعقاب السجائر والكى بالنار فى أماكن متباينة وحساسة من جسمه - أو يعلق منكساً مع ضربه وهو فى هذا الوضع - أو يضرب مرة أخرى حتى يلتهب جسمه كله وينزف من جميع أجزائه ثم يلقى وهو فى هذا الالتهاب فى زنزانه مجهزة تجهيزاً خاصاً ومملوءة بالماء المثلج بحيث يغمر الشخص حتى رقبته - أو يلجأ إلى أحط الوسائل بإحضار زوجته أو ابنته أو أخواته وتهديده بهتك أعراضهن أمامه ، أو وسائل أخرى لا تقل انحطاطاً ووحشية عن هذه الوسائل .

وهكذا يجرب معه من هذه الوسائل حتى يضطر إلى التوقيع على المحضر الذى عرضوه عليه من أول الأمر إنقاذاً لحياته وعرضه .

ثامناً: تضمد الجراح النازفة ، ويلقى به فى زنزانه . . حتى إذا توقف النزف واستطاع المشى على قدميه ، اعتبروه صالحاً للتقديم إلى المحكمة .

تاسعاً: ينادى عليه وعلى زملائه الذين مروا بكل ما مرّ به . . وتكون المناادة ليلاً ، فيقابلهم قائد السجن الحربى أو من ينيبه ممن هم على شاكلته ، ويخبرهم بأنهم سيذهبون غداً إلى المحكمة فى الصباح ، ويحذرهم من أن ينكر أحد منهم شيئاً مما هو متهم به أو أن يشكو أى نوع من التعذيب وإلا عادوا إلى تعذيب أشد .

عاشراً: يذهب بهذه المجموعة إلى المحكمة التى لا يعرفون مكانها ولا زمانها ولا أشخاصها ، فيجدون أنفسهم أمام حجرة داخل ثكنات الجيش ليس فيها أحد مطلقاً إلا ثلاثة

ضباط ممن يسمون الضباط الأحرار، فيشعر هؤلاء المتهمون أنهم -بوقوفهم أمام هؤلاء- لم يخرجوا عن حدود السجن الحربى، وأن هؤلاء ليسوا إلا فصلاً من المسرحية المجرمة الهازلة، ويسأل رئيس هذه المحكمة الهازلة كل واحد من المتهمين: هذا توقيعك؟ فيقول: نعم، فيحكم عليه بما طُلب إليه الحكم به؛ ثم يرجعون إلى زنازينهم بالسجن الحربى كما كانوا.

هذه هى خطوات التحقيق التى أدت إلى المحاكمة الجائرة الظالمة، التى وصمت العالم الإسلامى والعربى بالعار والشنار فضلاً عن مصر وشعب مصر المغلوب على أمره. وباتت صفحة سوداء بل من أحلك الصفحات سواداً فى سجل التاريخ.

عاش مصطفى مشهور هذه الأيام مع إخوانه بالسجن الحربى أو (جهنم الدنيا) بدأ بالاستقبال لحظة دخوله بوابة هذا السجن وما لقيه بداخله من صنوف العذاب وفنون الانتقام الناصرى الذى يفوق التصور. . . وعذب هو وإخوانه أشد العذاب، وقد أحدث هذا التعذيب جرحاً عميقاً غائراً فى قدمه وترك أثراً فى مشيته. . . وظل يتجرع هو وإخوانه مرارة التعذيب المهول حتى صدور الحكم وانتهاء المحاكمات فى فبراير ١٩٥٥ م.

وتجدر الإشارة إلى القصيدة الرائعة التى نظمها الدكتور يوسف القرضاوى الذى شارك فى هذه المحنة بنفسه وعواطفه ومشاعره الحية التى انبثقت عنها القصيدة التى سماها بـ(النونية)، تخليداً لهذه الذكرى الأليمة للمجتمع البشرى تتلى على الأجيال جيلاً بعد جيل. . . ونكتفى بنقل الأبيات الأولى منها، من ديوان: (لفحات ونفحات)^(١).

أفضى لكم بفجائعى وشجونى
والشعر عودى يوم عزف لحنى
تشجى القلوب بلحنها المحزون؟
تتلى على الأجيال بعد قرون
ما دمت أبغيه ولا يبغينى!
طرباً إلى الإنشاد والتلحين
ويمدها قلبى ومساء عيونى
أبدأ فكدت يقال لى: (ذو النون)

ثار القريض بخاطرى فدعونى
فالشعر دمعى حين يعصرنى الأسى
كم قال صحبى: أين غر قصائد
وتخلد الذكرى الأليمة للورى
ما حيلتى والشعر فيض خواطر
واليوم عاودنى الملاك فهزنى
ألهمتها عصماء تنبع من دمي
نونية والنون تحلو فى فمى

(١) وردت هذه القصيدة فى كتاب «نافذة على الجحيم».

صورت فيها ما استطعت بريشتي
 ما همت فيها بالخيال فإن لى
 أحداث عهد عصابة حكموا بنى
 أنست مظالمهم مظالم من خلوا
 حسبوا الزمان أصم أعمى عنهم
 وبراعة التاريخ تسخر منهمو
 وكفى بربك للخليفة محصياً
 وتركت للأيام ما يعيىنى
 بغرائب الأحداث ما يغينى
 مصر بلا خلق ولا قانون
 حتى ترحمنا على (نيرون)!
 قد نؤمّوه بخطبة وطين
 وتقوم بالتسجيل والتدوين
 فى لوحه وكتابه المكنون

•• الحكم على مشهور وسجنه:

أصدرت محاكم الشعب بكل دوائرها أحكاماً بالسجن على حوالى ألف شخص من جماعة الإخوان المسلمين، ورحل جميع المحكوم عليهم إلى جميع سجون مصر... فأصحاب الأحكام ذوو المدد الطويلة رحلوا إلى سجن ليمان طره ثم بعد ذلك رحلوا إلى سجن الواحات والمحاريق فى أعماق صحراء مصر الجنوبية الغربية، وباقى الأحكام رحلوا إلى سجون المحافظات مثل سجن بنى سويف والمنيا وأسيوط وقنا وسجن القناطر وسجن مصر (أرميدان).

حكم على مصطفى مشهور بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات، وقد استغرقت المحكمة فى محاكمته بضع دقائق!!.. وبعد صدور الحكم نقل إلى سجن ليمان طره.

لم ينقطع التعذيب ولكنه استمر فى سجن ليمان طره إلا أنه كان أخف مما كان عليه فى السجن الحربى.

وكانت فرصة اتصال الإخوان بعضهم ببعض قد انفرجت شيئاً قليلاً، إذ كانت منقطعة تماماً وممنوعة منعاً باتاً بالرغم من أنهم يعيشون مع بعضهم ليل نهار فى العنابر، اللهم إلا إذا كان هناك تكدير بحبس انفرادى فيكون الفراق المؤقت.

لم تستمر هذه المرحلة طويلاً ولكنها انتهت بترحيل مجموعة بحسبان أنها تقود وتؤثر على باقى الإخوان، ورحلت هذه المجموعة إلى سجن الواحات، وكان من بينهم الحاج مصطفى مشهور.

•• سجن الواحات الخارجة:

يقع هذا السجن فى أعماق الصحراء الجنوبية الغربية وكان يسمى بسجن (جناح)، والعجيب أن السجن لم يكن كغيره من السجون فهو لا يتكون من أبنية ولكنه كان يتكون من

مجموعة من الحيام داخل حوش كبير محاط بالأسلاك الشائكة!! . . . والواحات الخارجية تعرف الآن بالوادي الجديد .

ذهب مصطفى مشهور إلى سجن الواحات مع إخوانه، وبفضل الله تبارك وتعالى ثم بفضل المحاضن التربوية لجماعة الإخوان المسلمين استطاع الإخوان التأقلم على المناخ الصحراوي المعروف بالحرارة الشديدة في الصيف والبرد الشديد القارص في الشتاء، بالإضافة إلى أنهم قد تربوا على النظام والإيجابية والعمل، فقد حولوا سجن الواحات إلى مخيم دائم لهم وزينوه بالزروع والأشجار والأزهار (كما فعلوا تمامًا في سجن الطور عام ١٩٤٨م)، وحولوه إلى جامع للعبادة ومعهد للدراسة، فقد وجد الطلاب منهم من يساعدهم في دروسهم في جميع التخصصات، كما جعلوه ناديًا للرياضة بإنشاء الفرق الرياضية وإقامة المباريات بينها؛ فيتحول هذا السجن إلى جنة ضاحكة بعد أن كانت قفراء قاحلة، لقد تغير الوضع تمامًا فقد زرعوا الزروع والشمار والفواكه والدواجن وعم نفعها الضباط والجنود وكل من يعيش حولهم، ولما زارهم رجال الثورة ومعهم الجلابد حمزة البسيوني مدير السجن الحربي، فوجئوا بما شاهدوا وأذاهم ذلك كله إيذاءً بليغاً، وغازتهم أشد الغيظ؛ أن يجدوا عند هؤلاء المعذبين صدوراً تنشرح للعمل، وعزائم تتجه إلى الإنتاج، فأمروا بهدم هذا كله وتخريبه، وبناء سجن محكم يحول بين هؤلاء وبين العمل للحياة.

وبهذه المناسبة نذكر ما أطلقه الإخوان المسلمون على معتقل الطور على سبيل الفكاهة: (الطور هو المخيم الدائم للإخوان المسلمين لسنة ١٩٤٩م . . . السفر والمصاريف والإقامة والتكاليف على حساب الحكومة المصرية!! . . .)، ولقد سجل الدكتور يوسف القرضاوي ذلك في قصيدة له ألقاها في حفل إخواني أقيم بميدان السيدة زينب بعد خروج الإخوان من المعتقل سنة ١٩٥٠م ومنها:

قالوا: إلى السجن قلنا: شعبة فتحت	ليجمعونا بها في إخواننا
قالوا: إلى الطور قلنا: الطور مؤتمر	فيه نقرر ما يخشاه أعدانا
فهو المصلى نرى فيه أنفسنا	وهو المصيف نقوى فيه أبدانا
معسكر صاغنا جنداً لمعركة	ومعهد زادنا بالحق عرفانا
من حرموا الجمع منا فوق أربعة	ضموا الألف بغياب الطور أسدانا
راموه منفى وتضييقاً فكان لنا	بنعمة الحب والإيمان بستانا
هذا هو الطور شاءوا أن ندوب به	وشاء ربك أن نزداد إيماننا

قاعدة مشهور الذهبية^(١)،

يظن الناس أن وقت السجين كله فارغاً غير الأعمال التي يؤديها جبرياً وتفرضها عليه إدارة السجن، قد يكون هذا الكلام صحيحاً بالنسبة للسجين الذي لم يفهم سر وجوده.. أما بالنسبة للإخوان المسلمين فالأمر غير ذلك ولا تجوز المقارنة، فهم قوم فهموا الإسلام فهماً صحيحاً شاملاً وتربوا في محاضن تربوية خاصة علمتهم كيف يكونون جنوداً مخلصين لدعوة رب العالمين.. فالوقت بالنسبة لهم هو الحياة، فإذا ضيعوا أوقاتهم فسوف تضيع حياتهم.. فكيف يضيعون حياتهم وهي مطية آخرتهم؟!..

لذلك وضع الحاج مصطفى مشهور قاعدة ذهبية للتعايش داخل السجن وهي: (اعمل لسجنك كأنك تعيش فيه أبداً، واعمل لإفراجك كأنك تخرج غداً).

يقول الحاج مصطفى مشهور عن سلوك الإخوان المسلمين داخل السجن: وأذكر بهذه المناسبة عندما كنا بالسجن كنا نشغل أنفسنا بأعمال نافعة يضيق بنا الوقت في إتمامها، وربما يظن الكثيرون أن وقت السجن ممل طويل.

كذلك عندما كان يحبس أحدنا انفرادياً وحده في زنزانة مغلقة يشغل وقته كله في عبادة من صلاة وتلاوة للقرآن وذكر الله ومناجاة ودعاء إلى غير ذلك^(٢).

إن مجتمع الإخوان يتميز عن غيره من المجتمعات، فهو مجتمع منظم ولا يستطيع أن يعيش إلا منظماً.. فمنذ انتقلهم إلى سجن الواحات قاموا بتنظيم لجانهم.. فكانت هناك لجنة تنظيم أمور الدعوة وهي: أعضاء مكتب الإرشاد أو ممن كان موجوداً من أعضاء المكتب، كان منهم: (صالح أبو رقيق ومنير دلة وحسين كمال الدين وكمال خليفة وعمر التلمساني والشيخ أحمد شريت وعلى رأسهم الأستاذ عبد العزيز عطية) رحمهم الله جميعاً. أما اللجنة الثانية فهي اللجنة التي تدير شؤون الحياة وكانت تتكون هذه اللجنة من: (مصطفى مشهور ومحمود أبو رية وكمال السنانيري ورشاد المنيسى وعلى معروف) عليهم رحمة الله، ويشرف عليها أحد أعضاء مكتب الإرشاد.

كانت هذه اللجان تنظم للإخوان برنامجهم اليومي مما ساعدهم على الاهتمام بالوقت فكانوا لا يهدرون أوقاتهم ويحرصون على ملئها بما يعود عليهم بالفائدة في الدنيا

(١) نقلنا هذه القاعدة الذهبية عن كثير من الإخوان الذين عاشوا مع الحاج مصطفى في سجن الواحات، من خلال حوارات مسجلة معهم أو غير مسجلة.

(٢) انظر كتاب من فقه الدعوة ج/٢ ص ٤٩٧.

والآخرة... فكانوا يحفظون كتاب الله تعالى ويتدارسونه ويذكرون الله في جميع أحوالهم، وكانوا يحتفلون في المناسبات والأعياد بمناسبة المولد النبوي الشريف وغزوة بدر والإسراء والمعراج وليالي رمضان وأيضاً عيد الفطر المبارك وعيد الأضحى المبارك، بالمرحيات والتمثيل والخطب والمحاضرات... كما كانوا يقسمون أنفسهم إلى فرق رياضية، فقد قسموا أنفسهم إلى ثلاث فرق وهي: (فريق الجهاد بقيادة مصطفى مشهور، وفريق النصر بقيادة سعد لاشين، وفريق الفتح بقيادة محمد حامد أبو النصر) وقد جهز لهم الأستاذ محمد حامد أبو النصر كأساً يتنافسون عليه، ويجدر بالذكر أن فريق الجهاد بقيادة مصطفى مشهور كان هو الفريق المتفوق الذي كسب الكأس^(١).

وبرزت مواهب الإخوان الفنية والرياضية والأكاديمية والأدبية، وكان الأخ سعد سرور يتحف الإخوان بقصائده الزجلية ومعه الأخ أحمد حسين صاحب الصوت الرخيم الجميل المتمتع يؤدي ما يؤلفه الأخ سعد سرور في المناسبات وغير المناسبات... ونذكر هنا قصيدتين زجليتين، ولكل واحدة مناسبة خاصة بها وهي:

● بعض الزجل الإخواني في كراسته مشهور^(٢):

١- ع المحاريق ع المحاريق

ع المحاريق ع المحاريق ربك بكره يفك الضيق
ع المحاريق ع المحاريق
والله رجـعنا للزنـازين أوعى تكون مهموم وحزين
شد العزم وقول يا معين
لف النمرة وبالا قوام واتقل واصرع الأيام
وابقى فى وقت الحق جرىء
ع المحاريق ع المحاريق
تلبس أزرق أو دمـور تلبس بفتة أو كستور
ما يهـمكش مادام مستور

(١) مقابلة مسجلة مع الأخ محمد المهدي محمد السعيد، من الرجيل الأول من إخوان طنطا. ورواها المهندس سعد لاشين شفويًا.

(٢) نقلًا عن كتاب: حياة مصطفى مشهور - كما عاشتها أسرته.

تعمل إيه بحرير أو خيش أهى سترة وأهى لقمة عيش

والحبسه ما فيهاش تزويق

ع المحاريق ع المحاريق

أمر المؤمن خير على طول مهما الشدة تزيد وتطول

واوعى يكون قلبك مشغول

سلمه الله تترتاح وفى ايده هو المفتاح

يفتح لك من أى طريق

ع المحاريق ع المحاريق

اطمن واسأل مولاك كن وياه هيكون وياك

وبفضله دائماً يرعاك

النزم بابيه ليل ونهار هو العادل والجيابا

بيسجل وحسابه دقيق

ع المحاريق ع المحاريق

جينا المحاريق

جينا المحاريق فى سبيل الله ودى شىء مكتوب لازم نرضاه

جينا المحاريق

الساعة اتناشر نص الليل جه للإخوان أمر الترحيل

وبسرعة قوام بدأ التعزيل كان لسه الفجر ما بانش ضياه

جينا المحاريق

بصياها لقينا العريبات نقلتنا هناك عشرات عشرات

ورفعنا إيدينا بالدعوات واثقين بالوعد فى نصر الله

جينا المحاريق

لقينا سجون أشكال وألوان من قنا لأسير وطال المنيا كمان

قضينا زمان جوه الليمان والبشرش ياخويا هناك شلناه

جـينـا المـحـارـيق

صرفولنا سراير و ابراش أهي زى لوكاندة بلاش فى بلاش
واتعشيننا ما اتعشيناش أهو كاس بيدور ياما شربناه

جـينـا المـحـارـيق

إن زاد الحر ودمك فار اتذكر جنبه عذاب النار
وإن شفت القلب فى يوم احتار آيتين تقـراهم هم دواه

جـينـا المـحـارـيق

٢- فرقة العواجيز:

قالوا تكتب زجل عن فرقة العواجيز
لقبتها فكرة وموضوعها طريف ولذيذ
مسكت دغرى القلم وبدأت فى التجهيز
وأحب أقول إننى فى الفرقة دى تلميذ
من شهر يمكن ونص اتكونت أفراد
وكل يوم العدد فى الفرقة كان يزداد
الساعة سابعة بيصفر نجتمع فى ميعاد
وبدأنا نخرج طابور رغمًا عن الحساد
كل المعسكر أخذها مادة للتنكيت
قالوا هانمشى ونتعكز على النبأبيت
والصبح ساعة الطابور يتريقوا العفاريت
طلعوا العجايز شباب أكثر من العفاريت
قالوا العجايز بيخدوا فى الطابور
عشان بيبقوا الساعادى آل نايمين
واكمنهم عجزوا ما يفضلوش واقفين
وكل لعب السويدى بيعملوه قاعدين

بقيننا نسمع نكت واحنا ولا سائلين
ثابتين على عهدنا والعهد ما بيلين
وبعد فترة بقينا فى الميدان ظاهرين
نلعب ونجربى وأهل التريقة ساكتين
الصبح نلعب سويدى معتدل وخفيف
بصورة يقدر عليها أى فرد ضعيف
واللى يحس بتعب يرتاح بدون تكليف
والنسمة ساعة الصباح تنعش وجو لطيف
حركة تقوى الدراع وتربى فينا زنود
ولعبة سهلة تقمى للى انعوج م العود
وخطوة ثابتة تخلى الساق مشدود
وكل ده يجعلك صاحب قوام ممدود
العب تنشط خلايا الجسم والأعضاء
وتعطى كل المرونة لمعظم الأجزاء
وأصل فن الرياضة يهذب الأخلاق
ويخلى فينا احتمال لمقاتلة الأعداء
بقالنا فرقة عظيمة تلعب الفوت بول
إخوان بتلعب فراوده وناس تقف فى الجول
وفرقة ثانية بتتقن لعبة الفولى بول
وفرقة تالته بتلعب برضه باسكت بول
الدين بي فرض علينا نبقى ناس أبطال
لازم تقوى البدن فى كل ظرف وحال
وبالرياضة الخفيفة نخلق الأجيال
اللى ها تقدر تشيل العبء والأحمال

الفرقه لسه مازال بابها لكم مفتوح
وكل راغب يشرف والدخول مسموح
وبدال ما تمشى وظهرك منحني وملووح
العب سويدي وكل الكركبـة دي تروح
احتفظ مصطفى مشهور بهاتين القصيدتين في كراسته الخاصة لما تحملان من ذكريات
عاشها مع إخوانه ولها خصوصية ومكانة في نفسه .
كانت القصيدة الأولى من الزجل بمناسبة انتقال الإخوان من سجن جناح إلى سجن المحاريق،
وكما ذكرنا فإن سجن جناح هو سجن الخيام بالواحات الخارجة الذي حوله الإخوان المسلمون إلى
جنة وارفة ضاحكة، ولما أعاظ هذا العمل حكومة عبد الناصر نقلتهم إلى سجن المحاريق وهو
عبارة عن مبان وزنازين مغلقة ويقع في الواحات الخارجة أيضاً ولكنه في مكان قصي .
أما القصيدة الثانية فهي بمناسبة تكوين الفرق الرياضية حيث اشترك جميع الإخوان فيها
حتى كبار السن منهم .

•• صور من حياة مشهور داخل السجن^(١)؛

يقول أحد معاصريه : (هناك سمة بارزة في شخصية الحاج مصطفى مشهور لا يتطرق إليها
معظم الناس وهي سمة البساطة، فإذا ما اتصف عظيم بالبساطة فيكون الأمر غريباً
وعجيباً . . . فحياة الرجل كانت كلها بساطة ليس لها أركان أو زوايا حادة، بل كانت كلها رقة
وسهولة، يتعامل مع الجميع بيسر وسهولة فيألف ويؤلف .

ولم يكن في حياته شيء حاد تستطيع أن تقول إن هناك بروزاً في جانب معين من جوانب
شخصيته، ولكنه رجل دعوة من مسقط رأسه حتى أخص رجليه، يعيش لهذا الأمر بكلياته
وبكل جديته وبكل انفعالاته وبكل بساطته، في غاية الهدوء والرحمة والمودة . . .) ويكمل
كلامه فيقول : (أتصوره الآن وكأنني أراه أمامي وهو يلبس القنانة نصف كم والبنطلون
الأبيض، ويؤدي دوره مع إخوانه بمتهى البساطة واليسر).

وأجمع معاصروه على أنه كان لا يأنف أن يعمل في أي مرفق من مرافق السجن : (المغسلة

(١) حوارات مسجلة مع نخبة من معاصريه بسجن الواحات منهم : (د. رشاد البيومي، جلال عبد العزيز، محمد
عمارة، محمد السعيد محمد المهدي، سعد لاشين، طلعت الشناوي). . . تشمل هذه الصور حياتهم في
سجن جناح وسجن المحاريق .

أو المزرعة أو المطبخ . . .) ولم تكن تحس أنه في مرتبة أعلى من أى أحد من الإخوان برغم تاريخه وقدمه ووزنه فى الدعوة .

- الصورة الأولى: المزرعة والمطبخ:

كان مشهور مصنّعاً فى المزرعة، ومصنّعاً بلغة السجن أى مكلفاً بالعمل فى المزرعة من قبل إدارة السجن فى الأماكن المزروعة حول العنابر .

فكان مشرفاً على زراعة الخضراوات وجمعها، يعمل بجهد واجتهاد وصمت واحتساب، وكان يجمع الخضراوات ويقسمها على الإخوان بنظام، فكان يوزع الملوخية والبامية والجرجير والطماطم وغيرها، وكان إذا تأخر نوع من هذه الأنواع لسبب ما ليس له يد فيه كان يعتذر للإخوان وينسب لنفسه النقص فى أدب جم . ويقول أحد الإخوان: من العجيب أن البامية كانت تطرح نوارها وزهورها وتثمر قبل أن ينبت ورقها فى فروعها .

ويقول أحد أعوانه فى المزرعة: فى يوم من الأيام أخذنا الأستاذ مصطفى مشهور إلى مكان لا يبعد كثيراً عن السجن لجلب المياه، يطلق عليه اسم «باريس» وأثناء السير وجد الأستاذ برسيمًا مزروعاً فى مكان ما، فقال: وجدتها وجدتها وكأنه اكتشف أمراً مهماً كما قال أرخميدس . . . وقال لإخوانه اجمعوا هذا البرسيم فجمعوه، وقال لهم سوف نطبخه وسيكون هو طعام اليوم ولكن نتعاهد ألا نبيح لأحد بهذا الأمر، وتعاهدوا على ذلك، وطبخ الأستاذ مصطفى البرسيم للإخوان وأكله الإخوان بشهية وكان له مذاق، وصار وجبة من الوجبات الشهية . . . وكان يضيف قشر البرتقال إلى العسل الخامر فيصلحه .

وكذلك من الوجبات الشهية: كان يضيف البرسيم إلى الفول ويصنع لهم الفلافل، ويشارك معه فى صناعتها الأخ على معروف، أحد أعضاء اللجنة .

- الصورة الثانية: نظافة الحمامات:

نظافة الحمامات كانت تقسم على الإخوان ضمن جدول منظمة، وأحياناً يؤجل الفرد الذى عليه نظافة الحمامات لأسباب مختلفة منها النوم بعد صلاة الفجر مثلاً، ويفاجأ عند استيقاظه أن الحمامات قد نظفت، ولا يخبره أحد أنه قام بتنظيفها حتى يعرف بعد جهد ومشقة من نظفها . . يقول أحد الإخوان: (كنا بعد صلاة الفجر «نتخمد» يعنى ننام، وكان مصطفى مشهور يأخذ الليف والصابون ويذهب إلى الحمامات وينظفها!! . . . وهو من هو . . . لا يأنف أن يقوم بخدمة الإخوان أياً كانت هذه الخدمة). وعموماً كان يقوم بالأعمال التى يقصر أصحابها فى أدائها من نظافة للحمامات أو العنابر أو غيرها من الأعمال، وكان يعمل فى صمت عجيب .

- الصورة الثالثة: غسيل الملابس:

وقت الغسيل كانت تجمع ملابس المسجونين والسجانين، وتقسم إلى مقطوعيات تبلغ الواحدة منها حوالي ثلاثمائة قطعة، يقوم بغسلها اثنان من المساجين. . وكان يتزامن مع الحاج مصطفى مشهور الأخ (عبدالرؤوف بدران)^(١)، كان مصطفى مشهور مصنّعا في المغسلة في هذه الفترة وهي في سجن المحاريق. . وكان لا يأنف أن يعمل في المغسلة، كان يغسل ملابس الإخوان والشيوخ المسجونين معهم. . يقول أحد الإخوان: [كان الرجل يتقى الله تعالى ويتقن عمله في أي مجال؛ مستحضراً قول رسول الله: «إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه» أو كما قال: فكان يقوم بجميع أعماله بعناية وإتقان ويؤديها على أكمل وجه إرضاءً لله تبارك وتعالى.

- الصورة الرابعة: التدريس:

كان مصطفى مشهور يقوم بتدريس مادة الرياضيات لكل من يتقدم للشهادة الثانوية وغيرهم في المراحل الأخرى. حيث كان من بين الإخوان المسجونين الأميين أو من في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعة، فقام الإخوان بمحو أمية الأميين وتدريس الباقين ما عدا طلاب الجامعة الذين تخرجوا بعد قضاء مدة السجن.

- الصورة الخامسة: الإيثار والصمت والهدوء:

كانت السمة البارزة لمصطفى مشهور الصمت، فكان لا يتكلم كثيراً ولا يتكلم إلا خيراً عملاً بقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢). . وكان هادئاً رزيناً. ولما سمح بالزيارة وكانت شاقة على الأهل لبعد المكان ووعورة الطريق، كان إذا زاره أحد من أهله أحضر معه كميات كبيرة من المأكولات والأطعمة، فكان مصطفى مشهور يوزعها على إخوانه دون أن يشعرهم بذلك ولا يبقى لنفسه شيئاً منها بل يكتفي بطعام السجن.

- الصورة السادسة: العبادة والذكر:

أجمع الإخوان الذين عاشوا مع مصطفى مشهور في سجن الواحات أنه كان من أعبد الناس كما شهدوا بنفس الشهادة للأستاذ عبدالعزيز عطية والشيخ محمد جبر فتح الباب. . وشهدوا أن مصطفى مشهور كان يقوم الليل إلا قليلاً وكان منتظماً وملتزماً به لا يتركه طيلة هذه المدة التي قضاه في سجن الواحات ولم يترك ليلة واحدة، كما أنه كان لا يفارقه المصحف أبداً إلا في بعض الحالات مثل التدريس كما ذكرنا أنه كان يقوم بتدريس الطلاب

(١) من إخوان بنى سويف.

(٢) متفق عليه.

مادة الرياضيات، وكذلك بعض الكتب النافعة. يقول أحد الإخوان: [درست كتاب في ظلال القرآن على يد الأستاذ مصطفى مشهور في سجن الواحات].

يقول الأستاذ مصطفى: [ما أجدر أصحاب الدعوات الذين يتعرضون لأذى الأعداء وكيدهم أن يستعينوا بسهام القدر ودعاء السحر. قم يا أخى بالسحر وادع الله وقل: [اللهم إنا ندرأ بك في نحور الأعداء والجبارين ونعوذ بك من شرورهم] وقل: [ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين]. وقل: [اللهم اهزم أعداءك أعداء الدين وانصرنا عليهم نصراً عزيزاً يشفى صدورنا ويذهب غيظ قلوبنا] وما يفتح الله به عليك من الدعاء^(١) وهي الأدعية التي كان يواظب عليها ويدعو بها طيلة فترة السجن، وهي خلاصة تجارب سنوات مريرة قضاها مع إخوانه في السجن ظلماً وعدواناً ولكنه احتسبها عند الله تعالى، وستكون له وإخوانه ذخراً يوم القيامة وسينعمون في النعيم المقيم. . نحسبهم كذلك ولا نركى على الله أحداً. جمعنا الله وإياكم بهم جميعاً. . اللهم آمين.

كما كان حريصاً على حلق الذكر، مواظباً على أوراده اليومية، وكان كثير المراجعة لحفظه لكتاب الله.

كانت شخصيته تتجلى في إدراكه أن السبيل في التعايش والتعامل مع ظروف المحن داخل السجون والمعتقلات، هو الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله والثقة في نصره، وأن المستقبل لهذا الدين رغم انتفاش الباطل، وكان يوصي إخوانه بكل هذا، يكلمهم فرادى ويشرح هذا المفهوم الراسخ ليعينهم على الثبات على دين الله تبارك وتعالى وعدم الانحراف والافتتان بهذه الفتنة وهذه المحن، وكان حريصاً على جميع إخوانه، يحمل همهم ويقوى عزيمتهم ويثبتهم، وكان إذا تأزمت الأمور جمع الإخوان وجلس بهم يعقد ورد استغفار ودعاء ورجوء إلى الله تعالى، وكثيراً ما كان الله تعالى يفك الكرب، وإذا طلب للتحقيق هو وبعض إخوانه كان يحث إخوانه على الصبر والاحتساب والذكر، ويحرص على تخفيف وتهوين الأمر على إخوانه رغم أنه مطلوب قبلهم للتحقيق، ولكنه كان يحتويهم احتواء الوالد بأولاده ورعايتهم والشفقة بهم والعطف عليهم، فكان له دور تربوي مهم في هذا المجال.

●● فتنة التأييد:

في ميدان المنشية بالإسكندرية خطب جمال عبدالناصر في ٢٦/٧/١٩٥٦م ومن هناك أعلن تأميم (شركة قناة السويس) واشتعلت الحرب بين الجيش المصري على أرض مدينة

(١) من فقه الدعوة - مصطفى مشهور - ج/٢.

بورسعيد وجميع مدن القناة وبين جيوش المجلترة وفرنسا وإسرائيل وهو ما سمي بـ«العدوان الثلاثي»، واحتلت إسرائيل عموم أرض سيناء، وخطب عبدالناصر على منبر الجامع الأزهر مستنجداً بمسلمي العالم شعوباً وحكومات.

وكانت هذه الحرب سبباً في فتنة وقعت بين المساجين الإخوان في سجن طره وسجن الواحات -بعض الإخوة أبرق إلى جمال عبدالناصر يبدى رغبته في التطوع للدفاع عن الوطن، وبعضهم تحفظ وامتنع عن إبداء رأيه، وبعضهم الآخر عارض فكرة التطوع باعتبار أنه مسجون والمتطوع لا بد أن يكون حراً.

ومن هنا تدخل «الفقه»: هل نحن جماعة من المسلمين أو جماعة المسلمين، هل هذه دار حرب أم دار إسلام؟! وأخذت كل فئة تدلل لوجهة نظرها من بطون الكتب وآراء الفقهاء، وبدأ رجال المباحث يضطادون في الماء العكر وبدأت من هنا فكرة [التأييد] وتساقطت بعض الأوراق حين قامت المباحث بالإفراج عن بعض المؤيدين للحكومة طمعاً في تشجيع غيرهم.

ثم توقف الإفراج. وكانت محنة شديدة في طريق جهاد الإخوان المسلمين. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وخرجت بالفعل أول دفعة من المؤيدين أواخر عام ١٩٥٨م.

كان القصد هو الإفراج مع الالتزام بخط الجماعة ومبادئها، هذا في بادئ الأمر، ثم اختلف الوضع بعد استغلال المباحث هذه الفرصة والتي كانت تهدف بالتأييد إدامة الجماعة والتبرؤ منها ومن قياداتها ثم الإفراج عن كل من يؤيد حتى ولو كان محكوماً عليه بالمؤبد، واستمرت المباحث في أسلوبها الخادع. . وبالفعل سقط كثير من الإخوان في حبالها الخبيثة. .

•• عبد العزيز عطية والزحلوقة:

عبد العزيز عطية، شخصية معروفة ومرموقة ولها مكانة خاصة في قلوب الإخوان، كان أستاذاً للإمام البنا ثم صار تلميذاً له بعد انضمامه للإخوان، وهذا من عظمة الرجل وصدقه، وهناك وفي ذلك الوقت (أى في سجن الواحات) كان الرجل هو وكيل الجماعة، وكما قدمت فقد أجمع الإخوان الذين عايشوه أنه من أعبد الناس لله تبارك وتعالى، فكان صواماً قواماً لا يغادر مصحفه، وذا بنية قوية، ولكنه كان مصاباً بسبعة أمراض لو وزعت على أربعين رجلاً لما تحملوا هذه الأمراض^(١) وكان في الخامسة والثمانين من عمره.

(١) قول منسوب للدكتور على شهبان.

أراد بعض الإخوان أن يأخذ بالرخصة ويبيح التأييد للتخفيف عن المسجونين وسعيًا للإفراج عنهم . إلا أن الأستاذ عبد العزيز عطية وقف وقفة حاسمة قوية داعمة للإخوان على الثبات على الحق . . فقال للإخوان: «نحن نسير على طريق الحق، والتأييد زحلوقة فمن وضع رجله فيها انزلق وتزحلق وسقط وخرج عن الطريق» . . لم يكن موقفه هذا كلامياً فقط وإنما التزم بما قال والذي يثبت ذلك قصة زيارة زوجته له . ففي الزيارة وبعد الترحيب والسلام فاتحته في موضوع التأييد لكي يفرج عنه ويخرج معها، ولكنه استشاط وغضب وطردها فوراً قبل أن يجلس معها مدة الزيارة . . والمعروف أن الزيارة لسجن الواحات تستغرق أياماً، وكانت المواصلة الوحيدة خط سكة حديد يربط ما بين الواحات الخارجة والوادي وكان خطأ مفرداً، والقاطرة تسير بالفحم وكثيراً ما كانت تتعطل أثناء سيرها، أو تغطي الرمال الخط الحديدي، وكان الركاب هم الذين يزيحون هذه الرمال، فيصل الأهالي الزائرون إلى سجن الواحات لزيارة الإخوان بعد صعوبة بالغة وتجشم، وكان الأستاذ عبد العزيز عطية يعلم ذلك جيداً إلا أنه طرد زوجته عندما طلبت منه التأييد .

وكما قال الأستاذ عبد العزيز عطية: التأييد زحلوقة، نجد بعض الإخوان من المؤيدين قد وصل إلى أدنى المراتب وساء خلقه وساء معاملته مع الإخوان حتى وصل به الحال أن يكتب تقارير عن الإخوان ويقدمها للمباحث .

أما البعض الآخر فكان يؤمن أن الإخوان على الحق ولكنه لا يستطيع أن يتحمل حياة السجون والمعتقلات .

وفي نفس الوقت كانت المباحث متمثلة في الضابط «عبد العال سلومة» الذي كان من الإخوان المسلمين سابقاً وكان في ضيافة الأستاذ محمد هلال ويعلم طريقة التفاهم مع شباب الإخوان ويعلم طباعهم، وكان يستطيع التسلل إلى نفوس الشباب ويتحدث معهم ويفتنهم ويدلس عليهم بأن التأييد لا يمس الدين ولا يمس الخلق ولا يمس الدعوة وإنما هي فرصة للخروج من السجون ومواصلة الدعوة في الخارج، نجح عبد العال سلومة بأسلوبه واستطاع أن يجذب الشباب إلى التأييد خصوصاً شباب المنصورة الذين يعرفهم ويعرفونه . .

●● موقف مصطفى مشهور من التأييد:

عرف مصطفى مشهور بين إخوانه بالصمت والعمل المتواصل دون كلل أو ملل، وعدم مغادرته للمصحف، وأنه أكثر الإخوان أو من أكثرهم مداومة والتزاماً بقيام الليل، بل كان يقوم الليل إلا قليلاً، وكان ذاكرةً في كل الأحوال، ويعقد حلقات لورد الاستغفار والدعاء عند الأهوال، كما عرف بالصبر الجميل والاحتساب عند الله الكبير المتعال، فكان يحث

إخوانه على هذه الأفعال وهذه الخصال والتجمل بكريم الأخلاق، وكان يؤثر إخوانه على نفسه دائماً وفي كل الأحوال، كما كانت له علاقة فردية خاصة بكل أخ من الإخوان.

من هذا الحال نستخلص أنه كان يستلهم ويستمد هو وإخوانه القادة، القدوة والمدد من عند الله تبارك وتعالى، ويضفي هو وإخوانه القادة على الإخوان ثباتاً وعزماً لمواجهة هذه الفتن وهذه المحن، إصراراً على مواصلة السير على طريق الدعوة المباركة.

هكذا تكون القيادة الفذة التي أعدها الله جل في علاه لحمل رسالته وتبليغ دعوته بالإمامة في كل العبادات: [الصلاة والصيام والقيام والذكر والصبر والإيثار والحب والأخلاق]... وغيرها من العبادات والالتزام بالصبر التزاماً خاصاً إلى جانب هذه العبادات، وهذا ما يترجم قول الحق تبارك وتعالى في إعداد الأئمة والقادة لهذه الأمة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا مَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

●● الزيارة الوحيدة بسبب التأييد:

الزيارة الوحيدة التي كانت لمصطفى مشهور في سجن الواحات هي الزيارة التي حضر إليه شقيقه الأكبر الحاج علي مشهور يصطحب معه مشهور نجل الحاج مصطفى مشهور... ويروي لنا هذه القصة المهندس مشهور مصطفى مشهور^(١): يقول: «كانت الزيارة صعبة جداً ولم تتم إلا زيارة واحدة، اصطحبني عمي الحاج علي مشهور لزيارة أبي وقال لي: «سأطلب من والدك أن يكتب طلباً للإفراج عنه، فإذا رفض أن يكتب هذه الورقة فعليك أن تبكي بكاءً شديداً... فذهبتنا وكان السفر طويلاً وشاقاً، ولما وصلنا طلب عمي من والدي أن يكتب طلباً للإفراج عنه في ورقة صغيرة، ولكن رفض والدي أن يكتب هذه الورقة، فبكيت بكاءً شديداً فلم يهتم والدي بيكائي، فأخذت أجزى في الصحراء ولكن لم يؤثر هذا التصرف على والدي قيد شعرة، ورفض رفضاً قاطعاً وقال لعمي: إذا كنتم مصرين على كتابة طلب الإفراج - وهو ما يعنى التأييد لجمال عبد الناصر والتنصل عن الدعوة وقياداتها والانحراف عن الطريق - فعليكم أن تحضروا لي في الزيارة القادمة «طرحه» ألبسها قبل أن أنزلق إلى التأييد!!»

يقول مشهور مصطفى مشهور: «عرفت بعد ذلك أن السيد عباس رضوان وزير الداخلية هو الذي اتصل بعمي المهندس مشهور أحمد مشهور (رئيس مجلس هيئة قناة السويس - وقتذاك) وقال له: إذا أردتم أن تخرجوا مصطفى مشهور من السجن فعليكم أن تقنعوه بأن

(١) حوار غير مسجل مع مشهور مصطفى مشهور.

يكتب طلباً للرئيس جمال عبد الناصر يرجوه فيه الإفراج عنه ، ولهذا السبب كانت هذه الزيارة هي الزيارة الوحيدة التي باءت بالفشل .

وكما حدث مع مصطفى مشهور من ضغط الأهل عليه للإفراج عنه بالتأييد، كذلك حدث مع جميع الإخوان من الأهالي، فكان الضغط النفسى على الأخ المسجون من أم عجوز تتحمل مشقة هذا السفر الطويل لكي تطلب من الابن كتابة هذه الورقة الصغيرة التي تحتوى على بضعة سطور أو من زوجة تحمل أطفالها الصغار وهي تستعطف زوجها لكي يكتب الورقة، أو من أب كبير السن يطلب ذلك من ابنه، وكان الأمر يصل بالبعض إلى القول بأن الله رخص للمضطرب أن ينطق بكلمة الكفر والإيمان في القلب، وبذلك تكون الزيارة سبباً في الشقاق بين الأهل في الخارج والأخ داخل السجن، وقد تهدد الزوجة بطلب الطلاق في حالة الرفض، والأم بالغضب على الابن، وسرعان ما يتحول جو السلام والأحضان إلى مشادة حينما يطلب الزائر مباشرة -حسب توصيات مأمور السجن- بكتابة طلب الإفراج من المسجون، وبعدها يمكن أن يخرج ويعود معهم، وعلى الأخ المسجون أن يشرح ويوضح حقيقة الأمر وأنها لعبة للضغط النفسى على الأخ وتعكير العلاقة بينه وبين أهله إذا لم يتبرأ من دعوته وربما من دينه، وقد وقع البعض في هذا الفخ، وتم تسخير من وقع فيه في الكيد للذين كانوا إخواناً له بالأمس وكتابة التقارير عنهم، والإشادة بموقف جمال عبد الناصر، وأن الإخوان هم الذين أخطئوا في حقه، وجدير بالذكر هنا أن نسجل المواقف المشرفة لبعض الأخوات اللاتي ظللن طوال مدة السجن وهن في فترة الخطوبة أو عقد القران فقط من أمثال الأخت أمينة قطب مع زوجها الأستاذ كمال السنابري رحمه الله^(١).

ونذكر والدة أحد الإخوان حيث كانت أمية إلا أن علمها رباني تقرأ الحكمة بروحها وتنطقها بلسانها وتكتبها في قلوب الآخرين بحروف من نور، وبالفطرة، فكانت تقوم بالدور الذي يضع ابنها في وضع يستحي من نفسه أن يؤيد أو يتراجع، وكانت عوناً له طيلة سجنه . . ويقول ابنها: «في الحقيقة هي التي كانت مسجونة ولست أنا»، كانت تقول له: «بخصوص تأييدك، نحن بخير وإخوانك اتربوا أحسن تربية، وحققوا ما لم يتحقق في وجودك، واوعى تعمل حاجة تغضب ربنا» . . إنه كلام بسيط ولكن معناه كبير جداً وسيكلف ابنها تكاليف باهظة، فالوقوف والصمود ليس أمراً سهلاً^(٢).

(١) وضح هذه الصورة الأستاذ مصطفى مشهور لعائلته بعد خروجه من السجن - انظر كتاب حياة مصطفى مشهور، كما عاشتها أسرته.

(٢) والدة الأستاذ جلال عبد العزيز - حوار مسجل مع الأستاذ جلال عبد العزيز .

كانت فتنة التأيد قاسية وحالقة، لقد رأى بعض الإخوان مفاصلة ومقاطعة المؤيدين مقاطعة تامة، إلا أن كبار الإخوان ومنهم الحاج مصطفى مشهور أنزل الله عليهم لطفاً ربانياً، فقالوا: نحن بهم ومعهم ولهم وخذوهم برفق، وكان ذلك سبباً في رجوع الكثير منهم إلى صفوف الجماعة ورأب الصدع، ومعالجة هذه الفتنة بالحكمة التي آتاها الله تبارك وتعالى لكبار الإخوان . . .

ومصطفى مشهور من هؤلاء الكبار، كان صامتاً، صامداً، صلباً، قوياً، شديد الولاء لدعوته، لا يهتز ولا يتلفت، فكان هو وإخوانه الكبار بؤرة جذب للإخوان، وكان يسعى سعيًا حثيثاً ويتكر الوسائل لحماية الإخوان من هذه الفتن فكان يكتب بعض الأوراق التي كانت بمثابة الزاد لهم.

•• الزاد التربوي لمواجهة التأييد:

يقول أحد الإخوان الذين عايشوا الحاج مصطفى مشهور في سجن الواحات^(١): «كان الحاج مصطفى مشهور ويعاونه الأستاذ عبد الحميد البورديني يكتب لنا بعض الوريقات تحت عنوان: [والتقينا في الميعاد، وانصرفنا إلى ميعاد]، كانت هذه الوريقات الأسبوعية زادا للإخوان يحتوي على المفاهيم التربوية التي تشرح مواضيع كثيرة تفيد الشباب مثل: الثبات، الالتزام بخط الدعوة، وكيفية تفويض الأمر لله تبارك وتعالى، ومفهوم التوكل على الله والصبر والاحتساب، وزاد من الذكر، ومفهوم التنظيم العميق والحض على العمل المتواصل كنت تحس أن الحاج مصطفى كانت بيده دفة الأمور حتى ولو لم يكن في موقع المسؤولية (مرشداً أو نائباً للمرشد)، وإنما كان مهتماً بالدعوة وإخوانه، عينه على الأفراد، كيف يعطى للدعوة وإخوانه، كان للاحاً، وكانت له نظرة في الرجال فكان يطلق عليه «صقر الجماعة».

ونقل هنا بعض ما كان يكتبه الحاج مصطفى للإخوان عن التواصي بالصبر والتبشير بالنصر:

«إن صاحب الدعوة عليه أن يمضي إلى هدفه غير عابئ بما يقع عليه من أذى، فشراف الغاية وعظم الهمة يجعله لا يلتفت إلى جهل الجاهلين، بل يدفعه إلى مزيد من العمل ومضاعفة النشاط ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. وهذا لا يتحقق إلا بإيمان عميق، وذكر كثير، وصبر جميل، وتنظيم دقيق.

- الإيمان العميق:

يأن الأمر كله بيد الواحد القهار الذي له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك

(١) حوار مسجل مع الأستاذ طلعت الشناوي.

ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وأنه سبحانه يقضى بالحق، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء.

فلا نرجوا إلا رضاه، ولا نخشى أحداً سواه، فنكون من الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

- والذكر الكثير:

ذكر القلوب المحبته. . والألسنة الصادقة والأعمال المخلصة، ذكر كثير يورث الطمأنينة ويذهب الغفلة، ويدفع إلى الإخلاص: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

- والصبر الجميل:

صبر على ما يقع بنا من أذى أعداء الإسلام، وصبر على ما يقع علينا من النظم والحكام الممتدة أيديهم إلينا بالإساءة وإلى أعدائنا بالسؤال، وصبر على ما يقع من بعض إخواننا من هتات، فالصبر الجميل تتسع به الصدور وتهدأ به النفوس، ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥].

- والتنظيم الدقيق:

وهو ذلك التنظيم الذى يعرف فيه كل أخ دوره، فهو دائماً مبادر بالأعمال مسارع فى الخيرات ينصح لقيادته ويرد الأمر فى الملمات إلى أهله: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

فإذا تحققت فىنا هذه المقومات الأربع، أبشروا أيها الإخوان بنصر قريب، فأملنا فى الله تعالى عظيم؛ أن يجبر عجزنا وأن يتجاوز تقصيرنا وأن يلهمنا رشدنا. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

•• محن المذابح:

•• مذبحه ليمان طره: أول يونيو ١٩٥٧^(١):

فى الأردن حاول بعض قيادات الجيش تدبير انقلاب على الملك حسين، ولكن الإخوان المسلمين هناك اكتشفوا هذا الانقلاب فقاموا بإبلاغ الملك، الذى قام بدوره بالقبض على جميع

(١) رواها الأستاذ على نويتو.

الضباط ومن كان معهم على هذا الأمر - وانكشفت المؤامرة . . وكان جمال عبد الناصر على خلاف مع الملك حسين ، فدبر عملية انتقامية ضد الإخوان المسلمين بمصر رداً على ما حدث بالأردن . . فكانت مذبحه ليमान طره !! .

كان جمال عبد الناصر يخطط لمذابح قتالية للإخوان داخل السجون ، فانتهز هذا الحدث ودبر أول مذبحه في ليमान طره لتتبعها المذابح التالية . . . لبيد جماعة الإخوان المسلمين ويمسح اسمها من خريطة العمل السياسي في مصر . .

كان السبيل إلى تنفيذ خطة المذابح هو التحرش واستفزاز الإخوان داخل السجون . . وقد نجحت هذه الخطة في مذبحه ليमान طره .

فقد كان هناك ضابط برتبة ملازم أول أو يوزباشي في ذلك الوقت اسمه عبدالله ماهر . . بدأ بالتحرش واستفزاز الإخوان بشكل ظاهر مما أدى شيئاً فشيئاً إلى خلق جو مشحون بالتوتر بين إدارة الليمان والإخوان ، ثم اندفع معه ضابط آخر حتى احتك بمجموعة من الشباب الطاشين المعروفين بين إخوانهم والإدارة بطيشهم . . وكان الأستاذ منير دلة قد أفرج عنه ، ولم تعد لمجموعة الشباب الباقية في الليمان أية قيادة عاقلة مجربة . . ووقع بين ذلك الضابط وهؤلاء الشباب تماسك بالأيدى فعلاً . . ثم انتهت المسألة بوضع عدد من الإخوان في التأديب .

وظلت خطة الاستفزاز وشحن الجو بالتوتر من جانب الضابط عبد الله ماهر ورئيسه هذا . . حتى جاء يوم علم الإخوان الذين يخرجون للجبل أن هناك خطة لضربهم بالرصاص في الجبل بحجة محاولتهم التمرد أو الهرب ، فرأوا تقريئاً لهذه الخطة أن يعتصموا بالزنازين في اليوم التالي ، ويطلبوا حضور النيابة لإخطارها بما وصل إلى أسماعهم من تلك الخطة التي تدبر لهم ، وهنا أمرت الكتيبة بضربهم بالرصاص داخل عنابرهم بل داخل الزنازين بالنسبة لعدد كبير منهم . . وقتل ٢١ وجرح حوالي ٣٥ تقريباً .

كان في الإمكان وهم داخل عنبر مغلق اتخاذ إجراءات أخرى ، إذ يكفي غلق العنبر من الخارج وقطع الماء والطعام عنهم لأي مدة تحدها إدارة السجن حتى يستسلموا جميعاً حتى لو كانوا فعلاً متمردين ، لكن الإجراء الذي اتخذ يدل بالفعل على أنها خطة مذبحه متصلة مدبرة .

لقد دخلوا عليهم في العنابر والزنازين بلا رحمة وتجردوا من الإنسانية ، فأطلقوا عليهم الرصاص في وحشية وقسوة وإرهاب !!!

ولم يكن من المصادفات أن المحقق فى هذه الجريمة هو السيد صلاح دسوقى الذى حول طريقة التحقيق التى بدأت قبل مجيئه وكان الإخوان مجتنباً عليهم ، فصاروا هم الجناة!!
نفذ هذه المذبحة المجرمون من ضباط السجون وهم:

١- عبد العال سلومة .

٢- عبد اللطيف رشدى .

٣- عبد الله ماهر .

أما المجرم الذى يمثل القيادة الفوقية لهؤلاء المجرمين من الضباط فهو واحد من رجال الثورة . . صلاح الدسوقى الششتاوى . . وهو من المقربين لجمال عبد الناصر . . وصار محافظاً للقاهرة فترات طويلة . . وتقلد وظائف أخرى كثيرة فى عهد عبد الناصر منها : أمين الاتحاد الاشتراكى بالعاصمة .

أما المجرم المنوط به مهمة القضاء على الإخوان من رجال الثورة والذى أعطى التعليمات بالمذبحة فهو : [زكريا محيى الدين].

●● أسماء شهداء مذبحة طرة:

- من الإسكندرية:

١- إبراهيم محمد أبو الذهب ، موظف بالسكة الحديد ، متزوج وله ثلاثة أولاد .

٢- محمود العطار ، ترزى ، متزوج .

٣- السيد على محمد ، تاجر ، متزوج وله ثلاثة أولاد .

- من القاهرة:

١- عبد الله عبد العزيز الجندى (شبرا) موظف بالسكة الحديد ، متزوج وله أولاد .

٢- عبد الفتاح عطا الله (شبرا) ترزى ، متزوج وله أولاد .

٣- مهندس محمود محمد سليمان (العباسية) مهندس بالسكة الحديد ، متزوج وله أولاد .

٤- أحمد محمود الشناوى (العباسية) ، موظف ، اعزب .

٥- أنور مصطفى (مصر القديمة) ، عامل بالمدايع .

٦- عثمان حسن عيد (مصر القديمة) ، طالب بكلية دار العلوم .

٧- على حمزة المحلة الكبرى، قمصانجي .

- من الجيزة:

١- سعد شوقي (إمبابة)، موظف .

٢- مصطفى حامد (إمبابة)، طالب .

٣- محمد السيد عفيفي (بين السرايات)، طالب .

- من المنوفية:

١- فهمي إبراهيم نصر، طالب ثانوي .

٢- محمد نواره، عامل مطابع .

- من الدقهلية:

١- خيرى الدين إبراهيم عطية، طالب أزهرى، بطل لعبة السلة .

٢- أحمد قرقر، محاسب خريج كلية تجارة، متزوج وله ولدان، من دنديط مركز ميت غمر

دقهلية (صار أحد أولاده بعد أكثر من عشرين عامًا كاتبًا صحفيًا مرموقًا وهو الدكتور محمد مورو).

- من السويس:

١- مصطفى عزت عثمان، موظف بشركة بترول .

- من المحلة الكبرى - غربية:

١- السيد العزب صوان، موظف، متزوج وله أربعة أولاد .

- من كفر الشيخ:

١- رزق حسن إسماعيل، مزارع، متزوج وله ثلاثة أولاد .

- من الشرقية:

١- أحمد عبده متولى، طالب بكلية الزراعة .

اللهم تقبلهم فى الشهداء واكتب لنا الشهادة، واجمعنا بهم بالنيبين والصدقيين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقًا . اللهم آمين .

●● فتنة محاولة مذبحة المحاريق (١):

أرسل الخونة المقربون إلى جمال عبد الناصر ضابطاً اسمه (إسماعيل همت) إلى سجن المحاريق ليكرر ما حدث في الليمان، فيقوم بتنفيذ مذبحة هناك، وجعل السبيل إلى تنفيذها تأييد جمال عبد الناصر... فجمع نخبة من خيرة الإخوان وهم: [عمر التلمساني، صالح أبو رقيق، صلاح شادي، محمد العدوي، محمد مهدي عاكف]؛ جمعهم في غرفة واحدة ثم وجه إليهم مدفعاً، وخبرهم بين أمرين لا ثالث لهما وهو: إما تأييد جمال عبد الناصر والتنصل من الجماعة وقيادتها أو القتل... كان الموقف في غاية الصعوبة وفي نفس الوقت كان محكاً وصقلاً لهذه المعادن النفيسة، لقد أنعم الله تبارك وتعالى عليهم بالثبات والصمود والرجولة، وتسلحوا بقوة الإيمان واعتصموا بحبل الله، وأجرى الله الرد سريعاً على لسان عمر التلمساني رحمه الله فقال له: «شلت يدي إن أيدت عبد الناصر وافعل ما بدا لك»... فما كان يتوقع هذا الرد، فانكمش وتخاذل وتراجع أمام قوة إيمان هؤلاء العمالقة الأفاضل.

●● بداية فتنة التكفير (٢):

في عام ١٩٦٣م وفي شهر رمضان المبارك كان الإخوان المسلمون في سجن الواحات يتلون الجزء الثالث عشر ﴿وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي﴾ من سورة يوسف من القرآن الكريم، ففوجئوا بكشف ترحيل بعض الإخوان من سجن الواحات إلى سجن القناطر منهم الإخوة: [عبد الرحمن البنان وجمال عبد العزيز ومصطفى كامل - زوج بنت أخت الشهيد سيد قطب].

بعد وصولهم إلى سجن القناطر بعث الأخ جلال عبد العزيز خطاباً إلى الدكتور رشاد البيومي يقول فيه: «إن أحداثاً غريبة حدثت هناك وهي: أن بعض الإخوان وهم [الطوخي طه وفوزي نجم] يتحدثون عن تكفير المجتمع...» ثم تواترت الأخبار بعد ذلك وأكدت ما ورد في هذا الخطاب..

فعرض الأمر على القيادة الموجودة في سجن الواحات وهم بعض أعضاء مكتب الإرشاد منهم: [عبد العزيز عطية وأحمد شريت وعمر التلمساني ومحمد حامد أبو النصر] فخرجوا بعد مشاورات بمعنى: «فقد باء بها أحدهما، وليس من حق أحد أن يكفر أحداً... وأن مهمتنا هي الدعوة وليس الحكم على الناس» ثم أرسلت القيادة خطاباً إلى الأستاذ سيد قطب الذي كان رده على الخطاب «أنه حمل رسالته فوق حمار أعرج» فكانت بمثابة الاعتذار.

(١) رواها الأستاذ على نويتو.

(٢) حوارات مسجلة مع شخصيات عايشت أحداث الفتن في بدايتها منهم: الدكتور رشاد البيومي والأستاذ جلال عبد العزيز.

هذا الترحيل الأنف الذكر، تقوم به إدارة السجون إذا ما رأت أن هناك أمراً يوجب ذلك وكان السبب دائماً هو أمر مقصود ومرصود، وهو فصل الإخوان عن القيادات المؤثرة التي تكسب ثباتاً وعزماً وصلابة.

يقول الأستاذ جلال عبد العزيز: «كنا في الواحات نحن الإخوان مجموعة بيدها الأمر، وأخرى مجموعة من الشباب تتربى على الأولى، ورحلنا نحن المجموعة التي كان محكوماً عليها بعشر سنوات عن الأخرى، وليس فينا الرجل الرشيد، وكان في حسنا عدم التفكير في الخروج وليس هناك أمل بذلك، لقد عشنا في الواحات حرماناً من كل شيء حتى المصحف، فلم نتح لنا التنمية الفكرية ولا التوعية ولا مسابرة الأحداث، وكنا نوكل أمرنا للمجموعة التي بيدها الأمر.

ومجموعتنا هذه على قلة تحصيلها وعلمها وتجاربها وخبراتها ونضجها، لما ذهبت إلى القناطر وأتيح لبعض أفرادها الذهاب إلى مصحة طره للعلاج والاستشفاء. قابل هؤلاء الأفراد الأستاذ سيد قطب..

فأثرت هذه المقابلة على سلوكياتهم أيما تأثير.. وبدرت منهم سلوكيات لم نعهدها.. فبدأ الفرد منهم يصلى وحده تاركاً الجماعة، وهذه المجموعة انعزلت عنا في المأكل.. ورويداً رويداً بدأ هذا السلوك ينعكس على أحاديثهم في الزيارة مع أهليهم.. كما اختلف السلوك في رمضان، فصار الفرد منهم يخالف في الإمساك محتجاً بالآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. كان يأكل ويشرب مخالفاً لوقت الإمساك!! كان يتعمد في سلوكياته المخالفة ويفتعلها افتعالاً.. فبدأت تنتشر كلمة التكفير..

ويقول الأستاذ جلال: «بعثت خطاباً للأستاذ سيد قطب أعتب عليه ما حدث.. فقلت فيه: أنا أحيى أنك قد ألبستني بدلة ليست بدلتى!!» تورية.. فبعث الأستاذ سيد بالرد مشافهة وقال: «أنا رئيس قسم نشر الدعوة ومن حقى مزاوله نشاطى».. فرد عليه الأستاذ جلال برسالة قال فيها: «مرحبا بكل جديد فيه امتداد للقديم، وسحقاً لكل جديد فيه انفصام على القديم». لقد بعث هذه الرسالة مع مقدمة أثبت فيها فضله وجهده والعرفان بقدره ومكانته، ولكن حامل الرسالة والذي أوصلها كان معوجاً لأنه كان مبهوراً بالأستاذ سيد قطب.. فزم أمام عملاق!! فلم يستطع أن يتعامل معه ويعرض الموضوع بروية وموضوعية..

●● شخصية سيد قطب:

ولد سيد قطب في التاسع من أكتوبر ١٩٠٦م في قرية «موشى» محافظة أسيوط في صعيد مصر.. وحفظ القرآن وعمره ١٠ سنوات وتخرج في دار العلوم عام ١٩٣٣م. عين مدرساً وعمل في عدة مدارس ثم نقل إلى وزارة المعارف، وانتدب إلى أمريكا في مهمة علمية لمدة سنتين، سافر يوم ٧/١١/١٩٤٨م. واستقال من الوزارة في ١٨/١٠/١٩٥٢م، بعد أن تقدم بعدة مشروعات لإصلاح التعليم. تعرف على العقاد سنة ١٩٢٠م.. كتب عدة مقالات في مختلف الصحف والمجلات، صار أديباً مرموقاً وكاتباً معروفاً مشهوراً وشاعراً كبيراً.. اتجه إلى الإخوان المسلمين والسبب هو: شاهد وهو في أمريكا الاحتفالات بمقتل حسن البنا.. فتحررت نفسه وفكره نحو هذا الزعيم الديني العظيم الذي لم يعطه التركيز الكافي والدراسة الواعية حتى مات.. فلما عاد انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين بعد دراسة وتدقيق ومعرفة، وكان ذلك عام ١٩٥٣م. في وقت تستعد الحكومة فيه للبطش بالإخوان. انضم إلى قسم نشر الدعوة حتى صار رئيسه.. أشرف فيه على جريدة الإخوان المسلمين، وكان يلقي حديث الثلاثاء، كان يوفده الإخوان لحضور المؤتمرات. له عشرون مؤلفاً قبل عام ١٩٥٤م وخمسة بعده، وله عشرون بحثاً لم تنشر، وله أربعة بحوث إسلامية لم ينشرها، وكذلك له ثمان بحوث حركية إسلامية أعدمت بعد إعدامه. وله خمسة دواوين شعرية. اعتقل مع الإخوان أواخر يناير عام ١٩٥٤م، وخرج أواخر مارس، ثم اعتقل في محنة ١٩٥٤م. وتعرض لتعذيب بشع نتج عنه عودة الأزمات القلبية، كما أصيب بنزيف رئوي شديد وتمزق في الرئتين.. فنقل إلى مصحة طره قضى فيها ثلاثة أشهر فأعيد إلى السجن الحربي في أبريل ١٩٥٥م. حوكم في ٣/٥/١٩٥٥م وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة في ١٣/٧/١٩٥٥م، ولما سمع الحكم اعترض عليه مستهزئاً: «إنها مدة قليلة فأين حكم الإعدام». تم ترحيله إلى مصحة طره فقضى فيها مدة سجنه من ٧/١٩٥٥م حتى ٨/١٩٦٤م حتى أفرج عنه لأسباب صحية فقد ساءت حالته بالإضافة إلى توسط الرئيس عبد السلام عارف رئيس العراق آنذاك.

- حالته الصحية:

عاش سيد قطب مريضاً منذ طفولته، واستوطنت الأمراض معدته وأمعائه.. فلم يكن يهناً بطعام ولا شراب إلا النذر اليسير، ثم انتقلت الأمراض حتى شملت رتيه.. فهو من مرضى الرئتين والجهاز التنفسي طوال حياته، ثم انتقلت الأمراض وداهمت الكليتين فزاد عليه البلاء، ثم تتابعت وتدهورت حالة الرئتين فكان يصاب بنزيف حاد في الرئتين بين الحين

والحين يجعله طريق الفراش أياماً وأسابيع ، ثم تدهورت حالته بعد ذلك إلى تمزق في الرئتين وتزييف متكرر ، وبلغ الأمر مداه فكان يصاب بين الحين والحين بالذبحة الصدرية فيقعد طريق الفراش الشهور العديدة .

هذه الأمراض العديدة لو قسمت على رهط لأقعدتهم طريقى الفراش وملأت نفوسهم جزعاً وخوراً . . . ولقال كل واحد منهم : « ليس على المريض حرج » ولكن سيد قطب كان صاحب نفس عظيمة أبية ، وهمة تطاول عنان السماء . . . فما أقعده المرض أبداً عن العمل والجهاد والقراءة والثقافة . . . وما حال المرض أبداً دون تفوقه في كل مراحل حياته على جميع أو أغلب أقرانه .

- حالته النفسية :

عاصر سيد قطب تعذيب قيادات الإخوان بتقطيع الأحجار في الجبل ، كان منهم أغلب قيادات الإخوان ، على رأسهم فضيلة المرشد حسن الهضيبي ، كانوا يخرجون إلى الجبل كل يوم مقيدين بالسلاسل فى أرجلهم ، ثم يذهبون لتقطيع ونقل الحجارة فى منطقة جبال طره -آنذاك- واستمر هذا التعذيب حتى تم ترحيل أغلب القيادات العليا إلى سجن الواحات ، وكان الترحيل لهدفين :

١- تديبر تعذيب طويل المدى ومجزرة للقيادات فى الصحراء .

٢- تديبر مجزرة ليमान طره سنة ١٩٥٧م .

كما عاصر سيد قطب مجزرة ليमान طره ، شاهد وعين المجزرة حيث الشهداء المقتولون بالرصاص أو «الشوم» يفدون عليه فى المستشفى ، فى مذبحه من مذابح تاريخ مصر الحديث . كما عاصر محنة التأيد ، محنة الضغوط الرهيبة على الإخوان لتأييد جمال عبدالناصر ، ورفض سيد قطب فى إباء وشمم وعلو وترفع ، ورضى أن يكمل سجنه . . . بل كان مستعداً للموت فى سبيل الله . . . ولا يداهن أبداً وكيف يداهن وهو الذى كتب كلماته المضيئة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَذُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ [القلم : ٩] . فى كتابه : فى ظلال القرآن .

هذا هو العملاق العظيم الجهبذ الذى انبهر به إخواننا وهم بذلك معذورون . . . فهم بالنسبة له تلاميذ يتلقون منه تلقياً لا يستطيعون مواكبته ، عاشوا حياتهم معذبين منعزلين ، رأوا بأعينهم جاهلية الطغاة البغاة فى أهوال التعذيب وفى الجحيم المقيم وشتى ألوان التعذيب ، كما سمعوا من الطغاة البغاة جاهليتهم المتمثلة فى المقولة المشهورة الكافرة القميثة من حمزة البسيونى الذى تعدى فيها على الذات العلية بقوله : « لو نزل الله لوضعته فى زنانة »!! . . . أو : « لو جاء ربكم هنا لوضعته فى الزنانة »!! .

هؤلاء الشباب المسلمون المضطهدون المعذبون الذين يعلمون أن: «إنكار معلوم من الدين بالضرورة كفر» فكيف بما يقوله حمزة البسيوني وزملاؤه وكيف بما يفعلونه بهم وهم الدعاة إلى الله؟! . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذه الظروف المحيطة بهم وهذا الواقع المرير الأليم . . هذا وذاك جعلهم يؤكدون أن أستاذهم سيد قطب إنما يريد بفكره ومصطلحاته تكفير المجتمع، وسيد قطب برىء من كل هذا، وهو لم يقل بذلك في يوم من الأيام، والذين عايشوه يقولون ذلك وأنه أنكر كل ما نسب إليه في هذا الأمر .

أما الذين انبهروا بسيد قطب وحملوا أقواله ما لم تحمل وظنوه أن يكفر، فقد كانت طباعهم شاذة متطرفة، ويشهد عليهم كل من عايشهم وتعامل معهم . .

انقسم الإخوان داخل سجن القناطر إلى فريقين، الأول: وهم الذين تأثروا بزيارة الأستاذ سيد وهم: [الطوخى محمد طه وفوزى نجم ومصطفى كامل].

أما الفريق الثانى: وهم الذين يلتزمون خط الدعوة السليم وعلى رأسهم: [عبدالرحمن البنان وجلال عبد العزيز].

استمر الإخوان على هذا الحال، فلم تنتشر هذه الفتنة ولم تكبر أو تزيد . . حتى خرجوا من محنة ١٩٥٤م فى نوفمبر ١٩٦٤م .

•• موقف مصطفى مشهور من هذه الفتنة:

كان مصطفى مشهور ضمن القادة الكبار، فكان ثابتاً على طريق الدعوة، يأخذ بيد إخوانه ويوحّد صف الجماعة، ويعمل على الالتفاف حول مرشدها، ويتمثل دوره فى معارك الفتن، فى: المهدئ الموضح المحدد للهدف والغاية، ولم يكن ثرثاراً مدعياً، بل كان حكيماً ورجل دعوة بمعنى الكلمة، وكان نموذجاً فذاً للأخ المسلم الذى يعمل لله تبارك وتعالى، فكان يقابل الفتن بأركان البيعة وخصوصاً ركن الفهم حيث كانت هذه الأركان منطبقة عليه متحققة فيه بأوقى ما يكون . . وكما عهدته الإخوان: الهدوء والصمت والصبر والصمود واللجوء إلى الله تعالى، فكان يجمعهم على الذكر والقرآن وأوراد الدعاء والاستغفار . . وكان كريماً لا يبخل على إخوانه بالنصيحة . . كما أنه كان حريصاً على عدم إشاعة وانتشار مثل هذه الفتن والترويج لها بقصد أو بدون قصد، والسعى لإماتها فى مهدها وأدها قبل أن تنمو وتنتشر (١) . .

(١) حوار مسجل مع الأستاذ محمد عبد المنعم .

•• قرار بالترحيل من سجن الواحات (١)؛

صدر قرار بترحيل المحكوم عليهم بعشر سنوات إلى سجن أسيوط، أما المحكوم عليهم بخمس عشرة أو بالمؤبد فيرحلون إلى سجن قنا . . وتم الترحيل في سنة ١٩٦٤م في الأشهر الأولى منها .

استقر الحال بالإخوان في المكان الجديد، وذهب مصطفى مشهور مع إخوانه إلى سجن أسيوط، وكونوا لجنة للإشراف برئاسته وعضوية عبد الحميد البوردني ورشاد البيومي . وكان مصطفى مشهور كشأنه وكما عرفه الإخوان، هو الأخ البسيط جداً، العادي جداً، السهل جداً الذي يتسلل إلى النفس من خلال هذه البساطة والسهولة والتواضع حتى أفرج عنه في نوفمبر ١٩٦٤م .

•• أسرة مشهور خلال المحنة (٢)؛

كانت الأسرة قد انتقلت في بادئ الأمر وبسبب هذه المحنة إلى بيت العائلة وذلك بعد اعتقال عائلتها مباشرة، وعاشت في قرية السعديين بين الأهل والأقارب والأحباب حياة كريمة في أمن وأمان، ولكن فقد الأولاد لأبيهم كان يمثل فجوة كبيرة في حياتهم، فكانت الأم الصابرة المحتسبة المؤمنة ترعاهم وتقوم بخدمتهم، وتهتم بمظهرهم ومخبرهم، شديدة العناية بنظافتهم ونظافة ثيابهم ومظهرهم كما كانت دقيقة العناية في متابعتها لهم في دروسهم وواجباتهم وصلواتهم وأدبهم . . وكذلك كانت أحرص ما تكون في استحضار صورة الوالد وأن تكون حاضرة في أعين الأبناء وبصفة دائمة .

كانت تشتري بعض الهدايا والحلوى وتقول إن الوالد قد بعث بها إليكم أيها الأبناء . . كانت مدبرة في معيشتها مقتصدة غير مبذرة لا تشعر أولادها بأي إرهاب مادي .

أما الأولاد فقد التحقوا بمدارس القرية الريفية المعروفة بالتخلف عن مدارس المدن، فكانت الأم تعوض أولادها بمتابعة الدروس، وكانت شديدة الحرص على تنشئتهم على منهج والدهم، وكان الأبناء يواجهون عتاً وحرماً في مدرسة القرية لأن زملائهم يسألونهم عن الوالد: أين هو؟ ولماذا سجن؟ أهو لص؟ أم قاتل؟ فيرجع الأولاد باكين شاكين لوالديهم التي تقوم بتوعيتهم وشرح الحقيقة لهم؛ أن الوالد بطل يدافع عن دينه ووطنه ولذلك سجنوه، فيرجع الأولاد إلى المدرسة ويردون على الأسئلة الموجهة إليهم .

(١) حوار مسجل مع الدكتور رشاد البيومي .

(٢) حوار غير مسجل مع السيدة سميرة مصطفى مشهور .

في فترة التعليم الإعدادي، رأت الأم أن تنتقل إلى مركز منيا القمح حيث التعليم أفضل، وتوفر على أولادها مشقة السفر، فرفضت هذه الفكرة المعروفة بأنها محافظة وكيف تسمح لأسرة من أسرها أن تغادر موطن عائلتها وتنفصل لتستقر في بلد آخر! ولكن الأم التي تتحمل مسئولية أولادها بالدرجة الأولى أصرت على فكرتها، وسافرت إلى مركز منيا القمح بأولادها. وعاشت الأسرة في منيا القمح وأكمل الأولاد الكبار (مشهور وسلوى) المرحلة الإعدادية ودخلوا المدارس الثانوية.

كان بالمدرسة الثانوية التي تدرس بها سلوى مدرس كثير الإساءة إلى الإخوان المسلمين وكان لا يكف عن هذه الإساءة، وكانت هذه الإساءة تغضب سلوى فتشكو لأُمها التي كانت تنصحها بالصبر والاحتساب عند الله تبارك وتعالى، كما كانت تشرح لها مدى صدق الإخوان المسلمين وحبهم لله ولدعوة الله وسيرهم على طريق محمد ﷺ ومدى حبهم للوطن وللدفاع عنه، فكانت تسرى عن سلوى ومشهور بالكلمات الرقيقة الصادقة البليغة التي تستقر في قلوبهم على طريقة والدهم.

وكان الوالد يراعاهم وهو في سجنه بالدعاء لهم، وبخطاباته التي كان يرسلها إليهم تهرباً، والمليئة بالنصائح الغالية والمفاهيم العميقة في حسن المعاملة مع الأبناء فيما بينهم وبين الأبناء وأمهم، ومعاملة الأم لأبنائها، ومعاملة الأبناء لأقاربهم، ومعاملة الزوجة لأهلها.

كانت خطاباته غاية في الرقة تفيض بالحب والتقدير والحنان وتشعر بالتحرق شوقاً وشدة الصبر على طول الغياب والأمل في اللقاء القريب.

كان يرسى في خطاباته قواعد الإيمان والارتباط بالقوى المتين، ويعلمهم أنهم في كنف الله وفي حفظ الله وفي رعاية الله، وأن الله تعالى يحفظهم ويكلؤهم ويرعاهم ويحيطهم بقضله وكرمه ويعينهم على الصبر والرضا. ويشجعهم على الصبر والرضا ببلاء هذه المحنة وغيرها من المحن كي ينالوا الأجر والثواب ورضا رب العباد، ويعلمهم ويذكرهم بأن الدنيا دار امتحان والفائز من اجتاز هذا الامتحان بالصبر والرضى. وكان يهتم جداً بدراسة الأولاد وتفوقهم وطاعة والدتهم وعبادة ربهم وصلوة الرحم.

وبهذه المناسبة ننقل بعض النماذج من هذه الخطابات وهي كما يلي:

•• خطاب إلى الزوجة^(١)؛

بسم الله الرحمن الرحيم

زوجتي الفاضلة . . أحبيك تحية طيبة مباركة فسلام الله عليك ورحمته وبركاته . تحية أشعر معها بطمأنينة لأنها سلام ورحمة وبركة من عند الله ، فأى سلام بعد سلام الله ، وأى رحمة بعد رحمة الله ، وأى بركة بعد بركة الله ، أشعر بطمأنينة لأنكم فى حفظ الله ورعايته ويحيطكم بفضلته وكرمه ، ويعينكم على الصبر والرضا ، ثم يأجركم به ويثيبكم عليه فى الله أولاً وآخرأ . وإنى أتصور أنها ستكون سعادة ما بعدها سعادة عند انتهاء هذه الفترة على ما فيها من ابتلاء وامتحان وتنتهى وقد وفقنى الله وإياكم إلى الصبر عليها واحتمالها فى سبيله وابتغاء مرضاته ، وتظل تعمرونا السعادة وكلنا أمل فى عظيم ثوابه فى الآخرة ، وهل الدنيا إلا دار امتحان وابتلاء ، والفائز من وفقه الله فى هذا الامتحان وصبر ورضى .

وبعد . . وصلنى خطابكم الذى فيه عنوانكم الجديد وسررت لما به ، ودعوت الله لكم بالحياة الطيبة والحفظ والتوفيق والنجاح ، وإن قدرك عندى ومنزلتك فى قلبى تزداد مع الأيام كلما لمست منك هذا الحرص على مصلحة الأولاد على ما يرضينى ، والله وحده هو الذى يعلم ما فى القلب من حب وتقدير وإخلاص .

سلامى إلى الشقيقة الحاجة نوال وزوجها الحاج سويلم ، و سلامى إلى الحاج على والشيخ عبد الستار والشيخ عبد الحليم ومنزلهم ، وأنجالهم ، و سلامى إلى الحاج عبد السلام والست الحاجة وجميع من بمنزلهم ، و سلامى إلى أخواتى الحاجات الفاضلات : الحاجة صديقة وجميع من بمنزلهم ، و سلامى إلى إخواتى الحاجات الفاضلات : الحاج صديقة والحاجة دولت شفاها الله والحاجة بهية ، وتهنتى للآنسة عفاف وربنا يتمم بالخير .

قبلاتى لوفاء وسمية ، و سلامى وشوقى ، وإن شاء الله نخرج إليهم قريباً ويكونوا مبسوطين . وعاوزهم يكتبوا لى ، وشدى حيلك يا حاجة وربنا معكم وفرج الله قريب . . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زوجك / مصطفى مشهور

•• خطاب إلى الأولاد^(٢)؛

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدى العزيز مشهور . . ابنتى العزيزة سلوى . . سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، شاء

(١) نقلاً عن كتاب : حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته .

(٢) المرجع السابق نفسه .

الله أن تستقر بكم الأمور في مدارسكم وفي مسكنكم الجديد، وأريد منكما أن تهتما جداً بدروسكما، فما يحتاج منها إلى حفظ تجتهدون في حفظه، وما يحتاج إلى فهم وتمارين تجتهدون في فهمه والتمرين عليه، وهكذا لا تشغلوا أنفسكم إلا بالدروس حتى تكونوا في آخر العام من الناجحين بتفوق حتى تستقبلوا التوجيهية وأنتم متفوقون، وطبعاً أنتم عارفين إن الوالدة بتتعب نفسها وتسكن في منيا القمح حتى توفر وقتكم للمذاكرة ولا يضيع في الانتقال بين البلد ومنيا القمح، فلا تقابلوا هذا الفضل منها إلا بالتقدير والحرص وعدم تضييع الوقت إلا في المذاكرة. وأنا ومن معي ندعوا لكم دائماً بالتوفيق والنجاح ونحب أن نسمع عنكم كل ما يسر ويشرح الصدر إن شاء الله. وأنا حين أكتب أعرف تماماً أنني أكتب لمن تركوا مرحلة الطفولة وصاروا يقدرون معنى الكلام ويقدرون مصلحتهم، كذلك الظروف التي تمر بها ويشعرون أنهم غير باقى زملائهم في المدرسة وأن عليهم أن يضاعفوا الهمة والتحصيل ولا يغفلوا طريقة عين عن أداء واجبهم.. مشهور وسلوى.. أود أن أشعر أنكم كبار في تقديركم لهذا الكلام، كبار في استجابتكم له، كبار في تصرفاتكم، كبار في تقدير المسؤولية، حتى تكونوا فائزين بالسعادة في الدنيا والآخرة، وتفوزوا برضا الله عنكم ورضاه والديكم.. وفي الختام أكرر سلامي وحيي وتقديري وتمنياتي الطيبة لكم.. والسلام عليكم ورحمة الله.

والدكم، مصطفى مشهور

السبت ١٦ جمادى الثاني ١٣٨٣ هـ

٢ نوفمبر ١٩٦٣ م.

•• مشهور والإفراج:

في شهر نوفمبر من عام ١٩٦٤م أفرج عن مصطفى مشهور، بعد أن قضى مدة سجنه عشر سنوات ظلماً وعدواناً وبهتاناً، وما سجنوه هو وإخوته إلا لأنهم يقولون ربنا الله..

ومصطفى مشهور يعتبر هذا الإفراج إفراجاً صغيراً، لأن الإفراج الكبير هو الإفراج عن الدعوة الإسلامية وانطلاقها من القيود، وتخطى جميع السدود إلى آفاق العالم الحر تبشر بالدعوة - دعوة الحق والقوة والحرية: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الروم: ٤، ٥].

ويوم الإفراج الصغير ودع مصطفى مشهور إخوة له تربطه بهم رابطة العقيدة، أوثق الروابط وأغلاها، وأخوة الإيمان، إخوة يراهم أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون

بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، هؤلاء الإخوة الذين اجتمع معهم وبهم على محبة الله ، والتقى بهم ومعهم على طاعة الله ، وتوحد معهم وتعاهد على نصرته شريعة الله . . .

ودعهم وهو على يقين مثلهم أن فراق الإخوان مؤقت لأنه في الدنيا المؤقتة ، فيما فراق بسبب في الحياة الدنيا وإما فراق بالموت ، وكلا الفراقين مؤقت . . كما أنه على يقين مثلهم أن التقاء الإخوان دائم يبدأ في الدنيا ويستمر ويدوم في الآخرة الباقية فهو دائم بدوامها ، ويعلم أن الله تعالى قد جمعهم في الدنيا على طاعته وسيجمعهم في الآخرة بإذنه على رضوانه ويسعدهم بالنعيم المقيم في جناته إخواناً على سرر متقابلين في الفردوس الأعلى . . .

ولكن الإخوان لا يحتملون الفراق بينهم حتى ولو كان مؤقتاً . . .

ودع مصطفى مشهور إخوانه في مشهد عاطفى مهيب تنساب فيه الدموع وترتفع فيه خالص الدعوات ، والشكر لله رب العالمين أن يثبت الله القلوب على دعوته ، وأن يوثق رابطة العقيدة التي ربطت بينهم ، وأن يديم ودهم ، وأن يهديهم الرشاد والسلام ، وأن يجعل هذه الأيام التي عاشوها مسجونين في محنة في سبيله وفي ميزان حسناتهم وأن ينصر دينه ويهزم أعداءه إنه نعم المولى ونعم النصير .

غادر مشهور سجن أسيوط متوجهاً إلى منيا القمح ، المكان الذي انتقلت إليه أسرته الصغيرة ، زوجته وأولاده . . ولما وصل مركز منيا القمح وهو في لهفة شديدة وشوق لزوجته وأولاده الذين فارقهم عشر سنوات مدة السجن لم ينسه هذا الموقف ولم تأخذه هذه الظروف عن اتباع سنة رسول الله ﷺ والافتداء بهديه ﷺ ، حيث إن رسول الله ﷺ كان إذا حضر من سفر أو غزو ودخل المدينة كان أول ما يبدأ بالدخول إليه : المسجد ، وليس بيوت زوجاته وبناته ، وإنما يبدأ بالدخول إلى بيت الله تبارك وتعالى شكراً لله تعالى على نعمه أن أرجعه إلى أهله مسلماً ثابتاً على دعوته حاملاً رسالته غانماً من سفره سالماً من الأذى ظافراً متصراً على أعداء الله .

وكما نعلم فإن الإخوان المسلمين طريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء وبخاصة في العقائد والعبادات . . ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

ومصطفى مشهور شديد التمسك بالسنة المطهرة ويحمل نفسه على العمل بها في كل شيء حتى في مثل هذه الظروف العصيبة - رجل فارق زوجته وأولاده طيلة عشر سنوات مسجوناً في سجون الطواغيت ، وها هو قد أفرج عنه ، نجد غيره يطير فرحاً ويجرى لاهثاً إلى بيته ليضم أولاده إلى صدره . . ولكنه ذهب إلى المسجد ، إلى بيت الله تبارك وتعالى . . لقد قدم بيت الله وبدأ به . . ذهب إلى بيت الله إلى مسجد بمركز منيا القمح . . ذهب ليشكر الله تعالى على

نعمه وخصوصاً على نعمة السعادة بانتهاء فترة السجن والمحنة على ما فيها من ابتلاء وامتحان . . ويشكر الله تعالى الذي وفقه إلى الصبر والاحتمال في سبيله وابتغاء مرضاته والرضى بقضائه، ويحمد الله تعالى أن هداه إلى الإسلام والانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين، وليعاهد الله ويجدد العهد على مواصلة الطريق .

هناك في المسجد كان القوم قد علموا بقدومه، فذهبوا لاستقباله ووصل الخبر إلى أهل بيته فلم تصبر وفاء وكانت في المرحلة الإعدادية وكذلك سمية وكانت في المرحلة الابتدائية . . وأخذت وفاء أختها سمية مسرعة إلى المسجد، وهناك وبين المستقبلين لم تعرف وفاء أباهما وكذلك سمية لم تعرف أباهما . . يا لها من لحظات، لقد طالت المدة . . عشر سنوات!! . . تقول سمية: «احتجنا إلى من يشير إلى أيننا لنعرفه!!»^(١).

قضى بين أولاده شهرين يشهم من عطفه وحنانه، ويعوضهم ما فات من الحرمان الذي استمر طيلة عشر سنوات .

ثم ذهب إلى القاهرة لاستلام وظيفته في مصلحة الأرصاد الجوية بكوبري القبة بالقاهرة، وكان ينتقل يومياً من مركز منيا القمح إلى القاهرة بالمواصلات ليمارس عمله، وبقدر الله تعالى قابل أخاه في الله في المسجد المجاور لمصلحة الأرصاد . . إنه عبد الرحمن البنان . .

يروى لنا الأستاذ عبد الرحمن البنان قصة هذا اللقاء السعيد فيقول:

تعرفت على الحاج مصطفى مشهور مع بداية انضمامي للجهاز الخاص سنة ١٩٥١م، وكان تعارفاً بين جندي وقائد . . وكان قائداً بمعنى الكلمة . .

ثم تعرفت عليه أكثر عن كذب بعد ذلك، وذلك بعد أن أفرج عنه سنة ١٩٦٤م، جاء لتسلم عمله بالأرصاد الجوية وكان ذلك في يناير ١٩٦٥م فقابلته مراراً في المسجد المجاور للأرصاد الجوية بكوبري القبة، وكان منزلي قريباً من مصلحة الأرصاد . . فقلت له: لماذا جئت في هذا الحى ولم تشرف بزيارتك؟ قال: إنني أحضر يومياً من البلد إلى مقر عملي بالمواصلات!! فتعجبت من ذلك: أتأتى يومياً من البلد، ومن حسن حظي كانت لنا شقة في منزلنا خالية وكانت كبيرة، على مساحة ٢٠٠ متر، واستأجرها مني بمبلغ خمسة جنيهات شهرياً، ويقع منزلي هذا في حمامات القبة [شارع إسلام رقم ١٨ ويطل على ناحيتين] وتبعد مصلحة الأرصاد خمس دقائق على الأقدام .

(١) مقابلة غير مسجلة مع الأستاذة سمية مصطفى مشهور .

كانت مصادفة سعيدة جداً، وسعدت وشرفت بلقياه يوماً وصحبته التي تذكرنا بصحابة رسول الله ﷺ . .

لقد عاصرته أيام السجن والمعتقلات في محنة ١٩٥٤م، وكان قدوة لنا في رفضه تأييد عبد الناصر رغم ما كنا نعانيه من أهوال العذاب . .

استمتعت بصحبته، وكان لى حظ كبير أن أكون قريباً منه وأسمع منه في السجن والمعتقلات في سجن الواحات والحربي وأبى زعبل وغيره .

أقول: لقد عشنا مع رجل ليس من هذا العصر، ولكنه رجل يعيش في عصر الصحابة رضى الله عنهم . . الدين والخلق والرزانة . . بل كل تصرفاته . . وأتذكر دائماً قول السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ لما سئلت عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن . . أقول: وكان مصطفى مشهور قرأنا يتحرك . وصورته لم أجدها في كثير من الإخوان^(١) .

سكن مصطفى مشهور في مكانه الجديد بحمامات القبة يمارس عمله بمصلحة الأرصاد، وكان ممنوعاً من أى نوع من الأنشطة، وكان ممنوعاً من صلاة الجماعة في المسجد .

فكر أن يستثمر فترة وجوده بين أسرته، فملاً عليهم أوقاتهم ووضع لهم جدولة ونظاماً مفيداً يسيرون عليه ويشاركهم فيه في جو أسرى هادئ ممتع مفيد لا يشعر الواحد منهم بملل أو تحدته نفسه بالتمرد على هذا النظام الجديد . . كان شيئاً كما كان مكثفاً .

تقول سمية: «كانت هذه الفترة فترة وعى وفهم وحرز من القرآن الكريم وكانت مكثفة، وأفدنا منها أيما إفادة ولا ننساها حتى الآن، بل كانت هى الأساس الروحي والتربوي والفكري الذى قامت عليه حياتنا بعد ذلك» .

كانت الأسرة تقضى يوماً إسلامياً يخضع لبرنامج معين مرسوم وكان برنامجاً شاملاً . . يبدأ هذا البرنامج بعد صلاة العصر في جماعة، ثم بعد ذلك دراسة فى السيرة النبوية يعقدها لهم والدهم، وبعد انتهاء الدرس تجهز لهم الوالدة بعض المأكولات من الفواكه والحلوى والعصير، ثم ممارسة الرياضة البدنية اليومية التى لا يتخلف عنها أحد . . ثم بعد ذلك قراءة الوظيفة الكبرى ويليهما ورد الرابطة ثم صلاة المغرب فى جماعة، بعد ذلك يعطيهم درس (التخطيط والتنظيم) فى التدبير وشئون الطبخ والمنزل، وكان يوزع عليهم جميعاً دور الإشراف على ميزانية المنزل، وكان يعلمهم كيفية الاقتصاد والادخار وفى نفس الوقت التوازن والتوسط فى تدبير المعيشة .

(١) حوار مسجل مع الأستاذ عبد الرحمن البنان .

أما قيام الليل فكان له برنامج خاص ، كان يوقظ أهله وأولاده ويحجب إليهم لقاء الحبيب في جوف الليل ومناجاته وسؤاله والناس نيام ، وكان حريصاً على المداومة ، ويعلمهم أن خير الأعمال أدومها وإن قلت .

لقد نهج بأسرته نهجاً صحيحاً علمياً وعملاً ، وبدأ الإسلام الصحيح يتضح لهم رويداً رويداً متمثلاً في شخص والدهم . .

ولما مرّ عليهم شهر رمضان لم يترك والدهم هذه الفرصة تفوت دون الاستفادة ، ولكنه جعل لهم من هذا الشهر الكريم دورة روحية وعقلية وبدنية وتمعنهم بصلاة التراويح والتهجد وتلاوة القرآن الكريم ، وعلمهم كيف يكون الصيام الصحيح . . كما كان يحجب بناته في ارتداء الحجاب .

غرقت الأسرة في بحر من السعادة مع ربها ، ولم تشعر بالزمن الذي يخبي وراءه أحداثاً في طيها ما يعيدهم للأيام الخوالي وأن أباهم سيخطف من بينهم وهم لا يشعرون ، فهم في غمرة من السعادة والمتعة التي تأخذ بالألباب ، نعم لقد مرت الأيام وعاش معهم وبينهم الوالد الكريم الحنون العطوف الرقيق المعلم الراعى ، تسعة أشهر . . ولكن أخذته الأقدار من بينهم واستلته كما تستل الشعرة من العجين ، وذلك حين أصدر جمال عبد الناصر قراراً من موسكو باعتقال كل من سبق اعتقاله من الإخوان المسلمين . . فأخذ مصطفى مشهور واعتقل مع إخوانه وعاد إلى أقبية السجون وترك أسرته في حفظ الله ورعايته .

وفي الفصل الثالث نتابع المسير مع أستاذنا مصطفى مشهور في محنة ١٩٦٥ م .

الفصل الثالث:

محنة سنة ١٩٦٥م

مؤامرات متتابعة للقضاء على فكر وحركة جماعة الإخوان المسلمين - تلك الجماعة التي تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتجادل بالتي هي أحسن وتسعى لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع وترسى قواعد الإسلام لتقييم عليها الخلافة الإسلامية التي تحكم الأرض بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولأنها تتصدى لحكم الفرد وتحارب الصهيونية والاستعمار، وتقف أمام استغلال موارد المسلمين وإفقار بلادهم وإذلال شعوبهم وتدمير البنية الأساسية للمسلمين بتحطيم الخامة البشرية بإفساد الأخلاق بالمخدرات والإباحية ولصرفهم عن الانتباه واليقظة والتوعية لما يحاك لهم في الظلام... خطط لها الأعداء المؤامرات ودبروا المكائد منذ قرار حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨ و اغتيال الإمام حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩م، ثم حادث المنشية في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م إلى هذه المحنة في أغسطس ١٩٦٥م... ثم تتابع المؤامرات والمكائد إلى يومنا هذا، وتواجه هذه الجماعة تلك المؤامرات ولكن الله تعالى هو خير حافظاً وهو أحكم الحاكمين.

●● إعلان من موسكو:

أعلن جمال عبد الناصر في خطاب أذيع من موسكو «عاصمة الاتحاد السوفيتي» يوم ٦ سبتمبر ١٩٦٥م. أن حكومته قد اكتشفت للإخوان المسلمون تنظيمًا سريًا مسلحًا على مستوى الجمهورية، وأنه في هذه المرة لن يعفو ولن يصفح ولن يغفر ولن يرحم، وقد أصدر أوامره باعتقال كل من سبق اعتقاله منذ عام ١٩٤٨م وقال في إحدى خطبه بعد ذلك: إنه قد اعتقل في يوم وليلة ١٨٠٠٠ ثمانية عشر ألفاً من الإخوان المسلمين ملأ بهم جميع المعتقلات والسجون^(١).

●● خيوط واهنت^(٢):

بنى جمال عبد الناصر إعلانه الظالم الضليل الكاذب على بيت واهن نسجت خيوطه أجهزة مخابراته الوصلية والقلم السياسي الحاقد ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

(١) بلغ عدد المعتقلين من الإخوان المسلمين في صيف ١٩٦٥م أكثر من أربعين ألفاً من الرجال والنساء.

(٢) محنة ١٩٦٥م - الزلزال والصحة - محمد الصروي - بتصرف.

هذه الخيوط هي :

- ١- اتصال حسين توفيق بالإخوان .
- ٢- تقرير زغلول عبد الرحمن .
- ٣- وشاية مصطفى أمين .
- ٤- قرية سنفا .

هذه هي الخيوط التي نسج بها نظام الاستبداد الناصري قضية تنظيم سيد قطب زوراً وبهتاناً وإفكاً . وستناولها بإيجاز باستثناء قرية سنفا لأنها كانت السبب المباشر في كشف التنظيم .

١- اتصال حسين توفيق بالإخوان:

كان حسين توفيق مناضلاً وطنياً كما يقولون - من غير هوية معروفة ، فلم يكن منتمياً لجماعة أو حزب أو فكر ولم يكن متديناً . ولكنه كان شجاعاً جريئاً .

يحكى لنا الأستاذ صلاح شادى قصة حسين توفيق فيقول^(١) :

* واتهمت الحكومة الضابط أنور السادات باتصاله بالألمان ، وأوقف من خدمة الجيش منذ سنة ١٩٤٢م وظل معتقلاً من ديسمبر ١٩٤٢م حتى أكتوبر ١٩٤٤م حيث استطاع الهروب من معتقل الزيتون إلى أن سقطت الأحكام العرفية سنة ١٩٤٥م ، فأفرج عن جميع المعتقلين ، وخرج أنور السادات إلى الحياة العامة وكون جمعية سرية من المدنيين وفيها الشاب حسين توفيق الذي كان يمارس هواية قتل الجنود الإنجليز المستعمرين في ذلك الوقت^(٢) .

* استطاع أنور السادات أن يقنع حسين توفيق أن قتل حفنة من الجنود الإنجليز ليس هو الطريق لتحرير مصر . . !! ولكن الطريق إلى تحرير مصر هو التخلص من الذين يساندون الإنجليز في ذلك الوقت . وبالفعل أقنع أنور السادات حسين توفيق باغتيال مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد بعد أن فرضه الإنجليز بقوة السلاح في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢م رئيساً للوزارة الوفدية التي تولت الحكم على أسنة رماح الإنجليز ، وفي أوائل سبتمبر ١٩٤٥م ألقى حسين توفيق قبلة على سيارة النحاس باشا ولكنها لم تصبه بأذى وانطلقت السيارة بعيداً عن مكان الانفجار ، وانسحب السادات من ميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة إلى مقهى (أسترا) بميدان التحرير وهرب حسين توفيق .

(١) حصاد العمر - صلاح شادى .

(٢) وهى بالطبع وطنية ومقاومة للاستعمار يحمده عليها .

* كرر أنور السادات المحاولة فأقنع حسين توفيق باغتيال أمين عثمان أحد كبار أنصار الاستعمار الإنجليزي في مصر، وكان أمين عثمان رئيساً لجمعية الصداقة الإنجليزية المصرية في ذلك الوقت كما كان وزيراً للمالية. وفي ١٠ يناير ١٩٤٦م اعترف حسين توفيق على باقي زملائه في الجمعية وقبض على أنور السادات في ١٢ يناير بتهمة تدبير الحادث.

واستمرت المحاكمة ستة أشهر وكانت محاكمة مدنية جنائية ولم تكن عسكرية أو أمن دولة، فاستطاع المحامون التشكيك في بعض أركان القضية. . . وهرب حسين توفيق من السجن وذهب إلى الإخوان المسلمين لإخفائه بعيداً عن عيون الإنجليز، وكلف الإمام البنا الأخ صلاح شادي بمهمة إخفاء حسين توفيق -كمجاهد وطني- عن عيون الإنجليز، ورأى صلاح شادي أن حسين توفيق لا يصلح فأعطاه مصحفاً في مخبئه ودعاه للصلاة فصلى بعد وقت قصير. . . ثم عاد فترك الصلاة بعد ذلك، لأنه كان يعتقد أن الإسلام يقيد «الوطنية». وأن الدين ضد الوطنية كما كان يزعم حسين توفيق آنذاك.

* هرب حسين توفيق من مخبئه هذا إلى سوريا، وقام بمحاولة اغتيال رئيس سوريا حين ذاك وهو حسنى الزعيم وفشلت محاولته لاغتيال حسنى الزعيم، وقبض عليه وأودع في سجن «المزة» بدمشق وحكم عليه بالإعدام. . . وقبل تنفيذ الحكم بأيام جاء انقلاب أديب الشيشكلي وأطاح بحسنى الزعيم وخرج حسين توفيق من سجن المزة إلى الشارع بعفو جمهوري وتزوج هو وشقيقه سعد توفيق من سوريا وعاشا هناك حتى سنة ١٩٥٢م.

* قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م في مصر واستدعاه أنور السادات إلى مصر وعينه في وظيفة محترمة في شركات البترول هو وزملاءه [سعيد توفيق، أحمد الخناوي].

* لم يقنع حسين توفيق بذلك ورسم في ذهنه خريطة لجمهورية وادى النيل تشمل مصر والسودان، وخطط لمحاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر، وتقول الشائعات. . . كما يقول الخبثاء آنذاك: إن حسين توفيق أقنع السادات بأنه سيكون رئيساً لجمهورية وادى النيل الجديدة. . . ولكن السادات أخبر عبد الناصر بالموضوع فتم القبض على حسين توفيق وزملائه وحوكموا في عام ١٩٦٥م، وحكمت المحكمة العسكرية عليهم في القضية رقم (١١ أمن دولة عليا) بالأشغال الشاقة المؤبدة على معظمهم، واستمر حسين توفيق مسجوناً مع الإخوان سبع سنوات حتى أفرج عنه أنور السادات.

أما علاقته بالإخوان فهي:

اتصل حسين توفيق بمن يعرفه من الإخوان وهما الضابط السابق مصطفى راغب - من رجال الثورة من الإخوان المسلمين وأحاله عبد الناصر سريعاً إلى التقاعد - والمهندس سامى عبد القادر، وطلب منهما إمداده بالقنابل اللازمة حيث كان حسين توفيق يعتقد أن الإخوان - دائماً عندهم قنابل وأسلحة . . فذهبوا إلى الأخ يوسف القرش فى قرية «سنفا» مركز ميت غمر - محافظة الدقهلية . . هكذا قال الأخ سامى عبد القادر أحد أعضاء تنظيم حسين توفيق، فاعترف سامى عبد القادر أنه على علاقة بالأخ يوسف القرش فى سنفا وأن عند يوسف القرش قنبلتين «يدويتين» وذهبوا إلى منزل يوسف القرش ولم يجده . . وكان هذا هو أول خيط للقبض على تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥ م.

٢- تقرير زغلول عبد الرحمن:

كان زغلول عبد الرحمن ضابطاً فى المخابرات المصرية، وعمل ملحقاً عسكرياً لمصر فى بيروت، وكان أحد أكبر رجال المخابرات المسئولين عن منطقة سوريا ولبنان وفلسطين . . وفى اليوم التالى لانفصال سوريا عن مصر، وانتهاء الوحدة السورية المصرية (١٧/٨/١٩٦١ م) . . فوجئ الجميع بهروب زغلول عبد الرحمن من لبنان ولجأ إلى سوريا بعد الانفصال، وفى اليوم التالى عقد مؤتمرًا صحفيًا هاجم فيه جمال عبد الناصر وزميله عبد الحكيم عامر وسياستهما فى سوريا . . وكان ذلك صدمة لعبد الناصر، لأن زغلول عبد الرحمن كان من الصف الأول المقربين من رجال الثورة . . فكانت طعنة من الخلف لعبد الناصر ونظامه، ويقول رجال عبد الناصر إن زغلول عبد الرحمن كان مدمناً للقمار وخسر مبالغ كبيرة فى القمار سددها المشير عبد الحكيم عامر من خزانة الدولة نيابة عنه، ودعمًا له . . ولكنه غدر بهم ولجأ إلى سوريا، وكرس الانفصال السورى عن مصر^(١) . .

ثم غادر زغلول عبد الرحمن سوريا إلى ألمانيا حيث أقام هناك . . ولكن الحكومة المصرية لم تقبل الصفعة، وخططت تخطيطاً محكماً لخطف زغلول عبد الرحمن من ألمانيا، ووضعوه فى صندوق خشبى كطررد دبلوماسى للسفارة المصرية وأحضره من ألمانيا فى طائرة إلى السجن الحربى . . وهناك ذاق ألوان العذاب وحوكم محاكمة عسكرية ولبث طويلاً فى السجن الحربى حتى وفاة عبد الناصر .

(١) عرضت سوريا بعد الانفصال شكوى لجامعة الدول العربية عن جرائم عبد الناصر ورجاله فى سوريا أثناء الوحدة فى مؤتمر «شتورة» فى بيروت . . وقدم زغلول عبد الرحمن وثائق كانت تحت يده عن جرائم النظام المصرى فى سوريا من جرائم تجسس وتخريب واغتيال ليس فى سوريا وحدها ولكن فى كل الدول العربية .

وأثناء تعذيب زغلول عبد الرحمن قدم تقريراً مبالغاً فيه عن نشاط جماعة الإخوان المسلمين في أوروبا، وأفاد أن لها كياناتاً كبيرة يتعاضم يوماً بعد يوم، ويجب أن يعمل لجماعة الإخوان المسلمين ألف حساب وحساب^(١) وكان هذا التقرير دعماً كبيراً لشمس بدران ورجاله . . فهو تقرير من رجل مخبرات مخضرم ينبغي أن يُنظر إليه بعين الاعتبار .

٣- وشاية مصطفى أمين:

مصطفى أمين وتوأمه على أمين تربيا ونشأ في بيت زعيم الأمة سعد زغلول، وترعرعا هناك، وسافر مصطفى إلى أمريكا في الأربعينيات من القرن الماضي ثم عاد فأسس مع أخيه جريدة [أخبار اليوم] الأسبوعية في سنة ١٩٤٤م ثم في سنة ١٩٥٢م أصدر جريدة [الأخبار] اللتين استمرتتا إلى يومنا هذا . وكان مصطفى أمين على علاقة قوية جداً بالسفارة الأمريكية!!^(٢) وكل من مصطفى أمين وعلى أمين من أصحاب الاتجاه العلماني في مصر، ولقد أثنى مصطفى أمين على أندية الروتاري، إلا أن اسمه لم تشمله قائمة أسماء الأعضاء .

ولقد كانت ولا تزال [أخبار اليوم] مدرسة صحفية كبيرة بجوار مدرسة [الأهرام]، و[دار الهلال]، و[روز اليوسف] وكانت مدرسة [دار أخبار اليوم] تعتمد على الخطبات الصحفية وعلى الإثارة الصحفية . . وليس لكل من مصطفى أمين وعلى أمين ميول دينية على الإطلاق . . وارتباطهما بمدرسة سعد زغلول الوطنية معروف وملحوظ . . وهي مدرسة تبتعد عن الدين والتدين شيئاً فشيئاً مما جعله قريباً من رجال الثورة، بل عاش الصحفيان اللامعان مصطفى وعلى أمين فترة التمهيد للثورة معايشة فعالة ومؤثرة .

وسافر مصطفى أمين مندوباً عن رجال الثورة بعد حرب ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي) سفيراً فوق العادة شارحاً للقضية المصرية ولأبعاد العدوان الثلاثي على مصر . . وكان بينه وبين جمال عبد الناصر تعاون وثيق . . لكن عبد الناصر اختار صحفياً من تلاميذ مصطفى أمين لكي يكون مفكراً لعبد الناصر وأميناً لأسراره وهو: (محمد حسنين هيكل)^(٣) وكتباً لخطبه . . بل وكتابه (فلسفة الثورة) و(الميثاق) .

(١) البوابة السوداء . . أحمد رائف . ص ٢٤٨ .

(٢) كذلك كانت له علاقة وثيقة مع أندية الروتاري، كما أن باب «أبو نضارة» في جريدة الأخبار هو امتداد لمجلة «أبو نضارة» الماسونية ١١٩ . . انظر: الروتاري في قفص الاتهام للكاتب أبو إسلام أحمد عبد الله ص ٢٧٥ .

(٣) ينقل على عشاوي عن الشهيد سيد قطب رأياً خاصاً: هو أن اليهود قد جندوا كلاً من جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل كعملاء لهم!! إبان فترة حصار الفالوجا التي استمرت ١٣٠ يوماً . . هكذا قال على عشاوي على لسان سيد قطب . انظر مذكرات على عشاوي، آخر قادة التنظيم السري للإخوان المسلمين .

ورغم أن عبد الناصر أم (دار أخبار اليوم) ضمن الشركات التي أممها . . لكن كان قرار الحكومة أن يستمر مصطفى أمين وعلى أمين في رئاسة تحرير (دار أخبار اليوم) . . حتى قبض على مصطفى أمين بتهمة الجاسوسية ، وكانت مفاجأة للجميع . . ولقد سجل مدير المخابرات صلاح نصر المكالمات التي كانت تدور بين مصطفى أمين وضابط المخابرات الأمريكي (بروس تايلور) الذي كان يعمل في السفارة الأمريكية في ذلك الحين .

وعلى الرغم من أن مصطفى أمين قد مهد كثيراً بعد ثورة يوليو لنمو العلاقات بين عبد الناصر والسفارة الأمريكية حيث كان مصطفى أمين يتمتع بثقة الأمريكيين !! وهناك أسرار شخصية كثيرة حول هذه العلاقة والمقابلات التي كان مصطفى أمين فاعلاً مؤثراً فيها . . فلم يشفع له ماضيه ، واتهموه بالتخابر مع أمريكا ، وحكموا عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . . وهرب أخوه على أمين إلى لندن وعاش فيها . . ولبت مصطفى أمين في السجن سبع سنين منها ستان في السجن الحربى ثم انتقل إلى ليمان طره حيث عاش في عنبر رقم (١) بالدور الثالث مع السياسيين هناك .

ويرد الخبثاء في ذلك الحين أن محمد حسنين هيكل كان وراء هذه القضية . . لكن ليست هناك أدلة على ذلك ، ولكنها مجرد شائعات .

والذى يهمنا في هذه القصة هو أن مصطفى أمين قال لضابط المخابرات الأمريكى (بروس تايلور) : إن الإخوان المسلمين يتطلعون للتعاون مع كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة الذى استقال من جميع مناصبه نظراً لميوله الإخوانية كما يقولون !!

فاعتبرت الحكومة أن هناك تحركاً من الإخوان المسلمين مع كمال الدين حسين ضد عبد الناصر . .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن شيئاً من هذا لم يحدث على الإطلاق . . وكانت هذه القضية مؤشراً على عودة نشاط الإخوان المسلمين . . مما جعل الحكومة تفكر في ضربة وقائية ضد الإخوان المسلمين ، فقامت بعمل تمهيط لأفراد الجماعة في أنحاء مصر ، ورصد ثقافى لكتابات الإخوان المسلمين خصوصاً سيد قطب ، وتجهيز سجن أبو زعبل بعنبر جديد لاعتقال حوالى ستة آلاف فرد من الإخوان . . وبالفعل بدأ القبض والتعذيب لقدامى الإخوان فى سجن أبو زعبل قبل اكتشاف التنظيم ، واستشهد فى هذا التعذيب الإخوة : زكريا المشتولى ، وبدر القصبى ، وأحمد شعلان ، من شدة التعذيب .

٤- قرية سنفا: (١)

سنفا قرية صغيرة من قرى مركز ميت غمر محافظة الدقهلية في الوجه البحري - دلتا مصر- كان بها شاب اسمه عبد اللطيف شاهين يعمل في الجيش برتبة (صول) أي (مساعد) .. وهي الرتبة التي قبل الترقية إلى فئة الضابط مباشرة، وهي الرتبة التي يسمونها (ضباط من تحت السلاح) .. وليسوا من خريجي الكلية الحربية .

وهو شاب في سلاح الصاعقة . . ذهب مع الجيش إلى اليمن السعيد عام ١٩٦٢م وظل بها ثلاث سنوات حتى قبض عليه في عام ١٩٦٥م . . وابتسمت الدنيا لعبد اللطيف شاهين وكثرت أمواله، وعم الخير أهله وأقاربه وبدأ يستعد للزواج، ولحفلة كبيرة في فرحه، وهداه تفكيره إلى الحصول على قنبلة صوتية وأخرى ضوئية لضربهما في فرحه وعند زفافه، حتى تعم البهجة والسرور في الفرحة . . ولكن أخاه -مدرس الابتدائي- سالم شاهين كان كثير النفقات . . محدود الدخل . . يشرب السجائر بكثرة، وأخوه عبد اللطيف يساعده بالمال دائماً . . واحتاج سالم شاهين إلى مزيد من النقود . . وهو يشتري سجائره وبضاعته ويقالته من عند أحد الإخوان صاحب محل البقالة المجاور لهم في السكن . . واستدان منه كثيراً، ولما لم يوف دينه عرض بيع القنابل على «يوسف القرش» لسداد ديونه . . ومن عجب أن يوسف القرش قبل الصفقة واشترى القنابل في الشارع على مرأى ومسمع من الناس . . ويستطرد صاحب البوابة السوداء في شرح هذه الواقعة تفصيلاً فيقول في عرض مسرحي جيد:

وأسرع سالم شاهين إلى محل يوسف القرش ودار بينهما الحديث التالي:

- هل تريد أن أبيعك شيئاً بدل الدين الذي على؟

- وما هو؟

- قنبلتين .

وتوتر يوسف القرش وانتبه:

- ماذا تقول: قنبلتين؟!

- نعم . . قد أتى بهما أخي عبد اللطيف من اليمن، ويقول إنهما تحدثان صوتاً عظيماً ولا تقتلان أحداً ولا تجرحانه، هه ماذا قلت؟

- أراهما أولاً.

(١) الزلزال والصحوة- محمد الصروي .

- أعطنى إذن سيجارة حتى أعود .

- لو أعجبتنى القنابل أعطيتك السجائر .

وأسرع سالم شاهين إلى منزله وجاء بالقنبلتين ، وفى طريق العودة إلى محل يوسف صار يشرح لكل من يقابله مزايا القنبلتين ، وماذا تصنعان عندما يفجرهما ، وأنه ذاهب ليوسف القرش ليعطيها له بدلا من الدين ، ويعلق ساخراً لمن يتفرج على القنابل :

- أهبل وعبيط ، ماذا سيفعل بهما؟

وقبل أن يصل إلى محل يوسف القرش كانت القرية كلها قد علمت بالقصة . وكان نجمل العمدة فى القرية على خلاف مع يوسف القرش ، ورغم هذا فهو لا يقدر على مقاطعته لأنه البقال الوحيد فى القرية ، وأرسل خادمه ليشتري له أربع ورقات (معسل) وتأخر الخادم ، ولما عاد عنفه سيده فاعتذر له بأن سبب التأخير أنه وقف يتفرج على القنابل عند الدكان ، وحكى له كيف ساهم يوسف القرش فى ثمنهما وأخذهما بدلا من السبعة والتسعين قرشا ونصف القرش وزاد عليها سيجارة واحدة ، ووجد نجمل العمدة الفرصة قد سنحت للانتقام من يوسف القرش ، فأسرع إلى كاتب عمومى متخصص ليكتب بلاغاً باسم رئيس المدينة نكاية فى يوسف القرش . ومن عجيب الصدف أن هذا البلاغ قد وصل إلى رئيس المدينة فى اللحظة التى كان يزوره فيها أحد أساطين المباحث الجنائية العسكرية - وكانا صديقين - فكل رؤساء المدن فى تلك الأيام كانوا من حرس الثورة، إما اشتركوا فيها أو يقومون على أمنها .

وقرأ رئيس المدينة البلاغ وضحك عالياً ، وقال له صديقه من المباحث الجنائية العسكرية :

- ما يضحكك؟

رد عليه رئيس المدينة وهو ما يزال يضحك :

- واحد كاتب بلاغ يقول فيه : إن فيه بقال بقرية سنفا بيتاجر فى قنابل ، تصور ، زى ما تكون قوطة (طماطم) .

وضحك الاثنان ، بينما أخذ القصة ضابط المباحث الجنائية العسكرية مأخذاً جاداً ، وفى هذه الليلة السوداء كان يوسف القرش معلقاً والسياط تلوشه من كل جانب ، ويسألونه عن الإخوان المسلمين والتمويل والتنظيم ، وجاءوا بسالم شاهين ، ومن اليمن طيروا عبد اللطيف شاهين ، ودارت رحى العذاب هائلة قاسية مروعة ، وكان ذلك فى قصر عابدين ، حيث مبنى المباحث الجنائية العسكرية ، وأشرف يوسف القرش على الموت من الضرب بالسياط . .

وعندما يجتاز المضروب حاجز الألم فهو يقول ما يفهم وما لا يفهم ، كانوا يسألونه عن الإخوان وصلته بهم ومن يعرفه منهم ، والرجل لا يعرف كيف يجيب ولا يدرك الطريقة التي يخرج بها سالماً من هذا الجحيم ، وأثناء الضرب ذكر اسماً كان الخيط لكل شيء . . . (حبيب عثمان) صاحب ورشة ميكانيكية بالقاهرة . . . وما كان يوسف القرش يعلم شيئاً عن حبيب عثمان ووضعه في التنظيم الجديد ، وما كان يعرف أن هناك تنظيمًا جديدًا ، ولكنها الأقدار تجري على الناس بما تشاء .

كان حبيب عثمان عضواً في أسرة يرأسها مصطفى الخضيرى الذى يتبع مباشرة لعللى عشاوى عضو اللجنة الخماسية ، ومسئولته الموضوعية والمكانية هي القاهرة ، وكان قد تم تقليده المنصب منذ أيام بناء على اقتراحه^(١) .

●● اكتشاف التنظيم^(٢)

لما اعترف الذين حوكموا في قضية حسين توفيق على وجود قنبلتين لدى الأخ يوسف القرش في سنفا تم القبض عليه وعلى المدرس سالم شاهين وعلى أخيه عبد اللطيف شاهين الذى أحضر من اليمن على طائرة خاصة . . . وفي مقر الشرطة العسكرية في عابدين دارت رحى التعذيب وكان النصيب الأكبر ليوسف القرش الذى اعترف بعلاقته بالإخوان وأن له صديقاً اسمه حبيب عثمان الذى عذب تعذيباً بشعاً لمدة طويلة ، ثم اعترف على نقيب أسرته الأخ مصطفى الخضيرى واختفى مصطفى فى منزل الأخ الشهيد محمد عواد بالشرقية فى قرية الزوامل .

وكان الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل مطلوب القبض عليه ، إلا أنهم لم يجدوه فى بلده ، فألقوا القبض على أخيه الشيخ على عبده إسماعيل وهو أيضاً إمام وخطيب مفوه وعالم أزهري جليل ، وبعد تعذيب شديد دلهم على الأخ فاروق عبد الغنى الصاوى الذى اعترف بوجود تنظيم جديد للإخوان المسلمين بعد تعذيب رهيب ، وأن لكل من الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وعلى عشاوى موقعا متميزا فى التنظيم ، ولكنهما اختفيا تماماً . وبعد ضغط وتعذيب اعترف الشيخ على إسماعيل أن هناك صداقة بين شقيقه الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل والشيخ محمود عبد المقصود ، فعذبوا الشيخ محمود عبد المقصود ولكن دون جدوى ، ولكنهم ألقوا القبض على زوج ابنته الدكتور عبد الفتاح فايد وأداروا عليه رحى

(١) البوابة السوداء - أحمد رائف .

(٢) الزلزال والصحوة - محمد الصروى . بتصرف .

التعذيب حتى اعترف لهم على مجموعة مصر الجديدة الذين كانت لهم صلة بالشيخ عبد الفتاح إسماعيل وهم (أنداك):

١- محمود فخري -طالب بكلية التجارة .

٢- محمود عزت -طالب بكلية الطب جامعة عين شمس .

٣- مجدى عبد الحق -طالب بكلية الطب جامعة عين شمس ، وأخواه .

٤- صلاح عبد الحق -طالب بكلية الطب جامعة عين شمس .

٥- فتحى عبد الحق -طالب بالكلية الحربية (سنة ثالثة) .

وفى جو التعذيب الرهيب هذا . . بدأ (محمود فخري) طالب كلية التجارة فاعترف على على عشاوى ، أحمد عبد المجيد عبد السميع ، عبد الفتاح إسماعيل . . أعضاء مجلس قيادة التنظيم ، كما اعترف بوجود شقة فى إمبابية يسكنها باحث بالمركز القومى حاصل على الماجستير اسمه (مرسى مصطفى مرسى) وكانت هذه الشقة هى الصيد الثمين . . فأعدوا كميناً وقبضوا منها على قيادة التنظيم كلها (عدا إخوان الإسكندرية) وهم :

١- على عبده عشاوى .

٢- أحمد عبد المجيد عبد السميع .

٣- عبد الفتاح عبده إسماعيل .

٤- صبرى عرفة الكومى .

٥- مبارك عبد العظيم عياد .

وكان هؤلاء قد اتفقوا على أن يجتمعوا هناك فى شقة مرسى مصطفى مرسى لكى يتدارسوا الأمر . . فقبضوا عليهم جميعاً . . وبهذا انكشف التنظيم وتوالى القبض على كل من يحضر إلى هذه الشقة .

●● اعتقال مصطفى مشهور:

اعتقل مصطفى مشهور فى أغسطس ١٩٦٥ م ضمن من اعتقلوا من الإخوان المسلمين الذين سبق اعتقالهم منذ عام ١٩٤٨ م . . وأدخل سجن القلعة ليذوق فيه أشد العذاب ، ولكن إذا قورن بتعذيب محنة ١٩٥٤ م فمحنة ١٩٦٥ م تفوق أختها بمراحل وتختلف عنها فى بعض الأساليب ووسائل التعذيب . . . حيث كان السجن الحربى فى محنة ١٩٥٤ م يتميز باستخدام

الكرابيج أداة للتعذيب، أما سجون محنة ١٩٦٥م فقد اتخذت عصا الشوم الغليظة التي تكسر العظم أداة للتعذيب، ناهيك عن محمصة سجن أبي زعبل حيث كان يعلق المعتقلون عراة وقد قيدت أيديهم في قضبان حديدية ويترك المعتقل تحت ثقل جسمه ورجلاه تتدلى دون أن تلمس أو تجرد ما يسندها..

وفي سجن القلعة ضرب مصطفى مشهور بالشوم الغليظة، وفي إحدى المرات ضرب (بمريئة) -وهي لوح خشبي عريض وسميكة..

يقول الأستاذ أحمد حسنين^(١): [عندما جاء مصطفى مشهور إلى سجن القلعة أنزلوه في زنزانة بجوارى، وكان بين الغرف نظارات مزدوجة ليرى كل منا الآخر، وحينما سألت عن من بجوارى، قال إنه مصطفى مشهور لكن تعبونى جداً، فقلت له اصبر ولا تقل غير ما قلت، فما سوف يأتي سيكون أهون].

ويقول المهندس سعد لاشين^(٢): [قابلته في ذلك الوقت وذراعه الأيسر فيه قطعة جلد غير موجودة من كثرة التعذيب.. لقد ضربوه (بمريئة) وهي لوح الخشب العريض السميك].

وتقول الأستاذة سمية^(٣): [كان أشد التعذيب في سجن القلعة.. عذب الوالد وضرب في ذراعه حتى تغير لونه إلى اللون الأزرق وامتلاً ذراعه بالصديد، ولكنه وبفضل الله تبارك وتعالى برئ أثناء الليل وفي الصباح لم يجد أثراً].

ثم رحل من سجن القلعة الذي قضى فيه أقل من شهر إلى سجن أبي زعبل ليدور مع رحي التعذيب حيث دارت، واستمر التحقيق المسبوق بالتعذيب الرهيب، وعاش مصطفى مشهور مع إخوانه في سجن أبي زعبل، وعاش الفتن والمحن التي ابتلى بها الإخوان، فكان قوى الشكيمة صلب العود، شامخاً كالطود لا يفكر في الإفراج ولا يصرف وقته ولا يضيعه وإنما كان شغله الشاغل هي دعوته والحفاظ على إخوانه وتجنبيهم المزالق والزيف عن طريق الدعوة المستقيم، فكان لدعوته، وكان لإخوانه..

ثم رحل إلى سجن مزرعة طره بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م وقضى باقى أيامه التي كتب الله له قضاءها بين إخوانه.. حتى تم الإفراج عنه في أكتوبر من عام ١٩٧١م.

(١) مقابلة غير مسجلة مع الأستاذ أحمد حسنين.

(٢) مقابلة مسجلة مع المهندس سعد لاشين.

(٣) مقابلة غير مسجلة مع الأستاذة سمية مصطفى مشهور.

•• وسائل التعذيب^(١)؛

تنوعت وسائل التعذيب في محنة ١٩٦٥م تبعاً لطبيعة الاعترافات المطلوبة ودرجة سرعتها . كذلك اختلفت وسائل التعذيب من شخص إلى آخر وتنقسم الوسائل إلى :

١- تعذيب نفسى .

٢- تعذيب بدنى .

٣- تعذيب روتينى .

- أولاً: التعذيب النفسى:

هو محاولة إلحاق أكبر قدر من الإهانة الشخصية بالإنسان المطلوب تعذيبه ، لعله ينهار سريعاً ويكفيهم مؤنة التعذيب البدنى ، ووسائله كثيرة منها :

أ- الألفاظ البذيئة والمهينة: التى لا حدود لها فى الإهانة ، وكأنك تشعر أن هذه الألفاظ روائح كريهة تخرج من المجارى ، وأن فم هذه الشخصية التى تقول هذه الألفاظ عبارة عن حجرة تفتيش مجارى [باكابورت] تم فتحه فجأة فانبعثت منه هذه الروائح الكريهة . . وهى تلك الألفاظ البذيئة التى تطعن فى شرف الشخص أو شرف زوجته أو أمه أو أبيه بصورة فى غاية الوقاحة والبذاءة والصفاقة التى لم يتعود عليها الشخص ، وخصوصاً المتدين منهم ، وهذه تحول إلى روتين تقليدى فى السجن ، فالألفاظ البذيئة هى الوجبة التى تتكرر عشرات المرات فى اليوم الواحد . . والضابط أو العسكرى الذى يقوم بالتعذيب مدرب على كم هائل من هذه الألفاظ التى كثيراً ما لا تخطر على بالك .

ب- الإهانة العملية: وهذه تتمثل فى عدة إجراءات فى السجن . . عند الاستقبال يتم تمزيق الملابس فور وصولك إلى مكاتب التحقيق فيمزق القميص والبنطلون ، وكثيراً ما يقف المرء بالملابس الداخلية فقط أو حتى يخلع الفانلة ويبقى بما يستر العورتين . . وإذا أريد مزيد من التعذيب فأحياناً يقف المرء عارياً كما ولدته أمه . .
ومنها خلع الرتب العسكرية إن كان ضابطاً . .

ومنها . . المشى حافى القدمين طوال فترة التعذيب حيث يمنعون لبس الحذاء أو الشيشب .

(١) انظر هذه الوسائل فى [البوابة السوداء، الزلزال والصحوة، فى قافلة الإخوان المسلمين، نافذة على الجحيم . . وغيرها من الكتب التى كتبت عن التعذيب وكذلك كتاب: أيام من حياتى . . لزينب الغزالى]، شملت هذه الوسائل التعذيبية جميع السجون ولم تكن قاصرة على السجن الحربى .

ومنها: الضرب على القفا . . وهذا الأسلوب رمز الإهانة عند الشعوب .
ومنها: حلق شعر الرأس كله، أو حلق جهة من اللحية وترك الجهة الأخرى بغية التمثيل بالضحية . . وأحياناً تنف اللحية بالملقاط أو الكماشة .
ومنها: . حلق نصف الشارب وترك النصف الآخر،
وأحياناً الحرق بالنار لجهة من اللحية وترك الجهة الأخرى .
ومنها: محاولة الإهانة جنسياً سواء للذكر أو للأنثى أو الاعتداء الجنسي . . ولقد حاولوا هذا مع الحاجة زينب الغزالي، فأمسكت برقبة العسكري وحاولت خنقه وأعانها الله عليه حتى خرج الزبد من فمه ومات .

وهناك وسيلة اتبعها الصاغ رياض مع أحد الإخوة الذين كانوا يقيمون عند مكاتب التحقيق ويعذبون ليل نهار . . أن أعطاه عنقوداً من العنب ليأكله الأخ . . فبمجرد أن قال الأخ «بسم الله» وأكل حبة واحدة فتح هذا الضابط بنظونه من أسفل وتبول على العنب وعلى الأخ نفسه حتى أغرق العنب وملابس ووجه الأخ بالبول .
ومنها: . ما فعله أبو جهل قديماً . . بالسيدة سمية أم عمار بن ياسر من قتلها بهذه الوسيلة المهينة .

ومنها: . اعتقال الزوجات . . أو البنات . . أو الأمهات . . أو كلهن جميعاً . وضربهن وإهانتهم . . وكان هذا أشد ما يؤلم الإنسان ويحطم نفسيته تحطيماً .
وحدث أن عذبوا ابنة أحد الإخوان في حجرة مجاورة وظلت تصرخ وتصرخ حتى انهارت عزيمة والدها انهياراً شديداً .
وإما شخص له أولاد . . فهو ينتظر أن يحضروا فلذة كبده ويعذبوه .

- ثانياً: التعذيب البدني:

جمع صلاح نصر جميع وسائل التعذيب في كتابه (الحرب النفسية)، وخص منها بالذكر الأساليب الصينية التي اتبعت مع الأسرى الأمريكيين وكذلك الأساليب الكورية والروسية وسرد جمع الأساليب . .

وقال: [إن وسائل التعذيب هذه رغم بشاعتها فإنها كثيراً لا تنفع ولا تجدى مع أصحاب العقائد . . بل ومع من يستطيعون شغل تفكيرهم بشيء جدى مثل الأسير المهندس الأمريكى الذى تم أسره ثلاث سنوات فى حرب كوريا فى منتصف القرن الماضى . . هذا الأسير كان

مهندساً معمارياً، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.. فكان يجمع أعواد الثقاب مع لبابة الخبز، واستطاع أن يصنع منهما «ماكيت» لعمارة عالية.. فكان يتسلى ويتذرع بالصبر الطويل.. واستغرق جمع أعواد الثقاب ولبابة الخبز والماء حوالى سنة كاملة، وكان الماكيت يتهدم، ويعيد بناءه عشرات المرات حتى تمكن فى نهاية المدة من عمل هذا «الماكيت» لعمارة عالية من أدوار كثيرة.. هكذا تسلى هذا المهندس الأمريكى الأسير فى سجون كوريا.

ولقد قاموا فى السجن الحربى بتطبيق كل خبرات التعذيب البدنى من أجل الاعتراف.. والتعذيب من أجل التشفى والانتقام من الإخوان المسلمين.. ونذكر منها بعض الأمثلة:

- الضرب بالكرباج: [السياط] السوداني:

وهذا (الكرباج) (السوط) يتم وضعه فى الزيت كى يصير ليناً سهل الالتواء فى يد الجلاد.. وفى عام ١٩٥٤ كان المراد تعذيبه يخلع ملابسه عدا ما يستر العورة ويحتضن بيده تمثالاً يسمى (العروسة) ويعطى ظهره للجلادين الذين يجلدونه بالسوط (الكرباج) على كل أنحاء جسمه ابتداء من رقبته حتى رجليه.

أما فى ١٩٦٥م فقد تغير أسلوب التعذيب من العروسة إلى الفلكة، فيها تضم اليدين والرجلان ويوثقان بحبل ويعلق الحبل على ماسورة حديدية فتدلى الرأس واليدن إلى أسفل وترتفع اليدين والرجلان إلى أعلا ويتم الضرب على اليدين والرجلين بالسوط.. وكثيراً ما يكون شخصان أو أربعة يتبادلون الضرب على الأخ المراد تعذيبه.. وعادة ما يصرخ الإنسان من شدة الألم فيضع أحد العساكر رجله بالحذاء فى فمه حتى لا يزعجهم صراخه.. وكان هذا الأسلوب.. أسلوب وضع الحذاء فى فم الشخص يتم فى مكتب (شمس بدران).. شمس بيه..!!.. كما كانوا ينادونه -فهو لا يحب سماع أصوات الصراخ.

أما أسلوب التعذيب فهو الضرب أو لأبدون أسئلة حتى تقول كل ما عندك.. فإن تطابق مع ما عندهم.. أو مع ما يريدونه من معلومات توقف الضرب وإلا استمر التعذيب.. بلا حدود..

- الكلاب المدربة:

ويتم تعذيب الأخ بإصدار أوامر لهذه الكلاب المدربة لكى تغرز أنيابها فى لحمه وفى رجليه وظهره وبطنه، وتعضه عضاً مؤلماً، والعسكرى يمسك الكلاب المدربة بحبل.. ويتكرر عض الكلاب فى منظر رهيب رعب.

كانت قريبة، ودفنه حياً^(١)، وبدأ الجنود فى ردم الحفرة عليه وهو فى داخلها، ولا أعلم ما الذى تم بعدها، حيث أخذت إلى الزنزانة قبل أن أرى باقى المشهد الحزين].

- ثالثاً: التعذيب الروتينى:

لا شك أن حبس حرية إنسان تعذيب شنيع . . مجرد الحبس . . ناهيك عن وسائل التعذيب . . لكن التعذيب الروتينى معناه أن برنامج الحياة اليومى فى السجن هو فى حد ذاته تعذيب . . وهذه صورة من حياة يوم كامل فى الزنزانة بدون تحقيقات أو «فلكة» أو كرباج «سوط» أو «كلاب» أو زنزانة مياه:

١- فى أول ليلة يدخل الأخ زنزانة ليس فيه أنوار طبعاً . . ولكن شعاع بسيط يدخل خلصة من فتحة قطرها خمسة سنتيمترات فى باب الزنزانة . . فإذا بالأخ يرى جيوش «البق» . . تسرح وتمرح فى الزنزانة، يجهد عينه طوال الليل فى معركة لقتل البق . . . ولكن فى النهاية ينتصر البق بالتفوق العددي الرهيب . . وبعد فترة يعطى الأخ بطانية توزع على المعذبين فى الأرض، فيفرش الأخ نصفها على الأرض ويلتحف بالنصف الآخر، ولكى ينام يوهم نفسه بأنه لا يوجد بق، ولا يستطيع النوم إلا بعد أن يوهم نفسه بذلك.

٢- توجد قصرية من الكاوتش من بقايا أيام الإنجليز وهى عبارة عن إناء دائرى مصنوع من الكاوتش السميك قطرها العلوى المفتوح حوالى ٤٠ سم وقطرها السفلى «القاع» حوالى ٣٠ سم وارتفاعها حوالى ٣٠ سم أيضاً، يتبول المرء فيها ليلاً . . وفى الصباح يتخلص من البول فى دورة المياه ثم يملؤها بالماء بعد غسلها «إن استطاع» ليشرب من هذا الماء . . وهذا الماء ممزوج برائحة الكاوتش ورائحة البول فى آن واحد.

٣- هناك عساكر أمثال «سامبو» و«زغلول» حينما تفتح الزنزانة فإنه يتطوع بالصفع على الوجه أو الركل «الشلوت» بالرجل . . أما عن الشتائم فحدث ولا حرج . . وبعضهم يحمل معه كرباج «سوط» يضرب به ما استطاع.

٤- لا توجد دورة مياه فى الزنزانة.

٥- المشى فى السجن حافى القدمين لمدة ستة أشهر على الأقل حتى تنتهى التحقيقات.

٦- تفتح الزنازين ويحمل كل فرد «القصرية» بها البول وأحياناً البراز ثم يجرى بها فى طابور تحت ضرب السياط بسرعة حتى دورة المياه، والسعيد من استطاع الذهاب إلى دورة المياه «الحمام البلدى» دقيقة واحدة.

(١) مثلما فعل الكفار من «أصحاب الرس» - والرس: بئر دفن فيه نبي من أنبياء الله حياً . . راجع تفسير القرطبي، ج/١٣ ص ٣٢، ٣٣.

كانت قريبة، ودفنه حياً^(١)، وبدأ الجنود فى ردم الحفرة عليه وهو فى داخلها، ولا أعلم ما الذى تم بعدها، حيث أخذت إلى الزنزانة قبل أن أرى باقى المشهد الحزين].

- ثالثاً: التعذيب الروتىنى:

لا شك أن حبس حرية إنسان تعذيب شنيع . . مجرد الحبس . . ناهيك عن وسائل التعذيب . . لكن التعذيب الروتىنى معناه أن برنامج الحياة اليومى فى السجن هو فى حد ذاته تعذيب . . وهذه صورة من حياة يوم كامل فى الزنزانة بدون تحقيقات أو «فلكة» أو كرباج «سوط» أو «كلاب» أو زنزانة مياه:

١- فى أول ليلة يدخل الأخ زنزانة ليس فيه أنوار طبعاً . . ولكن شعاع بسيط يدخل خلصة من فتحة قطرها خمسة سنتيمترات فى باب الزنزانة . . فإذا بالأخ يرى جيوش «البق» . . تسرح وتمرح فى الزنزانة، يجهد عينه طوال الليل فى معركة لقتل البق . . ولكن فى النهاية ينتصر البق بالتفوق العددى الرهيب . . وبعد فترة يعطى الأخ بطانية توزع على المعذبين فى الأرض، فيفرش الأخ نصفها على الأرض ويلتحف بالنصف الآخر، ولكى ينام يوهم نفسه بأنه لا يوجد بق، ولا يستطيع النوم إلا بعد أن يوهم نفسه بذلك .

٢- توجد قصرية من الكاوتش من بقايا أيام الإنجليز وهى عبارة عن إناء دائرى مصنوع من الكاوتش السميك قطرها العلوى المفتوح حوالى ٤٠ سم وقطرها السفلى «القاع» حوالى ٣٠ سم وارتفاعها حوالى ٣٠ سم أيضاً، يتبول المرء فيها ليلاً . . وفى الصباح يتخلص من البول فى دورة المياه ثم يملؤها بالماء بعد غسلها «إن استطاع» ليشرب من هذا الماء . . وهذا الماء مزوج برائحة الكاوتش ورائحة البول فى آن واحد .

٣- هناك عساكر أمثال «سامبو» و«زغلول» حينما تفتح الزنزانة فإنه يتطوع بالصفع على الوجه أو الركل «الشلوت» بالرجل . . أما عن الشتائم فحدث ولا حرج . . وبعضهم يحمل معه كرباج «سوط» يضرب به ما استطاع .

٤- لا توجد دورة مياه فى الزنزانة .

٥- المشى فى السجن حافى القدمين لمدة ستة أشهر على الأقل حتى تنتهى التحقيقات .

٦- تفتح الزنازين ويحمل كل فرد «القصرية» بها البول وأحياناً البراز ثم يجرى بها فى طابور تحت ضرب السياط بسرعة حتى دورة المياه، والسعيد من استطاع الذهاب إلى دورة المياه «الحمام البلدى» دقيقة واحدة .

(١) مثلما فعل الكفار من «أصحاب الرس» - والرس: بئر دفن فيه نبي من أنبياء الله حياً . . راجع تفسير القرطبي، ج/١٣ ص ٣٢، ٣٣ .

- ٧- الطعام في السجن لا يمكن وصفه . . وفي بعض الأحيان تكون الوجبة فاصوليا بها
كيماويات تسبب الإسهال . . ولا توجد دورة مياه . . تصور مدى العذاب الناتج عنها .
- ٨- الزنزانة لا تفتح إلا خمس دقائق كل يوم .
- ٩- توجد في السجن فسقية «حوض» في الأرض، مربع ضلعه متران وعمق حوالى متر
ونصف المتر . . تشرب منه الكلاب . . ثم مجرى «قناة» تصب في دورة المياه . . ويشرب
المسجون من هذه القناة التي هي غالباً «سور» الكلاب .
- ١٠- طبعا لا توجد مراتب ولا مساند ولا وسائد «مخدات» فالمخدة هي يدك أو الخذاء إن
تركوه لك . . كما لا توجد مصاحف ولا جرائد ولا مجلات ولا كتب .
- ١١- ممنوع غسل الملابس إلا يوم الجمعة لمدة خمس دقائق على الأكثر، فضلاً عن عدم وجود
غيارات أخرى لكي يلبسها الأخ ويغسل باقى الملابس . . ولقد استمر هذا الوضع ستة
أشهر كاملة من أول أغسطس ١٩٦٥م حتى فبراير ١٩٦٦م .

●● قصة قرية كرداسة:

إذا ذكرت محنة عام ١٩٦٥م فلا بد أن تذكر قصة قرية كرداسة، حيث إنها من أهم مشاهد
هذه المحنة، وصورة من أبشع صور انتهاك الحرمات واستباحة الأعراض والأموال التي حرّمها
الله تبارك وتعالى بين المسلمين . .
ونحن نذكر هذه القصة على لسان الأستاذ أحمد عبد المجيد عبد السميع أحد أبناء قرية
كرداسة ونقلها كما وردت في كتابه^(١):

[. . . وقرية كرداسة هذه من أعمال محافظة الجيزة تقع على بعد ستة كيلو مترات من
الأهرامات الثلاثة، كان عدد سكانها عام ١٩٦٥م حوالى ١٠٠٠٠٠ (مائة ألف نسمة)
معظمهم يمارس الزراعة وصناعة النسيج اليدوى، ويمتاز أهلها ببساطة أهل الريف، ورباط
العائلات والجوار، ومن سماتهم المميزة أنهم لا يقبلون الضيم خاصة إذا كان من السلطة .
ولقد بدأ مسلسل الأحداث في هذه البلدة الأمن أهلها في مساء يوم ٢١ أغسطس عام
١٩٦٥م في حوالى الساعة التاسعة مساء، حيث يكون معظم الناس قد أووا إلى منازلهم
ويغلب على القرية الهدوء والسكون حيث لم يكن قد دخلها التلفزيون أو الفيديو بعد .
حضر في هذا الوقت من الليل خمسة من رجال المباحث الجنائية العسكرية والتي ليس لها

(١) كتاب: عبد الناصر والإخوان- أحمد عبد المجيد عبد السميع- ص ١٠٩ وما بعدها .

أى صفة قانونية من صفات الضبط القضائية، كما هو متعارف عليه عند رجال القانون، ولم يكن هناك فى تلك الأيام أى صفة للقانون أو اعتبار لرجال من السلطة الغاشمة.

ترك هؤلاء الخمسة سياراتهم فى الجهة الغربية من البلدة، وهو طريق ترعة المنصورة بالقرب من طريق القاهرة- الإسكندرية الصحراوى، سائرين على أقدامهم من الجهة الغربية مارين بوسط البلدة حتى شرقها. . حيث يقع منزل المطلوب القبض عليه، وهو الأخ سيد نزلى الإخصائى الاجتماعى.

ولما وصلوا إلى منزله لم يجدوه ففتشوا المنزل تفتيشاً، وجمعوا الكتب الموجودة فى المنزل، وأرادوا أخذ زوجته رهينة عندهم لحين القبض على زوجها أو تسليم نفسه، كما هو المعتاد عندهم وقتها من أخذ أى عنصر نسائى رهينة بدلاً من المعتقل فى حالة عدم وجوده، فمنعهم شقيقه عبد الحميد، وتجمهر الأهالى لمنعهم من ذلك بالحسنى، ولما لم تجد معهم الحسنى، منعوهم بالقوة، فأطلقوا الأعيرة النارية حتى تمكن الأهالى من الاستيلاء على الأسلحة لمنعهم من استعمالها، وحدثت معركة بين الفريقين أو شجار قيل إن الضابط توفى من أثر ذلك، وقيل: إنه حدث له [تربنة] فى رأسه، ولأذ بعضهم بالفرار يلاحقهم الأهالى أثناء جريهم بالبلدة من شرقها إلى غربها.

والإجراء المتبع فى مثل هذه الحالة عند الاعتقال هو الاستعانة بعمدة القرية أو ضابط نقطة الشرطة بالقرية، أو شيخ البلد، مع إثبات الشخصية وأوراق طلب القبض، ولما كان كل ذلك لم يحدث ثار الأهالى وظنوا فى بادئ الأمر أنهم مختطفون للعروس التى لم يمس على زواجها سوى أسبوع واحد.

فماذا حدث بعد ذلك لهذه القرية المسكينة؟ والتى حاولت المحافظة على عرض إحدى نسائها من اختطافها بواسطة خمسة رجال شداد من بين أيديهم وأمام أعينهم، وبدافع من رجولتهم وكرامتهم حاولوا منع ذلك، ولكن أنى لهذه الرجولة والكرامة فى ذلك العهد الذى ديست فيه الكرامة بالأقدام، وما مهمة عبد الناصر إذن حتى يبقى عند الناس الكرامة أو بعض منها، إنه جاء لاقتلاعها ضمن ما اقتلع من القيم والطباع الكريمة!! . . ولما عاد من عاد من هؤلاء الخمسة فارين بجلدهم مما حدث لهم ولزملائهم أخطروا رؤساءهم بالسجن الحربى، وقيل إن العقيد [شمس بدران] استدعى الفريق أول [محمد فوزى] الذى كان رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة وأعطاه التعليمات بأن تأخذ هذه البلدة درساً لا تنساه، لمدة مائة عام قادمة.

وبعد منتصف هذه الليلة اقتحمت القرية وحاصرتها القوات «الغازية» بالمدرعات والمدافع والرشاشات وسيارات الجيب، وتم نصب مدافع الهاون في مدخل البلدة مصوبة لها والضباط وصف الضباط من مختلف الرتب والجنود، وأشيع أن الذي قاد هذه الحملة هو الفريق أول محمد فؤاد الدجوى الذى تقلد منصب القاضى فى المحكمة بعد ذلك .

وسار الضباط والجنود بأسلحتهم وخوذاتهم وجميع استعدادات الحرب والطوارئ يغلقون المنازل والمحلات ويدخلون جميع الناس بيوتهم، ولا يسمحون لأحد بفتح باب أو نافذة .

وفى صباح اليوم التالى اتخذت هذه القوات نقطاً ثابتة فى المدارس ومداخل البلدة المختلفة، وعند موقف سيارات الأجرة فى أول البلد من الجهة الشرقية فى مواجهة القاهرة .

وبدأ الناس فى الصباح يخرجون كالعادة إلى أعمالهم بالقرية أو حولها أو بالقاهرة، فبدأت قوات الشرطة العسكرية والمباحث العسكرية وقوات الجيش، تلقى القبض على أى شخص يخرج من بيته، أو يسير فى الطريق أو عند موقف السيارات سواء كان موظفاً أو مزارعاً أو حتى من جنود القوات المسلحة المجندين من أهل البلدة المتوجهين فى الصباح إلى وحداتهم العسكرية، وتم إيداع كل من يقبض عليه فى مدارس البلدة، حيث يقومون بجلدهم وتعذيبهم بالمدرسة، واختير لذلك وحش السجن الحربى المفترس حسن كفافى الذى تولى الإشراف على إهانة وتعذيب خلق الله من الأبرياء من الرجال وحتى النساء .

وتم القبض كذلك على عمدة البلدة ومعظم رجال عائلته رجالاً ونساء، ومنهم من كان مدير مكتب حسين الشافعى، وكذا مشايخ البلدة والأعيان والوجهاء وجميع الإخوان المسجل أسماؤهم من عام (١٩٤٨ - ١٩٥٤) وحتى غير المسجلين، وكذا أصحاب السلاح المرخص، وتم سجن السلاح منهم، وأصحاب السوابق والمشبهين، وجميع أقارب وجيران وأصدقاء الأخ سيد نزلى -سبب الحادث- من الرجال والنساء على السواء وفى مقدمتهم زوجته وأصدقاء وزملاء الدراسة للإخوان مثل زملاء الدراسة للأخ أحمد باوه^(١)، وأصدقاء الدراسة بالمعهد الفرنسى للأخ جابر رزق «صحفى» الذى كان رئيساً لتحرير مجلة لواء الإسلام بعد ذلك، وتوفى عام ١٩٨٨ -رحمه الله-، وأغلقت البيوت والمحلات لمدة ٧٢ ساعة لا يخرج أحد من بيته، ولا يسير فى الطريق، ولا يذهب لعمله، وتم حبس الجميع فى منازلهم، حتى الحيوانات لم تسلم من ذلك ونالها جانب من بطش عبد الناصر فلم تخرج للمرعى ولا للسقيا، حتى الموتى امتهنوا فى هذه البلدة فى تلك الأيام،

(١) حكم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات عام ١٩٥٤ لضبط منشور بمنزله .

حيث لم يتم إخراج الموتى إلا بعد جهد جهيد وموافقة قوات الاحتلال «الناصري»، وتم إخراج الجثث التي توفيت في تلك الأيام تحت الحراسة يحملها الأقارب فقط. عاشت البلدة في رعب وذعر رهيبين طوال الاثني والسبعين ساعة، محبوسين في منازلهم، واستمر هذا الإرهاب لفترة طويلة، تعززه إلى جانب القوات المسلحة قوات الشرطة بإشراف وزير الداخلية وقتها (شعراوي جمعة) الذي ذهب بنفسه للبلدة في هذه الأيام العصيبة، وتم نقل من قبض عليهم من أهل البلدة دفعات متتالية إلى السجن الحربي، رجالاً ونساء وشباباً وشيئاتاً ومن مختلف المهن والأعمار. . وهناك في السجن الحربي حيث المهانة، والكرامة تداس بأقدام الطواغيت الصغار والكبار، وحيث يتم التعذيب بلا هوادة ولا رحمة مع البريء والمتهم، مع الكبير والصغير، مع الشيخ والعالم، والمثقف والامى، والخلاصة: مع أى شخص يدخل من بابه حتى يقدر الله له الخروج من هذه الغابة التي تحكمها الذئاب بمكرها وخستها ونذالتها.

وزاد على ذلك أساليب أخرى، وقسوة لا متناهية مع أهل هذه البلدة والجميع بلا استثناء، لأنهم تجرءوا على نفر من زبانية السلطة، وقاموا يذودون عن جزء من كرامتهم الممتهنة، وأنى لأحد أن تكون له الجرأة في المطالبة أو الدفاع عن أى حق مغتصب أو مهان، وعلى أى مستوى، وفي أى موقع، وفي أى مكان، فى عهد عبد الناصر.

ومن الأساليب التي استخدمت مع أهل كرداسة خلاف التعذيب بالسياط والتعليق كالذباح، والجري السريع الذي هو الصورة الغالبة مع الجميع، أضيف لأهل هذه البلدة بإشراف اللواء حمزة البسيونى وتنفيذ صفوت الروبى وأعوانه أن يسير الرجال على الأيدي والأرجل وفوق ظهورهم النساء، وإن وجدت زوجة فتمتطى ظهر زوجها، وكان حلق أحد الحواجب وترك الآخر، أو حلق جانب من اللحية لمن كان ملتحيًا وترك الآخر، أو شق الجلباب من أعلى إلى أسفل من الأمام أو من الخلف، أو خلع الملابس وترك الشخص بالملابس الداخلية فقط، وغير ذلك من الأساليب الحقيرة الكثير والكثير.

وتم بعد ذلك محاكمة بعض الجنود المجندين بالجيش ثم اعتقالهم فى صباح ٢٢ أغسطس ١٩٦٥، وتم ذلك أمام محكمة عسكرية، وقضوا أحكامهم بسجن القناطر بعد فصلهم من القوات المسلحة دون سبب إلا أنهم من أبناء القرية].

هذه هى قصة قرية كرداسة كما يرويها أحد أبنائها الأخ أحمد عبد المجيد عبد السميع عضو مجلس قيادة التنظيم.

ملف المحاكمات (*)

•• إدارة التحقيق والتعذيب:

العقيد شمس بدران : مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر - رئيساً .
العميد سعد زغلول عبد الكريم : مدير الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية .
العقيد حسن خليل : قائد المباحث الجنائية العسكرية .
المقدم نور العفيفي : نائب قائد المباحث الجنائية العسكرية .
الرائد رياض إبراهيم : المباحث الجنائية العسكرية .
الرائد حسن كفافي : المباحث الجنائية العسكرية .
والنقباء : عاصم العتر ، وإحسان العجاتي ، وهانى إبراهيم ، وغيرهم من المباحث الجنائية العسكرية .
ومن السجن الحربى : اللواء حمزة البسيونى . . والملازم صفوت الروبى ، والرقيب نجم الدين مشهور (١) .

تقى الدين سليمان (شهرته سمبو) .

•• طاقم أمن الدولة العليا (أنذاك):

صلاح نصار : رئيس نيابة أمن الدولة العليا ، ويعاونه وكلاء النيابة :
حسن جمعة ، إسماعيل زعزوع ، سمير ناجى ، مصطفى طاهر ، حسين لبيب ، ممدوح البلتاجى ، محمد وجيه قناوى ، سليمان عبد المجيد .

أسلوب التحقيق كان مشيناً وهو كما يلى:

- ١- قبلوا إجراء التحقيق فى خيام داخل السجن الحربى .
- ٢- كانت أصوات الضرب تملأ أذانهم ، وكانوا يرون بأعينهم آثار التعذيب الواضحة فلا يشبتون منها شيئاً .

(*) يجب أن يعلم القارئ أن هذا الملف خاص بقضية ١٩٦٥ ، ولا تشمل قضية العشرات ، أى المحكوم عليهم بعشر سنوات وخصوصاً فى محنة ١٩٥٤م - حيث فصلت الحكومة بينهم تماماً .
(١) ليس من عائلة مشهور التى منها فضيلة المرشد الأسبق . . ولكنه تشابه أسماء .

- ٣- كل من صدق أنه في النيابة، وغير كلمة واحدة من اعترافاته التي قالها تحت التعذيب . . . كان وكلاء النيابة -أنفسهم- يوقفون التحقيق ويرسلون هذا الأخ مرة ثانية إلى مكاتب التحقيق حتى يعود والدم ينزف من كل جسمه أمام أعينهم .
- ٤- كانوا كثيراً ما يسألون الأسئلة ويدونون الإجابة حتى تحيط التهمة كاملة بمن يستجوبونه . . . وليس على المتهم سوى التوقيع في آخر صفحة على محضر التحقيق .
- ٥- حتى زميلهم المستشار على جريشة . . . وكان نائباً بمجلس الدولة آنذاك لم يسلم من أذاهم وافتراءاتهم . . . لدرجة أنه تأثر تأثراً شديداً بهذه المعاملة السيئة أكثر من التعذيب في المكاتب . . . فكان هذا الظلم شبيهاً بظلم ذوى القربى كما يقول الشاعر:
- وظلم ذوى القربى أشد مرارة
على النفس من وقع الحسام المهند
- ٦- قال أحد وكلاء النيابة للشيخ عبد الفتاح إسماعيل أثناء التحقيق: إنكم تريدون قلب نظام الحكم . فأجاب الشيخ: نحن نريد أن نعدله، لأنه مقلوب أصلاً^(١).

●● إعلان القضايا وقرار الاتهام:

عقد وزير العدل -آنذاك- مؤتمراً صحفياً^(٢) أعلن فيه صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة العليا قرار الاتهام في أولى قضايا الإخوان المسلمين، ثم تابعت القضايا.

١- القضية الأولى: لقيادة التنظيم الأصلية والفرعية .

٢- القضية الثانية: لتنظيم القاهرة والجيزة .

٣- القضية الثالثة: لتنظيم القاهرة والجيزة أيضاً .

٤- القضية الرابعة: لتنظيم الوجه البحري والأقاليم .

والقضايا الأربع كلها جنایات والاتهام فيها واحد وهو:

[أنهم في الفترة من ١٩٥٩ م حتى آخر سبتمبر ١٩٦٥ م بالجمهورية العربية المتحدة وبالحاويج: حاولوا تغيير دستور الدولة وتشكيل الحكومة بالقوة، بأن ألفوا من بينهم وآخرين تجمعاً حركياً وتنظيماً سرياً مسلحاً لحزب الإخوان المسلمين المنحل يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة، باغتيال السيد رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم في البلاد، وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة في البلاد. وتزودوا في سبيل ذلك بالمال

(١) الإخوان وعبد الناصر -أحمد عبد المجيد ص ١٥١ .

(٢) كان ذلك في الأسبوع الأول من فبراير ١٩٦٦ م بعد خمسة شهور من التعذيب والتحقيقات .

اللازم وأحرزوا مفرقات وأسلحة وذخائر وقاموا بتدريب أعضاء التنظيم على استعمال الأسلحة والمفرقات .

وحددوا أشخاص المسئولين الذين سيجرى اغتيالهم ، وعاینوا محطات توليد الكهرباء ، والمنشآت العامة التي سيخربونها ، ورسموا طريقة تنفيذ ذلك ، وتهيئوا للتنفيذ الفعلي . . وعینوا الأفراد الذين سيقومون به ، وحال ضبطهم دون تمام مؤامرتهم . . [.

أما القضايا رقم : (٥) ورقم (٦) ورقم (٧) فكانت تهمتهم جنح : محاولة إحياء الجماعة ، وتزويد المعتقلين والمسجونين من الإخوان هم وأسرهم بالمال اللازم .

•• دوائر المحاكم العسكرية التي شكلت لمحكمة الإخوان؛

الدائرة الأولى: برئاسة الفريق أول محمد فؤاد الدجوى . وكانت أقرب إلى المسرحية الهزلية منها إلى المحكمة وهيئة القضاء .

والفريق الدجوى تم أسره في حرب ١٩٥٦م ووضع في سجون إسرائيل ، ومن هناك في إذاعة إسرائيل ظل يهاجم مصر وحكومتها هجوماً دنيئاً حتى أفرجت عنه إسرائيل في عام ١٩٥٧م . . ورغم ذلك أعاده جمال عبد الناصر إلى الخدمة ، ثم عينه رئيساً لمحكمة تحاكم الإخوان المسلمين . . وهو اختيار لا يمكن أن يكون عشوائياً .

الدائرة الثانية: برئاسة الفريق على جمال الدين ، وبعد وفاته تمت برئاسة عميد بحرى أحمد صلاح بدر .

الدائرة الثالثة: برئاسة اللواء طلعت حسن .

الدائرة الرابعة: برئاسة اللواء حسن التميمي .

الدائرة الخامسة: برئاسة الفريق محمد فؤاد الدجوى -والتي حاکمت فضيلة المرشد العام .

وفيما يلي أسماء المتهمين في القضايا السبع والأحكام التي صدرت قرين كل اسم :

- القضية الأولى:

١- سيد قطب إبراهيم (٦٠ سنة)، كاتب (إعدام) .

٢- محمد يوسف هواش (٤٣ سنة)، موظف بالجمعية التعاونية للبتترول (إعدام) .

٣- على أحمد عبده عشماوى (٢٨ سنة)، كاتب حسابات بالشركة المصرية للأساسات (إعدام) .

٤- عبد الفتاح عبده إسماعيل (٤١ سنة)، قباني (إعدام) .

- ٥- أحمد عبد المجيد عبد السميع (٣٢ سنة)، موظف بإدارة كاتم أسرار الجيش (إعدام).
- ٦- صبرى عرفة الكومى (٣٥ سنة)، مدرس علوم بدار المعلمين بالمنصورة (إعدام).
- ٧- مجدى عبد العزيز متولى (٢٨ سنة)، مدير إنتاج بشركة النصر لأفلام الجرافيت (إعدام).
- ٨- عبد المجيد يوسف الشاذلى (٢٨ سنة)، كىماوى بشركة مصر للحرير الصناعى (مؤبد).
- ٩- عباس حسن سعيد السيسى (٤٧ سنة)، صاحب معمل ألبنان برشيد (١٥ سنة).
- ١٠- مبارك عبد العظيم محمود عياد (٣٠ سنة)، مدرس علوم ثانوى (مؤبد).
- ١١- فاروق أحمد المنشاوى (٢٣ سنة)، مهندس كىماوى (مؤبد).
- ١٢- فايز محمد إسماعيل يوسف (٢١ سنة)، مهندس كىماوى (مؤبد).
- ١٣- عمادوح درويش مصطفى الديرى (٢٥ سنة)، طالب بيكالوريوس علوم عين شمس (مؤبد).
- ١٤- محمد أحمد عبد الرحمن (٢٤ سنة)، مهندس مناجم بالهيئة العامة للتصنيع (مؤبد).
- ١٥- جلال الدين بكرى ديساوى (٢٥ سنة)، مهندس كىماوى بشركة النصر للأسمدة (١٥ سنة).
- ١٦- محمد عبد المعطى إبراهيم الجزار (٢٩ سنة)، معيد بمؤسسة الطاقة الذرية (مؤبد).
- ١٧- محمد المأمون يحيى زكريا (٢٥ سنة)، موظف بمؤسسة الطاقة الذرية (مؤبد).
- ١٨- أحمد عبدالحليم السروجى (٢٧ سنة)، معيد بقسم الطبيعة بمؤسسة الطاقة الذرية (مؤبد).
- ١٩- صلاح محمد خليفة (٢٦ سنة)، معيد بقسم الكيمياء النووية بمؤسسة الطاقة الذرية (١٥ سنة).
- ٢٠- السيد سعد الدين السيد شريف (٢٥ سنة)، مهندس كىماوى (مؤبد).
- ٢١- محمد عبد المعطى عبد الرحيم (الشهير بمحمد رحمى) (٢٤ سنة)، رئيس قسم الزخرفة بشركة صناعة الخزف (١٥ سنة).
- ٢٢- إمام عبد اللطيف عبد الفتاح غيث (٢٣ سنة)، مهندس كهرباء بشركة حلوان لصناعة الديزل (مؤبد).
- ٢٣- كمال عبد العزيز العرفى سلام (٢٦ سنة)، ملازم أول مهندس ميكانيكا بالقوات المسلحة (مؤبد).
- ٢٤- فؤاد حسن على متولى (٢٤ سنة)، ملازم أول مهندس كىماوى بالقوات المسلحة (مؤبد).
- ٢٥- محمد أحمد البحرى (٢٢ سنة)، مهندس كيميائى بشركة النصر للكىماويات (مؤبد).

- ٢٦- حمدى حسن صالح (٢٨ سنة)، موظف معاون بالمجلس القروى بأبى زعبل (مؤيد).
- ٢٧- مصطفى عبد العزيز الخضيرى (٣٣ سنة)، محام بالمصانع الحربية (مؤيد).
- ٢٨- السيد نزيلي محمد (٢٧ سنة)، إحصائى اجتماعى (مؤيد).
- ٢٩- مرسى مصطفى مرسى (٢٣ سنة)، مساعد باحث بالمركز القومى للبحوث (مؤيد).
- ٣٠- محمد بديع عبد المجيد محمد سامى (٢١ سنة)، معيد بكلية الطب البيطرى (١٥ سنة).
- ٣١- محمد عبد المنعم شاهين (الشهير بعاطف) (٢٢ سنة) باحث بوزارة التخطيط (١٠ سنوات).
- ٣٢- محمود أحمد فخرى (٢١ سنة)، طالب بتجارة عين شمس (١٠ سنوات).
- ٣٣- محمود عزت إبراهيم (٢١ سنة)، طالب بطب عين شمس (١٠ سنوات).
- ٣٤- صلاح محمد عبد الحق (٢٠ سنة)، طالب بطب عين شمس (١٠ سنوات).
- ٣٥- حلمى محمد صادق حتوت (٢٣ سنة)، معيد بهندسة الإسكندرية (مؤيد).
- ٣٦- إلهام يحيى عبد المجيد بدوى (٢٥ سنة)، مهندس مدنى (١٥ سنة).
- ٣٧- عبد المنعم عبد الرؤوف يوسف عرفات (٣١ سنة)، مدرس ثانوى فلسفة (مؤيد).
- ٣٨- محمد عبد الفتاح رزق شريف (٥٦ سنة)، مهندس مساحة (مؤيد).
- ٣٩- زينب الغزالى الجبيلى (٤٨ سنة)، رئيس جمعية السيدات المسلمات (مؤيد).
- ٤٠- حميدة قطب إبراهيم (٢٩ سنة)، أنسة - شقيقة سيد قطب (١٠ سنوات).
- ٤١- محيى الدين هلال، مقيم بالسعودية (هارب) (مؤيد).
- ٤٢- عشاوى سليمان، مقيم بالسعودية (هارب) (مؤيد).
- ٤٣- مصطفى العالم، مقيم بالسعودية (هارب) (مؤيد).
- وتم تنفيذ حكم الإعدام صباح ١٩٦٦/٨/٢٩م فى كل من:
- ١- سيد قطب إبراهيم.
- ٢- محمد يوسف هواش.
- ٣- عبد الفتاح عبده إسماعيل.
- وخفف حكم الإعدام إلى المؤيد لكل من:
- ١- على عبده عشاوى.

- ٢- أحمد عبد المجيد عبد السميع .
- ٣- صبرى عرفة الكومى .
- ٤- مجدى عبد العزيز متولى .
- القضية الثانية: تنظيم القاهرة:
- ١- كمال محمد الفرماوى (٢٧ سنة)، محام (١٥ سنة).
- ٢- محمد عبد الله الخطيب (٣٦ سنة)، إمام وخطيب (١٠ سنوات).
- ٣- جابر رزق الفولى (٢٩ سنة)، صحفى (١٥ سنة).
- ٤- عبد المنعم مصطفى دحروج (٣٠ سنة)، ترزى (٥ سنوات).
- ٥- منصور عبد الظاهر منصور (٢٧ سنة)، كيميائى (١٥ سنة).
- ٦- عبد العزيز طلبة عبد المطلب (٣٥ سنة)، كهربائى بمصنع ١٨ حربى (٥ سنوات).
- ٧- محمد ضياء الدين الطوبجى (٢٨ سنة)، طيار (١٥ سنة).
- ٨- محمد عبد الرسول الخروبى (٤٢ سنة)، مبيض معمارى (١٠ سنوات).
- ٩- عبد الحميد عفيفى (٤٣ سنة)، سائق (٨ سنوات).
- ١٠- يحيى أحمد حسين، طيار (هارب).
- ١١- فاروق عباس سيد أحمد (٢٥ سنة)، طبيب امتياز (براءة).
- ١٢- إسماعيل الفيومى - حارس الرئيس جمال عبد الناصر (هارب).
- ١٣- وهبة عبد الحميد سالم الفيشاوى (٤٠ سنة)، موظف بالطباعة والنشر (١٠ سنوات).
- ١٤- أحمد توفيق أحمد كنزى (٣٤ سنة)، عامل خردوات (١٠ سنوات).
- ١٥- عبد الكرم حسن الطويل (٤٢ سنة)، كاتب بالسكة الحديد (١٠ سنوات).
- ١٦- أجمد محمد الشيخ (٤١ سنة)، ساع بمصلحة الضرائب (براءة).
- ١٧- أنور أمين نور الدين (٢٩ سنة)، عامل تليفونات (براءة).
- ١٨- على محمد جريشة (٣٠ سنة)، نائب بمجلس الدولة (١٢ سنة).
- ١٩- عبد المنعم خليفة الحنفى (٤١ سنة)، مساعد مهندس (١٠ سنوات).
- ٢٠- رشدى مصطفى حبلص (٢٨ سنة)، سكرتير (١٠ سنوات).

- ٢١- عبد العزيز عبد الغنى العدس (٤٧ سنة)، مزارع (براءة).
 ٢٢- محمد إبراهيم حسنين بكير (٣٥ سنة)، عريف بسلاح الحدود (٧ سنوات).
 ٢٣- محمد عبد العزيز الصروي (٢٢ سنة)، مهندس كيميائي (١٢ سنة).
 ٢٤- محمد عبد الحميد خفاجي (٢٤ سنة)، طالب هندسة (براءة).
 ٢٥- عز الدين عبد المنعم على (٢٣ سنة)، طالب هندسة (براءة).
 ٢٦- على بكرى بدوى (٢٤ سنة)، مهندس كيماوى (براءة).
 ٢٧- أحمد عبد الستار كيوان (٢٩ سنة)، مهندس كيماوى (١٠ سنوات).
 ٢٨- عبد الفتاح على حسن (٢٩ سنة)، كاتب (براءة).
 ٢٩- إمام سمير ثابت (٢٩ سنة)، مهندس زراعى ومدرس (١٠ سنوات).
 ٣٠- إبراهيم منير مصطفى (٢٨ سنة)، موظف بالمؤسسة الزراعية (١٠ سنوات).
 ٣١- حبيب محمد عثمان (٣٤ سنة)، صاحب ورشة سباكة (١٠ سنوات).
 ٣٢- حمدى محمود فرج (٣٤ سنة)، ساع بوزارة الحربية (٥ سنوات).
 ٣٣- محمد محمود إبراهيم (٣٥ سنة)، حلوانى (براءة).
 ٣٤- محمود مصطفى عامر (٣٠ سنة)، نساج (براءة).
 ٣٥- جمال شوقى الشوقى (٢٤ سنة)، موظف بالإسكان (٣ سنوات).
 ٣٦- أسعد محمد كمالي (٢٦ سنة)، محاسب (٣ سنوات).
 ٣٧- جودة أحمد نمر (٢٤ سنة)، باحث بالجهاز المركزى للتنظيم والإدارة (٣ سنوات).
 ٣٨- عبد الفتاح محمد فايد (٢٩ سنة)، مدرس أزهرى (براءة).
 ٣٩- حسن عامر أبو طالب (٣٧ سنة)، عريف بسلاح الحدود (٣ سنوات).
 ٤٠- مصطفى عيسى غزال (٤٥ سنة)، فراش بالمصنع الحربى (٤٥ سنوات).
 ٤١- عبد العزيز أحمد على (٧٠ سنة)، وزير سابق (١٥ سنة).
 ٤٢- معروف أحمد الحضرى (٤٧ سنة)، من رجال الثورة (٧ سنوات).
 ٤٣- عوض عبد المتعال عوض (٣٠ سنة)، مدرس (١٥ سنة).
 ٤٤- نصر عبد الفتاح عوض (٣٣ سنة)، مدرس أزهرى (١٠ سنوات).

٤٥- توفيق عبد الباري (٥٠ سنة)، مقال (١٠ سنوات).

٤٦- محمد مندوه العزباوى (٣٠ سنة)، مدرس (١٠ سنوات).

- القضية الثالثة:

١- محمد هلال على سالم (٥٠ سنة)، موظف- إسكندرية (١٥ سنة).

٢- عز العرب محمد عبد الواحد (٣٥ سنة)، مدرس ثانوى (١٠ سنوات).

٣- محمد إبراهيم سالم (٢٨ سنة)، محاسب (٥ سنوات).

٤- عبد الله محمد رمضان أبو سن (٣٠ سنة)، لبيى الجنسية (١٥ سنة).

٥- السيد إسماعيل أبو شلوع (٤٥ سنة)، محام (١٥ سنة).

٦- محمد حلمى منصور (٥٠ سنة)، مهندس (١٥ سنة).

٧- محمد بدير زينة (٢٦ سنة)، مهندس زراعى (١٥ سنة).

٨- عبد الغنى سيد أحمد (٤٥ سنة)، موظف (٨ سنوات).

٩- حافظ مصطفى خليل أيوب (٤٠ سنة)، موظف بكلية الزراعة (٨ سنوات).

١٠- فاروق عبد الغنى الصاوى (٢٦ سنة)، معيد بمعهد بحوث الصحراء (١٥ سنة).

١١- يحيى أنور بياض (٢٣ سنة)، طالب بهندسة عين شمس (١٥ سنة).

١٢- طاهر عبد العزيز سالم (٢٣ سنة)، طالب بهندسة أسيوط (١٥ سنة).

١٣- محمد عواد سليمان (٣٢ سنة)، مدرس (استشهد فى التعذيب).

١٤- عبد الحميد أرجح السامونى (٥٠ سنة)، كبير مهندسى الرى (١٥ سنة).

١٥- السباعى السباعى الروكى (٣٥ سنة)، موظف (١٠ سنوات).

١٦- محمد طه هداية (٢٦ سنة)، معيد بهندسة عين شمس (سنة مع الإيقاف).

١٧- على محمد صادق حتحات (٢٥ سنة)، صيدلى (٣٠ سنوات).

١٨- عادل مطاوع سعد (٢٥ سنة)، مهندس (٥ سنوات).

١٩- عبد الفتاح رضوان الجندى (٣٠ سنة)، طبيب (إخصائى جلدية) (٥ سنوات).

٢٠- محمد أحمد الزفتاوى (٣٠ سنة)، مهندس كىماوى (٨ سنوات).

٢١- محمد صدقى عبد العزيز (٣٥ سنة)، مهندس (٥ سنوات).

- ٢٢- عبد المجيد محمد عبد المجيد (٣٥ سنة)، موظف بالمقاولين العرب (٨ سنوات).
- ٢٣- عبد الرحمن محمد عبد الصمد (٣٥ سنة)، موظف (٨ سنوات).
- ٢٤- محمود إبراهيم سلامة، مهندس كهرباء (٨ سنوات).
- ٢٥- مجدى محمد عبد الحق، طالب بيكالوريوس طب عين شمس (سنة مع الإيقاف).
- ٢٦- جمال عثمان هاشم (٣ سنوات).
- ٢٧- محمد على العريشى، محاسب (١٠ سنوات).
- ٢٨- محمد أبو النصر الفار (براءة).
- ٢٩- أحمد عبد الغنى الجندى (٣ سنوات).
- ٣٠- أمين أحمد سعيد، مدرس (٨ سنوات).
- ٣١- عبد العزيز عبد الفتاح، مدرس (٥ سنوات).
- ٣٢- عبد العظيم سلطان، مدرس (٥ سنوات).
- ٣٣- سيد محمد عوض (٣٥ سنة) مدرس (٨ سنوات).
- ٣٤- محمد محمد المدنى (٣ سنوات).
- ٣٥- حسن عليوة محمد (٣ سنوات).
- ٣٦- محمد حسين سليمان (٣ سنوات).
- ٣٧- عبد العزيز إبراهيم عبد القادر، (٣٥ سنة) مدرس (٨ سنوات).
- ٣٨- عبد القادر الشراوى (براءة).
- ٣٩- السيد عبد المجيد فرج (٣٥ سنة)، (٥ سنوات).
- ٤٠- أحمد حامد السيد إدريس (٣٣ سنة)، مدرس رياضيات (٨ سنوات).
- ٤١- محمد محمد إبراهيم بدر (٥٠ سنة)، مدرس أزهرى (١٠ سنوات).
- ٤٢- محمد صالح خليل (٢٥ سنة)، طالب (٨ سنوات).
- ٤٣- عبده محمد عبده (٣٢ سنة)، مزارع (٥ سنوات).
- ٤٤- يوسف مصطفى ندا (هارب) مهندس (مؤبد).
- ٤٥- عبد الجواد على غربية (٣ سنوات).

- ١٩- عبد العظيم أبو المعاطى الشرييني (٣٥ سنة)، نجار (١٥ سنة).
- ٢٠- عبد الرؤف محمد شبانة، قباني (١٥ سنة).
- ٢١- السيد أحمد محمد حسن، مزارع (١٥ سنة).
- ٢٢- عثمان عرفة أبو مهدى، مشرف زراعى (١٥ سنة).
- ٢٣- محمد جمعة حامد، صاحب مصنع ألبان (١٥ سنة).
- ٢٤- طه مسعد البدحى، نساج من شربين دقهلية (١٢ سنة).
- ٢٥- أبو الفتوح محمد عويضة، ممرض (١٢ سنة).
- ٢٦- عوض الشحات عوض، فلاح (١٢ سنة).
- ٢٧- صديق على زقزوق، فلاح من دمياط (براءة).
- ٢٨- محمد طه المريح، تاجر موبيليا- دمياط (براءة).
- ٢٩- عبد الوهاب الحسينى الشاعر، مفتش مساجد بالأوقاف (١٥ سنة).
- ٣٠- محمد عبد السلام الشرقاوى، ترزى (١٥ سنة).
- ٣١- محمد فهمم الشناوى، بائع بمكتبة فى المحلة (١٥ سنة).
- ٣٢- مصطفى أحمد عبد النبى، مدرس ابتدائى (١٥ سنة).
- ٣٣- زكريا أحمد التوابتى، كاتب قصة قصيرة (١٥ سنة).
- ٣٤- أحمد عطية النجار، مدرس إعدادى (١٥ سنة).
- ٣٥- محمود شفيق الجميعى، بقال (١٢ سنة).
- ٣٦- محمد عبد المقصود العزب، مأذون شرعى (١٥ سنة).
- ٣٧- محمد عبد المجيد المرسى، ترزى (١٥ سنة).
- ٣٨- محمد السعيد سعد، قباني (١٠ سنوات).
- ٣٩- محمود محمد جاب الله، خراط بشركة المحلة (١٥ سنة).
- ٤٠- سعيد أحمد حسن، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
- ٤١- بسيونى إبراهيم بخيت، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
- ٤٢- سيد عبد الوهاب شاهين، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).

- ١٩- عبد العظيم أبو المعاطى الشرييني (٣٥ سنة)، نجار (١٥ سنة).
- ٢٠- عبد الرؤف محمد شبانة، قباني (١٥ سنة).
- ٢١- السيد أحمد محمد حسن، مزارع (١٥ سنة).
- ٢٢- عثمان عرفة أبو مهدي، مشرف زراعي (١٥ سنة).
- ٢٣- محمد جمعة حامد، صاحب مصنع ألبان (١٥ سنة).
- ٢٤- طه مسعد البدحي، نساج من شربين دقهلية (١٢ سنة).
- ٢٥- أبو الفتوح محمد عويضة، ممرض (١٢ سنة).
- ٢٦- عوض الشحات عوض، فلاح (١٢ سنة).
- ٢٧- صديق على زقزوق، فلاح من دمياط (براءة).
- ٢٨- محمد طه المريح، تاجر موبيليا- دمياط (براءة).
- ٢٩- عبد الوهاب الحسيني الشاعر، مفتش مساجد بالأوقاف (١٥ سنة).
- ٣٠- محمد عبد السلام الشراقوي، ترزى (١٥ سنة).
- ٣١- محمد فهم الشناوي، بائع بمكتبة في المحلة (١٥ سنة).
- ٣٢- مصطفى أحمد عبد النبي، مدرس ابتدائي (١٥ سنة).
- ٣٣- زكريا أحمد التوابي، كاتب قصة قصيرة (١٥ سنة).
- ٣٤- أحمد عطية النجار، مدرس إعدادي (١٥ سنة).
- ٣٥- محمود شفيق الجميعي، بقال (١٢ سنة).
- ٣٦- محمد عبد المقصود العزب، مأذون شرعي (١٥ سنة).
- ٣٧- محمد عبد المجيد المرسى، ترزى (١٥ سنة).
- ٣٨- مجيد السعيد سعد، قباني (١٠ سنوات).
- ٣٩- محمود محمد جاب الله، خراط بشركة المحلة (١٥ سنة).
- ٤٠- سعيد أحمد حسن، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
- ٤١- بسيوني إبراهيم بخيت، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
- ٤٢- سيد عبد الوهاب شاهين، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).

- ٤٣- حسب النبي خيرى سليمان، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
٤٤- كامل عبد السلام عطية، عامل بشركة المحلة (١٠ سنوات).
٤٥- عبد القوى عطية بدر، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
٤٦- عبد الغفار الششتاوى، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
٤٧- طه عبد الهادى بهيج، عامل بشركة المحلة (١٢ سنة).
٤٨- عبد القادر حجازى بدوى، طبيب- إخصائى جراحة (١٠ سنوات).
٤٩- أبو اليزيد محمد عسقول، سائق تريلا (١٢ سنة).
٥٠- حسن على حسن مهرة، نقاش (١٢ سنة).
٥١- جلال عبد السلام الشرفاوى، مدرس ثانوى (١٠ سنوات).
٥٢- محمد المتولى جمعة (٤٠ سنة)، طباخ (١٢ سنة).
٥٣- السيد إبراهيم عبد الرحمن، حلاق (١٢ سنة).
٥٤- إبراهيم أحمد إسماعيل، عامل بالمحلة (١٢ سنة).
٥٥- عبد الله عبد المجيد عبد الله، عامل بالمحلة- نساج (١٢ سنة).
٥٦- أحمد محمد سلام، تاجر، (١٥ سنة).
٥٧- إبراهيم العزب شرف، ضابط نقيب بالجيش (١٥ سنة).
٥٨- السيد المرسى فساكة، عامل (١٢ سنة).
٥٩- بدر الدين شلبى، (قتل أثناء التعذيب).
٦٠- مسعود السيد السبحى (٣٠ سنة)، محاسب (٨ سنوات).
- القضية الخامسة:

- ١- أحمد محمد ضاهر، (١٠ سنوات).
٢- أحمد أبو القاسم محمد جاد الله، (١٠ سنوات).
٣- محمد على محمد عوض سليمان، (٥ سنوات).
٤- عبد الرحمن جبريل بارود (فلسطينى)، (٧ سنوات).
٥- عطية متولى محمد القرشى «بطل مسرحية قرية سنفا»، (١٠ سنوات).

- ٦- عبد اللطيف شاهين «مستورد القنابل المزعومة من اليمن» صول «مساعد» بالجيش، (٣ سنوات).
- ٧- محمود السيد السنوسي «تاجر سلاح من كرداسة» (٣ سنوات).
- ٨- نصر محمد المكاوي «تاجر سلاح من كرداسة»، (٣ سنوات).
- ٩- عبد القادر دعيس، (٣ سنوات).
- ١٠- علي محمد شحاتة الصعيدي، (٣ سنوات).
- ١١- صادق سليمان المزيني (من غزة من أكبر تجار القاهرة)، (٥ سنوات + غرامة ضخمة).
- ١٢- زكي سعيد كردية (من غزة فلسطيني)، (٣ سنوات + غرامة).
- ١٣- خالد محمد كردية (من غزة فلسطيني) (٣ سنوات + غرامة).
- ١٤- يوسف عميرة (هارب)، (٣ سنوات).
- ١٥- عبد اللطيف يعقوب الغانم (هارب)، (٣ سنوات).
- ١٦- محمد المأمون حسن الهضيبي، المرشد السادس للإخوان المسلمين، (٣ سنوات).
- ١٧- عبد الله على المطوع (هارب- كويتي)، (٣ سنوات).
- ١٨- هاني محمد بسيسو (عالم ديني كبير من غزة)، (٣ سنوات).
- ١٩- الشيخ محمد محمد الأودن (أستاذ علم الحديث بالأزهر الشريف)، (٣ سنوات).
- ٢٠- محمد شمس الدين الشناوي (من كبار المحامين في الإخوان)، (سنة واحدة).
- ٢١- أحمد ضاهر محمد إبراهيم، (٣ سنوات).
- ٢٢- عبد الحميد فرغلي محجوب (من إخوان الإسكندرية)، (٣ سنوات).
- ٢٣- حامد محمد صفراطة، (سنة واحدة).
- ٢٤- محمد حسين غراب، (٣ سنوات).
- ٢٥- محمد علي موسى، (ستان).
- ٢٦- فضيلة المرشد/ حسن الهضيبي، (٣ سنوات).
- ٢٧- إسماعيل حسن الهضيبي (محام- نجل فضيلة المرشد الأسبق)، (٣ سنوات).
- ٢٨- محمد محمد سليم، (٣ سنوات).
- ٢٩- عبد الحميد عثمان الجمل، (٣ سنوات).

- ٣٠- يوسف سالم يوسف ، (٣ سنوات) .
 - ٣١- حامد أحمد موسى ، (ستان) .
 - ٣٢- الشيخ/ عبد المتعال الجبري ، (ستان) .
 - ٣٣- محمود عبد الحميد حسن سلامة ، (ستان) .
 - ٣٤- كمال على يونس ، (ستان) .
 - ٣٥- حسن عكوش شرايى (من ميت عقبة جيزة) . (سنة واحدة) .
 - ٣٦- كامل محمد حنفى (طباخ بفندق الهيلتون) ، (ستان) .
 - ٣٧- محمود محمد أبو العينين ، (٣ سنوات) .
 - ٣٨- عبد الحلیم حسن الديب (من السودان) ، (سنة واحدة) .
 - ٣٩- محمد حلمى مؤمن (من إخوان دمياط) ، (ستان) .
 - ٤٠- عبد اللطيف آدم (من إخوان إسكندرية) ، (٣ سنوات) .
 - ٤١- محمد أحمد حمص (من إخوان إسكندرية) ، (٣ سنوات) .
 - ٤٢- عبد العزيز إبراهيم جلال ، (ستان) .
 - ٤٣- عبد الحلیم محمد حامد ، (سنة واحدة) .
- القضية السادسة (إحياء حزب الإخوان المسلمين):
- ١- أحمد على ديبة ، (٣ سنوات) .
 - ٢- محمد حلمى عبد الغفار ، (٣ سنوات) .
 - ٣- فؤاد أحمد سالم الحملى ، (ستان) .
 - ٤- عبد الوارث عبد المجيد ، (ستان) .
 - ٥- محمد عبد الله الموافى ، (ستان) .
 - ٦- محمد يوسف الموجى ، (٣ سنوات) .
 - ٧- منصور وردة ، (٣ سنوات) .
 - ٨- عبد الله عيسوى جميل ، (ستان) .
 - ٩- إبراهيم حبيب ، (٣ سنوات) .

- ١٠- محمد عبد العزيز زغلول، (٣ سنوات).
- ١١- مرتضى عبد المجيد، (براءة).
- ١٢- مصطفى دراج، (٣ سنوات).
- ١٣- كامل الشاعر «عسكري بوليس من ملوى محافظة المنيا»، (٣ سنوات).
- ١٤- دسوقي شملول «طالب بهندسة أسيوط»، (٣ سنوات).
- ١٥- أحمد محمد الطرباني «طالب بهندسة أسيوط» (٣ سنوات).
- ١٦- محمد السيد محمد الجندي «طالب بهندسة أسيوط»، (ستان).
- ١٧- محمد عبد العزيز عبد الله شاهين «محاسب بجامعة الزقازيق»، (٣ سنوات).
- ١٨- حسن يوسف محمد، (٣ سنوات).
- ١٩- أحمد محمد العباس، (٣ سنوات).
- ٢٠- على مرعى، (٣ سنوات).
- ٢١- على محمد الضيع، (ستان).
- ٢٢- عبد المنعم على حسن «محاسب بشركة المحولات المصرية- بشبرا مصر»، (٣ سنوات).
- ٢٣- عبد الشافي عبد السلام، (٣ سنوات).
- ٢٤- سالم السيد دياب، (٣ سنوات).
- ٢٥- محمد إسماعيل طربوش، (ستان).
- ٢٦- عبد الحميد بدر، (سنة مع وقف التنفيذ).
- ٢٧- عبد اللطيف إبراهيم محجوب، (٣ سنوات).
- ٢٨- عبد الجواد حسن رجب، (٣ سنوات).
- ٢٩- أحمد أحمد الصباغ، (٣ سنوات).
- ٣٠- عبد السميع محمد الطحان «من إخوان دمنهور»، (٣ سنوات).
- ٣١- عبد الحميد إبراهيم سعد عوض، (٣ سنوات).
- ٣٢- محمد أحمد داود، (٣ سنوات).
- ٣٣- محمد عبد الحى العوضى، صهر الشهيد عبد الحميد البوردينى، (٣ سنوات).

- ٣٤- محمد عامر عوض (٣٢ سنة)، طبيب إحصائي أنف وأذن (٣ سنوات).
- ٣٥- عبد الحميد الصبندأوى «رئيس كل التنظيمات المالية الإخوانية»، (٣ سنوات).
- ٣٦- الطوخى محمد طه - مسئول إخوان العشرات - ياور الإمام حسن البنا، (٣ سنوات).
- ٣٧- عبد الرازق محمد عبد الرحمن، (٣ سنوات).
- ٣٨- عبد العزيز عطية (عضو مكتب الإرشاد الأسبق من أيام الإمام الشهيد حسن البنا، تأجلت المحاكمة).
- ٣٩- فوزى أحمد نجم - مهندس - من إخوان العشرات وتلميذ سيد قطب، (٣ سنوات).
- ٤٠- السيد محمد الدسوقي «من إخوان العشرات»، (٣ سنوات).
- ٤١- محمود إبراهيم سبيع «من إخوان العشرات»، (٣ سنوات).
- ٤٢- سيد أحمد المشتولى (من إخوان العشرات)، (ستتان).
- ٤٣- عشيري عبد السلام أبو العلا (من إخوان الجيزة) - العشرات، (٣ سنوات).
- ٤٤- إسماعيل حسونة (من إخوان العشرات)، (ستتان).
- ٤٥- فرج مناع (من إخوان العشرات)، (٣ سنوات).
- ٤٦- محمد موسى عتيق (وشهرته رشاد عتيق) - من إخوان العشرات، (٣ سنوات).
- ٤٧- حسين أحمد عبد المعطى (من إخوان العشرات) المنصورة (٣ سنوات).
- ٤٨- عبد العظيم عبد المجيد عبد الله (من إخوان العشرات) - عضو مجلس الشعب ٨٧ - ٩٠ (٣ سنوات).
- ٤٩- إبراهيم محمد السيد، (ستتان).
- ٥٠- أحمد عبد المجيد الباشا، (ستتان).
- ٥١- عبد الحلیم وهبة، (ستتان).
- ٥٢- أحمد محمود الحباك، (٣ سنوات).
- ٥٣- محمد جاب الله النجار، (ستتان).
- ٥٤- زكريا إمام حسن، (٣ سنوات).
- ٥٥- أحمد حسن الرفاعى، (ستتان).
- ٥٦- على محمد يوسف (من إخوان المنوفية - العشرات)، (٣ سنوات).

- ٥٧- حسن عبد الفتاح العقباوى، (٣ سنوات).
- ٥٨- محمد محمود الجندى، (٣ سنوات).
- ٥٩- محمود فتحى الشايب، (ستان).
- القضية السابعة:
- ١- أمين محمود شاهين، (٣ سنوات).
- ٢- حسن فؤاد عبد الغنى.
- ٣- سالم محمد محمد حجاب.
- ٤- عبد الفتاح محمد حسن.
- ٥- محمود عبد الحميد عفيفى.
- ٦- عبد الله عبد العاطى إمام سعد.
- ٧- محمد هلال إبراهيم عبد العزيز (القائم بأعمال المرشد السابع).
- ٨- محمود عبد الرحيم يوسف عيبية (عالم أزهرى من شربين- دقهلية)، (٣ سنوات).
- ٩- محمد عرابى عبد القوى طنطاوى، (٣ سنوات).
- ١٠- فؤاد محمد الحفنى الجبالى، (٣ سنوات).
- ١١- فهمى أحمد حسن السيد، (٣ سنوات).
- ١٢- يوسف محمد محمد قته (يوسف قته)، (٣ سنوات).
- ١٣- حمدى إبراهيم- من إخوان شبرا- (عالم أزهرى)، (٣ سنوات).
- ١٤- محمد السيد عبد العليم- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ١٥- محمد محمد عبد الرحمن- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ١٦- عمر عبد الخالق إمام عمر- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ١٧- خليل عابدين جاد الله- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ١٨- يحيى نعمة الله قطب- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ١٩- عبد الحميد حسنى على أيوب- من إخوان شبرا- (٣ سنوات).
- ٢٠- عبد المنعم حسين- من إخوان شبرا.

- ٢١- حسين على حسين على الأخرس - من إخوان شبرا .
- ٢٢- محمود أحمد عشاوى - من إخوان شبرا- (٣ سنوات) .
- ٢٣- محمد رشوان حسن ، (٣ سنوات) .
- ٢٤- عبد المنعم عبد الحلیم قايل - من إخوان شبرا- (٣ سنوات) .
- ٢٥- سيد محمد السيد عمرو - من إخوان شبرا .
- ٢٦- محمد إبراهيم أحمد موسى .
- ٢٧- السيد أمين على موسى ، (٣ سنوات) .
- ٢٨- عبد العظيم أحمد عمار (من إخوان الشرقية) .
- ٢٩- حسن محمد موسى .
- ٣٠- محمد طنطاوى حبيش .
- ٣١- زكى سيد القشيش .
- ٣٢- أحمد سيد سليم .
- ٣٣- السيد النادى .
- ٣٤- محمد نجاح عبد المجيد .
- ٣٥- عبد اللطيف زايد .
- ٣٦- أحمد محمد الخميس .
- ٣٧- محمد عمر المدنى .
- ٣٨- عطية محمود عبد المعتمد .
- ٣٩- محمد مصطفى خليل .
- ٤٠- على توفيق الغندور .
- ٤١- محمد عبد المنعم الحداد .
- ٤٢- الهنداوى محمد الهنداوى .
- ٤٣- إبراهيم السيد صبيحة .
- ٤٤- محمود محمد عبد الحافظ .
- ٤٥- أبو الحمد ربيع .

- ٤٦- عبد الرحمن فايد .
- ٤٧- محمود محمد الجوهري .
- ٤٨- عبد الرازق هويدى (والد الكاتب فهمى هويدى) .
- ٤٩- فتحى محمد هويدى (من إخوان ميت غمر- تاجر مانيفاتورة) .
- ٥٠- سالم البهنساوى (مستشار قانونى) .
- ٥١- كمال خالد .
- القضية الثامنة: قضية الأخ المجاهد خطاب السيد خطاب:
- ١- سعيد محمد رمضان- زوج بنت الإمام حسن البنا- مقيم آنذاك بألمانيا (هارب)، (مؤبد) .
- ٢- كامل إسماعيل الشريف- من الأردن- وصار وزيراً للأوقاف فى عهد الملك حسين، ومؤلف عن جهاد الإخوان فى فلسطين، (مؤبد) .
- ٣- خطاب السيد خطاب (إسكندرية)، (مؤبد) .
- ٤- محمد فؤاد إبراهيم (إسكندرية)، (٨ سنوات) .
- ٥- أحمد حسن أبو العلا، (براءة) .
- ٦- مصطفى محمود مساهل، (براءة) .
- ٧- محمد عدنان الأسطوانى- سورى الجنسية- (هارب)، (١٥ سنة) .
- ٨- محمد عبد النبى السماك (لبنانى الجنسية)- (هارب)، (١٥ سنة) .
- القضية التاسعة: قضية صقر سليمان:
- ١- صقر سليمان- تاجر أسمنت من السويس، (مؤبد) .
- ٢- أمين محمد خليل- محاسب .
- ٣- سعيد رمضان- هارب .
- ٤- عبد العزيز السيد عزازى- صاحب محل ذهب (جواهرجى) .
- ٥- أحمد عليوه سليمان- موظف بشركة السويس لتصنيع البترول .
- ٦- عبد المنعم محمد حسن حلاوة- ملاحظ بلوك بالسكة الحديد .
- ٧- صبحى أحمد السيد رمضان- صاحب محل عصير قصب .
- ٨- عبد الرازق نزار السويسى (جواهرجى) .

الملاحظ أن القضايا الأربع الأولى كلها جنائيات، والالتهام فيها واحد. وهو الذي بيناه من قبل، وأيضاً هي قضايا المتهمين في التنظيم الأساسي بقيادة سيد قطب، وعدددهم ١٩٩. أما القضايا رقم (٥)، (٦)، (٧) فكانت تهمهم جنح محاولة إحياء الجماعة، وتزويد المعتقلين والمسجونين من الإخوان هم وأسرهم بالمال اللازم.

إلى جانب القضية الثامنة والتاسعة، وكانت كلها كلام في كلام.

بدأت مرحلة التحقيقات من يوليو ١٩٦٥ عقب القبض على الأخ عطية متولى القرش (من قرية سنفا) واستمر التعذيب والتحقيقات حتى حضور النيابة في أكتوبر ١٩٦٥، واستمر التعذيب ولكن خفت حدته قليلاً حتى ديسمبر ١٩٦٥ م حيث انتهت التحقيقات والنيابة من عملها.

وبدأ أمر الإحالة إلى محكمة أمن الدولة العليا في أول فبراير ١٩٦٦ م، واستمر هذا التسليم حتى نهاية فبراير ١٩٦٦ م، وتحدد أول أبريل لبدء المحاكمات.

●● المحامون في القضية الأولى هم:

- ١- أحمد مختار قطب : عن سيد قطب .
- ٢- أحمد طلعت عبد العظيم : عن محمد يوسف هواش - صلاح خليفة - جلال بكري .
- ٣- عبد العزيز حجاج : عن عبد الفتاح عبده إسماعيل .
- ٤- صلاح السهيلي : عن أحمد عبد المجيد - مبارك عبد العظيم - كمال سلام - محمد الجزائر
- ٥- عبد الرؤوف على : عن صبرى الكومى - صلاح عبد الحق .
- ٦- حامد الأزهرى : عن صبرى الكومى - عباس السيسى .
- ٧- شوكت التونى : عن مجدى عبد العزيز متولى - عبد المجيد الشاذلى - ممدوح الديري - السيد سعد الدين الشريف - إمام عبد الله غيث - محمد أحمد البحيرى - فاروق المنشاوى .
- ٨- عبد الرحمن النجار : عن فاروق المنشاوى .
- ٩- جمال حلمى : عن حلمى حتحوت - فايز إسماعيل .
- ١٠- أبو الوفا حمدى : عن سيد سعد الدين الشريف - محمد أحمد عبد الرحمن .
- ١١- عبده مراد : عن كمال عبد العزيز سلام - عاطف شاهين - جلال بكري .
- ١٢- حسنى على : عن سيد نزيلي - مرسى مصطفى مرسى - أحمد السروجى .
- ١٣- صفى الدين سالم : عن عبد المنعم عبد الرؤوف - محمد عبد المعطى - فؤاد حسن على .

- ١٤- حسين أبو زيد: عن زينب الغزالي.
- ١٥- عبد العزيز حجاج: عن إلهام بدوى.
- ١٦- حسن فريد: عن محمد عبد الفتاح الشريف.
- ١٧- يونس حلو: عن محمد عبد المعطى عبد الرحيم - محمد عبد المنعم شاهين.
- ١٨- على الرجال: عن حلمى حتوت - حميدة قطب - محمود عزت.
- ١٩- حسنين عبد الرحمن: عن حميدة قطب - حمدى صالح - مصطفى الخضيرى - مأمون يحيى زكريا.
- ٢٠- كمال النجدى: عن مصطفى الخضيرى.

•• صور من داخل المحكمة:

لما سئل سيد قطب: هل ترى فى القوانين القائمة ما يمنع المسلم من القيام بواجباته الدينية؟ قال: أرى فى القرار الخاص بمنع النشاط العلنى لجماعة الإخوان المسلمين وهى تؤدى هذه الواجبات الدينية التى ذكرتها، مخالفة لأمر من أوامر الدين. وسئل سيد قطب: ولكن الثابت على ما تعرف بيقين أن حزب (الإخوان المسلمين) كان يشكل تنظيمًا سرىً إرهابيًا داخل الدولة ارتكب بواسطته أكثر من جريمة.

قال سيد قطب: الذى أعرفه شخصيًا أن جماعة الإخوان المسلمين كان لهم تنظيم سرى وأن وجوده على ما أعرف ليس هو السبب المباشر فى حل الجماعة- إنما السبب هو الدسائس الأجنبية التى تأمرت وأدى ذلك لحل الإخوان.

وسئل سيد قطب: هل ترى أنه كان من الممكن أن تسمح الثورة بقيام جماعة ذات تنظيم سرى داخل الدولة.

قال سيد قطب: طبعًا لا ترضى الدولة، ولكن كان يمكن حل هذا التنظيم السرى بالتراضي، على أساس حل التنظيم وإبقاء الجماعة كحركة علنية.

ثم قال رئيس النيابة: لو نظرنا بين المتهمين فى هذه القضية لثبت أن نصفهم لا يزيد عمره عن الخامسة والعشرين، ومن ثم فقد كانوا أطفالاً عند قيام الثورة، ثم قال رئيس النيابة كلمة أثارت انتباه المحكمة والصحافة حين قال: إن بين المتهمين أربعة من الشباب العلماء معيدين فى مؤسسة الذرة- وأن خسارة الدولة بعد وجودهم فى القفص يساوى ما قدمته مصر من أموال فى بناء السد العالى!!

وحين سمع الفريق أول الدجوى هذه الجملة من رئيس النيابة امتعض وتغيرت نظراته هو وجميع الموجودين من رجال المباحث والمخابرات، وطلب الدجوى من رجال الصحافة والإعلام ألا يكتبوا هذه العبارة التي أثارت حفيظتهم، وفي نفس الوقت أراحت نفوس الإخوان.

وفي الجلسة الأولى سأل الفريق أول الدجوى سيد قطب وقال له: ما صلتك بالتنظيم السرى؟ قال سيد قطب: علمت أن مجموعة من الشباب تقرأ مؤلفاتي ويريدون مقابلتى، فقابلتهم فى منزلى، وعرفت أنهم يعكفون على العبادة ومطالعة الكتب الإسلامية.

قال الدجوى: ألم يكن من خطتهم اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر؟

قال الأستاذ سيد قطب: إن رسالتنا بعيدة عن هذا الأسلوب، فإن مهمتنا الأصلية هى تربية الشباب تربية إسلامية قرآنية حتى ننشئ جيلاً جديداً ينتمى للإسلام عقيدة وعملاً^(١).

●● حقيقة ما يسمى بتنظيم ١٩٦٥:

ليس صحيحاً أن تنظيم ١٩٦٥ م هو تنظيم قائم بذاته وذو قيادة خاصة ومبادئ خاصة، ومنفصل عن جماعة الإخوان المسلمين وقيادتها ومبادئها التى وضعها مؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا.

أو أن قيادته كانت هى القيادة للجماعة بأسرها، وذلك لأنها أنشأت بناء الجماعة من جديد وهذا خطأ.

ومن الخطأ أيضاً أن يفرق أحد أو يفاضل بين تنظيم ١٩٦٥ م والتنظيم القديم، أو إخوان ١٩٦٥ م وإخوان الأربعينيات أو الثلاثينيات أو العشرينيات.

أما حقيقة تنظيم ١٩٦٥ م فهى أنه لما حدثت مذبحه ليमान طره الأليمة التى استشهد فى مجزرتها واحد وعشرون من خيرة الإخوان المسلمين. صدم الإخوان المسلمون داخل السجون وخارجها، فأما الذين داخل السجون فلا حول لهم ولا قوة ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً. وأما الذين خارج السجون - وهم الإخوان الذين أفرج عنهم حيث إنهم كانوا معتقلين مع إخوانهم فى محنة ١٩٥٤ م أو ممن قضى مدته - فقد أشعل هذا الحادث حماسهم فجمعوا صفوفهم وللموا جراحهم وكفكفوا آلامهم، واستعرضوا أمرهم، فهداهم الله تعالى إلى تشكيل تنظيم يقوم بالإشراف على تكوين جيل امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين الذين لا تزال قيادتهم مع كثير من قاعدتهم داخل السجون، ويكون هذا التكوين على الأصول التربوية

(١) فى قافلة الإخوان المسلمين - عباس السيسى.

حسب رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، واستأذنتوا لهذا العمل من مرشدهم الإمام حسن الهضيبي فأذن لهم من داخل السجن ليقوموا بهذا العمل العظيم . والإخوان المسلمون ليسوا حزباً سياسياً وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتهم، وليسوا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدهم، وليسوا فرقاً رياضية وإن كانت الرياضة البدنية من أهم وسائلهم . . فهم ليسوا شيئاً من هذه التشكيلات، فإنها جميعاً تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يومي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة والتحلي بالألقاب الإدارية فيها .

ولكنهم: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع، ولا يقيدده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين .

الإخوان المسلمون - ولا فخر - أصحاب رسول الله ، وحملة رايته من بعده، ورافعوا لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا^{١٤} ورحمة الله للعالمين: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

وباختصار فهي أجيال تتعاقب على دعوة الله تبارك وتعالى لتحمل رايته وتنشر قرآنا لتخرج الناس من الظلمات إلى النور .

أما بالنسبة لحادث ليمان طره الأليم الذي وقع في أول يونيو سنة ١٩٥٧ الذي تحدثت عنه، فكانت خطة عبد الناصر لإبادة جماعة الإخوان المسلمين ومسح اسمها من خريطة العمل السياسي في مصر، تتمثل في قتل قياداتها على أعواد المشانق وإصدار حكم الإعدام على أعداد كبيرة من أشخاص الجماعة الفاعلين، وإصدار أحكام على الباقين تتراوح ما بين الأشغال الشاقة المؤبدة والخمس سنوات . كما وضع خطة في منتهى الخساسة والنذالة والانحطاط الخلقى والإنساني . فلقد خطط لثلاث عمليات قتل داخل الزنازين للإخوان، نجح في واحدة وهي مذبحة ليمان طره وفشل في الثانية والثالثة . ولقد ذكرنا حادث مذبحة ليمان طره بالتفصيل في الفصل السابق وفي هذا المجال نقول:

• • كانت مذبحة طره خيراً للدعوة والدعاة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

لقد صدم الإخوان المسلمون داخل السجون وخارجها بهذا الحادث، ولكننا نقول في نفس الوقت: (إن حادث مذبحة ليمان طره أيقظ الإخوان المسلمين)، فلقد أشعل هذا الحادث حماس شباب الإخوان وجمع صفوفهم، وذلك لأن كل أخ بات معنياً بالقتل والتصفية سواء عاش قريباً من الدعوة أو بعيداً عنها، فبدأ كل أخ يفكر في العمل، وبدأ كل منهم يفضى لأخيه بما في نفسه فيجد عنده نفس الاستعداد ونفس التضحية. وبدأت مشاعر الإخوان تلتهب لتستأنف الجهاد من جديد خارج السجون في أنحاء البلاد، في العاصمة والأقاليم.

تقول الحاجة زينب الغزالي^(١):

(مع أوائل ١٩٥٨م كانت لقاءاتي قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل في منزلي وفي دار المركز العام للسيدات المسلمات . .

كنا نبحث في أمور المسلمين محاولين بكل جهدنا أن نفعل شيئاً للإسلام يعيد لهذه الأمة مجدها وعقيدتها، مبتدئين بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح ومن بعدهم، جاعلين منهجنا مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله .

وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للإسلام لينضم إلينا. كان ذلك كله مجرد بحوث ووضع خطط حتى نعرف طريقنا، فلما أردنا أن نبدأ العمل كان لابد من استئذان الأستاذ حسن الهضيبي باعتباره مرشداً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين، والتقيت بالأستاذ الإمام حسن الهضيبي لأستأذنه في العمل باسمي وباسم عبد الفتاح إسماعيل، وأذن لنا في العمل بعد لقاءات عديدة شرحت له فيها الغاية وتفصيل الدراسات التي قمت بها وعبد الفتاح إسماعيل.

وكان أول قرار لبدء العمل هو أن يقوم الأخ عبد الفتاح عبده إسماعيل بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها، على مستوى المحافظة والمركز والقرية، والمقصود من هذا أن نتبين من يرغب في العمل من المسلمين ومن يصلح للعمل معنا، مبتدئين بالإخوان المسلمين لجعلهم هم النواة الأولى لهذا التجمع.

وبدأ عبد الفتاح إسماعيل جولته بادئاً بالذين خرجوا من السجون من الإخوان والذين لم يدخلوا لتختبر معادتهم وهل أثرت المحنة في عزيمتهم وهل دخول من دخل السجن جعلهم يتعدون عما يعرضهم للسجن مرة أخرى، أم أنهم لا يزالون على ولائهم للدعوة مستعدين للتضحية بكل غال ورخيص في سبيل الله ونصرة دينه.

(١) أيام في حياتي - زينب الغزالي.

كانت عملية استكشاف لا بد منها، حتى نبدأ العمل على أرض صلبة، وحتى نعرف من يصلح فعلاً، وكنا ندرس معاً التقارير التي يقدمها عبد الفتاح إسماعيل عن كل منطقة، وكنت أزور المرشد وأبلغه مجمل ما اتفقنا عليه وما وصلنا إليه . . وكنا إذا عرضنا عليه صوراً من الصعوبات التي نلاقها قال: (استمروا في سيركم ولا تلتفتوا إلى الوراء، لا تغتروا بعناوين الرجال وشهرتهم . . أنتم تبون بناءً جديداً من أساسه).

وكان تارة يقر ما يعرض عليه، وتارة يعطى بعض التوجيهات . . ومن هذه التوجيهات أنه أوصانا بأن نضم إلى مراجع بحوثنا «المحلى لابن حزم».

وفي سنة ١٩٥٩م انتهت بحوثنا إلى وضع برنامج للتربية الإسلامية، وأشهد الله أنه لم يكن في برنامجنا غير تربية الفرد المسلم الذي يعرف واجبه تجاه ربه، وتكوين المجتمع المسلم. ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين معطلاً نشاطها بسبب قرار الحل عام ١٩٥٤م كان ضرورياً أن يكون النشاط سرياً.

ويقول الحاج عباس السيسى (١):

(لم أكن وحدي الذي صدم بهذه المصيبة - مصيبة حادث مذبحة ليمان طره - لقد شاركني عشرات بل مئات من الإخوان هذا الشعور .

زارني في منزلي يرشيد الأخ المهندس محمد عبد الفتاح الشريف من الإخوة في دمنهور ومعه الأخ الكريم عبد الرحمن عبد الصمد من إخوان الإسكندرية . . وجلسنا نستعرض الموقف من كل جوانبه - واستعرضنا ماذا يمكن أن نعمل لخدمة الدعوة في هذه الظروف التي لم ترع فينا الدولة إلا ولا ذمة - وتناصحنا بأن لا تشدنا هذه الأحداث إلى نزوات العواطف ولا بد من دراسة متأنية على منهج الإخوان حتى لا تكرر محنة عام ١٩٥٤م، وبدأنا في التفكير في تكوين جيل جديد على نهج دعوة الإخوان، وحددنا لذلك خمس سنوات كخطوة في التربية .

وتثبيتاً لما سبق، يقول الحاج عباس السيسى:

(وذاًت يوم زارني في منزلي يرشيد الأخ الفاضل الحاج محمود شكرى ومعه مجموعة من الإخوان بالقبارى والوردبان من أحياء الإسكندرية . . وبعد أن تناولنا طعام الغداء جرى بيننا حديث - قلت فيه: إن الشهيد حسن البنا رحمه الله قد أدى واجبه - وترك لنا الدعوة أمانة في أعناقنا فإن كنا صادقين مع الله في بيعتنا فلا بد أن نواصل العمل الجاد على نفس الطريق ونفس المنهج حتى نلقى الله تعالى على نفس ما لقيه أستاذنا حسن البنا رحمه الله).

(١) في قافلة الإخوان المسلمين - عباس السيسى .

- وقام الإخوان بالإسكندرية بتشكيل لجنة لقيادة العمل الإخوانى بالإسكندرية كانت كما يلي :
- ١- الأخ عباس حسن السيسى : مسئولاً عاماً .
 - ٢- الأخ الكيميانى عبد المجيد الشاذلى : عن التنظيم الخاص .
 - ٣- الأخ الأستاذ محمود عيد أبو العينين : عن التنظيم العام .
 - ٤- الأخ الأستاذ سيد إسماعيل أبو شلوع : مندوباً عن محافظة البحيرة .
 - ٥- الأخ الكيميانى مجدى عبد العزيز متولى : مندوب اتصال بين القاهرة والإسكندرية .
- ويقول الحاج عباس السيسى :

(كان الهدف من تشكيل هذا التنظيم هو تكوين جيل امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين الذين لا تزال قيادتهم مع كثير من قواعدهم يمشون فترة السجن المؤبد فى ليمان طره وبنى سويف وأسيوط وقنا والواحات . . . وتقوم تنشئة الشباب على الأصول التربوية التى انتهجها الإخوان حسب رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ومناهج الأخلاق والسلوك والمعاملات الموحاة من سيرة الرسول .)

ويؤكد الحاج عباس السيسى أن :

(من أهم ما اتفقنا عليه جميعاً فى اللقاء وبكل وضوح . . هو البعد بالتنظيم عن التسليح بكل أشكاله حتى السلاح الأبيض - وأن نعتد على كل أنواع الرياضة بالاشتراك فى الأندية الرياضية المنتشرة فى المدينة) .

أما فى القاهرة^(١) :

فقد تمت دعوة كل قيادات الإخوان لحضور اجتماع فى منزل الشيخ الأزهرى الجليل المرحوم (نصر عبد الفتاح محمد نصر - من إخوان الشرقية) بالمطرية، وسمى هذا الاجتماع (باجتماع المطرية الحاسم)، ولم يحضر الشيخ نصر الاجتماع لأنه لم يكن من قيادات التنظيم . حضر من القاهرة : على عشناوى، أحمد عبد المجيد، أمين شاهين، وآخرون، واستضافوا من القاهرة العالم الجليل الشيخ عبد المتعال الجابرى، وحضر من الوجه البحرى : محمد عبد الفتاح شريف، الشيخ فتحى رفاعى، عوض عبد المتعال عوض، الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل . . . ومن الإسكندرية عبد المجيد الشاذلى ومجدى عبد العزيز متولى . . . ومن الشرقية محمد عواد .

(١) انظر : الزلزال والصحوة - محمد الصرورى .

كان موضوع نقاشهم: ماذا نفعل تجاه دماء هؤلاء الشهداء الأبرياء العزل من السلاح - شهداء مذبحة طره- وهل سيكون هناك مجازر أخرى لعبد الناصر؟ هل سيقتل عبد الناصر باقى الإخوان فى الواحات وفى السجون الأخرى - هل سنظل نستقبل كل فترة نعوشاً للإخوان ونذرف بعض الدموع ثم نعود إلى بيوتنا نعافس الأزواج والضيعات؟ وأين مشاعر الإخوة التى بايعنا عليها كأحد أركان البيعة العشرة مع الإمام الشهيد حسن البنا؟ هل كان واجبنا أن نقدم العزاء لأسر الشهداء مع بعض القروش القليلة التى غلقتها ثم يسدل الستار على هذه المجزرة لتبدأ مجزرة أخرى؟ هل؟ هل؟ هل؟ وتعالى بعض الأصوات وتعددت الآراء وارتفع النحيب وتهدجت الأصوات بالبكاء.

وتحت الضغط النفسى الرهيب تزايدت الانفعالات وردود الأفعال، لكن العالم الجليل الشيخ عبد المتعال الجابرى انتظر حتى انتهى البكاء وكف كل واحد دمه . . ثم بدأ يناقش الجميع ليلة طويلة . . حتى اقتنع الجميع بعدم جدوى أى عمل طائش، ولا بد من جمع كلمة الإخوان وتربيتهم حتى يأذن الله بالفرج الذى يراه الناس بعيداً ويراه -هو- قريباً إن شاء الله.

وطال الاجتماع حتى الصباح . . وصلى الجميع الفجر بعد أن اقتنعوا برأى الشيخ عبد المتعال الجابرى أنه: (لا بد من إحياء الجماعة أولاً فى جو هادئ . . والله عز وجل يقول: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فهو -سبحانه- يغير الأحوال والشئون كل يوم ويبدل الواقع والظروف وفق ما يريد سبحانه . . وسوف يجعل الله للدعوة مخرجاً . وانفقوا على أنه لا بد من جمع شتات الإخوان المتناثرة، وإيقاظ النائم المتغافل، وتجديد الأمل فى قلب البائس المتكاسل . . فالبداية مشجعة حيث يوجد بضع وعشرون منطقة بدأ فيها النشاط الإخوانى، وهو رقم يبعث على الأمل فى ظل هذا الطغيان الجارف لعبد الناصر، وفى ظل تصاعد نجم ذلك الطاغية الكبير . وقبل الخروج من الاجتماع استقر ترتيب قيادة التنظيم كالآتى بعد أن سافر أمين شاهين:

١- عبد الفتاح عبده إسماعيل (تاجر)، مسئولاً عاماً عن التنظيم:

- مسئول دمياط وكفر الشيخ وشرق الدلتا .

- الاتصال بالأستاذ المرشد .

- الاتصال بالأستاذ سيد قطب فى السجن .

- التفاهم مع إخوان الإسكندرية والبحيرة فى حضور فتحى رفاعى .

- مسئول النواحي المالية من حيث مصادرها ومصارفها .

- ٢- الشيخ فتحى رفاعى (مدرس أزهرى) :
- مسئول وسط الدلتا (الدقهلية - الغربية - المنوفية)
- مسئول وضع البرامج التربوية
٣- على عبده ع شماوى (موظف) :
- مسئول القاهرة والجيزة .
- مسئول التدريبات الرياضية .
- مسئول الاتصال بالإخوان بالخارج .
٤- أحمد عبد المجيد عبد السميع (موظف بإدارة كاتم أسرار الجيش) :
- مسئول الوجه القبلى (الصعيد) .
- مسئول المعلومات .

وبعد عدة شهور سافر فتحى رفاعى إلى الجزائر، وحل محله الأستاذ صبرى عرفه الكومى (مدرس كيمياء ثانوى بالمنصورة).

وكذلك سافر عوض عبد المتعال إلى الجزائر . . وتقلص دور المهندس محمد عبد الفتاح شريف إلى رئاسة إخوان محافظة البحيرة فقط .

٥- مجدى عبد العزيز متولى (كيماوى بمصنع الجرانيت وأقلام الرصاص) ومعه عبد المجيد الشاذلى (كيماوى بشركة الحرير الصناعى بالإسكندرية) مسئول عن العمل فى الإسكندرية، يعاونهما الحاج عباس السيسى .

كانت مسئولية عبد الفتاح إسماعيل مؤقتة، حتى اختار الأستاذ المرشد حسن الهضيبى، الأستاذ عبد العزيز على الذى كان وزيرا للشئون البلدية والقروية فى حكومة محمد نجيب، ولم يكن عبد العزيز على من الإخوان ولكن مراعاة للظروف وحرصاً من المرشد وكذلك كانت للرجل حماسة للإسلام وكان ذا خبرة فى العمل السرى فهو من مؤسسى الحزب الوطنى القديم مع محمد فريد ومصطفى كامل، ولكنه لم يستمر طويلاً فى هذه القيادة، حيث تم اختيار الأستاذ سيد قطب رئيساً للتنظيم، فوضع منهجاً ثقافياً بعد خروجه من السجن، وكان يصدر المنشورات والكتيبات من داخل السجن والتي أصبحت أهم ما يقرأه الشباب آنذاك .

•• منهج ثقافى:

قام الشهيد سيد قطب بوضع منهج ثقافى للتنظيم، وكانت أهم المراجع للتنظيم هى:

- ١- رسالة الإيمان (ابن تيمية).
- ٢- رسالة العبودية (ابن تيمية).
- ٣- زاد المعاد (ابن القيم).
- ٤- العقائد (حسن البنا).
- ٥- المصطلحات الأربعة (أبو الأعلى المودودى).
- ٦- مبادئ الإسلام (أبو الأعلى المودودى).
- ٧- الإسلام والجاهلية (أبو الأعلى المودودى).
- ٨- شهادة الحق (أبو الأعلى المودودى).
- ٩- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (أبو الحسن الندوى).
- ١٠- النبوة والأنبياء (أبو الحسن الندوى).
- ١١- من كتاب فى ظلال القرآن:

تفسير السور التالية: (المقدمة بصفة خاصة):

الأنعام- الأعراف- يونس- هود- يوسف- المائدة- النساء- البقرة- آل عمران . . . بنفس الترتيب.

لأن السور الخمس الأولى مكية وتتناول العقيدة ومحاربة أهل الباطل لها ولأتباعها من الرسل الكرام، والسور الباقية مدنية تتناول الجوانب التشريعية والتطبيقية فى وجود الدولة المسلمة.

- كتب سيد قطب: هذا الدين - المستقبل لهذا الدين - خصائص التصور الإسلامى - معالم فى الطريق - الإسلام ومشكلات الحضارة - العدالة الاجتماعية فى الإسلام.

- كتب محمد قطب: منهج التربية الإسلامية - جاهلية القرن العشرين - هل نحن مسلمون - معركة التقاليد - التطور والثبات فى النفس البشرية فى النفس والمجتمع.

- السيرة النبوية: كتاب السيرة لابن هشام.

- الحديث: رياض الصالحين.

- الفقه:

١- فقه السنة (السيد سابق).

٢- سبل السلام (للإمام الصنعاني).

- الكتب السياسية:

١- الذئب الأغبر: للشيخ مصطفى صبري، مفتى تركيا الأسبق.

٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين.

٣- بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي.

٤- خطر الصهيونية العالمية على الإسلام والمسيحية: عبد الله التل.

٥- العالم العربي اليوم: مورد بورجر.

٦- الغارة على العالم الإسلامي (مترجم).

٧- الإسلام في العصر الحديث (مترجم).

٨- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البيه.

٩- زعماء الإصلاح: أحمد أمين.

١٠- حاضر العالم الإسلامي: شكيب أرسلان.

● الانتظام في الأسرة:

انتظم الإخوان في أسر في المناطق التي نشأ فيها نشاط إخواني.. أذكر على سبيل المثال في القاهرة: أسرة تربوية في بيت الشهيد فاروق المنشاوي وأعضاؤها: (فاروق المنشاوي- فايز إسماعيل - علي بكري - محمد خفاجي - عز الدين عبد المنعم شمس - جلال بكري)، وأسرة في حي السيدة زينب وكان أعضاؤها: (محمد أحمد البحيري- محمد أحمد عبد الرحمن - كمال سلام- محمد عبد المعطي عبد الرحيم «محمد رحمي»).

● منهج الأسرة:

كان منهج الأسرة: إفطاراً بعيد الصيام.. صلاة المغرب.. قراءة المأثورات، صلاة العشاء.. قراءة القرآن.. خواطر حول القراءة.. مدارس في كتاب.. مناقشة حول أحوال المسلمين.. مناقشة إقامة قاعدة صلبة يقوم عليها البناء الإسلامي الكبير.. ويستغرق هذا وقتاً ليس بالقصير.

• التريية الروحية:

قيام ليل في نهاية اللقاء ؛ صلاة متأية خاشعة وتلاوة بتدبر وتفكر .

• التريية البدنية:

١- التدريب على المشى الطويل .

٢- التدريب على رفع اللياقة البدنية مثل السويدي وغيره .

٣- تعليم السباحة .

• استمرار فتنة التأييد:

فتنة التأييد أو (الزحلوقة) كما سماها الأستاذ الفاضل العابد الثابت عبد العزيز عطية ، والتي بدأت عام ١٩٥٦م في سجن الواحات ، قد ترحلق منها لثا الإخوان المسلمين آنذاك سواء أكانوا من المعتقلين أو المحكوم عليهم بمدد متفاوتة - عشرات أو أكثر أو أقل . . وذكرنا في الفصل السابق أنهم قد انحسروا عن صلاة الجماعة وصيام النوافل ، وساءت تصرفاتهم حتى صارت شبيهة بالجنائين!! وكذلك عرفنا أن السلطة كانت تمنهم بالإفراج ومقابل ذلك كانت تطلب منهم كتابة التقارير والتجسس على باقى الإخوان . . فعاشوا الهوان والمهانة (المرمطة) منذ سنة ١٩٥٦م وحتى تم الإفراج عام ١٩٦٠م

ولما صدر قرار جمال عبد الناصر وأعلنه من موسكو في ٦/٩/١٩٦٥م باعتقال كل من سبق اعتقاله - عاد المؤيدون واعتقلوا كما اعتقل غيرهم من الإخوان . . . وقد قسّمت إدارة السجون وصنفت الإخوان وجعلتهم فئات حسب المدد التي قضوها (يعنى الذين حكم عليهم بعشر سنوات أو أقل أو أكثر) .

ففى سجن أبو زعبل بدأ المؤيدون يظهر ون تأييدهم ويستأنفون نشاطهم ويحيون نار الفتنة ، وذلك بالتصرفات المشينة والسلوكيات المخجلة ، والأساليب المتدنية - فهم لا يأكلون مع أحد من الإخوان ولا يصلون معهم وبالكاد كان الفرد منهم يصلى الفريضة وتركوا صيام النوافل وانتشر التدخين بينهم وكانهم لم يلتزموا هدى الدعوة من قبل ، ووصل الحال ببعضهم فى المبالغة لإتبات عدم الانتماء إلى الإخوان المسلمين أن دخل اثنان معاً فى دورة المياه لكى تلصق بهما التهمة فيكونا أبعد الناس عن الإخوان المسلمين!! حقاً سماها الأستاذ عبد العزيز عطية (الزحلوقة) .

ومن أساليبهم أنهم كانوا يكتبون عبارات التأييد بالدم على الأقمشة والبطاطين ويرددون الهتافات فى غوغائية وفوضى وليس لعباراتهم أى معنى ولا تأثير ، فمن عباراتهم : (أنا

واعى . . أنا واعى) و(حسن البناء وحسن الثاني . . عملوا بدعة في الأديان) و(نعم للتأييد، ونعم لعبد الناصر . . وكلنا ضد الإخوان المسلمين وضد الإرهابيين) ولسكان عنبر رقم (٥) هتاف خاص وهو ترديد عبارة واحدة وهى: (عنبر خمسة، عنبر خمسة، عنبر خمسة، عنبر خمسة)، وكان سكان عنبر خمسة ليسوا من المؤيدين ولكنهم أرادوا تفويت الفرصة على المؤيدين بهذا الهتاف الذى ليس له أى معنى، فكان أضحوكة على هتافاتهم مما جعلهم يوقفونها فما عادوا يهتفون بعد ذلك .

وهكذا كانت غوغائيتهم . .

لقد كانت فتنة بمعنى الكلمة بل كانت على الإخوان المسلمين داخل السجون أشد من وقع السياط وأقوى من ضرب الشوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

•• مشهور يواجه هذه الفتنة:

كان مصطفى مشهور من القلة الذين ثبتوا على طريق الدعوة من إخوان العشرات مع إخوانه الذين ثبتوا من المحكوم عليهم أكثر أو أقل وجميعهم لا يتعدون ثلث الإخوان آنذاك .

وواجه مصطفى مشهور وإخوانه هذه الفتنة بالصمت وتفويت الفرصة على المؤيدين، فكانت مواجهتهم: الصمت، الثبات . . تفويت الفرصة . . لقد أثر مصطفى مشهور أن تكون المواجهة بالصمت فى مثل هذه الظروف، وذلك لكيلا يُنقل عنه ويقوِّك ما لا يقول، وأيضاً حرصاً على إخوانه الثابتين من تعرضهم للمساءلة من إدارة السجن ومحاكمتهم والشد عليهم والضغط والقسوة . ومن ناحية أخرى لم يقاطع المؤيدين ولم يخاصمهم . . ولكنه تعامل معهم برفق ولين، مما جعل باقى الإخوان يتعاملون معهم بالحسنى وعدم الإساءة والقطيعة والخصومة، وبذلك استطاع مصطفى مشهور احتواء هذه الفتنة وعدم انتشارها فى صفوف الإخوان، فانحصرت هذه الفتنة فى المؤيدين السابقين ولم ينضم إليهم أحد بعد ذلك . . حتى ماتت ولم يكن لها تأثير . . وعزلت إدارة السجن المؤيدين عن غير المؤيدين، وكانت تعاملهم معاملة خاصة لإغراء وإغواء غير المؤيدين . . ولكن هيهات!! وبدأت تزيد الضغط على غير المؤيدين حتى تم الانتقال الجماعى إلى سجن طره فى أبريل ١٩٦٨ م .

• ظهور فكر التكفير:

ذكرنا فى الفصل السابق بداية التكفير التى ظهرت فى سجن القناطر بين أشخاص معروفين يعدون على الأصابع من الذين انبهروا بفكر الأستاذ سيد قطب ونقلوا عنه ما فهموه خطأ أنه

واعى . . أنا واعى) و(حسن البنا وحسن الثانى . . عملوا بدعة فى الأديان) و(نعم للتأييد، ونعم لعبد الناصر . . وكلنا ضد الإخوان المسلمين وضد الإرهابيين) ولسكان عنبر رقم (٥) هتاف خاص وهو ترديد عبارة واحدة وهى : (عنبر خمسة ، عنبر خمسة ، عنبر خمسة ، عنبر خمسة) ، وكان سكان عنبر خمسة ليسوا من المؤيدين ولكنهم أرادوا تفويت الفرصة على المؤيدين بهذا الهتاف الذى ليس له أى معنى ، فكان أضحوكة على هتافاتهم مما جعلهم يوقفونها فما عادوا يهتفون بعد ذلك .

وهكذا كانت غوغائيتهم . .

لقد كانت فتنة بمعنى الكلمة بل كانت على الإخوان المسلمين داخل السجون أشد من وقع السياط وأقوى من ضرب الشوم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

•• مشهور يواجه هذه الفتنة:

كان مصطفى مشهور من القلة الذين ثبتوا على طريق الدعوة من إخوان العشرات مع إخوانه الذين ثبتوا من المحكوم عليهم أكثر أو أقل وجميعهم لا يتعدون ثلث الإخوان آنذاك .

وواجه مصطفى مشهور وإخوانه هذه الفتنة بالصمت وتفويت الفرصة على المؤيدين ، فكانت مواجهتهم : الصمت ، الثبات . . تفويت الفرصة . . لقد أثر مصطفى مشهور أن تكون المواجهة بالصمت فى مثل هذه الظروف ، وذلك لكيلا يُنقل عنه ويقول ما لا يقول ، وأيضاً حرصاً على إخوانه الثابتين من تعرضهم للمساءلة من إدارة السجن ومحاكمتهم والشد عليهم والضغط والقسوة . ومن ناحية أخرى لم يقاطع المؤيدين ولم يخاصمهم . . ولكنه تعامل معهم برفق ولين ، مما جعل باقى الإخوان يتعاملون معهم بالحسنى وعدم الإساءة والقطيعة والخصومة ، وبذلك استطاع مصطفى مشهور احتواء هذه الفتنة وعدم انتشارها فى صفوف الإخوان ، فانحصرت هذه الفتنة فى المؤيدين السابقين ولم ينضم إليهم أحد بعد ذلك . . حتى ماتت ولم يكن لها تأثير . . وعزلت إدارة السجن المؤيدين عن غير المؤيدين ، وكانت تعاملهم معاملة خاصة لإغراء وإغواء غير المؤيدين . . ولكن هيهات !! وبدأت تزيد الضغط على غير المؤيدين حتى تم الانتقال الجماعى إلى سجن طره فى أبريل ١٩٦٨ م .

• ظهور فكر التكفير:

ذكرنا فى الفصل السابق بداية التكفير التى ظهرت فى سجن القناطر بين أشخاص معروفين يعدون على الأصابع من الذين انبهروا بفكر الأستاذ سيد قطب ونقلوا عنه ما فهموه خطأ أنه

- القاضى الذى يحكم بغير ما أنزل الله فى مسرحية هزلية وهو يعلم ذلك ، يصدر حكم الإعدام على سبعة من الإخوان المسلمين ، وزملاؤه أصدروا أحكاماً تصل إلى ألفى سنة سجن ظلماً وعدواناً على الإخوان المسلمين . هذه هى البيئة التى نبت فيها فكر التكفير .

ظهر هذه الفكر أول ما ظهر فى سجن أبو زعبل ، واستمر فى الانتشار حتى انتقل الإخوان إلى سجن طره ، وحسمه فضيلة المرشد حسن الهضيبى . بعد أن كان مجرد فكر نسبه بعض الناس للشهيد سيد قطب بغير حق !! وبعد أن كان رد فعل لأناس معذيين بلا ذنب جنوه إلا أن يقولوا ربنا الله . صارت قضية عامة تشعبت كثيراً ، ثم تطرق الكلام من مجرد فتوى فى شخص أو أشخاص إلى تأصيل فقهى وشرعى وفكرى . ثم تطورت إلى منهج عمل وأسلوب حركة .

ولما جاء عبد العال سلومة مشرفاً على سجن أبو زعبل ، صنف الإخوان إلى صنفين :

(١) مؤيد للحكومة وسياستها .

(٢) معارض للحكومة بدرجات متفاوتة .

وأجبر المؤيدين على أن يؤيدوا جمال عبد الناصر بالدم ، وذلك بكتابة عبارات التأييد على قماش بدماثهم ، وأحياناً بالميكروكروم !!

ثم صنف المعارضين ووضع فى «زنازين شمال» أشد المعارضين للحكومة وعددهم واحد وثلاثون من الإخوان المسلمين وهم :

- ١- محمد قطب . ٢- محمد المأمون الهضيبى . ٣- أحمد نصير . ٤- عزمى بكر شافع .
- ٥- مصطفى كامل . ٦- السيد عيد . ٧- شكرى مصطفى . ٨- عصمت بدوى . ٩-
- محمود حلمى . ١٠- فاروق عباس . ١١- محمود الجوهرى . ١٢- على حمدى . ١٣-
- جمال متولى . ١٤- محمد عبد المنعم حسن . ١٥- عبد العال محمد عبد الواحد . ١٦-
- الشيخ على عبده إسماعيل . ١٧- حامد المصرى . ١٨- عز الدين عبد المنعم . ١٩- محمود
- متولى . ٢٠- الشيخ محمد صقر . ٢١- مجد الدين صادق . ٢٢- كمال الغايش . ٢٣-
- حسن عطية . ٢٤- محمد عمارة . ٢٥- محمود شكرى . ٢٦- محمد رشاد البيومى . ٢٧-
- حسن شرابى . ٢٨- أحمد شرف الدين . ٢٩- محمد صادق .

ولا أذكر رقمى ثلاثين وواحد وثلاثين .

ظهر فكر التكفير من زنازين شمال ، وفاحت رائحته وانتشرت حتى عمت سجن أبو زعبل . . فكان أول من تصدى له هو مصطفى مشهور .

•• مصطفى مشهور هو أول من تصدى لفكر التكفير:

عايش مصطفى مشهور بدايات التكفير في محنة ٥٤ وصار يراقبها ويتحسسها ولكنها كانت مجرد رد فعل للتعذيب من بعض المجهورين بفكر الأستاذ سيد قطب، فتركها لتموت، وزعم الإخوان وقتذاك أنها زوبعة في فئجان.

ولما استمر هذا الفكر في النمو والظهور وأخذ شكلاً آخر من داخل زنازين شمال.. بدأ يتأصل فكرياً وشرعياً وفقهياً، ثم تطور إلى منهج عمل وأسلوب حركة بعد ذلك في سجن طره. فلما أحس مصطفى مشهور بخطورته وأنه سيكون منعطفاً من أخطر المنعطفات الفكرية، وأدرك مدى خطورته، لم يسكت على انتشاره.. ولكنه كان أول من تصدى له وقال للإخوان المسلمين في سجن أبو زعبل: (الكلام ده مش بتاعنا.. واحنا بالطريقة دي بنهدم الدعوة من جدورها.. (١)).

وبدأ مصطفى مشهور يوضح للإخوان ويبين مدى خطأ هذا المنعطف الفكري ومدى خطره، وهو ما كتبه بعد ذلك في كتاب (من فقه الدعوة).

يقول مصطفى مشهور:

إن المنعطف الفكري أشد خطراً من المنعطف الحركي، إذ في ظل الفكر الصحيح يمكن أن تصحح الحركة وتعديل عن الخطأ، أما إذا كان الانحراف في الفكر، فكل حركة تصدر من خلال هذا الفكر المنحرف لا تأتي بخير وتضر ولا تنفع.

لذلك نرى في الفترة الأولى من حياة الدعوة الإسلامية كيف تم إرساء العقيدة السليمة والتصوير الصحيح الواضح للإسلام ورسالاته، حين كان الوحي ينزل، أولاً بأول، يرسى القواعد ويوضح ويصحح، والرسول ﷺ يبين ويشرح ويباشر التطبيق السليم، ويشجب كل انحراف في الفهم أو في الفعل.

وعلى نفس الطريقة نجد أن الإمام الشهيد حسن البنا حرص كل الحرص على أن يجمع المسلمين على العقيدة السليمة والفهم الدقيق الصحيح للإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مبتعداً بهم عن أي انحراف فكري يحولهم إلى فرقة من الفرق. أراد أن يرجع بهم إلى سيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من فهم سليم وتطبيق صحيح للإسلام في ظل الوحي وصحبة رسول الله ﷺ فجعل - رحمه الله - الفهم هو الركن الأول من أركان البيعة، لأن باقي الأركان تنبني

(١) محمد عمارة - حوار مسجل.

عليه وترتبط به أشد الارتباط، وقد جدد له أصولاً عشرين كإطار عام يحفظ من الغلو أو التطرف أو الانحراف كما يحفظ من التفريط أو الترخص، وأعلن في وضوح: أن دعوتنا سلفية.

ومن أهم المنعطفات الفكرية التي يجدر بنا أن نتعرض إليها هو منعطف التكفير، ولن أتعرض إليه من الجوانب الفقهية وتفنيده الأدلة^(١)، ولكن سأعرض ملامح وأصواء توضح مدى خطأ هذا المنعطف وخطره وتأكيد عدم اتهام النوايا بل افتراض حسن النية لأصحاب هذا الفكر، وهذه الملامح هي:

١- هل الحكم على الغير واجب على كل مسلم:

المعلوم أن الشرع يكلفنا ويطلب منا أن ندعو غيرنا إلى الله، وأن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، وسيُسأل كل منا أمام الله.. هل دعوت أهلك وجيرانك ومعارفك وكل من لك به صلة إلى الله وإلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله أم لا؟ ولن تسأل: هل حكمت على فلان أم لا ولماذا لم تحكم عليه؟ فليس ذلك من التكاليف الشرعية وستثاب لقيامك بواجب الدعوة إلى الله وتعاقب على تقصيرك فيها.

أما الحكم على الغير فلن تعاقب إذا لم تقم به، وإذا قمت به فستعرض إلى عقاب شديد إذا أخطأت في الحكم.

الدولة الإسلامية أو الحكومة المسلمة التي تقيم شرع الله هي المشتولة عن تحديد حال الأفراد بالنسبة للعقيدة، لأن لكل معاملته... المسلم غير الذمي، والذمي غير المرتد وهكذا. وليس هذا من شأن الأفراد، ولكن ربما احتاج الفرد أن يتبين حال شخص ما عند التفكير في إقامة علاقة زواج مثلاً أو تجارة أو غير ذلك معه، فربما كان شيوعياً ملحداً أو مرتدّاً، وفي هذه الحالات إذا تشككت في أمره، فلا تقم معه تلك العلاقة وكفى، ولست ملزماً بالحكم عليه.

٢- الحكم بكفر مسلم أمر في غاية الخطورة:

كلنا يعلم حرمان المسلم على المسلم «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(٢)، وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»^(٣).

(١) لأنه صدر بعد ذلك البحث الذي وضعه الإمام حسن الهضبي المرشد العام آنذاك، وشارك فيه الأستاذ مأمون الهضبي وبعض الإخوان وهو كتاب «دعاة لا قضاة» وهو الكتاب الذي تعرض للجوانب الفقهية وتفنيده الأدلة. وقد شكلت لجنة لكتابة هذا البحث برئاسة مصطفى مشهور.

(٢) صحيح: رواه مسلم وابن ماجه في الفتنة وأشرط الساعة ج/ ٢ ص ٣٤٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع - صفحة الصلاة برقم ٢٧.

(٣) صحيح: سنن ابن ماجه بتخريج الألباني - باب الحج والعمرة والزيادة برقم ١٧٠٠.

لهذا نجد الشرع يحمي هذه الحرمات بالتشريع الحكيم . فيحتمى دمه بحد القصاص ، ويحتمى عرضه بحد القذف و حد الزنا ، ويحتمى ماله بحد السرقة ، وهكذا فالحكم على مسلم بالكفر معناه إهدار كل هذه الحرمات ، إذن فتكفيره أشد من قتله ، لذلك كان الجزء من جنس العمل ؛ بأن من يكفر مسلماً بغير حق يبوء هو يائمه الكفر ، فقد روى البخارى أن أبا ذر رضى الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا جاز عليه »^(١) متفق عليه ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه »^(٢) .

من هذا نرى أن الإقدام على الحكم بكفر مسلم ، إقدام على مهلكة دون ثواب يرجى من وراء ذلك ، كما أنه ليس من التكاليف الشرعية .

٣- أيهما أجدر بالتحرز الشديد:

أيجرؤ أحدنا عندما يسمع عن مريض أو يراه وقد أقعده المرض ولا يستطيع أن يحرك ساكناً أن يحكم بموته ويأمر بدفنه قبل أن يتثبت ويتأكد تماماً من أنه قد فارق الحياة فعلاً؟ لا يختلف اثنان فى ضرورة اليقين الكامل من حدوث الوفاة ولو بقى فى غيبوبة كاملة عدة أيام ، ولو عومل معاملة الموتى قبل الوفاة الحقيقية لاعتبرت جريمة قتل رغم سوء الحالة الصحية لهذا المريض .

فإذا كان هذا التحرز الشديد مطلوباً بهذه الصورة بالنسبة لهذا الجسد الفانى ، فالواجب أن يكون التحرز فى أمر العقيدة أشد ، فتزع حكم الإسلام من فرد مسلم أعظم حرمة وأكبر أثراً وأشد خطراً من الحكم على إنسان حى بالموت ، فلماذا نتجرأ فى يسر بالحكم على الملايين من المسلمين بالكفر؟

نحن لا ننكر أن من بين المسلمين الذين نعيش معهم من إذا تبيننا حاله بدقة لوجدناه قد ارتد وانسلخ من دينه فعلاً ، ولكن سنجد أن هذه حالات بذاتها ، فالأمر عندنا أن هؤلاء جميعاً مسلمون ، إلا من يثبت بأمر قطعى كفره أو ارتداده ، لا أن نعتبر الجميع كفرة إلا من يثبت إسلامه .

كما لا يقبل مبدأ التوقف بالأنا نعتبر إنساناً مسلماً ولا نعتبره كافراً حتى يثبت لنا حاله ، فهذا أمر غير واقعى ولا معقول ، كما لا يعقل أن نترك مريضاً لا نعامله كحى فنعمل على علاجه

(١) صحيح : جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه وقامه [أيس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم الأكفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتوبوا مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا جاز عليه] ورواه البخارى فى الأدب المفرد .

(٢) متفق عليه والزيادة عند مسلم [فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه] .

ولا نعامله كميت فندفنه، فالأصل له الحياة حتى يثبت الموت، كذلك الأصل لإخواننا المسلمين.. الإسلام.. إلى أن يثبت غير ذلك.

٤- الفاصل بين الكفر والإسلام:

لم يجعل الله عز وجل الحد الفاصل بين الكفر والإسلام مرحلة يلزم اجتيازها فيحدث الاختلاف حول تقدير مدى اجتياز تلك المرحلة كلها أو بعضها بالنسبة لإنسان ما، وبالتالي يحدث الاختلاف حول اعتباره مسلماً أو كافراً، وما يترتب على ذلك من أمور غاية في الخطورة، لهذا كانت حكمة الله عز وجل ورافته ورحمته بنا أن جعل الحد الفاصل بين الكفر والإسلام خطأً دقيقاً لا يختلف عليه حتى لا تقع في هذا الحرج الشديد، ألا وهو النطق بالشهادتين، هذا بالنسبة للدخول في الإسلام، كذلك جعل الخروج منه والارتداد لا يكون إلا بأمر قطعي واضح لا يحتمل إلا الكفر، مع إعطاء فرصة الاستتابة قبل إقامة حد الردة.

لم يطلب منا الشرع أن نعقد امتحاناً لمن يريد أن يدخل الإسلام، ونختلف في تقرير الدرجات وتقرير النجاح أو الرسوب ولكن.. «ادعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن قالوها عصموا دماءهم وأموالهم»^(٢).

وكلنا يعلم قصة ذلك المشرك الذي كان يقاتل في صفوف المشركين ونطق بالشهادتين وقتله أسامة بن زيد رضي الله عنهما بعدما قالها ظناً منه أنه قالها تقية من القتل.. ولكن الرسول ﷺ عاتبه أشد عتاب وقال له «هلا شققت عن قلبه»^(٣)، والقول بالأنا نعتبر من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله مسلماً إلا إذا عمل بمقتضاها قول خاطيء، ولكنه يصير مسلماً بنطقها، ثم يكون بعد ذلك مسلماً طائعاً أو مسلماً عاصياً أو مرتدداً إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو أتى عملاً لا يحتمل إلا الكفر.

٥- تفجير حقل الدعوة:

إن المسلمين الذين نعيش بينهم والذين ندعوهم إلى الله وندعوهم إلى أن يفهموا إسلامهم ويعملوا به ويعملوا له، هم حقل الدعوة الذي نعمل فيه ونستخرج منه العناصر

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخاري عن ابن عباس حينما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن.

(٢) جزء من حديث متفق عليه [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا عصموا دماءهم وأموالهم].

(٣) متفق عليه بلفظ: [أفلا شققت عن قلبه].

المؤمنة المؤثرة التي تحمل الدعوة وتضحى في سبيلها، فإذا أحس هؤلاء القوم وعلموا أننا نعتبرهم كفاراً، نفروا منا ولم يسمعوا عنا واكتسبنا عداوتهم، ونكون بذلك قد فجرنا حقل الدعوة بأيدينا وسرنا في طريق مسدود، وعزلنا أنفسنا عنهم ولم نحقق خيراً للإسلام والمسلمين.

إن أعداء الله الذين استعمروا المسلمين زمناً طويلاً خططوا من زمن بعيد لإبعاد جوهر الإسلام وحقيقته من حياة المسلمين بعد أن أخفقوا في تحويلهم عن دينهم، فنشأت أجيال تجهل الكثير عن الإسلام ولا تمثل الإسلام في كثير من جوانب حياتهم، وهذا يدفعنا إلى أن نضع الجهد في الأخذ بأيديهم وإرشادهم وتبصيرهم، لا أن نكتفى بإصدار الحكم عليهم بالكفر وإقامة الحواجز بيننا وبينهم.

وماذا يتمنى أعداء الله أكثر من أن يروا هذه الفرقة في صفوف المسلمين، وأن كل تجمع من المسلمين يكفر أفرادهم بعضهم البعض، فهذه الكلية أو هذه الجامعة أو ذلك المصنع. وتلك المؤسسة، يكفر بعضها بعضاً... فهل نحقق لهم مثل هذه الأمنية بهذه السهولة ودون أن نحقق فائدة للإسلام والمسلمين.

٦- الطريق الصحيح:

أما إذا كنا حقاً نريد أن نحقق الخير للإسلام وأن نمكن لدين الله في الأرض، فعلياً أن نسير على نفس الطريق التي سار عليها رسول الله ﷺ من قبل، بإيمان وعمل ومحبة وإخاء، دون تبديل ولا تغيير ودون تفریط أو إفراط... ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٦) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]...

جعلنا الله ممن يتبعون سبيل رسول الله ﷺ دون تبديل ولا تغيير.

استمر مصطفى مشهور في شرح هذا الملامح وإرساء قواعد الفكرة الإسلامية الصحيحة والفهم الصحيح الشامل وترسيخها في أذهان الإخوان، إلا أن المجموعة التي تحمل هذا الانحراف والتطرف الفكري أبت إلا أن تواصل المسير... حتى انتقل الإخوان المسلمون انتقالاً جماعياً إلى سجن طره في أبريل عام ١٩٦٨م.

●● موقف الإمام حسن الهضيبي:

هناك في سجن طره ظهرت خطورة هذا الانحراف الفكري والتطرف، خصوصاً وأن الحكومة انتهزتها فرصة وتكاتفت مع هذه المجموعة عن طريق فؤاد علام ضابط المباحث لكي يجعلوها مناهجاً لجماعة الإخوان المسلمين، كما لم يضيع رجال الصحافة العلمانيون والشيوعيون هذه الفرصة في مهاجمة أصحاب العقائد وأنصار الدعوة؛ دعوة الإسلام في القرن العشرين.

وامتلأت صفحات الجرائد بمقالات العلمانيين والشيوعيين ورجال الأزهر على السواء!! وذلك لفضح الإخوان المسلمين أمام العالم، بأنهم يكفرون المجتمع ويستحلون دماء المسلمين!! ومن ناحية أخرى لضرب الإخوان المسلمين بهذه المجموعة المنحرفة فكرياً!!

ومن ناحية ثالثة أرادت الحكومة من إشعال الفتنة والفضح في لهيبها أن تهيب لشنق الأستاذ سيد قطب البريء من هذا التطرف!! . . . وشهادة حق لله تبارك وتعالى فسيد قطب لم يكن متطرفاً ولا منحرفاً في فكره ومنهجه، ولم يكفر سيد قطب المجتمع، بل لم يكفر أحداً أبداً. . . يقول الدكتور رشاد البيومي: «سمعت من الأستاذ مأمون الهضيبي وهو يحكى موقفاً عن سيد قطب: أنه لما دُعِيَ سيد قطب لتنفيذ حكم الإعدام، حيث جاءه أحد الجنود ليأخذه إلى مكان التنفيذ وسيد لا يعلم، فقال له الجندي: أنت مطلوب فهيا، فقال له سيد: أمهلني حتى آخذ معي الدواء، قال له الجندي: إنك لن تحتاج إلى هذا الدواء فلا داعي لأخذه. . . فعلم سيد قطب أنه الإعدام. يقول الأستاذ مأمون: وكنت في زنزانه بجواره. . . فجاءني الأستاذ سيد ودخل على في زنزانتى وقال لي: أنا لم أكفر أحداً. . .»^(١).

كان الإمام الهضيبي يصله أخبار هذه الفتنة منذ الوهلة الأولى وهي في مهدها بسجن القناطر، ولكنها كما قلنا كانت رد فعل للتعذيب وإعجاب أصحاب هذه الفتنة بالأستاذ سيد قطب وأسلوبه، ولكن الهضيبي كان هو الآخر مثل مصطفى مشهور، شغله الشاغل وهمه الأكبر توحيد الكلمة وجمع الصف على طريق الدعوة والأخذ بالإخوان إلى بر الأمان، بالتزام الفهم الصحيح الدقيق الشامل لدين الله تبارك وتعالى والسير على هدى رسول الله ﷺ والتزام الفكرة كما بينها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه. . . فكان موقفه في بادئ الأمر الصمت، لتفويت الفرصة ولإعانة الإخوان على الشيطان. . . فلما تكاتفت الحكومة وأشعلت نار الفتنة، وتحول الأمر إلى تحريف الكلم عن مواضعه والمغالاة في فهم مصطلحات وضعها الأستاذ سيد

(١) رواية دقيقة ومهمة رواها الدكتور رشاد البيومي عضو مكتب الإرشاد - في حوار مسجل.

قطب مثل: «الجاهلية - الحاكمية - المرحلية» فحرفوها وفي غلو شديد رفضوا بعض فرائض الدين.. وسيد قطب من غلوهم برى.. نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحداً..

كان الإمام الهضبي يسمع ويرصد كل هذه الأمور في صمت، ولكن كما قلت لما تعلق الكلام بأصول الدعوة ومنهج العمل والحركة بهذه الجماعة، كان لا يمكن أن يسكت.. ولا بد من أن يضع النقط فوق الحروف في هذه القضية، ويحدد معالم موقف الدعوة من قضية التكفير، فأصدر بحثاً حول هذا الموضوع شارك في هذا البحث ابنه الأستاذ مأمون الهضبي ومصطفى مشهور وعلى سالم البهنساوي، كما أن بعض شباب الإخوان شارك في تدوين هذا البحث، منهم الأستاذ جمعة أمين عبدالعزيز^(١) ووزع الهضبي هذا البحث على الإخوان في جميع السجون، وناقش كل من كان معه في السجن، وجمع كل الشبهات التي أثيرت حول القضية ورد عليها في هذا البحث الذي خرج إلى النور بعد ذلك في كتاب بعنوان: «دعاة لا قضاة».. فسكت الجميع إلا قليلاً، ناقشهم كثيراً، وصبر عليهم حوالي خمس سنوات.. وقد طلب منهم أولاً أن يؤجلوا الكلام في هذا الموضوع ويناقشوه بعد الإفراج، فرفضوا.. أفهمهم أن الظرف غير مناسب فأصروا على الكلام، وبعد نقاش طويل دام سنتين عدداً كان لا بد من قرار.. فأصدر قراراً بفصل ثمانية وعشرين شخصاً ممن كانوا معه في سجن مزرعة طره، وأعلن أنهم بعيدون عن منهج الإخوان المسلمين.. منهم: «الطوخى محمد طه وفوزى نجم وشكري مصطفى ومصطفى كامل وعزمي بكر وفؤاد الجبالي وعلى عبده إسماعيل ورشاد جابر وغيرهم..» وكان منهم من له سبق في الدعوة ولكنهم أصروا على تحويل مسار دعوة الإخوان المسلمين وفق هذا الفكر، فرفض الإمام حسن الهضبي رفضاً باتاً، وأوقف الحوار في هذا الموضوع..

والذي لا بد أن يسجل تاريخياً هو أن موقف الإمام حسن الهضبي في هذه القضية كان من المواقف التاريخية المفصلية في حركة جماعة الإخوان المسلمين، وثبت بفضل الله بعد نظر الإمام الهضبي في هذه القضية.

● بعض الذكريات داخل السجون والمعتقلات:

الحديث عن الذكريات حديث يطول شرحه، ذلك لأنه ملئ بالأحداث المتنوعة.. والقصص العجيبة.. منها ما يشيب بسماعها الولدان، ومنها المبكى والمضحك، والمضحك المبكى، بل والمبكى المضحك!!..

(١) حوار غير مسجل - مع الأستاذ جمعة أمين عبدالعزيز - عضو مكتب الإرشاد، ذكر فيه أن الحاج مصطفى مشهور هو أول من شجعه على التصدي لفكر التكفير، فكان من أوائل الشباب.

ولكننا لا نتندر للتسلية وإنما نعيش هذه الذكريات مع أناس حملوا مشعل الدعوة، دعوة الإسلام في القرن العشرين، دعوة الإخوان المسلمين . . . وقع عليهم هذا الظلم -ظلم الطغاة الجبابة- والظلم كما يقول رسول الله ﷺ «ظلمات يوم القيامة»^(١) الظلم الذي حرّمه الله تبارك وتعالى على نفسه . . . يقول عز وجل في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته محرّمًا بينكم.. فلا تظالموا..»^(٢) . . . إلا أن هؤلاء قد أحلوا ما حرم الله، ليس على عباده بل على نفسه، فكيف يقوم يحلون لأنفسهم ما حرّمه الله على نفسه؟! .

فعلى الشباب المتطلع الذي وهب نفسه لدعوة الله تبارك وتعالى أن يقرأها ويتدبرها ويتمعن فيها ويشرب نفسه وقلبه بها، لتكون زادًا لهم في طريق دعوتهم الطويل الشاق المليء بالعقبات والمنعطفات . . . ويزدادوا بها إيمانًا وقدرة على العمل والتضحية والفداء ويكونوا خير خلف لخير سلف . . .

وهذه الذكريات شهادة عملية على مدى شمول وعمق واستقامة المنهج التربوي في دعوة الله .

●● الصبر والثبات وتبليغ الدعوة:

يكون الصبر على الإيذاء، والثبات على الحق، وتبليغ الدعوة هو: الانطلاق بهذا الحق ونشره بين الناس . . .

والإيذاء كما يقول الأستاذ مصطفى مشهور^(٣):

«الإيذاء ألوان وأصناف، إذ يتعرض الداعي إلى الله إلى الإيذاء في دينه وماله وأهله وعرضه، ومن حيث المصدر: إما أن يكون الإيذاء ممن يدعونهم إلى الله في صورة فردية، أو من أعداء الله وأهل الباطل من مراكز ضعفهم -ولا أقول من مراكز قوتهم- لأنهم حين لا تسعفهم الحجة التي يجابهون بها دعوة الحق يلجأون إلى أسلوب الضعف . . . أسلوب البطش والتكيل بدعاة الحق، ظنًا منهم أن التقتيل والتعذيب والإيذاء سيخفت صوت الحق ويطفى نور الله . . . ولكن خاب ظنهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

تلك سنة الله في الدعوات ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) جزء من حديث صحيح متفق عليه [الظلم ظلمات يوم القيامة . . .].

(٢) رواه مسلم في صحيحه .
(٣) من فقه الدعوة -مصطفى مشهور .

فإذا لم يحتمل الداعية هذا الإيذاء ولم يصبر عليه ويحتسبه عند الله وأثر العافية وبرد العافية على حساب دينه وعلى حساب وقفته مع الحق، ورضى بالقعود عن الجهاد، ومواصلة السير على طريق الدعوة، فإنه يكون بذلك قد أخفق في تخطى هذه العقبة، وحرّم نفسه شرف الانتساب إلى قافلة المجاهدين، ويستبدل الله به غيره ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨]. والحقيقة أن الله غنى عنا وعن جهادنا.. ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين﴾ [العنكبوت: ٦]..

ويقول في موضع آخر:

«إن الصورة المثلى والصحيحة للجهاد في تلك المرحلة -مرحلة السجون والمعتقلات- كانت تتمثل في الصبر على الإيذاء والثبات مع الحق والإصرار على تبليغ الدعوة، وقد يؤدي ذلك إلى الاستشهاد كما حدث لياسر وسمية رضي الله عنهما.. فهذه العناصر الثلاثة: الصبر والثبات وتبليغ الدعوة، كانت سر حياة الدعوة وسبباً في بقائها وامتدادها.

إن أمثال ياسر وسمية وبلال وغيرهم، قد أدوا دوراً مهماً ورئيسياً للدعوة في ذلك الوقت، ومازلنا نستمد من مواقفهم الزاد والقوة الدافعة كلما قرأنا سيرتهم، وظاهر الأمر قد يجعل البعض يظن خطأ أنها مواقف سلبية، ولكنها في الحقيقة قمة في الإيجابية.. ففي الصبر على الإيذاء والثبات مع الحق ومواصلة تبليغ الدعوة ومعاناة ومجادة أهل الباطل، إيدان بانهمزاهم أمام قوة الإيمان والاستمسك بالعقيدة، وهذا ما استشعره أبو جهل أمام ثبات بلال رضي الله عنه.

وليس معنى ذلك أن الرسول ﷺ غفل في تلك المرحلة عن معنى الجهاد وتربية النفوس وإعدادها للبذل والتضحية في حينها، ولعل في بيعتي العقبة وما تضمنته من معاني الاستيثاق خير دليل على ذلك».

ومن خلاصة تجاربه المريرة طيلة هذه السنوات ومن عصارة ما تجرعه من كؤوس البلاء وأهوال العذاب والتنكيل الذي عاشه في محتتي ١٩٥٤م، ١٩٦٥م يقول الأستاذ مصطفى مشهور:

«لهدا وجب على الداعي إلى الله أن يوطد العزم من أول الطريق على تحمل الأذى، مستمداً العون من الله، مؤثراً ما عند الله، موقناً أن كل بلاء دون النار عافية، فلا ينهزم أمام الباطل، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة في احتمال الأذى والصبر عليه والثبات مع الحق، ولنعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً.. وأن هذا الإيذاء من بشائر النصر.. ﴿وأودوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾ [الأنعام: ٣٤].

•• مواقف في الصبر والثبات على التنكيل والتعذيب:

أصاب مصطفى مشهور قسطه المباشر من البلاء، فاقتيد في مراحل المحن، خصوصاً محتى ١٩٥٤م، ١٩٦٥م إلى السجن وألقى به في زنزانة مظلمة منفرداً تتيح له الانفراد بالمولى سبحانه وتعالى والأنس بمناجاته.. يقول الأستاذ مصطفى مشهور: «وبهذه المناسبة أذكر أن أحد الإخوان كان محبوساً في زنزانة ضيقة حبساً انفرادياً، يعنى وحده، والباب مغلق عليه طوال الوقت تقريباً.. ولكنه بذكره الله سبحانه وتعالى كان يشعر بأنس وراحة نفسية ولا يحس بأن للزنزانة جدراناً وباباً مغلقاً، وكأنه في الكون الفسيح. والحارس الذى خارج الباب مستشعر أن الأخ في ضيق بسبب غلق الباب عليه، وكان يغافل الضابط ويفتح باب الزنزانة فتحة صغيرة بعض الوقت ليخفف عن الأخ، ولكن الأخ يحكى ويقول: إنه حينما كان يفتح الباب يشعر بوحشة ويقل أنسه الذى كان يعيشه مع ذكره الله تبارك وتعالى»^(١). ويحكى قصة أخرى فيقول: «يقول أحد الإخوة إنه أخذ من بيته بعد منتصف الليل وألقى في زنزانة مظلمة تماماً ليس فيها شيء مطلقاً وأغلق عليه بابها، فإذا بخاطرة تمر به تجعله في سكينه تامة بل وسرور، بدل الغم والكرب.. تصور أنه ليس في زنزانة ولكنه في القبر وقد لقي الله ويتعرض للحساب وأن عمله قد لا ينجيه من العذاب وكأنه سأل الله أن يعيده إلى الدنيا مرة أخرى ليتدارك حاله ويصلح من شأنه وكان الله استجاب له.. وها هو في الدنيا وأمامه الفرصة، وصار هذا مصدراً لسروره بدلاً من الضيق...»^(٢).

فهكذا تكون معية الله تبارك في علاه، كقيلة بإسعاد الإنسان وهو في بطن الظلمات؛ في غياهب السجون وتحت أيدي الجلادين..

وهكذا تصهر المحن النفوس وتسمو الأرواح ويتمثل في الأخ المسلم الورع والتقوى والالتزام والصبر والثبات.

ذاق مصطفى مشهور ألوان العذاب وعاش أهواله وتجرب مرارته وجرب أساليبه المتنوعة. ففي هذه المحنة علّق على الفلحة التى أصبحت بديلاً للمروسة التى كانت فى محنة ١٩٥٤م.. وضرب بالكرباج على رجليه ويديه وجسمه بوحشية مجنونة. وضرب بالشوم الذى أصبح بديلاً للكراييج فى محنة ١٩٥٤م، وكان الهدف هو تكسير العظام، وضرب بالمرينة حتى نزع المرينة جزءاً من جلد لحمه!!

(١، ٢) هذا الأخ هو أستاذنا مصطفى مشهور نفسه - ولا أزكى على الله أحداً.

وعُلّق عرياناً على قضبان حديدية ارتفاعها أكثر من عشرة أمتار حيث استمرت الفترة الزمنية التي يترك فيها معلقاً طوال اليوم لمدة شهر!!

ولما علم فؤاد علام أن مصطفى مشهور شخصية قيادية وقوية ولها منزلة عظيمة وكبيرة وسط الإخوان وله تأثير عليهم وهو بمثابة الدينامو المحرك لهم وقوة الشحن التي تكسبهم قوة وصلابة وصموداً أمام الطغاة . . أخذه ونفاه وحبسه حبساً انفرادياً ليس في سجن أبو زعبل ، وإنما نقله إلى سجن القلعة ليمارس معه أساليب الضغط المتنوعة وذلك ليثنيه ويضعفه ويقتل تمسكه بدعوته وثقته بربه!! ولكن هيهات هيهات ، كيف يتم ذلك مع رجل مثل مصطفى مشهور؟! ولا أريد أن أسرد وأحكي ألوان العذاب والأساليب التي ذاقها أستاذنا وشيخنا وإمامنا فلقد ذاقها جميعاً .

وكان من أشد الإخوان تعذيباً ، باعتباره شخصاً قيادياً داخل وخارج السجون . . ولكنه امتثل بالصورة المثلى والصحيحة للجهاد في سبيل الله على أروع وأحسن صورة . . فكما يقول هو: (١) .

إن الصورة المثلى والصحيحة للجهاد في تلك المرحلة -أي مرحلة السجون والمعتقلات- كانت تتمثل في الصبر على الإيذاء والثبات مع الحق والإصرار على تبليغ الدعوة . . وقد يؤدي ذلك إلى الاستشهاد كما حدث لياسر وسمية رضي الله عنهما . . هذه العناصر الثلاثة: «الصبر، والثبات، تبليغ الدعوة» كانت سر حياة الدعوة وسبباً في بقائها وامتدادها .
إن أمثال ياسر وسمية وبلال وغيرهم قد أدوا دوراً مهماً ورئيسياً للدعوة في ذلك الوقت ، ومازلنا نستمد من مواقفهم الزاد والقوة الوافعة كلما قرأنا سيرتهم . . »

لقد أدرك مصطفى مشهور أن في الصبر على الإيذاء والثبات مع الحق ومواصلة تبليغ الدعوة ، إعطاء وبذل ومعاناة ومجالد لاهل الباطل ، تنتهي بانهمزامهم أمام قوة الإيمان والاستمسك بالعقيدة ، فتمثل بذلك واجتهد ، وكان خير مثال ، وظهر له جلياً ما استشعره أبو جهل أمام ثبات سيدنا بلال رضي الله عنه وأرضاه .

●● بعض الذكريات الطريفة:

سكن مصطفى مشهور فترة ليست قصيرة في عنبر واحد مع إخوان المنوفية بسجن أبو زعبل . . وكان هذا العنبر قد اشتهر بإحياء المناسبات وجمع الإخوان في مكان واحد على الطعام

(١) من فقه الدعوة - مصطفى مشهور - ج/١ ص ٤٢ .

والاحتفالات، فكان مصطفى مشهور هو المشرف على هذه الأنشطة، بهدف إدخال السرور والبهجة على إخوانه جميعاً وإخراجهم من جو السجون والمعتقلات الملبد بأنواع الآلام والحرمات الذي اعتادوا عليه على مضض!! . .

و ذات يوم، بعد زيارة الأهالي للإخوان، أقام عنبر المنوفية بقيادة مصطفى مشهور وليمة لجميع الإخوان المسجونين، كانت الوجبة تتكون من: «الفطير المشلتت والعلل الأبيض والخبنة القديمة» التي جاء بها الأهالي في الزيارة . . جمع مصطفى مشهور جميع الإخوان وفرش لهم عنبر المنوفية بالجرائد حتى قارب طول هذه [السفرة] -المائدة- النصف كيلو متر . . وكان يوماً ساراً بهيجاً لجميع الإخوان .

أحسن مصطفى مشهور تدريب إخوان المنوفية في هذا العنبر على إدخال السرور والبهجة على إخوانهم . . حتى صاروا ذوي خبرة فائقة في ذلك .

كان الإخوان يعدون ويجهزون لصلاة العيد ويهتمون بعيدى الفطر والأضحى المباركين، فيصلون ويهنئ بعضهم بعضاً، و يقيمون المهرجانات والاحتفالات والمباريات الرياضية^(١) والأدبية والدينية والعلمية وغيرها . .

وكانت فقرة الأخ «على زكى لطفى» من أجمل الفقرات، فكان هذا الأخ مهندساً زراعياً ومصوراً بجريدة الأهرام، وكان قصير القامة لا يتعدى طوله المتر ولكنه كان أخاً لطيفاً ظريفاً وكان يجيد لعبة التنس طاولة، وكان يقبل المزاح لدرجة كبيرة ويتحمل ضحك الإخوان عليه وذلك تفتيحاً منه لإدخال السرور والبهجة على إخوانه . . ففى حفل العيد يفاجأ الإخوان بمهرجان كبير ومسيرة عظيمة يحشد لها إخوان المنوفية عدداً كبيراً من الإخوان وقد وضعوا الأخ «على زكى لطفى» فى سرير خشبي وكأنه مولود جديد يزفونه وهم يرددون كلمة [هبيصة . . هبيصة . . هبيصة] .

وفى العيد التالى أى عيد الأضحى يجهزون نفس الزفة والمسيرة للأخ على زكى لطفى . . ولكن هذه المرة يضعون على قطعة قماش (ميكروكروم) ويضعونها بين أرجل الطفل الصغير «على زكى لطفى» وكأنهم يحتفلون بيوم ختانه، وكانوا يطلقون البالونات وأوراق الزيتة التي طلبوها من الأهالي في الزيارة . . كان الأخ على متواضعاً .

وكانوا يجهزون خروفاً من القماش والوبر ثم يذبحونه كأنه الأضحى . . وهكذا كان مصطفى مشهور يشرف على مثل هذه المناسبات باقتدار .

(١) وكانت اللعبة المفضلة لمصطفى مشهور هي [الراكيت] وكان الذى يقوم بتجهيزها من الشباب الأخ محمد عبدالجواد . . وهو الذى تزوج ابنته وفاه بعد ذلك، وصار أستاذاً بكلية الهندسة جامعة أسيوط .

ومن طرائف الحاج مصطفى مشهور في مداعبة إخوانه وإدخال السرور عليهم، التعليق على بعض العبارات أو التصرفات الشخصية والفردية . .

فكان يقلد نطق بعض اللهجات حسب اختلافها بين المحافظات، فأهل الشرقية لهم طريقة في نطق الأحرف ومخارجها في النداء، وذلك بمد بعض الحروف وغيرها.

وكان يحب مداعبة الأخ [حسن شعيرة] وهو راعي غنم من الصعيد وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب لدرجة أنه كان لا يعرف عدد أيام الشهر: وكان إذا سئل عن أمر ما متى سيكون كان يقول: [يوم ٣٤ في الشهر]! فكان الحاج مصطفى دائماً يسأله عن تحديد يوم لمناسبة من المناسبات وكان هذا الأخ يجيب دائماً بيوم ٣٤ في الشهر . . فيضحك الحاج مصطفى ويضحك إخوانه ويسرى عليهم.

ومن قصص الطرائف أن أحد الإخوان من الصعيد كان إذا سئل يوم الزيارة وبعد انصراف الأهالي عن الذين زاروا إخوانه يقول: فلان هذا «ظرتو مرتو» يعني أن زوجته قامت بزيارته، ويعلق الأستاذ مصطفى مشهور على هذه العبارة، فكان إذا سئل هو نفس السؤال يجيب بقوله «ظرتو مرتو» مقلداً الأخ الصعيدى وذلك ليضحك إخوانه ويدخل عليهم البهجة والسرور.

والقصص كثيرة والمواقف متعددة لا نستطيع حصرها، ولكننا ذكرنا بعضها لتثبت عظمة هذا الرجل، ليعلم القارئ أن مصطفى مشهور وهو في دياجير المحنة كأنه في منازل الرخاء والعافية، باشاً غير متجهم، ومعين للسكينة، وفيض أمن لمن حوله من الإخوان، لا يهاب ولا يفرع، مثال للرزانة والصبر، كان أكثرهم حملاً للهموم . . ولكنه أخفهم ظلاً، أكثرهم تعدياً وتنكيلاً، وفي نفس الوقت أكثرهم بشاشة وابتهاجاً . . ساقه الله ليكون سحابة تظلل إخوانه، وكان كثيراً ما ينظم لهم الحفلات، وكانت تعجبه أشعار سعد سرور وما يلقيه عليهم من زجل مثل: ما كان يوصف به حال الإخوان داخل الزنازين:

عجباننا والله الزنزانة	مزنوقة ولكن سيعانا
والقعدة فيها عجباننا	طول ما احنا بنعبد مولانا
القعدة مع الإخوان حلوة	وبقينا مع الله في الخلوة
وقلوبنا معاه تفتح جنة	طول ما احنا بنعبد مولانا
وكذلك بمناسبة كثرة الناموس ومضايقته لهم:	
حلفتك بالله يا ناموس	اعتقنى وخذ منى فلوس

وغيرها كثير وكثير، كما كان يحب فقرة الأخ الدكتور على تحتوت في تقليد الأصوات والأشخاص^(١).

•• غسيل المخ:

بعد صدور الأحكام في هذه القضية -قضية ١٩٦٥م أراد عبدالناصر ونظامه الجائر أن يقتلع هذه الدعوة المباركة- دعوة الإخوان المسلمين- من جذورها، وأن يثنى دعائها الأقوياء عن إيمانهم وتمسكهم بدعوتهم والاعتزاز بها. . فبحث عن وسيلة تحقق مأربه، فكانت عملية غسيل المخ الذي مهدوا له بعمل استبيانات لجميع الإخوان شملت ظروفهم الاجتماعية والثقافية ونشاطهم في هذه الدعوة، واستعانوا بخبراء لذلك، كما استعانوا بكيار أساتذة علم النفس في مصر لمعاونة صلاح نصر مدير المخابرات في إخراج كتاب: «الحرب النفسية» وهو جزءان، ولا عجب فكل مخابرات العالم وراءها جيش جرار من حملة الدكتوراة في شتى أنواع العلوم.

كلفتم الحكومة ضابطاً كبيراً اسمه (عقيل مظهر) بمهمة الإشراف على برنامج غسيل المخ للإخوان المسلمين، وصمم برنامجاً لمحاضرات للإخوان في غسل المخ لتناقض كل القضايا الفكرية عند الإخوان واختار لها أساتذة من الجامعات وبعضاً من رجال الدين في مصر ومن هؤلاء:

١- الشيخ محمد بن فتح الله بدران -أستاذ علم مقارنة الأديان بالأزهر الشريف، وهو عم العقيد شمس بدران.

٢- الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار -أستاذ الشريعة بالأزهر والذي صار بعد ذلك شيخاً للأزهر.

٣- الأستاذ الدكتور أحمد زكى شلبي -أستاذ التاريخ بكلية دار العلوم.

٤- الشيخ عبداللطيف السبكي -عضو هيئة كبار العلماء.

٥- عبدالغنى سعيد -وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ومحاضر اشتراكي.

٦- الدكتور محمد أحمد وصفي -أستاذ بكلية الطب البيطري.

ووضعت الحكومة برنامجاً متكامل العناصر وهيأت له مناخاً متناسقاً مع الهدف من هذه المحاضرات، وطبق البرنامج على الإخوان المسلمين بدقة. . . ولكنه بفضل الله تعالى فشل فشلاً ذريعاً.

خصص صلاح نصر في كتابه: «الحرب النفسية» بحثاً طويلاً عن غسيل المخ في العالم كله عبر التاريخ، ففي الفصل الثاني من الجزء الثاني منه يقول بعنوان: «اصطلاح جديد. . غسيل المخ».

(١) حوارات مسجلة مع الأخ الأستاذ ماجد عبدالعزيز -من إخوان طنطا.

تختلف الأساليب المتبعة في تقويم الفكر تبعاً للظروف وتبعاً للجماعة التي تكون هدفاً للبحث، لكن الأصول الأساسية واحدة متماثلة في كل الحالات، فهي تهدف إلى السيطرة على جميع الظروف المحيطة بالحياة الاجتماعية والجسمانية للفرد أو للجماعات، لإثبات أن الأفكار الفردية غير صحيحة ويجب أن تتغير. . كما تهدف إلى تنمية الطاعة والإخلاص لعقيدة معينة، فللسيطرة على بيئة الشخص الاجتماعية تبذل كل محاولة لتحطيم ولائه لأى فرد أو جماعة خارجة. ويصحب هذا أن يوضح للشخص أن اتجاهاته وطوابع تفكيره غير صحيحة ويجب تغييرها، كما يجب أن يعطى ولاءه الكامل لعقيدة معينة، ويخضع لها دون تردد، وعلى سبيل المثال استخدمت الأساليب التالية في السجون السياسية المختلفة:

١- عزل الشخص عن الحياة العامة تماماً بالسجن والحبس الانفرادى.

٢- الضغط الجسماني أو التعذيب البدني بشتى أنواعه وأساليبه.

٣- التهديدات وأعمال العنف.

٤- الإذلال والضغط.

وبالفعل كانت هذه الأساليب جميعها مطبقة بشكل دقيق على الإخوان المسلمين، ولما وجدت الحكومة المناخ الذى يعيش فيه الإخوان مناسباً لتطبيق عملية غسيل المخ، بدأت تعقد لهم محاضرات، ولكن الله تعالى أراد لهذه المساعي أن تموت، ووفق أسود الدعوة للتصدى لها بمقارعة الحجج بحجج أقوى وتفويت الموقف. . وهكذا لم تستطع الحكومة تنفيذ عملية غسيل المخ فيهم.

•• صور من هذه المحاضرات:

فى إحدى المحاضرات التى كان يلقيها الدكتور محمد فتح الله بدران سأله الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد سؤالاً مباشراً عن حكم الإسلام فى الحاكم الذى يحكم ويشرع من دون الله مخالفاً بذلك أمر الله بأن يحل الحرام ويحرم الحلال!! . فلما انتهت المحاضرة عذب الإخوان فى ذلك اليوم تعذيباً شديداً بالجرى السريع داخل حوش السجن ساعات طويلة، ويقال إن صاحب السؤال أخذته سنة من النوم فنام فى الزنزانة ولم يُعذب. . وكانت سكينه من الله تعالى وآية لإخوانه أن صاحب كلمة الحق محفوظ مصون بمشيئة الله عز وجل.

- الدكتور عبدالفتاح الجندي إخصائى الأمراض الجلدية - من الإخوان الأفاضل - ناقش الدكتور محمد أحمد وصفي مناقشة علمية حرة. . ولكنه أخرج الدكتور المحاضر، فأخذوه

وضربوه ستين سوطا (كرباجاً) على رجليه، ثم حبسوه حبساً انفرادياً وأخفوه عن الإخوان.. ثم عاد بعد شهرين إلى إخوانه.

- استدعى الدكتور محمد فتح الله بدران الأخ عبدالمجيد الشاذلي وناقشه، ولكن عبدالمجيد كان أقوى حجة منه وأحرج الأستاذ المحاضر، فأخذوه بعد ذلك وعذبوه وأودعوه في زنزانة وأشاعوا قتله، وبكاه الإخوان كثيراً وصلوا عليه صلاة الغائب واحتسبوه شهيداً.. ولكنه عاد إليهم بعد فترة طويلة.

- آخر المناقشات وأصعبها كانت مع مجدى عبدالعزيز متولى أحد قادة التنظيم.. الذى قال للدكتور محمد فتح الله بدران: إن الإسلام نظام شامل للحياة ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]..

فرد الشيخ المحاضر: إن الله يقول للنبي محمد: يا محمد قل، فالخطاب موجه للرسول وليس للمسلمين!!

فرد عليه الأخ مجدى عبدالعزيز: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فهل هذا الخطاب للنبي ﷺ وحده؟!

فانبهت الرجل أمام هذه الحجة، وألغى المحاضرة وتوعد بالنقاش فى اليوم التالى وحدد بعض الأسماء لمناقشتها منها الأخ المهندس محمد أحمد عبدالرحمن (مهندس متاجم).. فظل هذا الأخ يصلى طوال الليل ويطلب من الله التثبيت فى المواجهة مع الدكتور محمد فتح الله بدران.. ولكن كان اليوم التالى هو يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م.. فاستجاب الله دعاء الأخ محمد أحمد عبدالرحمن ولم يحضر الدكتور بدران.. وكانت الهزيمة النكراء الشنعاة التى قضت على جمال عبدالناصر وجلاديه، فكانت آية الله ومعجزته للعالمين.. وهكذا أحبط الله كيد الكائدين وبطل السحر على الساحر، وانكشفت الغمة.

وبعد هذه الهزيمة بأحد عشر يوماً.. رحل جميع الإخوان من السجن الحربى.

●● مشهور وغسيل المخ:

كان اعتقال مصطفى مشهور فى سجن القلعة، ثم رُحِّل إلى سجن أبو زعبل حيث التقى مع المرشحين من السجن الحربى.. وكان ذلك بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م بأيام، وكانوا لم تصدر ضدهم أحكام.. ثم بعد ذلك رُحِّل إلى سجن طره والذى قضى فيه أيامه حتى الإفراج.

في الفترة ما بين صدور الأحكام وهزيمة يونيو كانت تقام في سجون أبو زعبل ومزرعة طره والحري حلقات ومحاضرات التوعية وغسيل المخ للإخوان المسلمين .

كان مصطفى مشهور في تلك الفترة بسجن أبو زعبل بين إخوانه، وكان قد اعتاد منذ محنة ١٩٥٤م الاتصال بإخوانه بطريقة فردية يحاورهم ويناقشهم ويرسى قواعد ومفاهيم الدعوة ويشرح لهم أركان البيعة ويفصل ويفسر ركن الفهم وأصوله العشرين . . ويستعرض معهم آيات القرآن الكريم ومواقف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة وأزكى التسليم أمام أعدائهم، ويشرح لهم دروس المحن والابتلاءات ودروس الصبر والثبات إلى غير ذلك، وكانت هذه الحوادث بمثابة (الدعوة الفردية) وذلك لإرساء قواعد ومفاهيم الدعوة وإعانتهم على التمسك بها والثبات مع الحق والعزم على حمل أمانتها وواجب أدائها .

وكذلك كان يكتب لهم بعض الخواطر تحت عنوان: (والتقينا في الميعاد) و(انصرفنا على ميعاد) كانت هذه الخواطر في محنة ١٩٥٤م وهي خواطر أسبوعية تحتوي على الزاد الإيماني الذي يعين على حمل أمانة الدعوة، ثم لم تنقطع خواطره في محنة ١٩٦٥م وكانت تحت عنوان (تعرف على شيطانك) .

وكان يعقد لهم أورااد استغفار وحلقات قرآنية ويحيطهم دائماً بجو إيماني وقديسية روحانية عالية . .

كان هذا المجهود الذي بذله مصطفى مشهور بتوفيق الله، عوضاً للإخوان في التصدي للفتن المختلفة المتنوعة التي واجهتهم خلال المحتئين على سبيل المثال: (فتنة التأيد، وفتنة التكفير، وفتنة غسيل المخ . . .)

•• مشهور يرضى أسرته من داخل أبو زعبل،

في الفترة ما بين صدور الأحكام وحتى هزيمة يونيو، كان الإخوان يعيشون وراء الشمس (كما يقول الناس عن كل من سُجن في عهد عبد الناصر)، ولمدة عامين ونصف تقريباً لم يعرف الأهالي عن المعتقلين والمسجونين من الإخوان أي شيء ولا يتمكنون من زيارتهم، فالزيارة ممنوعة والمراسلات أيضاً ممنوعة . فالأخبار مقطوعة تماماً من الداخل والخارج، وكل من في الداخل والخارج لا يعرف شيئاً عن الآخر . ولكن بفضل الله سبحانه وبعد هزيمة ٥ يونيو، سمحت الحكومة للأهالي بالزيارة، سمحت لهم بزيارة شهرية وأخرى أسبوعية، كما سمحت بالمراسلات والخطابات بعد مطالبة الصليب الأحمر الحكومة أن تسمح بذلك لليهود المسجونين .

ولم تكن الحكومة قد رقت قلبها على الإخوان المسلمين فسمحت لهم بهذه الزيارات، وإنما كانت مجبرة ومرغمة. . وتفسيراً لهذا الموقف تلقى الضوء على ما حدث أيام العدوان الثلاثي الذي دمر إذاعة صوت العرب الكائنة في المبنى القديم لسجن أبي زعبل. . ثم قامت الحكومة بتجديد السجن وتجديد الإذاعة أيضاً، ولما كانت مصر تصعد حرب إسرائيل خشيت الحكومة المصرية ضرب الإذاعة مرة ثانية فاعتقلت اليهود المصريين ثم أودعتهم في الطابق العلوي الذي أخلته من الإخوان المسلمين وحشرتهم مع إخوانهم في العتبات الأرضية والطابق الأول بالإضافة إلى الذين اعتقلهم عبد الناصر ممن سماهم بالثورة المضادة والمعارضين لسياسته.

أما رعاية مشهور لأسرته فكانت تتمثل في أمرين:

١- الزيارة: كما قلنا فالزيارة كانت نوعان: أسبوعية تسمى «زيارة سلك» وهي أن يأتي الزائر أو الزوار فيقفون خلف سلك يحجزهم عن سلك آخر يقف خلفه المعتقل والمسافة كبيرة، فلا بد من رفع الصوت مما يصعب التفاهم حينما يكثر العدد فتكثر الأصوات ويزيد ارتفاعها فيحدث ضجيج وصخب. أما الزيارة الشهرية فيتمكن أهل المسجون من الجلوس معه وذلك بعد التفتيش الدقيق الذي يشمل الأجساد وما يحملونه معهم من الأطعمة والأشربة وغيرها.

وكانت أول زيارة في فبراير ١٩٦٨م حيث جاءت أسرة مصطفى مشهور المكونة من: (زوجته وأولاده) وجلست معه. . فإذا بالرجل العظيم والمربي الفاضل يسألهم عن آخر درس في السيرة كان قد توقف وقت اعتقاله في أغسطس ١٩٦٥ حتى يكمل لهم الدرس. . ذلك الدرس الذي بدأه معهم بعد خروجه من محنة ١٩٥٤م في نوفمبر ١٩٦٤م، وتعاهد معهم أن يتدارسوا السيرة وأن يعايشوها، فكان يدارسهم كل يوم بعد صلاة المغرب. . حتى انقطع بسبب اعتقاله واستمر منقطعاً حتى سُمح بالزيارة وجاءت الأسرة، فأراد أن يكمل ويواصل ما انقطع في مدارسة السيرة. . في نفس الوقت كان غيره يسأل أهلهم عن أمور الدنيا ويهتم بها أكثر من أمور الآخرة. . ولله في خلقه شؤون.

٢- الخطابات: لم يكن مصطفى مشهور يكتفى بالزيارة وإنما كان يرعى أسرته بالمراسلة ويتابعهم ويرشدهم وينصحهم ويشاورهم ويشاوروه ويدبر أمر الأسرة من خلال الخطابات، ونحن بهذه المناسبة نقلنا جميع الخطابات التي أرسلها مصطفى مشهور إلى أسرته من كتاب: (حياة مصطفى مشهور- كما عاشتها أسرته) كما يلي:

•• خطابات مصطفى مشهور لزوجته وأولاده (١)؛

خطاب بمناسبة نجاح مشهور وسلوى في الثانوية العامة:

ابنى الحبيب مشهور.. ابنتى الحبيبة سلوى.. أنبتهما الله نباتاً حسناً. تحية من عند الله مباركة طيبة، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وبعد. هذه المناسبة تهيأت لها الظروف لكي أكتب لكم هذا الخطاب مضمناً إياه بعض ما فى نفسى من معانى أحب أن أبثها إليكما، وعشمى أن تجد لها عندكما اهتماماً وتقديراً.

عزيزى مشهور.. حبيبتي سلوى.. وصلنى اليوم تلغرافكما يحمل لى بل لنا بشرى نجاحكما، فسرت به كثيراً وشاركنى هذا السرور كل من معى خاصة أنها أول بشائر النجاح التى وصلتنا هذا العام، وبهذه المناسبة أرى أن من واجبى أن أعرفكما أن جميع أعمامكم الذين معى هنا يحبونكما على البعد ويدعون لكمما ويأملون فى مشهور الشاب الواعى الفاهم لأمر دينه المحافظ على الأخلاق الفاضلة، ويأملون فى سلوى الفتاة المسلمة الواعية الفاهمة لأمر دينها المحافظة على الأخلاق الفاضلة، فكونا أحسن مما يأملون فإن فى ذلك إرضاء لله تعالى ولو الديكما وفوزاً ونجاة فى الآخرة.

أى بنى.. أى بنية.. هذا قليل فى مجال التعبير عما تكته قلوبنا لكما من حب وتقدير وأمل، وبمناسبة النجاح وجب علينا وعليكم أن نتوجه إلى الله العزيز الرحيم بالحمد والشكر والثناء الجميل، فهو سبحانه صاحب الفضل الأول والأخير فى هذا النجاح، ثم نتوجه بالشكر والتقدير للأعمام والأخوال والعمات والخالات على جميل معاونتهم وعطفهم، ثم أتوجه إليك يا مشهور وإليك يا سلوى بالتقدير والتشجيع على ما بذلتما من جهد وحرص فى تحصيل الدروس رغم ما حدث من قدر الله لأبيكما، وطبعاً فى ظرفى هذا.. هديتى التشجيعية إليكما أن يصلكما خطابى هذا يحمل لكما حبى وسرورى ورضائى عنكما ودعواتى لكما، ثم ما يحمله من توجيه أرجو أن يكون أنفع لكما من آلاف الهدايا المادية، حقاً يا مشهور ويا سلوى.. أنا سعيد بكمما وسرور بنجاحكما وأرجو أن تزداد سعادتنا ويزداد سرورنا باللقاء القريب إن شاء الله.. فصبر جميل.

وليكن فى علمكما أن فرحى وسرورى رغم كونه عظيماً فإنه صغير بجانب فرحى والذى أحب أن أفرحه عندما يصلنى نبأ آخر، بل صورة عنكما، صورة عن فهمكما للإسلام، صورة عن فهمكما لعقيدتكمما، صورة عن تصرفاتكمما المتصفة بروح الإسلام، صورة عن

(١) نقلا عن كتاب: حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته.

أخلاقكما الإسلامية، أريد أن أحس ويصلني ما يطمئن عن تحقيق هذه المعاني فيكما، أريد أن أرى فيك يا مشهور النموذج الصحيح للشباب المسلم الذي نشأ في عبادة الله، وأرى فيك يا سلوى النموذج الصحيح للفتاة المسلمة التي تنشئ بيتاً مسلماً، هذا هو الذي يسعدني حقاً، وهذا ما أحب أن تفتحاه له قلوبكما وتشغلاه به ذهنيكما ولا يهدأ لكما بال حتى يتحقق فيكما .

إن الرجل أو المرأة ليس بالمنظر والهيئة أو الجمال والقبح ولا بالانتساب إلى عائلة كبيرة ولا بالحصول على الشهادات العالية أو غير العالية، فهذه الأمور في الدرجة الثانية، ولكن الذي في الدرجة الأولى هو التقوى، هو دين الرجل ودين المرأة .

والدكما

٢- خطاب إلى مشهور بمناسبة سفره إلى ألمانيا للدراسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابني الحبيب مشهور.. أحييك بتحية الإسلام تحية من عند الله مباركة طيبة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ثم يقف القلم لحظات حائرة عاجزة عن التعبير، أيكفي أن أقول تقبل سلامي وأشواقي وتمنياتى الطيبة، إنها عبارة غير مشبعة ولا تشفى الصدر، فالقلب ملئ بالمشاعر والأحاسيس والحب والعاطفة والأمل والرجاء بما لا يستطيع قلم أن يعبر عنه، كما أن بُعد الأمكنة ويُعد الأزمنة والظروف التي نعيشها والظروف التي أعيشها، كل ذلك أضفى على المعاني السابقة جواً جعلها تتضاعف وتزداد. لذلك لندع الأرواح والقلوب المتصلة والحمد لله هي التي تعبر عن ذلك كله بلغتها التي لا تحدها معاني الألفاظ أو مساحة الورق .

أى بنى -وأنت الابن الوحيد كما تعلم- فيك يتركز الأمل أن تكون الذكرى الطيبة والامتداد الجميل لوالدك، قد يكون مرّ بخاطرك هذا المعنى قبل ذلك ولكنى الآن أطلب منك أن تقف عنده وتفكر فيه طويلاً وتعيشه بكليتك وتحسس أبعاده وتكاليفه ومتطلباته، ثم تأخذ نفسك بقوة وعزم في تحقيق هذا الأمل الذي يعتبر من أهم مصادر سعادتي وأنا في مكاني هذا وطول ما بقى من حياتي وبعد مماتي، وما أسعدنا لو قدمنا من العمل ما يجمعنا به الله في الفردوس الأعلى بعد أن حالت أقدار الله -وهي كلها خير- دون اجتماعنا معظم حياتنا في الدنيا والحمد لله من قبل ومن بعد. لم تكن تعرف من الألفاظ إلا بابا وماما حين بدأت حياتي التي أعيشها حتى الآن، فلتقدر ذلك جيداً، وكن عند حسن ظني بك، وأول ما تجعله موضع اهتمامك هو

إسلامك الذى تشرفنا بالانتساب له، صلتك بربك، شعورك براقبته لك ورعايته لك وتفضله عليك، استقامتك على أمر الله، صلاتك بخشوعها فى أوقاتها، صومك بروحانيته ونقاته، قرآنك ودوام قراءتك فهو خير أنيس وخير زاد، سلوكك وأخلاقك الفاضلة التى تعصمك من أى فساد حولك، تفقهك فى أمور دينك، فمن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، ثم اهتمامك بدراستك وصحتك، وتحمد الله كثيراً وتدعو بالخير لكل من عاون فى تيسير هذه الفرصة لك لتتم دراستك، فكن أهلاً لهذا الاهتمام، وقد سرنا جميعاً نجاحك فى الفترة العملية فنهني ونبارك وتدعو لك بالتوفيق والنجاح، وتدعو لك لدوام الاهتمام ومضاعفته فى المرحلة الجديدة، والله معك، ولعلك تعذرني فيما يتصل بالخطابات والبركة فى الوالدة الفاضلة والأخوات الحبيبات، وإنى أذكرك دائماً وأدعو لك دائماً وخاصة أيام ١٣، ١٤، ١٥، من كل شهر عربى وأحب أن أسمع عنك كل خير، واجعل توصياتى لك نصب عينيك فهماً وتطبيقاً واستعن بالله. تحيات وسلامى وتمنياتى وشكرى لخالك العزيز وزوجته الفاضلة وأنجاله الأعزاء، وإلى لقاء نسعد به جميعاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الاثنين ١٧ رمضان ١٦ نوفمبر..

والدك

٣- خطاب إلى مشهور به نصائح غالية وإرشادات صادقة وتوجيهات حازمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أول ما أذكرك به: ألا يغيب عن خاطرك لحظة، رسالتك فى هذه الحياة والغاية التى خلقت من أجلها وقد حددها الله بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]، هذه هى الغاية وكل ما عداها وسائل تعين على تلك الغاية، ولكن كثيراً من الناس جعلوا هذه الوسائل غايات وجعلوا الدنيا ومتاعها أكبر مهمهم ومبلغ علمهم، وهؤلاء ما لهم فى الآخرة من نصيب: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نَفْسٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْجَسُونَ﴾ [١٥] أو تلك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النارُ وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴿ [هود: ١٥، ١٦] فما أحوجك إلى تذكر هذا المعنى فى هذا البلد الذى ستعيش فيه، وأهله بعيدون عن اعتقادنا وحياتهم مادية بحتة.

لأول مرة ستجد نفسك في بلاد مغايرة للبلاد التي نشأت فيها، فقد نشأت وتنقلت بين بلاد طابعتها الإسلام إلى حد ما وفيها معالم وتقاليد وأمور تذكرك بدينك وعقيدتك، بالمساجد والأذان وتحية الإسلام وتلاوة القرآن والصلاة والصوم وغير ذلك، كل هذه المظاهر سوف لا توجد هناك إلا نادراً، وستجد أماكن ومظاهر تدعو إلى الفساد، وهنا تكون قوة شخصيتك في المحافظة على إيمانك وشخصيتك الإسلامية المتميزة مستعيناً بالله، ولا تترك نفسك تتميع وتدوب في هذا المجتمع الجديد عليك، واعلم أن الأجر يُضاعف لك بقدر ما ينتزل من جهد وصبر في سبيل المحافظة على كيانك الإسلامى النظيف ومنزلتك السامية فوق هؤلاء الناس جميعاً.

لا تنس مكانتك في هذا الجو الجديد وما تميزت به عنهم من شرف وفخر، شرف انتسابك إلى الإسلام الحنيف ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وشرف الأستاذية على هذه البشرية بهذا الإسلام ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وشرف انتسابك إلى أمة محمد عليه السلام؛ هذا النبى الأمين، وشرف انتسابك إلى العربية لغة القرآن الكريم، وشرف انتسابك إلى أسرة من أعرق الأسر وأكثرها محافظة على دين الله، ثم من والدين يفخران بنعمة الله عليهما وما خصهما به من حياة وصبر على كل ما يلاقونه فى سبيل الله، وادكر جيداً هذه الأوسمة الرفيعة الغالية التى تحملها وتعزز بها، وحادر أن تدنسها أو تقف بها فى موضع لا يليق بها. ومن يدرى متى وأين سيكون لقيانا فكن خير سلف، واعمل على أن يكون لقاؤنا فى الجنة إن حيل بيننا وبين لقاء الدنيا. . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. دينك وشرفك وعرضك ونسبك وأخلاقك، حافظ عليها بكل ما أوتيت من قوة، فهذه كنوز لا تعوض بمال. يلزمك فى هذا الجو الجديد كثير من الدقة والانتباه، وعليك أن تتحرى الحلال الطيب والبعد عن الحرام الخبيث، وعن كل ما فيه مجرد شبهة، وذلك فى كل أمورك، من مأكول ومشرب وملبس، وفى كل ما ترى وتسمع وتقرأ وما تفعل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ولا ترخص فى شيء من ذلك واستشعر، ولا تنتظر من ينبهك إلى مواعيد الصلاة، بل تكون أنت الذى تتحرى أوقاتها وتصليها فى وقتها ولا تستمرى أن تفوت فرضاً ولو مرة واحدة، فهذا حق الله الذى خلقك وأنعم عليك من نعمه. وهى خير عون لك فى

حياتك ، هذه إذا أدبتها بخشوعها وطهارتها ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

ولا تنس أن تربط نفسك بكتاب الله الكريم ، فهو جبل الله المتين والعروة الوثقى ، وهو خير أنيس في وحدتك تجد فيه الراحة والهدوء والأمن والسكينة والزاد ، كما يجب أن تكون لك صلة ببعض الكتب الدينية تزداد منها معرفة وصلة بدينك الذي هو أهم شيء لك في حياتك .
اهتم بأخلاقك واجعلها صورة صادقة للخلق المسلم ، سينظر الناس إلى الإسلام من خلال تصرفاتك وأخلاقك ، فكن صورة مشرفة ناصعة للإسلام ، واهتم بثقافة فكرك وسعة أفقك ، واهتم بصحتك وقوة بدنك ولا تهمل في ذلك ، ولاحظ اختلاف الجوارح .

أوصيك أن تعامل الناس معاملة حسنة لتتهيئ لنفسك جوارحاً خالياً من المتاعب ، مع اليقظة التامة ، فليس معنى ذلك أن تتورط في علاقات أو صداقات توصل إلى المشاركة في جوهرهم وأسلوبهم في الحياة والوقوع فيما يغضب ربك . فكثيراً ما تكون هذه العلاقات قيوداً ومعوقات دون القيام بحقوق الله كاملة ، فاحذر من ذلك جيداً وخاصة في فترة المعهد الداخلي ؛ حيث تعيش مع غيرك حياة قريية ، فحافظ على سمعتك ووجودك الذاتي الخاص مستعيناً بالله ولا تجامل ولا تستحى في الحق . ولا تقبل مبدأ المشاركة في أي عمل يغضب الله مهما كان صغيراً ، خاصة وقد يكون جو العمل والعمال له ظلال من الانحراف أو سوء الأخلاق ، فكن حذراً .

أكرر ما قلته لك من التركيز والاهتمام بالدراسة والاستفادة نظرياً وعملياً ، فهذه فرصتك الأخيرة وهي فرصة لا تعوض ، فلتنكس همتك أن تحصل على هذا المؤهل مع كفاءة ممتازة كي تشق طريقك في الحياة في عزم وثقة وقوة إن شاء الله . وتنتهي هذه المرحلة لتبدأ المرحلة التالية وهي العمل وإنشاء البيت المسلم السعيد إن شاء الله . نريد أن نسمع عنك كل خير وأنت تعلم مقدار سعادتى وأنا في مكاني كلما علمت أنك على خير واستقامة واستفادة .

كما أنك لم تنس اهتمام والدتك بك والحيز الذي تشغله أنت من نفسها ، وأوصيك أن تحسن الاستعانة بالله في كل أمر وكل ما يعترضك من مسائل أو مشاكل ، وتقول : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، ورب يسر وأعن يا كريم ، مستشعراً أن الأمر كله لله ، وأنه لا حول لك ولا قوة إلا بالله ، فتلجأ إليه دائماً بالصدق والإخلاص ، وتواضع لله ليطلع منك على وجه صادق لنيل رضاه . فتفوض له الأمر ، وتتوكل عليه ﴿ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

أحب أن ألفت نظرك ألا تبهرك تلك المدينة أو التقدم بحيث تستصغر شأن عقيدة أمتك، فهي مدينة أصلها مستمد من حضارة المسلمين، وفضل المسلمين عليهم في ذلك معروف، وإن عظمة الأمم بعقيدتها أولاً وليس بهذه المظاهر. إننا نتعلم منهم هذه العلوم الفنية التجريبية فقط، أما ما يتصل بعاداتهم وعقائدهم وأخلاقهم وفلسفتهم فغير مقبولة عندنا، فقد أغنانا الله بهذا الإسلام العظيم. ثم أوصيك أن تتقى فتنة النساء أو أن تقع في شباكهم، فإن فتاة واحدة كفيلاً أن تدمر حياتك ومستقبلك، بل وأخرتك أيضاً. فابتعد عن مجالهن، فمجرد القرب منهن عندهما ما قد يوصل إليه من الإثم، وعليك بالصوم ولو ثلاثة أيام من كل شهر عربى ولتكن أيام ١٣، ١٤، ١٥ إذ تكون بذلك على موعد بذكر تتحصن به من كل شيء، فعليك بصومها. واملِك عليك شهوتك:

صاحب الشهوة عبد فإذا ملك الشهوة أصبح ملكاً
أوصيك بالاعتصام في المعيشة، واقتصر على الضرورات فقط، وأحتم الوصية بأن تذكر الله كثيراً ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والداعية مصطفى مشهور

٤- خطاب إلى وفاء يوصيها بالمشاركة في الإذاعة المدرسية:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابنتي الحبيبة وفاء.. أبعث إليك بتحية مباركة من عند الله، فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته. سلامي وأشواقى إليك وإلى الوالدة الفاضلة والحبيبة سلوى والعزيزة سمية، متعمك الله جميعاً بعفوه وعافيته وبالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، وحب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان.. اللهم آمين.

سلامي إلى منزل عمكم عبد اللطيف، وتحياتي لهم وإلى باقى أعمامكم وأعمالهم وإلى عماتكم وأخوالكم وخالاتكم وأعمالهم. إننى بخير والحمد لله ووصلنى خطابكم وأرجو أن يتحقق ما فيه من الفرج القريب. وسرني اهتمامكم بالدراسة؛ أسأل الله لكم التوفيق والنجاح. وأسأل الله التوفيق والفوز لسمية في مسابقة القرآن نفعها الله لهذا الحفظ ويسره لها، أرجو أن تستشعروا معيتكم مع الله في كل لحظة وأنه مطلع عليكم ويرعاكم ويحفظكم ويبارك لكم وفيكم:

كن مع ربك لحظة بلحظة تزداد بركة وترضى ضمير
واقرا كتاب الله سبحانه تفهم أمره بدون تفسير

حياتك ، هذه إذا أدبتها بخشوعها وطهارتها ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

ولا تنس أن تربط نفسك بكتاب الله الكريم ، فهو جبل الله المتين والعروة الوثقى ، وهو خير أنيس في وحدتك تجد فيه الراحة والهدوء والأمن والسكينة والزاد ، كما يجب أن تكون لك صلة ببعض الكتب الدينية تزداد منها معرفة وصلة بدينك الذي هو أهم شيء لك في حياتك .
اهتم بأخلاقك واجعلها صورة صادقة للخلق المسلم ، سينظر الناس إلى الإسلام من خلال تصرفاتك وأخلاقك ، فكن صورة مشرفة ناصعة للإسلام ، واهتم بثقافة فكرك وسعة أفقك ، واهتم بصحتك وقوة بدنك ولا تهمل في ذلك ، ولاحظ اختلاف الجوارح .

أوصيك أن تعامل الناس معاملة حسنة لتتهيئ لنفسك جوارحاً خالياً من المتاعب ، مع اليقظة التامة ، فليس معنى ذلك أن تتورط في علاقات أو صداقات توصل إلى المشاركة في جوهرهم وأسلوبهم في الحياة والوقوع فيما يغضب ربك . فكثيراً ما تكون هذه العلاقات قيوداً ومعوقات دون القيام بحقوق الله كاملة ، فاحذر من ذلك جيداً وخاصة في فترة المعهد الداخلي ؛ حيث تعيش مع غيرك حياة قريية ، فحافظ على سمعتك ووجودك الذاتي الخاص مستعيناً بالله ولا تجامل ولا تستحى في الحق . ولا تقبل مبدأ المشاركة في أي عمل يغضب الله مهما كان صغيراً ، خاصة وقد يكون جو العمل والعمال له ظلال من الانحراف أو سوء الأخلاق ، فكن حذراً .

أكرر ما قلته لك من التركيز والاهتمام بالدراسة والاستفادة نظرياً وعملياً ، فهذه فرصتك الأخيرة وهي فرصة لا تعوض ، فلتنك همتك أن تحصل على هذا المؤهل مع كفاءة ممتازة كي تشق طريقك في الحياة في عزم وثقة وقوة إن شاء الله . وتنتهي هذه المرحلة لتبدأ المرحلة التالية وهي العمل وإنشاء البيت المسلم السعيد إن شاء الله . نريد أن نسمع عنك كل خير وأنت تعلم مقدار سعادتى وأنا في مكاني كلما علمت أنك على خير واستقامة واستفادة .

كما أنك لم تنس اهتمام والدتك بك والحيز الذي تشغله أنت من نفسها ، وأوصيك أن تحسن الاستعانة بالله في كل أمر وكل ما يعترضك من مسائل أو مشاكل ، وتقول : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، ورب يسر وأعن يا كريم ، مستشعراً أن الأمر كله لله ، وأنه لا حول لك ولا قوة إلا بالله ، فتلجأ إليه دائماً بالصدق والإخلاص ، وتواضع لله ليطلع منك على وجه صادق لنيل رضاه . فتفوض له الأمر ، وتتوكل عليه ﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

أكتب إليك هذا الخطاب ولعله يصلك بعد تمام عقد القران ليحمل إليك تهنتى الخاصة من أعماق قلبى وقد بعثت قبل هذا بخطاب لعله وصلك من قبل وذكّرت فيه ببعض المعانى الإسلامية حول الزواج وكيف تتحقق السعادة الزوجية باتّباع الشرع، والشقاء بالبعد عنه، وذكّرت فيه بالسلوك الواجب فى الفترة بعد الكتاب حتى الزفاف وقلت إن ما يترتب على الزواج من حقوق ومباحات لا تكون إلا بعد تمام الزواج، ولا يكون الزواج تاماً إلا بالدخول «أى الزفاف» فيراعى ذلك فى خلق طيب وذوق رفيع وأدب حسن مع تنمية الثقة بينكما وتبادل الرأى فى أى أمر يتصل بحياتكما المستقبلية، مع مراعاة عدم انفردكما فى لقاءاتكما والعمل على الانتهاء من التجهيز والسكن لإتمام الزفاف فى أقرب وقت، هذا ما ذكرت فى خطابى السابق خاص بهذه الفترة أحببت أن أرسله إليك مرة أخرى عن هذا الطريق لعله أضمن فربما لا يكون قد وصلكم الخطاب السابق. فعليك أن تراعى ذلك فهو الخير كل الخير دون التورط فى أى شىء ونحن كمؤمنين ننظر إلى الفترة بين الكتاب حتى يتم الزفاف على أنها غيب لا ندرى ما الله صانع فيه، فيدفعنا ذلك إلى المحافظة وعدم التهاون، فالعرض كالزجاج يوجب الدقة فى السلوك. هذا وإذا بدا لك أى أمر تريدن الاسترشاد فيه فأنا رهن الإشارة.

وختاماً أكرر تهنتى وسلامى وأشواقى وقبلاى إليك، وأبعث بتمنياتى الطيبة لك بالتوفيق والتيسير، وإلى لقاء قريب بإذن الله تعالى. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. .

والدك/ مصطفى مشهور

أبريل ١٩٦٨م

٧- خطاب إلى الزوجة وبناتها وزوج ابنته سلوى:

بسم الله الرحمن الرحيم

زوجتى الفاضلة، ابنتى سلوى وزوجها الفاضل، ابنتى وفاء وسمية: تحية من عند الله مباركة طيبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سلامى وأشواقى وتمنياتى الطيبة لكم جميعاً. وأرجو أن تكونوا بخير حال، سعدت بزيارتكم والجو الروحى الجميل الذى كان يفيض من وجوهكم وأرواحكم، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، سلامى إلى جميع أفراد العائلة هنا وبالبلدة، وأرجو أن تكونوا بخير حال. طبعاً الوقت صار غالباً فالامتحان يقترب ونسأل الله لكم التوفيق والنجاح، شكراً على القماش والصوف الأبيض وكذلك الكرة، ولماذا لم تصلنى منكم خطابات من بعد الزيارة حتى الآن. وهل

سلوى ذهبت للدكتور كما بعثت لكم . وما النتيجة ، وطبعاً الهدايا الثلاث : واحدة لسلوى والثانية لسمية والثالثة لمنزلنا . ولعل من المفيد أن تستفيدوا منها في معاهدكم الفترة الباقية من الدراسة في مكان مناسب ثم تحضرونا عند انتهاء الدراسة أو قبل ذلك ، كما ترون ، وإن شئتم إعداد هديتين مكتوب عليهما الإهدا منكم لكل معهد ليحلا محل هاتين فيما بعد . وأسرد إليكم هذا الحديث الجميل لتستفيدوا منه :

أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة الناس إليك . . . إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء فأمننا بك وبإهلك . إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وأن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم ، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : «هل سمعتم امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا . فالتفت النبي ﷺ إليها فقال : أفهمي أيها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك . (معنى تبعل المرأة زوجها طاعتها له) (١) . . . وختاماً أكرر توصيتي لكم بالاهتمام بالمذاكرة وإرسال الخطابات ، وإني دائم الدعاء لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والدكم مصطفى مشهور

الأحد ٢ صفر ، ٢٨ مارس .

٨- خطاب إلى الزوجة يرشدها فيه إلى توجيه الأولاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

زوحتي القاضلة :

تحية من عند الله مباركة طيبة فسلام الله عليك ورحمته وبركاته وبعد فإني أحمد الله وأسأله تعالى لي ولك الصبر والإيمان والرضا والتسليم وحسن التوكل على الله والإنابة والتفويض إليه .

(١) موضوع لا أصل له وليس بحديث وقوله : [أن حسن تبعل المرأة لزوجها . . .] ضعيف جداً ، وذكر ذلك ابن حبان في المجروحين ٥٠٦/٨ والكامل في الضعيف ٧٨٢/٢ ، وابن الجوزي في الموضوعات ٤٨١/٢ ، والهشمي في مجمع الزوائد ٣٠٨/٤ .

وبعد..

أبعث بسلامى وتحياتى لك وللأنجال وللحبيب الحاج عبد السلام أكرمه الله وأعانه وأهل منزله جميعاً وباقى إخوانك وأخواتك وأزواجهم وزوجاتهم وأنجالهم وإخوانى وجميع العائلة، وأرجو تبليغ سلامى وتحياتى للست زينب والست وفيه وأزواجهم وأنجالهم وتمنياتى الطيبة لهم جميعاً، وسلامى للدكتور جلال وتحياتى له وزوجته الفاضلة ونجله وشكرى لهم جميعاً، وأرجو الله الرحمة والمغفرة والرضوان للست الحاجة نبوية وقد أرسلت خطاباً قبل هذا معزياً لعله وصل.

وصلنى خطاب كتبه الأنجال وهم فى القاهرة قبل سفرهم، وأسأل الله التوفيق والنجاح لسمية فى امتحانها، وقرأت اليوم أن نتيجة القبول بالمعهد ستظهر يوم الأحد القادم ٩/٦ عسى الله أن تكون من المقبولات.. آمين، وهل معمول ترتيب التحاقها بالثانوى العام كاحتياطى أم لا؟ أرجو أن تقضوا إجازة هادئة طيبة بين الأهل والأحباب - لا حرمكم الله من بعض - وصبراً بالنسبة للزيارة وكل شىء عنده بمقدار. وعسى الله أن يأتى بالفرج والأمل فى الله كبير.

أرجو أن يستفيد الأولاد من وقتهم فيحفظوا القرآن ويقرأوا كتباً، وطبعاً لست فى حاجة إلى توصية بالنسبة للصلاة والملابس، هل علمتم ترتيب قبول سمية فى حينها أم لا، أرجو إفادتى حين تظهر.

لعل انشغالكم على قد زال والحمد لله، فاطمئنوا، فإنى وأنتم فى رعاية الله وحفظه إن شاء الله، وأعجبتنى دعوة لك فى خطاب سابق قولك: [كان الله معك] فقيها الغنى والكفاية وأنا أيضاً أقول: كان الله معكم، وطبعاً لا بد أن يكون مفهوماً أن الدنيا أصلاً ليست دار نعيم وراحة وإقامة، ولكنها دار امتحان وابتلاء، فنوطن أنفسنا على الصبر والرضا بأقدار الله التى يجريه علينا، ففيها الخير إن شاء الله إن صبرنا ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وعليكم بالدعاء.. الحوا على الله بالدعاء وتدخر فدعوة المظلوم مستجابة إن شاء الله وإجابة الدعاء إما تعجل أو تؤجل وتدخر إلى يوم القيامة، وحين يرى المؤمن يوم القيامة ما ادخر له من هذه الدعوات يتمنى لو أنها كلها ادخرت.

المهم ألا تياسوا من رحمة الله واطمئنوا إلى عدل الله ورحمته ولا تتشغلوا عن عبادة الله وذكره فهذا هو الزاد فى الآخرة إلى جنة الله إن شاء الله... بناتى الحبيبات أرجو أن تكن قدوة حسنة لغيركن ومن المهم أن يكون امتثالكن لشرع الله فى أمور حياتكن مقصوداً به وجه الله وطاعته وليس حمد الناس وثناءهم عليكن وإلا ضاع أجركن وثوابكن عند الله، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه سبحانه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ولعلكم تذكرون أن بدء سن التكليف له أهميته الكبرى، فبعد أن كان الملكان لا يسجلان شيئاً من أقوال الكن أو أفعال الكن أو على الأقل لا يسجلان ما يصدر منكن من سيئات، فمذ بدء سن التكليف فكل قول أو فعل مهما صغر مسجل ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ولا تستصغروا ذنباً ولا تحقروا معروفاً ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ومن جميل ما قرأت: أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟^(١) (والمقصود منها أن الإنسان لا يستصغر أى معروف).

ومن جميل ما قرأت أيضاً قول الشافعي يصف الدنيا:

نصبت لنا الدنيا زخارف حسنها	مكراً بنا وخديعة ما فترت
وهى التى لم تحل قط لذائق	إلا تغير طعمها وتمردت
خداعة بجمالها إن أقبلت	فجاعة بزوالها إن أدبرت

أعاذنا من خداعها ومكرها ونجانا الله من فتنها وتوفانا مسلمين وألحقنا بالصالحين . وبعد . . أختم خطابي هذا مستغفراً لله لى ولكم وأرجو أن تكررُوا قراءته وتجهدوا للاستفادة بما فيه، نفعنا الله بما نكتب وبما نقرأ وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وأرجو أن يصلنى منكم خطاب قريب تفيدوننى فيه بوصول هذا الخطاب إليكم بأن تقولوا وصلنا خطابك الذى ذكرتنا فيه ووعظتنا فيه، نفعنا الله وإياكم، وأكرر سلامى وتحياتى للجميع . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زوجك ووالدكم

مصطفى مشهور

الأربعاء رجب ١٣٩٠هـ - ٢ سبتمبر ١٩٧٠م .

سلامى إلى عزت كثيراً وأسأل الله له النجاح فى امتحانه، ولعل سامية وجهاد قد أنما عملية اللوز بنجاح شفاهما الله، وسلامى إلى والديهما وإخوتهما، وسلامى إلى أحمد على والده وإخوته وما أخبار نتيجته وسلامى إلى صفاء وزوجها وابنته .

(١) رواية ضعيفة موقوفة - رواها المنذرى بغير سند فى الترغيب والترهيب ٦٠ / ٢ وأوردها الألبانى فى ضعيف الترغيب برقم ٥١٥ وحكم بوقفها .

●● الانفراج قبل الإفراج (١):

فى شهر أبريل ١٩٦٨ صدر قرار بترحيل الإخوان المعتقلين والمسجونين بسجن أبى زعبل ترحيلاً جماعياً إلى مزرعة طره . . وكانت الزاوية الحادة التى تطوق بالإخوان المسلمين ، حيث التعذيب والتنكيل قد انفرجت قبل شهرين من صدور هذا القرار . . وازداد إنفراجاً فى سجن مزرعة طره باستمرار الزيارات والسماح بالأطعمة والمراسلات وغيرها ، وقبل ذلك وبعده بوقف التعذيب والتنكيل ، فالحكومة قد استيشت من الإخوان المسلمين بالرغم ما حدث لهم من شروخ وصدوع فى صرحهم بتعدد الفتن والمحن خصوصاً فتنة التأييد وفتنة التكفير ، لقد استيشت الحكومة بعد أن استنفدت كل ما فى جعبتها من كيد وحرب ومجادلات متنوعة لإبادتهم ومحوهم من الخريطة الاجتماعية والسياسية بل والإنسانية بكاملها !! فأرادت بهذا القرار عزلهم وتركهم داخل مزرعة طره إلى الأبد! . . ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمُ وَيَأْتَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] . فأراد الله تبارك الله تعالى لهم الخروج والإفراج بعد أن أخذ الطاغية جمال عبد الناصر ، وبدأ الإفراج فى يونيو ١٩٧١ م .

●● مشهور يغتنم الانفراج:

انتقل مصطفى مشهور مع إخوانه من سجن أبى زعبل والتقى بإخوانه فى سجن مزرعة طره فى سرور وبشر تغمرهم الفرحه والسعادة بهذا اللقاء الذى أنعم الله به عليهم جميعاً . . ذهب مصطفى مشهور ليكمل ما كتب الله تعالى له من أيام داخل السجون والمعتقلات . . ولكنه كعادته وكما عهدته الإخوان صامتاً صابراً هادئاً محتسباً عاملاً فى صمت وخفاء . . يقول أحد المعاصرين له فى تلك الفترة : كنا نرى مصطفى مشهور وأحمد الملط وحسنى عبد الباقي يجلسون صباح كل يوم فى فناء السجن يتبادلون قراءة القرآن عن ظهر غيب ، وكنا نضبط عليهم الساعة العاشرة صباحاً فتعجب من حرصهم والتزامهم بالوقت المحدد . . وكان مصطفى مشهور يحمل مسبحته ويسير بين إخوانه لا تفارقه الإبتسامة . ولما شعر مصطفى مشهور بهذه النعمة (نعمة الانفراج) وأيقن أن الله تبارك وتعالى أراد خيراً لهم بهذا اللقاء وهذا الانفراج . . وأن هذا الانفراج لا بد وأن له علاقة بالإفراج . . عزم على اغتنام هذه الفرصة التى هياها الله لهم . . فماذا فعل مصطفى مشهور؟! . .

(١) حوارات مسجلة مع بعض المعاصرين الذين حدثت معهم هذه الدروس التربوية منهم : [عبد المحسن الشرقاوى - ماجد عبد العزيز - د . رشاد البيومى] .

وجه تركيزه إلى الشباب وأدرك أن الشباب هم عماد النهضة بالنسبة للأمة المسلمة وسر قوتها وحاملو راية فكرتها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣]. وأن من خصائص الشباب: الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل، وذلك لأن قلوب الشباب ذكية وأفئدتهم تقية وشعورهم قوى وعزمهم فتى . . .

لقد وعى مصطفى مشهور الدرس من إمامه وأستاذه الإمام الشهيد حسن البنا عليه رحمة الله وما قاله عن الشباب في رسالة [إلى الشباب] وكيف كان يتعامل مع الشباب وأن دعوته قامت على أكتاف الشباب، تماماً كالدعوة الأولى في عهد سيد البشر عليه الصلاة وأزكى السلام. فبدأ الاتصال بالشباب اتصالاً فردياً شخصياً، ففى طابور الصباح تجدد معه شاباً بالقرب منه، وبعد الطابور يأخذ آخر ويمشى به داخل حوش السجن بجوار السور، ويجلس مع ثالث بعد الصلوات وهكذا، وكان يستمر مع الواحد منهم كل فى المكان المحدد والموعود المحدد مدة تتراوح بين الأسبوعين والثلاثة أسابيع، ثم يبدأ مع غيرهم وهكذا . . .

كان يشرح لهم رسالة التعاليم ويركز فيها على الأركان وخصوصاً ركن الفهم، كما يشرح لهم مقومات رجل العقيدة وهى إصلاح الفرد لنفسه حتى يكون قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً فى شئونه، نافعاً لغيره، ويعلمهم أن ذلك واجب كل أخ على حدته . . .

كما كان يحثهم ويعلمهم كيف يكون الصبر والثبات فى المحنة، ويعلمهم أن المحن سنة من سنن الدعوات وأنها لا تضر بالدعوة ولا تعوقها ولا تقضى عليها مهما طال . . . وأن المحن ظاهرها ضر ولكنها تحمل فى طياتها الخير، فهى منح فى صورة محن، فالله تبارك وتعالى لا يريد بدعوته ودعواته إلا الخير بكل ما يجريه عليهم . . . وأن فترات المحن ليست ميتة ولا ضربات قاضية ولكنها فترات حية وقوة دافعة للسير على طريق الدعوة فى قوة وثبات . . . وكان يعلمهم أن المحنة لا تهدم البناء وتجعله ركاماً . . . ويعمق فهمهم فى الإعداد للبناء . . . وبهذه المناسبة شرح لهم كيف يكون إعداد اللبنة المتينة للبناء وشبه لهم هذا الإعداد أى إعداد الأفراد فى الدعوة، شبهه بل القمينة^(١).

وفى الجانب الروحانى كان يربيههم على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، ويعلمهم كيف يكون الإخلاص، ويدربهم على المداومة على الأذكار والأوراد وقيام الليل والنوافل، وكان

(١) سذكرها بالتفصيل فى باب (مشهور ورسائل البنا)، ونحن نتكلم عن ركن الفهم حيث جعلنا هذا التشبيه نظرية علمية فى فقه الدعوة لمصطفى مشهور .

يشهم من ربانيته ويقوى هذا الجانب لديهم . . . ببعض المواقف أو القصص ، كالقصة التي توضح الأثر الطيب للربانية في ظروف المحن والابتلاءات التي يتعرض فيها المؤمن للإيذاء والسجن والتعذيب والقتل . . . وهي قصة حدثت لأحد الإخوان المعاصرين .

يقول مصطفى مشهور : « كان هناك حاكم ظالم مستبد ، وقد ضاق برجل صالح ، فأراد أن يعتته ويغيظه ، ويجعله فى غم وهم ، فأمر بحبسه ، ثم بعث بعد أيام قليلة بمندوب له إلى السجن ، لينقل له ما عليه هذا الرجل الصالح من غم وكرب ، كى يشفى صدره . فلما ذهب المنذوب ، وجد الرجل الصالح فى محبسه آمناً مطمئناً ، فرحاً مسروراً ، فدهش لذلك ، وسأله وقال له : المفروض أن تكون مهموماً مكروباً ، فإذا بك مسروراً ، فما السبب وراء ذلك ؟

فقال له الرجل الصالح : إنى أتناول كل يوم دواءً مكوناً من سبعة عناصر ، يجعلنى كما ترى . . . فقال : وما هو هذا الدواء ، وما هى تلك العناصر السبعة ؟

- قال : العنصر الأول :

هو الثقة بالله ، فإنى أثق بالله ثقة مطلقة . تجعلنى أطمئن إلى أن كل ما يقدره الله على خير لى ، وإن بدا أنه شر : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

- أما العنصر الثانى :

هو أنى أعلم أن أقدار الله نافذة ، ولا مفر منها ، وأنه لا راد لقضائه ، فواجبى أن أرضى بقضاء الله ، ولا أتبرم منه .

- والعنصر الثالث :

هو أن ما أنا فيه امتحان من الله ، وأن النجاح فيه يكون بالصبر والاحتساب ، والأمل الكبير فى أن الله سيعوضنى عن ذلك خيراً ، سواء فى الدنيا أو الآخرة ، وبهذا يذهب عنى الضيق والقلق ، وأمارس فى محبسى عبادتى ونومى وطعامى فى راحة واطمئنان .

- وأما العنصر الرابع :

فهو إن لم أصبر فماذا يفيد الجزع ؟ والإجابة على هذا التساؤل واضحة ، وهى أن الجزع سيزيد الهم همماً ، والكرب كرباً ، ويجعل صاحبه فى اضطراب وقلق ، ولا يحلوه نوم أو طعام أو عبادة .

- والعنصر الخامس:

هو ربما تعرضت إلى بلاء أشد مما أنا فيه، فأحمد الله على ما أنا فيه، وقيل في الأمثال:
«من رأى بلاء غيره هان عليه بلاؤه».

- أما العنصر السادس:

هو أن مصيبتى ليست في ديني: حيث إن المصيبة الحقة تكون في الدين، بأن يكون الإنسان على ضلال أو فسق أو كفر، أما ما عداها من مصائب، في مال، أو ولد، أو بدن، فكلها هينة، بجانب مصيبة الدين وآثارها. لذلك نجد رسول الله ﷺ يرشدنا في الدعاء فنقول:
«اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» رواه الترمذى: ٤٩٣/٥ رقم: ٣٥٠٢^(١).

- والعنصر السابع:

هو أننى في انتظار فرج الله بين لحظة وأخرى، فالأمور كلها بيد الله، ودوام الحال من المحال: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومن المعانى الربانية التي كان يذكر بها الشباب قصة أخرى يروونها لهم فيقول: «كنا ننتظر المحاكمات والأحكام الظالمة، التي ستصدر ضدنا من الأشغال الشاقة المؤبدة وغيرها، فقام أحد الإخوان وقال لنا: إذا كان سيدنا موسى عليه السلام قضى ثمانية أو عشرة أعوام يعمل فيها بمثابة صدق لزوجته، فإذا كنتم ترغبون الزواج من الحور العين في الجنة، فلا تستكثروا أى حكم يحكم به عليكم».

كان الشباب في غاية السعادة وهم في صحبة هذا الرجل العظيم، فكان الواحد منهم فخوراً باختياره وقربه من هذا الجهد الذى يبت مذخور التجارب وخلاصة الفكر المنهجى والتربوى إذ كان يستغرق مع الواحد منهم فى الدرس الواحد عشرين دقيقة يشرح له فيها واحداً من مقومات رجل العقيدة مع الأمثلة، وبعدها يحكى له موقفاً من المواقف الربانية فى المحن والفتن والابتلاءات وهكذا. فأكمل معهم جميعاً دراسة رسالة التعاليم والمواقف التربوية، من خلال الحكايات والقصص الربانية بجانب الأوراد والأذكار وقيام الليل والمواظبة على النوافل من الصيام وغيره، ومن أبرز الأمثلة التى كان يضربها مصطفى مشهور للشباب: مثال القمينة والذى سنخصص له مجالاً نتحدث عنه بالتفصيل، وكان المثال الثانى هو المنحنى الصاعد والمنحنى الهابط، وأن منحنى الدعوة فى صعود، وكان المثال الثالث هو مثال: دوائر التكريم.

(١) جزء من حديث رواه الترمذى فى سننه ٤٩٣/٥ برقم ٣٥٠٢ وقال: حسن غريب. وكذلك ذكره الألبانى فى مشكاة المصابيح برقم ٢٤٢٦ وقال: حسن غريب. وحسنه فى موضع آخر فى صحيح سنن الترمذى برقم ٣٥٠٢.

أراد مصطفى مشهور أن يوضح للشباب مكانة المسلم المتلزم بدينه في نفسه ، الداعى إليه الناشر له ، المجاهد الذى وهب نفسه وروحه رخيصة في سبيله .

فكان يقول ما قاله الإمام البنا للشباب : «أيها الشباب : إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة في الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم ، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذل ، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين .

فجددوا أيها الشباب إيمانكم ، وحددوا أهدافكم ، وأول القوة الإيمان ، ونتيجة هذا الإيمان الوحدة ، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين ، فأمنوا وتأخوا واعلموا وترقبوا بعد ذلك النصر . . . وبشر المؤمنين . . . » .

أما مثاله الموضح لمكانة المسلم الداعى المجاهد فهو مثال : دوائر التكريم : رسم مصطفى مشهور دائرة داخلها دائرة أخرى وظل يرسم دائرة داخل كل دائرة يرسمها ثم يحدد لهم وصف كل دائرة :

- أما الدائرة الأولى الكبرى : فهي دائرة البشرية ، وأول ما أكرمنا الله تعالى به أن جعلنا بشراً من بنى آدم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وفى إقرار إبليس بهذا التكريم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَ ذُرِّيَّتَهُ لِأَ قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٢] .

- والدائرة الثانية : هي دائرة الإيمان بالله تبارك وتعالى ، ونحن نحمد الله تبارك وتعالى أن جعلنا بشراً وأكرمنا بذلك ثم جعلنا مؤمنين زيادة في التكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

- والدائرة الثالثة : دائرة الفهم ، ومن نعم الله علينا أن أكرمنا وأنعم علينا بنعمة فهم الإسلام

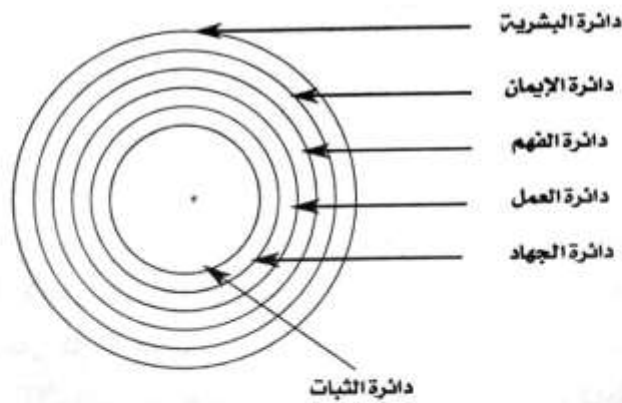
فهما شاملاً كاملاً كما جاء به المصطفى ﷺ ، فإن الله تبارك وتعالى إذا أنعم على عبد فقهه في الدين ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

- والدائرة الرابعة: وهي دائرة العمل ، فالعمل نعمة أنعم الله تبارك وتعالى به علينا فجعلنا بشراً مؤمنين فاهيمن عاملين ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والدائرة الخامسة: دائرة الجهاد، والله تبارك وتعالى أكرمنا بالجهاد واختارنا لنجاهد في سبيله وهذا فضل منه ونعمة وإكرام لنا عظيم: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٩٥، ٩٦]. والمؤمن كلما عظم فهمه لدينه وسمت دعوته في تصوره واتسع أفقه فيها، يزداد جهاده عظمة، وتزداد ضخامة الثمن الذي يدفعه ويذله في سبيل دعوته ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

- والدائرة السادسة: دائرة الثبات، من أعظم نعم الله علينا أن نكون ثابتين ونظل عاملين مجاهدين في سبيل الغاية مهما بعدت المدة وتناولت السنوات والأعوام حتى نلقى الله على ذلك، فإما النصر وإما الشهادة وكلاهما فوز ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

رسم يبين دوائر التكريم



تميز مصطفى مشهور بإنشاء العلاقة الخاصة الفردية والاتصال الفردي الشخصي المبني على

أساس الدعوة الفردية، وتجمعه هذه الصفة الفريدة بالإمام حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه . . . فقد كان روحاً كبيرة فسيحة تملأ كل الفراغ كما يملأ الهواء كل الأجواء، وكان الحضور معه يعنى أن تعيش مغموراً في بحر من السعادة والنور . . فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره، وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية ولكنها عاطفة حقيقية صادقة رقيقة تجيش بالحب .

لذلك نجح مشهور نجاحاً كبيراً في إعداد الشباب بهذه الدروس التربوية وهذه الدورات الدعوية . . وكان تأثيره على الشباب بالغاً وملحوظاً .

●● الإفراج: أكتوبر ١٩٧١،

تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية . . ولكنه لم يتمكن من شق طريقه الذي اختاره تجاه الغرب إلا بالإجهاز على مراكز القوى المتبقية من عهد جمال عبد الناصر - ذات الوجهة الشرقية التي كانت تتربص به الدوائر لكي تطيح به - فتخلص منها في يوم ١٥ مايو ١٩٧١ م، وسمى هذا اليوم بـ [ثورة التصحيح]، ثم قام بحرق الملفات التي كانت مفتوحة لمعارضى النظام والتسجيلات التي كانت تسجل لكل صاحب فكر، وقام بتحطيم جزء من سجن طره بنفسه!! فأدخل في السجن كل من كان يجلد الإخوان المسلمين ويسحلهم . . . أدخل هؤلاء نفس السجن الذي كان يعيش فيه الإخوان المسلمون معتصمين بحبل الله تعالى تحت قيادة مرشداهم مؤمنين بدعوة الله لازمين طريقه واثقين في نصره .

في هذه الأجواء بدأت بوادر الإفراج في الإهلال . . حيث أفرج عن عمر التلمساني ومأمون الهضيبي في شهر يونيو، وتتابع الإفراج عن الإخوان .

ثم أفرج عن مصطفى مشهور في شهر أكتوبر . .

وقف مصطفى مشهور خارج السجن مشدوهاً لقدر الله تبارك وتعالى، فإنه لم يضق ذرعاً في يوم من أيام سجنه بضيق المكان ولا بسعته، ولا بخشونة العيش ولا بنعومته، ولا بقلّة الطعام ولا بكثرتة ولا بردائه ولا بحسنه، كما لم يضق ذرعاً بالجوع ولا بالعري ولا بالحر ولا بالبرد، فإن هذه الأمور أخذ بها نفسه مع إخوانه من قبل واستطاع الإخوان المسلمون أن يوطنوا أنفسهم على كل الأحوال في معسكرات الجواله وفي ليالي الكنائس وفي رحلات الدعوة وغيرها من الأساليب التي عاجلوا بها نفوسهم حتى أسلمت لهم قيادها، وذلك كله في إطار المحاضن التربوية التي أسسها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه .

وكما يروى الإخوان الذين عايشوا مصطفى مشهور وعاصروه في السجون أنه لم يكن متعلقاً بالإفراج، ولم يشغل نفسه يوماً من الأيام أو لحظة من اللحظات إلا بالتفكير في أمر الدعوة والداعية بعد الإفراج، أما هو داخل سجنه الذي قضى فيه ست سنوات في ١٩٦٥ وعشر سنوات في ١٩٥٤ وثلاث سنوات في ١٩٤٨، فقد كان في طمأنينة دائمة تلازمه وابتهامة لا تفارقه وكان في استهانة بأمر السجن، يعيش فيه كأنه في بستان، ورغم طول المدة فهو غير قلق ولا متعلق بخروجه من السجن. . . وعجيب أن يكون هذا حال عاشق للحرية متميم في هواها، هائم في أجوائها، يحسد الطير على انطلاقه حيثما يشتهي، والأسماك على مروقها إلى أعماق البحر في انسياب ثم عودتها إلى سطح الماء وكأنها تقول: هذه هي الحرية. . . حقاً إن صغار الطير والسمك طعمة للأقوياء منها، ولكن هذا لا يتعارض مع حريتها في التنقل والاختيار، تصدح بالنغم الذي ترتاح إليه. . . ولو أن الظلمة تركوا الناس أحراراً في كل شيء، ثم يؤاخذونهم على مخالفة القوانين، لسعدت حياة الناس إلى حد كبير، ولكنهم يحرمونهم من الكلمة إلا إذا كانت لهم، ومن حرية التفكير إلا إذا كانت إلى جانبهم.

خرج مصطفى مشهور. . . وعندما التقى بأهله وأسرته وأقاربه هذه المرة لم يحس بتغير كبير في مشاعره، وكأنه لم يفارقهم إلا بالأمس. . . عجباً عجباً، المعروف عنه أنه من أشد الناس تعلقاً بأسرته وأهله وأقاربه، فما السر إذن؟! إن الله تبارك وتعالى في كل شيء آية، والله في خلقه شئون. كان مصطفى مشهور يفكر في قدر الله طيلة الوقت الذي استغرقه من السجن وهو في الطريق إلى بيته. . . ولكن المؤكد أن الشيء الذي كان يذهب عنه متاعب السجن هو إيمانه بأنه كان في قدر الله أن يذهب جانب من عمره في السجون. . . ولكنه قطعاً هو راض به من كل قلبه ومشاعره، وهنا يتجلى الدعاء المعروف عن النبي ﷺ: «اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه»^(١) وإذا كان في قدر الله -ولا راد لقضائه- أن يسجن، فاللطف فيه أنه سجن من أجل أشرف غاية وأنبيل هدف وأسمى مطلب: الدعوة إلى الله. . . وهذا حسب رضاء بكل شيء.

خرج مصطفى مشهور من سجنه وفيما لبيعته التي بايع فيها الإمام الشهيد. . . كما كان وفيما لبيعته التي بايع فيها خليفته الإمام حسن الهضبي، وظل وفيما بالعهد والبيعة طيلة سجنه. . . وها هو وفيما يوم خروجه من سجنه وهو على العهد والمبدأ:

- أن البيعة هي لله ولرسوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٠]

(١) ليس بحديث ولم يرد قط في كتب الحديث.

- وأن الشورى هي الأصل في تسيير الأمور وأن الكلمة الأخيرة للمستول ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] فكان بهذا الفهم من خير الجند من قبل السجن وبعده .

- أن السمع والطاعة في المنشط والمكروه في غير معصية حق من حقوق الرائد المستول ، فكان نعم السامع ونعم المطيع لما يأتيه من تعليمات قبل السجن وأثناءه وبعده .

- أن وحدة الكلمة ، واللقاء على كلمة سواء هي من أركان قيام الدعوة ومن الدعائم الحقيقية لكل دعوة تريد أن تسير في طريقها بلا عائق .

خرج من السجن . . . ليكمل الرسالة . . . وليضع يده في يد إخوانه على العهد والبيعة الصادقة للسير معاً على طريق الدعوة والجهاد . . . ثم ليتسلم الراية بعد ذلك ويقود الجماعة .

خرج وهو يعزم توريث هذه الدعوة صافية نقية لمن بعده من جيل الشباب بعد إعداد يليق بعظم هذه الدعوة وثقل الأمانة والمسئولية .

لقد خرج وهو أصلب عوداً وأقوى شكيمة وعزماً على مواصلة المسير وحمل الراية ونشر الدعوة وتحقيق الأهداف بالوسائل المشروعة للوصول إلى الغاية .

خرج وهو في هذه المرة أكبر همّاً وأعظم همة من ذي قبل ، فقد كان يحمل عنه وعن إخوانه الإمام البناء الأمانة والمسئولية ، أما الآن فهو قد تصدر لحمل الهم عن غيره ، فلا بد من توطين النفس والاستعداد لذلك .

خرج وهو يعلم أن ما ينتظره أكبر مما سبق ، فالتجهت نظراته إلى السماء وكان لسانه يلهج بالدعاء «اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ، «اللهم بارك إخوتنا» ، «اللهم وفق قادتنا» ، «اللهم انصر دعوتنا» ، «اللهم مكن لدينك في الأرض وافتح له قلوب الناس» ، «اللهم اكتب لشريعتك أن تحكم الأرض وأن تسود» أمين ، أمين ، أمين .

•• أسرة مشهور بعد الإفراج : التربية المتكاملة (١) ••

بعد أن أفرج عنه كان مصطفى مشهور حريصاً على أن يعوض أسرته ما فاتها في فترة غيابه ، فكان حريصاً على تصحيح العبادة وحسن المعاملة للآخرين وصلة الأرحام وإتقان العمل المنزلي وتعويدهم على خدمة العمّة صديقة التي تقيم معهم في المنزل في تهيئة كافة سبل الراحة لها خصوصاً أنها مستنة ، وكان حريصاً على تعليم بناته كيف ترتب الواحدة منهن بيتها

(١) حياة مشهور كما عاشتها أسرته - بتصرف .

وتسقه بأقل تكلفة مع الحرص على أناقة المكان، وكان لهذا الأسلوب في التربية النتيجة التي ظهرت بعد ذلك في حياتهن الاجتماعية والدعوية من خلال خدمة الآخرين وسد احتياجات البيت والاكتفاء الذاتي وعدم إرهاق الزوج بالمصاريف المنزلية وتوفير وقته فيما ينفع. كما كان حريصاً على أن تقوم كل واحدة منهن بالدعوة في أحد مساجد الحي بالقاء الدروس الدينية للفتيات.

تعلمن من والدهن في هذه الفترة التربية المتكاملة، بحيث تعرف كل واحدة كيف تدير بيتها، وكن يتناوبن مصروف البيت لمدة شهر، حيث كان يقسم المصروف إلى أربعة أقسام بعد فصل قيمة فاتورة الكهرباء والماء، ويوضع كل جزء في مظروف وما تبقى في المظروف يكون من نصيبها. وكانت والدتهن تحسن ضيافة الجميع، وكان للمعاملة الحسنة من البيت لبنات الأعمام والأخوات المترددات على البيت الأثر الطيب في بداية التزامهن.

كتب مصطفى مشهور رسالة يبين فيها ما يرجوه من بناته كفتيات مسلمات أو زوجات مسلمات يقول فيها^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

«ما نرجو تحقيقه بالنسبة للفتاة أو المرأة المسلمة:

١- أن تكون مسلمة في ذاتها:

أ- أن تكون سليمة العقيدة: من حيث إيمانها بالله وجوداً ووجدانية وقدرة وما يتصل بصفاته، وإيماناً بالرسول والكتب والملائكة واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار.

ب- أن تكون صحيحة العبادة: بأن تعرف العبادات المفروضة عليها وتلم بأحكامها الفقهية وشروط صحتها ومبطلاتها وفقه العبادات عموماً. ثم الجانب القلبي المصاحب لكل عبادة حتى تؤدي على الوجه الأكمل. وضرورة المحافظة عليها وعدم التقصير فيها.

ج- الجانب الأخلاقي: وضرورة التحلي بالأخلاق الإسلامية، من صدق ووفاء وأمانة وحلم وعدل. إلى آخر هذه الصفات الحسنة، وضرورة التخلي عن الأخلاق الذميمة كالكذب والخيانة والغضب والغيبة والنميمة وغيرها. ويمكن التركيز في كل اجتماع على صفة أو خلق من هذه الأخلاق للالتزام بها والانتباه إليها، ثم يضاف إليها صفة أخرى في الاجتماع التالي، ويلزم تناول هذا الخلق بطريقة توضح فضائله وثواب الله ورضاه لمن يتخلق به.

(١) نقلنا هذه الرسالة من نفس المصدر بكاملها.

د- أن تكون حريصة على وقتها: فالوقت هو الحياة، والواجبات أكثر من الأوقات، وأن تكون منظمة في شئونها، فإن النظام يوفر الوقت والجهد ويشرح الصدر، بعكس الفوضى وعدم النظام.

هـ- أن تهتم بصحتها ولا تعرضها إلى ما يضرها: وتعطى الجسم ما يلزمه من غذاء ورياضة وراحة، مع الاهتمام بجانب النظافة في كل شيء، ونظافة الظاهر والباطن بأن يكون القلب خالياً من كل ما يغضب الله.

و- أن تكون نافعة للغير: تقدم الخير والمعونة للغير دون انتظار لرد الجميل.

٢- أن تكون زوجة مسلمة:

أ- أن تعلم حقوق الزوج: وأن تكون عوناً له على طاعة الله والعمل للإسلام، وتحقق له الراحة والسكينة، فيجد في البيت راحته ويجدد فيه نشاطه ليستأنف عمله اليومي.

ب- ألا تخلق مشكلات تتعب بها زوجها: وأن تحسن تدبير منزلها وميزانيتها بحيث لا ترهق ميزانية الزوج بأي صورة من الصور.

ج- أن تحسن معاملة أهل زوجها وأهلها: وتسد أبواب الفتن التي تحدث عادة من قبل الأقارب أو الجيران.

د- أن تطيع زوجها في غير معصية ولا تخالف أوامره: ولا يمنع ذلك من إبداء الرأي والنصح في معروف، فالزواج شركة مديرها الرجل.

٣- أن تكون أمًا مسلمة:

أ- بأن تهتم بأمر الأولاد من بدء الحمل، فتراعى كل ما يلزم الجنين، في غذائها وحركاتها وراحتها وكل ما يتصل به بعد الوضع، والرعاية فترات نموه، وحسن تأديبه على آداب الإسلام.

ب- الاهتمام بالنظافة والتعليم والغذاء للأطفال، وحمائيتهم من كل ما يضر بصحتهم أو أخلاقهم من أجهزة الإعلام أو من أولاد آخرين.

ج- تعويدهم المشاركة في الأعمال المنزلية، وخاصة البنات.

د- مراعاة التزامهن بالزى الإسلامى قبل سن البلوغ بوقت كاف (من سن عشر إلى إحدى عشرة سنة تقريباً).

هـ- تحفظهم ما تستطيع من القرآن والأدعية المأثورة والعبادات الحسنة في الكلام مع الغير.

٤- أن تكون بنتاً مسلمة:

أ- بأن تراعى مشاعر والديها وتحسن إليهما ولا تسيء إلى أي منهما .

ب- أن تطيع والديها وتحرص على رضاها .

ج- إذا بلغ والداها سنًا متقدمة يجدان منها كل عطف ورعاية وخدمة لشدة حاجتهما إلى ذلك في تلك السن ولعل البنت أقدر على القيام بذلك من الولد .

٥- أن تكون داعية مسلمة:

أ- واجب كل مسلم ومسلمة أن يدعو غيره للتمسك بالإسلام وآداب الإسلام والعمل للإسلام . . حتى يعود للإسلام مجده ويكون الدين كله لله .

ب- الأخت المسلمة الداعية أكثر قدرة وأشد صلة ببنات جنسها فتدعوهن إلى الله .

ج- على الأخت المسلمة أن تتمرس على الدعوة وسط جيرانها وأقاربها ومعارفها ويمكن التدرج في ذلك باختيار معنى من المعاني ودراسته، أو تفهمه ثم تحكيه مرة واثنين وثلاثة لصديقاتها حتى يستطعن التعبير عنه بسهولة، فتحكيه في جمع من الأخوات ثم تضيف معنى آخر بنفس الطريقة . . وهكذا بعد فترة تستطيع أن تتحدث في عدة معان في جمع كبير دون هيبه ولا تعثر .

د- يمكن تكليف بعض الأخوات بإعداد درس في موضوع معين مع تحديد المراجع لتلقيه على أخواتها .

هـ- الموضوعات السابق ذكرها يحسن أن تكون هي الموضوعات التي تتمرس الأخوات على الحديث فيها . أهـ .

لم يكتف مصطفى مشهور بالأسلوب النظري في التربية المتكاملة، ولكنه كان عملياً يترجم الأقوال إلى أفعال .

فكان يجلس معهن يلقى عليهن درساً في السيرة بعد صلاة العصر، وكان دقيقاً في المتابعة، فكان يتابع طريقة إعداد الطعام وكيفية الإنجاز في وقت قصير ويتابع ترتيب البيت، وكانت الوالدة توزع أعمال البيت عليهن بالتبادل من حيث طهي الطعام وميزانية المنزل وترتيب البيت وأعمال الخياطة، وكان حرص الفتيات أكثر على دروس السيرة وكيفية الدعوة ومراحلها ووسائلها . . ولكنه كان يصحح لهم هذه الرغبة في أن الفتاة يجب أن تحرص على معرفة دورها في أعمال البيت وتربية الأولاد وأن تتعرف على واجباتها كزوجة، فكان يهتم بالتربية الشاملة الكاملة للفتاة حتى وإن احتاج هذا لوقت طويل .

وكان يضرب لهن المثل بما يحدث عند طهي قطعتين من اللحم ، فقطعة أشعلت تحتها نار عالية واستوت على هذا الحال ، ولم تأخذ فرصتها الكافية في التسوية والمتابعة وإن كان ظاهرها أنها قد استوت ، وأخرى استوت على نار هادئة بحيث يمكن أن تستوى على كل الجوانب وتكون الفرصة أكثر لإضافة ما يلزم أثناء عملية الطهي ، وهناك فرق كبير بين نتيجة عمليتي الطهي من حيث الرائحة واللون واستساغته .

كما كان يقوم بتشجيعهن على إعطاء دروس في مساجد الحي وكان يصحح لهن ما يقعن فيه من أخطاء .

•• زواج أولاد مشهور^(١) :

كانت سلوى قد تزوجت من ابن عمها الملازم عبد المعز عبد الستار مشهور الضابط بسلاح المظلات سنة ١٩٦٨ ، وكان على خلق حسن وذا كفاءة عالية في شئون الحياة مما دفعه إلى تسوية معاشه مبكراً من القوات المسلحة ومزاولة العمل الحر ، فوسع الله له في رزقه حتى أصبح في سنوات قليلة من رجال الأعمال ذوى الثروات الطائلة ، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله وعمل الخير والمشاركة في الجمعيات الخيرية .

ولم يطل به المقام ، فقد ابتلاه الله بمرض ترتب عليه توقف العصب الحركي ، وكان العصب الحسي سليماً ، وظل على هذا الحال عاماً كاملاً حتى وافته المنية . . وكانت تعز عليه نفسه في بعض الأحيان حين لا يقوى على الحركة ولا الكلام في نهاية الأمر ، وكان مصطفى مشهور ملازماً له لا يحرمه من توجيهاته له ، والتخفيف عليه فكان يقول له : «إن الله سبحانه وتعالى قد فتح عليك الدنيا بمتاعها وزخارفها ولحب الله لك لم يتركك حتى تلقاه على هذا الحال ، أراد سبحانه وتعالى أن (يلمك عليه) واختار الله لك هذا المرض حتى يكفر به عنك السيئات ويرفع لك به الدرجات ويحسن خاتمتك إن شاء الله» . . وتوفى برحمة الله تاركاً زوجته ولم ينجبا ، وعاشت سلوى مع والدها ، بعد وفاة والدتها بعد شهر واحد من وفاة زوجها ، وقد هيا الله لها هذه الصبغة تعويضاً لصبرها على فراق زوجها .

أما وفاة فقيد تقدم لها أربعة يطلبون خطبتها منهم أحد أقاربها ، فسأل مصطفى مشهور ابنته وقد شرح لها موقف كل من المتقدمين وظروفهم وقد ترك لها حرية الاختيار ، فسألت : أيهم أكثر التزاماً بالجماعة وأيهم أكثر قرباً منك ، وكانت الإجابة إنه [محمد عبد الجواد] فوافقت على الفور ، وقال لها والدها : ألا تنتظرين حتى يراك وترنه ، فقالت بالنسبة لى هذا يكفينى ، وقال يبقى أن يراك هو وهذا حقه وحقك .

(١) حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته - بتصرف .

كان محمد عبد الجواد يعمل معيداً بكلية الهندسة بجامعة أسيوط وهو الذي رافق الحاج مصطفى مشهور في المعتقل وكان يقوم بتجهيز لعبة [الراكيت]، وهو من الشباب الذين اهتم بهم الحاج مصطفى مشهور وكان له معه أحاديث خاصة ودروس تربوية ناجحة .

كان مصطفى مشهور بمثابة الأب للعروسين ولم يحدث في فترة الإعداد للزواج ما اعتاد عليه الناس مثل : بكم سنشترى الشبكة أو كم غرفة سنجهز أو على من تقع تكاليف عقد الزواج، وكان هذا الأسلوب إحياءاً لسنة سلكتها الأسرة بعد ذلك . . وتم عقد الزواج بعد ثمانية أشهر من خروجهما من المعتقل، وكان الاحتفال بقرية السعديين التي سعد أهلها بالمناسبتين : استقبال مصطفى مشهور بعد خروجه من المعتقل، وحفل زواج ابنته وفاء . .

قام مصطفى مشهور بدور كبير مع ابنته وفاء لكي يهيئها للحياة الجديدة عبادياً وتربوياً وفقهياً واجتماعياً ودعويةً، وكان حريصاً على تحديد الأولويات عند الفتاة المسلمة . . كما كان له دور كبير في تيسير وتبسيط حياتهما الزوجية، وكان حريصاً أن توفي ابنته حقوق زوجها وأن تحافظ على المستوى الدراسي إذ كانت وفاء تدرس بكلية الدراسات الإسلامية في جامعة الأزهر، وكذلك كان شديد الحرص على أن تحافظ ابنته على رحم الأهل . . فكان يجمع المحاضرات من زميلاتها ويكتبها بخط يده ويرسلها مع ما لذ وطاب مع الأخ شحاتة هدهد الذي كان يعمل سائقاً لقطار ما بين القاهرة وأسيوط، وكان الزوج مشغولاً بتحضير رسالة الماجستير بجامعة القاهرة التي حصل عليها سنة ١٩٧٤م، في هذه الأجواء رزق مصطفى مشهور بحفيدة [هبة محمد عبد الجواد] سنة ١٩٧٤م وبعد ذلك سافر محمد عبد الجواد إلى ألمانيا الغربية لدراسة الدكتوراة في جامعة ميونخ التكنولوجية حيث مقر الجماعة الإسلامية بجنوب ألمانيا والمركز الإسلامي بميونخ .

وتقدم أحمد نشأت محمود هارون من سمالوط - المنيا، بتزكية من زميله محمد عبد الجواد للزواج من سمية، وتم الزفاف في فرنسا حيث كان يدرس المهندس أحمد نشأت الدكتوراة، وسافرت سمية في صحبة والدها ليتم الزفاف هناك .

أما مشهور فقد تقدم للزواج من شقيقة المهندس أحمد نشأت، وكان ذلك في سنة ١٩٧٧ وبذلك زادت الروابط الأسرية بين الشرقية ومحافظات الصعيد أسيوط والمنيا، والتحق مشهور بمصانع الشريف للبلاستيك بما له من خبرة في صناعة المنتجات البلاستكية، وكان له الفضل بعد الله مع إخوانه في هذه المصانع، أن تصبح من أكبر شركات الصناعة في مصر، بل كانت تفوق إمكانات الشركات الحكومية . . وذلك بفضل الله ثم بإخلاصهم وخبرتهم وحب الخير وإتقان العمل .

الباب الرابع:
تجديد بناء جماعة الإخوان المسلمين
[١٩٧١م - ١٩٩٦م]

الفصل الأول: مخاض التجديد.

الفصل الثاني: الملمة الشمل.

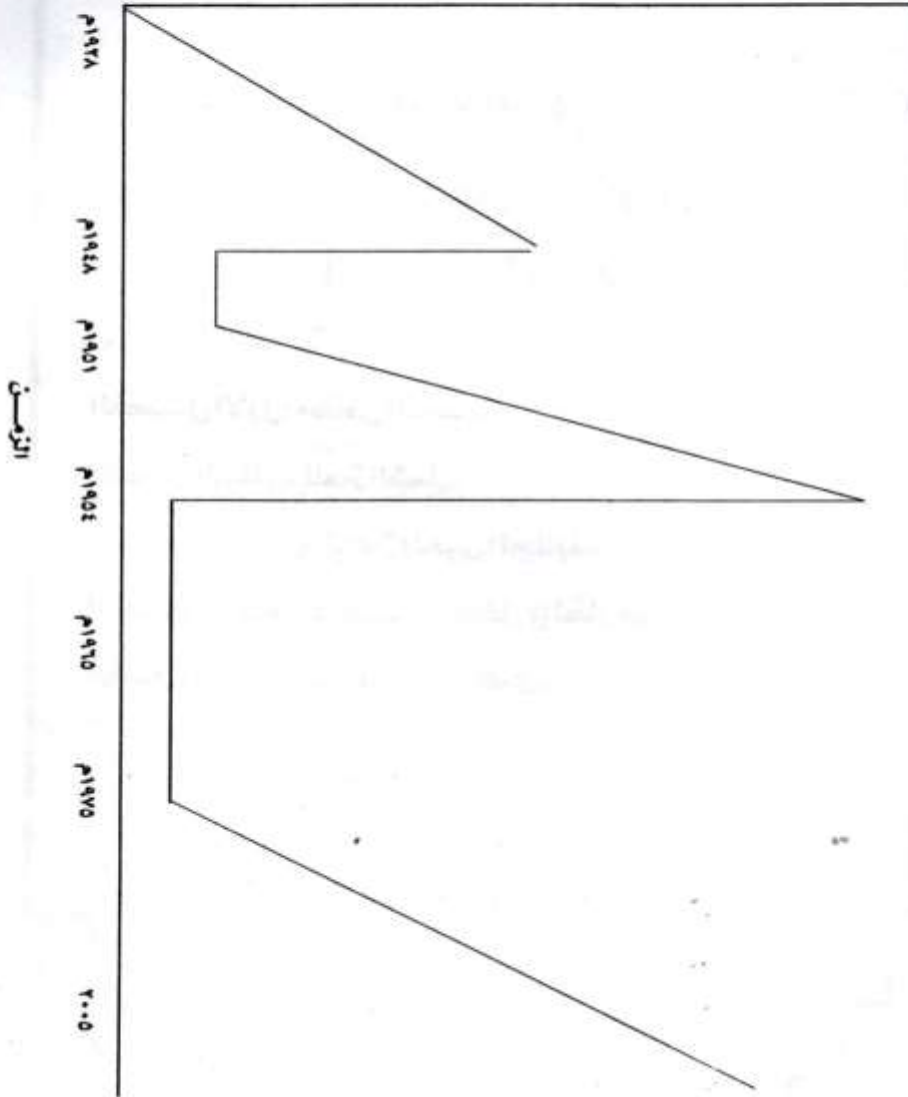
الفصل الثالث: صناعة الجيل الجديد.

الفصل الرابع: التكوين الداخل والخارجي.

الفصل الخامس: التجديد الفكري.

رسم بياني يوضح : عمل جماعة الإخوان المسلمين لم يتوقف لحظة واحدة في يوم من الأيام رغم المحن الضروس .

نشاط وعمل الجماعة والاعتراف الرسمي بها:



الفصل الأول: مخاض التجديد

يرى كل منصف وهو يراجع تاريخ الحركة الإسلامية الرائدة للتيار الإسلامى فى مصر، المتمثلة فى : جماعة الإخوان المسلمين التى أنشأها الإمام : حسن البنا رحمه الله ، كيف كان الإخوان يقدمون الإسلام للناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف كسبوا ثقة الجميع بما فيهم الأقباط ، ويعلم أيضاً كيف كانوا يقدمون الإسلام عملياً فى صورة أعمال بر ، وخدمات اجتماعية ، ومؤسسات نافعة تعين على بناء المجتمع ، فأنشئوا المدارس ، والمستشفيات ، والمستوصفات ، والمساجد ، والأندية الرياضية ، والشركات التجارية أذكر منها :

- ١- شركة المعاملات الإسلامية .
 - ٢- الشركة العربية للمناجم والمحاجر .
 - ٣- شركة (الإخوان المسلمون) للغزل والنسيج .
 - ٤- شركة المطبعة الإسلامية والجريدة اليومية .
 - ٥- شركة التجارة والأشغال الهندسية بالإسكندرية .
 - ٦- شركة التوكيلات التجارية .
 - ٧- شركة الإعلانات العربية .
 - ٨- الشركة الشرقية للتجارة الإسلامية . . ومصنع للبلاط ، ومصنع لتصنيع عدة وابور الغاز . . وغير ذلك ، وكانت تودى دورها على أكمل وجه ، وأقبل الجميع عليها لتوفر عنصر الأمانة والثقة والصدق عند القائمين عليها ، ولم يكن القصد من هذه المؤسسات الكسب المادى ، ولكن إبراز الإسلام فى صورة عملية لسد حاجات الجماهير .
- ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ بعدما شارك الإخوان فى الحرب فى فلسطين ضد عصابات صهيون ، تأمر أعداء الإسلام وطلبوا من حكومة مصر حل جماعة الإخوان وضربهم ، فكانت تلك المحنة التى استشهد فيها الإمام البنا ، وصودرت هذه المؤسسات ، وعندما عاود الإخوان نشاطهم وأعادوا إنشاء بعضها ، تعرضوا المحنة أخرى أكلت الأخضر واليابس ثم لمحنة ثالثة أشد وأقوى ، واعتقل من الإخوان فى هذه المحن عشرات الآلاف وتعرضوا لأقسى أنواع

التعذيب الذى أدى إلى سقوط العشرات شهداء تحت التعذيب وذلك غير العاهات والأمراض، وغير تلك الصفوة الذين علقوا على أعواد المشانق، والمئات الذين حكم عليهم بمدد طويلة بالأشغال الشاقة، غير ترويع أسرهم من النساء والأطفال، بالإضافة إلى الأضرار الأخرى النفسية والأدبية والمادية وغيرها .

صبر الإخوان وتحملوا التعذيب والسجن واحتسبوا ذلك كله عند الله تقريباً إليه عله يكون فى ميزان حسناتهم، ومنهم من قضى أكثر من عشرين عاماً فى أعماق السجون تحت شتى الضغوط الأدبية والبدنية والمادية، ثم خرجوا بعد الإفراج من محنة ١٩٦٥م ليواصلوا العمل لدعوة الله تبارك وتعالى . . ولكن يا ترى كيف كانت حالتهم؟! وهل استطاعوا استئناف دعوتهم؟! . .

خرج الإخوان من السجون بعد محن عاشوا فيها أكثر من عشرين عاماً، قتل منهم من قتل مع اختلاف طريقة القتل سواء تحت التعذيب أو شنقاً أو رمياً بالرصاص أو بالدفن وهم أحياء أو تركاً بلا علاج أو غير ذلك من طرق القتل، ومنهم من فقد عقله من شدة التعذيب، ومنهم من صار عاجزاً بعاهة أو غيرها . . . فخرجوا مثقلين بجراحهم، فاقدين أموالهم التى صودرت منهم ووظائفهم التى فصلتهم الحكومة بسبب اعتقالهم وسجنهم، وخرج الطلاب منهم متعطلين عن دراستهم . . خرجوا ليواجهوا عذاباً بعد عذابهم داخل السجون!! .

حدث لهم كل ذلك من جراء المحن التى عاشوها فى سجن عبدالناصر المجنونة، ليس ذلك فحسب وإنما خرجوا وقد أوشك بنيانهم أن يخر منهاراً من شدة ما لاقوا من المحن والفتن التى خلخلت صفوفهم وشقتها شقاً عنيفاً وشرختها شرخاً غائراً بليغاً بسبب الخلاف الذى حدث بينهم فى فتنى [التأييد والتكفير] . . فقدت جماعة الإخوان من أبنائها كل من أخذته زحلوقة التأييد وكل من زواه منعطف التكفير . . فكانت فتناً جعلت الحليم من الإخوان حيران . .

لقد اهتز الصرح الذى بناه الإمام البنا اهتزازاً عنيفاً وتمایل يسرة ويمنة وانحنى إلى الأمام وإلى الخلف، وظهرت فيه الصدوع والشروخ بوضوح . . كان الزلزال شديداً فأحدثت خسائر بالغة وسقطت فى هذا الزلزال أرواح وسقطت عقول وقلوب .

ولكن بعد كل هذه الأحداث العنيفة وبرغم هذا الزلزال العنيف إلا أن البناء قد استطال على الهدم بحول الله وقوته وقدرته وعنايته، فالله تبارك وتعالى يحفظ دينه ودعوته ويكلاً عباده المؤمنين فى كل وقت وحين ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] .

يا الله لماذا لم يتهدم البناء!!؟ يجيب علينا الشهيد سيد قطب فيقول^(١): [وحيثما سلط الطغاة الأقرام الحديد والنار على الإخوان كان الوقت قد فات . كان البناء الذي أسسه حسن البناء قد استطل على الهدم، وتعمق على الاجتثاث، كان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد والنار، فالحديد والنار لم يهدما فكرة في يوم من الأيام، واستعلت عبقرية البناء على الطغاة الأقرام، فذهب الطغيان وبقي الإخوان .

ومرة بعد مرة نزت في نفوس بعض الرجال -من الإخوان- نزوات، وفي كل مرة سقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة أو انزوت تلك النزوة، ولم تستطع أن تحدث حدثاً في الصفوف .

ومرة بعد مرة استمسك أعداء الإخوان بفرع من تلك الشجرة، يحسبونه عميقاً في كيانها، فإذا جذبوه إليهم جذبوا الشجرة، أو اقتلعوا الشجرة، حتى إذا أن أوان الشد خرج ذلك الفرع في أيديهم جافاً يابساً كالخطبة الناشفة، لا ماء ولا ورق ولا ثمار!! .

سبحان الله العظيم البناء لم يتهدم!!

الحمد لله الكريم الحليم . . بل كان مخاضاً وصقلاً وتمحيصاً، أفرز الصابرين الثابتين الصادقين من الإخوان المسلمين .

الله أكبر القوى المتين . . ليكون تمييزاً وتأهيلاً وإعداداً للبناء والتمكين فلا ضعف ولا وهن ولا استكانة . . ولكن إيمان وصبر وثبات بإذن الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ولا رهبة من قوة الأعداء المادية، فالله الذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، لن تعجزه قوى الأرض جميعاً: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] .

الله أكبر القوى المتين . . ليكون تجديداً لهذا البناء العظيم الذي أصيب بالشروخ والصدوع وفقد كثيراً من الأرواح والعقول والقلوب .

والحمد لله الكريم الحليم . . سيقوم بمهمة هذا التجديد: الصابرون . . الثابتون . . الصادقون، الذين صقلهم ومحصهم وأفرزهم هذا المخاص . . وعلى رأسهم أستاذنا وحبیبنا مصطفى مشهور الإمام المجاهد والداعية الفقيه .

كتب أخى الحبيب الدكتور عصام العريان مقالاً بمجلة المختار الإسلامى تحت عنوان: [ذكريات شخصية - مرشد الإخوان على دراجة] يرثى فيه أستاذنا مصطفى مشهور، وكان

(١) من مقال له بعنوان: «حسن البناء وعبقرية البناء» بمجلة الدعوة - السنة الثالثة - العدد (١٠٤) - ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ - ١٠ فبراير ١٩٥٣م .

أبرز ما ذكره في هذا المقال في رأى هو: [. . .] وربما لا يقل دور مصطفى مشهور في إعادة بناء جماعة الإخوان أهمية عن دور الإمام الشهيد حسن البنا في تأسيسها، فلم أر شخصاً استطاع أن يجوب مدن مصر وقراها بل بلاد العالم المختلفة مثل مشهور].

وفي نفس المجلة كتب أخى الحبيب الأستاذ صلاح عبدالمقصود الكاتب والصحفى البارز مقالاً ولنفس السبب، تحت عنوان: [مصطفى مشهور . . . الداعية الربانى] وافق ما قاله الدكتور العريان بقوله: [وخرج من السجن فى عام ١٩٧١م ليقوم بجهد كبير فى إعادة بناء الجماعة، فانشغل بتربية الشباب على فهم الإسلام، وجاب مصر بجامعاتها ومدنها وقراها فى دأب وصبر].

وفى كتاب: [حياة مصطفى مشهور - كما عاشتها أسرته] الذى كتبه الأستاذ الدكتور محمد عبدالجواد زوج ابنته، قد أفرد باباً كاملاً وهو الباب السادس بعنوان [التأسيس الثانى]. يثبت فيه أن الأستاذ مصطفى مشهور قام بالتأسيس الثانى لجماعة الإخوان المسلمين بعد خروجه من السجن عام ١٩٧١م.

اعترض بعض الإخوان على هذا الوصف بألفاظه [إعادة البناء . . . التأسيس الثانى] وقالوا إن البناء واحد وليس له ثان، ولم ولن تحدث له إعادة، وأن البناء قد بناه الإمام البنا وانتهى، وأن كل ما يحدث إنما هو استمرار وسير على طريق البنا.

وقال لى أحدهم وأنا أسجل معه حواراً بشأن هذا الكتاب: إنه اعترض على ما كتبه الدكتور عصام العريان وناقشه فى ذلك: بأن تأسيس الجماعة تم مرة واحدة، وأن مؤسس الجماعة واحد وهو الإمام حسن البنا، وأن الجميع يعملون باسم هذه الجماعة وأن كيانها واحد . . . أما بالنسبة للعمل بعد خروج الإخوان من السجن عام ١٩٧١م فلم يكن مصطفى مشهور وحده وإنما شاركه رموز الإخوان فى كل محافظة فمثلاً: [عباس السيسى فى الإسكندرية ومحمد عبدالفتاح شريف فى دمنهور ومحمد العدوى فى المنصورة وحسن جودة فى بنى سويف وعبدالمنعم مكاوى فى كفر الشيخ وأحمد البس فى طنطا وعز العرب فؤاد فى بنها] وغيرهم من رموز الإخوان: وأن الإمام البنا أوجد العمل الجماعى، وبالنسبة لإعادة العمل فى ١٩٧١م كان أيضاً عملاً جماعياً لا ينسب إلى فرد إطلاقاً^(١).

والبعض الآخر من الإخوان لم ينكر دور الأستاذ مصطفى مشهور فى إعادة البناء وأنه دور عظيم، ولكنهم أكدوا عدم انفراده بهذا الدور، فالإعادة كانت مشاركة بين الإخوان^(٢).

(١) حوار مسجل مع الأستاذ: عبد المحسن الشراوى.

(٢) على رأسهم الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح - حوارات مسجلة.

أما الفريق الثالث من الإخوان فإن رأيه: أن الفضل بعد الله تبارك وتعالى للأستاذ مصطفى مشهور في إعادة بناء الجماعة، ويعتبر الأستاذ مصطفى، الرجل الثاني بعد الإمام البنا، وهو على رأس الإخوان الذين خرجوا من السجن في السبعينيات وبدأوا العمل من جديد^(١).

والحق أننى وإن كنت مع الفريق الثالث قلباً وقالباً، إلا أنى أجمع بينهم وأوافقهم فى رأى: أن الأستاذ مصطفى مشهور كان له دور كبير وعظيم فى استمرار عمل الجماعة واستئناف الحركة الإسلامية بعد الخروج من السجن فى بداية السبعينيات، وأن باقى القيادات الإخوانية قاموا بأداء واجبهم خير قيام.

ولكننى أعالج اختلافهم فى الألفاظ التى وردت [إعادة البناء . . التأسيس الثانى]، وأستبدل هاتين العبارتين بعبارة أخرى مناسبة لما تم من أعمال فى هذه الفترة وهى: [تجديد البناء، أو تجديد بناء جماعة الإخوان المسلمين]، وهذا ما تم بالفعل، لأن البناء كان يحتاج إلى تجديد . . تجديد الهيكل وتجديد العقول وتجديد القلوب، بل وتجديد الدماء التى تجرى فى عروق الجماعة . . وهذا ما ستراه فى فصول هذا الباب بعون الله تعالى وتوفيقه.

على رأسهم الدكتور محمد السيد حبيب، د. رشاد البيومى، والدكتور محمود عزت والأستاذ محمد هلال وغيرهم كثير - حورات مسجلة معهم جميعاً. ويقول الدكتور رشاد البيومى: «أولاً تم تحريرها صراحة وبمتهى الأمانة: إحياء العمل الدعوى فى هذه الحقبة من الزمن يعود الفضل فيه «أولاً ثم تحتاج حصة مشهور، سواء فى الداخلى أو الخارج، ولا ينكر ذلك إلا ناكر للجميل».

الفصل الثاني: لمامة الشمل

أفرج عن الأستاذ مصطفى مشهور في أكتوبر عام ١٩٧١م وكان الإفراج عن الإخوان قد بدأ في يونيو عام ١٩٧١م واستمر حتى عام ١٩٧٥م.

واستقبل الإخوان كل في مدينته أو قريته بالتهاني السارة الحارة في صور مبهجة جاوزت كل تصوراتهم، كان الإخوان يظنون أن الرعب والخوف لازال مسيطراً على عقول الناس وقلوبهم - فإذا بالواقع القديم قد بدأ يتبدد ويزول وإذا بالشباب يقبل في شوق وحرارة، وإذا بالذين كانوا أطفالاً عام ١٩٦٥ صاروا شباباً، وإذا بالأحداث والحروب قد غيرت الكثير من التصورات والمفاهيم، وإذا بالانتهامات الباطلة في حق جماعة الإخوان ينكشف عنها الغطاء ويشرق عليها النور فيبدد كذبها وباطلها^(١).

وعن إظهار الحق وإبطال التهم بعد الإفراج يقول أستاذنا مصطفى مشهور: [ومن توفيق الله أن تهيأت الظروف بعد خروجنا من السجون والمعتقلات، وقام الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله بإظهار الحق، وإبطال التهم الزائفة التي حيل بيننا وبين تفتيدها، والمجتمع يشهد له بأسلوبه وقلمه العف المهدب، وسلوكه المعتدل الهادئ المتزن، الذي استقاه من روح الإسلام ومبادئه وآدابه، وهذا السلوك هو الذي نؤمن به ونتبعه من بعده، امتثالاً لتعاليم الإسلام وتعبداً لله، لا خوفاً ولا ذلاً]^(٢).

رغم كل هذه التغيرات في المجتمع المصري، كانت الحكومة لا تزال تمارس أساليبها الأمنية القمعية، حيث كانت الزيارات ممنوعة لبيوت الإخوان وكانت اللقاءات والتجمعات محظورة وممنوعة، واستمرت هذه الحالة حتى حرب ١٩٧٣م، ثم انفرجت بعد ذلك.

لم يتوقف أستاذنا مصطفى مشهور عن نشاطه الدعوى في هذه الأثناء، ولكنه كان نشاطاً مناسباً لهذه الظروف، أي كان في نطاق أسرته والحى الذى يسكن فيه.

وذكرنا في الباب الخاص بالمحن كيف كان نشاطه مع أسرته داخل بيته، وسنذكر هنا نشاطه فى الحى الذى كان يسكن فيه، وننقل هذا الموضوع من الكتاب الذى سجلته أسرته كما نقلنا

(١) فى قافلة الإخوان - عباس السيسى.

(٢) من فقه الدعوة - مصطفى مشهور.

النشاط الأول من نفس المصدر المذكور. تقول أسرة الأستاذ مصطفى مشهور تحت عنوان [العمل مع الحى الذى يسكن فيه].

•• العمل مع الحى الذى كان يسكن فيه:

خرج الوالد ليشق طريق الدعوة مرة أخرى فى وسط الحى الذى كنا نعيش فيه، ومن خلال مسجد «عبدالجليل» الذى كان يصلى فيه، وكانت اللقاءات والتجمعات ممنوعة وحتى زيارة الناس لنا كانت تحت الأنظار. وكان المناسب للعمل فى هذا الجو، من خلال المسجد ومع أهل الحى. كانت الأم قد سبقت بعمل جو ألفه ومحبة مع الجيران وفى الحى. وبدأ الوالد فى الانتظام فى حلقة تلاوة بعد صلاة الصبح بمسجد عبدالجليل. وكون المترددون على الحلقة مجتمعاً إسلامياً صغيراً بحيث يسأل الحاضر عن الغائب ويتبادلون الزيارات فى البيوت بعائلاتهم، وعمل لقاء لختم القرآن فى بيت أحد رواد الحلقة بالتناوب، كان الوالد يعود إلينا من عمله فى مصلحة الأرصاد الجوية وهو يحمل لنا الخضار والفاكهة وكون علاقات طيبة مع أصحاب محال البقالة وبائعى الخضار والفاكهة وحتى مع البائعين المتجولين وخاصة الموسمين منهم، وكان الوالد يحب سماع النداء التقليدى لكل بائع ويعطيه حتى ولو لم يشتري منه، وكان من المنتظمين فى حلقة التلاوة مع الوالد: الأستاذ رشاد مهنا، وزوج ابنته الدكتور عبدالغنى، والأستاذ أحمد أمين المحامى، وكذلك الشاب نشأت إبراهيم الداعية المعروف الآن، والأستاذ فؤاد وفا وغيرهم. كانت جلسة التلاوة بعد صلاة الصبح يومياً، حيث يقرأ الحاضرون جزءاً كاملاً وتصحح التلاوة من مسئول الجلسة وكان يُختار بالتناوب، وبعد ذلك قراءة فى [رياض الصالحين] ثم الدعاء من أحد الحاضرين، ويختتم القرآن فى آخر الشهر فى أحد البيوت حيث يتناول الحضور بعد الختمة طبق المهلبية أو البليلة وما أحسنها من صحبة. أما تأثير الأم فى أهل الحى فلم يكن أقل من ذلك، فكانت خبيرة فى الحياكة والتطريز والكروشيه وأشغال الإبرة عموماً، ناهيك عن الخبرة فى الأمور الزوجية والمنزلية، كانت تقصدها الفتاة المقبلة على الزواج فتبصرها بحياتها الزوجية وكيف تسعد زوجها وتقوم على شئون بيته من جميع الوجوه. وتقصدها الزوجة المتعثرة فى حياتها الزوجية، والأرملة المحتاجة للعون فتعلمها شغل الإبرة حتى تستفيد بوقتها وتكسب من ذلك.

كان النشاط محدوداً والحركة كذلك غير مسموح بها على نطاق واسع، واستمر أستاذنا وإخوانه على هذا الحال ما عدا زيارات خفيفة بينهم لا ينتج عنها عمل ظاهر ملموس، ولكنهم على صلة فيما بينهم -أعنى القيادات التى خرجت من السجن.

واستمر الحال على هذا المنوال .. حتى انفرجت الأحوال بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ م، وبدأ السادات يجرى اتصالاته بالإخوان يعرض عليهم عرضه .

● اختيار المرشد الجديد:

انتقل الإمام حسن الهضبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين إلى رحاب الله في الساعة السابعة صباح يوم الخميس ١٤ شوال ١٣٩٣ هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٧٣ م وأقيمت على روحه صلاة الغائب في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وصلى عليه الإخوان في جامع عمر مكرم .

انتقل إلى رحمة ربه بعد أن أدى دوره في قيادة الإخوان المسلمين على أحسن وأفضل ما يؤديه مسئول مسلم في هذه الحياة .. أمانة وتضحية ووفاء وصبراً واحتمالاً واحتساباً . رحمه الله رحمة واسعة، لقد أدى دوره وقضى مدته منذ تحمله الأمانة في عام ١٩٥١ م حتى ١٩٧٣ م بحكمة وصبر وصدور، وكان كالجبل الأشم، فهو مفخرة للإخوان خاصة وللمسلمين عامة، أي مفخرة . . رحمه الله رحمه واسعة وأنزله منازل الأبرار والشهداء، دون أن تلحق بصحائفه البيضاء أية شائبة يمكن أن تشوب إخلاص تلك الشخصية الرائعة في ميادين الجهاد الإسلامي .

كان الإخوان بعد خروجهم من السجن يزورون مرشدهم وهو الرجل الذي جاوز الثمانين من عمره المصاب بكثير من الأمراض، وقد أفرج عنه في محنة ١٩٥٤ - التي حكم عليه فيها بالإعدام ثم خفف عنه الحكم إلى المؤبد - صحياً، وقضى سجنه في محنة ١٩٦٥ مريضاً في زنزاتته، ثم بعد ذلك في المستشفى، وخرج من سجنه في ١٩٧١ م سقيماً فلزم فراشه، وكان يطلب من أحد إخوان حلوان وهو «الشيخ زكي» أن يقوم ببعض أعماله وهو الذي عُرِف بعد ذلك [بالمُرشد السري] فلم يكن الشيخ زكي مرشداً ولكن شاع أنه المرشد السري، والصحيح أن الإمام الهضبي كان يكلفه بأمر معين .

كما كلف لجنة من الأوفياء الثابتين من كوادر النظام الخاص الذين أخلصوا للدعوة ولم يتمردوا على القيادة بمهمة لم تشمل جماعة الإخوان المسلمين وجمعهم وإقامة الجماعة من جديد وإحيائها وقيادتها .. أما أعضاء هذه اللجنة فهم:

١- مصطفى مشهور .

٢- حسنى عبد الباقي .

٣- أحمد الملط .

٤- كمال السنائري .

٥- أحمد حسنين .

ويعاونهم كثيرون فى المحافظات ويسترشدون بأعضاء مكتب الإرشاد وعلى رأسهم عمر التلمسانى ومحمد حامد أبو النصر^(١) .

أما عن مبدأ اختيار مرشد للإخوان المسلمين فى هذه الفترة . . يقول الأستاذ عمر التلمسانى: (٢) .

فلما انتقل مرشداهم الهضيبى إلى رحمه الله ، وجماعتهم غير قائمة قانوناً ، جمعوا بين التزام القانون والتمسك بعقيدتهم ، فهداهم تفكيرهم وعلمهم بقانونهم الأساسى ، أن يعتبروا أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سناً مرجعاً لهم فى كل أمورهم العامة والخاصة ، دون أن يكون هناك تنظيم ، وشاء الله أن أكون أكبر أعضاء مكتب الإرشاد فى هذا الزمان ، فكنت مرجعهم الأدبى والمعنوى ، دون أن يكون هناك أى تنظيم لا ترصاه الجهات المسئولة عن الأمن فى مصر ، بل إن المسئولين فى مصر جميعاً اعترفوا بهذا الوضع واعتبرونى مسئولاً عن الإخوان المسلمين ، يقابلونى ويتحدثون معى بهذه الصفة ، وما من شك لو أنهم أيقنوا أن هناك تنظيمًا لقدمونا جميعاً إلى المحاكمة فوراً ولا تزال صحافتهم والمسئولون فيهم يتكلمون فى المواقف عن الإخوان باعتبارهم أنهم موجودون فى الساحة المصرية على مختلف ضروبها ويتكلمون معى على هذا الأساس .

وقبلت الوضع ، وقمت به ، وساهمت فى الكثير من المواقف التى كانت تحتاج الحكومات إلى معونة الإخوان المسلمين فيها ، والبداية تقضى بأنه اعتراف ضمنى من الحكومات بوجود الإخوان على الساحة ، رغم الأمر بحل جماعتهم ، وكنت على شبه اتصال دائم برجال الأمن فى وزارة الداخلية ؛ أقدم كل ما يسهم فى ترسيخ الأمن فى مصر .

وما كنت أجعل أحداً فيهم صغيراً أو كبيراً يحضر إلىّ ، وأكتفى بأن يتصلوا بى تليفونياً لأذهب إليهم فى الوزارة ، اللهم إلا فى بعض المناسبات الصحية أو الأعياد ، فكانوا يزورونى مشكورين ، وكان من فضل الله علىّ أننى ما ذهبت إلى كلية نائرة لأمر من الأمور إلا وعدت موفقاً ، وكان جهدى موضع شكر المسئولين فى وزارة الداخلية ، ولعل أحداً لم ينس موقفى من أحداث الزاوية الحمراء ، وما تفضل به الوزير السابق للداخلية [حسن أبو باشا] من

(١) حوارات غير مسجلة مع الأستاذ أحمد حسنين .

(٢) ذكريات لا مذكرات - عمر التلمسانى .

تصريحات خاصة بي، وبأن الإخوان المسلمين أبعد ما يكونون عن الإرهاب والتخريب.. وأن الجماعات الإرهابية لم تخرج من تحت عباءة الإخوان المسلمين، فكان أول مسئول عن الأمن أفضى بهذه الحقيقة التي طالما شوهتها إذاعات خصوم الإخوان.

وقد أخذت على نفسي عهداً يوم أن كنت أكتب افتتاحيات مجلة الدعوة بألا أمس أي إنسان من ناحيته الشخصية، وكنت ألتزم الموضوعية البحتة، وأدعو إلى ضبط الأعصاب عند الأحداث المثيرة، حتى قال لي أحد المعتقلين من أحد الأحزاب في سبتمبر ١٩٨١م إنني جهدت أعصاب الشباب ووضعتها في ثلاجة، ولست أدري أكان يمدح أو يقدر، وعلى كل حال فقد شكرت له قوله إنني صاحب تأثير. ورغم ذلك فإنني لم أنج من غمزات بعض الكتاب -ولكن على خفيف- وإنصافاً للسادات رحمى الله ورحمه وغفر لى وله، أنه أتاح للإخوان جواً من الحرية لا بأس به، فأعدنا إصدار مجلة الدعوة، وكنا نقيم الاحتفالات في المناسبات الدينية في شتى أرجاء القطر.

●● محاولات السادات استقطاب الإخوان،

رصدت أجهزة الأمن اتصالات بين الدكتور محمود جامع وبعض قيادات الإخوان خارج السجن، في ظروف سياسية حرجة لم تكن تسمح بالقيام بأى نشاط مناوئ في ذلك الوقت - في أوائل شهر سبتمبر ١٩٧٠، خصوصاً أن عبدالناصر كان يعد البلد للحرب وإزالة العدوان، ورفع في ذلك الوقت شعار: [لا صوت يعلو فوق صوت المعركة]، وكانت المفاجأة المذهلة: حضور السيد أنور السادات النائب الأول لرئيس الجمهورية ثلاثة اجتماعات مع القيادات الإخوانية في منزل الدكتور محمود جامع بمدينة طنطا، واجتماع رابع بمنزله في ميت أبو الكوم، وذلك في غضون أسبوعين أو أكثر، ثم بعد ذلك حدد إقامته في ميت أبو الكوم، ولكن عبدالناصر قبل وفاته بفترة قصيرة ذهب لزيارة السادات الذي فاجأته أزمة قلبية، واعتبرت هذه الزيارة تصفية لهذا الموقف.

يقول اللواء فؤاد علام الذي ذكر ما قلناه، إنه التقى بالدكتور جامع بعد ذلك بسنوات وسأله عن هذه اللقاءات، وعلم منه أنه تقرر إيقافها فوراً بعد أن وصلته رسالة من شعراوي جمعة -وزير الداخلية في ذلك الوقت- بإيقاف هذه الاتصالات وإلا سيعرض الأمر على الرئيس عبدالناصر، ويقول: فهمت منه أيضاً أن الهدف من هذه الاجتماعات هو: [محاولة السادات استقطاب الإخوان المسلمين وربطهم به تحت شعار الوحدة الوطنية في تلك الفترة، وتجميع القوى السياسية في جبهة واحدة استعداداً للمعركة].

ويقول فؤاد علام: ولا أعرف حتى الآن كيف أبلغت لهم رسالة شعراوى جمعة، ولا من الذى قام بتوصيلها. . ولكن كان الملاحظ أن اللقاءات على درجة عالية من الأهمية والسرية، لأنها تعقد أثناء الليل وتحضرها القيادات الإخوانية المهمة مثل: [عباس السيسى] أحد القيادات فى الغربية، والقصرى. . وكان السادات يأتى بدون حراسة أو ركب وبسيارته الخاصة حتى لا يلفت إليه الأنظار^(١).

كانت هذه محاولة من أنور السادات لاستقطاب الإخوان فى حياة جمال عبد الناصر، ولكنها لم تتم وأوقف الاتصالات بينهم شعراوى جمعة وزير الداخلية.

عاود السادات المحاولات واستأنف الاتصالات بالإخوان المسلمين بعد وفاة جمال عبد الناصر بنوبة قلبية فى سبتمبر ١٩٧٠م ثم توليه الحكم رسمياً فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٠، وقضائه على مراكز القوى فى ١٥ مايو ١٩٧١.

يقول الدكتور محمود جامع^(٢):

استقر الأمر للسادات بعد القضاء على مراكز القوى، ففكر فى دعوة قيادات الإخوان الهاربة بالخارج، إلى العودة لمصر، وكانوا هم أيضاً على استعداد للتعاون معه، ومن هذه القيادات التى ذهبت أنا والتنقيت ببعضهم فى الخارج، بتكليف من السادات: د. يوسف القرضاوى، د. أحمد العسال، المهندس عبد الرؤوف مشهور، والمهندس عبد المنعم مشهور، ود. سالم نجم.

وقد بدأ السادات بداية مشجعة معهم، فأخرج عبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق بناء على وساطتى وأرسل لهما بالاتفاق معى الدكتور سعيد النجار الأستاذ الجامعى ورئيس جمعية النداء الجديد الآن، أرسله إلى ليمان طرة سراً للتشاور معهما وكان محكوماً عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة، ولما ذهبت إليهم. . أبلغتهم بنية السادات فى فتح صفحة جديدة معهم، وأنه يريد أن يتعاوننا معاً، لبناء البلد. وأعطى السادات تعليمات بإعادة الجنسية إلى الذين سُحبت منهم جنسياتهم أيام عبد الناصر، وكان من بين هؤلاء، الدكتور سالم نجم الذى سحب عبد الناصر منه جنسيته فحصل على الجنسية العراقية وأعادها السادات وعينه أستاذاً بطب الأزهر، وأعاد إليه جنسيته المسحوبة.

(١) تراجع الشهادة التى أثبتتها اللواء فؤاد علام بأن مباحث أمن الدولة كانت تراقب بيت الدكتور محمود جامع. نشرت هذه الشهادة مجلة روز اليوسف ١٠/٧/١٩٩٥ عدد (٣٥٠٠).

(٢) عرفت السادات- د. محمود جامع.

وفى السعودية التقيت مجموعة من قيادات الإخوان، وكان ذلك موافقاً لليلة القدر، وفى الكعبة المشرفة، حيث اتفقنا على السماح بعودتهم جميعاً إلى مصر وإعادة المفصولين إلى أعمالهم، وطلبوا هم إعادة حقوقهم المسلوبة، والسماح لهم بالدعوة، والإفراج عن معتقليهم. كان السادات قد وضع خطة، يعتمد من خلالها على الإخوان، فى محاربة الشيوعيين والناصرين، وبالفعل كلف [محمد عثمان إسماعيل] بتشكيل جماعات إسلامية فى الجامعات، ورعايتها والإنفاق عليها من الأموال المخصصة لرعاية الشباب.

ولم يكن السادات يفكر فى إعادة الإسلاميين، وإنما كان يفكر فى إنشاء مؤسسات وتنظيمات إسلامية، تستطيع أن تواجه الشيوعيين والناصرين معاً، وقد قال لى يوماً إن الشيوعيين والناصرين يتغلغلون فى الدولة وأنهم يتعبونه وسوف يستمرون فى ذلك ما لم تكن هناك جماعات قوية ومؤسسات أقوى تستطيع كبحهم وضربهم، وكسر شوكتهم.

اختار السادات محمد عثمان إسماعيل، أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكي، فأنشأ جماعة [شباب الإسلام]، ثم نشأت [الجماعات الإسلامية]، بعد محاضرة للشيخ الشعراوي فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، وكان من بين الذين برزوا أيامها: د. عصام العريان، د. عبد المنعم أبو الفتوح، د. حلمى الجزار، مهندس أبو العلا ماضى وغيرهم.

وبذلك أصبح فى الجامعات:

١- جماعة شباب الإسلام^(١).

٢- الجماعات الإسلامية^(٢).

٣- الشيوعيون.

٤- الناصريون.

كانت الجماعات الإسلامية هى الأكثر شعبية وكانت تتبع الإخوان المسلمين، وقد انشغلت بالتربية، وبضم الشباب إليها، ولم تدخل فى صراعات فقهية أو مناقشات مع الجماعات والقوى الأخرى.

فى الوقت نفسه. دخلت جماعة شباب الإسلام فى مناوشات مع الناصريين والشيوعيين، وصلت إلى التشابك بالأيدى واستخدام المطاوى والكرابيج.

(١) وهى الجماعة التى تسميت فى أحداث العنف والإرهاب الذى انتهى باغتيال أنور السادات نفسه.

(٢) انضمت هذه الجماعات إلى الإخوان المسلمين، غير أن البعض منهم لم ينضم إلى الإخوان ولكنهم تفرقوا بعد ذلك على الجماعات الموجودة على الساحة وتنادى مثل: «التوقف والتبين، القبطيون، التكفير والهجرة، السلفيون».

وعندما فاز الطالب: [عبد المنعم أبو الفتوح] بموقع رئيس اتحاد الطلاب ازداد نفوذ الجماعات الإسلامية.

أما جماعة شباب الإسلام فكما ظهرت بسرعة، اختفت كذلك بسرعة].

•• مشهور يكشف نشاطه:

أنعم الله تبارك وتعالى على حملة رايته الدعوة المجاهدين، مصطفى مشهور وإخوانه الذين حملهم الإمام الهضيبي الأمانة، ويعاونهم أعضاء مكتب الإرشاد ورموز الأقاليم -أنعم عليهم العليم الخبير بجو هادئ مناسب أتاحة لهم بتسخير منه القوى القهار الرئيس السادات أن يسعى لطلب معاونتهم له لضرب الشيوعيين والناصريين، إلا أن الإخوان لهم أسلوبهم الخاص بهم في دعوتهم ولهم طريقتهم في التعامل مع مثل هذه المواقف، فلم يستجيبوا لطلبه ولم يعقدوا صفقة ولكنهم انطلقوا في دعوتهم متوكلين على الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

أحس الإخوان بالإفراج الحقيقي، والإفراج الحقيقي هو الذي يشمل الدعوة والداعية، فإذا ما أفرج عن الداعية ولم يفرج عن الدعوة، فذلك يكون بمثابة انتقال من سجن إلى سجن مع الفارق في المقارنة، ولا يمكن أن تكون إفراج عن الدعوة دون إفراج عن الداعية، والمبدأ المعروف لدى جميع الدعاة: [خلوا بيننا وبين الناس].

كانت هذه المرحلة من أصعب المراحل وأخطرها وأشقها على الإخوان المسلمين، فالآن هم مقبلون على مرحلة فُتح لهم فيها المجال واسعاً والجماعة في حالة يصعب عليها القيام بهذه المهمة الصعبة الشاقة، مهمة نشر الدعوة في المجتمع والسعي للإصلاح من ناحية، ومن ناحية أخرى تأهيل الدعاة وإعدادهم بعد خروجهم من السجون، فكانت بمثابة إعادة بناء الجماعة من جديد.

رأى مصطفى مشهور ضرورة الاتصال بكل من كانت له صلة بالجماعة اتصالاً فردياً مباشراً، فلا بد من جمع الصف وترتيبه وتنظيمه أولاً. وضرورة الاتصال بشباب الجامعات المتدين -الذي أشرنا إليه، وهم الجماعات الإسلامية- ولا بد من تربيته على فهم الإسلام فهماً صحيحاً. وضرورة تجديد فكر الجماعة.

ومن هذه الرؤى نستطيع أن نقول إنها هي مجمل تجديد مصطفى مشهور لبناء جماعة الإخوان المسلمين وهي بوضوح كما يلي:

١- لم الشمل .

٢- صناعة الجيل الجديد .

٣- التكوين الداخلى والخارجى .

٤- التجديد الفكرى .

وهذا ما أشرت إليه فى الفصل الأول، أن تجديد الأستاذ مصطفى مشهور لبناء جماعة الإخوان المسلمين يتمثل فى : [تجديد الدماء التى تجرى فى عروق الجماعة، وتجديد القلوب وتجديد العقول].

- فصناعة الجيل الجديد -يعنى- تجديد الدماء التى تجرى فى عروق الجماعة- ونعنى بالجيل الجديد شباب الصحوة الذى نشأ فى الجامعات قبل خروج الإخوان من السجون .

- وتجديد القلوب -يعنى: التكوين الداخلى والخارجى والهيكلية والتنظيم .

- أما تجديد العقول- فهو : التجديد الفكرى .

وستكلم عن لم الشمل فى هذا الفصل لأنه جزء مكمل له ولكتنا ستخصص لكل نوع من التجديد فصلاً مستقلاً لأهميته .

●● لم الشمل:

أعنى بلم الشمل : [جمع الأفراد وربطهم بالجماعة من جديد] . لقد تشتت الأفراد، فمنهم من لم يسجن وظل بعيداً عن إخوانه هذه المدة الطويلة التى تعرضت فيها الجماعة للمحن ، ومنهم من غيرته المحن وأراد أن يتعد عن العمل الجماعى ، ومنهم من ظل على العهد، ومنهم من اختلف فكراً معها وهكذا، فالأمور ليست مستقرة لدى الأفراد، وكان لزاماً أن يتم الاتصال بالأفراد اتصالاً فردياً شخصياً، ولا بد من تجديد البيعة والعهد لمواصلة المسيرة .

وبما لمصطفى مشهور من خصوصية وتميز على غيره من قادة الإخوان فى العلاقات الفردية والاتصالات الشخصية، وبما عُرف عنه بين الإخوان بأنه أكثرهم صلة وعلاقة بالأفراد وأنه أعرفهم بالرجال، كان هو أبرزهم وعلى رأسهم فى هذه المهمة، وشاركه فى هذه الاتصالات إخوة أفاضل مثل: الحاج حسنى عبد الباقى والأستاذ كمال السنائيرى .

جاب مصطفى مشهور البلاد طولاً وعرضاً، فكان يزور أكثر من محافظة فى اليوم الواحد ويبيت فى الثالثة .

سافر إلى المدن والقرى والنجوع والكفور، تماماً كما كان يفعل الإمام الشهيد حسن البنا .

وكان إذا جلس في مكان في مسجد أو غيره يقول له أهل المدينة أو القرية أو النجع أو الكفر، لقد جلس الإمام الشهيد حسن البنا في نفس المكان^(١).
ومن كثرة أسفاره قال عنه الدكتور عصام العريان: [لم أر شخصاً استطاع أن يجوب مدن مصر وقراها بل بلاد العالم المختلفة مثل مشهور]^(٢).
[جاء مصر بجامعاتها ومدنها وقراها في دأب وصبر]^(٣).

ذهب مشهور إلى كل من يعرف من الإخوان، طرق أبوابهم جميعاً، فمنهم من استجاب له على الفور، ومنهم من استجاب ولكن على مهل، ومنهم من سكت، ومنهم من أيد وبارك ولكن أثر ألا يشارك، ومنهم من صدّه ورفض، ومنهم من قفل الباب في وجهه، ومنهم من لم يفتح له بابه بمجرد سماع صوته.

لقد ذهب الرجل ليبين لهم أن البناء لم يتهدم، وأننا نستطيع أن نعود إلى نشاطنا ونتعاون سوياً. فإننا لا نزال في مرحلة الإعداد للبناء.

أراد أن يبين لهم أن المحنة لم تكن هدماً للبناء ولكنها صقل وتمحيص وتمييز وإعداد للبناء. وكان يوضح لهم ما يمتحن في الفرد أثناء المحنة ويقول لهم^(٤):

[لعله من المفيد أن نوضح أن ما يتعرض له الفرد من امتحان أثناء المحنة ليس فقط ذلك الجسد ومقدار تحمله للإيذاء والتعذيب، ولكن الذي يمتحن بالدرجة الأولى هو: إيمان الفرد وإخلاصه لدعوته وتضحيته في سبيلها، كما يمتحن أيضاً فهمه لإسلامه ومدى صحته ونقائه من الشوائب أو الانحرافات، وكذا عمله ومدى مطابقته للشرع بلا إفراط أو تفريط، كما يمتحن تجرده لدعوته وخلو قلبه مما سواها وجهاده وصدق الوجهة فيه وأنه لإعلاء كلمة الله، وكذا ثباته وعدم تخليه عن حمل الراية مهما لاقى من عنت، وامتحن أيضاً أخوته لإخوانه وحبهم وحرصه على سلامة هذه الرابطة مهما حاول الأعداء النيل منها بالتفريق أو التحريش، وطاعته وثقته لدعوته وبدعوته واطمئنانه لخطواته في الطريق وعدم تشككه مع المتشككين].

وكان يوضح لهم أن هذا البناء أساسه وقاعدته المتينة تتمثل في إعداد جيل جديد، ويشرح ذلك بقوله^(٥):

(١) حوار غير مسجل مع الأستاذ أحمد حسنين.

(٢) من مقال للدكتور عصام العريان، أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) من مقال للأستاذ صلاح عبد المقصود مرادف لمقال الدكتور عصام.

(٤) انظر فقه الدعوة ج/ ١ ص ٨٤ - مصطفى مشهور.

(٥) المصدر السابق نفسه - ص ٨٤، ٨٥.

(أما عن القاعدة المتينة التي يقوم عليها البناء في استقرار وشموخ، فإنها تتمثل في إعداد جيل مؤمن راسخ الإيمان بعقيدة الإسلام، يصبغ بها كل حياته ويضحى من أجلها بكل مرتخص وغال، ويحميها ويدفع عنها كيد الأعداء، ولا يهدأ له بال حتى يمكن الله لها في الأرض وتقوم دولة الإسلام لتؤدي دورها المنوط بها نحو البشرية .

هذا النوع من رجل العقيدة هو الذي يقيم الأسرة المسلمة النموذجية كدعماء أساسية لبناء المجتمع المسلم، كما يتحرك بدعوته ويجمع الناس عليها لتتكون القاعدة الإسلامية المتينة للحكم الإسلامي وللدولة المسلمة .

وكان يؤكد لهم ويطمئنهم أن معاول الهدم لن تنال من هذا الأساس، ويلخص لهم ذلك بقوله (١):

(يظن البعض أن ما يتم إعداده من أساس يهدمه الباطل بمعاوله وشروره أولاً بأول، وعلى ذلك فلن يتم بناء بهذه الطريقة ويلزم التفكير في طريقة أسرع وأفضل . .

ولكن الحقيقة أن الأساس المتين الصلب لن تنال منه معاول الباطل، ولكنها تنال من الأساس الهش الضعيف . وما نالت معاول الباطل قديماً من المسلمين الأول الذين تربوا في مدرسة رسول الله ﷺ وعلى مائدة القرآن، وتأسست بهم وقامت على أكتافهم دولة الإسلام الأولى . فرجل العقيدة الحق يصمد كالطود أمام كيد الأعداء، ورحم الله الإمام الشهيد إذ يقول : (القوة أجمل ما تكون مع الحق، والضعف أقبح ما يكون أمام الباطل).

كما أنه من المهم جداً ألا تصرفنا بصورة كلية ولكن بقدرها، صوارف الأحداث أو القضايا الجزئية، وضرورة الاستمرار في إتمام هذه المرحلة وهي إرساء القاعدة المتينة والأساس القوي، فلا بناء بدون أساس، كما لا يدفعنا تعجل النتائج إلى التسرع للحل الذي يؤدي إلى عدم الإلتقان والأصالة، فنحن مسئولون عن العمل ولنا محاسبين على النتائج، وإن الزمن يقاس بعمر الأمم والدعوات وليس بعمر الأفراد، كما أن التأخر في الوصول إلى الهدف لا يعني خطأ الحركة أو سوء التخطيط).

ذهب مصطفى مشهور إلى إخوانه ليطمئنهم بأن دعوتهم تسير سيرها الطبيعي في الطريق التي سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته من قبل دون تغيير أو تبديل في حفظ من الله ورعاية يسدها ويرد الكيد عنها . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

(١) نفس المصدر - ص ٨٥ .

[الحج: ٣٨]، ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ذهب ليذكر كل أخ بالثبات على طريق الدعوة ويقول له:

(لتثبت يا أخى على طريق الدعوة فلا تزل قدم بعد ثبوتها، ولنظّل على الطريق لا تمل السير كل الوقت فى كل مكان وتحت كل الظروف، ولو كان الواحد منا وحده فى أقاصى الأرض أو فى أعماق السجون، مستشعرين معية الله فهو نعم المولى ونعم النصير، لا تمل السير يا أخى ولو تباعدت بين ناظريك تباشير النصر أو ثمار أعمالك وجهادك. فالله سبحانه من رحمته بنا يحاسبنا على الأعمال والنيات ولا يحاسبنا على النتائج.

لتثبت يا أخى مهما تعرضنا للأذى ومهما هدد الباطل وأرعد وخوف، ولنا فى رسول الله ﷺ وصحابته الأسوة الحسنة ولتتمثل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٥]. وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَايِنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

لتثبت يا أخى على طريق الدعوة ولا تبتعد عنه قيد أنملة حتى نلقى الله ونحن على طريق الدعوة غير مبدلين ولا مغيرين ولا ناكثين لعهدنا مع الله مستبشرين ببيعنا الذين بايعنا، مترقبين إحدى الحسينين إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة^(١).

ذهب ليصحح بعض الانحرافات ويقومها، تلك الانحرافات التى وقع فيها البعض حول المحن والابتلاءات بالنسبة للدعوة والدعاة. نذكر منها بعض الصور^(٢):

(١) المصدر السابق - ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) المصدر السابق - ص ٢٢٥ - ٢٣٢.

١- من الخطأ أن يظن البعض أن المحن ليست أمراً طبيعياً على طريق الدعوة، أو أنها نتيجة أخطاء وقعت فيها قيادة الجماعة، ثم يثار مثل هذا الفهم الخاطئ في الصفوف فيحدث بلبلة مما يضر بالسير على الطريق وقد رأينا عكس هذا الفهم هو الصحيح، وأن تعرضنا للمحن دليل على أننا نسلك سبيل أصحاب الدعوات، ولو أننا لم نتعرض للمحن للزم التساؤل عن حدوث خطأ أو انحراف. وهل من المقبول أن يقال: إن الرسول ﷺ والمؤمنين معه والرسول الذين تعرضوا للأذى كان ذلك نتيجة أخطاء صدرت منهم؟ ولكن حقيقة الأمر أن أعداء الله يحاربون دعاة الحق خشية أن يزهد هذا الحق باطلهم، وكثير من الآيات والأحاديث تدل على ذلك.

٢- أن تحدث المحن اهتزازاً في الثقة بالطريق، بأن يقال لو أننا على حق لنصرنا الله ولما مكن أعداء الله منا يفعلون بنا ما يفعلون، وقد يثير ذلك المشككون ويتأثر بهم البعض وهذا فهم خاطئ.

٣- ومن الانحراف أن يظن البعض أنه كان من الممكن تفادي المحن بشيء من الحكمة والسياسة أو ما يسمونه: (الدبلوماسية) مع الأعداء، ولكن المسئولين ليس عندهم شيء من ذلك فلماذا حدث ما حدث. وهذا أيضاً فهم منحرف خاطئ، إذ لن يتوقف الأعداء عن حربهم لأصحاب الدعوة بقصد القضاء عليهم وعلى دعوتهم، إلا إذا تخلوا عنها أو على الأقل تنازلوا عن بعض جوانبها وخاصة التي تؤذي الأعداء أو تنال منهم ومن مكائنتهم واعتقادهم. وما هي الآيات تؤكد هذا المعنى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدْبَرُنَّ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] ﴿إِنْ يَنْقُضْكُمْ بَعْدَ مَا عَاهَدْتُمْ لَكُمْ عَهْدَهُمْ وَيَسْتَظْفِرُوا إِلَيْكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [الممتحنة: ٢] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣] . . . وكيف يستجيب لهم الرسول ﷺ والله يقول له: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣) ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

٤- اللجوء إلى تأييد الظالم وإعلان التخلص والتبرؤ من الجماعة ومهاجمتها كوسيلة للإعفاء من الإيذاء والسجن والتعذيب^(١). فالأصل أن نصبر ونتحمل الأذى ونثبت ولا نتخلى أو نتنكر للطريق والجماعة ولا نستجيب لما يطلبه منا الظالمون، لتظل راية الحق مرفوعة يحملها الرجال ولا يتخلون عنها حتى يسلموها لمن بعدهم.

(١) كان رد هذا الانحراف إلى أصله وأصلته يخص بعض الإخوان الذين سقطوا في محنة التأييد التي ذكرناها في باب المحن.

قد يباح لبعض الأفراد الذين يشتد بهم الإيذاء بصورة لا يتحملونها أن يلجأوا لمثل هذه التصرفات أو بعضها مع اطمئنان القلب بالإيمان وبالتزام الجماعة، لكن يكون ذلك استثناءً وليس القاعدة للمجموع. فالأصل: العزيمة والترخص هو الاستثناء لأن الدعوات تقوم على العزائم وأولى العزم، لا على الرخص والمترخصين.

ولنا في رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، فالسيدة سمية رضى الله عنها رفضت أن تنطق بكلمة الكفر كي تخلص نفسها. وخبيب بن عدي رضى الله عنه قالوا له: اتحب أن يكون محمد مكانك وأنت معافى. فقال: ولا بشوكة يشاكها.

وما أجمل قول الشاعر في هذا المجال:

فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤسى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للمتى ليس تجمل

5- أن تؤدى المحن إلى القعود في الطريق وعدم مواصلة السير، فالأصل هو الثبات وأن نوطد أنفسنا على الصبر والتحمل واستمداد العون والثبات من الله، وإلا لو تصورنا أن الغالبية العظمى اتخذت هذا الموقف ولم يثبتوا، لتعرضت الحركة إلى مخاطر ولأدى ذلك إلى تشييط همم الأجيال التالية، بعكس الأصل وهو الثبات واجتياز المحن والشدائد، فإنه يبعث العزيمة في نفوس هذه الأجيال.

ومما يعين على الثبات، المقارنة بين عذاب الله وفتنة الناس، فنجد الفارق كبيراً جداً، فتتحمل فتنة الناس نجاة من عذاب الله ولا تجعل فتنة الناس كعذاب الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 10].

ولذلك نرى الإمام الشهيد أكد أنه من ضروريات طريق الدعوة، الثبات وجعله ركناً من أركان البيعة العشرة لكى يلزم كل أخ نفسه به وفاء لبيعته وعهده مع الله، ولا ينكث فيه بالقعود أو التخلي، ونجده رضى الله عنه يقول تحت ركن الثبات: (وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاوت السنوات والأعوام، حتى يلقي الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنين، فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

٦- يحدث أن يضعف أثناء المحن بعض من كانوا في مواقع مسئولية قبل المحن فيظن البعض أن ذلك دليل على سوء اختيار القيادات وأن الأمور تسير هكذا بدون دقة أو بمجاملات أو غير ذلك، وهذا فهم خاطئ غير صحيح. فإن قدراتنا كبشر لا تمكننا من أن نعرف أن فلانا إذا تعرض لمحنة سيثبت أو لا يثبت وبالتالي يختار مسئولاً أو لا يختار، ولكن يحدث الاجتهاد في الاختيار بما يظهر والقلوب والغيب عند الله.

٧- من الانحراف أو الخطأ أن نعطل حكمة الله من المحن وهي التمهيد وتمييز الرجال، ويكون ذلك بأن نقدم للقيادة أو مواقع المسئولية بعض من ضعفوا ولم يثبتوا أثناء المحن، وقد يعاودهم الضعف عند التعرض لشدة أو محنة أخرى فيكون ضررهم وهم في مواقع المسئولية كبيراً.

٨- كذلك من الانحراف ألا نعذر من لم يتحمل الأذى لشدة وطامته ضعف دون أن يتحول أو ينقلب على عقبيه. فلا يصح أن يوصد الباب في وجهه أو يحال بينه وبين العمل للدعوة، فقد ضعف حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وقد وجدنا المولى عز وجل يخاطبه بقوله سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ فكان هذا تعليماً وتوجيهاً للصف المسلم ولكن يأخذ المكان المناسب ولا يحمل تكاليف أكثر من طاقته، ولا توكل إليه ثغرات لها أهميتها.

٩- ومن الانحراف عن الأصل إزاء المحن، أن يصبح همنا هو كيف يوقف الإيذاء والتعذيب عن الأفراد بأي صورة ولو على حساب الدعوة والعمل الإسلامي، كأن نذل أنفسنا لأحد من الظالمين أو نبرم اتفاقات فيها تنازل عن شيء من أصول الدعوة أو الأهداف أو ما شابه ذلك مما فيه مخالفة للشرع والأصول التي قام عليها العمل الإسلامي.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد رأى أصحابه يعذبون، وعرضوا عليه الملك والمال، ورأينا رده في مثل هذه المواقف ﷺ فالدعوة ونجاحها هو الأصل والقصد وليس الأشخاص.

١٠- وثمة نقطة مهمة وفهم خاطئ يقع فيه البعض بأن يظنوا بأن المحن ضربات قاصمة أو قاضية أو مقعدة أو أنها بمثابة هدم لكل ما يتم بناؤه بما يشبط الهمم في بذل أي جهد مادامت النتيجة هكذا هدم لما يقوم من بناء.

إذ لا يعقل أن تؤدي المحن إلى هذه النتائج والتصورات الخاطئة والضارة بالدعوة والدعاة وهي سنة الله في الدعوات . . (إن الله قدرها لتنفع لا لتضر ، لتبني وتصلح لا لتهدم ، ليتقوى بها الدعاة ليواصلوا المسيرة في عزم وقوة لا ليقعدوا ويتوقفوا . إنها تنقى النفوس والنوايا من الشوائب والأغراض الدنيوية . إنها تطهر النفس من نقط الضعف وتميز بين الرجال وبين المؤمنين والمنافقين والصادقين والكاذبين . ليقوم البناء عالياً بعد ذلك على دعائم قوية ثابتة) .

قد يظن البعض أن استشهاد الشهداء خسارة لحقت بالجماعة بفقدانها هذه العناصر الطيبة ، لكن الحقيقة أن الجماعة ربحت بشهادتهم التي تعتبر زاداً ووقوداً يشعل جذوة الإيمان في قلوب المثات والألوف من الشباب الجدد ويعوض الله بهم الصف أضعافاً مضاعفة ، كما أن السجن وإن كان تضييقاً وتعطيلاً للطاقت ولكن مدرسة نافعة لأصحاب الدعوات وفرصة لإعداد العناصر المحصنة المتجردة الصابرة التي تضرب المثل والقذوة في الثبات على الحق رغم الشدائد وطول الزمن قال تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٤) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣ ، ٢٤] .

وإذا انحسر نشر الدعوة بعض الشيء أثناء المحن وهو الإنتاج فإنه يحدث تعويض بالإنتاج الرأسي في التربية والتكوين وصقل النفوس وتركيبها .

١١- ومن الانحراف عن الأصل بسبب المحن أن نتوقف عن الدعوة إلى الله والحركة بالدعوة حتى لا نتعرض إلى أذى جديد . وها هو رسولنا وقائدنا ﷺ كان يدعو المشركين ويتعرض للأذى المرة بعد المرة دون أن يتوقف . فعلينا أثناء المحن أن نوائم بين متطلبات الدعوة والحركة وبين الظروف ما أمكن دون توقف ، وإلا نكون بذلك قد حققنا ما يريد الأعداء من هذا الإيذاء .

١٢- كذلك لا تكون المحن سبباً في أن نقصر نشاطنا على الجوانب التي لا تثير الأعداء أو الحكام كالعبادة والعلم والذكر مثلاً ونترك التشريع والحكم والجهاد إلى غير ذلك مما يتخوف منه الأعداء ، ولكن يمكن فقط ترتيب أولويات العمل دون استبعاد شيء من ذلك .

١٣- وأخيراً وليس آخراً ، أن يتطرق اليأس إلى بعض الأفراد بسبب المحن وشدتها وطولها ، وتضعف الثقة في الله وتأييده ، والثقة في المستقبل وما نأمل أن نحققه فيه من أهداف ، فالأصل ألا تتأثر هذه الثقة بسبب ما نتعرض له من أذى الأعداء وكيدهم ، ولا ننظر

للقضية من زاوية أنهم يحاربون أشخاصنا وأجسادنا ولكنهم يحاربون الله ودعوة الله في أشخاصنا ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١]. والسيرة والتاريخ يوضحان لنا كيف نصر الله القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة رغم ما لاقوا من عنت وإيذاء ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ [الأنفال : ٢٦].

فرغم ما تعرض له المسلمون الأول من إيذاء وتعذيب وقتل في مكة فقد نصرهم الله وتطهرت الجزيرة من الشرك والأصنام وأجلى اليهود وفتحت الفرس وتبدد الظلام وعم نور الإسلام . والآيات الكريمة تؤكد الثقة بنصر الله رغم الشدة والزلزلة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزَلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤]. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّسُولُ وُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَجَمْعِيٌّ مِنْ نَشَاءِ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠].

وقد دلنا الإمام الشهيد أننا إذا رأينا العقبات على الطريق نتذكر بجوارها عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة وهي :

أ- أننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات وننادى بفكرة الإسلام وهي أقوى الفكر . ونقدم للناس شريعة الله وهي أعدل الشرائع : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨].

ب- وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيئ سبيلها .

ج- أننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته .

د- أننا نراقب تأييد الله ونصرته، ومن نصره الله فلا غالب له . ففوة دعوتنا وحاجة العالم إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يتوقف في طريقها عائق ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١].

وفق الله مصطفى مشهور في مهمته التي جاب البلاد طولا وعرضا من أجلها وهي : [جمع الأفراد وربطهم بالجماعة من جديد].

وكان له الفضل العظيم بعد الله تبارك وتعالى وبمعاونة إخوانه الذين سبقوه في الطريق وتعرضوا لمحن شديدة من سجن وتعذيب وقتل وغير ذلك وثبتهم الله وحافظوا على الوفاء

بيعتهم، ومنهم من قضى نحبه ومنهم من قضى أكثر من عشرين عاماً في هذه الابتلاءات دون أن تلين لهم قناة، وتأبوا على الإغراء بتأييد الظالم في سبيل الإفراج عنهم وظلوا حتى قضوا مدد الأحكام وخرجوا من السجون والمعتقلات ليواصلوا العمل والسير بالدعوة دون وهن أو ضعف أو استكانة، رغم تقدم السن وضعف الصحة سيراً على طريق المجاهدين الصادقين ﴿وَكَايِن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وأنهم يرجعون الفضل في ثباتهم وتحملهم لله سبحانه وتعالى لأشخاصهم ويرددون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: [عمر التلمساني، محمد حامد أبو النصر، كمال السنانيري، أحمد الملط، حسنى عبد الباقي، أحمد حسنين، محمد مهدي عاكف، عباس السيسى، حسن جودة، عبد المنعم مكاوي، محمد العدوي، أبو الحمد ربيع، أحمد البس، عز العرب فؤاد... وغيرهم وكثير من الإخوان الصادقين الصابرين المجاهدين - أن يجددوا بناء جماعة الإخوان المسلمين وأن يواصلوا السير على طريق الدعوة، فرزقهم الله تعالى بشباب الصحوة في الجامعات، وكانت هذه النعمة هي الأساس المتين الذي قام عليه البناء الجديد لدعوة الإخوان المسلمين بعد خروجهم من السجون... وهذا ما سنراه بإذن الله تعالى في الفصل الثالث.

الفصل الثالث: صناعة الجيل الجديد

إن ما حدث للإخوان المسلمين في ١٩٥٤، ١٩٦٥ من محن وابتلاءات وسجن وتعذيب وظلم وطغيان -وما أعقب ذلك من هزيمة ١٩٦٧... هما الساعدان اللذان غيرا مسار دفة السفينة المصرية ووجهها إلى الله عز وجل مرة أخرى، فأحدثنا صحوة إسلامية مباركة ويقظة دينية عامة جعلت الناس يتنادون بضرورة التوبة والأوبة والرجوع إلى الله والوقوف على بابه، جل في علاه. تجلّى أثر ما حدث من تغيير في المساجد والبيوت وفي الجامعات وفي الشارع المصري، بل وفي الجيش نفسه، وعادت البذور التي يذرّها الإمام البنا تتعرّع...

لم يستطع الشيوعيون الذين كان لهم وجود ونشاط قوى وواسع في ذلك الوقت ومن على ساكنتهم من أعداء الإسلام، أن يقارموا هذا التغيير...

والدولة الناصرية قد فضحها الله وكشف أمرها الذي طالما تشرّت عليه الصحافة والإعلام وأجهزة المخابرات، فقد صفّى رجال الثورة كل منهم الآخر، وظهرت براءة الإخوان المسلمين وعرف الشعب صدقهم ونبل مقصدهم وظهرت دعوتهم بعد خروجهم من السجون والمعتقلات، ودخول سجونهم مكاتهم وفي نفس الزنازين!! وهم أحقّ بها منهم... ثم أتاح السادات الحرية للناس ليعبروا عن رأيهم، وأفسح لهم الفرص في أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمتلفزة، فظهر جو الحرية وأعطيت الفرصة للإخوان كغيرهم.

وأما السادات فكانت نيته أن يضرب الشيوعيين والناصرين بالإخوان، وأما الإخوان وقد سنحت لهم الفرصة فاغتنموها لدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد أنعم الله عليهم أن ينشروا دعوتهم في مجتمع توجه إلى الله عز وجل وأدار ظهره لأعداء الله [الشيوعيين والناصريين وغيرهم]، كما أنعم عليهم بشباب الجامعات الذين كانوا هم رواد الصحوة الإسلامية في مصر في ذلك الوقت.

•• جيل الصحوة في الجامعات^(١) ••

بدأ العمل الإسلامي في الجامعات في أواخر الستينيات كرد فعل لما حدث للإخوان المسلمين في الخمسينيات والستينيات ولهزيمة ١٩٦٧.

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور عصام العريان والدكتور حلمي الجزار.

فبدأ عملاً إسلامياً طلابياً ليس له ارتباط بأية جهة، ولكنه عمل فطرى فى شكل تلاوة للقرآن الكريم ودراسة حديث نبوى شريف، وبعض المشايخ الرسميين كانوا يلقون بعض المحاضرات داخل الجامعة أو خارجها.

كان هذا النشاط تقوم به لجنة تسمى [لجنة التوعية الدينية ثم الجمعية الدينية] وهى إحدى لجان اتحاد الطلبة، وهذا أقصى ما كانت تقوم به من نشاط.

أما السيطرة الكاملة والواسعة على النشاط الطلابى فى ذلك الوقت فكان يتمتع به التيار اليسارى والشيوعى، وكانت تعلق المجلات والجرائد الحائطية التى يُسب فيها الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والإسلام والقرآن الكريم . . .

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح [كنا كريفين بسطاء يذهلنا هذا السب فكانا نبكى ونسأل أنفسنا: كيف يجرؤ هؤلاء على سب الله وسب رسوله وسب الإسلام وسب القرآن!! . . .].

كان ما يكتب فى هذه المجلات والجرائد الملحدة من الحوافز الدافعة للعمل الإسلامى والنشاط الدينى داخل الجامعات.

فى تلك الفترة لم يكن مسموحاً بتداول فكر الإخوان المسلمين ولا حتى بذكر هذا الاسم، ولم يجرؤ أحد أن يذكرهم أو أن يتداول كتبهم . . .

كما لم يكن هناك رابط يربط بين الطلاب فى العمل الإسلامى وإنما كان عملاً اجتهادياً عشوائياً لا تجمعهم جماعة معروفة أو غير معروفة ولا يضمهم حزب بعينه، وإنما كان عملاً طلابياً صرفاً، ونشاطاً دينياً دعويّاً داخل الجامعات، ونشط الطلاب فى العمل الإسلامى وظهرت رموز طلابية دعوية قيادية.

بعد ذلك نشأت علاقات بين الرموز الدعوية فى الجامعات وكانت هذه الرموز هى:
أ- فى جامعة القاهرة:

١- عبد المنعم أبو الفتوح.

٢- سناء أبو زيد.

وبعد عام ١٩٧٤م جاء:

٣- عصام العريان.

٤- عصام عبده.

٥- حلمى الجزار.

وتأثر فكرهم بالإخوان بما كانوا يسمعونهم وما يحدث لهم داخل السجون وعن ثباتهم لما تعرضوا له من فتن وابتلاءات، مما جعل الحركة الطلابية أكثر حياءً وتقديراً لهم كدعوة وكمجموعة وكرموز يسمعون عنهم، ولكنه لم يروا منهم أحداً، سوى الأستاذ حسن الهضيبي، ولكن لم تكن لهم صلة ولا علاقة نسبية، للخطر الأمني في ذلك الوقت، حيث كان بعض الطلاب يصلون الجمعة بجامع عمرو بن العاص ويرون الأستاذ الهضيبي هناك.

٢- تأثر الفكر الطلابي بالسلفيين من خلال الكتب التي تدفقت في غيبة الإخوان وانهارت على مصر وكانت تباع بأرخص الأسعار فكانت سهلة ميسورة يتناولها الطلاب، ولتعطشهم الشديد كانوا يقرءونها فيتأثروا بها وانشغلوا بالقشور دون اللباب، وبالصغائر والتفاصيل.

٣- تأثر الفكر الطلابي بالفكر الجهادي المتحمس الذي يريد أن يقطع أشواطاً لنصرة دين الله كرد فعل لهزيمة المسلمين في حرب ١٩٦٧.

كان للشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق الفضل في تهذيب فكر الطلاب بواسطة المحاضرات في الجامعة والجوامع (جامع عمرو بن العاص) فارتبطت الحركة الطلابية بهم كرموز دعوية فهم مشايخ وعلماء أجلاء.

ظلت الحركة الطلابية على هذا النحو حتى خرج الإخوان المسلمون من السجون واكتمل الإفراج عنهم جميعاً في أواخر ١٩٧٤، وتزامن خروجهم مع إتاحة السادات الفرصة للجميع للتعبير عن آرائهم بحرية، فتمتع الإخوان بجانب من هذه الحرية العامة وبدأ نشاطهم وبدأت حركتهم وبدأ عملهم فاتصلوا بالطلاب وبدأ التعرف عليهم.

•• الحركة الطلابية في الجامعات بعد ١٩٧٤م:

كما تقدم، كانت الحركة الإسلامية الطلابية منطلقة في نشاطها لا يحجم نشاطها أحد، ولم يضيق الأمن عليها خناقاً، حتى أن السادات قد سمح بتأسيس جماعة إسلامية في الجامعات وكلف محمد عثمان إسماعيل بتأسيس جماعة شباب الإسلام ورعاها وكان ينفق عليها من مال الدولة، لذلك كان مسموحاً للآخرين بممارسة النشاط الإسلامي داخل الجامعات.

أما بعد حرب ١٩٧٣م وقد انخفض الضغط الأمني بالنسبة للإخوان المسلمين، فقد بدأوا الاتصال بالطلاب.

وتأثر فكرهم بالإخوان بما كانوا يسمعونهم وما يحدث لهم داخل السجون وعن ثباتهم لما تعرضوا له من فتن وابتلاءات، مما جعل الحركة الطلابية أكثر حياءً وتقديراً لهم كدعوة وجماعة وكرموز يسمعون عنهم، ولكنه لم يروا منهم أحداً، سوى الأستاذ حسن الهضيبي، ولكن لم تكن لهم صلة ولا علاقة نسبة، للحذر الأمني في ذلك الوقت، حيث كان بعض الطلاب يصلون الجمعة بجامع عمرو بن العاص ويرون الأستاذ الهضيبي هناك.

٢- تأثر الفكر الطلابي بالسلفيين من خلال الكتب التي تدفقت في غيبة الإخوان وإنهارة على مصر وكانت تباع بأرخص الأسعار فكانت سهلة ميسورة يتناولها الطلاب، ولتعطشهم الشديد كانوا يقرءونها فيتأثروا بها وانشغلوا بالقشور دون اللباب، وبالصغائر والتفاصيل.

٣- تأثر الفكر الطلابي بالفكر الجهادي المتحمس الذي يريد أن يقطع أشواطاً لنصرة دين الله كرد فعل لهزيمة المسلمين في حرب ١٩٦٧.

كان للشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق الفضل في تهذيب فكر الطلاب بواسطة المحاضرات في الجامعة والجوامع (جامع عمرو بن العاص) فارتبطت الحركة الطلابية بهم كرموز دعوية فهم مشايخ وعلماء أجلاء.

ظلت الحركة الطلابية على هذا النحو حتى خرج الإخوان المسلمون من السجون واكتمل الإفراج عنهم جميعاً في أواخر ١٩٧٤، وتزامن خروجهم مع إتاحة السادات الفرصة للجميع للتعبير عن آرائهم بحرية، فتمتع الإخوان بجانب من هذه الحرية العامة وبدأ نشاطهم وبدأت حركتهم وبدأ عملهم فاتصلوا بالطلاب وبدأ التعرف عليهم.

●● الحركة الطلابية في الجامعات بعد ١٩٧٤م

كما تقدم، كانت الحركة الإسلامية الطلابية منطلقة في نشاطها لا يحجم نشاطها أحد، ولم يضيق الأمن عليها خناقاً، حتى أن السادات قد سمح بتأسيس جماعة إسلامية في الجامعات وكلف محمد عثمان إسماعيل بتأسيس جماعة شباب الإسلام ورعاها وكان ينفق عليها من مال الدولة، لذلك كان مسموحاً للآخرين بممارسة النشاط الإسلامي داخل الجامعات.

أما بعد حرب ١٩٧٣م وقد يخفف الضغط الأمني بالنسبة للإخوان المسلمين، فقد بدأوا الاتصال بالطلاب..

●● أول اتصال بين الإخوان وطلاب الجامعة:

خصص بمستشفى قصر العيني قسم لعلاج المعتقلين السياسيين وهو ما كان يعرف بـ [عنبر المعتقلين السياسيين]، لا يأتي إليه إلا المرضى المعتقلون من الشيوعيين وغيرهم، وكان محرماً على الإخوان المسلمين الذين إذا مرض أحدهم يترك في زنزانه حتى يموت، لا يعالج ولا يسعف!!! . . . استمر هذا الحال حتى بعد هزيمة ١٩٦٧م، ومع تخفيف الضغوط وموت جمال عبد الناصر تغير الحال، فكانوا يحضرون كل من يحتاج إلى العلاج من الإخوان في عنبر المعتقلين السياسيين في قصر العيني، وكان ذلك في سنة ١٩٧١م . . .

وقد كان مسموحاً لطلاب كلية الطب دخول العنبر، ومن هؤلاء الطلاب رموز الحركة الإسلامية في ذلك الوقت: [عبد المنعم أبو الفتوح وسناء أبو زيد]، فكانوا كلما عرفوا أن أحد المعتقلين من الإخوان المسلمين قد نقل إلى هذا العنبر يذهبون إليه . . . وبدأوا يلتقون بهم دون ترتيب، فيكون الأخ المريض في غاية السرور والسعادة وهو يقابل شاباً من طلابا الطب يتمون إلى الإسلام ويحبون الإخوان . . .

من أهم هذه الزيارات كانت زيارة الشيخ [فتحي رفاعي] الذي هرب إليهم رسالة من رسائل الإمام البنا وهي: [صفات الأخ العامل]، بعد أن قام ببعض التعديلات وحذف العبارات التي تمثل خطراً أمنياً، بل غير عنوانها إلى [صفات الأخ المسلم].

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [أخذنا هذه الرسالة وطبعناها على حسابنا ووزعناها على الطلاب . . . لقد كانت هذه الرسالة بالنسبة لنا فكراً جديداً، فكراً يجمع بين الدنيا والدين، ويحث المسلم على الاهتمام بصحته وثقافته وبعمله وأن يتقن كل ذلك . . .] وكان هذا كلاماً جديداً ولكنه يشبه ما كان يقوله الشيخ محمد الغزالي وما كان يكتبه في كتبه، فكان الوضع بهذه الصورة العامة البسيطة . . . واستمر حتى خرج الإخوان في أواخر عام ١٩٧٤م .

●● الاتصال المباشر بين الإخوان وطلاب الجامعة:

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان أول من اتصل بنا من الإخوان المسلمين الشهيد كمال السناني الذي قابلته في محل أحذية بشارع قصر العيني يملكه أحد الإخوان المسلمين، وأذكر أن صاحب المحل أصر أن أشتري حذاء، فتعجبت من هذا التصرف، وقد فهمت بعد ذلك سبب إصراره، وهو خشية المتابعة الأمنية وأنه كان يحتاط لنفسه ليقول إن سبب هذه الزيارة هو شراء الحذاء، ولكنني كنت أعمل وأنطلق في حرية تامة ودون خشية من

المتابعة الأمنية التي كانت معدومة بالنسبة لنا كطلاب في الجامعة . فالمتابعة كانت بالنسبة للإخوان فقط دون غيرهم . كانت مقابلة تلقائية . وكنت أعرف الاسم فقط ولم أعرف الشخصية ، ولكن بحمد الله تم التعارف الأولى ، وتوالت زيارته لنا ، ثم طلب منا بعد ذلك التعرف على الحاج مصطفى مشهور ، وكان ذلك في عام ١٩٧٤ م .

ويقول الدكتور عصام العريان : [أول مرة التقيت بالحاج مصطفى مشهور في عقيقة لأحد الإخوان لمولودة له وكان ذلك في أواخر عام ٧٤ أو بداية عام ١٩٧٥ م وكان حديث الحاج مصطفى تلخيصاً لبعض أجزاء من رسائل الإمام الشهيد حسن البنا وهي : رسالة إلى أي شئ ندعو الناس ، ورسالة دعوتنا في طور جديد . . . ولفت نظري حرص هذا الشيخ على حضور مثل هذه المناسبات ، وحرصه على إيضاح الفكرة التي يؤمن بها ، خصوصاً أننا كشباب وقتذاك كنا مشغولين في البحث عن أي اتجاه نسلك !؟ وكنا نهمين للقراءة في كل تراث الإخوان المسلمين ، ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع صلاتي بالحاج مصطفى مشهور عليه رحمة الله] .
ويقول في موضع آخر^(١) :

[ولد جيلنا . ومصطفى مشهور على أبواب السجن أو من سجن إلى سجن ، وعشنا الطفولة والمراهقة وبداية الشباب ولم نلتق به إذ غيبتة الزنازين ، لكن مشهور كان له الأثر البالغ في جيل السبعينيات .

كنا سبعة شبان^(٢) بعضنا تخرج أو كاد من الجامعة نبحث عن طريق لخدمة الإسلام بعدما أصبحنا على أبواب الحياة العملية ، واتخذنا قرار العمل للدعوة الإسلامية وربط مصيرنا بهذا القرار الخطير . فطرفنا أبواب (الإخوان) الخارجيين من السجن ، اقتناعاً منا بصواب منهجهم وسلامة طريقتهم بعدما رفضنا كل الاتجاهات الأخرى التي سارعت إلى دعوتنا .

وانتهت محاولتنا إلى باب الحاج مصطفى مشهور (كما كنا نحب أن نسميه) الذي كان مكلفاً بملف الشباب أو كما يحب تسميته (توريث الدعوة) بعدما مررنا بالإسكندرية ثم بكمال السناني ، وآخرين كانوا نزلاء عنبر المعتقلين في مستشفى قصر العيني الجامعي .

واستقرت بنا الأمور مع أحد قيادات تنظيم ١٩٦٥^(٣) ، الأقرب في السن إلينا ، وصحبه

(١) المقال الذي أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا الباب .

(٢) الشبان السبعة هم : [١- عبد المنعم أبو الفتوح ٢- سناء أبو زيد ٣- عصام العريان ٤- خيرت الشاطر ٥-

إبراهيم الزعفراني ٦- محيى الدين الزايط ٧- محيى الدين إسماعيل] .

(٣) هو الدكتور محمود عزت .

للمرة الأولى إلى منزل الحاج فى شارع (إسلام) المتفرع من شارع (البتى) فى منطقة حمامات القبة شمال القاهرة].

ويقول الدكتور حلمى الجزار:

[كان أول لقاء بالحاج مصطفى مشهور فى معسكر للطلاب بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٥، وكان يركز تركيزاً شديداً على مفهوم دعوة الإخوان المسلمين، وذلك لأننا جيل الشباب جيل جديد ولم نر أحداً من الإخوان المسلمين ولكننا سمعنا وقرأنا بعض كتبهم..

وكان منوطاً بالحاج مصطفى عمل الطلاب، ويلاحظ إسناد قسم الطلاب لقيادة بارزة كبيرة وعظيمة مثل الأستاذ مصطفى دلالة واضحة على مدى اهتمام الجماعة بالطلاب وبالشباب منذ خروجها من السجن فى تلك الفترة].

ويقول:

[كان الحاج مصطفى يعطى وقتاً كثيراً للمعسكرات والرحلات واللقاءات بالطلاب].

وكذلك كان الاتصال فى جامعة عين شمس وجامعة الأزهر.

وفى جامعات الأقاليم والمحافظات الأخرى أيضاً تم اتصال الإخوان المسلمين بالطلاب. ففى الإسكندرية أخذ الحاج عباس السيسى يجمع الصقوف ويؤلف القلوب وينظم المسير مستعيناً بالله تبارك وتعالى ثم بشباب الصحوة، أذكر منهم: إبراهيم الزعفرانى وعصام الحداد ومدحت الحداد وخالد داود وجمال ماضى وأحمد عبد ربه وعمر عزام وحامد الدفراوى وغيرهم.. الذين وجدوا فى دعوة الإخوان المسلمين صورة تختلف عن غيرهم فى الفكرة والسلوك والحركة، فقد وجد فيهم الشباب سعة فى الأفق وعمقا فى التجربة ورفقا فى المعاملة وبعداً عن حب الظهور، وكان للمعسكرات والرحلات واللقاءات أثر كبير فى الثقة وتقارب الفهم وإزالة الغموض والاتهامات الباطلة التى ألصقتها بهم وسائل الإعلام المغرضة. ثم بدأ الشباب يتغير فى كثير من الصور التى كان يتعصب لها، حين أدرك أن رسالته أعظم وأكبر من أن تنزوى فى ركن من أركان الدنيا.. فالتصق بالإخوان المسلمين.

●● مشهور يتولى إعداد الجيل الجديد،

إن إعداد الجيل الجديد يعنى إرساء القواعد والأساسيات لبناء الصرح الشامخ المستقر، ويتعين هذا الشموخ وهذا الاستقرار بمدى متانة هذه القواعد وهذه الأساسيات، وتتحدد متانة

القواعد والأساسات بإعداد جيل مؤمن راسخ الإيمان بعقيدة الإسلام يصبغ بها كل حياته، ويضحى من أجلها بكل مرتخص وغال، ويحميها ويدفع عنها كيد الأعداء، ولا يهدأ له بال حتى يمكن الله لها في الأرض وتقوم دولة الإسلام لتزدي دورها المنوط بها نحو البشرية .
أما هذا الجيل الجديد فهو جيل الصحة الإسلامية أي شباب الجامعات الذي تدين والتزم قبل خروج الإخوان من السجن . . .

إن هذا الإعداد بمثابة تجديد الدماء التي تجري في عروق الجماعة . . . إنها مهمة شاقة تحتاج إلى نوع خاص من الرجال تتوفر فيهم صفات خاصة، فتولاها أستاذنا وإمامنا المجاهد مصطفى مشهور، الذي كان دائماً يحمل نفسه أشق الأعمال .
أخذ أستاذنا على نفسه عهداً مع الله تبارك وتعالى أن يصنع هذا الجيل بحول الله وقوته صناعة متقنة ويرعاه برعاية الله تعالى وحفظه، بأن يعطيهم كل وقته وجهده وطاقته وخبرته وخالصة تجاربه . . .

فبدأ يتحرك ويمارس مختلف الأنشطة من محاضرات ومعسكرات ومخيمات ورحلات وندوات، وشارك معه في هذه الأنشطة بعض القيادات منهم (عمر التلمساني وكمال السناني وأحمد الملط ومحمد حامد أبو النصر ومبارك عبد العظيم)، حيث كانت خطة العمل هي: التعريف بدعوة الإخوان، ثم التكوين والتربية، ثم التورث .

●● أولاً، التعريف:

سخر مصطفى مشهور نفسه وفتح صدره وبيته ووقته للطلاب وكان تركيزه الشديد على ترسيخ الإيمان ومفاهيم الإخوان المسلمين وتوريثهم الدعوة . . .

١- قضية الإيمان .

٢- منزلتنا ومسئوليتنا .

٣- طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

٤- عنصر الزمن .

٥- ضرورة الجماعة .

وكانت له افتتاحية رقيقة يفتح بها لقاءاته بالشباب وهي (١):

(١) من فقه الدعوة - ج/٢ ص ٢١٧، ٢١٨ .

«الحمد لله... الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين» .
وبعد:

فيا أيها الإخوة الأحاب، تحية من عند الله مباركة طيبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
- إن مجرد اللقاء والحديث أو الكتابة للشباب المسلم الذى ظهر فى هذه الحياة أثناء المحن ونحن وراء الأسوار مُضَيِّقٌ علينا، والجماعة تتعرض لحرب من الداخل والخارج - كان حلمًا نتمناه .
فحينما يتحقق ذلك فهو فضل من الله ورحمة تستوجب الفرح، فرح المؤمنين بفضل الله ورحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٨] . كنا نتلهف على شباب لنورثه هذه الدعوة وأمانتها وتجربتها لتستمر المسيرة بعدنا على نفس الطريق . فحينما نرى هذا الخير وهذا الإقبال من الشباب المسلم ليعرف دينه ويعمل به ويعمل له، فإننا نعجز عن شكر الله والثناء عليه . . ولكن نعود ونقول إنها دعوة الله ودين الله ورحمة الله يختص بها من يشاء من عباده .

أيها الأخوة . . من الأمانة أن نقول لكم هذا الشعور بالفرح، يصاحبه شعور بالإشفاق، فطريق الدعوة كما خبرناه وعرفناه وعمرٌ وفيه أشواك وفيه عقبات ومنعطفات، وتلك سنة الله فى الدعوات ليمحص ويميز فيتعرض البعض إلى القعود أو الانحراف إزاء هذه العقبات وتلك المنعطفات، فنحن نشعر بالإشفاق أن يتعرض بعض أصحاب هذه الوجوه المشرقة لمثل ذلك، ولكن نسأل الله لنا ولهم الثبات والعافية .

أيها الشباب، إننا نشعر نحوكم بكل الحب والتقدير والإعزاز، فقد حافظتم على دينكم وسط هذه المجتمعات الملوثة الموبوءة بكل ألوان الإثم والمنكر، ثم إنكم أقبلتم لتعملوا لإسلامكم بعد أن سمعتم وقرأتم ما حدث لإخوانكم سبقوكم على طريق الدعوة من إيذاء وتعذيب وسجن وقتل، ولم يرهيبكم ذلك ولم يقلل من عزيمتكم، أقبلتم فى تحد للباطل وإصرار على نصرته الحق، وإن دل ذلك على شىء فإلما يدل على صدق وإخلاص لله، نحسبكم كذلك ولا نركى على الله أحداً .

لقد حاول أعداء الله القضاء على هذه الحركة الإسلامية المرة تلو المرة، ولكنها بفضل الله استعصت عليهم . أرادوا أن يجففوا منابعها من الشباب ظناً منهم أنه بانقراض جيلنا تنتهى هذه الحركة ولا يحملها بعدنا أحد من الأجيال التى تليها .

هذا كان كيدهم وهذا كان فكرهم .. ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .
ذلك لأنها دعوة الله ونور الله ولن يطفى نور الله بشر: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

إن هذه الشجرة الطيبة التي غرسها الإمام حسن البنا ورواها بدمه هو والشهداء قبله وبعده
قد تعمقت جذورها وامتدت فروعها واشتد ساقها واستعصت بفضل الله على أعداء الله أن
يقتلعوها وصارت تؤتي أكلها كل حين وتجتمع حولها القلوب الصادقة المخلصة في أنحاء
العالم والحمد لله.

أراد إمامنا المجاهد مصطفى مشهور أن يرسخ الإيمان في قلوب الشباب، فهو بمثابة الحديد
المسلح الذي يضعه في الأساس، فكان يوضح معاملة ويحببهم إليه بقوله:
١- قضية الإيمان^(١):

من أول وأهم القضايا التي تعين الشباب المسلم على الثبات ومواصلة السير على طريق الدعوة
دون تردد أو ععود أو انحراف، قضية الإيمان وما يرتبه هذا الإيمان ويحققه في نفسية المؤمن من
تغير ومن تفجير لكل طاقات العمل والحركة والتحمل والتضحية والجهاد والثبات والإخلاص .
قضية الإيمان هي قضية الحياة الحقيقية للإنسان وليست الحياة المادية التي يشاركنا فيها
الحيوانات، ولكن حياة القلوب بالإيمان وبمعرفة الله سبحانه.

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾
[الأنعام: ١٢٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:
٢٤]. وقد ترى أمامك شخصين أحدهما أفضل عند الله من ملء الأرض من مثل الآخر.

هذا التمايز لا يرجع إلى شكل أو حجم أو طول أو وزن، ولكن إلى ما في قلب كل منهما .
أحدهما يعمر قلبه بالإيمان والآخر يغطي قلبه بالكفر أو النفاق، فالحياة حياة القلوب
بالإيمان، فكم من الأحياء أموات وكم من الأموات أحياء . هناك من هم أحياء بأجسادهم
ولكنهم أموات قلوب، لخلو قلوبهم من الإيمان، وهناك من فنيت أجسادهم .. ولكنهم
أحياء عند ربهم يرزقون.

وصدق الله العظيم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾
[آل عمران: ١٦٩].

(١) المرجع السابق - ص ٢١٩ - ٢٢٣.

بالإيمان يسعد الإنسان في حياته الدنيا داخل نفسه وخارجها ويسعد في الآخرة بنعم الله ورضوانه وينجو من عذاب الله، وبغير الإيمان يشقى الإنسان في دنياه بالخير والقلق والتمزق داخل نفسه وكذلك خارج النفس، لمجافاته لشرع الله ومنهج الحياة الصحيح. ويشقى ويعذب في آخرته ويحرم من نعيم الله وجناته.

هكذا نرى أهمية وعظم قضية الإيمان وما يترتب عليها من نتائج. واقتضى عدل الله ورحمته أن تكون قضية الإيمان سهلة ميسرة لمن شاء أن يؤمن كما سنوضح.

فالإيمان يولد معنا في فطرتنا كما أوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فالبينة والمذاهب الكافرة الملحدة تطمس على هذا الإيمان الفطري وإن كان يظهر وقت الشدة حينما يتعرض الملحد أو المشرك إلى موقف شديد فيه هلاكه ولا يجد من الأسباب ما ينقذه، مجده لا إرادياً يلجأ إلى الله ويدعوه أن ينجيه من شدته.

وقد ضرب الله ذلك المثل في القرآن بالنسبة للمشركين حينما يكونون في البحر ويأتيهم الموج من كل مكان ويظنون أنهم قد أحيط بهم، يدعون الله مخلصين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . .

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِكُمْ بَرْحٌ طَيِّبَةٌ وَقَرْحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْغُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ .

ثم هذا العقل الذي وهبنا الله إياه لو تجرد من الهوى لاستدل صاحبه به على وجود الله ووحدانيته. فكما لا يتصور عاقل أن أى جهاز كالمذياع أو الساعة لا يمكن أن يكون وجد بالصدفة دون صناع مهرة صنعوا أجزاءه وجمعوها بطريقة خاصة ليؤدى وظيفته، كذلك لا يتصور عاقل أن هذا الكون وما فيه من مخلوقات كثيرة وجد بالصدفة دون خالق مبدع قادر.

ثم إن التناسق والتداخل بين هذه المخلوقات واحتياج بعضها لبعض بترتيب دقيق، يدل على أن خالقها واحد: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ولو علمنا أن العلماء الذين استطاعوا باستعمال عقولهم التي منحها الله لهم أن يصلوا إلى القمر، لن يستطيعوا أن يصنعوا فى معاملهم حبة قمح واحدة بحيث إذا وضعوها فى الأرض

وسقوها بالماء تنبت عوداً من القمح، لأن سر الإنبات في الحبة التي خلقها الله من اختصاص الله وحده، ولن يستطيع بشر أن يودعها حبة صناعية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٢) أأنتم ترزعون أم نحن الزارعون ﴿ [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

كذلك لن يستطيع البشر ولو اجتمعوا أن يخلقوا ذبابة واحدة. انظروا إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣]. هكذا العقل المتجرد يمكن أن يعرفنا بالله ووحدانيته.

ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى، رحمة ورافة بنا لم يتركنا للإيمان الفطري ولا للعقل فقط، لكن أرسل لنا رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وقام الرسل على مر الأجيال بتوضيح قضية الإيمان وما يتصل بها. وأنزل الله كتباً مع الرسل لتوضيح تلك القضية المهمة.

فالذي يطمس على إيمانه الفطري ويلغى عقله ولا يهتدى به ويكذب الرسل والكتب، يحق عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فأمثال هؤلاء: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

نسأل الله العاقية ونحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. ولكن الإيمان في نفوس المؤمنين ليس بدرجة واحدة، ولكنه بدرجات متفاوتة ويزداد وينقص ويقوى ويفتر.

إننا أحيى الشاب المسلم نريد لنا ولك هذا الإيمان القوى اليقظ المتجدد، الذي يجعلنا نحيا حياتنا كما أراد الله لنا أن نحياها في كل جانب من جوانبها، وأن نحقق رسالتنا التي خلقنا الله من أجلها نسخر لها كل ما نملك من طاقات ونعم أنعم الله علينا بها، كالوقت والفكر والصحة والمال والنفس وغير ذلك.

علينا أن نحسن الصلة بمصادر الزاد على الطريق، زاد الإيمان والتقوى. ففي هذا الزاد ما يعين سالك الطريق على تخطى العقبات والتحرر من المنعطفات، ويعين صاحبه على مواصلة السير في قوة وثبات بإذن الله.

الإيمان يولد في قلوبنا كل معاني العزة والسيادة والأستاذية لهذه البشرية الغارقة في ظلام الكفر والضلال . لا بد لنا أن نستشعر النعمة الكبرى التي من الله علينا بها وهي نعمة الإسلام ؛ الدين الحق المقبول عند الله والذي فيه صلاح البشرية من كل ما تعاناه، وفيه سعادة الدارين . يلزم أن نخلى قلوبنا من كل معاني الضعف والوهن ومثلاها بالعزة والكرامة : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] . ﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وشعورنا بقيمة هذه النعمة يدفعنا إلى دراسة هذا الإسلام دراسة وافية لتعرفه ونعرف متطلباته منا . وإذا كان الناس في مشروعاتهم الدنيوية يدرسونها ليقوموا بها على الوجه الصحيح ، فمن باب أولى دراسة هذه القضية المصيرية المهمة .

٢- منزلتنا ومسئوليتنا^(١):

[ولتتعرفوا منزلتكم أيها الأحباب ومسئوليتكم ، ففي قول الله عز وجل في قضية طالوت أكبر برهان على صدق ما نقول :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩ - ٢٥١] .

ثم انظروا إلى البشرية اليوم نجدها كلها في ضلال ، إلا المسلمين بعقيدة التوحيد السليمة المقبولة . ولو نظرنا إلى المسلمين نجد أن الذين يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً شاملاً نقياً كما جاء به رسول الله ﷺ وما كان عليه سلفنا الصالح قلة قليلة من المسلمين - ثم من بين هؤلاء من يعملون بهذا الفهم الصحيح بكل متطلبات الإسلام قلة من تلك القلة ، ثم الذين يثبتون من هؤلاء العاملين ويتحملون تكاليف العمل ومشاق الطريق نجدهم قلة من قلة .

وهكذا تضيق الدوائر ولكنها ترتفع بأصحابها إلى درجات عالية ، هذه المنزلة العالية تدفعكم إلى الثبات وتحمل كل ما تلاقون من متاعب في سبيل المحافظة على هذه المنزلة

(١) المرجع السابق - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الرفيعة^(١). ويجانب ذلك يلزم الشعور بالمسئولية الضخمة المصاحبة لهذه المنزلة وهي مسئولية هداية البشرية إلى هذا الدين الحق.

فمن غيركم أيها الأخوة؟؟ المسلمون الذين لا يفهمون إسلامهم فهمًا صحيحًا؟ أم الذين يفهمون ولا يعملون به أم الذين يفهمون ويعملون ولكن لا يثبتون على تكاليف العمل ومشاق الطريق. ليس غير المسلمين الفاهمين العاملين الثابتين.

ولا يدفعنا قلة عدد هذه النوعية أمام هذا الطوفان من الضلال إلى اليأس أو التخاذل، فالأمر ليس عددًا وعدة ولكن حق وباطل. وهكذا كان رسول الله ﷺ ومعه قلة من المؤمنين في قلة أمام المشركين عبدة الأصنام في الجزيرة العربية والفرس عبدة النار والروم بنصرانيتهم المحرفة واليهود بحقدهم وغلهم، ومع ذلك انتصر المسلمون وتطهرت الجزيرة من الأصنام والمشركين، وفتحت الفرس وغلبت الروم وأجلى اليهود، وعم النور وتبدد الظلام.

كان إمامنا المجاهد في لقاءاته بالشباب، كثيرًا ما يركز على أهمية فهم ومعرفة طبيعة المرحلة ومتطلباتها وهي واجب إقامة الدولة الإسلامية، وكيف نعد أنفسنا لذلك... فكان يقول لهم:

٣- طبيعة المرحلة ومتطلباتها وواجب إقامة الدولة الإسلامية:

«شاءت إرادة الله أيها الأخوة أن يأتي جيلنا وجيلكم بعد أن أسقط أعداء الله الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية وغزوا بلاد المسلمين بكل ألوان الغزو الهدام: ثقافيًا وانحلاليًا وإحاديًا وإباحيًا واقتصاديًا. حتى صار العالم الإسلامي كما نرى من سوء الحال، وتحققت العنثانية وتداعت الأمم على المسلمين كما تداعى الأكلة على قصعتها كما حدثنا رسولنا الكريم ﷺ^(٢).

وهكذا صرنا في حال يتشابه في بعض صورته بفترة الدعوة الأولى. فالإسلام عاد غريبًا كما بدأ والجاهلية حولنا في العالم، والدعاة إلى الله قلة مطاردة ومضيق عليها وتعرض للإيذاء والتعذيب من أعداء الله، وليس هناك دولة إسلامية، وأعداء الله متربصون بدعوة الله، من دعاة الشيوعية والصليبية والصهيونية وطلاب الدنيا من حكام المسلمين.

فلا متقذ من هذه الحال إلا أن نسلك نفس الطريق التي سلكها رسول الله ﷺ من قبل، حيث بدأ بإرساء العقيدة في نفوس من أسلم ورباهم في دار الأرقم على مائدة القرآن وفي

(١) هذه الدوائر هي دوائر التكريم التي كان يدرسها الأستاذ مصطفى مشهور للشباب في السجن أيام المحن، وقد أشرنا إليها في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٢) في الحديث: [توشك الأمم أن تداعى كما تداعى الأكلة على قصعتها]. صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٤٢٩٧.

مدرسته عليه الصلاة والسلام فخرج رجال عقيدة، صهرتهم العقيدة وغيرتهم فكانوا نماذج فريدة تعرضوا للفتنة والإيذاء فثبتوا ولم يتخلوا ودُعوا للجهاد فلبوا وصدقوا.

هذا هو المنطلق . . بناء الفرد المسلم رجل العقيدة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

هكذا وضع رسول الله ﷺ أساس الدولة الإسلامية الأولى على أساس من العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق المتينة .

وبعد قوة العقيدة كانت قوة الوحدة والرابطة، فأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار بأخوة الإسلام، ثم أخذ بأسباب القوة اللازمة للجهاد بعد ذلك، وتكونت القاعدة الصلبة والأساس المتين الذي قامت عليه الدولة الإسلامية الأولى .

لا يتصور أن يبقى المسلمون بدون دولة ولا خلافة ولا جيش يردع أعداء الله ويحمي أرض المسلمين وأعراضهم وأرواحهم من هذا الكيد الذي يتم على يد أعداء الله دون رادع وتعرض بلاد المسلمين للغزو والاختطاع والفتنة في العقيدة وتنشئة الأجيال الناشئة بعيداً عن عقيدة الإسلام، وتقع الحروب بين المسلمين حول الحدود، وغير ذلك من التفاهات بإيعاز من أعداء الله ليرتبع العدو الصهيوني ويتوسع على حساب الإسلام والمسلمين .

إن إسلامنا ليس ديناً فردياً ذاتياً رهبانياً، ولكنه دين أمة واحدة وحكم وتشريع وجهاد ودولة وخلافة ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، فلا يكمل إسلام أحدنا إذا لم يجعل من مهامه ومسئوليته العمل على إقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة . إن ما يحدث في الفلبين وأفغانستان وسوريا وكمبوديا وإرتريا وغيرها نحن جميعاً مسئولون عنه أمام الله . النساء المسلمات في أفغانستان يلقين بأنفسهن في الأنهار ليغرقن خشية اعتداء الروس عليهن كما حدث في بعض القرى .

إن واجب إقامة الدولة الإسلامية لا يعنى منه أحد من المسلمين، وليس مسئولية الحكام فقط أو العلماء، ولكن مسئولية جميع المسلمين، فكل من يعمل بالإسلام، فرداً أو جماعة، يجب أن يجعلوا في منهج عملهم، إقامة الدولة الإسلامية .

لقد شاءت إرادة الله أن يأتى جيلنا وجيلكم في هذه المرحلة من عمر الدعوة الإسلامية . ولو أنا جئنا في ظل دولة إسلامية قائمة فعلاً لكان العبء خفيفاً . ولكننا جئنا في أهم وأشق

(١) المرجع السابق نفسه - ص ٢٢٤ - ٢٢٨ .

وبجانب معرفة هذا الدور العظيم الذي تتشرفون بالقيام به في هذه المرحلة المهمة، يجب أن تعلموا أن الله غنى عنا وعن جهادنا: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 6]. نحن الفقراء إلى الله والله هو الغنى، واعلموا أننا بهذه الدعوة والعمل لها شيء وبغيرها لا شيء، وكان إمامنا الشهيد يقول لنا: «إن لم تكونوا بها فلن تكونوا بغيرها. وهي إن لم تكن بكم فستكون بغيركم»: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38].

إن الإمام الشهيد حسن البناء فكر فيما صار إليه حال الإسلام والمسلمين بعد سقوط الدولة والخلافة، واتصل بزعماء وعلماء مسلمين في هذا الشأن ولم يجد عندهم ما يشفى صدره، ففكر وحده وهداه الله إلى أنه ليس غير طريق رسول الله، الذي سار عليه في بناء الدولة الإسلامية الأولى، فاستنبطه من السيرة العطرة وجعله منهجاً لجماعة الإخوان المسلمين. وجعل الفرد والبيت المسلم والمجتمع المسلم بمثابة القاعدة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي، ويتم ذلك على مستوى الشعوب الإسلامية لتقوم حكومات إسلامية تتحد لتكون الدولة الإسلامية إن شاء الله. وقد رسم الإمام الشهيد صورة الفرد المسلم المطلوب بأن يكون:

١- قوى الجسم . ٢- متين الخلق .

٣- مثقف الفكر . ٤- قادراً على الكسب .

٥- سليم العقيدة . ٦- صحيح العبادة .

٧- مجاهداً لنفسه . ٨- حريصاً على وقته .

٩- منظماً في شئونه . ١٠- نافعاً لغيره .

وهكذا حدد الوسائل لتحقيق هذه الصورة وكانت:

١- المحاضرات . ٢- الدروس .

٣- الكتب والرسائل والمجلات . ٤- الرحلات .

٥- الأسر . ٦- الكتابات .

٧- المعسكرات . ٨- النشاط الرياضي والكشفي .

.. وغير ذلك .

كذلك رسم صورة للبيت المسلم المؤسس على التقوى من أول يوم، الملتزم بتعاليم الإسلام في مظهره ومخبره، في عاداته وتقاليده، في مطعمه ومشربه وملبسه، في أفراحه وأتراحه، وفي كل شيء .

والمجتمع المسلم: بأن ندعو الناس إلى هذا الدين الحق والعمل بمقتضاه والوقوف بجانبه والافتناع بأن فيه صلاحه وفلاحه. ولا يعنى ذلك أننا سنحوّل أفراد المجتمع جميعاً إلى تلك النوعية من رجال العقيدة ولكن نسبة منه بمثابة الأعمدة والدعائم يقوم عليها البناء. وأما باقى أفراد المجتمع يكونون مسلمين مؤمنين بضرورة تطبيق شريعة الله».

إن وضع الأساس المتين المكين يحتاج إلى فهم وفقه لعنصر الزمن وكيفية التعامل معه، لذلك كان الإمام المجاهد مصطفى مشهور كثيراً ما يشرح ويبين ويعلم ويفقه الشباب هذا العنصر المهم بقوله:

٤- عنصر الزمن:

«قد نظر البعض إلى أن هذا الطريق طويل وشاق لكن فى الحقيقة ليس هناك طريق غيره وأى اختصار فى مراحل أو عدم إتقان تلك المراحل يعرض البناء إلى الانهيار. ثم إن الزمن هنا لا يقاس بعمر الأفراد ولكن يقاس بعمر الدعوات والأمم، فدولتنا الإسلامية التى استمرت أربعة عشر قرناً تقريباً ومُنَحَّنَاها أخذ فى الانحدار منذ قرون حتى سقط، فلا نستكثر لإعادة قيامها عالية عالمية قوية قرناً من الزمن، وحينما يتم الأساس سيعلو البناء، بعد ذلك فى استقرار إن شاء الله.

ولو أضفنا إلى ذلك أن الله سبحانه لن يسألنا عن النتائج ولكن سيسألنا عن العمل، فلا نتعجل النتائج ولا نتعجل قطف الثمرة قبل نضجها، بل نعطى كل عمل وكل مرحلة الاهتمام اللائق بها».

لا بد لأهل الحق الذين يعملون لأسمى غاية وأعظم مهمة أن تكون لهم جماعة وقيادة لها حق السمع والطاعة، ولا بد من عهود وشروط ومواصفات فيمن يأخذ مكانه فى الصف ويسد ثغرة فى هذه الجماعة..

بدأ الإمام المجاهد الداعية الفقيه يأخذ بيد الشباب ويسير بهم على طريق الدعوة، أراد أن يسلك الشيايب مسلك الجد.

فبين لهم ضرورة الجماعة وركز على أركان البيعة التى وضعها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه.

٥- ضرورة الجماعة^(٢)،

بعد أن استشعرنا أيها الإخوة هذا الواجب العظيم الذى يمليه علينا إيماننا وتقليه علينا

(١) المرجع السابق نفسه - ص ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٥.

طبيعة المرحلة وهو إقامة الدولة الإسلامية، يلزم أن نعلم أن هذا الواجب لا يمكن أن يتحقق فردياً، ولكن لا بد من الجماعة التي تنظم الجهود الفردية وترسم الخطة وتحدد الأهداف والمراحل والوسائل لتحقيق هذا الواجب العظيم، ولما كان معلوماً أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، إذن فالجماعة واجب وهكذا نجد رسول الله ﷺ جمع المسلمين ونظمهم وربط بينهم بالأخوة والحب.

فعلى كل شاب أن يعمل في جماعة لتحقيق مبادئ الإسلام وإقامة الدولة الإسلامية، وعلى نفس الطريق التي سار عليها رسولنا ﷺ دون تغيير ولا تبديل.

وهذا ما قامت عليه جماعة الإخوان المسلمين والتزمت به، رغم تعرضها للمحن المتتالية بقصد صرفها عن أهدافها وتغيير مسارها، ولكن حفظ الله لها وتثبيتته لأفرادها كان واضحاً، وفضل الله كان كبيراً.

وأى جماعة لا بد لها من منهج وخطوات نحو تحقيق هذا المنهج، وقيادة لها حق السمع والطاعة على الجنود في غير معصية وإلا لما استطاعت أن تنجز عملاً ولا أن تحقق أهدافاً، وإذا كانت السنة تدعونا إذا كنا ثلاثة أن نؤمر أحداً ونسمع له ونطيعه، وإذا كان بعض أهل الشر ينظمون أنفسهم ويرتضون لهم قيادة يسمعون لها ويطيعون حتى اللصوص، فمن باب أولى لأهل الحق الذين يعملون لأسمى غاية وأعظم مهمة، يلزم أن تكون لهم جماعة وقيادة لها حق السمع والطاعة، ولا بد من عهود وشروط ومواصفات فيمن يأخذ مكانه في الصف ويسد ثغرة في هذه الجماعة.

لذلك نرى الإمام البنا حينما تحدث عن أركان البيعة جعلها عشرة ولم يجعلها ثمانية أو تسعة لأنه وجد بتجربته وخبرته أن كل ركن من هذه الأركان العشرة يلزم توفره فيمن يريد أن يأخذ مكانه في الصف ليتحمل مسئوليته، وأن عدم توفر أى ركن منها يمكن أن يكون سبباً في قعود هذا الفرد أو انحرافه وتؤتى الجماعة من قبله، فما أحوجنا أن نقف وقفة أمام كل ركن من هذه الأركان العشرة لتبين طبيعته وأهميته.

نجد الإمام البنا جعل [الفهم] الركن الأول ووضع له [أصولاً عشرين] لأهميته لأنه الأساس، فإذا كان الفهم سليماً فما يترتب عليه يكون سليماً وإذا كان خطأً أو فيه انحراف فما يترتب عليه يكون خطأً أو منحرفاً، ولأن المسلمين تمزقت وحدتهم وتفرقوا شيعاً وجماعات بسبب اختلافهم في الفهم، رأى الإمام الشهيد أن يجتمع المسلمون أولاً وقبل كل شيء على الفهم السليم للإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ دون تبديل أو تحريف أو ابتداء أو اجتزاء.

وهذه الأصول العشرون مركزة غاية التركيز ودقيقة غاية الدقة وخلاصة قراءات كثيرة، وأراد أن يتعد بها عن مواطن الخلاف حول الفروع، والقصد منها كيف نفهم الإسلام من مصدره الكتاب والسنة. وعجيب أن نسمع بعد ذلك من يقول: إن الإسلام له أصلان هما الكتاب والسنة ولكن الإخوان جعلوا له أصولاً عشرين.

إنها ليست أموراً مضافة إلى الكتاب والسنة، بل كيف نفهم الإسلام منهما، فمثلاً الأصل الأول فيه أن الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف وعبادة وقيادة... إلى آخره، أى نفهم الإسلام بهذا الشمول والتكامل دون الاجتزاء الذى يفهم به البعض.

لقد قصد الإمام البنا إلى جمع المسلمين تحت راية واحدة ولو اختلفوا فى فرعيات ماداموا قد اتفقوا فى الأصول، وكانت تلك العبارة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، إن هناك أموراً فى الإسلام فى الفرعيات فيها أكثر من رأى ولكل رأى دليل وقد يكون بعضها أرجح من بعض. لم نجد الإمام البنا يطلب من الإخوان أن يلتزموا جميعاً برأى واحد فى مثل هذه الأمور دون باقى الآراء كى لا يتحولوا إلى فرقة أو مذهب، بمعنى من وافقهم فى هذا الرأى ينضم إليهم ومن خالفهم لا ينضم إليهم، ولكن يمكن أن يكون فى الجماعة من يأخذون بأراء مختلفة فى الأمر الواحد طالما أن لكل رأى دليله وأن هذا الرأى لا يخرج صاحبه من الإسلام.

حقاً إن الدعوات تقوم على العزائم وأولى العزم لا على الرخص والمترخصين، لذلك نتواصى فى مثل هذا الأمر أن نأخذ بالرأى الأقوى دليلاً ونحاسب على الأدنى ولا نختلف بين ذلك. ولكن نرى بعض الشباب إذا قرأ رأياً فى أمر وربما كان الأقوى دليلاً فلا يقبل من أحد رأياً آخر أو يحكم على صاحب الرأى الآخر بالمخالفة للإسلام، وهذا موقف خاطئ منهم.

إن الجماعة الواحدة لا يجوز أن تقوم على أفهام مختلفة أو مدارس فكرية متباينة، لأن كل إنسان يصدر فى حركته من منطلق فهمه وتصوره... أضرب لكم مثلاً: حينما كنا فى السجون والمعتقلات وظهر التكفير وهو فى الحقيقة من ثمار التعذيب الشديد، رفضنا هذا الفكر لمخالفته للفهم الذى بايعنا عليه وبذلنا الجهد مع أصحابه لتفنيده وتوضيح مخالفته، وعدل عنه الكثير بفضل الله، وبقيت مجموعة صغيرة مصرة عليه، فقال لهم الأستاذ الهضيبى المرشد العام فى ذلك الوقت - وقد كان معنا فى المعتقل - إن هذا الفكر ليس هو الذى بايعنا عليه، وهو خطأ من الناحية الشرعية ومن الناحية الحركية، وإذا أصررتم عليه

فاختاروا لكم لافتة غير لافتة الإخوان كي تعملوا تحتها ولا تدعوا أن هذا فكر الإخوان أو أنكم إخوان وأنتم تحملون هذا الفكر . وكان هذا الموقف من أمانات الوفاء بالبيعة والمحافظة على فهم الإخوان المسلمين .

وفي جانب مقابل كان هناك من كانوا يريدوننا أن نكتفى في حركتنا بالدعوة، بجوانب العبادة والذكر والعلم ولا نتعرض للحكم والتشريع والجهاد، وهذه الجوانب تؤلب علينا الأعداء وتعرضنا إلى الإيذاء، فكان من أمانة الوفاء بالبيعة أيضاً ألا نستجيب لهؤلاء أيضاً .

ولو نظرنا إلى ركن [الإخلاص] نجد من ألزم الأمور لمن يعمل في حقل الدعوة إذ لا يُقبل عمل إلا ما كان خالصاً لوجه الله تعالى وصدق الله العظيم : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١] .

وركن [العمل] هو من الأركان المهمة لأنه يوضح معالم الطريق ومراحل من إيجاد الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم فالحكومة المسلمة فالدولة الإسلامية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية وأستاذية العالم . فلا يأتي أحد في الطريق ويخالف ذلك ويدعو إلى سبيل آخر مهما طال الطريق وكثرت العقبات .

وكذا ركن [الجهاد]، ليكون معلوماً من أول الطريق أن الجهاد سبيلنا، ولن نتحقق لنا أهداف ولا آمال من غير الجهاد الذي هو ذروة سنام الأمر، إذ لا بد للحق من قوة تحميه وترهب أعداء الله، ولا بد من [التضحية] بكل غال ورخيص بالوقت والمال والجهد والنفس في سبيل الله، وكيف نبخل بنعم الله عن البذل في سبيل الله : ﴿ وَمَنْ يَخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] .

على كل شاب أن يسارع ويعقد الصفقة الرابعة مع الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] . ثمن غال جنة عرضها السماوات والأرض بنفس ومال أنعم الله علينا بهما وسنقدهما رضيانا أم آيينا .

وركن [الطاعة] لازم إذ لا يمكن لقيادة جماعة أن تنجز عملاً ولا أن تحقق هدفاً إن لم يكن لها حق الطاعة على الأفراد طالما أنه في غير معصية وفي حدود الاستطاعة ولتحقيق مبادئ الإسلام . ولا بد لمن يريد أن يعمل من أن يوطد نفسه على [الثبات] على طريق الدعوة مهما

صادف من عقبات وأشواك وإذا كان أهل الباطل يتحملون في سبيل باطلهم ويشبتون عليه فمن باب أولى على أهل الحق أن يشبتوا مع الحق وجماعة الحق رغم كيد الأعداء .

إذ كيف يكون الحال إذا لم يشبت أفراد الجماعة أمام الشدائد وتخلوا عن مكانهم في الصف، والحقيقة أننا أثناء المحن كنا نمتحن في كل ركن من أركان البيعة، وكما ذكرت لكم بالنسبة للفهم بين المتطرفين والمفرطين، كذلك الإخلاص والجهاد والتضحية كلها كنا نتعرض فيها للامتحان . أما الثبات فكان امتحانه واضحاً وشديداً، ففي أثناء قضاء الحكم الذي حُكم به علينا عام ١٩٥٤م وكنا بالوحدات الخارجة ظهر عام ١٩٥٦م فترة التأيد وهي : أن من يؤيد عبد الناصر في المناسبات المختلفة ويتخلى عن مكانه في الجماعة يمكن له أن يخرج ويفرج عنه دون أن يقضى العقوبة المحكوم بها عليه ولو كانت مؤبداً . فأثر البعض العافية وسلوكوا ذلك الطريق، وأثر الكثير الثبات مع الحق وتحمل لفح المحنة ولهيبتها على العافية وثبتهم الله من فضله حتى أن بعض إخوانكم مكث في السجن عشرين سنة متصلة تحت ضغوط كثيرة بدنية ومادية وظلوا رافعين الراية عالية حتى سلموها لكم أيها الشباب بكل قوة وعزة، وإذا كان الشهداء رمزاً للتضحية والفداء فقد كان هؤلاء رمزاً للصبر والثبات .

ولو تصورتم معي أيها الإخوة أن جميع من كانوا في السجن اختاروا طريق التأيد ونجوا، ماذا تكون النتيجة أمامكم أيها الشباب، بلا شك تجربة مثبطة للعمل والجهاد في سبيل الله . أناس قاموا ونادوا : «الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا» . ثم تعرضوا بسبب ذلك إلى الإيذاء والسجن والتعذيب والقتل فتخلوا جميعاً ولم يتحملوا . فيمكن أن يكون لسان حالكم حينئذ يقول : هل سنكون أفضل منهم، فلنوفر على أنفسنا الجهد مادام الأمر فوق طاقة البشر . ولكن الله بفضله وبرحمته ثبت إخوانكم ليكونوا قدوة لكم ورمزاً للثبات مع الحق .

[والتجرد] لهذه الدعوة وخلوص الولاء لها أمر لازم، ولا يقبل أن يكون الفرد له ولاء لأشخاص أو مبادئ غير دعوة الله وجماعته .

أما ركن [الأخوة] تلك الرابطة القوية والتي لا بد منها لقوة الصف ومثابته، فهي (كالمونة) أو الأسمنت يشد اللبنة بعضها إلى بعض فلا توجد ثغرة لعدو، وأدنى مراتب الأخوة في الله سلامة الصدر وأعلها الإيثار، ولا يجوز أن نسمح للخلافات الشخصية فيتعطل الإنتاج للدعوة، ولا يتصور لقوم يسبرون في طريق يتعرضون فيه للقتل والمعاناة ولا تكون بينهم مثل هذه الرابطة وهذا الحب، فالأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن

بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره . وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . وينكت في بيعته من يحمل غلاً لأحد من إخوانه .

كذلك ركن [الثقة] ليتحقق الاطمئنان والحب والتقدير والطاعة بين القيادة والجنود ، بقدر قوة الثقة تكون قوة نظام الجماعة ونجاحها في الوصول إلى غايتها .

وكم كنا نتعرض في المحن إلى حملات التشكيك والنيل من الأخوة والثقة ولكن الله أحبط كيدهم وكانت الأخوة عوناً للتماسك تحت الضغوط والشدة» .

على هذا المنوال كان حديث إمامنا المجاهد مصطفى مشهور مع الشباب يثبهم ما عنده ويزرع في قلوبهم الإيمان الصادق ويصبر عقولهم بالفهم الصحيح الشامل للإسلام وينير أفئدتهم وقلوبهم بالتركيز على مفاهيم الإخوان المسلمين ، متوجاً كلامه بالاستشهاد بكلام الإمام البنا استشهاداً تلقائياً تنساب منه عبارات الإمام دون تكلف ، ويربطهم برباط العقيدة وهو أوثق الروابط وأعلاها ، يزرع بينهم الحب الذي لا تكون قوة الوحدة إلا به ، ويؤاخي بينهم بالإيمان ، حتى يصل بهم إلى مراتب الصدق فيرى الفرد منهم إخوانه أولى بنفسه من نفسه .

•• الدماء الحارة تجرى في عروق الجماعة،

بدأ أستاذنا مصطفى مشهور مع الشباب بالتعريف وترسيخ الإيمان ، وتكثيف نشاطه في هذا الجانب البالغ الأهمية ، وكانت وسائله متعددة فعاش الشباب وحدثت لحمة كشفت مدى نفاسة المعدن الطيب النادر الوجود ، فكان يخالطهم في الرحلات والمخيمات فترات طويلة ، أحياناً يكون مبيتاً معهم يأكل ويشرب وينام ، ويناقشهم في المحاضرات والندوات ، يجتمعون في الصلوات ، يحكى لهم عن السجون والمعتقلات ، يضرب لهم الأمثلة ويذكر لهم المواقف التربوية وهكذا .

وكما تعلم فالشباب في ذلك الوقت كانوا متعطشين للفهم ، نهمين في القراءة والاطلاع ، متحمسين لخدمة الإسلام ، في أشد الحاجة لمن يأخذ بيدهم ويرشدهم ويهتم بهم ويحميهم من الغلو واليطرف في الفكر والحركة . .

لقد رزق الله تبارك وتعالى هؤلاء الشباب بمصطفى مشهور ، ورزق جماعة الإخوان المسلمين بهؤلاء الشباب .

بدأت بوادر نجاح مساعي أستاذنا مع الطلاب تلوح في الأفق الفكري والعاطفي لدى الشباب . . لقد أحبوا الإخوان وخصوصاً القيادات الكبيرة [عمر التلمساني الذي كان له دور

سحري على الشباب]، [مصطفى مشهور الذى حمل على عاتقه ملف الشباب بالكامل]، [كمال السنائيرى الذى بدأهم بالاتصال والتواصل]، [مبارك عبد العظيم الذى عرفوا منه كثيراً عن دعوة الإخوان]، [الحاج حسنى عبد الباقي الذى علمهم التربية بالقدوة] وهكذا تأثر الشباب بشخصيات قيادية كثيرة، مما جعلهم يعقدون اجتماعات خاصة بين الرموز القيادية على مستوى جامعات مصر لينظروا فى أمر [الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين]، وكانت خلاصة هذه الاجتماعات هى:

أ- يقول البعض: نرتبط بالإخوان المسلمين، فنحن نحبههم ونقدرهم.

ب- ويقول البعض الآخر: نظل حركة إسلامية مستقلة بعيداً عن الإخوان. ولكن تغلب رأى الأول الذى يريد الارتباط والذى يعتبر أن الحركة الإسلامية الطلابية فى الجامعات [الجماعة الإسلامية] امتداد طبيعى للإخوان المسلمين. لقد سلمت الرموز والقيادات الطلابية نفسها للإخوان المسلمين تسليمًا طوعياً، وصاروا جنوداً طائعين فى جماعة الإخوان المسلمين... رغم أن الرمز منهم والقائد أو الأمير فى جامعته تتبعه آلاف من الجنود الذين كانوا طوع إشارته، إذا أراد منهم أن يسيروا أو يتجهوا إلى الشمال نفذوا، وإذا أمرهم أن يسيروا إلى اليمين نفذوا...

نعم لقد تنازل الشباب عن هذه المكانة المرموقة بين الناس وهى مكانة القيادة والصدارة لذهبوا وسلموا أنفسهم ويكونوا جنوداً مجهولين فى جماعة الإخوان المسلمين... (١).

إن هذه القيادات الطلابية لم يكن يجمعها تنظيم ولكنها كانت رموزاً مرموقة لدى الطلاب ومحبوبة ومطاعة، مما كان له تأثير كبير بعد ذلك فى انضمام أعداد كبيرة وغفيرة من الطلاب إلى جماعة الإخوان المسلمين.

كانت هذه الرموز الطلابية قيادات فى حركة كبيرة، فلو أنهم كان يشغلهم أن يكونوا زعماء، كان من الطبيعى ألا يرتبطوا بالإخوان، لأنهم لمن يرتبطوا كزعماء، ولكنهم رضوا أن ينقلوا الزعامة والقيادة والرياسة إلى الإخوان المسلمين (٢).

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

(٢) موقف عظيم قل مثيله لا ينسأ لهم التاريخ، ولهم بذلك مكانة عظيمة فى قلوب الإخوان، أدعو الله تبارك وتعالى أن يكتبه لهم فى ميزان حسناتهم، فهو موقف تقتدى به أجيال الشباب على مر الدهور، وقد كتب لهم فى صفحات التاريخ بمداد من نور.

أما الرأي الثانى فقد تحفظ فى الارتباط بالإخوان، فالأسباب بسيطة، تنحصر فى خلافات فرعية ولكنها كانت مهمة وكبيرة بالنسبة لهم، وهى على سبيل المثال: أن سكرتير الأستاذ المرشد حليق اللحية - فى زيارة قام بها الأستاذ عمر التلمسانى إلى جامعة القاهرة وكان بصحبه سكرتيره إبراهيم شرف - فهذا يعنى بالنسبة لهم أن الإخوان لا يهتمون بتطبيق السنة، إلى جانب بعض الشكليات مثل الإخوان لا يهتمون بالعقيدة وغير ذلك من التهم والأكاذيب للتشكيك فى هذه الدعوة المباركة .

على كل حال فقد تغلب رأى الأول وكان الأكثرية، وارتبط بجماعة الإخوان المسلمين، وكان ارتباطا هادئا بين قيادات الطلاب ورموزها وبين قيادات الإخوان، حيث تم الاتفاق على ألا يعلن أن هناك أى ارتباط بين الإخوان المسلمين وبين الجماعة الإسلامية فى الجامعات، ولكن فى نفس الوقت يكثف النشاط المتمثل فى المحاضرات والمعسكرات والرحلات والندوات وغيرها مع إظهار استقلالية الطلاب وأنها جماعة إسلامية ليس لها أى ارتباط بالإخوان المسلمين .

نجح الأستاذ مصطفى بتوفيق من الله تبارك وتعالى فى هذه المهمة الشاقة، بصدقه وإخلاصه وصبره وحنكته وفنه فى دعوته وتواضعه الجم، واستطاع أن يكسب الطلاب برموزهم وقادتهم إلى صف الجماعة، وبذلك يكون قد حقق جزءاً من التجديد الذى سعى إليه وهو: [تجديد الدم الذى يجرى فى عروق الجماعة] وهو الدم الحار الدفاق السيل؛ دم الشباب النقى التقى .

ومن ناحية أخرى استجاب المخلصون من الشباب للدعوة المباركة، مما يدل على صدقهم وإخلاصهم وحبهم لدينهم ولدعوة الإخوان المسلمين وقادتها، فأجبهم الإخوان ووثقوا بهم، فانتقل بهم الحاج مصطفى مشهور إلى مرحلة التكوين والتربية .

•• ثانياً: التكوين والتربية:

أراد الأستاذ مصطفى أن يتخير الأنصار ويعد الجنود ويرتب الصفوف بين هؤلاء الشباب، فكون الأسر وزودهم ببعض الإخوان القريبين من سنهم من الذين خرجوا من السجن بعد محنة ١٩٦٥ وأشرف بنفسه على هذه الأسر . .

من أهم هذه الأسر: أسرة فى القاهرة تضم:

١- محمد عبدالمعطى الجزار - من إخوان محنة ١٩٦٥ م .

٢- أحمد كتنزى - من إخوان محنة ١٩٦٥ م .

- ٣- عبد المنعم أبو الفتوح - من طلاب جامعة القاهرة .
 - ٤- سناء أبو زيد - من طلاب جامعة القاهرة .
 - ٥- عصام العريان - من طلاب جامعة القاهرة .
- إن الأسرة أختى القارئ الكريم هى اللجنة الأولى فى بناء الجماعة وهى تمثل المحضن الأساسى والثابت للتربية الروحية والجسدية والعقلية، فضلاً عن تحقيقها لأهداف الجماعة .
ويتحقق كل ذلك إذا تحققت أركانها التى وضعها لها الإمام الشهيد حسن البنا وهى :
التعارف، التفاهم، التكافل .

ولاستكمال استيعاب شباب الصحوة، وتكوينهم وتربيتهم، كان لابد من تكليف مَنْ هم أقرب إلى سنهم ليكونوا همزة وصل فيما بين الجيلين وليقوموا بممارسة التربية والتكوين بأسلوب منظم . . لذلك اختار الأستاذ مصطفى لكل جامعة مسئولاً تتوفر فيه الصفات والشروط المناسبة . . فاختار على سبيل المثال :

- ١- رشاد البيومى - فى جامعة القاهرة .
- ٢- على شهوان - فى جامعة عين شمس .
- ٣- محمود عزت - فى جامعة الزقازيق .

أكمل هؤلاء الثلاثة دراستهم ونفذوا وصية الحاج مصطفى مشهور وعينوا فى جامعاتهم وأصبحوا أعضاء فى هيئة التدريس .

يقول الدكتور محمود عزت : [كنت أحد الإخوان الذين خرجوا من السجن فى محنة ١٩٦٥ وهم لا زالوا طلبية لم يتخرجوا، وكان عدداً تقريباً عشرة . . وبعد خروجى من السجن عام ١٩٧٤ ذهبت إلى الحاج مصطفى فى بيته لأزوره - وكانت هذه الزيارة أول لقاء بينى وبينه - فكلفنى بقوله [يا محمود مهمتك الأولى أن تعمل وسط زملائك وتحرص أن تتعين فى الجامعة لتكون همزة وصل بين الجيلين]^(١) .

ويقول الدكتور رشاد البيومى : [خرجت من السجن بعد محنة ١٩٦٥ وأنا لازلت طالباً، وزارنى الأستاذ كمال السنانيرى وطلب منى مقابلة الحاج مصطفى، ولما ذهبت إليه وجدت عنده الأستاذ المرشد عمر التلمسانى . . كانت هذه المقابلة بمثابة الربط والالتفاف حول المرشد والحث على العمل وسط الطلاب] . ويكمل كلامه فيقول : [أما بعد تخرجى وتعيينى فى

(١) حوار مسجل مع الدكتور محمود عزت .

جامعة القاهرة: اتصل بي أحد الإخوان وقابلته في جامع عمر مكرم فقال لي إن الحاج مصطفى ينتظرك في منزله، فذهبت إليه ووجدت عنده الأخ محمود عزت والأخ علي شهبان، في هذه الزيارة كلفنا الحاج مصطفى نحن الثلاثة أن نعيد عمل جماعة الإخوان المسلمين في الجامعات - حيث كنا أعضاء في هيئة التدريس - فتوكلنا على الله وتحملنا المسؤولية، وكان هو بنفسه مرجعيتنا حيث إنه كان منوطاً به قسم الطلاب . . وانطلق الأداء منذ هذه اللحظة^(١) كان هذا التكليف في أواخر سنة ١٩٧٦ م.

كثف مصطفى مشهور نشاطه وتعمق في علاقته بالشباب وارتبط بهم وارتبطوا به، حتى أن وقته مع الشباب كان الأطول وكانت اللقاءات في بيته تتم حتى بعد صلاة الفجر أو في وقت متأخر من الليل، وكثيراً ما صبر عليهم رضى الله عنه وأرضاه .

أخذت التربية التركيز الأكبر والاهتمام الأبلغ في هذه الفترة، فترة إرساء القاعدة المؤمنة الصلبة . . فكان الشعار فيها هو: [أصلح نفسك وادع غيرك].

●● أصلح نفسك وادع غيرك،^(٢)

يقول الأستاذ مصطفى مشهور:

[شعارنا في العمل لتحقيق هذه القاعدة أصلح نفسك وادع غيرك، نرتقى بأنفسنا ونربيها ونسمو بها وندعو غيرنا لتكثر هذه النوعية، ونصبر على دعوة غيرنا ونتحمل الأذى في سبيل ذلك، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد كان يدعو الناس إلى الله ويتعرض بسبب ذلك إلى الأذى ويتحمل ويصبر ويستمر في الدعوة ويقول: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)^(٣) وكان إمامنا حسن البناء يوصينا في هذا المعنى ويقول: (كونوا مع الناس كالشجر يرمونه بالحجر ويرميهم بالثمر) ولنعلم أن الدعوة إلى الله شرف عظيم وثوابها كبير فإله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ورسولنا ﷺ يقول: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»^(٤)، نحن لا ندعو إلى زعيم أو حزب أو هبداً أرضى، ولكننا ندعو إلى الله وإلى دين

(١) حوار مسجل مع الدكتور رشاد البيومي .

(٢) من فقه الدعوة - ج/ ٢ ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ج/ ٢ ص ٦٢٢ بسن مرسل وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ١٦٣٦ .

(٤) ضعيف - وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ٢٩٥٠ وفي ضعيف الجامع برقم ٤٦٤٦ والصحيح قوله ﷺ [والله لأن يهدي بهداً واحداً خير لك من حُمُر النعم] سنن أبي داود برقم ٣٦٦١ - وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٠٩٤ .

الله المقبول عند الله ، وعلينا أن ندعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون تعال ولا غرور، **وليتعلم العلم لنعمل به قبل أن نعلمه لغيرنا**، العلم الذى يتحول إلى حركة وعمل وجهاد - والإيمان الذى يغيرنا ويصنع منا رجالاً مؤمنين .

وكان الإمام الهضبي يقول لنا: [أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم على أرضكم].
إنك يا أخى لن تستطيع أن تؤثر فى غيرك وتصلحه إلا إذا انتصرت على نفسك أولاً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه].

كانت (مرحلة التكوين) مرحلة تربية وإعداد وتأسيس، فكان الأخ يحتاج إلى صبر وتأن وتؤدة وهدوء فى العمل وترسيخ للإيمان وعمق فى الفهم، فهم عميق وحب وثيق وعمل متواصل ..

ولكن الشباب أحيانا تغلب عليه طبيعته الحماسية المتدفعة، فيتساءل كثير منه: [ما العمل المطلوب منا الآن بعد أن وثقنا فى طريق الدعوة حتى لا نضيع أوقاتنا وجهودنا فى مالا يفيد؟ من ظاهر هذا السؤال فهم المرء أن الشباب قد ضاق من هذه المرحلة ويحسب أنها مضيعة للوقت والجهد فيما لا يفيد!! .

أما أستاذنا المربى العظيم فكان يسعد ويسر بمثل هذه الأسئلة ويقول^(١): [إننا نعتز بهذه الروح ونسعد بها، فهى تدل على الإيجابية التى يتسم بها كثير من شبابنا المسلم اليوم فتيانا وفتيات] وكان فى كثير من المناسبات وغير المناسبات يعبر عن إعترازه بهذا الشباب ويصفهم بأنهم: [قد أقبلوا على العمل بالإسلام وللإسلام فى تحد للباطل رغم ما سمعوه وقرأوه عما حدث لإخوة لهم سبقوهم على طريق الدعوة - وهم الإخوان المسلمون: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ثم يرد على أسئلتهم بهدوء ووضوح ودقة وتركيز يؤكد لهم ما يفعله معهم فى هذه المرحلة بقوله:

إننا فى مرحلة إرساء القاعدة المؤمنة الصلبة التى يقوم عليها بناء الدولة الإسلامية، وتلك القاعدة تتمثل فى الأفراد المسلمين رجال العقيدة، والأسر المسلمة الممثلة للإسلام والملتزمة بتعاليمه، والرأى العام الإسلامى الواعى أو المجتمع المسلم، هذه المجالات الثلاثة: الفرد والبيت والمجتمع .. وهى حقل العمل الجاد الآن كأساس متين للكيان الإسلامى الكبير،

(١) المرجع السابق - ج/١ ص ٩٩ .

وشعارنا فى هذه المرحلة : [أصلح نفسك وادع غيرك] مطلبان رئيسيان ومهمان ، صيغا فى أربع كلمات فقط ولكنهما مناط العمل وأساسه ، إنتاج رأسى (أصلح نفسك) وإنتاج أفقى (ادع غيرك) . فقد مضت سنة الله التى لا تتبدل فى خلقه أنه لا يغير ما يقوم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] فهذا الواقع الفاسد وهذا الشقاء والضنك وهذا التفسخ والضياح الذى يعيشه الناس لن يتغير إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا والتزمنا طريق الله .

وكان الشباب يعجب من عدم تأثير المسلمين على المجتمع رغم كثرة عددهم . فكان الأستاذ يجيبهم بقوله :

إن المسلمين كثير و العدد ، ولكننا نفتقد نوعية رجل العقيدة صاحب الشخصية المؤمنة القوية المؤثرة التى تستطيع أن تغير الواقع الفاسد الخبيث وتقيم الكيان الإسلامى الطيب ، ومن كلمات الأستاذ الهضيبى رحمه الله [أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم على أرضكم] ، هذه النوعية من رجل العقيدة عندما تكونت فى مدرسة الرسول ﷺ وعلى مائدة القرآن ، وتكاثرت عن طريق دعوة غيرها إلى دين الله ، وتأخت فى الله وترابطت برباط العقيدة وهو أقوى الروابط ، استطاعت بعد ذلك أن تفرض شخصيتها الإسلامية بعون من الله وتأييد وأقامت دولة الإسلام ، فعلى نفس الطريق يجب أن نسير ، ونتربى على مائدة القرآن وسنة رسول الله ﷺ وندعو غيرنا إلى الطريق ونتأخى وترابط .

●● الإعداد للجهاد :

عزم أستاذنا فى تربيته للشباب القوى الفتى أن ينشئهم تنشئة صحيحة قوية على الجهاد فى سبيل الله ولا يتركهم كغيرهم خبط عشواء ، فأخذ بأيديهم يعلمهم ويربيهم على نهج رسول الله ﷺ فى ترتيب القوة وألوية قوة الإيمان على باقى القوى ، والاستعداد للجهاد فى سبيل الله ، وفى هذا المجال كان يقول لهم : [إصلاح النفس هو المنطلق الأول ، فالقوة اللازمة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل تتمثل فى ثلاث صور بالترتيب التالى :

- قوة الإيمان .

- قوة الوحدة .

- قوة الساعد والسلام .

هذا هو الترتيب الذى انتهجه رسول الله ﷺ من قبل ونسير عليه من بعد ، ومن الخطورة بمكان استعمال قوة الساعد والسلاح لتغيير الواقع الباطل قبل تحقيق قوة الإيمان وقوة الوحدة ،

ولهذا نحذر من كل اتجاه يخالف هذا الترتيب في مراحل العمل والاستعداد، حتى لا يساء إلى العمل الإسلامى، وحتى لا تضيق الجهود وتزهق الأرواح فى غير موضعها وفى غير الوقت المناسب لها. ويخطئ من يتصور أن رسول الله ﷺ فى الفترة الأولى من الدعوة أغفل الجهاد والإعداد له لمجرد عدم ممارسة الجهاد فى تلك الفترة، ولكنه ﷺ كان يعد القاعدة المؤمنة والأيدى المؤمنة التى ستحمل السلاح فى حينه لتجاهد به دون ضعف أو تردد، وتبذل الروح رخيصة فى سبيل الله، ويبعث العقبة خير دليل على علمه ﷺ أنه سيأتى اليوم الذى يمارس فيه الجهاد، فكان ضمن البيعة أن يحموه مما يحمون منه نساءهم وأولادهم.

وغير منصف من يظن أن الإخوان قد أغفلوا الجهاد وتخلوا عنه لمجرد عدم ممارستهم له فى هذه المرحلة، كيف يغفلونه وهو ركن من أركان بيعتهم. وللإمام الشهيد رسالة خاصة به وهى رسالة الجهاد، وشعارهم: الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا، ولم يقتصر الجهاد عندهم على مجال القول والكتابة، ولكن ما رسوه عملياً عندما أمكنتهم الظروف وقدموا نماذج فريدة أرهبت الأعداء فى فلسطين والقناة وقدموا موكباً من الشهداء.

وربما خطر ببال البعض وخاصة الشباب الطموح أنه لن ينال الأجر والثواب من الله على ما يقوم به من جهد ومجاهدة إذا لم يتحقق النصر والتمكين على يديه وفى حياته، فيدفعه ذلك إلى تعجل النصر ولو على حساب دقة الإعداد أو ترتيب الخطوات، وهذا تصور خاطئ، فكما سبق أن ذكرنا فإننا مسئولون عن العمل وإتقانه وإخلاص النية وصدقها، ولسنا مسئولين عن النتائج، كما أن الزمن يقاس بعمر الأمم والدعوات وليس بأعمار الأفراد.

ولا أكون مغالياً إذا قلت إنه قد يسهل على إنسان ما أن يقدم على عمل يقدم فيه حياته لله، فى حين أنه يجد صعوبة فى تطويع نفسه وترويضها على الالتزام بتعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه.

إننا كى نحقق الآمال التى ننشدها، فى حاجة إلى أصحاب النفوس العظيمة ذات الإرادة القوية والوفاء الثابت والإيمان الصادق والتضحية العزيزة، وفى هذا المعنى يقول الإمام الشهيد تحت عنوان [من أين نبدأ]:

[إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ، تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل: إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور:

- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف.
- وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر.
- تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل.

- معرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره.

على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتترى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً، وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع أو على الأقل فقدوا قوادها ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً، وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

من هذا تتضح أهمية إصلاح النفس ودوره الأساسي في طريق الدعوة وتحقيق الأهداف كي تقبل على الأخذ بأسباب إصلاحها بقوة وبكل اقتناع مهما كلفنا ذلك من جهد ووقت وصبر ومصابرة ومحاسبة ومراجعة.

فالنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم ولا شك أن بناء الرجال أشق وأهم من بناء المصانع والمؤسسات، وأقصد الرجال الصالحين الذين بدونهم لا يتحقق خير ولا صلاح، فإن الله لا يصلح عمل المفسدين وقد يحلو للبعض ممن لا يصبرون على مجاهدة نفوسهم وتربيتها أن يشككوا في طريق التربية وإعداد النفوس ويزينوا لأنفسهم ولغيرهم اختصار الطريق باستعمال القوة قبل الأوان وفي هذا خطأ ومخاطرة^(١).

●● الفرد المسلم الذي ننشده^(٢):

نريد الفرد المسلم صاحب العقيدة السليمة النقية من كل شائبة والعبادة الصحيحة ظاهراً وباطناً، والأخلاق المتينة المستمدة من القرآن والسنة، وثقافة الفكر التي تتفق وقيادة العمل الإسلامي، والجسم القوى الذي يتحمل أعباء العمل والجهاد، نريد الفرد المسلم المجاهد لنفسه النافع لغيره الحريص على وقته والمنظم في شئونه والقادر على الكسب.

●● موقفاً مشهوراً في توعية وترشيد الشباب^(٣):

في إحدى زيارته للصعيد في تلك الفترة حيث كان الجدل على أشده بين شباب الإخوان

(١) له نصائح للشباب ونداءات عن الجهاد في كتاب: من فقه الدعوة - الجهاد هو السبل.

ونحن ذكرنا هذه النداءات في باب السمات الشخصية والفكرية، في هذا الكتاب.

(٢) تابع شرح هذه المقومات في باب السمات الشخصية والفكرية.

(٣) حياة مصطفى مشهور - كما عاشتها أسرته.

وشباب الجماعة الإسلامية فى أسبوط ، حول أسلوب الدعوة إلى الله ، فكان كلما طرح عليه شباب الإخوان نقاط الخلاف وكيف أن شباب الجماعة الإسلامية يشتتون أفكار الطلاب ويستهلكون أوقاتهم فى الرد على تلك النقاط أمثال فرضية النقاب ، ولبس الجلباب ، وإعفاء اللحية ، وحرمة دخول مجلس الشعب ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بأسلوب الشدة وتغيير المنكر باليد ، وحرمة كلام النصارى . . إلخ ما كان شائعاً فى تلك الفترة ، بالإضافة إلى إلصاق التهم بكبار الإخوان مدعين أنهم قد علمتهم السجون النفاق والمهادنة ويريدون أن يعيشوا بقية أيامهم بعيداً عن أسباب الاعتقال ، كان الشباب يثرون تلك النقاط وهم يتميزون من الغيظ والانفعال ، فكان يرحمه الله لا يلبث أن يهدئ من حماس وغضب الشباب ، يترفق بهم ويذكرهم بأن هؤلاء الشباب المتحمس هم شباب يريدون أن تُرفع رؤية الإسلام ويطبق شرع الله . . ولكن سلكوا طريقاً لا يتفق مع منهجنا ، ويلزمنا التعامل معهم كما أمرنا رسولنا ﷺ بالتي هى أحسن وإن بغوا علينا ، وأن الزمان سيدور وسيتهون هم من حيث بدأنا نحن . وكان يعلم الشباب كيف لا ينساقون إلى حيث يريد المتحمسون ، بل يجب أن ندعوهم إلى حيث نريد نحن ، ونترفق بهم ولا نرد السباب والشتم .

ودارت السنون والدوائر وصدقت كلمته رحمه الله التى وعهاها الشباب مع مرور الأيام والمحن التى حفرت بداخله عظته وبرهنت على صدق فطنته ، وبعد هدوء العاصفة النف حول شباب الإخوان أكثر مما ذهب عنهم .

•• كمال الطاعة:

فى خضم المحيط الطلابى الشبائى الجامعى وبين أمواجه المتلاطمة التى تتمثل فى الجماعات الإسلامية المختلفة فى أفكارها وتوجهاتها وفقهها والتى منها ما هو بعيد عن فكر الإخوان وقريب من فكر التكفير مثل جماعة [الناجون من النار] ، و[التوقف والتبين] وجماعة التكفير والهجرة ، ومنها جماعات لا تتبنى فكرة التكفير مثل جماعة [التبليغ] وجماعة [أنصار السنة المحمدية] و[الجمعية الشرعية - للعاملين بالكتاب والسنة] و[السلفيون] . .

استطاع أستاذنا العظيم مصطفى مشهور أن يستخلص العناصر الصالحة لحمل أعباء هذه الدعوة -دعوة الإخوان المسلمين- وأن يضم بعضها إلى بعض ويعلمها ويقومها ويربها ، فكان الشباب فى هذه الخطوة -التكوين والتربية- صوفيين من الناحية الروحية وعسكريين من الناحية العملية ، وكان شعارهم فى هذه المرحلة هو : [أمر وطاعة] من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج .

واستطاع مصطفى مشهور أن يتخير من الشباب الجامعي كل من كان لديه استعداد كامل حقيقي لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأن يرببهم على أركان البيعة العشرة. وعلمهم هذا الرجل العظيم أن أول بوادر هذا الاستعداد هو [كمال الطاعة]، ليتقل بهم إلى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة التوريث للتنفيذ.

•• ثالثاً: التوريث والالتحام^(١):

يقول الأستاذ مصطفى: [إذا كانت الأجيال تراث من الأجيال السابقة التي لها تجربتها وخبرتها في مجالات الحياة من تجارة أو صناعة أو زراعة أو غيرها، فمن باب أولى في هذه القضية المصيرية لكل مسلم أن يرث ممن سبقوه في حقل الدعوة التجربة والخبرة لتبدأ أو أيها الإخوة من حيث وصلنا وتواصلوا المسيرة ويحقق الله بكم الآمال.

وإذا كان من حق كل شاب منكم أن يستوثق ويطمئن تماماً من الطريق الذي سيسير فيه والجماعة التي سيضع يده في يد أفرادها لأنه ليس له غير عمر واحد ونفس واحدة فلا يقامر بهما، فكذلك أيها الإخوة: من حق الدعوة علينا أن نطمئن ونستوثق من الأيدي التي سترث منا هذه الأمانة، بالأنا تفرط فيها وتنحرف بها يمينا أو يسرة.

هكذا حينما يلتحم جيلنا بجيلكم لا يصح أن تكون هناك أية شائبة تضعف من قوة الالتحام. فيلزم من الآن إزالة أية شوائب، فلا يبقى في نفس أحدكم أي تساؤل دون أن يعلم إجابته أو أي غموض دون أن يستوضحه وقد يسمع تشويهاً أو تشكيكاً من بعض من زين لهم الشيطان أن ينالوا من إخوانهم المسلمين دون تبيين، فمن حاك في نفسه شيء فليسأل وليعرف وجه الحق.

ولا تنزعجوا أيها الإخوة حين تسمعون من يهاجم الإخوان المسلمين أو ينال من أفرادها أو قياداتها، فليس هذا بالأمر الجديد، كما أنه ليس بالأمر المخيف، فدعوتكم نقية نقاء ماء السحاب، والمحن زادت أصالة، ولو أن فيها شيئاً مما يقال لما صمدت أمام كل هذه الابتلاءات. أيها الإخوة. نحن ضيوف عليكم وإن هي إلا سنوات ولن تجدوا أحداً من جيلنا، فانتهزوا الفرصة وخذوا التجربة، ولعل في سلسلة دروس على الطريق جانباً منها، وخذوا أنفسكم بالجد والعمل والإنتاج. والله معكم ولن يتركم أعمالكم^(٢).

(١) من فقه الدعوة - ج ٢ / ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) وضع الأستاذ مصطفى مشهور مشروعاً دعوتياً كاملاً للتوريث أثبتناه في باب [مشاريعه الدعوية] من هذا الكتاب.

•• أسباب نجاح التورث:

أراد مصطفى مشهور أن يسلم راية الدعوة لمن هو أهل لها، وكان يقول لإخوانه دائماً: [إن هذه الدعوة سوف تورث للجيل الذى بعدنا رضينا أم أبينا، فلا بد أن نورثها نحن بإرادتنا وتحت أنظارنا ونرى من نورث، فعلينا أن نعد هذا الجيل إعداداً يليق بحمل هذه الأمانة الثقيلة العظيمة].
فلا بد للتورث أن يكون سليماً وبالطريقة العملية وليست النظرية، ثم اتخذ بعض الوسائل والأسباب لنجاح هذا التورث منها:

١- المعاشة والتلاحم:

تنشأ القدوة العملية الملموسة ذات التأثير الفعال فى التغيير والتورث من خلال المعاشة والتلاحم . .

إن المخالطة والتعايش بين الجيلين يعملان على تألف القلوب وامتزاج الأرواح، فيتولد الحب الصادق الذى هو مادة الالتحام القوية .
ولقد ظهر ذلك جلياً فى المعسكرات والرحلات والكتائب والأسر والزيارات وغيرها من الأنشطة التى كانت تجمع بين الجيلين . .

ففى المعسكرات مثلاً: ينفذ نظام المعسكر على الكبير والصغير، كما أن العقوبة لا تفرق بين كبير أو صغير، أما من الناحية الحياتية فمأكلهم ومشربهم ومرقدهم واحد، فلا فرق بين الجيلين أبداً . . مساواة فى جو من المودة والرحمة والحب والتقدير والاحترام والتوقير .

لقد شارك كبار الإخوان من أمثال: [عمر التلمسانى ومحمد حامد أبو النصر ومصطفى مشهور وحسنى عبد الباقي وأحمد الملط وكمال السنانيرى وأحمد حسنين] وغيرهم . . شاركوا الشباب فى معسكراتهم وأنشطتهم الأخرى وكانوا نماذج فريدة وجديدة بالنسبة للشباب، وكان تأثيرهم على الشباب عظيماً، عايشوا الشباب وخالطوهم وتلاحموا معهم وتآلفوا رغم كبر سنهم وقدرهم، إلا أن تواضعهم التلقائى غير المصطنع جعل الشباب يحبونهم حباً شديداً ويثقوا بهم ثقة عظيمة .

٢- الألفة بين الجيلين:

زرعت المعاشة والتلاحم بين الجيلين ألفة مزجت أرواحهم . . ولا يمكن للجيل الجديد أن يتعرف على طبيعة طريق الدعوة من أهداف ووسائل ووجبات، إلا فى جو من التألف بينه وبين الجيل القديم، ليس ذلك فحسب، وإنما سيتم بينهم التعاون فى مجال العمل والإنتاج فى حقل الدعوة وكذلك التدريب ونقل الخبرة .

٣- تكليف الشباب بوضع الخطط:

ومتابعتهم وإيضاح السلبيات والإيجابيات فيها، والاهتمام بتنمية المواهب القيادية فيهم.

٤- مشاركتهم فى المسئوليات:

فلا يجوز أن تتركز أعباء القيادة على أفراد بعينهم مدة طويلة . . أذكر يوم كلف الأستاذ عمر التلمسانى بعض الشباب بمهام ومسئوليات قال: [نريد أن تندفق الدماء الحارة فى عروق الدعوة وتحمل محل الدماء الباردة - أى دماء العجائز . .].

٥- توفر الثقة:

بعد أن تكلمنا عن المعاشية والتلاحم، فلا بد من توفر الثقة كى يتم التلاحم على أكمل وجه، ولا يجوز أن تبقى أى شائبة أو مسألة تحيك فى الصدر من جيل نحو جيل آخر، بل يجب أن تستوضح وتزال كى لا تنال من الثقة، وكذلك الثقة بالجماعة ومناهج سيرها وأهدافها وقياداتها.

٦- استيفاء أركان البيعة العشرة:

يعتبر الأستاذ مصطفى مشهور أركان البيعة العشرة هى الميزان الذى يوزن به الأخ المسلم المجاهد الصادق رجل العقيدة الذى يعد نفسه لحمل راية الدعوة . . فهى من العوامل الأساسية التى تحافظ على سلامة السير على طريق الدعوة، فعلى الأخ أن يكون محافظاً عليها بل حارساً أميناً عليها وفاءً لدعوته وبيعته.

٧- الاهتمام بالتربية:

الاهتمام بالتربية فى المحاضن التربوية حيث ينشأ الفرد على أركان البيعة وأصولها، نشأة تجعل التزامه بها التزاماً سليماً، لضمان جودة التورث وسلامته، والعكس يجعل النتيجة سلبية.

٨- الاهتمام بفقہ العمل الجماعى:

وهى تدريب الشباب على شروط العمل الجماعى وواجباته وأساليبه فى التعامل والتعاون.

٩- إحاطة الشباب بتاريخ الجماعة:

يلزم إحاطة الشباب بتاريخ الجماعة ليشعر بوحدة العمل وانتظام المسيرة فى مراحلها المرسومة، وليصل الماضى بالحاضر والمستقبل فيزداد ثقة.

١٠- الاهتمام بالجانب الروحى:

الزاد الروحى هو الضمان الوحيد والأساسى لسلامة السير وتخفى العقبات والتحرز من المنعطفات والنجاة من الفتن.

١١- الرفقة في السفر:

من أهم أنواع التعايش والتلاحم الرفقة في السفر واختبار الرجال، وقد قال رجل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن فلاناً رجل صدق. فقال له عمر: سافرت معه؟ قال: لا. قال: فكانت بينك وبينه خصومة؟ قال: لا. قال: فهل ائتمتته على شيء؟ قال: لا. قال: فأنت الذى لا علم لك به، أراك رأيت يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد^(١). والسفر معناه الكشف، وهو من السفور، فالسفر يكشف عن أخلاق الرجال. والرفقة فى السفر من أهم أسباب نجاح التورث، بل تجمع وتشمل كل هذه الأسباب السالف ذكرها.

وللأهمية البالغة فى رفقة السفر كان أستاذنا مصطفى مشهور يعول عليها كثيراً فى نجاح التورث. فكان يختار من الشباب واحداً أو أكثر لمرافقته فى أسفاره الدعوية داخل مصر أو خارجها ليتحقق بذلك التورث الصحيح السليم.

والمتابع للمواقف والشواهد التربوية يجد أكثرها فى الأسفار سواء داخل مصر أو خارجها^(٢). وكما قلنا إن رفقة السفر تشمل الأسباب التى ذكرناها فى السفر: تتم المعاشة والتلاحم والألفة والمودة وتمزج الأرواح والمشاركة فى المسئولية وتنشأ الثقة وتكشف معادن الشباب ويستفيد الشباب تربوياً وإدارياً وتنظيمياً وروحياً.

وقد كان الأستاذ مصطفى مشهور رفيقاً رقيقاً مع الشباب، لا يزرهم إذا أخطئوا ولا يعنف ولا يلوم، وإنما يوجه برفق وبحكمة ويستخلص الدروس المهمة من المواقف فيفيد الشباب. وعُرف عنه أنه لا يترك قيام الليل ولا يهمله أبداً لا فى الحضر ولا فى السفر، وكان ذلك درساً مهماً فى الزاد الروحى للشباب، فقد رأوه يقطع المسافات الطويلة فى السفر وعقد اللقاءات والمؤتمرات والاجتماعات والزيارات فيقضى يومه كله فى العمل المتواصل ويصله حتى ساعات متأخرة من الليل، ورغم تعب وسهره يفاجأ الشباب حين يرونه يقيم الليل وهم ينامون ثم يوقظهم لصلاة الفجر!!

ومن دروس الزاد الروحى حفاظه الشديد على الذكر وعدم تفريطه فى الورد، وكان دائماً ما يعقد معهم ورد استغفار إذا حزبه أمر.

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر - لعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى - نقلا عن كتاب عيون الأخبار. رويت هذه الرواية بروايات متعددة قريبة من هذه بسند حسن رواه محمد بن عبد الغزى عن خروشه ابن أبحر - اتقان ما يحسن ٣١٨/٥ وكذلك ابن كثير فى إرشاد الفقيه ٤٠٣/٢.

(٢) وردت بعض المواقف والقصص فى باب السمات الشخصية والفكرية، من هذا الكتاب.

أما بالنسبة لتاريخ الجماعة فكان دائماً يروى لهم عن تاريخ الجماعة بطريقة شيقة .
كان الرجل قدوة وأسوة لكل من رافقه من الشباب في أسفاره داخل مصر وخارجها .
لقد كشفوا عن سماته وصفاته التي قل ما تجتمع في شخص معاصر لهم . .
رأوا فيه المهموم بدعوته ، ذا الهمة العالية ، والعمل المتواصل للدعوة دون كلل أو ملل ، لا
يعرف الراحة في سبيل دعوته ، صفات ومقومات رجل العقيدة الذي ينشده فيهم ، قوة صلته
بالله عز وجل ، عدم مفارقة المصحف ، الحب العميق لإخوانه ، الفهم الدقيق لدعوته ، الفقيه
في دعوته . . إلخ (١) . .
فكان إماماً مجاهداً . . وداعية فقيهاً دون منافس .
نعم هو كذلك ، وكل من يعرفه يقول ذلك . .
أخيراً نقول:

إن مرحلة التورث هي النقطة الثالثة أو الخطوة الثالثة والأخيرة التي استطاع أستاذنا أن يصل
بالشباب إليها بتوفيق الله جل في علاه وباجتهاد وصبر وجلد ومرابطة منه وتعاون من الشباب
له . . الشباب الذي وجد أستاذنا فيهم استعداداً لتحمل المهمة . . وقد أثبتوا له أنهم أهل لذلك .
وبوصوله بهم إلى هذه المرحلة يكون قد دخل بهم مرحلة التنفيذ وهي مرحلة جهاد لا
هوادة معه ، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية ، وامتحان وابتلاء ، ولا يصبر على
هذه المرحلة إلا الصادقون ، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا [كمال الطاعة] التي علمهم
إياها في مرحلة (التكوين والتربية) .

وعلى هذا بايعه الشباب فصاروا من الصف الأول في الإخوان المسلمين ، ومن هؤلاء
الشباب نماذج ثبتوا وصدقوا وما زالوا على العهد حتى كتابة هذه السطور منهم : [الدكتور
عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور عصام العريان والدكتور سناء أبو زيد والمهندس خيرت الشاطر
والدكتور محيى الدين الزايط والدكتور إبراهيم الزعفرانى . . إلخ . . وغيرهم كثير وكثير ،
وقد وصلوا الآن إلى تولى مسئوليات كثيرة في هيئات الجماعة . . وصولاً إلى المواقع القيادية
العليا فيها - مكتب الإرشاد .

(١) من خلال الحوارات التي جرت مع كبار الإخوان المعاصرين له ، نقلنا بعض القصص التي تثبت صحة ما نقول
عن الرجل . . وهذه القصص موجودة وموزعة في هذا الكتاب حسب مناسباتها .

الفصل الرابع: التكوين الداخلى والخارجى

التكوين يعنى الترتيب والتنظيم والهيكله لصفوف الجماعة فى الداخل أى داخل مصر وفى الخارج أى خارج مصر وهو ما يعرف بـ: [التنظيم العالمى].

إن أبسط الأعمال لا يستطيع الإنسان أن يؤديها إلا بتنظيم ونظام، فضلاً عن الأعمال الكبيرة الأخرى. . . فمؤسسة رئاسة الجمهورية لها تنظيم، ووزارة الخارجية تنظيم، وجهاز الأمن تنظيم، ووزارة الإعلام تنظيم، ومن يصدر مجلة أو جريدة لا يصدرها إلا بتنظيم، والتجارة تنظيم. . . فيجدر بمن يتصدون لأعظم إنجاز فى هذه الدنيا وهو: [إقامة دولة الإسلام] أن يعملوا تنظيمًا لهذا العمل العظيم. . .

وبالتالى فإن موثيق حقوق الإنسان قد استقرت على أن التنظيم حق من حقوق الإنسان مثل: حق الحياة وحق العلاج وحق التعليم وحق الحفاظ على الجسد. . . إلخ. والتنظيم ليس عيباً والعبرة بالعمل الذى أنشئ التنظيم من أجله.

●● التنظيم داخل مصر:

بعد لم الشمل والتفاف الإخوان حول جماعتهم وانضمام شباب الصحوة وارتباطهم عاطفياً ووجدانياً بالإخوان المسلمين، كان اهتمام الأستاذ مصطفى مشهور وإخوانه القادة بإنشاء التنظيم وهيكله الجماعة اهتماماً بالغاً، وقلنا من قبل إن المرشد الثانى الإمام حسن الهضيبى اختار من الذين صمدوا وصبروا ولم تتغير مواقفهم لا بتأييد ولا تكفير ولا غيروا ولا بدلوا: [مصطفى مشهور وكمال السنابى وأحمد الملط وحسنى عبد الباقى وأحمد حسنين] ويساعدهم أعضاء مكتب الإرشاد.

اتخذ الإخوان أول مقر لهم شقة بالسيدة زينب وهى: عيادة أحد الإخوان، ثم بعد ذلك دار الدعوة بحى التوفيقية، ثم الروضة وهى مقر مكتب الإرشاد حتى كتابة هذه السطور.

كان الحاج مصطفى يهتم كثيراً بتنظيم الجماعة وترتيبها وتشكيل هيكلها، وله الدور الإيجابى الأكبر والأعظم، وذلك لأنه من طبيعته النظام والترتيب والتخطيط، وكان يعلم أولاده وأهل بيته ذلك. إن توزيع الأعمال وتكليف الأفراد وتقسيم الأدوار طبيعة فيه، إلى

جانب أنه كان أعرف الإخوان بالرجال، كما قال الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله: يروى أحد الإخوان المسئولين: أنه في أحد اللقاءات، طلب أحد المسئولين من المحافظات من الأستاذ عمر التلمساني أن يعرفه ببعض الأشخاص، فكان رده: الأستاذ مصطفى مشهور أعرف مني بالرجال. فكان يختار الرجل المناسب في المكان المناسب، ومعظم التكليفات تمت عن طريقه.

ولقد لعب الحاج مصطفى الدور الأكبر في التكوين لمعرفة بالرجال...

واكتمل هيكل الجماعة فصار هناك:

١- المرشد العام للإخوان المسلمين.

٢- وتكون مكتب الإرشاد العام.

٣- ومجلس الشورى العام.

٤- والأقسام.

٥- والمكاتب الإدارية في المحافظات.

٦- والمناطق والشعب.

٧- والأسر.

وكما هو معلوم فالأسرة هي نواة الجماعة، بل هي المحضن التربوي الأهم. لذلك نالت الاهتمام الأكبر من الحاج مصطفى مشهور، وبدأ يعيد الأسرة التي وضع نظامها الإمام البنا سنة ١٩٤٣م. ومن شدة اهتمامه كان يحضر بنفسه افتتاحيات بعض الأسر داخل القاهرة وخارجها. يقول الدكتور محمد عبد الجواد: «كان الأستاذ مصطفى مشهور يسافر أسفراً بعيدة لحضور الأسر النواة. وأذكر أنه قد سافر إلى طنطا للقاء مجموعة من الشباب في يوم من الأيام وكانت الأسرة النواة في محافظة الغربية».

وكذلك كان اهتمامه بالمعسكرات والمخيمات وهي أيضاً من المحاضن التربوية المهمة، فكان يسافر للإعداد لها والمشاركة فيها لإنجاحها. فقد سافر من القاهرة إلى قويسنا ليرتب مع مجموعة من الشباب الإخوان كيف يكون المعسكر المطلوب إقامته في الإسكندرية أو رشيد، وهو أول معسكر بعد خروج الإخوان من السجن سنة ١٩٧٥م.

وكان الحاج مصطفى يكلف إخوانه بالأعمال، ويقسم الأدوار، ويتابع بنفسه هذه التكليفات ويشرف عليها.

وتزامن مع هذه الهيكلية وهذا التكوين . . تكوين العمل الطلابي وهيكلته، فأشرف بنفسه على قسم الطلاب وكلف المسؤولين عن الجامعات وأنشأ الأسر الطلابية الشبابية وكان يشرف عليها بنفسه برغم مهامه ومسئولياته الجسام إلا أن اهتمامه البالغ بالطلاب جعله يشرف على قسم الطلاب بنفسه توجيهاً وتربية وإشرافاً ولم يحرمهم من دروسه ومحاضراته ومشاركته لهم في رحلاتهم ومخيماتهم بل وأسرههم، وهكذا كان ناجحاً في التربية وفي التكوين أيضاً، ومن الصعب الجمع بين التكوين والتربية وقل من يجمع بينهما، إلا أن أستاذنا كان بارعاً في الجمع بين التربية والتكوين.

•• التنظيم خارج مصر: التنظيم العالمي:

إن من أخص خصائص الدعوة: أنها عالمية، وهذا يحتم على الدعاة نشرها في أنحاء العالم، وهذا ما فعله منشى الجماعة ومؤسسها الإمام الشهيد في بدايات أيام الدعوة . . الذى اتصل بالأقطار الأخرى حتى انتشرت الفكرة وعملت في كثير من الأقطار.

ولعل أول اتصال للإمام البنا بدولة أخرى كان في الإسماعيلية حيث اتصل بالشيخ حافظ وهبة مستشار جلالة الملك ابن آل سعود، وكان ذلك في نوفمبر ١٩٢٨ في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، نعم كان هذا اللقاء بهدف سفر الإمام البنا إلى المملكة السعودية للتدريس فيها، إلا أن الإمام البنا وضع أمامه أهم شرط لقبوله هذه المهمة، وهو أن يعتبر صاحب فكرة يعمل على أن تجدها مجالها الصالح في دولتهم الناشئة التى يعقد عليها المسلمون أمالاً كبيرة^(١).

وكان الاتصال الثانى مع السيد محمد زيارة الحسن اليمنى أمير قصر السعيد فى صنعاء حينذاك، حيث تقابل مع الإمام البنا فى حفل أقامته جمعية الشبان المسلمين فى ذكرى الهجرة سنة ١٣٤٨ هـ الموافق يونيو سنة ١٩٢٩ م بعد المحاضرة التى ألقاها الإمام البنا بعنوان: «ذكرى يوم الهجرة والدعوة الإسلامية وأثرها» وتحدث طويلاً عن مصر وعن اليمن، وعن انتشار الإلحادية والإباحية المستشرى فى ذلك الوقت ووجوب الوقوف أمامه بكل القوى . . ثم توطدت العلاقة واستمرت هذه الصلة بعد ذلك قوية ومتينة^(٢).

وفى جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية خص العالم الإسلامى وجعل له باباً تناول أخباره وتبنى قضاياها حيث كتب فى أول عدد منها: «جريدة الإخوان المسلمين تعتبر نفسها خادمة كل مسلم مهما كان وطنه أو جنسيته، ولا ترى أهل القبلة إلا رجلاً واحداً كما مثلهم بذلك رسول الله ﷺ، وهى لهذا تنقل إلى قرائها مجمل أخبار العالم الإسلامى، ليلم بها كل

(١) مذكرات الدعوة والداعية.

(٢) المرجع السابق.

قارئ، وليقوم كل مسلم بما يجب عليه نحو الأخوة الإسلامية العامة، غير متحيز إلى فريق أو مائل ناحيته، ولكنها ترجع الخير لكل مسلم^(١). وفي هذا الباب تناول الإخوان الإسلام في كثير من بلاد العالم منها الصين، إندونيسيا، المغرب، إيران، الهند وغيرها من بلاد العالم. كانت الجريدة توزع بواسطة متعهدين في تونس والمغرب وجيبوتي التي أنشئ بها شعبة وفرع للإخوان المسلمين بعد ذلك والسودان^(٢).

وانجذب الطلاب الذين يدرسون في مصر من مختلف الأقطار إلى جماعة الإخوان المسلمين^(٣). وكذلك العلماء والمفكرون وأصحاب النشاط الإسلامي في بلدان العالم الذين كانوا ينزلون ضيوفاً على المركز العام للإخوان المسلمين وقتذاك^(٤).

كما أن الإمام البنا كان يبعث الوفود الإخوانية إلى الأقطار لنشر دعوة الإخوان، وكانت أول بعثة: الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي والأستاذ محمد أسعد الحكيم إلى سوريا ولبنان^(٥). وكانت الخطوة الأخيرة أن عمل الإمام البنا تنظيمًا للإخوان المسلمين في الأقطار الأخرى، حيث كانت أول شعبة خارج القطر المصري في جيبوتي التي نشأت في يونيو ١٩٣٣م. حتى وصل عدد فروع الإخوان المسلمين في العالم الخارجي ١٨ شعبة متشرة في ١١ دولة وذلك في يونيو ١٩٣٧م وهي كما يلي^(٦):

أ- السودان:

١- شعبة الزيداب.

٢- شعبة الخرطوم بحرى.

ب- الحجاز:

١- شعبة مكة المكرمة.

٢- شعبة المدينة المنورة.

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية.. السنة الأولى - العدد الأول - ٢١ صفر ١٣٥٢هـ/ ١٥ يونيو ١٩٣٣م.

(٢) المرجع السابق العدد الأول، والعدد الرابع.

(٣) المرجع السابق العدد ٤١ السنة الثانية.

(٤) المرجع السابق في أعداد متتالية في ذلك الوقت.

(٥) مذكرات الدعوة والداعية.

(٦) جريدة الإخوان المسلمين - السنة الخامسة - العدد الرابع - ٢ من ربيع آخر ١٣٥٦هـ الموافق ١١ يونيو ١٩٣٧م.

ثم انتشرت الشعب في بلاد أخرى مثل: لندن وأمريكا وغيرها.

٣- شعبة جدة .

ج- سوريا وفلسطين ولبنان :

- ١- شعبة دمشق .
- ٢- شعبة بيروت .
- ٣- شعبة القدس .
- ٤- شعبة دير الزور .
- ٥- شعبة حيفا .
- ٦- شعبة حلب .

د- المغرب الأقصى :

- ١- شعبة فاس .
- ٢- شعبة طنجة .

هـ- البحرين :

- ١- شعبة البحرين .

و- حضرموت :

- ١- شعبة حضرموت .

ز- الهند :

- ١- شعبة حيدرآباد .

ح- الصومال :

- ١- شعبة جيبوتي .

ط- باريس :

- ١- شعبة باريس .

وكانت الشُعب في تلك الفترة تنشأ وتتأسس بمجرد وجود فرد عنده العاطفة الدينية ثم تنتهي . وكان الإمام البنا يقبل من الأفراد مجرد العاطفة الجياشة إلى حين ، على اعتبار أن الزمن كفيل بالتربية . وكانت بعض الشُعب أو الفروع تموت أو تنتهي إذا انشغل الفرد القائم عليها أو رحل ، ولكن الله تبارك وتعالى يفتح أضعاف أضعاف ما يموت أو ينتهي من الشُعب .

● دور المحن في انتشار الدعوة خارج مصر:

لما أراد عبد الناصر أن يضرب الإخوان المسلمين ويكسر شوكتهم ويقضى على فكرهم ويستأصل شأفتهم بل ويمحيهم من الوجود على خريطة الدنيا!!! أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع ذكرهم وينشر دعوتهم داخل مصر وخارجها في البلاد العربية والإسلامية والعالمية وأن تتوسع دعوتهم ويكثر أنصارهم حتى تصير كبرى الحركات الإسلامية في العالم أجمع، وإلى يومنا هذا والدعوة تُورث للأجيال المخلصة الصادقة في حمل لوائها.

كيف تم ذلك؟ . . يسّر الله تبارك وتعالى الأمور لبعض الإخوان الصادقين الثابتين أن يسافروا إلى الخارج قبل محنة ١٩٥٤م وبعدها، وانتشروا في جميع الدول العربية والأوروبية حتى وصلوا أمريكا . . وأسسوا أنشطتهم الدعوية هناك، وانتشرت دعوة الإخوان المسلمين في أقطار العالم انتشاراً واسعاً مذهلاً.

خرج من مصر د. سعيد رمضان زوج ابنة الإمام الشهيد الذي ساهم في تأسيس رابطة العالم الإسلامي، وأسس المركز الإسلامي في جنيف بسويسرا، وأصدر مجلة (المسلمون) على نفقته كبديل لمجلة (الشهاب) وشارك في العمل الإسلامي على الساحة الإسلامية العالمية، وكان الأمين العام للمؤتمر الإسلامي للقدس. وكان عبد الناصر قد حكم عليه بالإعدام غيابياً.

وخرج عبد الحكيم عابدين إثر أحداث يناير ١٩٥٤ أي في مارس ١٩٥٤ بعد الإفراج حج بيت الله الحرام ثم رافق الأستاذ حسن الهضيبي في رحلته إلى سوريا ولبنان والأردن، وقلَّ جهداً كبيراً مع إخوانه في العمل الدعوى في سوريا ولبنان والأردن والعراق والسودان والمغرب لنصرة إخوانه بمصر، واستمر نشاطه في الأقطار العربية والأوروبية والإسلامية متنقلاً من بلد إلى بلد.

وخرج عبد البديع صقر عام ١٩٥٤، وكانت آثاره واضحة جلية في منطقة الخليج بعامة وفي قطر بخاصة منذ قدم إليها من مصر.

وخرج الفريق الركن الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف، ومصطفى جبر، وجمال عامر، وسعد الدين الوليلي، وعز الدين إبراهيم، والمهندس يوسف ندا، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور أحمد العسال، والدكتور سالم نجم، والدكتور محمد على المحجري، والمهندس عبد الرؤوف مشهور وأخوة عبد المنعم مشهور وغيرهم كثير وكثير . . هؤلاء كان لهم الأثر الكبير على النشاط الإسلامي على مستوى العالم ومنهم من قضى نحبه ومنهم من

ينتظر وما بدلوا تبديلاً. فأنشئوا المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا مثل: المركز الإسلامي بميونخ بألمانيا والمركز الإسلامي في زيورخ بسويسرا، وأنشئوا المساجد مثل: مسجد بلال في آخن بألمانيا والذي كان يقوم على الدعوة فيه الأستاذ الفاضل عصام العطار بارك الله في عمره. كما كونوا اتحاد المنظمات الإسلامية في إنجلترا، وكذلك أنشأوا اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا، وأنشئوا جمعيات كثيرة ومساجد في أوروبا وأمريكا.

أما الإخوان المسلمون في الدول العربية فقد دخلوا في محن عصيبة، مثل إخوانهم في مصر. - ففي سوريا: وُضع الإخوان في السجون والمعتقلات، وتعرضوا لأشد العذاب والإبادة الجماعية، بالإضافة إلى مأساة حماة التي دمرها طيران السلطة ودفن الأهالي تحت الأنقاض، واشتهر سجن تدمر الذي لا يقل عن السجن الحرى وأبو غريب وجوانتنامو!!! ولكن استطاع عصام العطار وحسن هويدى وبعض إخوانهم الخروج من سوريا.

- وفي العراق: دخل الإخوان المسلمون في محن وابتلاءات، وخرج منهم عبد العزيز صالح العلى (محمد أحمد الراشد) وغيره.

- وفي تونس: واجه الإخوان السجون والتعذيب، وخرج منهم راشد الغنوشي وآخرون. - وفي ليبيا: كان الاضطهاد والتعذيب والتكيل والحكم بالإعدام وإبادة العلماء، ولقى الإخوان المسلمون محنة شديدة لا تقل عن ما لاقاه إخوانهم في البلاد الأخرى، ولكن خرج د. عبد الله أبو سن وبعض إخوانه منها.

- وكذلك في الجزائر: حدث ما حدث للإخوان وخرج محفوظ نحننا وبعض إخوانه خارج البلاد.

عاش الإخوان الذين خرجوا من بلادهم فارين بدينهم، في أوروبا وأمريكا في جو حر، وكانت فرصتهم عظيمة لممارسة النشاط الدعوى فيها بحرية، وكان الاتصال فيما بينهم سهلاً ميسوراً، فشاركوا إخوانهم في الأنشطة المختلفة من خلال المراكز الإسلامية والمساجد والمخيمات وغيرها.

ونلاحظ أنهم يمارسون نشاطهم في جو من الأخوة والحب والمودة، ولكنهم مدارس متعددة مختلفة. والملاحظة الثانية: غياب إخوانهم في مصر فترة من الزمن داخل السجون والمعتقلات... فكان لهاتين الملاحظتين الأثر الكبير في الانقسامات والاختلافات، فتسبب ذلك في الضعف والتفكك.

•• تجديد بناء التنظيم العالمى:

بعد خروج الإخوان المسلمين من سجون عبد الناصر سنة ١٩٧٥م، وبعد للممة الشمل وإعادة الجماعة وتجديد بنائها وتكوين هيكلها، كان لابد من توحيد الجهود فى الداخل والخارج والتعاون وإعادة وتجديد بناء التنظيم العالمى وتكوين هيكله.

فكان الاتصال بالإخوان المسلمين خارج مصر، وقام بهذه المهمة الحاج مصطفى مشهور والأستاذ كمال السنائيرى . . فكثفا جهودهما ونشاطهما لأداء هذه المهمة .

•• مصطفى مشهور مهندس التنظيم العالمى:

هذه العبارة قالها الأستاذ لاشين أبو شنب لما سألته عن دور الحاج مصطفى فى التنظيم العالمى . . . وقال: «لقد أسهم إسهاماً كبيراً فى تقوية التنظيم العالمى فكرياً وحركياً وله الفضل بعد الله فى هذا العمل، ودوره أساسى فى وضع هيكلته . . . مصطفى مشهور مهندس التنظيم العالمى لجماعة الإخوان المسلمين».

توثقت علاقة مصطفى مشهور بإخوانه خارج مصر، وصار الاتصال بهم والعمل معهم من أولويات مسئولياته الكثيرة . . وكان يوفى بينها وبين المخيمات التى كان يحضرها مع الشباب فى أوروبا وأمريكا وغيرها .

لما صدرت قرارات سبتمبر ١٩٨١م التى اعتقل السادات بموجبها ١٥٦٩ شخصاً، من مختلف المهن والطبقات من الكتاب والصحفيين والأدباء والمحامين والأطباء واللاهوتيين والسياسيين والطلاب وكثير من رموز الأمة!!! . . كان الحاج مصطفى مشهور فى مخيم للشباب المسلم فى إيطاليا يصحبه الشيخ محمد عبد الله الخطيب والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح . . وبعد انتهاء المخيم عاد الشيخ الخطيب والدكتور عبد المنعم، وبقي الحاج مصطفى مشهور لارتباطه ببعض الأعمال التى تخص الإخوان بالخارج، ولما اعتقل السادات قيادات الإخوان فى مصر، بقي الحاج مصطفى بالخارج بقرار موفق من الإخوان^(١).

بدأ الحاج مصطفى عمله الدعوى وسفره القاصد بين دول العالم الخارجى، يجتمع بقيادات الإخوان فى كل مكان ويؤلف بينهم ويقرب وجهات النظر، ويجمعهم تحت قيادة المرشد العام

(١) اتخذت قيادة الإخوان قراراً بإبقاء الحاج مصطفى خارج البلاد، وكان قراراً موفقاً، حيث تنقل الحاج مصطفى فى تلك الفترة بين أقطار العالم وأعاد بناء التنظيم العالمى، والدعوة بالخارج إلى جذورها الأصيلة وربطها بالقيادة فى مصر [هذا ما أدلى به الدكتور محمد حبيب فى حوار مسجل عن الحاج مصطفى مشهور].

للإخوان المسلمين الذى مقره القاهرة، ويربطهم بمكتب الإرشاد رباطاً تنظيمياً حركياً وليس وجدانياً تشريفاً فقط كما كان فى السابق.

فإلى جانب كياناتهم التنظيمية فى كل بلد، ربط فيما بينهم بمجلس شورى عالمى، وربط كل تنظيم فى كل بلد بمكتب الإرشاد وتمثل هذا الارتباط فيما يلى^(١):

- ١- الالتزام بقرارات القيادة العامة.
- ٢- التشاور والاتفاق مع المرشد العام أو مكتب الإرشاد قبل اتخاذ القرار، وتشمل جميع المسائل المحلية المهمة والتي قد تؤثر على الجماعة فى قطر آخر.
- ٣- رفع تقرير سنوى لمكتب الإرشاد.

لم يطل المقام بالحاج مصطفى فى إيطاليا، وسافر إلى ألمانيا فى ميونخ نزل عند أخى زوجته عبد الرؤوف مشهور، ثم سافر إلى فرنسا ليقیم مع ابنته سمية حتى سنة ١٩٨٥ وبعد ذلك ذهب إلى الكويت فى ١٩٨٦، ثم رجع إلى مصر فى مرض الأستاذ عمر التلمسانى رحمه الله. تقول ابنته: إنها كانت تحب طواقى وجلايب، ويبيعها والدها الحاج مصطفى لصالح أفغانستان!!

وتقول: إنها كانت تسمع شائعات تقول: «إن مصطفى مشهور يجهز جيشاً فى الخارج ليغزو مصر»^(٢).

قضى مصطفى مشهور هذه الفترة من ١٩٨١ - ١٩٨٦ خارج مصر ينتقل فيما بين البلاد العربية والأوروبية والأمريكية والآسيوية، يرسخ فيها قواعد عمل الجماعة ويربط بينها وبين القيادة فى مصر، ويؤسس الفكر الصحيح والأصيل للجماعة ويكون الهياكل ويوزع الأعمال ويكلف الرجال وينشئ الأقسام والشعب والأسر وغيرها، وكذلك كان يشارك فى المخيمات الشبابية والمعسكرات وكان يلقي المحاضرات والدروس ويشارك فى الندوات، وشارك فى أعمال الخير والبر وإنشاء المراكز الإسلامية والهيئات الطوعية لعمل الخير وتقديم العون للناس، وكان عضواً مؤسساً فى [الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية] ومقرها فى فرنسا.

وكان يشارك فى جميع المناسبات الإسلامية والدعوية بحضور مؤثر، كما كان يهتم بقضايا المسلمين فى كل مكان ويذهب إليهم بنفسه فى بلادهم يدعمهم دعماً معنوياً وإنسانياً بقدر المستطاع.

(١) انظر النظام العام للإخوان المسلمين - الباب الخامس: [العلاقة بين القيادة العامة وقيادات الأقطار].

(٢) حوارات غير مسجلة مع ابنته الأستاذة سمية.

أدخل مصطفى مشهور منصباً جديداً على مستوى التنظيم العالمي وهو: منصب [نائب المرشد العام في الخارج].

كما كان يتابع أعمال التنظيم العالمي ويحل مشاكل الإخوان في الخارج ويدعمهم ويرفع من معنوياتهم ويقوى الروابط فيما بينهم ويحضر اجتماعاتهم [مجلس الشورى العالمي] ويؤدى واجبه بالكامل نحوهم.

لم يذق طعم الراحة طيلة وجوده في الخارج من كثرة الأسفار والتجوال حتى أطلق عليه الأستاذ مأمون الهضبي: [جوال الإخوان المسلمين].

وأخيراً نقول:

بفضل الله تبارك وتعالى ثم بجهود الحاج مصطفى مشهور انتشرت دعوة الإخوان المسلمين حتى وصلت ماليزيا واندونيسيا واستراليا وجنوب أفريقيا، ناهيك عن انتشارها في الدول العربية وأوروبا وأمريكا، وحسب كلام بعض المسئولين: امتد انتشارها في أكثر من سبعين دولة في العالم، كلها تابعة لمكتب الإرشاد والمرشد العام للإخوان المسلمين في القاهرة^(١).

●● النظام العام للإخوان المسلمين:

إن من أهم الأمور التي أنجزت في هذه المرحلة من التكوين الداخلى والخارجى، وضع النظام العام للإخوان المسلمين، ونحن ننشره هنا بكامله لأهميته وهو كما يلى:

النظام العام للإخوان المسلمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده وصلوات الله عليه وعلى آله وصحابه وسلم وبعد...

فاهتداءً بكتاب الله تعالى واقتداءً بسنة رسوله ﷺ - ثم تطبيقاً لقانون النظام الأساسى لجماعة الإخوان المسلمين العامة الذى ينص على: (إن الإخوان المسلمين فى كل مكان جماعة واحدة تؤلف بينها الدعوة ويجمعها النظام الأساسى).

ونظراً لاتساع ميادين نشاط الجماعة وعلى ضوء التجارب التى مرت بها ومراعاة للظروف التى تحيط بها ومتطلبات الفترة الحالية. درس مجلس الشورى العام المؤلف وفقاً للاتحة المؤقتة المعتمدة

(١) نقلاً عن الأستاذ إبراهيم شرف رحمه الله.

من قبل فضيلة المرشد العام للجماعة . بتاريخ ۳ جمادى الآخرة ۱۳۹۸ هـ الموافق ۱۰ / ۵ / ۱۹۷۸ .
فى اجتماعه المتعقد بتاريخ ۹ شوال ۱۴۰۲ هـ الموافق ۲۹ / ۷ / ۱۹۸۲ وما يليها الاقتراحات المقدمة
لتعديل هذه اللائحة ، وانتهى إلى إقرار النظام العام للجماعة على الشكل التالى :

الباب الأول: اسم الجماعة ومقرها

مادة (۱): فى شهر ذى القعدة ۱۳۴۷ هـ - ۱۹۲۸ م تألفت جماعة الإخوان المسلمین ومقرها
الرئيسى مدينة القاهرة . ويجوز نقل القيادة فى الظروف الاستثنائية بقرار من مجلس الشورى
إذا تعذر ذلك من مكتب الإرشاد .

الباب الثانى: الأهداف والوسائل

مادة (۲): الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لإقامة دين الله فى الأرض وتحقيق
الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف . ومما يتصل بهذه الأغراض :
أ- تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة وإلى المسلمین خاصة . وشرحها شرحاً دقيقاً يوضحها
ويردها إلى فطرتها وشمولها . ويدفع عنها الأباطيل والشبهات .
ب- جمع القلوب والنفوس على مبادئ الإسلام وتحديد أثرها الكريم فيها وتقريب وجهات
النظر بين المذاهب الإسلامية .
ج- العمل على رفع مستوى المعيشة للأفراد وتنمية ثروات الأمة وحمايتها .
د- تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن ومكافحة الجهل والمرض والفقير
والرذيلة وتشجيع أعمال البر والخير .
هـ- تحرير الوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان غير إسلامى . ومساعدة الأقليات
الإسلامية فى كل مكان . والسعى إلى تجميع المسلمین جميعاً حتى يصيروا أمة واحدة .
و- قيام الدولة الإسلامية التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها فى الداخل وتعمل
على نشرها وتبليغها فى الخارج .
ز- مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل الشريعة الإسلامية التى تصون الحريات
وتحفظ الحقوق . والمشاركة فى بناء الحضارة الإنسانية على أساس جديد من تأزر الإيمان
والمادة كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة .
مادة (۳): يعتمد الإخوان المسلمون فى تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية : وعلى
كل وسيلة أخرى مشروعة :

أ- الدعوة بطريق النشر والإذاعة المختلفة من الوسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعات وتجهيز الوفود والبعثات فى الداخل والخارج .

ب- التربية تطبع أعضاء الجماعة على هذه المبادئ وتمكين معنى التدين قولاً وعملاً فى أنفسهم أفراداً أو بيوتاً وتربيتهم تربية صالحة عقدياً وفق الكتاب والسنة وعقلياً بالعلم وروحياً بالعبادة وخلقياً بالفضيلة وبدنياً بالرياضة وتثبيت معنى الأخوة الصادقة والتكافل التام والتعاون الحقيقى بينهم حتى يتكون رأى عام إسلامى موحد وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويعمل بأحكامه ويوجه النهضة إليه .

ج- التوحيد: بوضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع من التربية والتعليم والتشريع والقضاء والإدارة والجنديّة والاقتصاد والصحة والحكم والتقدم بها إلى الجهات المختصة والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية لتخرج من دور التفكير النظرى إلى دور التنفيذ العملى - والعمل بجهد على تنقية وسائل الإعلام مما فيها من شرور وسيئات والاسترشاد بالتوجه الإسلامى فى ذلك كله .

د- العمل: بإنشاء مؤسسات تربوية واجتماعية واقتصادية وعلمية وتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ والنوادي، وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات وأعمال البر والإصلاح بين الأفراد والأسر، ومقاومة الآفات الاجتماعية والعادات الضارة والمخدرات والمسكرات والمقامرة وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة وشغل الوقت بما يفيد وينفع والاستعانة على ذلك بنشر أقسام مستقلة طبقاً للوائح الخاصة .

هـ- إعداد الأمة إعداداً جهادياً لتقف جبهة واحدة فى وجه الغزاة والمتسلطين من أعداء الله تمهيداً لإقامة الدولة الإسلامية الراشدة .

الباب الثالث: الأعضاء وشروط العضوية

مادة (٤): أ- يقضى المرشح لعضوية الجماعة مدة ستة أشهر على الأقل تحت الاختبار فإذا ثبت قيامه بواجبات العضوية مع معرفته بمقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن يناصرها ويحترم نظامها ويعمل على تحقيق أغراضها ثم وافقت الجهة المسئولة عنه على قبوله فى الجماعة، فيصبح أخاً منتظماً لمدة ثلاث سنوات .

ب- إذا ثبت خلال السنوات الثلاث الأنفة الذكر قيام الأخ بواجبات عضويته فللجهة المسئولة أن تعتبره أخاً عاملاً ويؤدى العهد التالى:

(أعاهد الله العظيم على التمسك بأحكام الإسلام والجهاد في سبيله والقيام بشروط عضوية جماعة الإخوان المسلمين وواجباتها . والسمع والطاعة لقيادتها في المنشط والمكره في غير معصية ما استعظت إلى ذلك سبيلاً، وأبايع على ذلك والله على ما أقول وكيل).

مادة (٥): على كل عضو أن يدفع اشتراكاً مالياً شهرياً أو سنوياً وفق النظام المالي لكل قطر . ولا يمنع ذلك من المساهمة في نفقات الدعوة والتبرع والوصية والوقف وغيرها، كما أن للدعوة حقاً في زكاة أموال الأعضاء القادرين على ذلك .

مادة (٦): إذا قصر العضو في بعض واجباته . أو فرط في حقوق الدعوة اتخذت الإجراءات الجزائية اللازمة في حقه وفق النظام الجزائي الخاص بقطره بما في ذلك الإعفاء من العضوية .

مادة (٧): على الأعضاء أن يتكافلوا فيما بينهم وليتعهد بعضهم بعضاً بالسؤال والبر وليبادر كل إلى مساعدة أخيه ما وجد إلى ذلك سبيلاً كما يأمرهم بذلك الإسلام وذلك صريح الإيمان ولب الأخوة .

الباب الرابع: الهيئات الإدارية الرئيسية للإخوان المسلمين

مادة (٨): الهيئات الإدارية الرئيسية للإخوان المسلمين هي : المرشد العام، مكتب الإرشاد العام، مجلس الشورى العام .

أولاً: المرشد العام:

مادة (٩): المرشد العام للإخوان المسلمين هو المسئول الأول للجماعة برئاسة مكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى العام - ويقوم بالمهام التالية :

أ- الإشراف على كل إدارات الجماعة وتوجيهها ومراقبة القائمين على التنفيذ ومحاسبتهم على كل تقصير وفق نظام الجماعة .

ب- تمثيل الجماعة في كل الشؤون باسمها .

ج- تكليف من يراه من الإخوان للقيام بمهام يحدد نطاقها له .

د- دعوة المراقبين العامين الممثلين للأقطار للاجتماع عند الحاجة .

مادة (١٠): يشترط فيمن يرشح مرشداً عاماً ما يلي :

أ- ألا يقل عمره عن أربعين سنة هلالية .

ب- أن يكون قد مضى على انتظامه في الجماعة أخصاً عاملاً مدة لا تقل عن خمس عشرة سنة هلالية .

ج- أن تتوافر فيه الصفات العلمية (وخاصة فقه الشريعة) والعملية والخلقية التي تؤهله لقيادة الجماعة .

مادة (١١): يتم اختيار المرشد العام وفق المراحل الآتية :

أ- يقوم مكتب الإرشاد العام بعد استشارة المكاتب التنفيذية في الأقطار أو المراقبين العامين أو ثلث أعضاء مجلس الشورى بترشيح أكثر اثنين قبولاً لدى هذه المكاتب .

ب- إذا لم يتم الإجماع على واحد من تتوفر فيهم الشروط المذكورة في المادة (١٠) . بناءً على ذلك وبقرار من مكتب الإرشاد العام يوجه نائب المرشد العام الدعوة إلى مجلس الشورى العام لاجتماع مدته أسبوع كحد أقصى يجرى فيه انتخاب المرشد العام الجديد - ويحدد في الدعوة الزمان والمكان والموضوع والنصاب - وتوجه الدعوة قبل شهر على الأقل من الموعد المحدد .

ج- ينعقد اجتماع مجلس الشورى العام برئاسة نائب المرشد العام، فإن كان هو المرشح فأكبر الأعضاء سنًا . ويجرى انتخاب المرشد العام بأكثرية ثلثي أعضاء المجلس (النصاب لا يقل عن الثلثين) . فإذا لم يتم ذلك أجل الاجتماع إلى موعد آخر لا يقل عن شهر ولا يزيد عن شهرين ولمدة أسبوع أيضاً، ويجرى فيه انتخاب المرشد العام بالأكثرية المطلقة في أعضاء المجلس (النصاب لا يقل عن ذلك) .

مادة (١٢): عندما يتم اختيار المرشد العام يؤدي العهد التالي أمام مجلس الشورى العام :

«أعاهد الله تعالى على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً والالتزام بمنهاج الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسي منفذاً لقرارات الجماعة المناطة بي ولو خالفت رأبي والله على ما أقول شهيد» ، ثم يجدد أعضاء مجلس الشورى العهد أمام فضيلة المرشد العام مستشعرين أركان البيعة العشرة :

«أعاهد الله العظيم على التمسك بأحكام الإسلام والجهاد في سبيله والقيام بشروط عضوية مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين وواجباتها والسمع والطاعة في المنشط والمكروه في غير معصية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، أبايع على ذلك والله على ما أقول وكيل» .

مادة (١٣): يضطلع المرشد العام بمهمته فور انتخابه وأدائه للعهد . وعليه أن يستقبل من عمله الخاص ويتفرغ للمهمة التي اختير لها ويبقى في مسؤوليته مادام أهلاً لذلك .

مادة (١٤): لا يصح للمرشد العام بشخصه ولا بصفته أن يشترك في إدارة شركات أو أعمال اقتصادية حتى ما يتصل فيها بالجماعة وأغراضها صيانة لشخصه وتوفيراً لوقته ومجهوده، على أن يكون له الحق في مزاوله الأعمال العلمية والأدبية بموافقة مكتب الإرشاد العام .

مادة (١٥): تتحمل الجماعة نفقات المرشد العام وفق اللائحة المالية الخاصة بالمتفرغين .

مادة (١٦): تنتهى ولاية المرشد العام فى الحالات التالية :

أ- إذا أخل المرشد العام بواجباته . أو فقد الأهلية اللازمة فلمجلس الشورى دراسة الوضع واتخاذ القرار المناسب . فإذا وجد أن مصلحة الدعوة تقتضى إعفاهه ، أن يدعو إلى جلسة أخرى مخصصة لذلك ويجب أن يصدر قرار الإعفاء بأكثرية ثلثى أعضاء المجلس .

ب- إذا قدم المرشد العام استقالته ، يدعو مكتب الإرشاد مجلس الشورى لدراسة أسباب الاستقالة واتخاذ القرار المناسب وفى حال إصرار المرشد على استقالته يتم قبولها بالأكثرية المطلقة لأعضاء المجلس .

ج- إذا توفى المرشد العام يتولى نائبه صلاحياته كافة وتتم إجراءات انتخاب مرشد جديد وفق المادة (١١) من هذه اللائحة .

مادة (١٧): يختار المرشد العام نائباً له أو أكثر من بين أعضاء مكتب الإرشاد العام .

ثانياً: مكتب الإرشاد العام:

مادة (١٨): مكتب الإرشاد العام هو القيادة التنفيذية العليا للإخوان المسلمين . والمشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها .

مادة (١٩): يتألف مكتب الإرشاد من ثلاثة عشر عضواً عدا المرشد العام ، يتم اختيارهم وفق الأسس التالية :

أ- ثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه من الإقليم الذى يقيم فيه المرشد العام .

ب- خمسة أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه ويراعى فى اختيارهم التمثيل الإقليمى .

ج- يختار المرشد من بين أعضاء مكتب الإرشاد أميناً للسِر وأميناً للمالية .

مادة (٢٠): يشترط فيمن يرشح لعضوية مكتب الإرشاد العام ما يلى :

أ- أن يكون من بين أعضاء مجلس الشورى العام .

ب- ألا تقل سنه عن ثلاثين سنة هجرية .

ج- أن يتفرغ من عمله لعضوية مكتب الإرشاد العام .

مادة (٢١): إذا تم انتخاب أعضاء المكتب يؤدي كل منهم أمام المجلس العهد التالي :

«أعاهد الله تعالى على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن أكون حارساً أميناً لمنهاج الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسي . منفذاً لقرارات مكتب الإرشاد العام وإن خالفت رأياً ، مجاهداً في سبيل تحقيق غاية الجماعة السامية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وأبائع الله على ذلك والله على ما أقول وكيل .

مادة (٢٢): مدة ولاية مكتب الإرشاد العام أربع سنوات هجرية ، ويجوز اختيار العضو لأكثر من مرة وإذا خلا مكان أحد الأعضاء قبل مضي المدة المحددة حل محله الذي يليه في عدد الأصوات في انتخابات المكتب، وإذا كان أحد أعضاء المكتب مراقباً عاماً في قطره فعلى القطر أن يختار مراقباً بدله .

مادة (٢٣): من واجبات عضو المكتب الحرص على مصلحة الجماعة والمواظبة على حضور الجلسات والحفاظ على سرية المداولات واحترام القرارات ولو كانت مخالفة لرأيه الخاص وليس له نقدها أو الاعتراض عليها متى صدرت بصورة قانونية والقيام بالمهام التي يكلف بإنجازها على أكمل وجه ، وإذا قصر في واجبات عضويته كان للمكتب أن يؤاخذة على التقصير بلفت نظره أو إنذاره أو بالإيقاف مدة لا تزيد عن شهر . أو بالإعفاء من عضوية المكتب . ويجب أن يصدر قرار الإعفاء من مجلس الشورى في جلسة يحضرها العضو ليشرح وجهة نظره فيما نسب إليه .

مادة (٢٤): يقوم مكتب الإرشاد العام بالمهام الآتية :

أ- تحديد مواقف الجماعة الفكرية والسياسية من كافة الأحداث العالمية أو تلك التي ترتبط بسياسة الجماعة أو تؤثر في أي قطر من الأقطار ، وذلك في ضوء الخطة العامة التي يفهمها مجلس الشورى ، مع مراعاة أحكام المادة (٤٣) من الباب الخامس ، وله أن يقوم بنفسه أو يكلف من يرى بتأليف الرسائل وإصدار النشرات والتعليمات التي تكفل شرح الدعوة وبيان أغراضها ومقاصدها ومراجعة ما تصدره تنظيمات الأقطار قبل نشره لصلته بصميم الفكرة .

ب- الإشراف على سير الدعوة وتوجيه سياستها وتنفيذ أحكام اللائحة العامة ومراقبة القائمين على التنفيذ .

ج- رسم الخطوات اللازمة لتنفيذ قرارات مجلس الشورى العام في جميع الأقطار .

- د- تكوين اللجان والأقسام المتخصصة في المجالات اللازمة واعتماد لوائحها ومحاسبتها .
هـ- وضع الخطة العامة وعرضها على مجلس الشورى العام لاعتمادها .
و- إعداد التقرير السنوى العام عن أعمال القيادة وأحوال الجماعة والوضع المالى لعرضه على مجلس الشورى العام .
ز- اختيار مراجع للحسابات من غير أعضائه .

(مادة ٢٥): جلسات المكتب دورية وتحدد بقرار منه وعلى كل عضو حضور الجلسات الدورية دون حاجة إلى دعوة . ويجتمع المكتب فى غير الموعد الدورى إذا حدث ما يدعو إلى ذلك ، بدعوة من المرشد العام أو من يقوم مقامه أو بطلب يقدم إليه من أحد أعضائه وبموافقة أربعة أعضاء على الطلب ، وتكون الجلسة قانونية إذا حضرها أغلبية الأعضاء المطلقة ، وتكون القرارات صحيحة متى صدرت عن الأغلبية المطلقة للحاضرين ، وإذا تساوت الأصوات رجح جانب رئيس الجلسة .

مادة (٢٦): يرأس اجتماعات المكتب المرشد العام أو نائبه عند غيابه أو أكبر الأعضاء فى حالة تخلف النائب . ويتلى محضر الاجتماع السابق ويصدق عليه ثم ينظر فى جدول الأعمال ، ولا يكون القرار المتخذ فى غياب المرشد ونائبه نافذاً إلا بعد اعتماده من أحدهما .

مادة (٢٧): أمين السر العام يمثل مكتب الإرشاد العام تمثيلاً كاملاً فى كل المعاملات إلا فى الحالات الخاصة التى يرى المكتب فيها انتداب أخ آخر بقرار قانونى منه .

مادة (٢٨): مهمة أمين السر العام متابعة تنفيذ قرارات مكتب الإرشاد العام ومراقبة نواحي النشاط وأقسام العمل ، وله أن يستعين بغيره من الأعضاء أو الموظفين ، ولكنه هو المسئول أمام المكتب عما يسنده إليهم من أعمال ، وفى حالة غيابه أو تعذر قيامه بعمله ينتدب المكتب من بين أعضائه من يحل محله مؤقتاً .

مادة (٢٩): مهمة أمين المالية ضبط أموال الجماعة وحصر ما يرد منها وما يصرف ، ومراقبة كل نواحي النشاط المالى والحسابى والإشراف على تنظيمها وفق اللائحة المالية وإحاطة المكتب علماً بذلك فى فترات متقاربة ، وله أن يستعين بغيره من الإخوان العاملين تحت مسئوليته ، وفى حالة غيابه أو تعذر قيامه بعمله ينتدب المكتب من يقوم بمهمته مؤقتاً .

ثالثاً: مجلس الشورى العام:

مادة (٣٠): مجلس الشورى العام هو السلطة التشريعية لجماعة الإخوان المسلمين .
وقراراته ملزمة ومدة ولايته أربع سنوات هجرية .

- مادة (٣١): أ- يتألف مجلس الشورى العام من ثلاثين عضواً على الأقل يمثلون التنظيمات الإخوانية المعتمدة في مختلف الأقطار ويتم اختيارهم من قبل مجالس الشورى في الأقطار أو من يقوم مقامهم . ويحدد عدد ممثلى كل قطر بقرار من مجلس الشورى .
- ب- يجوز لمجلس الشورى أن يضم إليه ثلاثة أعضاء من ذوى الاختصاص والخبرة يرشحهم مكتب الإرشاد العام .
- ج- يمكن تمثيل أى تنظيم إخوانى جديد فى مجلس الشورى إذا اعتمده مكتب الإرشاد العام .
- مادة (٣٢): يشترط فيمن يختار لمجلس الشورى الشروط الآتية :
- أ- أن يكون من الإخوان العاملين الذين مارسوا عضوية المكتب التنفيذي أو مجلس الشورى فى أقطارهم .
- ب- ألا يقل سنه عن ثلاثين سنة هجرية .
- ج- أن يكون قد مضى على اتصاله بالدعوة خمس سنوات على الأقل .
- د- أن يكون متصفاً بالصفات الخلقية والعلمية التى تؤهله لذلك .
- هـ- أن لا تكون قد صدرت فى حقه عقوبة التوقيف خلال الخمس سنوات .
- مادة (٣٣): يقوم مجلس الشورى العام بالمهام الآتية :
- أ- انتخاب المرشد العام وأعضاء مكتب الإرشاد العام وفق المادتين (١١) و(١٩) .
- ب- إقرار الأهداف والسياسات العامة للجماعة - وتحديد موقفها من مختلف الاتجاهات والتجمعات والقضايا المتنوعة .
- ج- إقرار الخطة العامة والوسائل التنفيذية اللازمة .
- د- مناقشة التقرير العام السنوى والتقرير المالى وإقرارهما واعتماد الميزانية للعام الجديد .
- هـ- انتخاب أعضاء المحكمة العليا التى تنظر فى القضايا التى تحول إليها من قبل المرشد العام أو مكتب الإرشاد العام أو مجلس الشورى العام .
- و- محاسبة أعضاء مكتب الإرشاد العام ، مجموعة وأفراداً ، وقبول استقالتهم بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس .
- ز- إعفاء المرشد العام أو قبول استقالته وفق المادة (١٦) من هذه اللائحة .
- هـ- تعديل اللائحة بناءً على اقتراح يقدمه فضيلة المرشد العام أو مكتب الإرشاد العام أو اقتراح يوافق عليه ثمانية من أعضاء مجلس الشورى العام ويجب إبلاغ الأعضاء بنص التعديل

قبل شهر من النظر فيه ويتم بموافقة الأغلبية من أعضاء المجلس إلا فى المواد التى نص عليها بنصاب خاص . فلا تعدل إلا بموافقة ثلثى الأعضاء .

مادة (۳۴): يجتمع مجلس الشورى العام دورياً كل ستة أشهر فى موعد يحدده لنفسه ، ويجتمع استثنائياً بدعوة من المرشد العام أو من يقوم مقامه أو بقرار من مكتب الإرشاد العام أو بناء على طلب يوافق عليه ثلث أعضاء مجلس الشورى . ولا يكون الاجتماع صحيحاً إلا إذا حضرته الأغلبية المطلقة . إلا فى الحالات التى اشترط فيها نصاباً خاصاً فإذا لم يتوفر العدد أجل الاجتماع لموعد آخر وأعيدت الدعوة ونص فيها على الموضوع . فإذا لم يتوفر النصاب مرة أخرى تطبق المادة (۳۷) من هذه اللائحة . وتكون القرارات صحيحة إذا صدرت بموافقة أغلبية الحاضرين المطلقة إلا فى الحالات التى اشترط لها نصاب خاص .

مادة (۳۵): يجب أن يتم إبلاغ أعضاء المجلس بموعد أى اجتماع قبل انعقاده بشهر على الأقل ويرفق مع التبليغ جدول الأعمال إلا فى الحالات الطارئة أو المستعجلة .

مادة (۳۶): إذا تم استبدال أحد الأعضاء وفق النظام الداخلى للقطر الذى ينتمى إليه ، فيجب إبلاغ مكتب الإرشاد العام بذلك فوراً .

مادة (۳۷): إذا تعذر اجتماع مجلس الشورى العام يقوم مكتب الإرشاد العام بجميع صلاحياته باستثناء تعديل اللائحة أو إعفاء المرشد العام حتى يتيسر اجتماع المجلس .

مادة (۳۸): يشكل مجلس الشورى العام محكمة عليا تحدد صلاحياتها وأصول المحاكمة لديها فى لائحة خاصة ، وللمجلس حق تشكيل لجان تحكيمية عند الحاجة .

مادة (۳۹): إذا قصر أحد أعضاء مجلس الشورى العام فى واجباته أو أخل بشروط عضويته نصحه فضيلة المرشد العام ، فإذا تكرر منه الفعل تم إحالته إلى المحكمة العليا إلا إذا كان عضواً بالمكتب فيتخذ بشأنه ما نص عليه فى المادة (۲۳) .

مادة (۴۰): تزول صفة العضوية عن عضو مجلس الشورى العام من المجلس نفسه أو من المحكمة العليا . كما يجوز لفضيلة المرشد العام أن يأمر بإيقاف أى عضو عن عمله على أن يعرض أمره فوراً على الجهة المختصة للنظر فى شأنه وله أن يتظلم لدى فضيلة المرشد العام .

مادة (۴۱): يؤلف مجلس الشورى العام من بين الإخوان العاملين أقساماً ولجاناً دائمة أو مؤقتة تختص كل منها بدراسة أحد أوجه النشاط . وكل لجنة تضع لائحة داخلية يقرها مجلس الشورى .

مادة (٤٢): الأقسام واللجان المقترحة يمكن زيادتها أو إنقاصها حسب ما يقتضيه نشاط الجماعة .

الباب الخامس: تنظيم العلاقة بين القيادة العامة وقيادات الأقطار،

مادة (٤٣): تتحدد العلاقة بين القيادة العامة للجماعة وقيادات الأقطار ضمن الدوائر التالية :

أ- الدائرة الأولى : وهي التي يجب فيها على قيادات الأقطار الالتزام بقرارات القيادة العامة متمثلة في فضيلة المرشد العام ومكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى العام وتشمل ما يلي :

١- الالتزام بالمبادئ الأساسية الواردة في هذه اللائحة عند صياغة اللائحة الخاصة للقطر، وتشمل هذه المبادئ العضوية وشروطها ومراتبها - ضرورة وجود مجلس للشورى إلى جانب المكتب التنفيذي - الالتزام بالشورى ونتيجتها في جميع أجهزة الجماعة .

٢- الالتزام بفهم الجماعة للإسلام المستمد من الكتاب والسنة والمبين في الأصول العشرين والالتزام بالمنهج التربوي الذي يقره مجلس الشورى العام .

٣- الالتزام بسياسات الجماعة ومواقفها تجاه القضايا العامة كما يحددها مكتب الإرشاد ومجلس الشورى .

٤- الالتزام بالحصول على موافقة مكتب الإرشاد العام قبل الإقدام على اتخاذ أى قرار سياسى مهم .

ب- الدائرة الثانية : وهي التي يجب فيها على قيادات الأقطار التشاور والانفاق مع فضيلة المرشد العام أو مكتب الإرشاد العام قبل اتخاذ القرار وتشمل جميع المسائل المحلية المهمة والتي قد تؤثر على الجماعة في قطر آخر .

ج- الدائرة الثالثة : وهي التي تتصرف فيها قيادات الأقطار بحرية كاملة ثم تعلم مكتب الإرشاد العام في أول فرصة ممكنة أو في التقرير السنوى الذى يرفعه المراقب العام وتشمل هذه الدائرة ما يلي :

١- كل ما يتعلق بخطة الجماعة في القطر ونشاط أقسامها وعضويتها .

٢- المواقف السياسية فى القضايا المحلية والتي لا تؤثر على الجماعة فى قطر آخر شريطة الالتزام بالمواقف العامة للجماعة .

٣- الوسائل المشروعة التي يعتمد عليها القطر لتحقيق أهداف الجماعة ومبادئها على ضوء أوضاعه وظروفه .

مادة (٤٤): لكل قطر أن يضع لنفسه لائحة تنظم أوجه النشاط وتتفق مع ظروفه مع مراعاة عدم تعرض أحكامها مع هذه اللائحة ووجوب اعتمادها من مكتب الإرشاد العام قبل تنفيذها.

مادة (٤٥): يقدم كل مراقب عام تقريراً سنوياً عن سير الدعوة ونشاط الجماعة والاقتراحات التي يراها كفيلة بتحقيق المصلحة في إقليمه إلى مكتب الإرشاد العام قبل انعقاد الاجتماع الدوري لمجلس الشورى العام.

مادة (٤٦): مساهمة في أعباء الدعوة يلتزم كل قطر بتسديد اشتراك سنوي تحدد قيمته بالاتفاق مع مكتب الإرشاد العام.

مادة (٤٧): على الإخوان الذين يغتربون عن أوطانهم أن يخضعوا لقيادة الجماعة في القطر الذي يقيمون فيه.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك . .

● فلسفة العمل الجماعي:

ينقل لنا الدكتور محمود عزت عبارة عن الحاج مصطفى مشهور وهي: [تظل الأفكار لا وزن لها حتى تحملها جماعة]، ثم يؤكد دور الحاج مصطفى في إبراز أهمية العمل الجماعي بقوله: [إذا كان الإمام البنا أصل أصول الفهم وربى الرجال، فالأستاذ مصطفى مشهور حول العمل الجماعي إلى فريضة في قلوب رجال الدعوة، لقد أصل ذلك عملياً بتجاربه الخاصة وأدائه وحرركته، ونظرياً بكتبه ومحاضراته ومقالاته . .] (١).

ويقول الدكتور محمد حبيب: [كانت الجماعة في نظر الحاج مصطفى هي كل شيء ومقدمة على كل شيء، وكان يقول: إن التزامنا وتمسكنا بها يبرز للمجتمع قيمنا ومبادئنا، وليس صحيحاً أن يقول الأخ: أنا ثم بعد ذلك الجماعة، أو أنا والجماعة، أو الجماعة وأنا، ولكن الصحيح هو: الجماعة فقط. وكان يتابعنا بنفسه أولاً بأول، وكان حريصاً على روح الجماعة، ونظرة الناس للجماعة، وكان همه الأكبر مسألة التكوين والتربية].

ويذكر الدكتور حبيب موقفاً مهماً يبرز فيه تمسك الحاج مصطفى بهيكل الجماعة وكيانها، ومدى عمق فهمه وأن له فلسفة خاصة بالعمل الجماعي، يقول: [كان الحاج مصطفى مشهور داعماً لفكرة إنشاء حزب للإخوان المسلمين ولكن كانت له رؤية خاصة وهي: أن يكون

(١) حوار مسجل مع الدكتور محمود عزت.

الحزب جزءاً من أنشطة الجماعة وفرعاً من فروعها وقسماً من أقسامها، شأنه في ذلك شأن البر، والأسر والتربية، والمهنيين، والطلبة، والأخوات... لكن الجماعة تظل هكذا، لا يمكن أن يحدها أو يحصرها حزب... وكان الموضوع مطروحاً للنقاش والبحث، وكان مجلس الشورى قد اتخذ قراراً بإنشاء حزب، وفوض مكتب الإرشاد في أمرين:

١- متى نتقدم بإنشاء الحزب.

٢- والكيفية التي يكون عليها الحزب. هل يكون الحزب وعاءً يشمل الجماعة بأنشطتها أم يكون الحزب جزءاً من أنشطة الجماعة، وكنا تناقش كثيراً ولكن الوقت لم يكن مناسباً، فتركنا الأمر وخلصنا إلى أن الوقت غير مناسب فلا ينبغي الكلام في هذا الأمر. والأولى تهيئة الأجواء لإنشاء الحزب وهكذا كان حرصه الشديد على كيان الجماعة^(١).

كثيراً ما كان يؤكد وجوب العمل الجماعي، وأن هذه الجماعة لا بد أن يكون لها منهج وقيادة وجنود... يقول أستاذنا:

أ- العمل الجماعي واجب^(٢):

إن العمل للإسلام لتحقيق متطلباته وخاصة ما تحتاجه طبيعة المرحلة من ضرورة إقامة دولة الإسلام العالمية، أمر يستوجب ضرورة العمل الجماعي المنظم، إذ لا يتصور إمكانية تحقيق هذا الهدف بالعمل الفردي دون العمل الجماعي.

وهذا مطلوب من الدول كما هو مطلوب من الأفراد ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولما كان تحقيق هذا الهدف العظيم واجباً يفرضه الإسلام على المسلمين ولا يمكن أن يتم إلا بالجماعة والعمل الجماعي، فيصير العمل الجماعي واجباً، حيث إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ثم إن الإسلام ليس ديناً فردياً ولكنه دين أمة واحدة ووطن واحد، فهو يدعو إلى اجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولو رجعنا إلى السيرة وهي التطبيق العملي لدعوة الله بقيادة رسول الله ﷺ لرأينا كيف قاد رسول ﷺ المسلمين كجماعة واحدة، وأقام بهم دولة الإسلام الأولى. وتبعه الخلفاء الراشدون على نفس المنهاج، فالعمل الجماعي أصل قديم في الإسلام وليس أمراً مستحدثاً.

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد حبيب.

(٢) من فقه الدعوة ج/ ١ ص ٤٨٣-٤٨٤.

من هذا المنطلق سار الإمام الشهيد حسن البنا على نفس الطريق ورأى ضرورة قيام جماعة تعمل لتحقيق متطلبات هذه المرحلة بإقامة دولة الإسلام، وجعل أهم أهدافها إقامة دولة الإسلام التي تمكن لدين الله في الأرض. ولم يقصر الجماعة ومجال عملها على المصريين وساحة مصر، ولكن أعلنتها جماعة عالمية لا يحدها زمان ولا مكان، وتدعو المسلمين جميعاً إلى الانتظام والعمل لتحقيق هذا الهدف العظيم الذي هو واجب المسلمين جميعاً، فكم كان يعلن أن [دعوتنا هي الإسلام ولا شيء غير الإسلام] ومعلوم أن الإسلام ليس قاصراً على قطر دون قطر ولا شعب دون شعب ولكنه للناس كافة وساحته هي العالم كله.

ب- لا بد للجماعة من منهج وقيادة وجنود:

غنى عن البيان أن أي جماعة تريد تحقيق هدف لا بد أن يكون لها منهج واضح وقوم يعملون في حدود هذا المنهج وأن تكون لهم قيادة. وحول هذا المعنى يقول الإمام الشهيد: [راجع تاريخ الهيئات والشعوب، ترى أساس النجاح في كل نهضاتنا منهج محدد وقوم يعملون في حدود هذا المنهج، ولا يملون ولا يفترون ولا يسأمون ولا يمتنعون، وذلك واضح جلي في الخطوات التي سلكتها دعوة الإسلام الأولى، فقد وضع الله منهجاً محدوداً يسير بالمسلمين الأولين رضوان الله عليهم إليه... دعوة في السر... ثم إعلان بهذه الدعوة ونضال في سبيلها لا يمل... ثم هجرة إلى حيث القلوب الخصبية والنفوس المستعدة... فإخاء بين هذه النفوس وتمكين عرى الإيمان في قلوبها... ثم نضال جدي وانتصاف من الباطل للحق]^(١).

ولا يمكن لجماعة أن تعمل بلا قيادة تنظم العمل وتحدد الأهداف والوسائل وتتابع التنفيذ ويرجع إليها عند أي أمر يحتاج إلى إيضاح. ولإزالة أي خلاف حول أمر من الأمور، وجنود ينفذون ويسددون القيادة ويقدمون لها النصح والمشورة. ولا قيمة لجماعة ما لم يكن لقيادتها حق السمع والطاعة على الجنود -في غير معصية- وإلا فكيف تضع القيادة خطة لإنجاز عمل وتكليف الأفراد بالتنفيذ إذا كانت لهم حرية التنفيذ من عدمه؟ فيجدد بمن يتصدون لأعظم إنجاز في هذه الدنيا وهو إقامة دولة الإسلام أن يعملوا في جماعة لها قيادة يسمع لها الأفراد ويطيعون في غير معصية؟

وكذلك كانت له رؤية في النظم واللوائح، ففي هذا المجال يقول:

ج- حول النظم واللوائح^(٢):

لا بد من النظم واللوائح التي تنظم العمل وتحدد الاختصاصات وتضع الضمانات لحسن سير العمل وحمايته من الخلل أو الانحراف أو التعثر وعدم النماء.

(٢) من فقه الدعوة ج/ ١ ص ٥٤١-٥٤٤.

(١) رسالة: هل نحن قوم عمليون.

ولأهمية دور النظم واللوائح في مجال العمل الجماعي رأينا أن نتعرض إليها ببعض المعانى والملاحظات التى يجب على القادة والجنود مراعاتها والاستفادة منها :

١- الأصل عند وضع هذه اللوائح والنظم أن تكون فى إطار مبادئ الإسلام وألا يكون فيها أى بند يخالف أصلاً من أصول الإسلام، وأن يستضاء فى وضعها بهدى رسول الله ﷺ فى سيره مع الجماعة الأولى بالدعوة لإقامة الدولة الإسلامية؛ وكذلك بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

٢- أن ينظر إلى النظم واللوائح على أنها وسيلة لتنظيم العمل، وأنها خاضعة للتعديل على ضوء التجربة والتطبيق ولكن كى يتحقق الاستقرار النسبى اللازم لحسن سير العمل يراعى عدم تعريض هذه اللوائح للتغيير الذى لا يتحقق معه استقرار، ولا تكون فى نفس الوقت جامدة معوقة للحركة بسبب صعوبة التعديل، فينبغى أن تحوى بنودها كيفية التعديل بما يتلافى كثرة التغيير ويتلافى أيضاً الجمود أو التعويق .

٣- من مقاصد وضع اللوائح والنظم، تحديد مؤسسات الجماعة الشورية والتنفيذية والقيادية وغيرها التى تمثل كيان الجماعة وتقوم بتسيير دفة العمل والتى يرجع إليها فى المواقف والآراء وحسم أى خلاف .

٤- ومن أهداف اللوائح تحديد مجالات العمل وتحديد الأجهزة أو الكيانات التنظيمية اللازمة لكل مجال، والتخصصات المناسبة والخبرات اللازم توفرها لكل مجال من مجالات النشاط، مع تحديد أسلوب متابعة التنفيذ .

٥- واللوائح أيضاً تحول دون تداخل الاختصاصات الذى قد يؤدى إلى ارتباك العمل أو تعطله أو تكرار الجهود المبذولة فى الأمر الواحد على حساب إهمال جوانب أخرى .

٦- كما أن اللوائح والنظم تحدد أسس طريق وأقصره لحسم أى خلاف فى وجهات النظر حول أى قضية فى أى موقع أو مجال من مجالات العمل، وذلك بتحديد الجهة التى تحسم الخلاف وتعرض وجهات النظر عليها، ثم النزول بعد ذلك على رأى الذى تنتهى إليه، وعدم التحدث بالرأى المخالف بعد ذلك . [ولأن مجتمع على غير الأصوب خير من أن نفترق على الأصوب]، ففى ظل الوحدة يمكن أن نصل بعد ذلك إلى الأصوب .

٧- واللوائح تتضمن طرق المحاسبة على أى تقصير أو خطأ، ضمناً لسلامة السير وتلافى الأخطاء والمضاعفات التى تترتب على تكرار الانحراف والخطأ وسريان روح التسبب

واللامبالاة بسبب عدم المحاسبة، لما فى ذلك من خطر كبير على جو العمل والإنتاج والإنتان .
واللوائح تتضمن حقوق المحاسب أو المخطئ، وإنصافه، وتخضع للمحاسبة والمساءلة كل
الأفراد، من الرئيس إلى أى فرد آخر فى الصف .

٨- واللوائح والنظم تحدد الشروط والمواصفات اللازم توفرها فى كل فرد يحتل موقعاً فى
الجماعة، وتحدد المواصفات اللازمة لكل مستوى من مستويات المسئولية، وفى ذلك ضمان
إلى حد كبير لاختيار الرجل المناسب فى المكان المناسب، ويحول دون وجود نقط ضعف فى
بنيان الجماعة .

٩- كما تحدد اللوائح والنظم، الطرق السليمة لاختيار أعضاء مؤسسات الجماعة، بما
يضمن حسن الاختيار، بعيداً عن أساليب الأحزاب السياسية من التحزب لأشخاص بغض
النظر عن الكفاءة والصلاحية .

١٠- واللوائح تحدد مبدأ الشورى على الوجه الصحيح وتنظمه على كل مستويات العمل
والتنظيم .

١١- من الأمور اللازم مراعاتها عند وضع اللوائح والنظم، المرونة النسبية التى تيسر
لأجهزة الجماعة الحركة المناسبة لصالح العمل ونجاحه، فلا توضع الشروط أو القيود الكثيرة
خاصة فى الفرعيات والجزئيات، كما لا تترك الأمور بدون ضوابط خاصة فى الأمور
الأساسية والحيوية .

١٢- ويراعى أيضاً فى النظم واللوائح، الموازنة بين المركزية واللامركزية، بحيث لا يقوم
نظام العمل على المركزية الشديدة المعوقة لسير العمل أو المقيدة له، ولا يقوم على اللامركزية
المتفلتة المنعزلة عن الأم، فالأولى أن يترك للفروع والأجهزة حرية الحركة والعمل فى دوائر
محددة، وتلتزم فى الأمور الأساسية التى لها أثرها بالخطة العامة المرسومة من قبل القيادة،
خاصة إذا علمنا أن ساحة العمل واسعة وتشمل أقطاراً وشعوباً مختلفة لكل منها ظروفه
المحلية التى يجب مراعاتها .

١٣- واللوائح والنظم تحدد طرق اتخاذ القرارات فى المؤسسات المختلفة فى الجماعة
وتضع الضمانات الكافية لدقتها وسلامتها وعدم تأخرها عن الوقت المناسب . فيراعى عدم
وضع القيود والعقبات الكثيرة التى تعوق اتخاذ القرارات، كما لا تترك الأمور دون ضمانات
لسلامة القرارات ودقتها وشرعيتها .

١٤- ما دمنا جميعاً نتعبد إلى الله بما نقوم به من أعمال في حقل الدعوة في ظل الجماعة مبتغيين ثواب الله ورضوانه، فليكن التزامنا بلوائح الجماعة ونظمها، طاعة وعبادة لله، لما يرتبه الالتزام من خير لصالح الدعوة، وما ترتبه مخالفة اللوائح من أضرار تجعل من المخالفة إثماً ومعصية.

وله في كيفية إدارة الجلسات نموذجاً يحتذى، فيقول:

د- حول إدارة الجلسات:

طبيعة العمل في الجماعة تستلزم عقد جلسات على مستويات مختلفة من القيادة أو القواعد أو اللجان أو أجهزة أو أقسام حسب مجالات العمل والنشاط. وفي هذه الجلسات تتم دراسة القضايا المتعددة المتصلة بالعمل وتتطلب وجهات النظر وتمحيصها ثم تصدر القرارات المناسبة التي تحقق المصلحة والأهداف المرجوة. لهذا صار لمثل هذه الجلسات أهميتها الكبيرة، ففيها ترسم الخطط وتحدد الوسائل ويحدث التقييم بعد الدراسة والمناقشة. وإن إدارة مثل هذه الجلسات فن دقيق وأمر حيوي يتوقف عليه نجاح هذه الجلسات في أداء الغرض المنشود منها من عدمه. فأحياناً سوء إدارة الجلسة يعرض الوقت للضياع دون جدوى، أو يؤدي إلى عدم الوصول إلى نتائج محددة أو الاستطراد في موضوعات خارج جدول أعمال الجلسة على حساب موضوعات أساسية، وربما يؤدي أحياناً إلى وقوع خلاف وتغيير في النفوس بين أفراد الجلسة.

ثم قدم بعض الملاحظات والتوصيات المفيدة في حسن إدارة الجلسات بما يعود بالخير والإنتاج، وهي كما يلي:

١- أن عملنا في حقل الدعوة عبادة، فينظر إلى الجلسات على أنها عبادة يتغنى بها مرضاة الله، فتقبل على الجلسات كما تقبل على عبادة من العبادات، بإخلاص النية وصفائها من كل شائبة، وجو السكينة وحضور القلب، وكل ما من شأنه أن يساعد على قبول تلك العبادة والبعد عن كل ما يفسدها أو يحبط أجرها.

٢- حبذا لو حرص على بدئها بذكر الله والاستعاذة من الشيطان وكلمة لا تزيد من خمس دقائق فيها تذكير وعظة وتوصية بأداب الحديث والنقاش وتحرى الحق والخير.

٣- لأهمية ما يبحث في الجلسات وما يترتب عليه من نتائج، يجب الاهتمام بالإعداد لهذه الجلسات كي تتم في الزمان والمكان المتفق عليه لتنجز المطلوب منها في حينه دون تأخير أو تعطيل.

٤- يلزم الدقة في تبليغ الموعد والمكان، بحيث لا يحدث خطأ يترتب عليه عدم حضور البعض وقد يؤدي ذلك إلى عدم تكامل النصاب اللازم وينبئ على ذلك فوات فرصة اتخاذ

القرارات اللازمة في الوقت المناسب، بالإضافة إلى ضياع وقت وجهد الذين حضروا في الموعد لعدم إتمام الجلسة.

٥- يجب على الأفراد الحرص التام على الحضور في الموعد المحدد وعدم التخلف إلا لعذر قاهر جداً مع الإبلاغ المسبق، ويحاسب من يتأخر عن الموعد بدون عذر مقبول، وإهمال هذه المحاسبة يولد جواً من التسبب والتساهل في الحضور في الموعد فيتأخر بدء الجلسة ويضيع الوقت المقرر لها.

٦- يلزم عند الاتفاق على الجلسة تحديد موعد بدتها وموعد انتهائها لينظم كل فرد أوقاته وأعماله، ولا يجوز تجاوز موعد الانتهاء إلا إذا احتاج إنهاء موضوع مهم إلى وقت إضافي قليل لإنهائه.

٧- ضرورة تحديد جدول أعمال الجلسة، وكلما علم مسبقاً كلما ساعد على نضج المناقشة حوله وبراعى الالتزام به وعدم الخروج عنه إلا لضرورة مرجحة.

٨- على مسئول الجلسة، الحرص على الوقت كى يتم جدول الأعمال خلال وقت الجلسة المحددة، فكثيراً ما تستغرق الموضوعات الأولى في جدول الأعمال معظم الوقت وتعرض الموضوعات الباقية - بسبب ضيق الوقت - إلى التسرع المخل في بحثها أو إلى تأجيلها، وكلا الأمرين غير سليم وله أضراره.

٩- من المهم أن ينظم المسئول عن الجلسة الحوار عند مناقشة الموضوعات بصورة حكيمة تجمع بين إنضاج الآراء لتبيين وجه الحق في الأمر المعروف واتخاذ القرار المناسب، وبين المحافظة على الوقت.

١٠- ينبه المسئول إلى ضرورة التركيز والاختصار عند إبداء الآراء وعدم تكرار ما سبق ذكره حفاظاً على الوقت ولإتاحة الفرصة للغير لإبداء رأيه. كما يراعى عدم الخروج عن صلب الموضوع، ويكون حاسماً في ذلك، ولا يجوز لأحد أن يغضب إذا طلب منه التوقف عن الاستطرادات الجانبية، فالمجاملة في ذلك تكون على حساب الموضوعات الباقية وصالح الدعوة.

١١- يراعى عدم مقاطعة الأعضاء بعضهم لبعض أثناء حديثهم، فليس ذلك من أدب الحديث والنقاش ولكى لا يقطع عليهم تسلسل أفكارهم، وأحياناً تؤدي هذه المقاطعة إلى إثارة المتحدث وغضبه والسماح للشيطان بالمشاركة في الجلسة فيفسدها، ويصعب حينئذ الوصول إلى الحق في مثل هذا الجو.

- ١٢- من أراد الحديث أو التعليق على حديث غيره يرفع يده لتسجيل اسمه ليأخذ دوره في الحديث ، ويمكنه أن يسجل ملاحظاته في ورقة عنده كي يرجع إليها عندما يتحدث .
- ١٣- تراعى الآداب الإسلامية بالألا تصدر ألفاظ فيها تحريج لأحد أو غيبة أو غير ذلك . ولو فرض وصدرت إساءة من أحد لآخر فلا يقابل ذلك بالغضب للنفس ويروى أشخاصنا فوق مصلحة الدعوة بما يفسد جو الجلسة فلا تتحقق الأغراض المنشودة ولكن فى الصبح والعفو والتسامح مجال طيب مع تخطيء المخطيء المسئول من قبل المسئول عن الجلسة .
- ١٤- يلزم أن يراعى كل فرد عدم إصراره على رأيه معتقداً أنه وحده الصواب ، ولكنه يفترض فيه الخطأ كما يفترض فى رأى غيره الصواب ، ولا يجوز أن يضيق أحد إذا لم يؤخذ برأيه وعلى الجميع الالتزام بالرأى الذى ينتهى إليه وعدم الحديث برأى آخر .
- ١٥- يحافظ على أمانات الجلسات ولا يذاع إلا ما يتفق عليه فقط .
- ١٦- يراعى عدم امتداد الجلسات والمناقشات مدة طويلة لما يترتب على ذلك من إرهاق للذهن والأعصاب وقد يؤدى ذلك إلى عدم التركيز والوصول إلى الرأى الأسلم ، كما يؤدى تعب الأعصاب إلى صدور ألفاظ غير لائقة وخلاف ونزاع يفسد جو الجلسة ، وإذا استدعت الظروف مواصلة البحث فى موضوع لأهميته فيلزم أخذ وقت للراحة وتحديد النشاط ثم تستأنف الجلسة .
- ١٧- أحياناً تؤخذ القرارات بالتصويت ، فليكن معلوماً أن إبداء الرأى أو إعطاء الصوت لرأى بذاته أمانة وشهادة مسئول عنها صاحبها أمام الله ، فليتنق كل فرد الله عند إعطاء صوته ، برفع اليد ويقول نعم أو لا لما يترتب على ذلك من نتائج ومواقف لها أثرها على سير الحركة ونجاح العمل .
- ١٨- كذلك من يعطى صوته فى انتخاب لاختيار أفراد لمستوى من مستويات المسئولية والقيادة يراعى أيضاً أنها أمانة وشهادة ، فعليه تحرى مصلحة الدعوة دون مجاملة لأحد أو تحكيم العاطفة . ونذكر بحديث رسول الله ﷺ : «من استعمل رجلاً على عصابة وفيه من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» .
- ١٩- يراعى ختم الجلسات بالدعاء المأثور : [سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك] .
- ٢٠- قبل ختم الجلسة تراجع النتائج والقرارات ويحدد موعد ومكان الجلسة القادمة .

•• التربية:

يقول الدكتور محمود عزت: [كان الأستاذ مصطفى مشهور يجمع بين الجانب التكويني والجانب التربوي، وقلما نجد من يجمع بينهما، فكلما كان إدارياً ناجحاً من الدرجة الأولى كان تربوياً ناجحاً من الدرجة الأولى]^(١).

ويقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان الجانب التعبدى والسلوكى وجانب الزهد واضحاً فى شخصية الحاج مصطفى مشهور]^(٢).

ونحن بدورنا خصصنا باباً كاملاً حول هذا الموضوع وهو باب [مشهور ورسائل الإمام البنا، والذى فصلنا فيه الكلام عن حال أستاذنا مع رسالة التعاليم بصفة خاصة وبسطنا بقدر المستطاع مدى استيفاء الأستاذ مصطفى مشهور أركان البيعة ثم واجبات الأخ المسلم. أما عن مجال التربية فى الجماعة فيقول أستاذنا العظيم:

•• مجال التربية داخل الجماعة:

يقول أستاذنا:

[التربية فى الجماعة من أزم الأمور وأهمها لتحقيق مرحلة التكوين، وإعداد العنصر الأساسى فى البناء هو الفرد المسلم الذى يقوم به البيت المسلم والمجتمع المسلم والحكومة المسلمة، ويمثل النموذج والقدوة العملية. لأخلاق الإسلام وأدابه وامثال أوامره ونواهيه. وقد أثبتت الأحداث والأيام أنه بقدر الاهتمام بالتربية تتحقق الأصالة للحركة واستمراريتها ونموها، ويكون التلاحم بين الأفراد ووحدة الصف، والتعاون والإنتاج المبارك لكل جهد يبذل، ولكل مال ينفق، ولكل وقت يقضى، وعكس ذلك إذا أهمل جانب التربية أو حدث فيه تقصير، يظهر الضعف والخلخلة فى الصف، وبرز الخلاف والفرقة ويتضاءل التعاون ويقل الإنتاج. وكلنا يعلم أن المسلمين الأول الذين نالوا حظاً وافراً من تربية الرسول ﷺ لهم، قامت على أكتافهم دولة الإسلام الأولى وأبلوا بلاء حسناً.

•• البرنامج التربوي:

وضع الأستاذ مصطفى مشهور برنامجاً تربوياً متكاملأ مكوناً من عشرين بنداً. . هذا البرنامج هو نفسه الذى قال عنه الأستاذ إنه يقدم بعض الملاحظات للأخ المرهبى ليستفيد منها فى

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد عزت.

(٢) حوارات مسجلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

مجال التربية وليكون قدوة في هذا المجال . ثم وضعه تحت عنوان : [الأخ المربي القدوة] في رسالة : [القدوة على طريق الدعوة] وذلك في كتاب : من فقه الدعوة .

وعن هذا البرنامج قال الأستاذ صبرى عرفة الكومى : [أطلعنى الأستاذ مصطفى مشهور على ورقة كان يحملها فى جيبه حوت برنامجاً تربوياً متكاملأً، ثم قال : [لم أعرف رجلاً تربوياً فى هذه الدعوة بعد الإمام الشهيد حسن البنا مثل مصطفى مشهور^(١)].
أما بنود هذا البرنامج فهى كما يلى^(٢) :

- البند الأول:

على الأخ المربي أن يكون قدوة حسنة، خاصة فى الجوانب التى يربى إخوانه عليها .

- البند الثانى:

وعليه أن يعطى الاهتمام الأكبر لقضية الإيمان وسلامة عقيدة التوحيد، فذلك هو الأساس المتين الذى يقوم عليه بناء الفرد المسلم .

- البند الثالث:

ثم يلى ذلك فى الأهمية حسن أداء العبادات من حيث صحة أحكامها وأسرارها أو حياة القلوب بها، كى تثمر التقوى وسمو الروح .

- البند الرابع:

وعلى الأخ المربي أن يولى الجانب الأخلاقى اهتماماً خاصاً، لأن التخلّى عن الأخلاق السيئة والتحلّى بالأخلاق الفاضلة يحتاج إلى وقت وجهد وصبر ورعاية ومتابعة قريبة، وتحقيق ذلك من خلال الدروس والرحلات والكتيبات والمعسكرات والزيارات وغير ذلك، فالأخ المربي أثناء الرحلة مثلاً يكون منتبهاً إلى كل ما يصدر ممن معه من أقوال أو تصرفات ليجعل ما يلمسه فيها من انحرافات نصب عينيه ليعالجها معهم، كمثل الطيب إذا لمس ظاهرة لمرض معين عرفها وعالجها بالدواء المناسب .

- البند الخامس:

وعليه أن يركز فى تربيته على إخلاص النية لله وخلوه من كل شائبة تفسدها، وهذا المعنى يفتح مجالاً فى التعرض لأمراض القلوب التى تفتك بصاحبها وتجبط عمله وأجره، وضرورة التحرز منها كالكبر والغرور والرياء وحب الظهور وحب الزعامة والحقد والحسد وغير ذلك .

(١) حوار غير مسجل مع الأستاذ صبرى عرفة الكومى .

(٢) انظر هذا البرنامج فى فقه الدعوة - القدوة على طريق الدعوة ص ٦١٣ - ٦١٦ .

- البند السادس:

وعلى الأخ المربي أن يربى إخوانه على الصدق والوفاء بالعهد وبالبيعة، فذلك من أزم الأمور، كما أنه يأخذ مكانه فى الصف ويكون على ثغرة من ثغرات العمل الإسلامى .

- البند السابع:

على الأخ المربي أن يربى الأفراد على أسلوب العمل الجماعى أو على طبيعة العمل فى جماعة، وما يتطلبه من شروط والتزامات لسلامة السير وتضافر الجهود وتوفر الإنتاج .

- البند الثامن:

وعليه أن يوضح لإخوانه طبيعة طريق الدعوة ومعالمه وما يتسم به من طول وما يتخلله من أشواك وعقبات، وما على جانبيه من منعطفات، ويوضح لهم كيفية تخطى العقبات والتحرز من المنعطفات .

وعليه أن يطمئنهم أنه برغم ما فيه فهو الطريق الوحيد، لأنه هو الطريق الذى سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته من قبل .

- البند التاسع:

وعليه أن يوضح لهم أن هناك عوامل نجاح تصاحب هذا الطريق لن تقف أمامها أى عقبات بإذن الله وأن الأمل كبير فى أن المستقبل لهذا الدين .

- البند العاشر:

وعلى الأخ المربي أن يهتم بتركية معانى الأخوة والحب والإيثار بين الإخوة والتذكير الدائم بهذا المعنى وبالوسائل التى تنميه والتحذير من الأمور التى تنال من هذا الحب أو تحدث فرقة وخلافاً . فهذا الحب يشمر وحدة الصف وتماسكه، ومعلوم أن قوة الوحدة هى الأساس الثانى بعد قوة الإيمان وثالثهما قوة الساعد والسلاح .

- البند الحادى عشر:

وعلى الأخ المربي أن يكون متحلياً بخلق الصبر ويربى إخوانه على التحلى بهذا الخلق لأهميته لمن يسلك طريق الدعوة، وكذا الصبر على تحمل الإيذاء فى سبيل الله والرضا بقضاء الله وحسن التوكل على الله والطمع فى رحمة الله .

- البند الثانى عشر:

وعليه أن يكون ذا علم ودراية بقضايا الشباب ومشكلاتهم الشخصية أو فى أسرته وأهله أو

في علاقاته بإخوانه أو في حياته العامة، هذه القضايا التي قد تكون سبباً في تعويق سيره على الطريق أو انحرافه عنه، فعلى المربي التبصر بها ورسم الحل النافع لها.

- البند الثالث عشر:

وعليه أيضاً أن يبصر إخوانه بالانحرافات الفكرية أو الحركية التي ينزلق فيها البعض وتبعد بهم عن الطريق كي يتحرز منها، وخاصة أنها تبدأ بسيطة ثم تزداد مع الزمن.

- البند الرابع عشر:

وعلى الأخ المربي أن يركي روح الجهاد والتضحية بالنفس والمال والوقت والجهد وكل شيء في سبيل الله في نفوس إخوانه وأن يحثهم على عقد الصفقة الرابعة مع الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] والترغيب في الشهادة في سبيل الله.

- البند الخامس عشر:

وعليه أن يعيش وإخوانه جو السيرة العطرة وكأنه يحيا وإياهم مع هذا الجيل الأول وما تعرضوا له من أحداث ومواقف على طريق الدعوة، فذلك خير عون للاقتداء بهم والسير على نهجهم الذي أوصلهم إلى النصر والتمكين. فسيجد في السيرة نماذج عملية رائعة للمصدق والأمانة والوفاء والحب والإيثار والفداء والجهاد والتضحية واليذل وغير ذلك مما نهدف إليه في مجال التربية، وبذلك يشعر الأخ أن سعيه للوصول إلى هذا المستوى ليس خيالياً ولكنه في إمكانية البشر فيجد في سعيه.

- البند السادس عشر:

وعلى الأخ المربي أن يربي إخوانه على السمع والطاعة في العسر واليسر، في المنشط والمكروه في غير معصية، ويربيهم على الثقة وعدم الشك والتردد، ويعودهم الدقة في أداء ما يكلفون به من أعمال وواجبات، سواء كان في موقع المسئولية أو جندياً، وأن كلا من المسئول أو الجندي يتعبد إلى الله ويسأله القبول، ويربيه على الاستعداد لتبادل المراكز بين الجندي والمسئول إذا اقتضى صالح العمل ذلك دون حرج.

- البند السابع عشر:

من المفيد للأخ المربي أن يتيح لمن يربيهم مجال الأسئلة والاستفسار، ويطلب منهم ألا يبقى أحد منهم شيئاً يحيك في نفسه دون سعي لاستيضاحه، ويعطى الفرصة لمن يريد أن يسأله منفرداً كي لا يكون هناك حرج.

- البند الثامن عشر:

وعلى الأخ المربي أن يعود إخوانه على سعة الاطلاع والتزود بالمعرفة، والتفقه في أمور الدين ويعلمهم كيفية الرجوع إلى أمهات الكتب والتعرف على ما يريدون.

- البند التاسع عشر:

وعليه أن يعودهم على العطاء ودعوة غيرهم إلى الله، وإلقاء الدروس، بل يحرص على إعداد إخوة مربين من بينهم ليقوموا بمثل واجبه مع غيرهم من الإخوة الجدد.

- البند العشرون:

وعلى الأخ المربي ألا يغفل في تربيته جانب الرياضة البدنية، ولا بأس من اختيار من يقومون عليها لأن قوة البدن لا بد منها لمن يسلكون طريق الدعوة، وإذا تيسر إقامة نواد رياضية إسلامية، تمارس فيها ألوان الرياضة، مع المحافظة على تعاليم الإسلام وآدابه وإقامة الصلاة في أوقاتها فذلك خير.

●● التريية سبب قيام تنظيم الجماعة:

كان الحاج مصطفى كثيراً ما يؤكد أن التنظيم من أجل الدعوة، ومن هنا كان سبب اهتمامه بالإداريات والمكاتب الإدارية والأقسام والمناطق والشعب والأسر... إلخ.

فمن أولى مهام تنظيم جماعة الإخوان المسلمين القيام بالتربية، حيث لا يتصور أن جماعة تحمل شعار: [القرآن دستورنا] وتهمل التربية، فلو أهملت التربية فسرعان ما تتحول هذه الجماعة إلى حزب سياسي ذي شعارات غير أمينة وغير صادقة، وقد حذر الله تبارك وتعالى من إهمال التربية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]. وهذا تحذير شديد وواضح من إهمال التربية، وبكل بساطة نجد معنى التربية هو: [ترجمة الأقوال إلى أفعال] أي الالتزام بالكتاب والسنة التزاماً حقيقياً، وترجمة كل ما فيهما ترجمة فعلية في حياة البشر...

يقول الحاج محمود شكري: [الدرس الذي تعلمناه من الإمام الشهيد حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين هو:

١- الفهم الصحيح الشامل للإسلام.

٢- وأن يكون الفرد منا قرآناً يمشى على رجلين^(١).

(١) حوارات غير مسجلة مع الحاج محمود شكري.

لقد اتخذ الإمام الشهيد أسلوب التربية من القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن السنة الشريفة المطهرة، وهذا هو المعين الصافي . . . وكان رضى الله عنه فى منهجه هذا مجدداً، لأنه بُعث بالحق وعمل به فى عصر أضاع أبناؤه الحق، وصار فيه الحق باطلاً والباطل حقاً، واستوردوا من هنا وهناك أساليب التربية التى يسمونها حديثة ومتطورة وراقية ويرمون الأسلوب الإسلامى بالتخلف والرجعية، فلقد افتروا على الله الكذب، وبالرغم من ذلك صدع الإمام الشهيد بالحق وأزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً أمام الحق . . . وشهد بذلك أساتذة التربية أنفسهم، كان الدكتور صلاح عبد العزيز وكيلاً لمعهد التربية فى القاهرة ثم وكيلاً للوزارة، قال فى إحدى محاضراته عن الإصلاح: [أصارحكم يا أبنائى بأن الإصلاح بأساليبنا وتفكيرنا شبه مستحيل ونحن عاجزون، ولكن شيئاً واحداً يلمع فى الأفق بالأمل، تلك هى تربية الإخوان المسلمين التى حدد معالمها حسن البنا وربى عليها جيله، أنا لا أرى كيف ربى حسن البنا رجاله وشبابه . . . أتدرون لماذا قتل حسن البنا؟! إنه قتل من أجل التربية التى ستغير عجلة التاريخ الإسلامى^(١).

التربية من ثوابت جماعة الإخوان المسلمين، ومنذ أن اتخذت الجماعة أسلوباً استراتيجياً فإنها لم تتوقف أبداً على الرغم مما لاقته الجماعة من الخطر والتحدى والابتلاءات والمحن، ولا غرو فإن التربية الإخوانية أشبه ما تكون بقطرة الماء التى تسيل أبداً من منبعها، فهى لا بد ملائمة أرضاً صالحة ومنبته نباتاً صالحاً، على الرغم من كل العقبات والعراقيل، وماذا يمنع القطرة - فى هدوئها واستمرارها وإصرارها على أن تغادر منبعها- من أن تمضى فى طريقها وتجرف بنفس الهدوء، والإصرار والثبات أعتى العقبات وأشد الحواجز؟

إن التربية الإخوانية تنبع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتستعين بسير الصحابة والتابعين، وتستهدى بالقدوة المعصوم، وسير المجددين من أئمة الهدى على مر التاريخ الإسلامى كله، وتتخذ من أولئك الرجال الذين بايعوا على العمل للإسلام فى ظل أركان البيعة المحفوظة لديهم، المحفوظة فى نفوسهم وسلوكهم، فهماً وإخلاصاً وعملاً وتضحية وجهاذاً وطاعة وثباتاً وتجرداً وأخوة وثقة . . .

تتخذ من أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمتهم من قضى فى هذه الدعوة نحبه، ومنهم من لا يزال فيها ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

(١) شهداء على الطريق - على جاد مطر ص: ٩٦ .

•• بلورة الفكر:

لم يكن مصطفى مشهور من النوع المنظر الذي يطرح عليك الفكرة ويردد شعاراتها ويحملك هموم تقصيرك وبعثك عن الحقيقة، وإنما كان يبلور هذه الفكرة فيضع لك معالم العمل، ومعالم الفكر...

- معالم العمل:

فكان أول المنفذين المطبقين لما يقوله، وكان دقيقاً في أن يكون مربياً لإخوانه وخصوصاً الشباب تربية بالقدوة...

وكما قلت إنه كان يتميز عن غيره، ومن أبرز سماته الجانب التعبدي وجانب السلوك وكذلك الزهد وكان يؤثر على إخوانه في هذه الجوانب المهمة والتي تعتبر الأساس المتين لبناء الفرد المسلم القدوة المؤهل للسير على طريق الدعوة ليقوم دولة الإسلام العالمية..

لذلك كان اهتمامه بمشاركة إخوانه وخصوصاً الشباب، المخيمات داخل مصر وخارجها والمعسكرات والرحلات والكتائب والأسر، يقوم معهم إذا قاموا ليلاً وينام معهم إذا ناموا، يؤاكلهم ويجالسهم، يلقي عليهم الدروس والمحاضرات والندوات، فكان يعايشهم ويخالطهم عن قرب فتكون علاقته بهم لصيقة ووطيدة، فيبشهم ما عنده من مذخور تجارب عاشها في دعوته على مستوى القيادة والريادة، ونجد أن هذه المعاشة خرجت لنا أبطالاً ورجالاً يقودون دفة سفينة الدعوة من أمثال: الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، والدكتور عصام العريان، والمهندس خيرت الشاطر، والدكتور إبراهيم الزعفراني، والدكتور حلمي الجزار... وغيرهم كثير.

- معالم الفكر:

من خلال ما كتبه، وكل ما كتبه كان مخاضاً لممارسته العملية لدعوته في حياته وليس مجرد فكر - فكل العناوين لها مناسبات - وكل ما كتبه من مؤلفات - كتباً كانت أو كتيبات - أو مقالات - لها مذاق خاص تختلف عن غيرها، حيث يميزها أن الأستاذ مصطفى كان يعصر قلبه أولاً ثم تتقاطر هذه العصارة بعد ذلك كلمات من لسانه أو قلمه، وكان صاحب قلم رشيق وعبارات مبتكرة تنم عن مستوى راق من الأدب والبلاغة، فمثلاً كتب مقالاً في مجلة الدعوة بعنوان: [رئيس سوريا أسير روسيا] جناس في جزئي العنوان..

ونحن باستعراضنا لتجديده الفكري من خلال عرض سريع لكتابه القيم [من فقه الدعوة] ومن خلال اختيار بعض الأمور التجديدية في نهاية الفصل، يمكننا أن نقول إن الحاج مصطفى وضع معالم الفكر لجماعة الإخوان المسلمين في كل ما كتبه.

الفصل الخامس: التجديد الفكري

حُبست جماعة الإخوان المسلمين في سجون عبد الناصر أكثر من عشرين سنة ، وحُبست معها الفكرة الإسلامية التجديدية التي جاء بها الإمام الشهيد حسن البنا .

وكما تعرضت الجماعة للإيذاء والتعذيب وعاشت طيلة هذه الفترة تحت لفتح لهيب المحنة ، تعرضت الفكرة لمحاولات الوأد والإعدام والإيابة ، وظلت تعاني طيلة هذه المدة .

ولما خرج الإخوان من السجون مثخنين بجراحهم ، خرجت معهم الفكرة ولكنها كانت مغطاة بطبقات سميكة من التراب (تراب المحنة)!! ولكن بفضل من الله تعالى الذي يحفظ دينه وينصر عباده المؤمنين الصادقين الثابتين . . وفق رجالاً اصطفاهم وقدرهم ليقوموا بمهمة إزاحة هذا التراب لتعود الفكرة جديدة ناصعة واضحة كما كانت وكما جاء بها الإمام الشهيد حسن البنا . . . وعلى رأس هؤلاء كان أستاذنا الإمام المجاهد الداعية الفقيه مصطفى مشهور . . .

ووافق هذا التجديد ما أجمع عليه الفقهاء في معنى التجديد وهو : [إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات] (١).

- أول انحراف ونكث في الوفاء بأركان البيعة ظهر وسط الإخوان أثناء الحن ، كان التأيد الذي زلق ببعض الإخوان في زحلوقته وأسقطتهم . .

- ثم ظهر بعد ذلك التيار المتطرف المغالى وهو التكفير ، الذي كفر الحكومة والشعب وعامة الناس ، ثم كفر من لم يكفرهم ، فكفر الإخوان المسلمين ، وتسرع بعض الإخوان واعتقوا هذا الفكر .

- ثم ظهر تيار يريد أن يقتصر على جوانب الإسلام التي لا تثير الحكام ويتعد عما يجلب له المتاعب مثل : الحكم والتشريع والجهاد . . ويكتفى بالعبادة والذكر والعلم وغير ذلك .

ولكن الله تعالى أنعم وأكرم بالثبات بعض الإخوان ، فلم يستجيبوا لهذا الانحراف وفاءً للبيعة والتزاماً بأركانها واستمسكاً بالفكر الذي جاء به الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه . . فتصدوا للانحرافات واستمسكوا بأصالة الفكرة وشرعوا في التجديد الفكري

(١) فيض القدير ج/ ٢ ص ٢١٨ - وعون المعبود شرح سنن أبي داود ج/ ١١ ص ٣١٩ .

وإحياء ما اندرس من فكر الإمام، فكر الإخوان المسلمين، والحث على العمل بمقتضى أصالة الحركة، وتصدوا لإماتة ما ظهر من انحراف في هذا الفكر، وأعادوا للحركة أصالتها.

•• مشهور إمام فقه الحركة ومجدد فكر الجماعة:

لم يكن مصطفى مشهور صاحب قلم، ولم يكن معروفاً بين الإخوان بذلك، ولكنه تعمق لما بدأت مجلة الدعوة في الظهور مرة أخرى في رجب سنة ١٣٩٦ هـ الموافق يونيو ١٩٧٦ م، وبدأ يكتب فيها مقاله الثابتة المعروفة «من فقه الدعوة».

ولم يكن متخصصاً في الفقه الإسلامي وأصوله، يؤكد ذلك فقيه الإخوان المسلمين الشيخ محمد عبد الله الخطيب^(١)، بأنه إذا ما سُئل في مسائل فقهية كان يعرضها عليه، وكان رجاعاً إذا اختلف مع أحد في مسألة فقهية.

ولكنه كان فقيهاً في تقديم تجربته وخبرته الدعوية للشباب لبدأوا من حيث وصل، وكان هدفه في ذلك الالتحام بين جيله وجيل الشباب وتوريثهم الأمانة الثقيلة التي يحملها وهي: «دعوة الله تبارك وتعالى» بشمولها ونقائها والتزامها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فكرس جهده وعزم جاهداً على وضع فقه الحركة وتجديد فكر الجماعة، والتزم وانتظم في كتابة المقالات، وتأليف الكتيبات، وإلقاء المحاضرات في هذا المجال... وجمع هذا الجهد العظيم في كتاب «من فقه الدعوة» الذي يعتبر ثمرة فقهه وزبدة فكره... وكل ما كتب بعد ذلك من محاضرات... كان يدور في نفس الفلك ويرمى إلى نفس الهدف... وما أكثر هذه المقالات والمحاضرات... فإنني لم أتشرف بحصرها وجمعها، ولكنني أظنها فاقت المئات بل الآلاف...

لذلك فإننا سنخطف لمحة حول هذا الكتاب العظيم وهو جدير بأن نسبر غوره ونقرأه قراءة دقيقة وندرسه دراسة عميقة، لنفهم ما فيه ونطبقه ونستفيد منه في حياتنا، فهو تجارب داعية من الدعاة الصادقين ورائد من رواد الحركة الإسلامية... وكل ما كتبه هذا الرجل إنما هو مخاض لممارسة عملية لدعوته في حياته وليست مجرد فكر، وكل العناوين التي كتبها كانت لها مناسبات في حياته الدعوية^(٢).

(١) محمد عبد الله الخطيب - حوار غير مسجل.

(٢) اقترح علينا الشيخ الخطيب أن يكون هذا الكتاب دراسة دقيقة لكتاب: «من فقه الدعوة» - الذي جمع كل ما كتبه الأستاذ مصطفى مشهور في هذا المجال - بدلاً من أن يكون كتاب تاريخ. ونحن بإذن «ستقوم بهذا العمل في كتاب مستقل أخذاً باقتراح شيخنا الجليل الشيخ الخطيب. ولا نعتبر كتابنا هذا سيرة ذاتية للأستاذ مصطفى مشهور فحسب، وإنما هو كتاب دعوة وتربية.

وندعو الله تبارك وتعالى أن يعيننا ويوفقنا ويبارك في هذه اللمحة ونحيط بهذا الكتاب العظيم، وستكون هذه اللمحة نظرات سريعة مختصرة لكل كتاب، لإعطاء القارئ الكريم فكرة سريعة ومختصرة وبمبسطة ليلمس عظيم هذا الجهد وأن أستاذنا كان إماماً في هذا الفقه ومجدداً لهذا الفكر.

●● كتاب من فقه الدعوة:

يتكون هذا الكتاب من مجلدين من القطع المتوسط، وعدد صفحاته ألف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون صفحة، ويحتوى المجلد الأول على ثمانية رسائل أو إن شئت سمها كتباً، أما المجلد الثانى فيحتوى على عشر رسائل.

جُمعت في هذا الكتاب المقالات التي كانت تكتب في مجلة الدعوة وبعض المحاضرات وبعض الكتيبات^(١).

وقامت بطبع هذا الكتاب ونشره دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة.

●● الجزء الأول:

١- طريق الدعوة:

كتب الأستاذ عمر التلمساني تقديمًا قيمًا لهذا الكتاب يقول فيه:

[لكل علم فقه يصل به صاحبه ودارسه إلى إدراك ما يجب إدراكه من ذلك العلم. ولذلك كان لأحكام القرآن فقه وللسنة المطهرة فقه وللمسيرة النبوية فقه.

وبالمثل فلدعوات الدين والإصلاح فقه، لا يقدر على تسنم غارب هذا العلم إلا من واتاه الله ديناً وعلماً وإخلاصاً. فبالدين يكون الإيمان، وبالعلم يتم التبيين، وبالإخلاص يتجح العمل.

وشاء فضل الله تعالى -وكم لله من فضل- أن يهيب الأخ الكريم مصطفى مشهور، فاختره مع غيره للدعوة إلى الله. وثبتهم على الحق خلال فترة الامتحان، فخرجوا منها أصلب عوداً وأنقى نفساً وأكثر تجرداً -نحسبهم كذلك ولا نزكى على الله أحداً والله حسبنا وحسبهم.

قدر الأخ الكريم فضل الله عليه، ثم حاجة الشباب الزاحف في ميادين الإسلام إلى استبانة الطريق إلى الله على بصيرة وتدبر. فاستخار الله وكتب لنا المقالات المتتابعة عن فقه الدعوة،

(١) كان المقال الأول في العدد السابع من مجلة الدعوة الصادر في غرة المحرم سنة ١٣٩٧ هجرية، الموافق ديسمبر سنة ١٩٧٦ م، وكان المقال الأخير هو رقم ٢١ في العدد التاسع والعشرين الصادر في غرة ذى القعدة سنة ١٣٩٨ هـ الموافق أكتوبر سنة ١٩٧٨ م.

في مجلة الدعوة، ثم اقترح بعض القارئین أن تجمع في كتاب يعين الدعاة على السير الواضح في الدعوة إلى الله، ويسهل على الشباب تناوله في يسر. **الهيئة الواسعة لتجديد بناء جماعة الإخوان المسلمين** ولمعرفتي بالأخ الكريم، ووفاء للحق، لا بد أن أقول إن كتابته في هذا الموضوع جيدة نافعة... لأنه تلقاه يافعاً ومارسه شاباً وثبته الله عليه رجلاً، وامتحن فيه شيخاً، فأنعم الله عليه فزوده بعناصر الكفاية للكتابة في هذا الموضوع علماً وعملاً، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء ولا حرج على فضل الله، وله من الله وافر الجزاء، وله منا ومن القراء الكرام كثير الشكر والثناء، ولا نملك له من الله إلا الدعاء... ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

أما أستاذنا مصطفى مشهور فيؤكد في مقدمته أنه بدأ يكتب هذه المقالات من منطلق الشعور والإحساس نحو الشباب بواجب تقديم خلاصة تجربته وخبرته الدعوية ليتحقق هدف توريث الدعوة فيقول:

[كان فرحنا وسرورنا بهذه الزهور المتفتحة كبيراً، وكان حينا وإعزازنا وتقديرنا لهم كبيراً كذلك وكذا الإحساس بالواجب نحوهم بأن نقدم لهم التجربة لبدأوا من حيث وصلنا وليتم الالتحام بين الجيلين وليرثوا هذه الأمانة بشمولها ونقائها والتزامها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ومن منطلق الشعور بهذا الواجب نحو هذا الشباب المسلم بدأت أكتب هذه المقالات من فقه الدعوة تحت عنوان: طريق الدعوة...]. وكانت تتم لقاءات وجلسات بين الأستاذ وتلاميذه من الشباب فترة كتابة هذه المقالات، وعن أهمية هذه اللقاءات يقول أستاذنا:

[وكنت حريصاً فترة كتابتي هذه المقالات أن ألتقي بالشباب لأسمع منهم ويسمعوا مني وأتعرف على ما يدور بخلدكم من أفكار وتصورات وصور للعمل والحركة، ثم أتناول ذلك بالتركية أو التعديل أو التصحيح على ضوء التجربة التي استفدتها طوال مدة عملي في حقل الدعوة... ولا أدعى لنفسى العصمة من الخطأ ولكنني كنت دائماً وأبداً أتوجه إلى الله عند كتابة كل مقال أن يلهمني الصواب وأن يجنبني الزلل وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه].

وتلخص هذه الرسالة فيما يلي:

أولاً: أضواء على طريقة الدعوة.

يلقى أستاذنا الضوء على طريق الدعوة، ويكشف للشباب أن:

الغاية: هي أسمى غاية يمكن أن يسعى إليها . . ، فالله هو الغاية .

والمهمة: كبيرة وعظيمة . . سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التي لا يمكن بغيرها أن يسعد الناس .

والجزء: فعظيم . . يصغر دونه كل ما في حياتنا الدنيا من نعيم وملك وسلطان وامتع ولذات . . جنات عرضها السماوات والأرض؛ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

طبيعة الطريق: طريق شاقة طويلة غير مفروشة بالورود وليست بالسهلة القصيرة . . فهي صراع بين الحق والباطل، تتطلب صبراً واحتمالاً، وبذلاً وعطاءً، وتضحية، دون تعجل للنتائج ودون يأس وقنوط، فالمطلوب العمل، والنتائج يقدرها الله في الوقت الذي يريد، وبالصورة التي يريدها، فقد لا ترى ثمارها في حياتك، وإنما لمحاسبون عن العمل وليس عن النتائج .

العاقبة للمتقين: طريق الدعوة رغم وعورتها مأمونة العواقب مضمونة النتائج .

ثانياً: طبيعة المرحلة:

كان أستاذنا حريصاً على أن يفهم الشباب طبيعة المرحلة، وكان كثيراً ما يوضح لهم ذلك، بمثاله الشهير [المنحني الصاعد والمنحني المنحدر] ونحن في مرحلة كأن الله سبحانه وتعالى أذن بعد سقوط الخلافة أن يكون قيام جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨، بمثابة بعث جديد، ووضع أساس لقيام دولة إسلامية عالمية جديدة. ولهذا كان الإمام الشهيد لا يعتبر الإخوان جماعة أو جمعية ولكنهم روح جديد يسرى في كيان هذه الأمة فيجدد حياتها.

يقول أستاذنا عن طبيعة المرحلة:

[هذه المرحلة من تاريخ الدعوة الإسلامية والتي بمثابة وطبع الأساس للدولة الإسلامية المنشودة، هي أهم وأشق مراحل الطريق وإن لم يبرز لها كيان ظاهر، شأنها شأن أساس أى بناء. وبقدر ضخامة البناء وارتفاعه بقدر ما احتاجت قاعدته إلى وقت وجهد أكبر. وكلما كان الأساس صلباً ومتيناً ظل في صمود وصعود دون أن تنال منه معاول الباطل، وكان أدعى إلى استقرار البناء عليه مهما علا وارتفع .

هذه القاعدة الصلبة تتمثل في إعداد جيل مؤمن متجرد استحوذت عليه العقيدة الإسلامية فملكته عليه حياته وسخر لها كل طاقته وإمكاناته، يعمل لها ويضحى من أجلها ويحميها ويمكن لها في حياة الناس حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى].

ثالثاً: ثم بعد ذلك يشرح لهم الوسائل والخطوات:

١- إيمان عميق .

٢- تكوين دقيق .

٣- عمل متواصل .

رابعاً: ويحدد لهم مراحل الدعوة.

١- التعريف: أو نشر الدعوة بنقائنها وشمولها وتكاملها والأسلوب الأمثل للداعية .

٢- التكوين: والإعداد وهو تكوين نوعية متميزة تستطيع أن تغير هذا الكيان الفاسد وتقيم دولة الحق والإيمان، تلك النوعية التي يزهق الله بها الباطل ويحق الحق . فيجب أن يكون الفرد من هذه النوعية: [سليم العقيدة، صحيح العبادة متين الخلق، مثقف الفكر، قوى الجسم، قادراً على الكسب، نافعاً لغيره، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً في شئونه]، كما تتوفر فيه خصائص المجاهد وهي: [الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، التجرد، الثبات، الأخوة، الثقة]. ويشمل القول والعمل والجهاد.

خامساً: المنعطفات والعقبات:

- المنعطف ينحرف بسالك الطريق عن طريقه الصحيح، وما لم يتدارك نفسه ويعود من قريب، يزدد مع الأيام بعداً وانحرافاً، خاصة إذا كان من المتحمسين المندفعين، تصعب أوبته إلى الطريق وتتعدر استقامته عليه من جديد إلا أن تداركه رحمة الله .
- أما العقبة فعادة تكون على نفس الطريق تعترض كل سالك لتعوقه وتثبطه وتوهن من عزيمته وتشتت من فكره وتنقص من جهده وإنتاجه لدعوته وربما أقعدته عن السير في طريق الدعوة والجهاد ويصير كغيره ممن لا أثر لهم ولا تأثير ولا وزن .

ومن خلال تجربته وممارسته وإشفاقاً على الشباب من الانزلاق في المنعطفات بين أستاذنا هذه المنعطفات وشرحها حتى لاتزل قدم بعد ثبوتها، فبين العوامل التي تساعد على الانزلاق ثم فصل هذه المنعطفات وكان أخطر هذه المنعطفات: منعطف التكفير . ثم ضرب بعض الأمثلة للعقبات . .

بعض أمثلة العقبات:

[إعراض الناس، الاستهزاء والسخرية، الإيذاء، الاسترخاء والرخاء بعد الشدة، الوظيفة أو وسيلة التكسب، الزواج والأولاد، إقبال الدنيا والسعة في الرزق، أصوات التشبيط والتوهين، قسوة القلب لطول الأمد].

وعقب بتحذير مهم وهو: [أن من سلك طريق الدعوة يجب ألا يأمن لحظة، فيظن أنه قد تخطى كل العقبات وأن الطريق قد خلت منها تماماً، أو يعتقد أنه بلغ من الثبات وقوة الإيمان ما يضمن معه تخطى أية عقبة تعترض طريقه، كما لا يصح أن يتصور أن تخطيه عقبات بعينها لا يعنى تكرارها مرات ومرات.

وليعلم أن الشيطان وأعدائه من أعداء الله يقفون لدعاة الحق بالمرصاد ليصرفوهم عن دعوتهم وعن الجهاد في سبيلها.

سادساً: المحن على الطريق وتساؤلات حولها:

تحت هذا العنوان أجاب أستاذنا على استفسارات الشباب وتساؤلاتهم وهي: هل المحن نتيجة أخطاء؟ أم هي سنة من سنن الدعوات؟ هل من الممكن تفاديها أو تخفيف حدتها؟ أم أن تفاديها انحراف عن الطريق؟ هل هي فترات ميته من عمر الدعوة؟ أم فترات حية لها أثرها؟ هل هي ضربات قاضية تقضى على الدعوة؟ أم هي صقل وتطهير وتأصيل للدعوة؟ وما حقيقة آثارها على الجماعة وعلى الأفراد؟ هل أضرت أم أفادت؟ هل هي حقاً منح في صورة محن؟ ثم وضع خلاصة وافية فقال:

[إن المحن على طريق الدعوة سنة الله في الدعوات وليست نتيجة أخطاء، بل إن عدم تعرض أصحاب الدعوات للمحن يشكك في صحة الطريق الذي يسلكونه، وليس من الممكن لأصحاب الدعوة تفادي المحن أو تخفيف حدتها أو تقليل مدتها مع دوام استمساكهم بها وإصرارهم على العمل بها ولها، كما أن المحنة ليست فترة ميته في عمر الدعوة ولكنها فترة حية لازمة وأساسية. وأن صور الأضرار التي تصاحب المحن هي في حقيقتها خير ونفع للدعوة والجماعة والأفراد وإن كان ظاهرها ضرراً، وعلى هذا فالمحن على طريق الدعوة قوة دافعة وليست ضربات قاضية وكلها خير وليست ضرراً، فما يريد الله لدعوته خير، لهذا نقول إنها منح في صورة محن].

سابعاً: الثقة في الطريق:

أكد أستاذنا أنه لا بد من الثقة في طريق الدعوة، فهو الطريق الأصل الذي يربط المسلم كل أمور حياته به ويسخر له كل ما يملك من نفس ومال وجهد وفكر ووقت، إذ عليه يتوقف مصيره ومستقبله الحقيقي.

وأن هذا الطريق الذي نسلكه ليس بدعاً ولا مستحدثاً، إنما هو طريق الرسول الكريم محمد ﷺ وأصحابه الكرام، اقتبسه الإمام الشهيد حسن البنا من سيرة رسول الله ﷺ وعرفه لنا

وأرشدنا إليه وحدد لنا معاملة وسار بنا وسرنا معه على الطريق تلك الفترة التي عاشها بكل الإخلاص والصدق والعمل والحركة الدائبة كي يرسى قواعد البناء ويعد اللبنة السليمة . وقد لقي الله شهيداً على طريق الدعوة أثناء قيامه بواجبه نحو دعوة الله .

يقول أستاذنا: [فهل لنا أن نثق في طريق جعل الله غايته ومرضاته ومقصده؟ ومن أسمى من الله غاية؟ وكيف لا نثق في طريق رائده وهاديه رسول الله خير قدوة والهادي إلى الصراط المستقيم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] كيف لا نثق في طريق دستوره ومتهاجه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله ﷺ . طريق اتخذ الجهاد سبيلاً وجعل الاستشهاد في سبيل الله أسمى الأمانى .

ثامناً: إجابة على تساؤلات الشباب: ما العمل المطلوب منا؟

كانت إجابات أستاذنا للشباب شافية وكافية وهي تتلخص في الآتى:

- إصلاح النفس . ليكون نموذجاً سليماً لأداء المهمة وهو الذى تنطبق عليه مقومات رجل العقيدة التي ذكرناها .

- إقامة البيت المسلم .

- العمل الدعوى .

- التأخى والتذاكر والتواصى والثبات .

- الابتعاد عن الصوارف .

٢- طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف:

دُعَى أستاذنا إلى مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا، واختاروا له موضوع: [طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف] فلبى الدعوة، وتحدث فى الموضوع على حلقتين وأجاب فى الثالثة على الأسئلة . وكان الإقبال شديداً والاهتمام بالغاً بالاستماع لهذا الموضوع، كما كانت الأسئلة ناضجة وعميقة مما يدل على حرص الشباب على تبيين الطريق والاطمئنان إلى سلامة السير .

ولأهمية الموضوع كتب أستاذنا فيه بتوضيح وتفصيل أكثر .

ونحن نلخص مضمون هذه الرسالة فيما يلى:

أولاً: أضواء على طريق الدعوة:

يقول أستاذنا: [من المفيد أن نلقى بعض الأضواء على طريق الدعوة قبل أن نتناول

الانحرافات وطبيعتها].

ذكر أستاذنا في ملخص حديثه أن الإسلام قد تعرض إلى حملات منظمة ومكثفة من التشكيك والتحريف والتشويه والتفريغ من محتواه الحقيقي والإبقاء على رموز شكلية وتشجيع للبدع والخرافات وأصحابها، وذلك في فترة الحكام الذين أعدهم الاستعمار لتنفيذ مخططاته بعد جلاء جيوشه.

ثم أسقطت الخلافة الإسلامية بتأمر الأعداء والعملاء عام ١٩٢٤م، وتكاثرت موجات من الظلام من كل مكان (الغرب الصليبي والشرق الملحد) بتخطيط اليهود، وبذلك طمست معالم الطريق أمام الأجيال الناشئة وطغى بريق المدنية المادية الزائفة.

ولكن بفضل الله بدا في الأفق نور بدأ ضعيفاً ثم قوى واتسع ليبدد ظلام الجهل والظلم بإذن الله - هذا البريق هو جماعة الإخوان المسلمين على يد مؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا، ثم ظهرت جماعات أخرى في إندونيسيا وتركيا وماليزيا، وكان أشهرها الجماعة الإسلامية في الهند على يد مؤسسها أبو الأعلى المودودي والتي تكاد تكون مطابقة لجماعة الإخوان.

- نجد الإمام الشهيد يحدد الغاية من أول يوم واضحة قوية . . (الله غايتنا).

- ويختار الطريق ورائدنا عليه (الرسول زعيمنا وقودتنا).

- ويحدد المنهاج وهو نفس منهاج الرسول الكريم (القرآن دستورنا).

- ويعيد روح الجهاد بعد اختفائه (الجهاد سبيلنا).

- ويحفز الهمم ويرغب في الاستشهاد (الموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

- ونجده -رضى الله عنه- يوضح أن طريق الدعوة طريق واحدة يجب الالتزام بها وعدم الانحراف عنها، لأنها طريق رسول الله ﷺ، سار عليها هو وأصحابه وسار الدعوة ونسير عليها بتوفيق من الله من بعده (إيمان وعمل ومحبة وإخاء) دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة، وصارت جماعته هي الجماعة النموذجية التي لا بد أن تظهر كلمتها وتنصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً.

- ويعود بالمسلمين إلى الفهم الصحيح الشامل للإسلام.

- ومنبعه الصافي الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

- ويبعد عن الخلافات.

- ويعلن أن دعوة الإخوان هي دعوة الإسلام ولا شيء غير الإسلام.

- ويعلن ربانية الدعوة وعالميتها .
- ويحدد أهم مطلب تمليه المرحلة التي تمر بها الدعوة في عصرنا وهو إقامة دولة الإسلام .
- ونجده رضى الله عنه اقتبس الطريق من نفس طريق رسول الله ﷺ والمؤسس على قنوى ثلاث : [قوة العقيدة والإيمان ، وقوة الوحدة والارتباط ، وقوة الساعد والسلاح] .
- أكد وجوب الجماعة والعمل الجماعى المنظم والممتد زماناً ومكاناً ، وحدد الأهداف ورسم الخطط وحدد الوسائل المشروعة حتى يتم البناء .
- وحدد مراحل الدعوة وهى : [التعريف ، والتكوين ، والتنفيذ] .
- وحدد الخطوات والأهداف بإيجاد : [الفرد المسلم النموذج ، والبيت المسلم المؤسس على التقوى ، والمجتمع المسلم المتجاوب مع دعوة الله ، فالحكومة الإسلامية . ويتم ذلك على مستوى الشعوب والأقطار الإسلامية ، ثم تكون الدولة الإسلامية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية وأستاذية العالم بإذن الله .
- ثم يحدد الوسائل ويمارسها مع إخوانه وهى : [دروس ومحاضرات وندوات ومؤتمرات ونشرات وصحف ومجلات ، وأسر وكتائب ورحلات ، ورياضة وجوالة ، والمؤسسات كالمدارس والمستشفيات والمستوصفات والأندية الرياضية والمؤسسات الاقتصادية ، وهكذا عاش مع إخوانه الإسلام فهماً وعملاً فى كل المجالات ولم يحصره فى الزوايا والمساجد أو فى العلم والعبادة فقط .
- وفى مجال الحركة والإعداد نجده حدد أركان البيعة العشرة وأوضح أهميتها للعمل الجماعى .
- وجعل الفهم الركن الأول ووضع له أصولاً عشرين كإطار يوضح شمول الفهم ونقائه .
- وكتب الرسائل المختلفة لتوضيح الدعوة .
- وحدد واجبات الأخ العامل .
- وحدد الوصايا العشر .
- واهتم رضى الله عنه بالجهاد والإعداد ودفع الإخوان للمشاركة بالجهاد فى فلسطين ضد اليهود ، وشارك الإخوان بعد ذلك فى قناة السويس ضد الإنجليز مما اضطرهم إلى الجلاء .
- وهكذا بعد أن وضع الأصول وأوضح الطريق ومعالمه وسار بإخوانه فترة من الزمان ، لقى الله شهيداً على الطريق عندما تأمر الأعداء من خارج وداخل مصر عليه وعلى الجماعة ، فحلوا

الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨ م، وقتلوه في فبراير ١٩٤٩ م، وظنوا واهمين أنهم انتهوا من الجماعة واستراحوا!!

إن هذه الدعوة هي دعوة الله، وهؤلاء الجند هم جند الله... إنها نور الله ولن يطفى نور الله بشر..

وبعد ذلك تعرضت الجماعة إلى محن في مصر وغير مصر زادتها أصالة ونقاء وازداد المتمون إليها كمّاً وكيفاً بفضل الله، لأن المحن من سنة الله في الدعوات.

فإذا بنا نرى تلك الشجرة الطيبة التي غرسها حسن البنا في مصر ورواها بدمه هو والشهداء قبله وبعده تتعمق جذورها وتمتد فروعها ويشتد ساقها وستوتى أكلها بإذن ربها ولو كره المشركون.

فكانت الصحوة الإسلامية التي نراها اليوم على الساحة المتمثلة في الشباب وما هي إلا الأوراق والفروع والثمار لتلك الشجرة الطيبة.

ثانياً: صور الانحراف:

بعد أن وضع أستاذنا معالم الطريق وأصلاته نراه يبين ويوضح صور الانحراف كي يسير السائر على طريق الدعوة بقوة وبرؤية واضحة غير مبالٍ بتشكيك أو تشبيط... وصور الانحراف وتشمل:

١- الانحراف عن الغاية والهدف.

٢- الانحراف عن الجماعة والالتزام بها.

٣- الانحراف عن الفهم.

٤- الانحراف عن خطوات العمل ووسائله.

٥- الانحراف عن الثقة بالجماعة.

٦- الانحراف عن المحن والابتلاءات.

٧- الانحراف عن الموقف أمام الأعداء وقوتهم.

ثم يخصص رسالة كاملة في الإجابة عن التساؤلات.

٣- تساؤلات على الطريق:

مهّد أستاذنا للإجابة على هذه التساؤلات في هذه الرسالة بأمر مهمّة وهي:

أ- هذه الدعوة وفيها أرسى قواعد الثقة بالله، وبين أن هدفها واضح، ثم أكد بعد ذلك أن طريقها هو الطريق الصحيح.

ب- الشيطان أول الأعداء، وفيه تحدث عن أسلحة الشيطان ومن أهمها سلاح التشكيك وسلاح الشيطان، وصرف الهمم وإضعاف العزائم، خصوصاً إذا كان في ثوب النصيحة. ويكون أول ضحاياه من يصدق دون تمحيص.

ثم قسم هذه الأسئلة إلى مجموعات وورد عليها رداً شافياً واضحاً مقتعاً. وهى:

١- طريق دعوتنا، هل يجب على كل مسلم سلوكها؟

وهل الوجوب فرض عين أو هو على سبيل الاختيار؟

وهل العمل لإقامة الدولة الإسلامية واجب على كل مسلم؟! .

وفى اختصار كان رد أستاذنا: [الإسلام دين جماعة، دين الآخرة والدنيا معاً] والحكومة فى الإسلام من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع] والجماعة والعمل الجماعى واجب على كل مسلم ومسلمة تحقيقه، ولا يجزئ العمل الفردى المبعثر وغير المنظم عن ذلك. . لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]، و[لزماً على كل مسلم ومسلمة فى هذه الفترة من عمر الدعوة أن يعملوا لإقامة دولة الإسلام وأن يسلكوا طريق الدعوة الذى نسلكه لتحقيق هذا الواجب].

٢- ما صفات الجماعة واجبة الاتباع؟

وهل تتوفر هذه الصفات فى جماعة الإخوان؟

وهل جماعة الإخوان تسلك الطريق الصحيح؟

أجاب أستاذنا باختصار: إن صفات الجماعة واجبة الاتباع هى:

- الفهم الشامل السليم النقى للإسلام.

- من مناهجها إقامة الدولة الإسلامية والخلافة والتمكين لهذا الدين فى الأرض.

- أن تسلك فى سبيل تحقيق هذا الواجب الطريق الصحيح وهو: قوة العقيدة وقوة الوحدة ثم

قوة الساعد والسلاح حينما لا يجدى غيرها.

- أن تكون عالمية وليست إقليمية.

- أن تكون ذات خبرة وتجربة.

ثم بين أن كل هذه الصفات تتوفر فى جماعة الإخوان المسلمين بفضل الله.

وأكد أن جماعة الإخوان المسلمين فى مجموعها تسلك الطريق الصحيح.

٣- هل انحرف الإخوان المسلمون وقادتهم اليوم عن المسار الذي سلكه الإمام الشهيد؟
أجاب أستاذنا مؤكداً: أن الإخوان وقياداتهم مازالوا على الدرب بأمانة ووفاء. . وقال أيضاً: [نحن نلتزم بالأصول والخطوط العامة التي هي من أصل الإسلام وما سار عليه رسول الله ﷺ، أما الاجتهاد في الوسائل الفرعية لتحقيق هذه الغايات والأهداف الرئيسية فلا مانع منه، بل يجب أن نطور وسائلنا في حدود الإسلام مستفيدين من كل حديث وجديد].

٤- لماذا لم تقم دولة الإسلام على يد الإخوان؟

وهل يعنى ذلك أن طريقهم لا يوصل إلى تحقيق هذه الغاية؟

رد أستاذنا بقوله: [إن الذي ينشده الإخوان ليس دويلة إسلامية في قطر إسلامي فحسب، ولكنهم ينشدون دولة إسلامية عالمية تغطي الساحة الإسلامية، وأن الإخوان لا يرمعون بل ينشئون بناءً جديداً بعد إزالة ركاب لبناء تهدم ويقومون بتأسيس متين وعميق لهذا البناء الضخم، وطبيعة الأساس في أي بناء أنه تحت سطح الأرض. . فلا يراه أو يقدره صاحب النظرة السطحية غير المتعمقة، ويظن أنه لم يتم شيء وأن الجهد والوقت الماضيين ضائعان.

والذي يجري مقارنة بين ما كان عليه المسلمون والوطن الإسلامي عند بدء قيام جماعة الإخوان المسلمين، وما هو عليه اليوم، يتضح الأثر الكبير وتظهر حقيقة إرساء الأساس الذي سيقوم عليه البناء بإذن الله.

فبفضل الله ثم فضل الإخوان المسلمين:

١- دفعت جماعة الإخوان كثيراً من الدول والشعوب الإسلامية إلى التخلص من الاحتلال العسكري والمطالبة بتطبيق الشريعة وإصرار.

٢- ساد الفهم الشامل للإسلام.

٣- سرت روح الجهاد وحب الاستشهاد في الشباب.

٤- انتشار ظاهرة التدين وسط الشباب في كل البلاد.

ثم يؤكد أستاذنا أن الزمن لا يقاس بأعمار الأفراد ولكن يقاس بأعمار الدعوات والأمم.

وأخيراً يقول: [المهم في الأمر أن نسير على الطريق الصحيح، وأن نبذل أقصى الطاقة دون تبديل ولا تغيير].

٥- هل يمكن لجماعة الإخوان أن يقيموا دولة الإسلام وأعداء الله لهم بالمرصاد؟

لماذا لا يلجأون إلى أساليب الأحزاب السياسية لعلهم يصلون أسرع؟

هل ستظل هذه الجماعة تتلقى الضربات دون رد أو مقاومة؟

هل هذه المحن نتيجة خطأ القيادة؟

في افتتاح رده يرجع السائلين إلى الأصول بقوله: [ارجعوا إلى الأصول فهناك الحل . . ارجعوا إلى الأصول فهي مفتاح الحل] ليذكرهم بالرسول ﷺ الذي تمسك بتربية أصحابه من أول يوم وحتى في أحلك الظروف في المحن والابتلاءات واشتداد حرصه على التمسك بالتربية حتى بعد النصر والتمكين، وليذكرهم بعدم تكافئ القوى، وأن المقاييس والموازن عنده ليست بشرية، وأن النصر والتأييد من عند الله عز وجل .

ثم يبين لهم أن المحن ليست هدماً لبناء أقيم، وإنما هي صقل وتمحيص .

وأن أمانات النصر ثقيلة ولا يقوى على تحملها وحسن أدائها إلا هذه النوعيات المحصنة بحيث لا تفتنها دنيا ولا تشيها شدة .

وأن المحن ليست من أخطاء القيادة بل هي سنة الله في الدعوات . وأن القيادة اجتهدت وسعت للخير، ولا نعى أن الإخوان وقياداتهم معصومون من الخطأ .

٦- من أين يحصل الإخوان على المال؟

أكد أستاذنا أن الإخوان المسلمين كان مصدر أموالهم من أول يوم هي جيوبهم و: [أنه ليس أعمق من الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان]. وأن الإخوان المسلمين لم يكونوا في يوم من الأيام عملاء لأحد ولا دليل عند أحد بذلك البتة .

٧- الشورى في الإسلام وتعدد الأحزاب في المجتمع المسلم . .

بين أستاذنا أن الله تعالى حكم بأن أمر المسلمين شورى بينهم .

وأن مفهوم ذلك أن الأمة هي مصدر السلطات وأن الشعب هو الذي له الحق أن يولي باختياره الصحيح من يرتضى دينه وأمانته وعلمه وكفاءته ليقوم على ما يحدده له من أمور الدولة .

ولا بد من وجود دستور مكتوب تضعه الأمة وتتفق عليه، تأخذه من القرآن والسنة والشريعة الغراء، مع مراعاة المقاصد والغايات والقواعد الكلية بما يحقق التوازن بين

اختصاص مختلف المؤسسات التي تديرها الدولة وأن رئيس الدولة مدته محددة لا يجوز تجديدها إلا لأمد محدد.

وبين أن الإخوان يؤمنون بتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي ما دامت الشريعة هي الدستور والقضاء مستقل، وهذا ما يضمن سلامة المجتمع وتداول السلطة عن طريق الانتخابات نتيجة لتعدد الأحزاب.

تم ذيل ما قاله بإيضاح بعض الأمور المهمة مثل:

- ١- قول إن الإخوان هم جماعة المسلمين ادعاء باطل وافتراء على الجماعة لا أصل له.
- ٢- وبين موقف الإخوان والجماعات الإسلامية الأخرى، وهو موقف حب وإخاء وتعاون وولاء.
- ٣- وأوضح للذين يفرقون بين الدين والسياسة، أن الإسلام شامل.. دين ودولة. وأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً يعيد النظر في شئون أمته، مهتماً بها غيراً عليها.
- ٤- ورد على شبهة تقديس الإخوان لحسن البناء.. بأن الإخوان يعلمون أن حسن البناء بشر يخطئ ويصيب ولم يقل واحد من الإخوان غير ذلك.
- ٥- وكذلك شبهة أن الإخوان صوفيون.. الإخوان حقيقة صوفية، وهذا يعني اهتمام الإخوان بجانب التربية الروحية لأفراد الجماعة، ولا يعني ذلك إقرار الإخوان لشيء من البدع أو المخالفات الشرعية.

٦- أما الإخوان وقضية التكفير.. فركن الفهم يقول: [لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، برأى أو معصية، إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر]. وكذلك موقف الجماعة بقيادة مرشدها الثاني حسن الهضيبي من الذين اعتنقوا هذا الفكر داخل السجن، قال لهم المرشد: [إذا أصررتم عليه فابحثوا لكم عن لافتة أخرى غير لافتة الإخوان لتعملوا تحتها، فليس هذا فكر الإخوان وليس من الإسلام].

٧- الإخوان ومبدأ السلف.. الإخوان المسلمون دعوة سلفية وطريقهم هو طريق أهل السنة، ولم يقل أحد من الإخوان بغير ذلك.

والإمام البناء لما أوضح رأى السلف والخلف في الأسماء والصفات، نجده يحث الإخوان على الالتزام برأى السلف بقوله: [فإذا كنت ممن أسعده الله بطمأنينة القلب، وأثلج صدره ببرد

اليقين، فلا تعدل به يدك، وذلك يعنى أن نؤمن بمعانى الأسماء والصفات كما جاءت ولا نتعرض لكيفيتها بتأويل أو تعطيل، ولكن نترك الكيفية لله سبحانه وتعالى.

٨- الجماعة وما يكتبه بعض أفرادها. الأصل أن يلتزم كل فرد قادر على الكتابة بخط الجماعة حفاظاً على وحدة الصف وسلامة السير.

والاختلاف فى الفروع لا يفسد فى الود قضية ولكل رأى دليله ونتبع قاعدة [نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه].

أما المخالف بعد المراجعة فيلزم على الجماعة إظهار ذلك ولو أدى إلى فصله.

٤- الدعوة الفردية:

لقد أفردنا فصلاً خاصاً نقلنا فيه رسالة الدعوة الفردية، فهي تمثل مشروعاً دعوياً مهماً لذلك أدرجناها ضمن مشاريع أستاذنا الدعوية فى الباب الخاص بمشاريعه الدعوية من هذا الكتاب.

٥- قضايا أساسية على طريق الدعوة:

تكلم أستاذنا فى هذه الرسالة عن ثمانية مواضيع غاية فى الأهمية. . ونحن نرجى منها المواضيع الأربعة الأولى والتي سنذكرها كأمثلة لتجديده الفكرى بعد عرضنا المختصر لهذه الرسائل. وهذه المواضيع هي:

١- الرؤية الواضحة.

٢- الاستمرارية.

٣- النمو والقوة.

٤- المحافظة على الأصالة.

أما الموضوع الخامس والثامن فهما يعتبران من أهم مشاريع أستاذنا الدعوية، لذلك ذكرناهم فى باب مشاريعه الدعوية وجعلنا لكل موضوع فصلاً مستقلاً وهما:

٥- التخطيط والتطوير.

٨- التوريث والتحام الأجيال.

وذكرنا الموضوع السادس فى باب السمات الشخصية والفكرية -وهو موضوع: التجميع وهو:

٦- جمع كلمة المسلمين.

أما الموضوع السابع فأدرجناه ونحن نقيس أركان البيعة على أستاذنا فى ركن العمل وهو:

٧- العمل فى مجال الدعوة.

٦ - قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة

في هذا الكتيب بعث أستاذنا برسالتين إحداهما للظالمين والأخرى للمظلومين . . وقد بعثهما وهو المجرب الخبير الذي تعرض للظلم وذاق ألوانه وعاش مشاعره وتجرب مواجعه .

وقصد بهذه الكتابة إبراز بشاعة الظلم وتخويف الظالمين من عاقبته وعقابه والأخذ بأيدي المظلومين وتطمينهم إلى تعريض الله لهم وانصافهم والانتقام ممن ظلموهم .

ففي الرسالة الأولى كانت لهجته الإشفاق على الظالمين أكثر من إشفاقه على المظلومين، فعقاب الظالمين أشد وأبقى في الآخرة مما يتعرض له المظلومون في الدنيا أما في الثانية فالأخذ بأيدي المظلومين وتطمينهم بحسن العاقبة وحثهم على الصبر .

وحاول أستاذنا أن يلمس القلوب بعمق ورفق لتستفيد وتصحح مسارها ولتتوقف الظلم ولينزجر الظالمون ولا ييأس المظلومون أو يخنعوا، فالله الذي بيده القلوب قادر على كل شيء وبالناس رؤوف رحيم .

تناول هذا الموضوع مسترشداً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ اللذين فيهما الرحمة والعدل والأمن والاطمئنان وسعادة الناس، في ظل الإسلام وحكم الإسلام وعدل الإسلام .

●● مشهد بين الظالمين والمظلومين:

يروى لنا هذا المشهد شاهد عيان، ألا وهو أستاذنا مصطفى مشهور، إذ يروى ما عاشه وعاشه ورآه فيقول:

[لاشك أن صور التعذيب وألوانه وأهواله التي تعرض ويتعرض لها الشباب المسلم - وقد تعرضت لها - لو عرضت على الناس في فيلم مرئي ومسموع - لأصيب أكثر المشاهدين بالذهول والأمراض العصبية لمجرد المشاهدة، فما بال الناس بالحقيقة والواقع؟

أذكر أنني استدعيت مرة لأخذ أقوالى كشاهد إثبات بوقوع تعذيب لأحد الإخوة كان قد قدم بلاغاً للنائب العام بهذا الخصوص - عندما سُمح بتقديم مثل هذه البلاغات - وعند أخذ أقوالى طلب منى المحقق أن أقسم بالله أن أقول الحق .

فقلت: أقسم بالله أن أقول الحق ولو أنني لن أستطيع أن أقول الحق فدهش المحقق وسألنى: وكيف ذلك؟ قلت: إن ما حدث من إيذاء وتعذيب لا يمكن أن يوصف على حقيقته بعبارات وألفاظ أقولها، فمهما حاولت أن أصف فلن يكون الحق، وأكون بذلك قد بخست الذين قاموا بالتعذيب عبقريتهم وفنهم في التعذيب وما أدوه لسادتهم من واجب ثم قلت للمحقق:

بدل أن تجهدوا أنفسكم بالتحقيق لإثبات أن فلاناً عذبه فلان وترك التعذيب آثاراً في جسده أثبتها الطبيب الشرعي إلى آخر ذلك، فلعل الأسهل والأوفر في الجهد أن تقوموا بإثبات أن فلاناً من الآلاف الذين اعتقلوا لم يتعرض للتعذيب -فالتعذيب كان جماعياً لم ينج منه أحد.. ثم إن صورته كانت متعددة، وربما كان الضرب أخف بعضها بكثير، فأسقط في يد المحقق أمام هذا المنطق ولم يستطع أن يرد على هذا القول.

•• من هم الظالمون ومن هم المظلومون؟

عين أستاذنا الظالمين، من هم على شاكلة فرعون وملئه والمظلومين منهم على شاكلة موسى وقومه: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ آلَهُتِكَ قَالَ سَتَقْتُ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

وهذا هو منطق الظالمين اليوم على ساحتنا العربية والإسلامية، فقد صار الشباب المسلم الطاهر والدعاة إلى الله مفسدين مخربين إرهابيين متطرفين منحرفين شاذين إلى آخر هذه الأوصاف المفتراة ظلماً وبهتاناً. أما الشباب اللاهئ المانع الخانع ففي نظر الظالمين هم العقلاء المتزنون والمواطنون الصالحون، ولم لا وهم المستسلمون بل الهاتفون المصفقون للظالمين!؟

وحذر أستاذنا كل من شارك وشارك في أى إجراء من إجراءات الظالمين بطريق مباشر أو غير مباشر، بأنهم سيحشرون مع الظالمين يوم القيامة إذا ماتوا وهم مشاركين ولم يتوبوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً.

وأثبت ضعف الظالمين وقوة المظلومين بقوله: [وهكذا أنتم بجندكم وأسلحتكم في مركز الضعف، وشبابنا المسلم وهو المقيد في الزنازين، أو معلق للتعذيب في مركز القوة، لأنه على الحق وأنتم مع الباطل، لأنه في سبيل الله وأنتم في سبيل الشيطان].

وأخيراً أكد أنه لا بد للظلم من نهاية، فدوام الحال من المحال ولكنه الامتحان من الله لعباده المؤمنين ووعد الله للمستضعفين من عباده المؤمنين بالنصر وعد حق، فقد قال الله تعالى: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٢٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴿ [الحج: ٣٩، ٤٠] ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿ [القصص: ٥، ٦].

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨) قَالُوا أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩]، وكانت النتيجة أن أغرق الله فرعون وجنوده في البحر، ونجى موسى وقومه، وفي عصرنا نرى نهاية الظالمين وتبقى دعوة الله في ثناء واتساع. والأمل كبير أن ينتهي الظلم ومعه الظالمون، حيثئذ يقال: ﴿ فَفُطِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم إن الإسلام يطالب المسلمين بدفع الظلم عن أنفسهم وعن إخوانهم ولا يرضى لهم الذل والهوان والاستضعاف، ولكن يريد لهم العزة والقوة والسيادة. ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

٧- القائد القدوة على طريق الدعوة:

في هذه الرسالة قرر أستاذنا أن العمل للإسلام لتحقيق متطلباته وخاصة ما تحتمه طبيعة المرحلة الحالية من ضرورة إقامة دولة الإسلام العالمية، أمر يستوجب ضرورة العمل الجماعي المنظم، إذ لا يتصور إمكانية تحقيق هذا الهدف العظيم بالعمل الفردي دون العمل الجماعي، وهذا مطلوب من الدول كما هو مطلوب من الأفراد.

ونرى في السيرة النبوية وهي التطبيق العملي، كيف قاد رسول الله ﷺ المسلمين كجماعة واحدة وأقام بها دولة الإسلام الأولى.

ومن هذا المنطلق سار الإمام الشهيد على نفس الطريق وأعلنها جماعة عالمية لا يحدها زمان ولا مكان.

وجماعة كهذه لا بد لها من منهج وقيادة وجنود.

- المنهج: هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته العملية وسيرة السلف الصالح.

- القيادة: القيادة بمثابة الرأس من الجسد تحدد الأهداف وتتجمع عندها المعلومات وتدرس وتفكر مستعينة بالكفاءات المتخصصة وتصدر التعليمات وتتابع التنفيذ، وهكذا يسير العمل على وجه صحيح.

ويجب أن تكون القيادة قوية ويقظة وعلى مستوى جيد من الكفاءة، فالقيادة رمز لوحدة الجماعة وانتظام صفوفها.

وتوصلت الجماعة إلى شكل معين للقيادة بعد تجارب كبيرة وهي (فرد معه مكتب قيادي بالإضافة إلى هيئة شورى عامة يحدد عددها ويتفق على شروط ومواصفات خاصة لأعضائها، ونظم ولوائح خاصة بالجماعة تنظم العمل وتحدد الاختصاصات).

والقيادة في الجماعة تعنى: كل فرد على ثغرة يعتبر مسئولاً عنها، وهو بذلك مشارك للقيادة العامة في مسئوليتها. لأن العمل في الجماعة كله تبعات ومسئوليات وأمانات بدرجات متفاوتة بقدر أهمية مواقع المسئولية وأهمية العمل المنوط به.

ومواقع القيادة في الجماعة ليست مما يطعم فيها إنسان كغيرها من المناصب الدنيوية، فالقيادة في الإسلام مسئولية وأمانة ويوم القيامة حساب وحسرة وندامة -إلا من أدى حق الله فيها.

وعلى ذلك لا مجال للتشبيث بموقع قيادي إذا ترجحت المصلحة في تركه لمن هو أولى به، ولا مجال للأسى أو التغيير أو التحول إذا أعفى أحد من مسئوليته بل يحمد الله على العافية، ورحم الله خالداً ونعم سلوكه والتزامه بعد عزله عن القيادة.

منزلة القيادة في الجماعة: يقول الإمام البنا: (وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابعة القلبية والأستاذ بالإفادة العلمية والشيخ بالتربية الروحية والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة. . ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً).

وتوقير الأفراد للقيادة أمر لازم، باعتبار القيادة رمز الجماعة التي تحمل لواء الإسلام لهداية البشرية جمعاء، وأى انتقاص في هذا الجانب ينال من وحدة الجماعة وقوتها.

الجنود:

يقول أستاذنا: الأصل أن المسلمين جميعاً مجندون للعمل بالإسلام وللإسلام، وأن جماعتنا تتصدى لتحقيق أعظم إنجاز في الحياة وهو التمكين لدين الله في الأرض، فصار لزاماً على من ارتضى العمل تحت لوائها أن يكون رجل دعوة وجندى عقيدة وأن تتوفر فيه المقومات الأساسية التي تؤهله للقيام بهذا الدور العظيم.

وفي السيرة نجد رسول الله ﷺ ربي المسلمين على مائدة القرآن وفي مدرسته، فكانوا بمثابة الدعائم والركائز القوية التي قامت عليها دولة الإسلام، وكانوا خير رجال لدعوتهم وخير جنود لعقيدتهم، ثم آخى بينهم برباط العقيدة فصاروا القاعدة الصلبة المتماسكة التي قام عليها البناء، وقادهم إلى الجهاد دفاعاً عن دعوة الحق وإزالة للعقبات في طريق تبليغها للناس كافة، وتحقق على أيديهم نصر الله والتمكين لدينه في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده.

وقد اقتبس الإمام الشهيد هذا المنهاج وهذا الأسلوب من سيرته ﷺ.

ثم بعد ذلك بين أستاذنا عظم التبعة وثقل الأمانة على عاتق القيادة، وبعد ذلك تكلم حول ما يعين على القيام بأمانات القيادة، وهى أمور لا بد أن تتوفر فى القيادة مثل: الإخلاص واستشعار مراقبة الله الدائمة ودوام اللجوء إلى الله، والإحساس بأمانة القيادة - والاهتمام بقضية التربية، وتركيز معانى الحب والإخوة، والاهتمام بالتخطيط، وأن تستشعر القيادات الفرعية بثقل الأمانة، والحرص على بعث الأمل.

ويذكر أستاذنا بعض الأخلاق والصفات اللازمة للقيادة مثل: أن يكون من طلاب الآخرة يخلص الوجهة لله، وأن يكون ذا عقل راجح، وأن يكون متخلقاً بالحلم والأناة والرحمة ولين الجانب، وأن يتخلق بالرفق، والشجاعة والمروءة وعدم الجبن والتهور، والصدق، والتواضع وعدم التعالى على الغير، والعفو وكظم الغيظ والإحسان للمسىء، والوفاء بالعهد والوعود، والصبر، والعفة والكرم، والورع والزهد، والعدل والانصاف ولو من نفسه، والبعد عن المن والحديث عن النفس، والمحافظة على الحرمات، وسلامة الصدر وعدم السماع للغيبة والنميمة، والعزم والتوكل وعدم التردد، والقصد والاعتدال فى الأمور، والثبات مع الحق دون اهتزاز أو تطير، وتجنب التشاؤم أو الإفراط فى التفاؤل.

ثم يذيل حديثه بملاحظات وتوصيات.

وعن الجنديّة ومتطلباتها يتكلم عن أمور أساسية يلزم تحقيقها، والتزامات وسلوكيات على الأفراد مراعاتها والالتزام بها.

أما الأمور والآداب المتبادلة بين القيادة والجنود فهى: الاحترام والتقدير، وأدب الحديث والحوار، والثقة المتبادلة وحسن الظن، تبادل النصيحة بين القيادة والجنود وتبادل الحب والعاطفة الأخوية، وقوة الصلة وسهولة الاتصال بين القيادة والجنود، والتهيؤ لتبادل المراكز بين القائد والجندي، والتزول على حكم الله ورسوله دون تردد، ودراسة الحركات وتنمية الخبرات.

ثم تكلم بعد ذلك حول اللوائح والنظم التى تنظم عمل هذه الجماعة. وأخيراً تكلم عن إدارة الجلسات.

٨- وحدة العمل الإسلامى فى القطر الواحد:

أمنية غالية طالما تمنّاها كل مسلم غيور، وواجب دينى يفرضه إسلامنا، [جمع كلمة المسلمين] أمر تحتّمه الظروف القاسية التى يمر بها العالم الإسلامى اليوم. هذا هو مضمون هذه الرسالة القيمة.

لقد حرص أعداء الإسلام على بذر بذور الفرقة والخلاف بين المسلمين حكماً ومحكوماً . . بعد أن تقاسموا بلادهم . . مهاترات وصدامات وحروب . . والشعوب هي الضحية . . الحكام متأمرون وغافلون .

غرس الأعداء الكيان الصهيوني كالسرطان في جسد الأمة الإسلامية . . مبادئ وضعية وتكوين أحزاب متنازعة على كراسي الحكم، ورايات مختلفة: شيوعية اشتراكية، قومية، وطنية . . إلخ . . كلها من صنع الأعداء .

إلى جانب ذلك كله نجد جماعات وتجمعات إسلامية لها أهدافها ومبادئها، بعضها متعاون وبعضها بينها خلافات بدرجات متفاوتة . والشعب موزع بينها ومنهم من شغلته معيشتة .

هذا هو حال الأمة الإسلامية، وهذا هو الحقل الذي يجب أن نعمل فيه . علينا أن نبذل جهودنا لجمع كلمة هذه الأمة تحت راية الإسلام وعلى طريق العمل الصحيح الجاد لتحقيق هدفنا العظيم وهو: (التمكين لدين الله وإقامة دولته وخلافته) .

حدد أستاذنا في هذه الرسالة السبيل إلى تحقيق ذلك بقوله:

(والسبيل لجمع كلمة كل شعب مسلم ووحدته يعتمد أول ما يعتمد على:

- إحياء العقيدة الإسلامية في النفوس .

- وبعث الإيمان في القلوب .

- وتعريف المسلمين بحقيقة دينهم وعظمتهم وشموله .

ويقول: (والإيمان حينما يباشر قلوب الناس يدفعهم إلى الحب والألفة بينهم ونبذ الخلاف والفرقة، فيستجيبون لداعى الوحدة بينهم طاعة وتقرباً إلى الله) .

وبعد أن يؤكد أن هذا هو الطريق الذى سار عليه الرسول ﷺ، يوجه حديثه إلى العاملين فى حقل الدعوة فيقول:

(على العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية بذل الجهد فى نشر الدعوة وبعث الإيمان وجمع الكلمة تحت راية الإسلام، والأخذ بكل الأسباب والوسائل المشروعة لتحقيق ذلك، مع الصبر والمصابرة، لأن التغيير المنشود لن يتحقق إلا من خلال سنة الله التى لا تتبدل) ويجب ألا يشط من عزمهم ما يواجهونه من عوامل الإفساد الرسمية وغير الرسمية فى أجهزة الإعلام وغيرها، ولا ما يقوم به أصحاب المبادئ الهدامة من تشويه للإسلام وتشكيك فى العاملين الصادقين له، فالباطل مهما انتفش زهوق، ولن يصمد أمام الحق ونور الحق وقوة الحق،

وصدق الله العظيم ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] كما أن سنة الله غالبة: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وعلينا أن نفوت فرص الاستفزاز أو الإثارة، بل نقابل ذلك بالحكمة والهدوء والعمل الجاد الذي يؤدي في النهاية إلى جذب أكبر عدد من الناس تحت راية الإسلام، وتخليهم عن غيرها من الرايات الأرضية التي خدعتهم ببريقها الزائف فيصرفون عن الباطل إلى الحق وعن مواقع الفساد إلى طاعة الله وبيوت الله لأداء الصلاة لله رب العالمين.

بعد هذه الخلاصة نقسم النقاط المهمة التي بحثها أستاذنا فنقول:

أولاً: وضع أستاذنا خريطة الحقل الذي نعمل فيه، فهو جمهور الشعب وفي وسطه الجماعات والهيئات الإسلامية، ثم عالج أسلوب التعامل.

فيعد أن صنف هذه الجماعات، أوضح بجلاء موقف الإخوان منها فقال: (أما عن واجبنا وموقفنا من هذه الجماعات والهيئات فهو: ما يلبه علينا ديننا من الحب والمودة والتناصح والتعاون على البر والتقوى وتفادي الخلاف والتنازع والعمل على الوحدة؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم صنف مواقف الناس منا إلى أربعة وهي التصنيفات التي وضعها الإمام البنا: (إما مؤمن أو متردد أو نفعي أو متحامل) وعالج الأمر بنفس علاج الإمام البنا لهذا التقسيم.

ثانياً: وضع أستاذنا الأهداف التي يجب أنه يعمل لتحقيقها نصب الأعين، وهو الهدف الكلي الذي يعيد للمسلمين دولتهم وخلافتهم وتكون لهم شوكتهم التي تردع الأعداء وتحمي أوطانهم وتسترد ما اغتصب من أرض الإسلام وعلى رأسها فلسطين والمسجد الأقصى، وتمكن لدين الله في الأرض وتفتح آفاقاً جديدة للإسلام في أرض الله بين خلق الله. هذا هو الهدف الأكبر الذي حدده الإمام البنا مستنبطاً إياه من سيرة رسول الله ﷺ.

ولكن الإخوان لا يشجون التجمعات التي تقوم بتحقيق أهداف جزئية، ولا يتقصون من قدرهم وقائده ما يقومون به، ولكن تريد منهم أن يكون تحقيق هذه الأهداف الجزئية جزءاً من الخطة العامة لتحقيق الهدف الأكبر وهو التمكين لدين الله في الأرض.

ولابد من أن: (تعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

والإخوان لا يهملون الأهداف الجزئية.

ثالثاً: ضرورة ترتيب الأولويات: التفاهم مع الجماعات والهيئات على فهم الإسلام فهماً صحيحاً شاملاً. وتوضيح الفرق بين الأصول والفروع، والاتفاق على الأصول والاختلاف فى الفروع، ثم يوجه دعوة إلى الصادقين المخلصين، إلى تجاوز الخلاف فى الفهم فى الفرعيات ليتم التعاون الكامل لتحقيق الهدف العظيم وهو إقامة الدولة الإسلامية العالمية والتمكين لدين الله فى الأرض.

رابعاً: الإسلام الصحيح فى العمل: يشترط أستاذنا الاجتماع على الهدف الكلى أولاً، ثم بعد ذلك بدأ يناقش الأسلوب الصحيح، وبعد عرضه الأساليب الموجودة على الساحة بأنواعها دعاهم جميعاً للحوار الهادئ الموضوعى، على أن يكون إخلاص الوجهة لله وتخلى النفوس من الأهواء، الأساس الذى يقوم عليه الحوار، وذلك لأن أسلوب العمل لتحقيق الهدف يمكن أن يكون مجالاً للاجتهادات ووجهات النظر المختلفة، ثم يعلن خضوع هذا الحوار للطريق الذى سلكه رسول الله ﷺ وصحابته لإقامة الدولة الإسلامية الأولى. ويعرف الجميع خلاصة الطريق وهى الأسس التى قام عليها التغيير وهى: [قوة العقيدة والإيمان ثم قوة الوحدة والإخوة ثم قوة الساعد والسلاح] وبهذا الترتيب.

خامساً: فى هذه النقطة يناقش بعض أساليب ومناهج العمل التى اختارتها بعض الجماعات ترجيحاً منها أنها الأسلوب الأمثل. ومبدأه فى المناقشة قوله: (نحن لا نتهم نوايا أحد من الذين يعملون فى حقل الدعوة الإسلامية مهما اختلفوا معنا فى أسلوب العمل ورغم إساءتهم لنا أحياناً، ولكننا نوصى بالنظرة العميقة الممتدة زمنياً ونحذر من النظرة السطحية الوقتية أو اللحظية، فالقضية ضخمة ولها أبعاد كثيرة وآثار ممتدة بعيدة، ولا يصلح معها أيضاً الضعف والاستكانة أو البطء والتراخي).

سادساً: الطريق الصحيح لإزالة المنكر: يعلن أستاذنا رفض الإخوان تماماً إنكار المنكر بالقوة فيقول: (ولكننا رغم إنكارنا لكل صور الفساد والانحلال وإعنات الدعاة إلى الله، لا نرى أن أسلوب التخلص من هذه الصور يكون بالقوة).

ولكيلا يفهم من كلامه تعارض القوة مع الإسلام فى أسلوب الدعوة يقول: (ماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً فى كل شىء شعاره القوة فى كل شىء، فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء ولا بد أن يعملوا فى قوة. ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ويلى ذلك

قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وإذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

وأخيراً.. ينصح كل سالك للطريق أن يتعرف عليه وأن يلتزمه، ثم يوجه له بعض التوجيهات والنصائح الغالية النافعة له على طريق الدعوة..

ثم يقرر للجميع أن وحدة العمل واجب شرعي وأن وحدة المؤمنين نعمة من الله ورحمة، ويختتم ببعض الآيات من الذكر الحكيم الدالة على ذلك، اختار منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحموا﴾ [الحجرات: ١٠].

●● الجزء الثاني:

٩- زاد على الطريق:

كتب الأستاذ عمر التلمساني تقديمًا كريمًا طيبًا قصدت نقله كاملاً لما حواه من معان روية مشبعة يقول فيه:

(شاء الله وما شاء كان، أن تظل دعوة الإخوان المسلمين على ما عهدته الناس فيها منذ أن دعا إليها داعيتها الأول الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأسبق للإخوان المسلمين، سلفية العقيدة، عملية التطبيق، روحانية السلوك، محمديّة الخلق لم تلحقها شبهات التحديث، ولم ترض نزعات التغريب، منهاجها قرآنها، تلتزم نصوصه القطعية الثبوت القطعية الدلالة، بلا تفسير ولا تأويل ولا تخصيص، وتلتزم نصوصه القطعية الظنية الثبوت بالفهم الذي تأخذ فيه بما يتلاءم من آيات الكتاب بحيث لا يتعارض بعضها مع بعض، كما نهى عن ذلك رسول الله ﷺ، يؤمنون بأسماء الله الحسنى وصفاته كما جاءت، لا تعطيل ولا تشبيه، فهموا ذلك عن سلفهم المجيد يوم قال الإمام مالك لسائل عن الاستواء (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، أخرجوه من مجلسنا) على هذه الدقة سرنا في قراءتنا لكتاب الله وفهم آياته، كذلك تأسينا برسولنا ﷺ، مؤمنين بأن أحاديثه الصحيحة الحسنة المتواترة يجب -وجوباً قطعياً- أن نأخذها كذلك بدون محاولة لإخراجها عن معانيها،

لأنه ﷺ أوتى القرآن ومثله معه، كما قال، ولأن الله جلت قدرته أمرنا أن نطيع رسول الله ﷺ في كل ما جاء به قولاً وفعلاً وتقريراً ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقرن طاعة رسول الله ﷺ بطاعته هو عز وجل ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

بهذا الفهم الواسع السليم عاش الإخوان المسلمون مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلم يكن إمامنا الشهيد بالمطولات من التأليف ولكنه ركز ما أفاض الله به عليه من علم في رسائل مركزة موجزة، فكفى المؤمن العامل زاداً يعينه على اجتياز المفاوز الفقهية آمنة مطمئناً، فهدى الله به الملايين من المسلمين وبخاصة الشباب المتطلع إلى قدرة هذا الدين. وعلى هذا النمط السهل الممتنع، درج الإخوان المسلمون فيما يقدمون للناس من مؤلفات من إيجاز وشمول. ومن يسر ودقة في الأداء والمعنى، بعيدين كل البعد عن المطولات التي لا يقوى على استيعابها إلا أقل القليل.

في ظل هذه المعاني الراوية المشبعة أقدم كتاب (زاد على الطريق) للأخ الفاضل المسلم العامل أخى وحبيبي الأستاذ مصطفى مشهور، وعلم الله أننا رغم ما بيننا من حب وأخوة وصفاء، فإننا ما تعودنا أن نجامل بعضنا بعضاً على حساب الحق.

أما لغة الكتاب، فأقل ما توصف به أنها السهل السهل، المعبرة فيه كل كلمة عما قصد منها، لا تكلف ولا فيهقة، ولكنك تقرأ فتفهم، إذ إن المعنى يصل إليك في أيسر لفظ، وأبسط كلام، لا يحتاج القارئ له إلى أكثر من أن يقرأ ليعلم فيعمل.

إن كتاب (زاد على الطريق) لهو خير رفيق لمن يريد أن يتبنى طريقه، ويتحسس مواقع خطواته، فمن (زاد على الطريق) تستطيع أن تعرف طريق الله السليم فتتبعه، حتى لا تفرق بك السبل، فإذا بك بعيداً عن الطريق وأنت تظن أنك عليه سائر، وفي (زاد على الطريق) يمكنك أن تزود بكل ما أنت في حاجة إليه لتقطع طريقاً يصل بك إلى الغاية المنشودة. . الله غايتنا، ولا شيء سوى الله، وأنت في هذا مع الحبيب مصطفى مشهور تصوم وتصلى وتحج وتزكى، لا بحثاً وواء كلمة الأمر بالتزام أركان الإسلام، ولكن خضوعاً للأمر السماوى، وطاعة لله فيما أمر، أنا لا أقول لك ابحث عن حكمة في أوامر الله ولكنى أصر على أن تنفذ أولاً دون تردد أو محاولة لفهم حكمة ما أمرت به، ولكن قم بالأركان كما أمرت بها، حتى إذا ما استمتعت بلذة الطاعة وتنفيذ الأمر، فتح الله عليك من أبواب حكمته ما يزيدك اطمئناناً فالمسلم آمن أولاً، ثم قرأ كتاب الله فازداد بعد ذلك إيماناً وهذا هو سبيل سلفك الصالح الطاهر من الصحابة والتابعين - آمنوا أولاً إيماناً لا تردد معه ولا تشكك، حتى إذا ما عرضت الأركان أقاموها كما

أنزلت بأهدافها، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم جنة تصل بك إلى التقوى، والحج مناسك ومنافع، والزكاة طهارة للمال ونماء.

أيها الإخوان الأحباب نعم الزاد التقوى، ونعم التقوى ما وصل بك إلى المراد المحبوب، وطوبى للحبيب مصطفى مشهور، إذ جمع لنا ألوان هذا الزاد المفعم بالخير من مائدة القرآن، ثم قدمه إلينا لا لتخير، فما في زاد المتقين ما يؤخذ وما يترك، وليس فيه ما يميز وما يتخير، ولكنه الجرعات الشافيات، كلها يجب أن تؤخذ وكلها يجب أن يتزود بها السالك طريق الله، وكلها يجب أن يعمر بها قلب المحب، حتى يؤمن مقتنعاً فيعمل مزوداً بكل طاقات العمل والزاد بعد ذلك ينفع وقيمه ويعينه، ولن يفلح زاد مع معلول الفؤاد، فتزودوا ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. واستعينوا بهذا الزاد تسعدوا بالنجاة مما تخافون، وتظفروا بالحصول على ما تحبون، فإن ربكم من فوق سبع سماوات ومن فوق صفحات كتابه إليكم يناديكم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ولقد جاءنا في هذا الزاد ما ثبت فؤادنا، إنه ليس بزاد فحسب ولكنها التجارة التي عرضتها آخر آيات سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] آخر الآية..

أيها القارئون لـ (زاد على الطريق) اقرأوا وتعلموا وتوكلوا واعملوا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

* أهمية الزاد: يبين أستاذنا الأستاذ مصطفى مشهور أهمية الزاد، فيدلل على لزومه بمثال في مفتتح الرسالة بقوله: (إن سيارة المسافر إذا نفذ وقودها على الطريق ولم يتجدد، صارت وكأنها قطعة من الحديد لا تعينه على التحرك خطوة واحدة، كذلك من يسلك طريق الدعوة إذا تعرض زاده من الإيمان وتقوى الله إلى النقصان أو النفاذ دون تجديد وازدياد صار صاحبه وكأنه جثة هامدة أو مريضة لا تستطيع حراكاً) وصدق الله العظيم ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

* ما هو الزاد: ويقول في تعريف الزاد: (هذا الزاد يتمثل أول ما يتمثل في الإيمان القوى وتقوى الله وهي خير زاد. ثم معينات أخرى كالصحة الصالحة والأدلاء الذين يرشدون ويقدمون الخبرة والتجربة وغير ذلك مما يجدد الطاقة والعزيمة ويجنب الانحراف والخطأ).

* أثر الزاد: وعن أثره يقول: (إن هذا الزاد من الإيمان وتقوى الله يفجر ينابيع الخير من داخل النفوس ويولد الطاقات ويشحذ الهمم والعزائم فتسهل الحركة وتخف جواذب الأرض وتتخطى العقبات وتتفادى المنعطفات وتتضح معالم الطريق ويكون الصدق والإخلاص، والعزم والثبات ويتحقق ما يشبه المعجزات والإنجازات على الطريق).

* حاجة السائر على الطريق للزاد: السائر أول ما يحتاج إلى معية الله، فمن كان الله معه لم يفقد شيئاً ومن تخلى الله عنه فلن يجد إلا الضياع والضلال، وهذه المعية من الله بها على المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وغيرها كثير. والسائر يحتاج إلى نور الله ليضيء له الطريق فيسير على بصيرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] والسائر لكي يؤثر ويغير الواقع الباطل ويقيم الحق، وذلك يتطلب استشعار معاني العزة والقوة وعلو المنزلة، ويتخلص من كل معاني الضعف والوهن والذل - يحتاج لزيد الإيمان: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَالرُّسُولُ﴾ [المؤمنين: ١٧٦] والسائر الذي يريد تطويع نفسه على الجهاد والتضحية بكل ما يملك من مال ونفس وجهد وفكر ووقت دون تردد يحتاج إلى زاد الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

والسائر يتعرض إلى الإيذاء والابتلاء - فتلك سنة الله في الدعوات - ولا يعين على تحمل ذلك والصبر عليه إلا زاد الإيمان والتقوى ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. . . وغيرها كثير. والسائر يحتاج إلى تثبيت الله له فلا يتردد ولا يشك ولا يبعد ولا يتخلى عن العمل والواجبات مهما ثقلت أو كثرت، والله يمين بذلك على المؤمنين ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فاللهم ثبت أقدامنا على الطريق. والسائر يتعرض إلى التخويف والتهديد والوعيد من أعداء الله، مما يدعو إلى الخوف والبعد والعودة، ولا ينجو إلا المتسلح بالإيمان والمتزود بالتقوى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلَ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ آل عمران : ١٧١ - ١٧٥ ﴾. السائر يحتاج إلى تدعيم رابطة الأخوة والحب في الله ليتم التعاون والتفاهم في مهام الدعوة، ولا يتحقق ذلك بصورة صادقة دائمة إلا بين المؤمنين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠]. والسائر يتعرض إلى فترات من الفتور والكسل ويحتاج إلى التواصي والذكرى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥]، والسائر يتعرض إلى ضيق وحيرة وحرَج ويحتاج إلى الإقدام على قوله الحق وتحديد المواقف التي يملئها عليه إسلامه حتى ولو كان من ورائها العنت والإيذاء فإنه يحتاج إلى زاد الإيمان ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣]. والسائر يتحتم عليه تحرى الشرع وعدم مخالفة الله ورسوله وأن يحرص على وحدة الصف فهو يحتاج إلى زاد الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣]، والسائر يحتاج إلى العلم النافع ليدعو إلى الله على بصيرة فإنه لا بد من إخلاص النية ليفيض الله من لونه علماً ونوراً وتوفيقاً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤]، والسائر يشعر بالحاجة إلى تأييد الله ونصره إذا تعرض إلى كيد الأعداء وحرِبهم فإنه يحتاج إلى زاد الإيمان ليتم هذا التأييد وهذا النصر : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] . . وغيرها كثير، وعلى السائر أن يظل وفياً للعهد غير ناكث ولا مبدل ولا مغير حتى يلقي الله، وهذا يحتاج إلى زاد ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣].

هذا اختصار شديد لما عرضه أستاذنا عن حاجة السائرين على الطريق لزاد الإيمان، ثم ختم كلامه مؤكداً مدى الحاجة لهذا الزاد على طريق الدعوة فقال : (وهكذا رأينا مدى حاجتنا إلى الزاد على الطريق، وكيف أننا لا نستطيع أن نخطو خطوة أو نحقق خيراً وننجز عملاً بغير هذا الزاد من الإيمان والتقوى، فلتتزود به ولنجدده دائماً على الطريق ولا ندعه يتقص أو يتعرض للنفاذ، بل نعمل على أن يزداد ويزداد.

﴿ أنواع الزاد: ذكر أستاذنا أنواعاً كثيرة جعلها مصادر مهمة لهذا الزاد، ويسر للسائر على الطريق كيف يعمل على زيادة هذا الزاد وتجديده من هذه المصادر، ودقق على أمر مهم وهو كيف يستجلب السائر هذا الزاد فقال: (لو دققنا لوجدنا أن الأمر بالدرجة الأولى يرجع إلى حال هذا العبد الذي يقف بباب ربه يسأله ليعطيه فيطلع منه ربه على خضوعه وخشوعه وذله وافتقاره إليه وخوفه منه وخشيته له ورجائه منه وطمعه في رحمته. . هذا هو الأصل، ثم تأتي بعد ذلك الوسائل والأسباب، ويقدر صدق العبد في هذه الأحوال يكون العطاء والفضل من الله الوهاب).
أما هذه المصادر فهي: القرآن، التفكير في خلق الله وآياته، التفكير في نعم الله، التفكير في الغيب، التفكير في اليوم الآخر، السيرة العطرة، العبادات: وتشمل الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج) وقيام الليل، والذكر، والدعاء، واتباع السنة، والجهد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والصحبة الصالحة، والعمل الصالح.

﴿ خلاصة قيمة: اختصر أستاذنا هذه الرسالة في خلاصة جامعة قيمة وقال: (خلاصة الأمر أن الزاد على الطريق يجعل من صاحب الزاد مثال الأخ العامل الفاهم لدينه فهماً سليماً بعيداً عن كل خطأ أو انحراف، العارف لكل ما يطلبه منه إسلامه من واجبات وأعباء، المخلص لربه في كل ما يقوم به من عمل مبتغياً مرضاة الله، المدرك لمراحل العمل والأهداف والوسائل غير مخالف لها، المتيقن من أن الجهاد هو سبيل أصحاب الدعوات، فأعد نفسك لذلك، المضحى في سبيل الله بكل ما يملك، الحريص على إخوته لإخوانه في الصف التي أدناها سلامة الصدر وأعلىها مرتبة الإيثار، الثابت على الحق والجهاد في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتناولت السنون والأعوام. . حتى يلقي الله على ذلك. المتجرد لدعوته وجماعته وقد تخلص مما سواها من مبادئ وأشخاص، الممتلى ثقة بربه وبدعوته وجماعته وبقيادته، لا ينال من هذه الثقة تشكيك أو تشييط، الملتزم بما يُطلب منه في غير معصية، القائم بكل واجبات الأخ العامل الصادق.

هَذَا مَا نَأْمَلُ أَنْ يَكُونَ عَائِدَ الزَادِ عَلَى صَاحِبِهِ وَالثَّمَرَةَ الْمَرْجُوعَةَ مِنْهُ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَالْهَادِي إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ.

١٠- الحياة في محراب الصلاة:

استفتح أستاذنا رسالته بفاتحة الكتاب لحيازتها مرتبة الصدارة في الصلاة، وتكلم عن الصلاة لحيازتها الصدارة في العبادات، ولأن العبادات هي أصل مهمتنا ورسالتنا التي خلقنا الله في هذه الحياة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثم يلفت أستاذنا نظر القارئ حول عنوان الرسالة فيقول: (وحيثما اخترت هذا العنوان: (الحياة في محراب الصلاة) لم أقصد المعنى القريب الذي قد يتبادر إلى بعض الأذهان وهو الوقت الذي نحياه أو نقضيه في أدائنا للصلاة في المحراب . وإنما عنيت بالحياة: حياة القلب والروح ، عندما نؤدي الصلاة حق الأداء بها .

✽ حياة الإنسان: يشرح أستاذنا معنى حياة الإنسان الحقيقية فيقول: (فحياة الإنسان في الحقيقة ليست حياة جسده كما هو الحال في الأنعام، ولكن حياة الإنسان هي حياة قلبه بالإيمان، وبمعرفة الله، وبعقيدة التوحيد. وصدق الله العظيم ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] والمعنى أو من كان بمنزلة الميت أعمى البصيرة كافرًا ضالًا، فأحيا الله قلبه بالإيمان، وجعل له مع تلك الهداية النور العظيم الذي يتأمل به الأشياء ويميز به بين الحق والباطل. ويتأكد معنى حياة الإنسان بالإيمان من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] أى أجبوا دعاء الله ورسوله إذا دعاكم للإيمان الذي به تحيا النفوس والقلوب وبه تسعدون في حياتكم الأبدية في الآخرة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٦) يَقُولُ يَا لَيْتِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

✽ الصلاة صلة بين العبد وربّه: إن الله غنى عنا وعن عبادتنا وعن صلاتنا، ولكننا نحن الفقراء إلى الله، نحن المحتاجين لفضله ورحمته ومغفرته ورضوانه، وقد تفضل كرمًا منه وإحسانًا وسمح لنا بالوقوف بين يديه في الصلاة خمس مرات في اليوم بل إذا رغبنا في زيادتها فإنه يفتح بابها لنا في كل وقت .

ففي الصلاة نسبحه ونناجيه بكلامه ونركع ونسجد له، فتتصل أرواحنا بخالقها، تتصل بالأصل الذي منه نفخت في هذا الكيان الطيني، فتستمد من أصلها الغذاء والقوة فتزكو وتسمو وتعلو على مطالب الجسد وشهواته، وتهذب غرائزه ورغباته وتقوّم نزواته، وتتحصن ضد الانحراف والانزلاق نحو الفحشاء والمنكر .

✽ خلاصة هذه الرسالة: قصد أستاذنا بهذه الرسالة حياة القلوب والأرواح في محراب الصلاة أى أنه سيكون تركيزه حول الزاد الروحي والأثر التربوي الذي نستمدّه من الصلاة ومن كل ما يتبعها ويتصل بها، دون التعرض للأحكام الفقهية- فلذلك مراجعه- ولكن جل الاهتمام بالجانب الروحي والتربوي المستمد من الطهارة التي تسبق الصلاة سواء طهارة البدن

من النجاسات الحسية والمعنوية فيعرض للوضوء والغسل، وإلى طهارة الثوب والمكان وانعكاس ذلك كله على النفس والذوق والحس، ثم تعرض إلى المساجد وأهميتها والمشى إليها وآداب المساجد الواجب مراعاتها لتهيئة الجو الرباني المناسب للصلاة الخاشعة، ثم صلاة الجماعة وأهمية الحرص عليها وما تعطيه من أثر تربوي، ثم الأذان وما يحمله من معان سامية، ثم التوجه إلى القبلة وضرورة توجه القلب إلى الله، ثم تعرض إلى استواء الصفوف واتباع الإمام وما وراء ذلك من دروس، ثم تعرض إلى كل ركن أو حركة في الصلاة من أول تكبيرة الإحرام حتى التسليم، مع ذكر ما يلزم أن يكون عليه حال المصلي وقلبه في كل ركن أو حركة من هذه الأركان والحركات في الصلاة، ثم بعد التسليم من ختم للصلاة وخروج من المسجد.

وفي الحقيقة فإن الجانب القلبي من الصلاة يعتبر بمثابة الروح للجسد وبدونه تكون صلاة ميتة لا روح فيها ولا تأثير لها. إذ لا يتصور أن تكون للصلاة هذه المنزلة الرفيعة في الإسلام ثم تكون مجرد حركة لأعضاء الجسم واللسان دون أن يكون النصيب الأول والأكبر للقلب الذي هو موضع نظر الله في الصلاة. ولا نكون مغالين إذا قلنا: إن على المصلي حين يركع وحين يسجد أن يشعر وكأن قلبه هو الذي يركع ويسجد لله وليس أطرافه ووجهه فقط.

ثم إننا لا نقلل من شأن التفقه في أحكام الطهارة والصلاة، فهذا أمر أساسي واجب على كل مسلم أن يعرفه ويفقهه كي تصح صلاته. أما الجانب الذي نتناوله فإنما نقصد به رجاء القبول عند الله ورجاء أن تؤتي الصلاة ثمارها وتأثيرها من تركية للروح وتهذيب للنفس بالإضافة إلى مثوبة الله عز وجل.

وأخيراً: يؤكد أستاذنا مدى حاجتنا إلى أن نحيا الصلاة كما كان يحياها رسول الله ﷺ، فنشعر معها بسعادة الروح ولذة الطاعة، فنترقب وقت دخولها، ونقبل عليها بشغف وسرور كما يقبل شديد الظمأ على الماء البارد. وكان رسول الله ﷺ يعبر عن ذلك الشعور فيقول: «جعلت قرّة عيني في الصلاة»^(١) ويقول: «أرحنا بها يا بلال» أو «أرحنا يا بلال بالصلاة»^(٢). وكان يقوم الليل حتى تنورم قدماء دون الشعور بالألم لأنه في سعادة روحية وأنس مع الله يتضاءل معه كل ألم جسماني.

ثم يصارحنا أستاذنا ويقول: (لاشك أن الكثير منا لا يحيا صلاته على هذه الصورة الطيبة السامية التي تحيي القلوب، وتشرح الصدور، ولعل البعض منا يقبل على الصلاة في تناقل

(١) صححه ابن حجر في فتح الباري ١١/٣٥٣ وأشار في المقدمة إلى صحته، والأباني في صحيح الجامع برقم ٣١٢٤.

(٢) كلاهما صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وصححه الأباني في صحيح أبي داود برقم ٤٩٨٥ وصحيح الجامع برقم ٧٨٩٢.

وكانها عبء يريد أن يلقيه عن عاتقه، وما ذلك إلا لبعدنا عن حقيقة الصلاة وعن حقيقة (الحياة في محراب الصلاة) فتعالوا نسعى ونجد جميعاً كي نحيا في الصلاة ونحيا بها قلوبنا وأرواحنا، تعالوا جميعاً إلى (الحياة في محراب الصلاة).

١١- الإيمان ومتطلباته:

هذه الرسالة القيمة هي محاضرة ألقاها أستاذنا في أماكن عديدة، ثم كتبت في رسالة صغيرة الحجم ولكنها تضمنت معاني هادفة.. وكما يقول أستاذنا: (هذه رسالة حول -الإيمان ومتطلباته- وقضية الإيمان ليست أمراً ثانوياً يصح لنا أن نقلل من أمرها أو أن نتهاون فيها لا: إنها أشرف قضية وأخطر قضية من يوم أن دب الإنسان على ظهر الأرض، فمن عرف الله وسلك الطريق إليه فقد عرف كل شيء، ومن ضل الطريق إلى الله فقد غامر بحياته وخسر الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

الإيمان بالله هو صانع العجائب ومحقق المعجزات.. والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها بعض النماذج:

١- سحرة فرعون.. في يوم واحد تتغير الشخصيات وتقلب الموازين، وأصبحوا سحرة همهم المال، وآمالهم معلقة بعزة فرعون.. وأضحوا مؤمنين.. وأمسوا شهداء.. وما ذلك إلا من صنع الإيمان.. راجع هذه القصة في القرآن.

٢- عمر بن الخطاب، في جاهليته كان يعبد إلهاً من الحلوى فإذا جاع أكله.. ونتيجة للقسوة التي كانت في القلب والعاطفة وأدبتاً له حية.. فلما انتقل إلى عالم الإيمان والهداية تحرر عقله وتفجرت طاقات الخير في نفسه حتى صار مثلاً على مدار التاريخ.

٣- سعيد بن المسيب، يخرج إلى الغزو والجهاد وقد ذهبت إحدى عينيه.. فقيل له إنك عليل.. فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل.. فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

٤- الابن وأبوه، يسبقان إلى الجهاد فيقرع بينهما فتخرج القرعة للابن فيقول الأب: أترني يا بني.. أنا أبوك.. فيقول الابن: إنها الجنة- ولو كان شيء غيرها لأترتك والله..

لقد تضمنت هذه الرسالة -على صغر حجمها- معاني هادفة تأخذ كلها بيد شبابنا المسلم إلى الطريق الصحيح لإقامة منهج الله في الأرض.. لقد كشفت لهم عن طبيعة هذا الطريق وما فيه من عقبات وعن واجب قيام الدولة المسلمة، لأنها الوسيلة الوحيدة لوضع أعداء الله

في مساحتهم الحقيقية، ثم أشارت إلى ضخامة الأمانة وعظيم المسؤولية. وعن ضرورة الجماعة كحل أساسي لأداء هذا الدور، وأشارت أيضاً إلى أركان البيعة وضرورة الفهم الصحيح للإسلام.

وأخيراً.. كلام موجه لشباب الإسلام..

يا شباب الإسلام إنه طريق واحد. طريق الإيمان الذي ورثناه عن سيد الخلق ﷺ في شموله وتوازنه وعمقه وأصالته، إيمان بالله، إيمان بالمعجزة الخالدة القرآن، إيمان بالسنة المطهرة. إيمان تحيطه معرفة ونية واعتقاد وعمل. إيمان بعيد عن الشعارات والدعاوى والشكليات. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

١٢- مناجاة على طريق الدعوة:

يقول الأستاذ مصطفى مشهور: (قوة الصلة بالله والإيمان الحى القوى، من ألزم الأمور للأخ المسلم على طريق الدعوة ليكون بذلك رجل عقيدة، ولكى يتمكن من تخطى العقبات ويتجنب العثرات على طريق الدعوة ولا ينزلق فى المنعطفات التى تحرف عن الصراط المستقيم والطريق الصحيح.

وهذا الكتيب (مناجاة على طريق الدعوة) مقصود به تقوية الصلة بالله، والحياة مع الله فى خلوة المناجاة، يبثه كل ما فى قلبه من مشاعر وأحاسيس، وما يعرض له طريق الدعوة من آلام وآمال، سائلاً إياه الهداية والتوفيق، والعون والسداد، والرضا والقبول. ألا ما أجمل مناجاة العبد لربه إذا صفا لها قلبه، وتوجهت إليها همته، وما أعظم أثرها فى نفسه، ومن ذاق عرف وداوم.

ثم يؤكد أن العمل على طريق الدعوة لا تغنى فيه الكفاءة الإدارية، والدقة فى التنظيم والحركة، إذا لم يصاحب ذلك ويعلو عليه الزاد الروحى، وقوة الصلة بالله، بما يؤهل لتوفيق الله، وللحفظ من الخطأ والانحراف، والمناجاة وسيلة لجلب هذا الزاد.

ويقول: العمل على طريق الدعوة يحتم على العامل أن يعرض بين الحين والحين عمله وإنتاجه على من له الأمر كله، والذي يجازيه على عمله، مستلهما إياه قبول ما وفقه إليه من عمل صالح، ومستغفراً إياه عما حدث منه من تقصير، ويسأله الرشد والسداد والعون، وما أجمل أن يحقق ذلك فى ظل المناجاة دون واسطة.

ثم شرع أستاذنا في المناجاة . . فاستفتح بدعاء استفتاح قيام الليل المأثور عن رسول الله ﷺ (١) . . وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له، ثم صلى على الرسول ﷺ وبدأ يناجى ربه . .

أورد أستاذنا هذه المناجاة في ستة أقسام وهي كما يلي :

- ١- حول التزام طريق الدعوة، وأركان البيعة، والابتلاءات والمحن .
 - ٢- حال الدعاة بعد الخروج من المحن، وعن المسئولية وثقلها والعبء الكبير الذي على الدعاة، ثم شكوى مرفوعة ضد بعض المسلمين القاعدين عن الدعوة والجهاد، وشكوى ضد الحكام الذين لم يحكموا بشرع الله، ثم شكوى ضد الأنفس وتقصيرها .
 - ٣- الأمل .
 - ٤- الإلحاح في طلب النصر وتحقيق الوعد، وطلب المدد الإيماني وزاد التقوى .
 - ٥- في مواجهة الأعداء، وعرض نعم الله على الدعوة والداعية .
 - ٦- الفرح والسرور بالصحة، ودعاء للأنفس .
- ونحن نختار بعض النماذج من هذه المناجاة:

* إلهي : لقد كانت مشيئتك أن توجديني وإخواني على طريق الدعوة في هذه الحياة خلال هذه المرحلة المهمة من عمر الدعوة الإسلامية، بعد سقوط الدولة والخلافة، وبعد ترسب هذا الركام الكثيف من الجهل بحقيقة الإسلام ومن الأفهام الخاطئة والعادات الجاهلية والانحرافات العقيدية، وما صار إليه حال المسلمين من الضعف والوهن والفرقة والخلاف، وكنا هذا السلط من أعداء الله وكيدهم وحربهم الشرسة للإسلام والمسلمين .

* وإسلامنا العظيم الذي ارتضيته لنا وتشرف إليه، يحتم علينا ألا نقف مكتوفي الأيدي إزاء هذا الحال، وأوجب على المسلمين جميعاً، أن ينهضوا ويتمسكوا بكتاب ربهم وبسنة

(١) كان رسول الله ﷺ إذا تهجد من الليل قال : «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهم ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهم ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق اللهم لك أسلمت وبيك أمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبيك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت رأنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» رواه البخاري - فتح الباري بأرقام ٣/٣ - ١٢٦/١١ - ١٣/٣٧١، ٤٢٣، ٤٦٥، ومسلم مختصراً ١/٥٣٢ .

نبيهم ﷺ ليزيلوا هذا الركام، وليتخلصوا من كل ألوان الضعف والوهن والفرقة والخلاف، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ليتعاونوا على إقامة دولة الإسلام، وإعادة الخلافة، وليردوا عدوان الأعداء، ويمكنوا لدين الله في الأرض ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] (مثالان حول التزام طريق الدعوة).

* كما عاهدناك يا رب على الإخوة والحب لإخواننا، فترتبط قلوبنا وأرواحنا برباط العقيدة، وهما أوثق الروابط. وقد عرفنا أن أقل مراتب هذه الإخوة: سلامة الصدر، وأعلهاها الإيثار. فبارك يا رب إخوتنا، وأعنا على الوفاء بهذا العهد، ولا تجعل للشيطان بيننا سبيلاً، ونستعيذ بك منه، إنك أنت السميع العليم. فوثق اللهم رباطنا وأدم ودنا واهدنا سبلنا وأظننا بهذه الإخوة في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك. (مثال من أركان البيعة- ركن الأخوة).

* نعلم يا رب أن المحن والابتلاءات جزء أساسي من طريق الدعوة، وأنها خير، لأنها ستك وإرادتك، وأنت لا تريد إلا الخير، ففي ظل المحن تتطهر القلوب من الأهواء ويتخرج الرجال المؤمنون الذين يكونون بمثابة الدعائم الصلبة في الأساس ليقوم عليها البناء، ويعلو في استقرار وسمود أمام كيد الأعداء. (مثال في المحن والابتلاءات).

* إلهي: إنها مسئولية ضخمة، وأمانة ثقيلة نشعر بها نحو المسلمين وقضاياهم، ونحن مازلنا دعوة ولسنا دولة، نطارده ونلاحق ويضيق علينا، ومع ذلك يتطلع إلينا المسلمون وكلهم أمل، أن يحقق الله لهم الخير والأمن والأمان على أيدينا، خاصة وقد ذاقوا الآلام المريرة من الأنظمة ومن المبادئ الأرضية التي تُفرض عليهم من الشرق والغرب.

* يا رب... إن الأمل يملا قلوبنا، رغم كل هذا الظلم والظلام، ونؤمن أن المستقبل لهذا الدين، تحقيقاً لقولك العزيز ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. ونعلم أن ستك ستحقق ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وقولك: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. فاجعلنا يا رب أهلاً لأن نكون رمز الحق الذي نقذف به على الباطل وأهله فإذا هو زاهق. (مثال حول الأمل).

* إلهي . . لقد وعدت - ووعدتك حق - بالنصر والتأييد، والتشبيث، والدفاع، والتمكين للمؤمنين، ولم يرد النص بشيء من ذلك للمسلمين، فقد قلت: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقلت: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١] وقلت: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] وقلت: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، كما قصرت الصفقة الرابحة على المؤمنين فقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] وفي كثير من آيات كتابك وعدت بالجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

* نعلم يا رب أن للمؤمنين صفات وردت في كتابك، وفي أحاديث نبيك ﷺ، ويلزم أن نتصف بها، كي نكون أهلاً لتحقيق وعدك للمؤمنين.

* وأنت يا رب صاحب الفضل والمنة، نسألك أن تمن علينا بالإيمان الصادق وأن تعيننا لتتصف بصفات المؤمنين لتمن بعد ذلك علينا بالنصر والتمكين (مثال حول الإلحاح في طلب النصر والتمكين).

* إلهي . . ما أحوجتنا إلى الزاد على الطريق، زاد الإيمان والتقوى، نحس بهما معيتك لنا على الطريق فقد قلت: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. كما قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] ومن أحبه الله وكان معه لن يضره شيء ولا يخشى شيئاً، فيارب حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، فضلاً منك ونعمة . . ونسألك سكينه تنزلها في قلوبنا، لتزداد بها إيماناً مع إيماننا [مثل حول طلب المدد الإيماني وزاد التقوى].



* يا إلهي . . إن أعداءك أعداء دينك يعادوننا على اختلاف مللهم ونحلهم ، وقد استحدثوا في هذا العصر أنواعاً شتى من الأسلحة الفتاكة ، ولا يزالون يسخرون العلم في تطويرها ، لتكون أشد فتكاً وأعظم تأثيراً ، وقد نسقوا فيما بينهم ، ووجدوا جهودهم لحرب الإسلام والمسلمين واستعانوا بكل حديث من وسائل الإعلام ، والاتصال ، والتجسس ، وغير ذلك ، كما استعانوا للأسف الشديد بعملاء من البشر ، من بنى جلدتنا ، ومن يتسمون بأسماء المسلمين سواء من العامة أو من ذوى السلطان .

* ولكننا يارب رغم ذلك كله لا نخافهم ، ولا نرهيبهم ، هم وعملاءهم ، ولا يتطرق إلينا بأس ، لأننا على يقين أن قوى أهل الباطل مهما كثرت وتضافرت ، فلن تصمد أمام جندك وقوتك ، عندما يكون في قدرك أن تؤيد عبادك المؤمنين بنصر من عندك ، فلك جنود السماوات والأرض ولن يعجزك شيء في الأرض ولا في السماء ، سبحانك أنت القوى القهار المنتقم الجبار [مثال حول مواجهة الأعداء] .

* إلهي . . تحدثنا بنعمك وفضلك علينا على طريق الدعوة ، نذكر ما لمسناه من تغيرات على الساحة الإسلامية كنتائج وثمار نفرح لها وتجعلنا ننظر إلى المستقبل نظرة أمل واستبشار .

- فعند بدء سيرنا على طريق الدعوة كان هناك قصور كبير في فهم حقيقة الإسلام بشموله وأصالته ، وكانت قلة قليلة جداً يفهمونه كمنهاج كامل للحياة ينظم شئون الدنيا والآخرة . . . ولكننا اليوم والحمد لله نرى أن هذا الفهم الشامل يعم الساحة الإسلامية بل والمحافل الدولية .

- وبعد أن كانت المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية أمراً مستغرباً ، إذا بنا نجده مطلباً جماهيرياً تطالب به الشعوب الإسلامية في إصرار ومثابرة .

- وبعد أن كانت روح الجهاد والدفاع عن الإسلام وأرض الإسلام تكاد تكون خامدة ميتة ، إذا بنا اليوم نجد روح الجهاد تثار في النفوس شبابياً وشيوخاً وقد قدموا أمثلة رائعة للجهاد في مواقع شتى ولا زالوا يقدمون .

- ثم ظهور هذه النماذج من رجال الدعوة وجند العقيدة الذين تعالوا على فتنة المال والجاه وأخلصوا وجهتهم لله ، والذين تحملوا الإيذاء والتعذيب في سبيل الله في السجون والمعتقلات تحت ضغوط شتى ، رافعين الراية عالية كي يسلموها لمن بعدهم عالية خفاقة ، ليواصلوا المسيرة على طريق الدعوة ، دون تبديل ولا تغيير ودون ضعف ولا وهن ولا استكانة . [بعض الأمثلة حول نعم الله على الدعوة والداعية] .

« إلهي . . نشهدك يا رب بمدى فرحنا بهذه الصحوة الإسلامية التي فرضت نفسها على الساحة ومدى تقديرنا، وكذا إشفاقنا عليها، إننا نرى فيها الثمار الطيبة لتلك الشجرة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والتي رواها الشهداء بدمائهم: ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٥]، نرى فيها امتداد المسيرة وأمل المستقبل، نرى فيها رمز الحياة والحيوية تدب في جسد الأمة الإسلامية تخلصها من العلل والأمراض، وها قد بدأ عملاق العالم الإسلامي يتحرك ويتململ من تحت الأغلال والقيود ليتخلص منها، وبدأت الكراسي تهتز تحت الظالمين، وبدأت الاستجابة لضغط التيار الإسلامي بتطبيق شرع الله تظهر لها آثار تبشر بخير والحمد لله ونرجو لها الكمال والأصالة. [مثال حول الفرح بالصحوة الإسلامية].

ثم ختم أستاذنا هذه المناجاة الرقيقة ببعض ما جاء في ختام رسالة المناجاة للإمام الشهيد من أدعية مأثورة عن رسول الله ﷺ.

وأردف هذه المناجاة بمقال قيم عن الحب بين الله وبين صنف من عباده، وهو عبارة عن رحلة صعود وارتقاء يصل بالعبد إلى تلك القمة السامقة وتلك المنزلة الرفيعة، والصعود والارتقاء في حاجة إلى جهد ومجاهدة وعزيمة صادقة لمجاهدة النفس كي تزكو وترقى وتصل.

١٣- بين الربانية والمادية:

في هذه الرسالة القيمة يعالج أستاذنا المعادلة الصعبة والتي قلبت الموازين في واقع الأمة الإسلامية بسبب طغيان المادية على حياة المجتمع في الوقت الذي انحسرت فيه الربانية إلى حد كبير نتيجة الموجة الطاغية لمدينة المادة وحضارة المتع والشهوات التي غزت بلادنا مع احتلال الأعداء العسكري ولأوطاننا. ويؤكد ارتكاس المجتمع بسبب طغيان المادية . . ويرسلته هذه أراد أن يقوم بواجب الإنقاذ من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، وأن يأخذ بأيدي الناس من جاذبية الأرض والإخلاق إليها إلى سمو الروح والرقى بها.

ولكنه تحدى هذه الموجة الطاغية من مدينة المادة التي فعلت فعلها في مجتمعاتنا وتركت بصماتها السيئة، وهذا التحدي امتداد لتحدي الإمام الشهيد وسيستمر هذا التحدي بإذن الله تورثه الأجيال إلى بعضها البعض . . وعبرة التحدي هي العبارة التي وضعها الإمام الشهيد وهي: [ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين؟ هي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدينة المادة وحضارة المتع والشهوات، التي جرفت الشعوب الإسلامية فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى

تنحسر عن أرضنا ويرأ من بلادها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد، بل سلاحقها على أرضها، ونغزوها فى عقر دارها. . حتى يهتف العالم كله باسم النبى ﷺ وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، ويتشر ظل الإسلام الوارف على الأرض، وحيثذ يتحقق للمسلم ما ينشد، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله].

﴿لِلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

ويدلل على انتصار الربانية ببعض البشائر التى ظهرت فى المجتمع بفضل الله ثم بجهود الدعاة الصادقين، ولكنه يكشف عن بعض السلبيات الموجودة فى المجتمع وتعتبر بصمات المادية فى حياتنا، ويطلب بالتخلص منها والعودة إلى الربانية، ويرشد الناس عن كيفية التخلص من المادية.

ثم يضع خلاصة لهذا الأمر فىقول: [إن السبب الرئيسى وراء هذا التردى، هو ضعف الإيمان، بناءً على ذلك يكون العلاج الأساسى، يبدأ ببعث الإيمان فى النفوس من جديد، فيوجد الفرد المؤمن القدوة، رجلا كان أو امرأة، وتتكون البيوت المسلمة النموذج، وهكذا يوجد المجتمع المسلم، الذى يفرز الحكومة المسلمة، التى تعود بالناس إلى دين الله إلى الربانية الحقة] ويؤكد أن هذا هو الطريق الوحيد وإن بدا طويلا وشاقا ولكن ليس هناك غيره، وأن الإخوان قد سلكوا هذا الطريق ويدعون الناس لالتزامه، وبالفعل بدأ طريقهم هذا يحقق ما قاله الإمام الشهيد، من حسر الموجة المادية عن بلادنا وغزوها فى عقر دارها، والشواهد تؤيد هذا القول والحمد لله.

ثم يبين ثمار الربانية وآثارها فى المحن، ويذكر الضوابط الربانية على طريق الدعوة، ويعود ويذكر آثارها فى حياة المسلم، ويوازن بين الربانية والمادية فى المشاعر.

ويعلن فى آخر الرسالة الدواء الشافى من كل علل المادية وهو [الإيمان] ولكنه لم يترك الأمر هكذا، وإنما شرح كيفية تناول هذا الدواء الشافى وهو [تجديد الإيمان].

١٤ - مقومات رجل العقيدة - على طريق الدعوة:-

فى مقدمة هذه الرسالة تحدث عن طبيعة ديننا وما يفرضه علينا فقال: [إن دين الإسلام يدعونا إلى الوحدة وإلى القوة وإلى العزة وإلى الجهاد، لرد عدوان المعتدين، ويفرض علينا أن تكون لنا دولة وخلافة وشوكة لحماية المسلمين فى كل مكان: حماية أرضهم وأرواحهم

وأعراضهم وكل حرمانهم ، وليقوموا بنشر دين الله في أرض الله بين خلق الله [ويؤكد : لهذا السبب أنشأ الإمام الشهيد حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين لتحقيق هذا الهدف الكلى الختمى ، والذي يعنى فى جوهره التمكين لدين الله فى الأرض ودعوة الناس كافة إليه : ﴿رَحْمَتِي لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، ثم قرر أن الإمام البنا من خلال دراسته لسيرة رسول الله ﷺ ، وتاريخ الدعوات وتاريخ الأمم رسم الطريق لتحقيق هذا الهدف العظيم وتدرج به إلى مراحل متدرجة ومتلاحمة وهى كما يلى :

١- إعداد الأفراد المسلمين القدوة رجالاً ونساء .

٢- إقامة البيوت المسلمة القدوة .

٣- المجتمع المسلم .

٤- الحكومة المسلمة .

٥- الخلافة الإسلامية .

ووجد الإمام الشهيد أن هذه المراحل تعتمد على الفرد المسلم النموذج ، ونجدته يتحدث عن الأمم الناهضة والمقومات الواجب توفرها بين أفرادها ، فيقول رضى الله عنه : [إننا فى ميسر الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق ، وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة حتى يصمدوا لما يقف فى طريقهم من عقبات ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب . إن الرجل سر حياة الأمم ومصدر نهضتها وإن تاريخ الأمم جميعاً إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس^(١) ثم يقول رضى الله عنه : [وإن الأمة التى تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة كمهمتنا وتواجه واجبات كتلك التى نواجهها ، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأمانى ، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف وصراع قوى شديد بين الحق والباطل وبين النافع والضار ، وبين صاحب الحق وغاصبه ، وسالك الطريق وناكبه ، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين . وأن علينا أن نعلم أن الجهاد من الجهاداء والجهد هو التعب والعناء وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره وعند الصباح يحمد القوم السرى ، وليس للأمة عدة فى هذا السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة ، والسخاء بالتضحيات ، والإقدام عند الملهمات ، وبغير ذلك تُغلب على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها]^(٢) وهكذا فقد شخص الإمام الشهيد الداء ووصف

(١) رسالة : هل نحن قوم عمليون - الإمام الشهيد حسن البنا .

(٢) المصدر السابق .

الدواء ، وأوضح أن أول طريق العلاج التغيير فى النفوس ، فتلك سنة الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

ولذلك كان اهتمامه الشديد بالتربية وبناء الأفراد رجالا ونساء . . .
ولما وضع أركان البيعة حدد فى ركن العمل مقومات عشرة يلزم توفرها فى الفرد المسلم ،
تربية له وإعداداً لوضع الأساس المتين للبناء الشامخ .
وهذه المقومات هى (١) :

١- سليم العقيدة .

٢- صحيح العبادة .

٣- متين الخلق .

٤- مثقف الفكر .

٥- قوى البدن .

٦- قادر على الكسب .

٧- نافع لغيره .

٨- حريص على وقته .

٩- منظم فى شئونه .

١٠- مجاهد لنفسه .

ثم أضاف أستاذنا العظيم مصطفى مشهور إلى هذه المقومات من خلال أركان البيعة ،
مقومات رأى أنها من الضرورى أن يأخذ بها الأخ المسلم على سبيل الوجوب ليكتمل تكوينه
وإعداده ليكون الفرد المسلم القدوة القادر على الدعوة وتكوين الأسرة القدوة التى هى أساس
يقوم عليها المجتمع المسلم الذى يكون الحكومة المسلم والتى بدورها تجتمع مع الحكومات
المسلمة الأخرى مكونة الخلافة الإسلامية .

أما هذه المقومات الإضافية التى أضافها الأستاذ مصطفى مشهور فهى : (٢) .

١١- مخلص لربه . . متحرر لدعوته .

(١) قمنا بشرحها فى باب السمات الشخصية والفكرية من هذا الكتاب .

(٢) يمكن الرجوع إلى كتاب فقه الدعوة - مصطفى مشهور لتابعة الشرح .

١٢- وفي لعهدہ . . ثابت على الطريق .

١٣- محب لإخوانه . . واثق في طريقه .

١٤- أن يصلح نفسه ويدعو غيره .

١٥- أن يقيم البيت المسلم القدوة .

ثم يقول في ختام هذه الرسالة القيمة :

[هكذا نجد أن رجل العقيدة على طريق الدعوة يقوم بالإسهام في تحقيق مرحلة الفرد المسلم، بإصلاح نفسه، وإقامة البيت المسلم، وإعداد المجتمع المسلم، كل ذلك تمهيداً لإقامة الحكم الإسلامي، على تلك القاعدة الصلبة، ليستقر ويستمر في طريق إقامة الدولة الإسلامية].

١٥- القدوة على طريق الدعوة:

هذه الرسالة في نظري تعتبر هي الخلاصة لجميع الرسائل، فهي تبين أهمية الأساس المتين وتفصل كيفية مستواه اللائق بالبناء العظيم.

والأساس المتين هو: الفرد المسلم القدوة، رجلاً كان أو امرأة، حيث تكون من الفرد: الأسرة والمجتمع والحكومة.

أما البناء العظيم فهو الدولة الإسلامية العالمية أي: [الخلافة الإسلامية].

ولكن أستاذنا أوضح في مقدمة الرسالة خلاصتها وبين عناصرها . . .

فبدأ بالطريق، والمقصود هنا: [طريق الدعوة] فقال في المقدمة:

طريق الدعوة هو: الطريق إلى جماعة المسلمين، الطريق إلى إقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، الطريق إلى التمكين لدين الله في الأرض، الطريق الذي يسلكه العاملون الصادقون لتحقيق هذا الهدف العظيم.

إنه طريق كله عمل وجهاد وعنت ومشاق، وصبر وثبات، وتضحية وفداء. ونصر واستشهاد، ليس طريق كلام ونظريات، أو جدال وفلسفات، أو خيال وافتراسات، ومثل هذا الطريق تكون القدوة فيه ألزم الأمور، وخاصة القدوة العملية التي تتمثل الإسلام الصحيح بكل تعاليمه ومتطلباته دون خطأ أو انحراف أو اجتزاء].

وكذلك بين أستاذنا ماذا نريد لهذه الدولة الإسلامية العالمية فقال:

[إننا نريد لهذه الدولة الإسلامية المنشودة كل أسباب القوة والأصالة والتمكين، كي تستقر وتستمر وتؤدي دورها العظيم وهو هداية البشرية المعذبة التائهة بين مبادئ باطلة وعقائد

فاسدة.. نريدها دولة تبلغ الإسلام الدين الحق إلى الناس كافة وتعلو رايته في ربوع العالمين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، لهذا نريد أن تكون مكونات هذه الدولة من الفرد والبيت والمجتمع والحكومة، سليمة متينة قوية ممثلة النموذج الإسلامى الصحيح لهذه العناصر المكونة لدولته.

إننا لا نريد لدولتنا الإسلامية أن تكون مظهرًا دون مخبر، لانريدها كيانًا هشًا ضعيفًا غير متماسك ينهار إذا تعرض لهزة من قبل الأعداء، فالقضية عندنا ليست مجرد الوصول إلى الحكم ولكنها تمكين لدين الله فى الأرض تقوم فيه دولته وتعلو وتستقر وترهق كل باطل فى شرق أو غرب بإذن الله].

وعن أهمية القدوة فى طريق الدعوة يقول:

نريد ممن يسلكون طريق الدعوة أن يكون واضحًا فى أذهانهم أنهم يتصدون لتحقيق أعظم إنجاز يمكن أن يتحقق على وجه الأرض، فليقدروا الأمر حق قدره وما يحتاج إليه من اهتمام لائق، ثم ليعلموا أيضًا طبيعة المرحلة، وهى أننا نضع الأساس المتين لهذا البناء الضخم، وأن الأساس فى كل بناء هو أهم مرحلة فى البناء وأشق مرحلة، ومن هنا كانت أهمية [القدوة على طريق الدعوة].

ثم أكد أستاذنا أن هذا الهدف لا يتحقق إلا من خلال العمل الجماعى فقال:

[ومعلوم أن المشاركة فى إقامة هذا البناء العظيم، أى بناء الدولة الإسلامية - واجب على كل مسلم ومسلمة، ولما كان هذا الواجب لا يمكن أن يتم فرديًا، ولكن لابد له من العمل الجماعى المنظم، فلا بد من الجماعة الإسلامية التى تجمع العاملين للإسلام وترسم لهم الطريق وتباشر لهم التنفيذ، فصار - بذلك - العمل فى جماعة واجبًا إذ [ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب] وهذه قاعدة شرعية معروفة لدى الفقهاء - لذلك كان لابد أن يشير فى حديثه إلى: الجماعة المسلمة القدوة.

ويعند حديثه عن الفرد المسلم القدوة أعطى الملامح الأساسية للفرد المسلم القدوة، سواء كان: طالبًا، أم مدرسًا، أم مهندسًا، أم طبيبًا، أم عاملاً، أم تاجرًا، أم قائد، أم جنديًا.. وهكذا من مختلف المجالات ليغيروا من هذه الملامح كل فرد حسب موقعه وتخصصه.

وكذلك أشار إلى البيت المسلم، ثم تعرض إلى بعض المؤسسات التى تعتبر وسائل على طريق الدعوة وهى على سبيل المثال: المدرسة الإسلامية القدوة، والمستشفى الإسلامى القدوة، والمؤسسة الإسلامية القدوة، والبنك الإسلامى القدوة، والنادى الرياضى القدوة.. وهكذا.

وحرص أستاذنا على أن يشمل حديثه الرجال والنساء .

١٦- الجهاد هو السبيل:

في مقدمة هذه الرسالة العظيمة أكد أستاذنا أن الجهاد هو السبيل بقوله: [هذا ما يجب أن نعيه تماماً ونسير ونعمل على ضوئه، فضعف الإيمان قد وصل بالمسلمين إلى ما وصلوا إليه من هوان وتفكك وتحكم لأعداء الله في مقدراتهم وفتنة بعضهم عن دينهم، وبعث الإيمان في القلوب من جديد هو المنطلق الأساسي للنهوض، وبعث الحياة في الأمة الإسلامية لتستعيد قوتها وتحرر وتأخذ مكانتها التي اختارها الله لها كخير أمة أخرجت للناس، وكأساتذة للبشرية بهذا الدين الحق كي يخرجهم من الظلمات إلى النور].

ثم بين أن الجهاد يمثل القوة الثالثة كما رتب الإمام البنا، القوى الثلاث وهي: - قوة العقيدة والإيمان ثم قوة الوحدة والترابط ثم قوة الساعد والسلاح، وذلك وفقاً لما اقتبسه من سيرة الرسول ﷺ وحركته بالدعوة حين أقام دولة الإسلام الأولى .

بعد ذلك بين موقف الإخوان المسلمين من الجهاد، وأن الإخوان لم يكتفوا بالشعارات ولا بالكلام والكلمات، وإنما لهم تاريخ ناصع البياض في صفحات الجهاد في فلسطين وقناة السويس، وأنهم مازالت مسيرتهم كلها جهاد، في الماضي والحاضر والمستقبل .

نعم وضع الإمام البنا رضى الله عنه شعار الدعوة والذي منه (الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا). وأطلق على دعوة الإخوان أنها دعوة الحق والقوة والحرية، وجعل (الجهاد) ركناً من أركان البيعة وكذلك (التضحية) جعلها ركناً آخر من أركان البيعة .

ولكن كما قلت فالإخوان المسلمون لم يقتصروا على القول والكتابة والشعارات، وإنما خاضوا المعارك في فلسطين ضد اليهود الصهيينة سنة ١٩٤٨ وخاضوا المعارك في قناة السويس ضد الإنجليز سنة ١٩٥١ م، وفتح لهم مجال الجهاد واسعاً بعد ذلك في سجون عبدالناصر .

ضرب الإخوان المسلمون أروع الأمثلة وأعادوا للأمة الإسلامية أمجادها الأولى ولازال الإخوان المسلمون يجاهدون على الساحة حتى يتحقق نصر الله وتكون كلمة الله هي العليا .

إن الإخوان المسلمين لم ولن يتعبوا ولم ولن يلقوا سلاحهم ولم ولن يتركوا الجهاد في سبيل الله الفريضة الباقية الماضية إلى قيام الساعة .

يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [إن الإخوان لم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقطعوا حاضرهم عن ماضيهم، ولن يقطعوا مستقبلهم عن حاضرهم وماضيهم، يدرسون الأجيال الدعوة

بشمولها ونقائنها ويورثونهم روح الجهاد وحب الاستشهاد والتضحية . . حتى يتحقق نصر الله وتكون كلمة الله هي العليا . [.

وعن المحن يقول : [الإخوان لم تتعبهم المحن ولم ولن يلقوا السلاح أو يتركوا الجهاد ولكن المحن تصقلهم وتزيدهم إيماناً وإصراراً على العمل لنصرة دينهم دون وهن أو ضعف أو استكانة بسبب ما أصابهم في سبيل الله] .

وعن تقدير الجهاد يقول : الإخوان لن يندفعوا وراء تحمس بعض الشباب إلى القيام بأعمال فجأة غير مدروسة ، لا تغير الواقع الفاسد وربما أساءت إلى العمل الإسلامي واستنفاد منها أهل الباطل [، فلا اندفاع وراء الحماسة ولا انتظار حتى الموت بل لكل أمر قدر .

وأكد أستاذنا أن الجهاد ليس لدفع الأذى فقط وإنما لإقام الدولة المسلمة أيضاً .

وأسهب في نداءات الشباب وحثهم على الجهاد بمفهومه الصحيح الشامل ، وافتتح نداءاته ببناء الإمام البنا للشباب .

وكذلك حث وحبب واستنهض الأنفس والهمم ، على حب الاستشهاد في سبيل الله .
واستشهد بالآيات والأحاديث الكثيرة التي استشهد بها الإمام الشهيد في رسالته القيمة «رسالة الجهاد» .

وذكر أستاذنا في آخر الرسالة أموراً يلزم مراعاتها والالتزام بها تخص المجاهد وهي :

- ١- أن تعقد الصفقة الرابعة مع الله .
- ٢- أن تلزم نفسك صفات المؤمنين .
- ٣- إخلاص النية في الجهاد والاستشهاد .
- ٤- أن تسأل الله تعالى الشهادة بصدق .
- ٥- أن تكون مستجيباً في كل وقت للجهاد بالمال .
- ٦- أنه تكون متهيئاً لإجابة نداء الجهاد في أي وقت .
- ٧- أن تلتزم بكل ما يُطلب منك في مجال الجهاد مادمت جندياً .
- ٨- عليك أن تدرس آداب القتال في الإسلام .
- ٩- عليك أن تأخذ بأسباب الإعداد .
- ١٠- عليك أن ترعى بيتك وأهلك بالتوعية الإسلامية وأن تهيئهم لجو الجهاد والاستشهاد .

١١- أن تحرص ألا يكون عليك دين ، أو توصى بسداده إن لم يتوفر لك سداده في حياتك .
ذكرت هذه الأمور باختصار وهي مفصلة في الرسالة .

ثم ختم أستاذنا رسالته بما ختم به الإمام الشهيد حسن البنا رسالته (رسالة الجهاد) . حيث قال :
[أيها الإخوان : إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة ، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكرهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة ، واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة ، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخر ، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم ، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُدْرُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

١٧- التيار الإسلامي ودوره في البناء:

تتكون هذه الرسالة من عشر مقالات ترسم لنا لوحة بديعة ، وهي : الصورة الحقيقية والواقعية التي تعيشها أوطاننا الإسلامية من ضياع وتدمير يتمثل في انهيار الفرد وانهيار الأسرة وانهيار المجتمع فانهيار الدولة ، ونجاح تخطيط الأعداء . فترتب على ذلك الضعف والتبعية الذليلة وانتشار العلل والأمراض ، وتولد عند الكثير ما يشبه اليأس من النهوض والإصلاح والنجاة من التردى .

ومن وسط هذه اللوحة يشع نور الأمل الذي يتمثل في أبناء التيار الإسلامي الذين يرفضون هذه الروح الاستسلامية ، فقد ربي فيهم الإسلام كل معاني العزة والكرامة ، وروح التضحية والفداء ، وبعث فيهم الأمل وعدم اليأس ، أو القنوط من رحمة الله ومن تأييده ونصره .

أما ترجمة هذه اللوحة فهي : [التيار الإسلامي يتقدم إلى الشعب المصري عامة وإلى المسئولين خاصة ، مبدياً رغبته الشديدة في إعادة بناء هذا الوطن العزيز من جديد ، بناءً قوياً متيناً على أساس سليم من منهاج الله وشريعته السمحة العادلة ، إنه منهاج رب الناس للناس ، يتصف بالكمال والشمول ، ويحقق العدل والأمن والأمان والسعادة لأنه من عند الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

هذا خلاصة ما ورد في المقدمة بتصريف .

أول ما بدأ به أستاذنا في مقالاته : تعريف التيار الإسلامى فقال :

إن كلمة تيار تفيد الحركة والتدفق ، وتعنى ضمناً أن يكون لهذه الحركة مسار واتجاه ، وكلمة إسلامى تحدد ماهية هذا التيار وتحدد مساره واتجاهه أيضاً إذن .

✽ تعريف التيار الإسلامى :

التيار الإسلامى هو : أفراد مسلمون فهموا إسلامهم فهماً صحيحاً شاملاً كما جاء به رسول الله ﷺ دون اجتزاء أو انحراف ، وعرفوا ما يطلبه منهم إسلامهم من واجبات وأهداف ، وتعرفوا على الطريق الصحيح لأداء هذه الواجبات ولتحقيق تلك الأهداف ، فتحركوا وساروا على الطريق على بصيرة ، متبعين لا مبتدعين ، مستلهمين الرشد من الله ومستمدين منه تعالى القوة والعون ، سائلين إياه النصر والتأييد ، يدعون إلى الإسلام وإلى الالتزام به كمنهاج كامل للحياة ، ينظم شئون الدنيا والآخرة . يدعون إلى ما يدعو إليه الإسلام من السلام والرحمة ، والقوة والحرية ، والعدل والأمن ، والأمان والحب ، والبر والإحساس ، والتعاون والتكامل ، ومعاملة أهل الكتاب بالبر والقسط كما أمر الله ، فلن يثيروا فتنة طائفية ، ولكن يعملون على إطفائها إن أثارها غيرهم .

✽ ثم اختصر وصفه فى جمل موجزة :

- التيار الإسلامى ليس مقصوراً على أفراد بذواتهم أو على جماعة بذاتها ، ولكنهم يعتبرون أنفسهم جماعة من المسلمين وليسوا جماعة المسلمين .

- التيار الإسلامى متواضع ولكنه أعز من الشم الرواسى ، لأنه يستمد القوة من الله القوى العزيز .

- التيار الإسلامى تيار هادئ ، ولكنه أقوى من الزوابع العاصفة ، لأنه يستمد القوة من الله القوى القهار .

- التيار الإسلامى تيار محدود ، ولكنه أوسع من حدود هذه الأقطار جميعاً ، لأن الإسلام دين عالمى جاء للناس كافة .

- التيار الإسلامى تيار خال من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنه يورث أفراد المؤمنين بدعوته ، والصادقين فى العمل لمبادئ الإسلام ، السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة .

✽ ثم يقدم دعوة للمجتمع فيقول : [إننا ندعو الجميع أن يتجاوبوا مع التيار الإسلامى وأن يضموا جهودهم إلى جهود العاملين الصادقين لنصرة دين الله وتطبيق شريعته ، ليسعدوا جميعاً

فى دنياهم وأخراهم ، وليتحقق الاستقرار والازدهار لهذا الوطن ، ولتأخذ مصر مكانتها فى العالم الإسلامى ، وتربط حاضرها ومستقبلها بماضيها المجيد ومواقفها البطولية ضد الصليبيين والتتار وغيرهم : هذا هو طريق الخير والفلاح ، فى مستقبل زاهر أيها المواطنين .

لقد أوضح أستاذنا للمجتمع حقيقة التيار الإسلامى بجلاء ، هذا التيار الذى وصفه الإمام البنا من قبل فقال : [ولكنه روح يسرى فى جسد هذا المجتمع فيحييه بالقرآن] أو كما قال ، وما عناصر هذا التيار إلا عناصر بناء وتعمير ، وليسوا دعاة تخريب وتدمير .

* ثم تناول قضية البناء موضوعاً تحديداً مفهوم البناء وما يتصل به من أمور . . . فطرح بعض الأسئلة التى تفرض نفسها وتحتاج إلى إجابة محددة يلزم الاتفاق عليها قبل البدء فى البناء وهى :

١- هل هناك اقتناع - وخاصة عند المسئولين - بالحاجة الملحة لبناء الوطن؟ أم أن هناك رضى بالواقع الحالى وأن لا بأس من استمراره؟

٢- هل توفرت النية والعزم الصادقان وخاصة عند المسئولين للقيام بالبناء؟

٣- هل المطلوب عملية ترميم لبناء قائم ، أم أن المطلوب إقامة بناء جديد على أساس متين وعلى دعائم قوية ثابتة؟

٤- هل هناك تقدير صحيح لما يحتاجه البناء الجديد الشامل من بذل وتضحية ، وجهد ومشقة ، وصبر وتحمل ، ونفس طويل ، وإرادة قوية؟

٥- هل يمكن أن يقوم بناء وهناك معاول هدم مستمرة فى أداء مهمتها؟

٦- هل يمكن لأفراد الشعب أن يسهموا فى البناء ، وأيديهم وأرجلهم ترسف فى القيود والأغلال؟ أم لا بد أن تُحطم هذه القيود ، لينطلق المواطنون فى البناء بكل طاقاتهم وبكل مواهبهم البناءة؟ [القهر والظلم يقبر المواهب ، ويحبس الطاقات البناءة من أن تنطلق] .

٧- هل ستهدف من البناء إلى حل مشاكلنا حلاً جزئياً - كل مشكلة مستقلة عن غيرها - أم أن خطة البناء تكون شاملة متكاملة؟

* ثم تحدث عن ماهية البناء المنشود لوطننا وطبيعته والفلسفة التى يقوم عليها هذا البناء ، فى شكل أسئلة تم الإجابة عليها أيضاً .

١- ما هى طبيعة البناء؟ وما هى الفلسفة التى يقوم عليها؟ هل هى نفس الفلسفة التى تقوم عليها حضارة الغرب؟ بأن نقلد الغرب فى كل صغيرة وكبيرة ، خيره وشره ، كما سبق أن نادى بذلك بعض المفكرين؟

٢- هل البناء المقصود هو إنشاء المساكن، والمصانع، والمدارس، والفنادق، وإنشاء شبكات الطرق والكبارى، وشبكات الاتصال وغير ذلك من صور التعمير والبناء، بما فى ذلك مصانع الخمر، والقرى السياحية، ونوادى الميسر وغيرها من منشآت!

٣- إن البناء الذى نشده لا بد أن يستمد فلسفته من عقيدتنا الإسلامية، وأن يقوم أول ما يقوم على المثل والقيم والأخلاق الفاضلة التى تقوم عليها الأم العريقة.

* ثم أشار إلى ضرورة إحداث تحول كامل عند المواطنين، حكاماً ومحكومين، من الاعتقاد بصلاح المبادئ الأرضية لحل مشاكلنا وبناء وطننا، إلى الاعتقاد اليقيني بأن [الإسلام هو الحل] الوحيد والحتمى، لأنه منهاج رب العالمين لعباده الذين خلقهم، فهو أعلم بهم، وبكل ما ينفعهم ويضرهم وما يصلحهم وما يفسدهم.

* ثم تحدث عن أمر مهم لا بد أن يتحقق كخطوة أساسية قبل البدء فى البناء، وهو ضرورة الانتقال من جو الإرهاب والاعتقالات والظلم والتعذيب والتفزيح، إلى جو من الأمن والأمان والعدل والاستقرار والاطمئنان لكى نطلق الطاقات فى البناء وهى أمة.

وأكد أن النظام الحاكم هو الذى يستطيع أن يوقف وينهى جو الإرهاب، وهو الذى يستطيع أن يصعده إذا شاء لغرض فى نفسه.

* ثم دعا أهل الفكر والرأى والتجربة، للقيام بالحوار والدراسة الهادئة لمعرفة أسباب ظاهرة الإرهاب، وكيفية علاجها، والوقاية منها، وقال: إن التيار الإسلامى الذى تملؤه الرغبة فى بناء هذا الوطن، يرحب بكل حوار بناء يوصل إلى الحق، وإلى ما فيه مصلحة الوطن، وقال: المهم أن يكون النظام الحاكم على استعداد للتزول على ما تخرج به هذه الدراسة من توصيات وإجراءات.

* وطالب بوقف معاول الهدم كى يمكن البناء، وأبدى استنكاره لمعاول الهدم الرسمية أو الحكومية، واستغرب أن تكون الحكومة مسئولة عن بناء الوطن وفى نفس الوقت تهدم الوطن والمواطن بمعاول هدم مدمرة ومخربة.. مثل الخمر والميسر والمخدرات والإعلام وغيرها..

* وأخيراً.. فإن أستاذنا بهذه الرسالة ومن خلال مقالاتها العشر أراد أن يوضح للمجتمع أن قضية بناء الوطن من أهم القضايا التى يجب أن تشغل بال كل مخلص لهذا الوطن، وأن أفراد التيار الإسلامى - بمواصفاته التى ذكرها - هم من أخلص أبناء الوطن لوطنهم، وأنهم سيكون لهم الدور الأساسى فى بناء هذا الوطن، ولكى يقوم البناء على أساس متين فيانه يحتاج إلى الأيدى المتوضئة، والعناصر الورعة التى تتعبد إلى الله بإسهامها فى البناء.

١٨- من التيار الإسلامى إلى شعب مصر:

هذه الرسالة هى سلسلة من المقالات التى كتبها أستاذنا مصطفى مشهور فى جريدة الشعب فى جو الانتخابات لمجلس الشعب، والتى تم فيها التحالف بين الإخوان المسلمين وحزب العمل وحزب الأحرار، والتى رفع فيها شعار: [الإسلام هو الحل] هذا الشعار الذى تجاوب معه الشعب المصرى المتدين بطبعه، وبعد نجاح ستين نائباً من التحالف منهم ستة وثلاثون من الإخوان، رغم ماتم من تدخل سافر للحيلولة دون النتيجة التى تعبر عن التمثيل الحقيقى للشعب، فى هذه السلسلة مجموعة من النصائح الغالية للشعب المصرى.

* أما الهدف من هذه المقالات فقد كتبه أستاذنا وأوضحه على صفحة مستقلة فى مقدمة الرسالة وهو [ما الهدف؟] أوضح للقراء أن القصد من هذه التوجيهات تحت هذه العنوان هو: تحقيق الالتحام الكامل، والتعاون التام بين التيار الإسلامى والشعب للنهوض بالوطن، والتعرف على الداء وتشخيص الدواء، والتعاون فى إقامة البناء على أساس سليم متين بإذن الله.

* وكتب الشيخ محمد عبدالله الخطيب تقديمًا قيمًا لهذه الرسالة قرر فيه أن من حق الأمة المسلمة على دعائها [النصيحة] وقد رأى فى توجيهات الحاج مصطفى مشهور ونصائحه لشعب مصر، توجيهات إمام الدعوة فى القرن العشرين الإمام الشهيد حسن البنا، فالمشكاة واحدة، واقتبس لنا نموذجًا رقيقًا رقيقًا يدل على مدى حب الإمام وإخوانه للناس وحب الخير لهم إذ يقول الإمام^(١): [يتساءل كثير من الناس من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا، ووقفنا لخيرهم والعمل لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا وفتينا فى هذه الغاية - غاية إسعاد أمتنا وإخواننا - أموالنا وأنفسنا، وذهلنا فى سبيلهم عن أبنائنا والحلائل، وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الإخوان المتسائلون على شباب الإخوان المسلمين، وقد سهرت عيونهم والناس نيام وشغلت نفوسهم والخليون هجع، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً، مفكرًا، مجددًا، ولا يزال كذلك طوال شهره حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده ميورداً لجماعته، ونفقته نفقة لدعوته وماله خادمًا لغايته، ولسان حاله يقول لبنى قومه الغافلين عن تضحيتهم: لا أسألكم عليه أجرًا، إن أجرى إلا على الله، ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ولها، وإنما نتوسل إليها بهذه النصيحة أن تفقه دعوتنا، وتستجيب لندائنا].

وأن مصطفى مشهور قد بين فى رسالته الداء ووصف الدواء، وهذا من حق الأمة الإسلامية على دعائها، ففى هذه التوجيهات الخير الكثير من إحياء العقيدة، إلى الشعور

(١) رسالة: إلى أى شىء ندعو الناس.

بالمسئولية، إلى تصحيح الخلل، إلى الرجاء في عودة الناس إلى ربهم، إلى بيان العلاج وهو البدء بإصلاح النفس ثم دعوة الغير [أصلح نفسك وادع غيرك] ثم بعد إصلاح أنفسنا نستطيع أن نشيد القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء الإسلام.

أما أستاذنا الحاج مصطفى فيقول عن رسالته هذه ملخصاً لها:

أردت أن أوضح لأبناء وطننا العزيز مصر أن التيار الإسلامى رغم ما تعرض له من نظم الحكم المتتالية، من اضطهاد، وإيذاء، وتعذيب، وتشريد، وقتل . . . سيظل يحمل لهذا الوطن كل الحب والإخلاص، والرغبة الصادقة فى إصلاح كل فساد، وبناء هذا الوطن على أساس سليم من شرع الله الحنيف الذى يضمن له أمنه واستقراره وازدهاره ومكانته.

وأردت كذلك أن يتجاوب معنا جماهير شعبنا، فى التخلّى عن كل المبادئ الأرضية، التى لم نذق من تطبيقها إلا كل شقاء وتدهور، وأن يزداد الشعب قناعة بأن: [الإسلام هو الحل]، والحل الوحيد لكل مشاكلنا، وأن التغيير يبدأ من أنفسنا لكى نتفق مع سنة الله فى التغيير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لابد من عودة إلى الله وأن نكف عن مبارزته بالمعاصى والكبائر، ونريد من المواطنين ألا يُخدعوا بالوعود الكلامية، وأن يحاسبوا المسئولين، وأن يحسنوا اختيار ممثليهم، وأن يستشعروا مسئوليتهم أمام الله، ومسئوليتهم عن الأجيال التالية؛ بأن يهيئوا لهم مستقبلاً سعيداً آمناً رخاء. نريد أن يتلاحم أبناء الوطن وأن يتكاتفوا للقيام بالبناء، وأن ينبذوا الفرقة والخلاف، وأن يكونوا على حذر من أعداء الوطن وأعداء الإسلام وعملائهم.

نريد أن يستشعر الجميع الخطر المحدق بالوطن، لو استمر الحال على ما هو عليه فلا بد من تدارك الأمور وإحياء روح التعاون والحب والوحدة . . . وبالله التوفيق].

هذه خلاصة رسالته: [من التيار الإسلامى إلى شعب مصر].

فى نهاية هذا العرض السريع المبسط واللمحة الخاطفة للرسائل التى يحويها كتاب (من فقه الدعوة) للداعية المجرب الذى عاش لدعوته ومات فى سبيلها، الحاج مصطفى مشهور . . . لا يسعنى إلا أن أنقل ما قاله الشيخ محمد عبدالله الخطيب -الذى هو أقرب إليه منا، عاش معه وعاشه وعرفه وأحبه، وقدم له بعض رسائله، وذاق حلاوتها وأدرك قيمتها، فأوصى الدعاة وخصوصاً الشباب فقال: [جدير بمثل هذه الرسائل أن تُقرأ من الألف إلى الياء، وأن يُدرس كل ما فيها من توجيهات غالية، وأن يعمل بها الإخوة فى حياتهم وفى كل تصرفاتهم.

إن الرسائل التي تصدر عن دعاة الحركة الإسلامية لهي خير دواء للشباب، لأنها تتميز بالفهم الصادق الصحيح، من خلال الممارسات والعقبات التي مر بها الدعاة، والظروف التي أحاطت بالدعوة، فكل عبارة فيها إنما هي بلسم وزاد على الطريق^(١).

أما عن أسلوب الكتاب ولغته . . فكما قال الأستاذ عمر التلمساني في تقديمه :

[أما عن لغة الكتاب، فأقل ما توصف به أنها السهل السهل، المعبرة فيه كل كلمة عما قصد منها، لا تكلف ولا فيهقة، ولكنك تقرأ فتفهم، إذ إن المعنى يصل إليك في أيسر لفظ وأبسط كلام، لا يحتاج القارئ له إلى أكثر من أن يقرأ ليعلم فيعمل]. وكما قال أيضاً عن مؤلفات الإمام البنا خصوصاً والإخوان عمومًا :

[لم يعن الإمام الشهيد بالمطولات من التأليف ولكنه ركز ما أفاض الله به عليه من علم في رسائل مركزة موجزة، فكفى المؤمن العامل زاداً يعينه على اجتياز المفاز الفقهية أمنا مطمئناً، فهدى الله به الملايين من المسلمين وبخاصة الشباب المتطلع إلى قدرة هذا الدين .

وعلى هذا النمط السهل الممتنع درج الإخوان المسلمون فيما يقدمون للناس من مؤلفات من إيجاز وشمول . . ومن يسر ودقة في الأداء والمعنى، بعيدين كل البعد عن المطولات التي لا يقوى على استيعابها إلا أقل القليل].

في ختام هذا الفصل أود أن أتخير بعض الأمور في التجديد الفكري للجماعة، وهي في نظري تعد من أهم الأمور التي عنى بتجديدها أستاذنا العظيم مصطفى مشهور، ونذكر منها على سبيل المثال :

- ١- الرؤية الواضحة : بمعنى وضوح الرؤية لسالك الطريق ليكون على بينة وبصيرة .
- ٢- الاستمرارية : وهي تحرى الضمانات التي تحقق استمرارية الدعوة .
- ٣- النمو والقوة : وترمى إلى الاتساع المطرد للساحة التي تشملها الحركة، وقوة بنیان الحركة وأفرادها وأجهزتها .
- ٤- المحافظة على الأصالة : وهي التمسك بالإسلام وعدم مخالفته نظرياً أو تطبيقياً .

(١) ويقول الأستاذ لاشين أبو شنب في حوار غير مسجل [لقد أسهم مصطفى مشهور بما كتب في إعادة البناء الفكري]. ويقول الدكتور محمود عزت : [كتبه كانت مخاض لممارسته العملية لدعوته في حياته وليس مجرد فكر، وكل العناوين في كتاباته لها مناسبات حدثت وتجاوب وقعت].

أهم المحاور في التجديد الفكري

[١]

الرؤية الواضحة^(١)

إن من أول القضايا وألزمها التي يجب على من يسلك طريق الدعوة أن يوليها اهتمامه هي: الرؤية الواضحة لطريق الدعوة والتعرف على معالنه وعلى كل ما يتصل به ليكون على بينة من الأمر عند أول خطوة وهي كما يلي:

١- وضوح الغاية:

وضوح الغاية أصل القضية ومدار النجاح والفلاح، فالله هو الغاية ونسعى بسلوكنا طريق الدعوة إلى نيل رضوانه ونعيمه والنجاة من النار استجابة لنداء الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١) تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٣) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

فمن أراد مغنم دنيوية أو زعامة أو جاهاً أو غير ذلك، فليبحث له عن طريق آخر غير طريق الدعوة، فطريق الدعوة يطلب ممن يسلكه أن يبذل ويضحى بالنفس والمال، بل بكل ما يملك من وقت وجهد وصحة وعلم وغير ذلك، طمعاً في ثواب الله. وهذا الأمر يستتبع دوام إخلاص النية، ومقاومة أمراض القلوب التي تفتك بصاحبها وتجبط عمله وتبعده عن صف الصادقين المخلصين.

٢- وضوح الهدف:

والهدف من سلوك طريق الدعوة هو: [التمكين لدين الله في الأرض، بإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية]. ولاشك أن هذا الهدف يعتبر أعظم إنجاز يمكن أن يتحقق في حياة البشر. إننا نسعى لإقامة دولة الإسلام العالمية، قاعدتها الساحة الإسلامية، تحكّم شرع الله وتمكن لدين الله وتنصدي لكل قوى الباطل، وتبلغ دين الله للناس كافة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

(١) من فقه الدعوة ج/١ - ص ٣٤٩-٣٥٥ بتصرف.

إن وضوح الهدف بهذه الصورة لمن يسلك طريق الدعوة أمر ضروري، لكي يعرف الحجم الحقيقي لهذا الهدف، فلا يستكثر الجهود والتضحيات المبذولة في سبيله، كما لا يستبطن الزمن، فالزمن في مثل هذه الأهداف لا يقاس بأعمار الأفراد ولكن يقاس بأعمار الدعوات والأمم. ومن ثم لا يداخله يأس أثناء سيره على الطريق إذا طال الوقت دون أن يرتفع بناء الدولة المنشودة.

وحول هذا المعنى يحدثنا الإمام الشهيد في رسالة المؤتمر الخامس فيقول: (إن طريقكم هذه مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة، ولكن ليس هناك غيرها، وإنما تظهر الرجولة بالصبر والثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها، فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة، وتنبت الشجرة، وتصلح الثمرة، ويحين القطف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه إحدى الحسينيين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة).

إننا لا نهدف إلى إقامة حكومات إسلامية ضعيفة غير متماسكة، يستطيع الأعداء أن يقضوا عليها الواحدة بعد الأخرى، ولكننا نهدف إلى إقامة دولة إسلامية عالمية قوية قاعدتها الساحة الإسلامية، تجمع كلمة المسلمين، وتصمد أمام قوى الباطل، وتسترد كل شبر اغتصب من أرض الإسلام وعلى رأسه المسجد الأقصى، وتنشر دين الله في الأرض.

فمن يتصور أن الهدف مجرد إقامة حكومة إسلامية محلية ولا شأن لهم بغيرهم، تكون نظرتهم قاصرة وعملهم مبتوراً، وقد تدفعهم هذه النظرة إلى التسرع أو اللجوء إلى أسلوب الأحزاب السياسية، فيغلبون الجانب السياسي على الجانب التربوي، ويهتمون بالكم دون الكيف، إلى غير ذلك من التجاوزات.

٣- الشعور بوحدة المسلمين،

ووضوح الهدف على حقيقته وضخامته أمر أساسي من زاوية أخرى وهو الشعور بوحدة المسلمين، وأن المسلم مسئول عن كل ما يهم المسلمين جميعاً، وليس بنى قطره فقط، وأن العمل لتحقيق هذا الهدف واجب على كل مسلم ومسلمة «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١). وغنى عن البيان أن مثل هذا الهدف لا يمكن أن يتم بالعمل الفردي، ولا بد من

(١) جزء من حديث ضعيف، ضعفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٢/ ٢٦١ وقال عنه الألباني ضعيف جداً في سلسلة الضعيفة ١/ ٤٨٠.

العمل الجماعى والجماعة التى تنظم الجهود الفردية وترسم خطوات العمل، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

فيعلم سالك الطريق أن العمل فى الجماعة واجب وليس أمراً اختيارياً .

٤- وضوح الرؤية فى الالتزام بالجماعة؛

والرؤية الواضحة فى أول الطريق توضح أن العمل فى جماعة له شروطه وعهوده والتزاماته التى لا بد منها لضمان سير العمل وتضافر الجهود فى الاتجاه الصحيح . وبناءً على ذلك يجب على من يسلك طريق الدعوة أن يكون مستعداً للالتزام بهذه الشروط والوفاء بتلك العهود .

وقد حدد الإمام البنا الأمور الأساسية التى يجب أن يلتزم بها من يسلك طريق الدعوة وأن يعاهد الله على الوفاء بها فى أركان البيعة العشرة، ونجد أن كل ركن منها فى غاية الأهمية لسلامة السير والمحافظة على أصالته وحمايته من الانحراف أو التغيير، سواء كان ذلك بالنسبة للفرد أو الجماعة، فالفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة، كلها لا غنى عن واحد منها للفرد أو للجماعة لضمان السير فى الطريق الصحيح، وقد أثبتت الأيام والأحداث صدق ذلك إذ يصبح كل أخ -وفاءً لبيعته- حارساً أميناً على هذه الأصول من أى تغيير أو تبديل يبعد بها عن الخط الصحيح . وقد ثبت أن الأفراد الذين تخلفوا أو خرجوا على الصف وحُرموا هذا الخير وذلك الشرف، كان بسبب نكثهم فى ركن أو أكثر من أركان البيعة .

٥- الارتباط والولاء بالجماعة وللجماعة؛

الوفاء بأركان البيعة يعنى أن الارتباط والولاء يكون بالجماعة وللجماعة وليس بأشخاص ولا لأشخاص، فالارتباط بالأشخاص خطأ فى فقه العمل الجماعى، لما يترتب عليه من تولد محاور حول أشخاص، ولذلك أثره السىء على وحدة الصف، ثم إن الحى لا تؤمن عواقبه، وحتى لا يترتب على انحراف شخص انحراف آخرين تبعاً له .

٦- المحن والابتلاءات تولد الثقة والاطمئنان؛

والرؤية الواضحة لطريق الدعوة وما فيه من عقبات ومحن وابتلاءات، تولد عند سالك الطريق الثقة والاطمئنان عندما يتعرض لتلك المحن، لأنها دليل على سلامة السير، ولأنها من علامات الطريق، فهى سنة الله فى الدعوات الحققة، ويزيد الاطمئنان أيضاً العلم بأن هناك عوامل نجاح لن تقف أمامها تلك العقبات وأن النصر يعقب المحن والإيذاء ﴿ وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنفَكُوا ﴾

نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿ [الأنعام: ٣٤] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] .

ولقد كان الإمام الشهيد واضحاً معنا حينما صارحنا أننا سنلقى خصومات من كثير من الناس ومن الحكومات وستعرض للسجن والاعتقال والتفتيش والإيذاء، وأنا عندما نتعرض لذلك نكون قد بدأنا نسلك طريق أصحاب الدعوات، وقال: وقد يطول بكم الامتحان، فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟ . وقد حدث ما توقعه . . وتوالت المحن والابتلاءات، وأعان الله الإخوان وثبتهم واتخذ منهم شهداء، وكان الإمام البنا واحداً منهم، وبقيت الدعوة رغم ذلك وستبقى بإذن الله أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

٧- وجود عقبات ومحن ومنعطفات على طريق الدعوة:

الرؤية الواضحة لطريق الدعوة تبين وجود عقبات ومحن ومنعطفات يمكن أن تنحرف بمن لا يتحرز منها عن الطريق وتسلمه إلى الضياع، وقد تكون هذه المنعطفات فكرية أو حركية أو شخصية . فالعلم المسبق بها ينبه سالك الطريق إليها فيتحرز منها . وقد ظهرت صور لهذه الانحرافات الفكرية والحركية من بعض الأفراد في بعض المواقع وأثبتت الأيام والتجارب خطأها، ومثال ذلك: فكر التكفير الذي ظهر بين بعض الأفراد داخل السجون في مصر في أوائل الستينيات وقد وقفت الجماعة ومرشدها في ذلك الوقت الوقفة الحاسمة بتغيير هذا الفكر وتوضيح مخالفته شرعياً وحركياً، فعدل عنه الكثيرون، ولما أصر البعض قيل لهم: ليس هذا فكر الجماعة وعلى من يصر عليه أن يبحث له عن جماعة أخرى .

٨- وضوح الرؤية للمناهج والوسائل يحمي من الانحراف والتجاوز:

فتحديد أسلوب التربية والتدرج في الخطوات وإعداد القاعدة من الفرد والبيت والمجتمع وعالمية الدعوة وغير ذلك من خصائص الدعوة، يحمي من الانحراف والخطأ، وقد ظهر في بعض المواقع من غلبوا الجانب السياسي على الجانب التربوي في حركتهم ظناً منهم أن هذا يختصر لهم الطريق، ثم كانت النتيجة غير ما يظنون، وهناك من أثروا الإقليمية في حركتهم دون العالمية، فوجدوا أنفسهم معزولين وتعرضوا لمحاولات احتواء من بعض الأنظمة .

٩- اختيار الطريق عن اقتناع كامل:

والرؤية الواضحة لطريق الدعوة تستتبع أن يكون اختيار من يسلكونه عن اقتناع كامل

منه بعد تبين واطمئنان ، فاختيار الطريق وسلوكه قضية مصيرية وليست فرعية فى حياة الفرد ، فواجب عليه أن يتحرى ويستوثق قبل أن يسير وألا يندفع فى السير وراء أى شعار أو لافتة جذابة .

ومما يعين على التبين وحسن الاختيار ، نقدم بعض الصفات الأساسية اللازم توفرها فى الجماعة التى تسير على طريق الدعوة السليم .

أ- أن يكون فى منهاجها وأهدافها إقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة .
ب- أن يكون فهمها للإسلام فهماً شاملاً نقياً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بعيداً عن أى اجتزاء أو خطأ أو انحراف .

ج- أن يكون طريق تحقيقها لهدفها هو نفس طريق رسول الله ﷺ فى إقامة الدولة الإسلامية الأولى ، حيث قام على الأسس الثلاثة الآتية وبهذا الترتيب : قوة العقيدة والإيمان ، وقوة الوحدة والأخوة ، ثم قوة الساعد والسلاح . . فأى جماعة تفقد أياً من هذه القوى أو تخل فى ترتيبها لا تصلح للسير معها .

د- عالمية الحركة وألا تكون إقليمية ، إلا أن تنسق مع الحركة العالمية .

[٢]

الاستمرارية^(١)

نرى كثيراً من الدعوات أو الجماعات أو الأحزاب تظهر وتقوى ثم تنتهى وقد تنتهى قبل أن تقوى ويختفى كل أثر لها، ويرجع ذلك لأسباب مختلفة، منها:

- ١- عدم أصالتها وأحقيتها بالبقاء .
 - ٢- سوء التخطيط .
 - ٣- عدم وضع ضمانات لاستمرارها وتخطيها للعقبات .
 - ٤- عدم قدرتها على مقاومة كيد الخصوم لها، ومحاولاتهم القضاء عليها .
- وعندما نتحدث عن الاستمرارية لدعوتنا وجماعتنا، إننا نعنى الحديث عن الضمانات الواجب الأخذ بها لتحقيق هذه الاستمرارية، والحديث عن محاولات الأعداء للقضاء عليها، وكذا الأسباب الداخلية التي تؤدي إلى الفشل وكيفية تلافيتها .

إن المحن والابتلاءات التي تتعرض لها الجماعة من قبل أعداء الله إنما يهدفون من ورائها القضاء على الجماعة وإيقاف الحركة بالدعوة، لهذا يعتبر استمرار الدعوة رغم المحن هو نصر تلك المرحلة، وعدم الاستمرار - لا قدر الله - هو الهزيمة، والمقصود بالاستمرار هو: (وجود من يحملون الدعوة ويسعون لتحقيق أهدافها ويورثونها إلى غيرهم)، وبقاء أخ واحد متمسك بها ويعمل لها يعنى استمرارها وبقائها، فما بالناس - والله الحمد - وقد أكرمنا الله بهذه الأعداد الوفيرة على الساحة .

يتمحور كلام أستاذنا عن الاستمرارية في عدة أمور هي:

- ١- محاولات الأعداء للقضاء على الدعوة .
 - ٢- الضمانات الواجب الأخذ بها لتحقيق استمرارية الدعوة .
 - ٣- الأسباب الداخلية التي تؤدي إلى الفشل وكيفية تلافيتها .
- وعند تناوله للموضوع يتحدث عن محاولات الأعداء، ثم يردف حديثه بالضمانات التي تحقق استمرارية الدعوة، ونضع هذا الحديث تحت عنوان: (الأسباب الخارجية وحماية الدعوة منها).

(١) من فقه الدعوة ج/١ ص ٣٥٦-٣٦٤ بتصرف.

• الأسباب الخارجية وحماية الدعوة منها:

* من أساليب الأعداء للقضاء على الحركة، محاولة احتوائها والسيطرة عليها والتحكم في مسيرتها، وقد حاول المشركون ذلك مع رسول الله ﷺ وعرضوا عليه المال والسلطان وغير ذلك ليترك هذه الدعوة، ولكنه رفض فما كان له أن يساوم على دعوة الله أو يتخلى عنها.

- وقد نبهنا الإمام الشهيد إلى هذا المعنى عند حديثه عن الشخصية القوية اللازم توفرها لمن يسعون لنهضة الأمم، فبعد أن تحدث عن الإرادة القوية التي لا يتطرق إليها ضعف وعن الوفاء الذي لا يعدو عليه تلون ولا غدر وعن التضحية العزيزة التي لا يحول دونها طمع ولا شح قال: (ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يحول دون الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره، فلتكن معرفتنا لهذا الدين وإيماننا به وتقديرنا له على أفضل صورة كى نواصل السير ثابتين دون خطأ أو انحراف أو مساومة أو خديعة بغيره، وهل هناك أفضل من دين الله الحق . ٢٠).

* ومن أساليب الأعداء لصرف العاملين للإسلام عن مواصلة السير، التشكيك وإصاق التهم بالجماعة أو بالقيادة أو بالمنهج والوسائل أو غير ذلك، والواجب على الأفراد ألا يتأثروا بمثل هذه الأساليب، وإن بدا لأي فرد ما يستحق التبين والاستيضاح، فعليه أن يسارع إلى ذلك ولا يبقى في صدره شيئاً يحيك فيه، وعلى المسئولين أن يوضحوا الأمور والمواقف لإخوانهم.

- ومن المفيد أن يكون واضحاً أن أسلوب التشكيك وإصاق التهم الزائفة ليس جديداً ولكنه قديم، فقديمًا قال فرعون: ﴿ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]. وقال المشركون في جزيرة العرب عن سيدنا رسول الله ﷺ: إنه ساحر وكاذب ومجنون وشاعر وكاهن. ولكن نور الحق الذي جاء به موسى ومحمد عليهما السلام لا تحجبه هذه التهم الباطلة من أن يصل القلوب فينيرها.

* ومن أساليب الأعداء لصرف المؤمنين عن إيمانهم وعن مواصلة السير بالدعوة: الإرهاب والتهديد والإيذاء. فقديمًا قال فرعون لموسى بعد إيمانهم: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١].

- ولكن من يباشر الإيمان قلوبهم لا يرهبهم هذا التهديد وذلك الوعيد فكان ردهم القوي: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَيْنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٧٢] ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

* ثم جاء تحريض الملا من قوم فرعون: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذِرْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَرْضَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أبنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

- فجاء التوجيه الرباني لهم على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- ثم كان المنطق البشري من قوم موسى تعبيراً عما تعرضوا ويتعرضون له من إيذاء وتعذيب وكأنهم يقولون حتى متى يستمر هذا التعذيب والإيذاء: ﴿ قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فيكون الرد المطمئن الذي حمل البشري: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، وكانت النتيجة أن أهلك الله فرعون وجنوده، وأورث القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاريها. وسن الله لا يتبدل. . . وستحقق بإذن الله في عصرنا، هذا إن استعنا بالله وصبرنا.

وقد تعرض رسول الله ﷺ والمسلمون في مكة إلى الإيذاء والتعذيب حتى استشهاد ياسر وسمية رضي الله عنهما، وثبت الله عباده المؤمنين وصبرهم فلم يتخلوا عن دعوة الله فقد تذوقوا الحق فلم يعدلوا عنه، ولم يستطع الإرهاب أن يقضى على الدعوة أو يوقف مسيرتها.

وفي عصرنا الحديث تعرض الإخوان مرات متكررة إلى صنوف من الإيذاء والتعذيب واستشهد العشرات بل المئات تحت السياط أو بالرصاص أو فوق أعواد المشانق أو تحت أنقاض البيوت والمساجد أو دفنوا أحياء، ورغم ذلك كله بقيت الدعوة والحركة وثبت الله الإخوان وصبرهم وواصلوا السير والعمل على طريق الدعوة رافعين الراية عالية ليسلموها لمن وراءهم من الأجيال هكذا عالية. . . حتى يتحقق وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين.

* ويلجأ أعداء الله إلى قتل قيادات الجماعة أو حبسها ظناً منهم بذلك يقضون على الجماعة أو على الأقل يوقفون مسيرتها، فالحقيقة أنهم واهمون في ذلك، فحين قتلوا حسن البنا منسبى الجماعة لم يقضوا على الجماعة لأنها لم تكن دعوة حسن البنا ولكنها دعوة الله، والإخوان الذين ارتبطوا بها لم يرتبطوا بها لشخص حسن البنا ولكن لله سبحانه وتعالى والله حي لا يموت، ويذكرنا ذلك بقول أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»^(١).

(١) رواية صحيحة أخرجه البخاري عن عائشة ورواية عن معاوية بن أبي سفيان وكذلك رواه ابن ماجه في سننه ص ٢٧٢ برقم ١٣١٩، والبيهقي في شرح السنة ٥/٣٢٣.

* ويحاول أعداء الله أن يحولوا دون استمرارية الدعوة والحركة، بصرف الأجيال الناشئة عنها، بمنح الأنشطة العامة وعمليات التضييق والملاحقة ظناً منهم أنهم بذلك يجفون المتابع التي تغذى الحركة بالعناصر الجديدة، حتى إذا انقرض الجيل الذي يحملها تنتهي معه الحركة ولا تستمر إلى القلوب وهم بذلك واهمون أيضاً، فإن دعوة الله نور يسرى إلى القلوب، بكل الوسائل ولن يستطيعوا أن يحولوا بينه وبين إشعاعه في القلوب: ﴿بُرِيدُونَ لِيُظْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. والواقع يؤكد ما نقول، فرغم هذه التضييقات وهذا الكيد الذي وصل إلى حرق كل الكتب التي تمت للجماعة بصلة من قريب أو بعيد، ولكن مع ذلك سرت هذه الدعوة إلى القلوب، وكانت المحن دافعاً للكثيرين كي يتعرفوا على دعوة الإخوان وينضموا إليها.

* وقد يلجأ الأعداء إلى تأليب بعض التجمعات الإسلامية ضد الجماعة وإثارة الخلافات والاحتكاكات بين الأفراد، وإذا لم تعالج هذه المحاولات بالحكمة يمكن أن تؤدي إلى مشاكل وانقسامات تضعف مسيرة الحركة أو قد تؤدي إلى توقفها، وما يمليه علينا الإسلام وتعارفنا عليه وأوصانا به الإمام الشهيد، أن تقوم علاقتنا مع غيرنا من الجماعات والهيئات الإسلامية على الحب والمودة والتفاهم والتعاون، وألا نكسب عداوة أحد أو جماعة ولو فرض وصدر من أي منها إساءات إلى جماعتنا أو إلى قيادتها، لا نقابل ذلك بالمثل. . . ولكن نصبر ونحسب ونتمثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. وقد أثبتت التجربة أن هذا أفضل أسلوب في تفضي المشاكل والسلبيات المترتبة على الدخول في مساجلات واحتكاكات، وكى يبقى الباب مفتوحاً لمن يقى ويتضح له خطؤه.

* وقد يلجأ بعض ذوى الأهواء والأغراض المعادية إلى أن يندسوا في صفوف الجماعة، ويبدون التزامهم بهدف الوصول إلى مراكز تأثير ومواقع مسئولية، ثم يحدثون قلاقل وفتناً أو انحرافاً أو غير ذلك مما يحول دون الاستمرارية المستقيمة، لذلك يلزم الدقة في توفر الشروط الواجبة خاصة لمن يختارون لمواقع المسئولية دون مجاملة.

•• الأسباب الداخلية وحماية الدعوة منها:

* ومن أهم هذه الأسباب: (إهمال جانب التربية والناحية الروحية)، وقد يحدث هذا بتغليب الجانب السياسى أو الإدارى عليها.

وإذا اعتبرنا الدعوة أو الحركة كشجرة فإن التربية وتزكية الجانب الروحي بمثابة الغذاء والرى لتلك الشجرة، ويمكن أن تتعرض للجفاف إذا قل غذاؤها وريها، ولكنها تحيا وتستمر وتنمو إذا استمر غذاؤها وريها دون انقطاع، ويرجع ذلك إلى الإيمان وهو الحياة للفرد وللجماعة، لأن حياة الإنسان الحققة هي حياة قلبه بالإيمان لا حياة الجسد الفانى، الإيمان هو الذى يولد فى نفس صاحبه كل معانى الحياة فيفجر طاقات الخير والعمل والتضحية والصبر والتحمل وكل ما يحتاجه الفرد وتحتاجه الجماعة لمواصلة المسيرة لتحقيق الأهداف العظيمة التى نشدها، وتتوفر الإيمان يتولد الحب والتعاون والتناصح والإنتاج وينمو رصيد الحركة وخبرتها وحيويتها. والتربية هي الوسيلة لتقوية الإيمان، فكل الوسائل التربوية يجب الاهتمام بها لتظل شجرة الدعوة ناضرة حية تنمو وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

والفرد له دوره مع نفسه فى جانب التربية، ثم الدور الجماعى مع إخوانه، ويلزم التنبيه واليقظة بحيث لا تشغله أى ظروف جديدة عن ممارسة التربية على كل المستويات.

* ومن أخطر الأسباب التى تؤدى إلى توقف السير بل إلى الفشل هو (الخلاف والتنازع داخل الصف) وقد حذرنا الله من ذلك فقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد اهتم الإمام الشهيد كل الاهتمام بتفادى ذلك، فكان يؤكد دائماً على الأخوة والحب ودعمه، والتحرز من كل ما ينال منه، وجعل الأخوة ركناً من أركان البيعة، وذكر أن أعلى مراتبها الإيثار وأدناها سلامة الصدر. فواجب كل أخ ألا يبيت وصدرة غير سليم نحو أحد من إخوانه، حتى لا يتعرض إلى النكت فى هذا الركن من أركان البيعة.

ولعله من المفيد أن نعرض إلى بعض الأسباب التى تؤدى عادة إلى الخلاف والتنازع كى نتحرز من الوقوع أو الإسهام فيها:

أ- الاختلاف فى فهم الإسلام:

وقد سبب ذلك فى الماضى خلافات وظهور فرق وطوائف ومدارس فكرية مختلفة، ولما كان العمل يركز على الفهم فاختلف الفهم يمكن أن يحدث تضارباً فى مجالات العمل وتصادماً. لذلك حرص الإمام الشهيد على وحدة الفهم وجعل الفهم ركناً من أركان البيعة، بل الركن الأول، ووضع له أصولاً عشرين كإطار يحمى هذا الفهم من أى اجتراء أو انحراف أو خطأ، وبناء عليه لزم على كل أخ وفاء لبيعته ألا يخالف هذا الفهم من أى محاولة للتبديل أو التغيير يحاولها البعض من خارج الصف أو من داخله بحسن قصد أو بسوء قصد. ويلزم الحزم أمام أى ظاهرة من هذا النوع وعدم التساهل أو المجاملة، وقد ظهر فكر التكفير

بين الإخوان في بعض السجون نتيجة فهم خاطئ، وتحت ظروف التعذيب والضغوط . وقد بذلت الجهود الطيبة لتفنيده وتوضيح خطئه بإشراف الأستاذ حسن الهضيبي -رحمه الله- المرشد العام في ذلك الوقت، وعدل الكثيرون عن هذا الفكر، ولما أصر البعض عليه قال لهم الأستاذ الهضيبي: (ليس هذا فكر الإخوان، وإذا كنتم مصريين عليه فابحثوا لكم عن لافتة غير لافتة الإخوان لتعملوا تحتها).

ب- الاختلاف حول أساليب العمل والحركة:

وقد يحدث الخلاف حول أساليب العمل والحركة وحول التعامل مع الظروف والأوضاع القائمة، واختلاف الآراء في هذه الأمور ليس عيباً، بل دليل على انشغال الأفراد بأمور الحركة، ولكن النظم واللوائح تنظم القنوات التي تتم من خلالها الشورى وعرض الآراء ومبرراتها بكل حرية ثم حسم الخلاف وترجيح الآراء الأفضل للدعوة، ثم ينزل الجميع عليها، ولا يجوز بعد ذلك لأصحاب الآراء المخالفة للرأى الذى انتهى إليه أن يتحدثوا أو يتحركوا بأرائهم بين القواعد، لما يحدثه ذلك من بلبلة واهتزاز في الثقة بالقيادة وقرارتها.

ج- الاختلاف لأمور شخصية:

وقد يحدث الخلاف لأمور شخصية بين الأفراد، بأن يتزغ الشيطان بينهم، ولا يتدارك الأمر في حينه فيتعمق الخلاف وتتولد محاور حول الأطراف المتنازعة، وتتسع دائرة الخلاف لتشمل مجموعات بعد أن كانت بين أفراد، ويفرض هذا الخلاف نفسه على المسؤولين ومؤسسات الجماعة ويكون على حساب العمل والإنتاج مما قد يؤدي -لو طال عليه الوقت- إلى التوقف والفشل.

والواجب أن يحرص كل فرد على حبه وإخوته، وألا يصدر منه ما يسىء إلى أحد منهم والواجب على من أسىء إليه ألا يغضب لنفسه وأن يعفو ويصفح، وعلى الآخرين أن يصلحوا بين أخويهم، وهكذا تُعالج هذه الظواهر في حينها وعلى ضوء تعاليم الإسلام وأدابه.

* الشعور بالإحباط في نفوس العاملين: ومن الأمور التي قد تؤدي إلى الفتور وعدم الاستمرار، الشعور بالإحباط في نفوس العاملين عندما تحدث هزيمة أمام العدو في معركة، وهذا ما يجب ألا يكون، فقضيتنا كبيرة وطريقنا طويل ومعاركنا مع الأعداء متكررة وممتدة، وعندما هُزم المسلمون في أحد بعد انتصارهم الأول، نزل القرآن ليرفع من معنويات المسلمين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ**

الْقَوْمَ قَرِحَ مَثَلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]﴾. ودعاهم الرسول ﷺ لملاحقة الأعداء وذلك في معركة (حمراء الأسد) بعد أحد بثلاثة أيام رغم جراحهم، فلبوا ولم يتخلف أحد.

فالهزيمة ليست الهزيمة في معركة، ولكن الهزيمة هي هزيمة النفوس، وهذا ليس من شيم المؤمنين الصادقين الذين يعلمون أنهم يستمدون العون والتأييد والنصر من الله سبحانه وتعالى الذي له جنود السماوات والأرض، ولو شاء الله لانتصر من الأعداء ولكنه الامتحان: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وأخيراً.. نؤكد أن استمرارية الحركة بالدعوة أمر لازم، يجب أن يحرص عليه كل فرد في الصف وأن يواصل سيره مهما كانت العقبات، وفاء لركن الثبات في البيعة، وعلى الجميع أن يتعاونوا في تخطي العقبات والحيلولة دون تمكن أى سبب من الأسباب السابقة ذكرها من تعويق المسيرة أو توقفها، وبالله العون والتوفيق.



[٣]

النمو والقوة^(١)

من القضايا الأساسية التي يجب أن يحرص عليها، نمو الحركة وقوتها مع استمراريتها، فلا يكفي الاستمرار الثابت، ولا يقبل الاستمرار مع التناقص أو الضعف التدريجي. ولكن استمرار يصاحبه اتساع مطرد للساحة التي تغطيها الحركة وزيادة في عدد الملتزمين والمحبين، وكذلك قوة في بنية الحركة وأفرادها وأجهزتها.

●● النمو:

يتقسم النمو إلى:

١- النمو الأفقى:

يكون النمو الأفقى بالسعى الجاد لتوصيل الدعوة إلى أكبر قدر من الساحة الإسلامية بل الساحة العالمية، مع إرساء قواعد لها في تلك البلاد للعمل على كسب أنصار لها يؤمنون بمنهجها ويعملون لتحقيق أهدافها في تعاون وتنسيق بين الجميع. ولا نريد لهذا النمو أن يكون هشاً ضعيفاً غير متماسك، ولكن نريده نمواً قوياً أصيلاً في ظل الوحدة والشعور بالجد الواحد.

والنمو الأفقى في الساحة والعدد مجاله نشر الدعوة، فيلزم الاهتمام بوسائل نشر الدعوة المعروفة من كتب ورسائل وصحف ومجلات ومؤتمرات وندوات، وكذلك حديث مناسب كأشرطة التسجيل المسموعة والمرئية وغيرها. الدعوة الفردية، هي من أنجح الوسائل لنشر الدعوة وكسب الأنصار والمحبين، ويمكن ممارستها في كل الظروف، وخاصة في ظروف التضيق ومنع الأنشطة العامة، ويكفي تدليلاً على أهمية الدعوة الفردية وعظيم أثرها ما قام به مصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ فلو أن كل فرد في الجماعة مارس الدعوة الفردية وصابر عليها لتضاعف حجم الحركة كل فترة بصفة مطردة.

كما نوصي الإخوة عموماً والدعاة خصوصاً أن يسارعوا إلى نشر الدعوة في كل مكان مهما تباعدت المسافات أو كثرت المشاقات، فالمهندس والطبيب والمدرس والواعظ عليهم جميعاً وغيرهم أن يذهبوا إلى البلاد النائية في أفريقيا وآسيا وغيرها، ولا يجوز أن يكون المبشرون أكثر حرصاً وتحملاً للمتاعب من أصحاب الدعوة الإسلامية.

(١) من فقه الدعوة. ج/١ ص ٣٦٥ - ٣٧٤ بتصرف.

٢- النمو الرأسى:

المقصود بالنمو الرأسى، الارتقاء بمستوى الأفراد وتكوينهم، وذلك مجاله التربية بوسائلها المعروفة من دروس وكذا الأسرة والرحلة والكتيبة والمعسكر وغير ذلك، فيتم بناء شخصية الفرد المسلم عقيدياً وعبادياً وأخلاقياً وثقافياً وبدنياً وكل ما من شأنه أن يجعل منه رجل دعوة وجندى عقيدة، والنمو الرأسى يتمثل أيضاً فى اكتساب الخبرة والتجربة فى مجالات العمل فى حقل الدعوة والرقي بمستوى الإنتاج وحجمه، وكما يقول الإمام الشهيد: [نريد الأخ المسلم أن يكون مثال المجاهد المنتج الحكيم الذى يكسب لدعوته أكبر كسب بأقل جهد فى أقل وقت] أو مثل هذا المعنى.

والنمو الرأسى لا يكون قاصراً على الارتقاء بمستوى الأفراد، ولكن أيضاً بأجهزة الحركة ومجالات نشاطها بازدياد الخبرة وأصالة الإنتاج.

●● بعض التنبيهات المهمة:

- ننبه إلى مراعاة التناسب بين وسائل النمو الأفقى ووسائل النمو الرأسى، بمعنى التنسيق بين حصيلة نشر الدعوة والإمكانات التربوية، كى لا يهبط مستوى التربية بسبب كثرة الأعداد الواردة وقصور القدرة التربوية التى تستوعبهم. ولو استدعى الأمر إلى أن نخفف من نشاط نشر الدعوة لتحقيق هذا التناسب، أفضل من النتائج السيئة بسبب هبوط مستوى التربية.

- والنمو المطلوب يجب أن يشمل العناصر الأساسية فى مراحل العمل التى ذكرها الإمام الشهيد وهى: الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم، كى يكون النمو متكاملًا ويحقق القاعدة الصلبة التى يقوم عليها الحكم الإسلامى، وكان التدرج طبيعياً فى تكوين هذه القاعدة، وفى مراحل الحركة الأولى تكون أفراد مسلمون، وبعد فترة أقام هؤلاء الأفراد بيوتاً مسلمة، ولازالت الحركة فى حاجة إلى المزيد من هذه النوعية من الأفراد المسلمين والبيوت المسلمة، أما عن المجتمع المسلم فالعمل لإيجاده بدأ من أول يوم ولازال مستمراً.

- وتلزمنا وقفة أمام قضية إعداد المجتمع المسلم كمرحلة من مراحل البناء، فهناك من يظن حقاً أن المقصود بالمجتمع المسلم أن يتحول كل أفراد المجتمع إلى تلك النوعية من الفرد المسلم أو الأخ العامل النموذج، فهذا أمر يستحيل وليس بالضرورة أن يتحقق. ولكن المقصود بالمجتمع المسلم بعد توفر العدد المناسب من الأفراد المسلمين القدوة والبيوت المسلمة القدوة، أن يكون باقى أفراد المجتمع مسلمين صالحين متجاوبين مع

الحركة الإسلامية وأهدافها مستقبليين لتحكيم شرع الله، وليس بالضرورة أن يكونوا مجتدين في الحركة، فالمجتمع الإسلامي الأول لم يكن جميع أفراد من تلك النوعية التي رباها رسول الله ﷺ في مكة.

- ويخطئ البعض في نظرهم إلى مجتمعاتنا الحالية في أقطارنا الإسلامية، إذ لا يعتبرونها إسلامية وربما يصفونها بالجاهلية أو غير ذلك من الصفات، ويرتبون على ذلك لوناً من الانفصال عنها أو مفاصلتها وقيمون الفجوات والحواجر بينهم وبين هذه المجتمعات، والحقيقة أن ذلك حكم غير دقيق، ثم إن هؤلاء الناس هم حقل الدعوة الذي نعمل فيه لتغييره، وإصلاح ما ناله من فساد بسبب تسلط الأعداء وأعدائهم، ومن بين أفراد تلك المجتمعات نجد للصف، وما العاملون في حقل الدعوة الآن إلا أفراد يسر الله تجميعهم على أيدي من سبقوهم، وهكذا تواصل المسيرة سيرها وتلاحمها.

- ألا يقتصر تعامل الحركة مع هذه المجتمعات على استقطاب أفراد منهم للصف، ولكن تسعى إلى تحويل أكبر عدد من أفراد المجتمع ليكونوا مسلمين صالحين مناصرين ومحبيين للحركة وراغبين في تحكيم شرع الله ولو لم يكونوا منتمين للحركة، وهذا الهدف له وسائله الخاصة التي قد تختلف بعض الشيء عن وسائل التجنيد للصف يلزم الأخذ بها، ومن أمثلة ذلك مجال البر والخدمة الاجتماعية.

- ضرورة عدم الانشغال بأمور إدارية أو تنظيمية عن نشر الدعوة والتربية، ويلزم حسن تسيير العمل وتوزيع الاختصاصات والمتابعة.

- ويجب أن يشمل النمو في الحركة كل فئات المجتمع ونوعياته، الرجال والنساء والشباب والأطفال والطلاب والعمال والمهنيين وعلماء الدين وغيرهم، حتى تقوم قاعدة البناء متكاملة متناسبة، ويهتم أيضاً بإعداد الكفاءات اللازمة في كل مجال أو قطاع.

- وعلى المسئولين أن يتبهبوا أثناء عملية نمو الحركة ألا تتكون جيوب أو تكتلات داخل الكيان العام قد تحدث متاعب أثناء السير.

•• أهمية النمو الأفقي والرأسي للحركة:

- الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه هدف عظيم جداً وهو التمكين لدين الله في الأرض وإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، ولا بد لمثل هذا الهدف العظيم من إمكانات ضخمة وأعداد هائلة من العاملين الصادقين وكذلك من المحبين المتعاطفين، ولا يتحقق ذلك إلا بالحرص على نمو الحركة المتزايد.

- وإذا علمنا أن أعداء الله لا يألون جهداً في التصدي لدعوة الحق ويبدلون جهدهم للحيلولة بينها وبين مواصلة سيرها وتحقيق أهدافها، مما يستوجب علينا الحرص على نمو الحركة وقوتها كي نتمكن من مقاومة الأعداء وإحباط كيدهم .

- قد يلجأ الأعداء وأعدائهم إلى تعطيل الوسائل العامة لنشر الدعوة، بمنع استقطاب عناصر جديدة للحركة، ظناً منهم أنهم بذلك يستطيعون أن يجففوا روافد الحركة ويقضوا عليها تدريجياً، أو تنتهي بانقراض الجيل الذي يحملها، وهم في ذلك واهمون مخطئون لأنهم لن يستطيعوا أن يحولوا دون وصول دعوة الله إلى قلوب الناس، فهى نور الله ولن يطفى نور الله بشر، وعلى الحركة فى مثل تلك الظروف أن تطور وسائلها وتوائم بين متطلبات الدعوة وبين الظروف القائمة ما أمكن ذلك .

- ومعلوم أن طريق الدعوة طويل وشاق وفيه عقبات ومنعطفات، فقد يتوقف البعض أمام العقبات فلا يواصلون السير، فيلزم تعويض الصف بالعمل على نموه بعناصر جديدة، مع الأخذ بالأساليب التى تمنع - أو على الأقل تقلل - من فقدان الصف لبعض أفراده وذلك بالتذكير والنصح والتبصير .

- وقد يلجأ الأعداء إلى التخويف والإيذاء لينصرف الناس عن الدعوة، ولكن إصرار أهل الحق وثباتهم على الطريق يفل هذا السلاح، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة هو وصحابته الأكرمون، فكانوا يؤذون، ومع ذلك يستمرون فى نشر الدعوة وتبليغها للناس .

- ومن جانب آخر فإن ساحة العمل ومجالاته تتسع دائماً أمام الحركة ولا بد من توفير العناصر القوية المناسبة لتحمل تلك الأعباء وسد الثغرات حتى لا يثقل العبء على كاهل القائمين فلا يستطيعون القيام به على الوجه الأكمل، ويحدث القصور والخطأ، فالعمل على نمو الحركة ودعم صفها بالعناصر العاملة الجيدة أمر لازم، وليجد كل فرد فرصته فى إقامة الحركة بجهده ووقته وتخصصه ولتغطية الخطة العامة ومجالات العمل اللازمة .

●● القوة

هى القوة التى نريد أن تصاحب النمو، لكى لا يكون النمو ضعيفاً مترهلاً كالسمنة المفرطة عند بعض الأشخاص، والتى تمثل عبئاً وتعويقاً بدلاً من أن تكون مصدر حركة ونشاط .

وأهم وسيلة لتحقيق القوة مع النمو هى : [التربية واكتساب الخبرة والكفاءة] . وتحقيق القوة هو الاستجابة الطبيعية لأمر الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

[الأنفال: ٦٠]. ويلزم أن نقف وقفة أمام هذه الآية الكريمة لناخذ منها بعض العبر والدروس، فقوله تعالى: ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ نعلم منها ألا ندخر أى جهد أو وقت أو مال أو غيره نستطيع أن نقدمه فى سبيل إعداد هذه القوة إلا وقدمناه دون تأخير. ونأخذ منها أيضاً أن الله لا يطلب منا ما هو فوق استطاعتنا، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله تعالى: ﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ يفتح لنا الباب واسعاً للأخذ بكل أسباب القوة التى يحتاجها مجال العمل لتحقيق الأهداف ومواجهة الأعداء، وليس الأمر قاصراً على قوة السلاح، وعلينا أن نستفيد من كل مستحدث نافع بعد صياغته فى قالب الإسلامى بحيث لا نخالف تعاليم الإسلام.

•• أنواع القوة:

القوى الأساسية المعروفة لدينا هى:

١- قوة العقيدة، ٢- قوة الوحدة، ٣- قوة الساعد والسلاح.

ولكن هناك أنواع أخرى من القوى كلها مطلوبة، ونبدأ باستعراض أنواع القوى الأساسية ثم باقى أنواع القوى:

- قوة العقيدة:

قوة العقيدة أو قوة الإيمان هى الأساس الذى يقوم عليه بناء شخصية الفرد المسلم وبناء الجماعة بل والدولة، فأى ضعف أو خلل فى العقيدة يعرض البناء كله إلى الانهيار، وقد اهتم رسول الله ﷺ بقضية الإيمان فى أول مراحل الدعوة ونزل القرآن يركز على العقيدة ونقائنها من كل شائبة. فالإيمان حين يباشر القلب يفجر عند صاحبه كل دوافع الخير والعمل الصالح ويقاوم نوازع الشر ويتغلب عليها، ويتضح ذلك الأثر عندما نستعرض صفات المؤمنين الواردة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ونريد الإيمان القوى الحى المتجدد، ومجال تحقيق ذلك: التربية وتركيب النفوس وتقوية الجانب الروحى والصلة بالله.

- قوة الوحدة:

تحقق قوة الوحدة بتوفر الحب والأخوة فى الله بين من يسلكون طريق الدعوة، فهى بمثابة المادة التى تشد البنيان بعضه إلى بعض وتجعله قوياً متماسكاً، فلا يسمح للعدو أن ينفذ منه، ويصمد أمام محاولات الأعداء للقضاء على الحركة أو تعويقها. وقدوتنا رسول الله ﷺ

سبقنا في الاهتمام بتلك القوة، فأخى بين المهاجرين والأنصار ودعا إلى تركيتها، فوجدت قلوباً صافية صادقة وضربت أمثلة رائعة للإيثار والزهد أيضاً، وقد سجل القرآن لهم ذلك في سورة الحشر في قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وقد اقتبس الإمام الشهيد أهمية الأخوة من سيرة رسول الله ﷺ، فجعلها ركناً من أركان البيعة، وذكر أن أعلاً مراتبها الإيثار وأدناها سلامة الصدر، وكان دائماً يذكرنا بالحب والأخوة في كل حديث وكل مناسبة، وقد تميزت الجماعة بهذه النعمة والله الحمد، فوجدتها تتحقق بينهم بصورة قوية مهما تباعدت ديارهم أو اختلفت ألسنتهم وألوانهم، فعلى من يسلكون طريق الدعوة أن يحرصوا على تزكية الحب والأخوة وقوة الوحدة، وحمايتها من كل ما يتال منها.

- قوة الساعد والسلاح:

أما عن قوة السلاح فذلك أمر حتمي، إذ لا بد للحق من قوة تحميه وترد عدوان المعتدين، ثم إن الجهاد فريضة ماضية، والأمر من الله بإعداد القوة معروف وتعرضنا له، ويلزم مراعاة فنون الجهاد الحديثة والأخذ بالموافق للشرع منها، فالقتال في الإسلام له فقهه وأدابه التي يجب أن يعرفها كل أخ، ثم إن هذه القوة لا تستعمل هكذا في أي وقت أو في أي ظرف، ولكن لا بد من توفر ظروف مناسبة خاصة حينما لا يجدى غيرها، ويقول الإمام الشهيد: «إذا استخدمت جماعة قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك».

- قوة العلم:

أما عين قوة العلم فلا يمكن أن نبخسها حقها، فالعلم يقتحم كل ميادين الحياة، ويكشف قوى كامنة ويقدم كل يوم حديثاً، جديداً، منه المفيد النافع ومنه الضار المدمر، والإسلام يدعو إلى العلم والاستفادة من كل جديد نافع يعين على تحقيق الأهداف التي نسعى لتحقيقها، فعلى المتخصصين في مجالات العلوم المختلفة أن يقدموا الدراسات والبحوث التي تفيدهم العمل الإسلامي في مجال تخصصهم وإعداد الكفاءات الممتازة في كل تخصص كي لا تحرم الحركة من الاستفادة من مجالات العلوم النافعة.

- قوة البدن:

الإسلام يدعو إلى المحافظة على صحة الأبدان، والرسول ﷺ يرغب في قوة البدن فيقول: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١) ويعلمنا كيف نستعيد بالله من العجز والكسل في دعائه المأثور: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»^(٢).

ومعروف أن طريق الدعوة شاق وليس مفروشاً بالورود ويتطلب ممن يسلكه جهداً وجهاداً وتعباً وتحملاً، فقوة البدن ضرورية لتحمل المشاق ومواصلة السير والقيام بالواجبات، وضعف البدن يحول دون ذلك.

- قوة المال:

للمال أهميته وضرورته لتغطية نفقات العمل والحركة بالدعوة بمجالاتها المختلفة ومساندة القضايا الإسلامية وغير ذلك من متطلبات العمل. نسعى لكسبه بالطرق الحلال لكي ننفقه في وجوهه الشرعية ولا نسمح له أن يستحوذ حبه على قلوبنا أو أن يلهينا جمعه عن القيام بواجباتنا وطاعتنا لله ولدينه. ثم إن الصفقة الرابحة مع الله تتضمن مع النفس المال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. فلنحرص على إتمام الصفقة بكل جوانبها بتقديم النفس والمال معاً. وليس خافياً أن أصحاب المبادئ الضالة والهدامة يجمعون من أتباعهم المال الكثير لينفقوا منه في سبيل نشر مبادئهم، فالمؤمنون أولى بالإنفاق والاهتمام بالدعم المالى لدعوتهم.

- قوة الشخصية:

ننقل عبارات الإمام حول قوة الشخصية، وهذا يغنينا عن الحديث عنها فيقول في رسالة: «إلى أي شيء ندعو الناس» تحت عنوان: من أين نبدأ:

«إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة للبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل: إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور:

- (١) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٦٤ وابن ماجه برقم ٦٤ في صحيح سنن ابن ماجه.
- (٢) صحيح جزء من حديث أخرجه البخارى واختلف فيه لفظ (وضلع الدين وغلبة الرجال) برقم ٢٣٩٣. لفظه ٥٤٢٥ - ٦٣٦٣، وبلغه في البخارى أخرجه أبو داود في سننه برقم ١٥٤١، وورد بنفس لفظه (غلبة الدين وقهر الرجال) عند ابن حجر في الفتوحات الربانية ١٢٣/٣ وعند المنذرى في الترغيب والترهيب ٥٥/٣ وصححه، وصحح الألبانى هذه الصيغة في صحيح الترمذى ٣٤٨٤.

- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف .
- وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر .
- تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل .
- معرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتترى الأمم الناهضة، وتتكون الشعوب الفتنية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقداه قواده ودعاة الإصلاح فيه فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٨].

- قوة الإعلام:

صار الإعلام اليوم بأجهزته الحديثة من أخطر الأسلحة في ميدان المبادئ والدعوات، ولا يجوز أن تتخلف الحركة الإسلامية في استفادتها من هذا السلاح، ولا بد أن يكون لها متخصصون في كل جانب من جوانب الإعلام وأن يقدموا المادة الإسلامية الجيدة التي تقدمها أجهزة الإعلام ووسائله من صحف ومجلات وكتب ونشرات وإذاعة وتلفزيون وندوات ومؤتمرات إلى غير ذلك، والكتاب والسنة والسيره والتاريخ الإسلامى كلها ذاخرة بالمادة الدسمة التي تقدم للناس ويكون لها أقوى الأثر العلمى والتربوى فى الجماهير المسلمة وغير المسلمة.

وقد تكون هناك أسباب قوة أخرى لم نتعرض إليها، فالمجال مفتوح، وعلى الأفراد والمسئولين أن يفكروا دائماً فى كل ما من شأنه أن ينمى الحركة ويقويها، والله من وراء القصد ومنه العون.

[٤]

المحافظة على الأصالة

المحافظة على الأصالة من ألزم الأمور كي تواصل الحركة السير على الطريق الصحيح لتحقيق أهدافها، وأن أى انحراف أو انتقاص من الأصالة مهما قل، يزداد مع الاستمرارية والقوة والنمو، ويبعد الحركة عن مسارها الصحيح ويحول دون تحقيق أهدافها.

ولما كانت دعوة الإخوان هي الإسلام ولا شيء غير الإسلام كما قال الإمام البنا فذلك يعنى تحقيق الأصالة والكمال لها، والمحافظة على الأصالة تعنى التمسك بالإسلام وعدم مخالفته نظرياً أو تطبيقياً.

وقد حرص الإمام الشهيد على التزام الجماعة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وترسم خطى رسول الله ﷺ فى سيره بالدعوة لإقامة الدولة الإسلامية الأولى.

١- المحافظة على أصالة الفهم:

اهتم الإمام البنا بقضية فهم الإسلام بعد ما لمس ما إنحرافات وأخطاء وبدع وخرافات، فعاد إلى الفهم الصحيح الشامل التقي كما جاء به رسول الله ﷺ، بعيداً عن الاجتزاء أو الأخطاء أو الانحراف، وجعله الركن الأول من أركان البيعة، ووضع له أصولاً عشرين كإطار يحميه من الخطأ والانحراف. وغير خاف أن سبب تمزق المسلمين إلى فرق وطوائف هو انحراف بعضهم عن الفهم الصحيح لجوانب من الإسلام، عقيدة كانت أو عبادة أو غيرها.

وقصد الإمام بجعل هذا الفهم الصحيح ركناً من أركان البيعة، أن يكون كل أخ مبايع حارساً أميناً على هذا الفهم من أى تحريف أو تغيير، وفاءً لبيعته التى هى فى حقيقتها بيعة مع الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ومعلوم أن هدف الجماعة هو التمكين لدين الله فى الأرض وإقامة دولته العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، فلا يتصور أن يتحقق هذا الهدف العظيم وتبذل له الأرواح والتضحيات لتقوم دولة الإسلام على فهم خاطئ للإسلام، أو على عقيدة فيها دخن أو انحراف عما جاء به رسول الله ﷺ.

(١) من فقه الدعوة ج/ ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٥ بتصرف.

من أجل ذلك كان يجب المحافظة على أصالة الفهم وسلامته وشموله مهما طال الزمن وتعاقبت الأحداث وتغيرت الظروف، وألا نسمح بأى تحريف أو تغيير باسم التطوير أو التجديد أو التحديث أو غير ذلك من المسميات .

وكمثال تطبيقي للمحافظة على أصالة الفهم، نذكر أنه قد ظهر خلال المحن التي مرت بالإخوان ظهور تياران متغيران أحدهما يريدنا أن نقتصر على جوانب الإسلام التي لا تثير الحكام وتجلب لنا المتاعب، كالحكم والتشريع والجهاد، ونكتفى بالعبادة، والذكر والعلم وغير ذلك، والتيار الآخر كان متطرفاً ومغالياً وكفر عامة المسلمين مخالفاً بذلك الأصل العشرين في ركن الفهم، فاقضى الوفاء بالبيعة عدم الاستجابة لكلا التيارين . وقد كان الأستاذ الهضيبي -رحمه الله- المرشد العام حينئذ حكيماً وحازماً في معالجة التيار الثاني، مثل حكمته في معالجة التيار الأول، فكتب بحثاً قيماً فند فيه هذا الفكر وأوضح خطره ومخالفته للإسلام، وقد نشر فيما بعد تحت عنوان: [دعاة لا قضاة]. وعدل بسببه الكثير ممن تسرعوا واعتنقوا هذا الفكر، وعندما أصر بعض الأفراد على هذا الفكر أعلمهم الأستاذ الهضيبي أن هذا ليس فكر الإخوان، وإذا كنتم مصرين عليه فلترفعوا لأنفسكم راية غير راية الإخوان .

٢- المحافظة على الأهداف:

هدف الجماعة الذي قامت لتحقيقه هو التمكين لدين الله في الأرض وإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، فلا يجوز العدول عن هذه الأهداف أو اجتزاؤها أو الانحراف عنها مهما طال الوقت وكثرة كالعقبات . فلا يجوز أن يتحول الهدف إلى مجرد الوصول إلى الحكم بصورة أو بأخرى في كل قطر على حدة، دون أن يكون ذلك جزءاً من خطة عامة لتحقيق الهدف العظيم، ودون التزام بالأسس التي يقوم عليها البناء وخاصة قوة العقيدة وقوة الوحدة، إذ إن قيام حكومات إسلامية إقليمية متفككة يجعلها تتعرض إلى القضاء عليها الواحدة بعد الأخرى من قبل الأعداء .

ولكى يتضح الأمر والفارق بين الاتجاهين أذكر التشبيه التالي: لا شك أن الفرق واضح بين أن نبني بيوتاً من طابق واحد على مساحة معينة على الأرض، وبين أن نبني على نفس المساحة ناطحة سحاب، فالأساس غير الأساس، والقوة والمتانة والتماسك غيرها في الحالين .

٣- الاهتمام بالتربية والجانب الروحي:

ومن الأصالة التي حافظ وحرس عليها الإمام البنا ويجب علينا المحافظة عليها، الاهتمام بالتربية والجانب الروحي، فذلك يعتبر بمثابة الروح للجسد سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة،

فقد أيقن الإمام البنا أن الفرد المسلم الملتزم بصفات المؤمنين هو العنصر الأساسى فى الحركة والبناء وتحقيق الأهداف، فهو الذى يقيم البيت المسلم والمجتمع المسلم والحكومة المسلمة والدولة الإسلامية. وكلما كان العنصر سليماً ومتيناً كلما قام البناء بمراحله متيناً وسليماً والعكس صحيح.

لذلك نجد الإمام البنا يولى الفرد المسلم الاهتمام اللائق به ويحدد له صفات وسماوات يلزم توفرها فيه، ذكرها فى ركن العمل من أركان البيعة حيث قال: «إن من مراتب العمل المطلوب من الأخ الصادق: إصلاح نفسه حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً لشؤنه، نافعاً لغيره».

وعلم الإمام البنا أن هذه الصفات لا تتحقق إلا بالتربية، فأرشد إليها ومارسها مع الإخوان فكانت الدروس والأسرة والكتيبة والرحلة والمعسكر وغيرها من وسائل التربية المعروفة فى الجماعة، وتربى على يديه جيل أكرمه الله بالثبوت والصدق والصبر رغم المحن وقسوتها، نرجو أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٤) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤]. فالمحافظة على الأصالة تقتضى المحافظة على التربية والاهتمام بها بحيث لا يطغى عليها أى جانب من جوانب النشاط الأخرى سياسياً كان أو إعلامياً أو حتى جهادياً.

والأسرة من أهم مؤسسات الجماعة فهى المحضن الذى يتربى فيه الأفراد ويصنع الرجال، ويجب أن تشمل التربية كل المستويات وكل الحياة حتى لقاء الله، ولا تقتصر على المبتدئين دون المشولين.

ومعلوم أن الاهتمام بالتربية يساعد على تخريج إخوة على مستوى المسئولية يشاركون فى تحمل المسئوليات المتزايدة على الساحة ويحسنون التعاون والتفاهم دون خلاف ومشاكل إلى حد كبير، بخلاف عدم الاهتمام بالتربية، فذلك يرتب ظهور عناصر ليست على مستوى تحمل المسئوليات، وكثيراً ما تحدث خلافات ومشاكل على حساب العمل والإنتاج... فجدير بنا، محافظة على أصالة الدعوة، أن نعطي التربية الاهتمام اللائق بها.

ولقد حدد الإمام البنا العمل ومراحله فى ركن العمل برسالة التعاليم، بإعداد الفرد المسلم بصفاته السابق ذكرها، وتكوين البيت المسلم المؤسس على التقوى الملتزم بأداب الإسلام فى

كل مظاهر الحياة والذي يقوم على تربية الأولاد والخدم على مبادئ الإسلام، وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والمبادرة إلى الخير، وكسب الرأي العام إلى جانب الإسلام، وتحرير الوطن من كل سلطان أجنبي غير إسلامي، سياسى أو اقتصادى أو روحى، وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وقد أوضح صفاتها وواجباتها وحقوقها، ثم إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها حتى يودى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة وأستاذية العالم بنشر الدعوة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ﴿وَيَأْتِي اللّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

فللمحافظة على أصالة الحركة بالدعوة، علينا أن نلتزم بهذا الطريق ومراحله، وقد استنبطه الإمام الشهيد من سيرة رسول الله ﷺ وحركته بالدعوة وإقامة الدعوة الإسلامية الأولى.

وقد رأينا بعض من استبطنوا النصر وتعجلوا قطف الثمرة قبل نضجها سواء بالتسرع بمحاولة التغيير بقوة السلاح قبل توفر العقيدة وقوة الوحدة وتكون القاعدة الصلبة، أو باللجوء إلى أسلوب الأحزاب السياسية والاهتمام بالدعاية وعدد الأصوات دون عناية بالترربية والتكوين، فماذا كان حالهم؟! لقد أثبت الأيام والتجارب فشل هذه المحاولات.

فمن أجل المحافظة على أصالة الدعوة، علينا أن نلتزم هذا الطريق ونصبر عليه وعلى طوله ومشاقه، وألا نحيد عنه تحت تأثير ظروف عارضة.

٤ - قوة الأخوة والحب والوحدة:

قامت دعوة الإخوان بعد قوة العقيدة والإيمان، على قوة الأخوة والحب وقوة الوحدة، حتى صار الحب بين الإخوان من السمات البارزة للجماعة، واقتداء برسول الله ﷺ حين أعطى هذا الحب اهتمامه وأخى بين المهاجرين والأنصار، فقد أولى الإمام البنا قضية الحب والأخوة فى الله اهتماماً كبيراً وجعلها ركناً من أركان البيعة ليحافظ عليها كل أخ من جانبه وفاءً لبيعته، وكان يبدأ أحاديث الثلاثاء فى المركز العام بالتذكير والترغيب فى الحب فى الله والأخوة فى الله، وكنت تلمس أثر ذلك فى نفوس الإخوان، إذ كانوا يمشون بعد انتهاء حديث الإمام يتبادلون عاطفة الحب فى الله فيما بينهم أكثر من ساعتين حتى أطلق على درس الثلاثاء [عاطفة الثلاثاء].

إننا بفضل الله نجد هذا الحب وتلك العاطفة تتولد بين الأخوة منذ أول تعارف بينهم مهما تباعدت المواطن أو اختلفت اللغات، فالأخ حينما يعرف أخاه فى الصف ارتبط بالجماعة أو

بعبارة أخرى ربط مصيره بالعمل الجاد لنصرة دين الله ، وأن كلا منهما على استعداد لافتداء أخيه ، لا شك أن هذا المعنى يولد الشعور بالحب وقوة الرابطة بينهما .

وهذا الحب وتلك الأخوة لهما أهميتهما أثناء المحن والشدائد، إذ يشعر الأخ بالأنس والاطمئنان مع إخوانه وسط لفح المحنة ولهيبتها، إذ يجد الكلمة الطيبة والتوصية بالحق والتوصية بالصبر ويجد البسمة والمشاركة الوجدانية فيكون ذلك تخفيفاً ورحمة .

حكى لى أحد الإخوة أنه كان مع مجموعة من الإخوة فى السجن الحربى فى محنة سنة ١٩٦٥ وكانوا يتعرضون للإيذاء بسبب وبغير سبب ، وحدث أن عطس أحد الإخوة فطلب العسكرى -ومعه السوط- أن يتقدم الذى عطس خطوتين إلى الأمام، ومعلوم سلفاً أن ذلك تمهيداً لضربه، فإذا بأربعة من الإخوة يتقدمون، فى حين أن الذى عطس واحد فقط، ولكن كل واحد من هؤلاء تقدم ليفدى أخاه من الإيذاء، فدهش العسكرى وقال: إن الذى عطس واحد وليس أربعة، عودوا إلى أماكنكم، وحينما أطلب الذى عطس يتقدم وحده، وعادوا، ثم نادى فخرج هذه المرة ستة من الإخوان، فعرف - رغم قسوة قلبه- أنه الحب، هو الذى دفع كلا من هؤلاء للتعرض للإيذاء فداءً لأخيه، فأكبر فيهم هذه الروح وتركهم دون أن يؤذى أحداً .

نريد لهذا المستوى من الحب والأخوة أن ينتقل من جيل إلى جيل دون انتقاص بل نريد له الزيادة والنماء، وأن نأخذ بكل الأسباب التى تزيد الحب وتسمو به والتى وجهنا إليها رسول الله ﷺ كإفشاء السلام والتراور والتهادى وعبادة المريض ومساعدة المكروب والمحتاج وغير ذلك من أسباب . كذلك يلزم اجتناب كل قول أو تصرف من شأنه أن ينال من هذا الحب وتلك الأخوة، ونحذر الحذر الشديد من فساد ذات البين فإنها الحالقة التى تخلق الدين . ثم إن الفرقة تؤدى إلى التنازع والتنازع يؤدى إلى الهزيمة والفشل .

فللمحافظة على أصالة الدعوة والحركة يلزم المحافظة على المستوى الرفيع للحب والأخوة وفاء للبيعة واستجابة لأمر الله ورسوله، وقد ذكر الإمام أن أعلى مراتبها الإيثار وأدناها سلامة الصدر، فمن يبقى غير سليم الصدر نحو أحد من إخوانه يعرض نفسه للنكث فى هذا الركن من أركان البيعة، فليحذر من ذلك .

٥- إيثار الناحية العملية:

تميزت دعوة الإخوان بإيثار الناحية العملية، فالأخ المسلم يعمل فى دأب وهدوء ودون ضجيج ودون حرص على المظاهر والدعايات، والشحناء، ويعيش الجميع فى ظل المعانى الربانية

السامية التي وصف الله بها أتباع سيدنا محمد ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

فللمحافظة على الأصالة يجب أن نؤثر دائماً العمل والإنتاج في دأب، متناسين أشخاصنا وذواتنا، وعلى المستولين أن يجنبوا الصف روح الجدال والتقاش والكلام الكثير الذي لا يؤدي إلى خير ولا إلى إنتاج، وليعلم كل منا أنه أمام فرصة محددة للعمل معرضة للانتهاء بين لحظة وأخرى، فمن الحمق ألا يستغلها في عمل صالح مفيد، فكل يوم يمر لا يعود و[الوقت هو الحياة] ولا يحتج أحد بأنه لا يجد ما يعمله للدعوة، فمجالات العمل كثيرة متنوعة، وكما قال الإمام البنا: «الواجبات أكثر من الأوقات».

٦- التضحية:

وتميزت دعوة الإخوان بأنها ميدان للتنافس في البذل والعطاء والتضحية بكل رخيص وغال، وليست ميداناً للمغنم أو الكسب المادي. فللمحافظة على أصالتها يلزم أن يضحي كل أخ بكل ما ينعم الله به عليه من وقت وجهد ومال ونفس وألا يبخل بشيء من ذلك. ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ومن باب أولى لا يجوز أن يستغل أحد من الإخوان ثقة إخوانه استغلالاً مادياً غير كريم لصالحه، وليعرف فضل الجماعة عليه ولا يجحده، ولو فرض وظهرت مثل هذه النوعية فيجب أن تحاسب ويحدد موقفها دون مجاملة، فمصلحة الدعوة وطهارة الصف فوق الأشخاص، وإن أي تفريط في ذلك يكون على حساب أصالة الدعوة.

٧- الربانية:

وتميزت دعوة الإخوان بربانيتها، فالله غايتنا، هذا هو الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً، نتعرف على ربنا، ونستمد من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسنا عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. وندعو غيرنا من الناس إلى ذلك. فلنحافظ على هذه الربانية وبشخصية الجماعة المعتزة بالله والتي لا تنحني أمام قوى الباطل مهما انتعشت، ولا تسمح لأحد أو لجهة أن تهيمن عليها أو تحتويها أو تحرفها عن غايتها أو تسخرها لغير الغاية التي قامت من أجلها مهما كلفها ذلك من أرواح وتضحيات وآلام.

٨- مبدأ الشورى:

وتميزت دعوة الإخوان بتحقيق مبدأ الشورى التى دعا إليها الإسلام، فالإسلام شرعها لما يتحقق بالأخذ بها من خير، فربما صدر من أخ فى آخر الصف رأى أو نصيحة يكون فيه أو فيها الخير الكبير، وبتنظيم الشورى تمحص الآراء وتتوحد ويلتزم الجميع بما يتهدى إليه الأمر، فلا يترك الأمر لفرد يتصرف وحده ولا تترك الأمور والآراء هكذا تتوزع الأفراد وتحدث تكتلات أو تحزبات.

فللمحافظة على الأصالة يجب المحافظة على تحقيق مبدأ الشورى وتنظيمها، بحيث تؤدى الدور المقصود منها ولا تكون شكلية صورية كما تفعل بعض الحكومات.

٩- التكامل والاعتدال:

وتميزت دعوة الإخوان بالتكامل والاعتدال وأعنى بالتكامل: أخذها الإسلام بكل جوانبه ومتطلباته وشموله دون إهمال أو إغفال لجانب من الجوانب، فكما يقول الإمام البنا فى الأصل الأول من الأصول العشرين: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو: دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

ونلاحظ أن بعض الجماعات الإسلامية على الساحة تهتم ببعض الجوانب دون باقى الجوانب لسبب أو لآخر، ونحن لا نسىء الظن بأحد، ولكن نقول: إن هذا الاجتزاء مجانِب للصواب وتقديم مشوه للإسلام، لأن الإسلام كل لا يتجزأ ويكمل بعضه بعضاً.

وأعنى بالاعتدال: أن الإخوان يتعاملون فى كل جانب من جوانب الإسلام باعتدال، بعيداً عن الغلو والتزايد، وبعيداً عن الإهمال والتفريط. حقاً إننا ندعو إلى الأخذ بالعزائم، فالدعوات لا تقوم على الرخص والمترخصين ولكنها تقوم على العزائم وأولى العزم، ولكن أيضاً بعيداً عن الغلو والتشدد الزائد الذى نلاحظه فى بعض التجمعات التى تركز على بعض القضايا ويدور حولها كل نشاطه ويتركون قضايا أخرى فى غاية الأهمية، ولتوضيح الفرق بين منهج الإخوان المتكامل المعتدل وبين منهج من يجتزئون، أو يتشددون كمثلى رجلين أحدهما ينمو جسمه نمواً طبيعياً متناسقاً والآخر تنمو بعض أطرافه نمواً غير طبيعى وباقى الجسد يكاد يكون ضامراً... فأيهما أقدر على السير والحركة ومواجهة متطلبات الحياة؟!.

فلنحافظ على هذا التكامل وذلك الاعتدال.. إذا أردنا أن نحافظ على أصالة الدعوة.

١٠- عالمية الدعوة:

وتميزت دعوة الإخوان بعالميتها، فالإسلام عالمي جاء للناس كافة، وتهدف الجماعة لإقامة دولة الإسلام العالمية والوطن الإسلامي وطن واحد، والأمة الإسلامية أمة واحدة، وما هذه الأقطار وحدودها الجغرافية في نظر الإسلام إلا وطن واحد ينتسب الجميع فيه إلى الإسلام، وقد حاول الأعداء تقسيمه وتفريقه وإقامة الحواجز بين بعضها البعض بل وإشاعة الحروب فيما بينها.

فالجماعة تقف بجانب قضايا أي بلد إسلامي أو أقلية إسلامية في أي مكان في العالم، وتسعى لنشر دعوة الله في العالم كله، وتعمل في توحيد كلمة المسلمين وتحرص على حسن العلاقة مع العاملين للإسلام، أفراداً وجماعات، بل وتحمل إساءات البعض منهم وتقابلها بالحسنى امتثالاً لتوجيه الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. والأمل في الله كبير أن تزول هذه الخلافات وتجتمع كلمة المسلمين ليواجهوا الأعداء متحدين.

فلنحافظ على عالمية الدعوة ونتجنب كل دعوة إقليمية والتفوق داخل كل قطر.

وبعد: فهذه بعض المعاني التي تيسر لنا ذكرها حول المحافظة على الأصالة بالنسبة للدعوة، نسأل الله العون على الأخذ بها والحفاظ عليها.

وبهذا نكون قد عرضنا بعض الأمور المهمة التي رأى أستاذنا وإمامنا مصطفى مشهور تجديدها.

الباب الخامس: أبرز السمات الشخصية والفكرية

الفصل الأول: السمات الشخصية.

الفصل الثاني: السمات الفكرية.

توطئة

لما شرعت في كتابة السمات الشخصية والفكرية لإمامنا المجاهد الداعية الفقيه مصطفى مشهور، وجدت نفسي أسبح في بحر لا أعرف ساحله، فصفت الدعاة وخصوصاً القمم منهم لا يستطيع جهد يسير كجهدي حصرها؛ لأنها هي الإسلام كله.. فهي مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

لذلك حرصت أن أضمن هذه التوطئة ما ذكره الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأرضاه في صفات الدعاة الصالحين - نسأل الله تعالى أن نكون منهم... . يقول: الدعاة هم: [منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم فهم في البلاء كالتي نزلت في الرجاء، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم. فهم والجنة كمن رآها فهم معذبون، قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة. حاجاتهم خفية وأنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها. أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، فإذا مروا بأية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وإذا مروا بأية فيها تخويف أصغوا إليها مسامح قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم، أما النهار فحلما علماء أبرار أتقياء لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكى أحدهم قال: أنا أعلم بنفسى من غيرى وربي أعلم بى من نفسى. (اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون)^(١). فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرراً عن طمع. يمسى وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، تراه قريباً أمله والله خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكن في الغافلين، يعفو عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه. بعيداً فحشه ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره

(١) هذه العبارة فقط في صحيح الأدب المفرد برقم ٥٨٥.

صبور، وفي الرخاء شكور، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه، لا يُضَيِّع ما استُحفظ ولا ينسى ما دُكِّر، ولا يتنازب بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق. إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعل صوته. نفسه منه في عناء والناس منه في راحة^(١).

وإنني أحسب أن أستاذنا قد جمعت شخصيته هذه الصفات، بل وأكثر من هذه الصفات. . ولكنني كما قلت لا أستطيع أن أحصرها بجهدى القليل اليسير:

هو البحر من أى النواحي أتيتَه فلعجته المعروف والجود ساحله
إن أوكد ما استخلصته من الإخوان الذين عايشوه وعاصروه داخل المعتقلات وخارجها،
ومنذ الثلاثينيات في القرن الماضي، إجماعهم أن الأستاذ مصطفى مشهور هو الابن الروحي
للإمام الشهيد حسن البنا، وأن فيه صفات كثيرة من صفاته وشخصيته شبيهة بشخصيته. . كيف
لا وهو نتاجه وتلميذه، بل ومؤلف من مؤلفاته الحية المؤثرة. . فلقد قال الإمام البنا: [إنني لا
أؤلف كتباً يكون مصيرها تزيين الرفوف وأحشاء المكتبات، وإنما مهمتى أن أؤلف رجالاً أقذف
بالرجل منهم في بلد فيحييه، فالرجل منهم كتاب حى ينتقل إلى الناس ويقتحم عليهم عقولهم
وقلوبهم، ويثبم كل ما فى قلبه ونفسه وعقله، ويؤلف منهم رجالاً كما ألف هو من قبل].
وإمامنا المجاهد الداعية الفقيه من أهم وأعظم وأفضل وأكبر المؤلفات التى ألفها الإمام
الشهيد حسن البنا رضى عنه وأرضاه.

ونحن فى هذا الباب بعون الله تبارك وتعال نستعرض أهم السمات الشخصية والفكرية
لدى الإمام المجاهد الداعية الفقيه مصطفى مشهور رضى الله عنه.

(١) لم يثبت هذا القول عن علي رضى الله عنه ولا عن غيره من الصحابة فى رواية موضوعة وما صح منها [كان
الرجل من أصحاب النبى ﷺ إذا زكى قال: (اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون] صحيح
الأدب المفرد للبخارى برقم ٥٨٥ بتصحيح الألبانى.

الفصل الأول: أبرز السمات الشخصية ١ - سليم العقيدة^(١)

عقيدة التوحيد السليمة النقية الخالصة من أى شائبة التى جاء بها رسول الله ﷺ من قبله . . . هى عقيدة أستاذنا مصطفى مشهور ، ونراه يقول : على كل مسلم الالتزام بهذه العقيدة السليمة ليصح إسلامه . . . وصار لزاماً على رجل العقيدة الذى كرس حياته للتمكين لهذا الدين الحق الذى ارتضاه الله للناس كافة أن يكون سليم العقيدة ، كى ينشرها بين الناس صحيحة نقية ولينضبط بها سلوكه فى هذه الحياة ، فالمرء يتحرك ويتصرف فى حياته من منطلق عقيدته واعتقاده .

ثم يبين لنا ثمرة العقيدة فيقول : ثم إن العقيدة السليمة تثمر الإيمان الصادق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . . . والإيمان هو كل شىء بالنسبة للإنسان بل هو الحياة الحقيقية له ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

والإيمان مصدر الطمأنينة ، وذلك أن رجل العقيدة والإيمان يتمتع بالاطمئنان والراحة النفسية ، حيث يشعر أنه فى رعاية إله كريم رءوف به رحيم .

- وبالعقيدة السليمة والإيمان الصادق يصحح المرء مقياسه وموازنه لتكون ربانية لا مادية ، فلا تصبح الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه ولا تشغله عن الآخرة التى هى الحياة الحقيقية الدائمة ، فيعيش دنياه لأخرته .

- والعقيدة مع الإيمان يفجران فى النفس كل طاقات الخير والعمل الصالح ، فيصبح المؤمن كله حيوية ونشاط ، يحقق الإنجازات الكبيرة فى أقل وقت ، بأقل جهد ، مستعيناً بالله دون شعور بعجز أو يأس ، فتصبح حياته -ولو كانت قصيرة- حافلة بالعمل والإنتاج الثمر فى حقل الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيل الله .

(١) من فقه الدعوة - مصطفى مشهور - ج/٢ - مقومات رجل العقيدة .

ثم يوجه تنبيهاً مهماً وهو: أن هذه الطاقات لا بد أن تكون على هدى من العلم بدين الله وتوجيهه، لأن التلبس بالدين مع الجهالة خطر يولد جهوداً عمياء وقوة خرقاء تطغى على حدود النظام الاجتماعي طوقاً يخرب الحياة من حيث يريد أصحابها الإصلاح ويحسبون أنهم مهتدون.

• الأثر العظيم للإيمان:

- الإيمان الصادق يعطى صاحبه طاقة من الصبر والثبات وتحمل الأذى فى سبيل الله دون تفريط فى هذا الدين ومتطلباته. وسمية وياسر وبلال وغيرهم خير مثال لذلك، بل ومن تعرض من الإخوان فى المحن المتتالية إلى الإيذاء والتعذيب الشديدين.

والحقيقة أن الصبر والثبات من الله، لذلك أرشدنا الله إلى الدعاء فى مثل هذه الظروف: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وهذا الإيمان هو الذى جعل سحرة فرعون بعد إيمانهم لا يخشون تهديد فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم، وكان ردهم على هذا التهديد: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

- الإيمان يدفع المؤمنين إلى الحب فى الله والأخوة والإيثار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والإيمان الصادق يدفع إلى الجهاد فى سبيل الله دون تشاقل إلى الأرض، ويدفع حب الاستشهاد فى سبيل الله والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

- والإيمان يجعل صاحبه يقول كلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم، ولا يداخله تردد ولا يأس، فالؤمن يعلم أن الباطل مهما انتفش فهو زهوق، وأن سنة الله التى لا تتبدل تتمثل فى قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذَبُ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْفَعُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

- والمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعول عليها ويتوكل على الله حق التوكل وهو مطمئن أن الله كافيه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

فيسير على الطريق الصحيح في إقدام واطمئنان متوكلاً على الله، موقناً أنه يأوى إلى ركن شديد، لا يبالي بالذين يقومون في وجهه يصدونه عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، لا يفتنه منهم إغراء ولا يستخفه إرهاب، لأنه معتصم بالله مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .
- والإيمان الصادق يدفع صاحبه إلى طاعة رسول الله ﷺ لأنه يعلم أن طاعة الرسول طاعة الله ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠].

- والإيمان يولد في النفس الشعور بالعزة والأستاذية للبشرية، وليست عزة تدفع إلى التعالي على الناس، ولكن عزة تحمل الرحمة والرافة بالغير والآخذ بأيديهم إلى طريق الهداية ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨]. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣].

•• كيف تلقى مصطفى مشهور عقيدته:

كما نعلم فإن مصطفى مشهور قد تربى في المحاضن التربوية التي أنشأها الإمام حسن البنا، فقد تلقى هذه العقيدة السليمة في هذه المحاضن العظيمة على منهج الإمام البنا في العقيدة الذي يتمثل في (١):

١- الاعتماد على طريقة القرآن الكريم والرسول ﷺ في توصيل العقائد الدينية في النفوس واستيلائها على المشاعر والقلوب بدون تعمق في الألفاظ أو تشعب في البحوث أو إيراد للآراء والمذاهب أو خوض في مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والكلاميين والجدليين، وتلك طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٢- العناية ببيان آثار هذه العقائد في النفوس، ليعلم القارئ أين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها، فإن كانت متأثرة بها حمد الله على نعمته، وإن كانت هذه الآثار ضعيفة في نفسه عمل على علاجها وتقوية إيمانها.

وهكذا تلقاها أستاذنا فتمكنت العقيدة من نفسه واستولت على مشاعره وقلبه وصارت العقيدة السليمة عنده عواطف مستقرة في قلبه ومشاعر مستولية على نفسه، فقوى إيمانه وظهرت آثار هذا الإيمان القوى في أعماله العظيمة التي نحاول أن نبينها بقدر المستطاع في هذا الكتاب.

(١) انظر رسالة العقائد - للإمام البنا، وانظر منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام - جمعة أمين، وانظر منهج الإمام البنا في العقيدة - د. عصام البشير.

•• رجل العقيدة الذى نريد:

يقول أستاذنا وهو يفعل ما يقول: [نريد صاحب العقيدة السليمة التى تجعله يعلم أنه شىء عظيم فى هذه الحياة وأن له رسالة هامة يعيش بها ولها، وليس كماً مهملاً كواحد من قطع أو ترس فى آلة. ولكنه يحس بالقوة والعزة لأنه يركن إلى القوى العزيز، ولا نقصد عقيدة التوحيد التى تبدأ وتنتهى بصاحبها فى دائرة الكلام والجدل، ورحم الله الشاعر إقبال حين قال: التوحيد كان قوة فى الأنام فصار التوحيد علم الكلام نريد صاحب العقيدة السليمة الذى يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، إيماناً راسخاً لا يهتز أمام أى ضغط أو تشكيك.

نريد صاحب العقيدة التى تكسب صاحبها الضمير الذى يراقب الله فى السر والعلن وفى الرضا والغضب وكل أحواله، طمعاً فى رحمة الله ورضوانه وخشية من غضب الله وعذابه. نريد رجل العقيدة الذى يزن كل أمور الحياة بالموازين الربانية، فتكون نظرتة إلى أعراض الدنيا وما يجرى فيها من أحداث هى النظرة الأساسية الصحيحة، ولا يصدر منه قول أو فعل أو حركة أو سكنة إلا من منطلق تلك العقيدة الإسلامية وما جاءت به من تشريعات وتعاليم وأداب.

نريد رجل العقيدة الذى يؤثر ما عند الله على كل ما سواه فيعطى دعوته ماله ووقته وفكره وجهده وروحه وكل ما يملك، ويصبر ويحتمل ويجاهد ويضحى.

ونريد رجل العقيدة الذى يعتز بأخيه المسلم، يحرص عليه ويحبه وي بذل له ما يحب لنفسه، بل يؤثره على نفسه، ويحمى حرمانه ولا يسلمه ولا يخذله.

نريد العقيدة السليمة التى تجعل صاحبها يستشعر مسئوليته نحو إسلامه وإخوانه المسلمين، فلا يهدأ له بال حتى يؤدي واجبه نحو دعوته بكل ما يستطيع.

٢- الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٦﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢، ٣].
وقال: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقال: ﴿ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ بِئَالِهِ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال: ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).
ويقول الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه:

[الإخلاص هو: أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي عقيدة وفكرة لا جندي غرض ومنفعة].

والإخلاص قوة إيمانية تدفع المؤمن إلى التجرد من المصالح الشخصية والترفع عن الغايات الذاتية، وأن يقصد من عمله وجه الله تبارك وتعالى لا يشرك به شيئاً. . . ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وبالإخلاص تكون حركة المؤمن وسكونه في السر والعلن لله رب العالمين . . . وأحسن الأعمال أن يكون خالصاً لله تعالى وصواباً، أى تبعاً لسنة المصطفى ﷺ. . . ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

والإخلاص من أهم السمات التي يجب أن يتصف بها كل مسلم فضلاً عن الدعاة إلى الله العاملين في حقل الدعوة. . . وتتجلى مظهر الإخلاص عند الداعية في أنه لا يريد من دعوته إلا وجه الله تعالى، فلا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، ولا يهمله كثيراً أن يكون

(١) رواه الشيخان.

مرفوعاً أو يكون مغموراً بين الناس، بل ولا يبالي بشنائهم ولا يسعى لكسب إعجابهم ولا يعير وزناً لمدحهم أو ذمهم، وإنما يسير في طريق دعوته على بصيرة لا يبتغى إلا وجه الله، يضع نصب عينه معنى هتاف الدعوة الخالد: [الله غايتنا] . . .

وكان إمامنا المجاهد مصطفى مشهور من المخلصين - نحسبه كذلك في أقواله وأعماله وجميع أحواله رضى الله عنه وأرضاه - كان حينما يلتقى بالإخوان دائماً يذكرهم في بداية الجلسة في كلمته التوجيهية بالإخلاص ويقول: [يا أيها الإخوان: الإخلاص . . . الإخلاص . . . والحب . . . الحب . . .] وكذلك في نهاية الجلسات .

يذكر أحد الإخوان حادثة كان شاهداً عليها يقول: [زار الأستاذ مصطفى مشهور قطراً من الأقطار قابل فيه جمعاً غفيراً من الإخوان من شتى المستويات . . . وفي نهاية الزيارة إذا به يسمع كلمة ثقيلة مؤذية لا تناسب مثله في هذا المقام، وكان وقتها نائباً للمرشد العام للإخوان المسلمين] يقول راوى هذه القصة: [جاءني أحد الإخوان ينقل كلمة قالها أخ من الإخوان يذكر فيها الأستاذ مصطفى بسوء . . . فقلت له لا تذكرها للأستاذ، ولكن لم يحتمل وخرجت الكلمة وقالها للأستاذ . . . وكان مضمون هذه الكلمة: أن الأستاذ مصطفى مشهور ما جاء لزيارة هذا البلد إلا لأغراضه الخاصة!! . . . إنها كلمة لو وقعت على جبل لصدعته بل دكتته دكاً . . . سمعها الأستاذ وتلقاها بهدوء وهي كفيفة بأن تخرج ما في الإنسان من غيظ وانفعال وغضب . . . خصوصاً وأن سنه قد تجاوزت السبعين وقائل الكلمة شاب صغير ولكن الإخلاص المركوز في قلب أستاذنا وشيخنا ومرشدنا كان أكبر وأعظم من هذه السخافات . . . فكان رده المخلص الجميل . . . أن قال: [يا سيدى يقولوا اللى يقولوه إحنا مش جينا لله؟ خلاص . . . ربنا عارف إحنا جاينين لمين . . .] فكان درساً وكان موقفاً تربوياً في الإخلاص له أثر عظيم في النفوس، ويقول الراوى إنه قرأ كثيراً في الإخلاص ولكن أكبر درس تعلمه في حياته في الإخلاص، هو هذا الموقف .

وهكذا تكون مواقف العظماء وتربيتهم بالقدوة، أبلغ من التلقين بالكلام والتدريس بالمحاضرات والدروس والندوات فقط . . .

ونلاحظ أن أستاذنا لم يحزن لهذه المذمة، وهذه علامة من علامات الإخلاص، فمن سمات المخلصين أنهم لا يفرحون إذا مدحوا، ولا يحزنون إذا ذموا .

•• حرصه على إخفاء الطاعات:

عن أبى موسى الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزو، ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه، قال فنقبت أقدامنا، فنقبت قدمائى، وسقطت أظافرى فكنا نلف على أرجلنا الحرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الحرق .

قال أبو بريدة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك. كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه^(١).

طرح بعض الأسئلة على أحد قادة النظام الخاص السابق^(٢) عن شخصية الأستاذ مصطفى مشهور. «كيف ومتى انضم الأستاذ مصطفى مشهور إلى النظام الخاص وكيف تدرج حتى وصل مجلس القيادة وكيف تعرف على عبد الرحمن السندی»، فكان رده: [لا أعرف متى انضم للنظام الخاص ولا كيف وصل لمركز قيادي ولا كيف تعرف على عبد الرحمن السندی رحمه الله. . . فالنظام الخاص وسريته لا تسمح بمعرفة شيء من ذلك]. ولما قلت له: «ما هي أبرز الأعمال التي قام بها الأستاذ مصطفى مشهور في النظام الخاص؟» قال: [لا أعرف ولا يجب أن أعرف ولا تبرز أعمال أحد في النظام الخاص لأنها تحتسب عند الله].

فالسرية التامة التي أحاطت بالنظام الخاص جعلته لا يعرف هذه المعلومات عن أخيه - متى انضم وكيف تدرج ومتى وصل إلى مركزه القيادي. . . أما الأمر الثاني وهو الأعمال التي كان يقوم بها النظام الخاص وهي الأعمال الجهادية والتي أنشئ النظام الخاص من أجلها، فهي عبادات وطاعات يتقرب بها عضو النظام الخاص إلى ربه عز وجل، لذلك كانت إجابته أنه لا يعرف، ولا يجب أن يعرف وأن هذه الأعمال لا تبرز لأنها تحتسب عند الله تبارك وتعالى، وليست السرية - أى سرية النظام - ولكنها السرية الخاصة بالفرد وهي السرية بين العبد المخلص وربه سبحانه وتعالى وهي تختلف عن السرية بين العبد والعبد. . . فليست سرية النظام التي جعلته لا يعرف عن أعمال الأستاذ مصطفى وإنما إخفاء الطاعات واحتسابها عند الله تبارك وتعالى هو الذي جعله لا يعرف عن هذه الأعمال شيئاً. وكذلك الطاعات الأخرى فكانت تخفى بقدر الإمكان.

ذكر بعض القياديين أن الأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله كان يقوم بأعمال كبيرة وتسد إليه مهام عظيمة في حياة المرشدين السابقين الأستاذ عمر التلمساني والأستاذ محمد حامد أبو النصر، وليس من المبالغة أن أقول إنه كان يقوم بمهام المرشد أو كان هو المرشد الفعلي في تلك الفترة مع إخوانه المرشدين، وما كان أحد يدري بذلك.

كان هذا هو دأب الرعيل الأول من جماعة الإخوان المسلمين، كما رباهم أستاذهم ومرشدهم إمامنا الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه. . .

وهو هو دأب الصالحين من أمثال الصحابة والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، فكانوا يحرسون على إخفاء طاعتهم لله عز وجل - بخلاف الفرائض - فهذا عمر بن الخطاب

(١) رواء البخارى برقم ٤١٢٨ ومسلم برقم ١٨١٦.

(٢) هو المهندس حلمى عبد المجيد، رئيس النظام الخاص بعد عبد الرحمن السندی.

رضى الله عنه وأرضاه يرى رجلاً يطأطى رقبتة، فقال له: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلب، ورأى أبو أمامة الباهلي رجلاً في المسجد يبكي في سجوده، فقال: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك^(١).

كان إمامنا المجاهد مشهوراً، ولم تكن هذه الشهرة بإرادته ولم يطلبها، ولكن الله تبارك وتعالى هو الذي شهره، كما قال الإمام أبو حامد الغزالي: [أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم، بل المحمود الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه]^(٢). . . بل كان يشار إليه بالبنان في كل المواقع التي عمل بها في الدعوة. . . ولكنه كما قال أحد الإخوان إنه باختصار «جندى دعوة» يتفانى في خدمته للدعوة دون أن يملأ الدنيا ضحيجاً بهذه الخدمة. . . وكان من أبرز سماته الصمت ولكن كان صمته فكرة، وكثيراً ما دفع الإمارة عن نفسه - وسنبين ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب. . .

وكان دائم الاتهام لنفسه، فإنه كان قبل القيام بالعمل يتحرى مسببات الإخلاص، لكنه بعد العمل لا يظن ولو للحظة واحدة أن عمله كان خالصاً لله، وذلك لعلمه أن طريق الإخلاص طريق وعر. . . فهو دائماً وجل قلبه، لا يذكر عملاً واحداً كان خالصاً لله تعالى. . . فكما قيل: [الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فمن شاهد في إخلاصه إخلاصاً فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص].

أخى القارئ. . . طريق الإخلاص طريق شاقة السائر فيها يتعرض للعناء وما فيها من زخارف وصوارف، والشيطان وماله من وساوس، والنفس الأمارة بطمعها وشحها فلا يستطيع ولن يصل إلى الإخلاص إلا بتوفيق من الله جل شأنه، وقيل قديماً: إن الناس كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا العاملون، والمخلصون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

ثم نختم بنصحيتة رضى الله عنه للأخ المسلم القدوة على طريق الدعوة وهي: [على الأخ المسلم القدوة على طريق الدعوة أن يحافظ على إخلاص الوجهة لله وأن يظهر نيته بصفة دائمة من كل غرض مادي أو دنيوي، وأن يكون على حذر شديد من أمراض القلوب التي تفتك بصاحبها وتحبط عمله وأجره، كالغرور والكبر وحب الدنيا وحب الزعامة والظهور وغير ذلك، فيبقدر ما يسيطر الإخلاص على قلب الأخ ينعكس ذلك على سلوكه وتصرفاته وأقواله، فلا يتخذ موقفاً ولا يقدم على عمل إلا من منطلق إخلاصه لله؛ متجرداً من كل هوى أو غرض ومن أى مجاملة لشخص أو جهة^(٣).

(١) صفة الصفوة - أبو الفرج ابن الجوزي - ج ٣ / ص ٢٩٢.

(٢) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - ج ٣ / ٣٧٥.

(٣) القدوة على طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

٣- صحيح العبادة

سليم العقيدة لا بد أن يكون صحيح العبادة، والعقيدة والعبادة هما أساس الخلافة في الأرض، هذه الخلافة التي من أجلها كانت الرسالات، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يشرح أستاذنا هذا الأمر فيقول: عبادتنا لله هي أصل رسالتنا في هذه الحياة، والحقيقة أن الله غنى عن عبادتنا له، ولكنه سبحانه فرضها علينا لخيرنا ومنفعتنا، كي تزودنا بالتقوى.

وزاد التقوى هو الذي يحقق لنا السعادة في الدنيا والفوز والنعيم في الآخرة والنجاة من النار، فالإنسان في هذه الحياة يمر بامتحان ويتعرض إلى ابتلاء وفتن، وخير ما يعينه على النجاح في هذا الامتحان وعلى النجاة من الفتن هو زاد التقوى.

- وعبادة الله من أهم مصادر هذا الزاد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وفي آيات الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وبين أستاذنا مفهوم صحة العبادة من زاوية مهمة جداً وهي: دور القلب في هذه العبادات والأثر الروحي والتربوي الذي تحققه هذه العبادات في نفس المسلم الذي يؤديها حق الأداء، وأن كل عبادة لها زادا وأثرها التربوي الذي تتميز به، بحيث تتكامل جميعها في بناء شخصية المسلم النموذج.

●● المفهوم الشامل للعبادة:

يستدل أستاذنا بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، على أن العبادة ليست قاصرة على الفرائض الأربعة (الصلاة والزكاة والصيام والحج) وإنما تشمل كل ما نقوم به في حياتنا من أعمال بنية التقرب إلى الله.

فالدعوة عبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة، والعمل على التمكين لدين الله في الأرض عبادة، والجهاد في سبيل الله عبادة، وكل ما يعين على العبادة فهو عبادة، والأكل والشرب إذا جعلنا النية فيهما أن نتقوى على طاعة الله وعبادة الله وتحريتنا الحلال وتجنبنا الحرام صار الأكل والشرب عبادة.

ودراسة الطالب العلم عبادة إذا قصد بها إفادة الإسلام والمسلمين، والعمل إذا قصد به خدمة الإسلام والمسلمين وتحقيق الاكتفاء الذاتي مع البعد عن العمل الذي فيه حرمة أو شبهة فهو عبادة، وكذلك الزواج وما يتبعه بنية العفة والحصانة وإقامة البيت المسلم القدوة وتنشئة الذرية الصالحة يكون عبادة، والرياضة بقصد تقوية البدن لتحمل أعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله تكون عبادة، وهكذا تصبح حياة المسلم كلها عبادة.

كان أستاذنا مصطفى مشهور واضح المعالم في عبادته، حريصاً على صحتها، حيث إن صحة العبادة بمفهومها الصحيح هو: [حسن أداء العبادة بحيث تحقق أثرها التربوي وتزود صاحبها بزيادة التقوى].

وكان في الفرائض الأربعة يعيش مستشعراً بجميع حواسه كامل معانيها كبيرها وصغيرها، عظيمها ودقيقها، يؤديها بخشوع وطمأنينة وإخلاص.

كما كان حاله كذلك مع التوافل، وكان يجتهد كثيراً بالتوافل، وسنذكر بعض هذه الجوانب في هذا المقام.

٤- رجلاً قرانياً

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن سادبة الله، فاقبلوا مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد. اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إنى لا أقول لكم ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم».

ولقد كان رسول الله ﷺ يحمل الناس على القرآن حملاً ويفاضل بينهم بمزلتهم من القرآن. . . وفي وصيته ﷺ لأبي ذر رضى الله عنه: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء». . . وما أكثر الآيات والأحاديث الواردة في فضل القرآن الكريم.

ويقول الإمام البنا رضى الله عنه: «القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذى يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة، وهو أفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى» ويقول: «عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم، ودستور أحكامهم، وربيع قلوبهم، وورد عبادتهم، وفتحوا له قلوبهم، وتدبروه بأفئدتهم، وتشربت معانيه السامية أرواحهم، فأثابهم الله فى الدنيا سيادة العالم، ولهم فى الآخرة عظيم الدرجات».

ويقول إمامنا المجاهد مصطفى مشهور: «نجد فى القرآن كل خير يحتاجه الإنسان لتحقيق له سعادة الدنيا والآخرة، ويحفظه وينجيه من العنت والشقاء فى الدنيا ومن عذاب الآخرة. كما أن فيه مقومات التربية التى تصنع رجال العقيدة وتفجر فيهم طاقات الخير».

تتجلى شخصية الأستاذ مصطفى مشهور الرجل القرآنى وهو يكتب كتابه القيم: زاد على الطريق، وذلك حين يتهم نفسه بالعجز عن الكتابة حول هذا الموضوع، خصوصاً حول كيفية التزود وكيف ننهل من زاد الإيمان والتقوى والهداية والنور، فالأمر يرجع إلى تفضل المعطى

الوهاب سبحانه وتعالى الذى يمن علينا بالهداية والإيمان ويفيض بأنواره ورحمته بلا حدود فلا حرج على فضل الله .

ويقول : لقد أرشدنا الله برحمته إلى الوسائل والأسباب التى نأخذ بها كي نستجلب هذا الزاد منه سبحانه ، ولو دققنا لوجدنا أن الأمر بالدرجة الأولى يرجع إلى حال العبد الذى يقف بباب ربه يسأله ليعطيه ، فيطلع منه ربه على خضوعه وخشوعه وذلك وافتقاره إليه وخوفه منه وخشيته له ورجائه منه وطمعه فى رحمته . . فهذا هو الأصل .

ففى خيرية زاد القرآن: يقول الأستاذ مصطفى مشهور رضى الله عنه : نجد فى القرآن كل خير يحتاجه الإنسان لتحقيق له سعادة الدنيا والآخرة ويحفظه وينجيه من العنت والشقاء فى الدنيا ومن عذاب الآخرة . . كما أن فيه كل مقومات التربية التى تصنع رجال العقيدة وتفجر فيهم طاقات الخير .

وفى القرآن والتغيير: يقول رضى الله عنه : نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ فى جزيرة العرب فغير تلك الأمة من الجاهلية والفساد والضلال وحولها إلى خير أمة أخرجت للناس ، وصنع منها رجالاً بل نماذج فذة ضربت أروع الأمثلة فى كل ميادين الخير . . لقد رباهم محمد ﷺ فغيرهم وصنع منهم رجالاً تمت على أيديهم الفتوحات وقامت على أكتافهم دولة الإسلام وعم النور على أيديهم وتبدد الظلام ، لقد تربوا تربية صحيحة فى مدرسة النبوة فترسخت العقيدة فى قلوبهم وتحملوا صنوف العذاب دون أن يتخلوا عنها ، واسترخصوا أرواحهم وأموالهم فى مقابل ثباتهم على عقيدتهم ، لقد ضربوا أروع الأمثال فى مجاهدة أنفسهم والترفع بها عن كل قبيح والتحلّى بكل خلق فاضل ، مثل الصدق والوفاء والأمانة والحلم والزهد والحب والإيثار والجهاد ومجالدة الأعداء والجود وإقامة العدل والشعور بالمسئولية . . حتى تخرج من الشباب من كان أهلاً للقيادة . .

وفى إمكانية التغيير بالقرآن فى عصرنا: يقول رضى الله عنه : حينما أراد الله تعالى أن يجدد للأمة أمر دينها على يد الإمام حسن البنا رضى الله عنه إذ علم سر القرآن وتأثيره فى النفوس ، فجمع الإخوان على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ورباهم بأدب القرآن والافتداء بالنماذج الرائدة التى تخرجت على يد رسول الله ﷺ ، فإذا بنا نجد صوراً لهذه النماذج تتكرر ، ظهرت فى مجالات مختلفة ، فى الجهاد والفداء والاستشهاد فى فلسطين والقناة ، وظهرت بين الناس كنماذج رائعة فى امتثال تعاليم الإسلام ، فكانوا موضع الثقة بصدقهم ووفائهم وأمانتهم وحسن خلقهم وظهرت فيمن تحملوا الإيذاء والتعذيب والابتلاء من أعداء الله وثبتوا ولم يتخلوا ، واتخذ الله منهم شهداء ، وظلت الراية مرفوعة حتى يسلموها من بعدهم عالية دون تفريط أو ضعف أو تهاون ودون تبديل ولا تغيير . .

وفي إحسان تعاملنا بالقرآن: يقول رضى الله عنه: لو قدر العبد القارئ للقرآن الله حق قدره وخشيته لتأثر بالقرآن واقشعر جلده عند تلاوته أو سماعه. . فالله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. كما أن تلاوة القرآن تزيد المؤمنين إيماناً بالله وتوكلأ عليه، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

«ولو أحسنا الصلة بآية واحدة من كتاب الله لسرى تأثيرها وهزت المشاعر وأنارت القلوب»
 كثير الكهرباء حينما يحدث الاتصال تسرى الكهرباء وتير وتولد الطاقات، أما إذا وجد عازل لم يسر التيار ولم يحدث به أى تأثير.

ثم يحدد بعض المعالم فى القرآن الكريم وهى:

١- القرآن يعالج قضية الإيمان بكل جوانبها ويدل عليها فى مواطن كثيرة بما يسر الإيمان لغير المؤمن ويزيد المؤمن إيماناً كلما قرأ أو استمع للقرآن.

٢- القرآن يحدد لنا رسالتنا فى هذه الحياة الدنيا لتؤديها ولا نحيد عنها، يقول تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- القرآن يتعهد ويرشد كيف يكون حال المؤمن وموقفه ليسلك سبيل المؤمنين قولاً وعملاً. . يلجأ إلى الله عند الفقر أو المرض أو الضيق والشدة وعند لقاء العدو. . وكذلك الشكر على نعم الله عليه. . ونرى ذلك فى بعض الآيات: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِّتُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٤- والقرآن يحذرنا ويحمينا من الوقوع فى دائرة اليأس أو القنوط من رحمة الله، ويبعث فينا كل معانى الطمأنينة والراحة النفسية والأمل والطمع فى رحمة الله.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

٥- القرآن خير عون وخير زاد للداعى ليتعرف على أسلوب الدعوة الصحيح على لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وكيف كانوا يصبرون على أقوامهم ويرغبونهم في الإيمان وينفرونهم من الكفر والعصيان.

وكذلك خير زاد في القراءة والحفظ، فهو يعينه على الاستشهاد بالآيات عند الحديث في أى معنى من المعانى، مما يجعل الحديث أكثر تأثيراً في النفوس.

وفي الاتباع والتطبيق: يقول رضى الله عنه: لتدبر القرآن حين نقرأه وإذا لم نتمكن إلا بالترديد فلتردد، فقد روى بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قام ليلة بآية يرددها وهى: قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] (١).

وليكن همنا الأول من القراءة الاتباع والتطبيق ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]. ولتتبع توجيهات رسول الله ﷺ فى قراءتنا للقرآن حيث يقول: «اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ولا نت له جلودكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه» (٢).

ولنحذر أن تشغلنا مخارج الحروف وأحكام التلاوة عن التدبر والتفهم، فينصرف كل الاهتمام إليها دون المعنى والتأثر به.

ولنداوم على تلاوة القرآن ولا نهجره كى يتجدد الزاد ولتدم صلتنا بالله عن طريق تلاوة كلامه. ولنحفظ ما استطعنا، فإنه يعين فى الصلاة وقيام الليل والاستشهاد بالقرآن فيما ندعو إليه، وقد تعرض لك ظروف يحال فيها بينك وبين كتاب الله المسطور فترجع إلى الرصيد الذى حفظته ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

•• من وصاياه:

كان دائماً ما يوصى إخوانه، خصوصاً الشباب منهم. . . يقول الدكتور محمود عزت (٣) كان الأستاذ مصطفى مشهور يوصينا نحن الشباب بقوله: (حظك من العبادة وحظك من القرآن وحظك من قيام الليل. . . هذا هو الزاد الذى يعينك على أن تقوم بجميع الأعمال الدعوية).

(١) رواه ابن ماجه فى سننه وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه برقم ١١١٨، وابن القيم فى مفتاح دار السعادة ١/ ٥٥٤ وصححه دار الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء ١/ ٣٧٥ وصححه.

(٢) رواه البخارى بأرقام ٧٣٦٤، ٧٣٦٥، ٥٠٦٠، ٥٠٦١ بلفظ (فقوموا عنه). ومسلم بأرقام ٢٦٦٧ بلفظ (فقوموا) ورقم ٢٦٦٧ بلفظ فيه (فقوموا).

(٣) نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

●● ملازمته لكتاب الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

ورسولنا الحبيب ﷺ يقول: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١) ويقول ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وماذا عمل فيما علم»^(٢).

وقال الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه: «الوقت هو الحياة» وكان يعنى أن الوقت أغلى شىء فى هذه الدنيا، لأنه يترتب على حسن استغلاله أو سوءه الحياة المصيرية فى الآخرة. لذلك جعلها فى وصاياها العشر، ثانى وصية وهى:

٢- اتل القرآن أو طالع أو استمع، أو اذكر الله. ولا تصرف جزءاً من وقتك فى غير فائدة. كان أستاذنا مصطفى مشهور حريصاً على وقته منظماً فى شؤنه... فكان منذ أن التحق بجماعة الإخوان المسلمين محافظاً على ورده، وحفظ كتاب الله تعالى مبكراً، وكان ملازماً لكتاب الله يتلوه متديراً آناء الليل وأطراف النهار^(٣)، يقول رضى الله عنه عن سلوك الإخوان داخل السجن: «كنا نشغل أنفسنا بأعمال نافعة يضيق بنا الوقت فى إتمامها، وربما يظن الكثيرون أن وقت السجن ممل وطويل... كذلك عندما كان يُحبس أحدنا انفرادياً وحده فى زنزانة مغلقة، يشغل وقته كله فى عبادة من صلاة وتلاوة للقرآن وذكر الله ومناجاة ودعاء إلى غير ذلك»^(٤).

كما شهد له إخوانه الذين عاشوا معه فى السجون والمعتقلات منذ سنة ١٩٤٨م فى قضية السيارة الجيب ومحنة ١٩٥٤ ومحنة ١٩٦٥، شهدوا له أنه لم يتغير بل كان كما هو: محافظاً على قيام الليل، لا يغادر مصحفه إلا فى حالات استثنائية مثل الأعمال النافعة والتعليم والتدريس وغيره من الأعمال داخل السجن «فقد شارك فى تدريس مادة الرياضيات للإخوان الذين حصلوا على الثانوية داخل السجن فى محنة ١٩٥٤».

(١) رواه البخارى برقم ٦٤١٢.

(٢) رواه الترمذى وضعفه بهذه الرواية ولكن صححه الألبانى بالرواية ذاتها فى عدة مواضع - صحيح الترغيب

برقم ١٢٧، ١٢٨، ومشكاة المصابيح برقم ٥١٢٥.

والمشهور الصحيح: [حتى يسأل عن أربع].

(٣) مقابلة مع الأستاذ أحمد حسنين - رحمه الله - عضو مكتب الإرشاد سابقاً، وهو صديق عمره.

(٤) مقومات رجل القعيدة - مصطفى مشهور.

يقول أحدهم: كان دائماً يعكف على كتاب الله وصلاة الليل، وكانت له جلسة دائمة مستمرة مع الحاج اللواء (عبد اللطيف راشد) لمدرسة القرآن الكريم ومراجعته وحفظه. ويقول إنه كان يراجع عليه حفظه، فصصح له خطأ في تشكيل آية حفظها وهي: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] وكان يقرأ كلمة ﴿تُؤْمَرُ﴾ (تؤمره) فصححها له الأستاذ مصطفى مشهور، ويشهد له أنه كان ماهراً في كتاب الله^(١).

ويقول آخر: إنه كان قمة من القمم. يتمثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]. وقد كان يسمع خمسة أجزاء من القرآن يومياً مع الحاج مصطفى الكومى. كان هذا في محنة ١٩٦٥..

ويشهد له آخرون أنه كان حريصاً على القرآن الكريم، وما ترك ورده أبداً، لا في حله ولا ترحاله، لا في سجنه ولا في انطلاقه، وكان حريصاً على تشجيع تحفيظ القرآن، فكان يوصى المحافظات بالاهتمام بتحفيظ القرآن وفتح المقارئ وأن ينهلوا من هذا النبع الصافي^(٢).

تقول إحدى بناته: فترة ما بعد الإفراج سنة ١٩٦٤ كانت فترة وعى وفهم وحرز من القرآن، نظم لنا فيها أبونا الدروس اليومية والالتزام بالأذكار والأوراد وحفظ القرآن ومدارسته كما نظم لنا أوقاتاً للرياضة البدنية^(٣).

كذلك يتميز أستاذنا -في كتاباته، كتباً كانت أو مقالات، خطابات أو بيانات أو في خطبه في المناسبات أو المقابلات أو التصريحات- باستشهاده المناسب بالآيات القرآنية وحضوره المذهل في تعامله مع الآيات ووضعها في المكان المناسب لتتناسق مع المعاني فيسهل فهمها واستيعابها وترسخ في ذهن القارئ أو السامع، وبذلك يتحقق الهدف المنشود.

هكذا كان إمامنا المجاهد مصطفى مشهور، قارئاً تالياً مرتلاً مجوداً متدبراً فاهماً حافظاً مطبقاً داعياً لكتاب الله تبارك وتعالى، فصار نموذجاً يحتذى وصورة مرئية وحقيقة موجودة ملموسة للقرآن الذى يمشى على رجلين بين الناس.

(١) الأستاذ أحمد جاد المحامى - الإسكندرية.

(٢) الحاج عبد الحكيم شاهين والأستاذ ماجد عبد العزيز والأستاذ شفيق شرف الدين - طيطا.

(٣) سمية مصطفى مشهور.

٥- دائم الذكر كثير الدعاء

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]. ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِتِينَ وَالْقَائِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال الله تبارك وتعالى: «أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(١) من حديث أبي هريرة. وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به». قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(٢).

•• حقيقة الذكر^(٣):

باستصفاء المعنى واستخلاص المغزى تتبلور لنا حقيقة الذكر في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي ذكرناها آنفاً، وقد وردت نصوص كثيرة لم نذكرها خشية الإطالة والتكرار. . . فحقيقة الذكر هي:

- ذكر الله هو: اتصال القلب وتلفظ اللسان والشعور بالله وبوجوده والتأثر بهذا الشعور تأثراً ينتهي إلى الطاعة في حده الأدنى وإلى رؤية الله وحده ولا شيء غيره لمن يهبه الله الوصول ويذيقه حلاوة اللقاء.

(١) رواه البخارى ومسلم . البخارى برقم ٧٤٠٥ ومسلم برقم ٢٦٧٥ .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى برقم ٣٣٧٥ وابن مفلح فى الآداب الشرعية ١/٤٢٥ وإسناده جيد .

(٣) خلاصة من الاستغلال بطلال القرآن فى الآيات المذكورة .

- وذكر الله.. ليس مجرد الذكر بالشفة واللسان ولكن الذكر بالقلب والجنان، فذكر الله إن لم ترتعش له الوجدان، وإن لم يخفق له القلب، وإن لم تعش به النفس.. وإن لم يكن مصحوباً بالتضرع والتذلل والخشية والخوف.. لن يكون ذكراً.
- ذكر الله هو: التوجه إلى الله بالتذلل والضراعة وبالحشية والتقوى، وهو استحضار جلال الله وعظمته، واستحضار المخافة لغضبه وعقابه، واستحضار الرجاء فيه والالتجاء إليه.. حتى يصفو الجوهر الروحي في الإنسان ويتصل بمصدره اللدني الشفيف المنير.
- الذكر هو: التذكر الدائم والاستحضار الدائم لجلال الله سبحانه، ومراقبته في السر والعلن وفي الصغيرة والكبيرة وفي الحركة والسكنة وفي العمل والنية.. وهذا هو الذكر الكثير.
- وإذا تحرك اللسان مع القلب، وإذا نبست الشفافة مع الروح، فليكن ذلك في صورة لا تخدش الخشوع ولا تناقض الضراعة، ليكن ذلك في صوت خفيض، لا مكاء، ولا تصدية، ولا صراخاً وضجة، ولا غناءً وتطرية.. فذلك هو الذكر الحقيقي لله تبارك وتعالى..
- والذكر الكثير هو: حلقة الاتصال بين نشاط الإنسان كله وعقيدته في الله، واستشعار القلب لله في كل لحظة، فلا ينفصل بخاطر ولا حركة عن العروة الوثقى.. وإشراق القلب بباشاة الذكر الذي يسكب فيه النور والحياة.
- والذكر هو: اشتغال القلب بالله تعالى واتصاله به والاشتغال بمراقبته وليس مجرد تحريك اللسان.
- والذكر في البكرة والأصيل والليل: لما في هذه الأوقات والآونة من مؤثرات خاصة يعلم الله تعالى ما تصنع في القلب البشري، الذي يعلم خالقه فطرته وطبيعته تكوينه.
- الذكر الشامل: والذكر يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه سواء جهد بلسانه أم لم يجهد، والمقصود هو الاتصال المحرك الموحى.
- فكما ورد أن الصلاة ذكر، فكذلك الزكاة والصوم والحج وجميع العبادات ذكر.

•• الذكر في كل الأحيان:

عن عائشة رضی الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل أحيائه»^(١). وعبارة أحيان أدق من أحوال.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي - وفي هذا الحديث الشريف أشارت السيدة عائشة رضی الله عنها إلى أن الذكر في حياته ﷺ كان في كل الأحيان، يعني دوام الذكر، وليس كما يفهم البعض في كل الأحوال. رواه مسلم برقم ٣٧٣. وأبو داود برقم ١٨. والترمذي برقم ٣٣٨٤.

يقول الإمام البنا رضى الله عنه: [لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكاره وتنتج نحوها أعماله، وتترك حولها آماله وهى التى يسمونها «المثل الأعلى» ومتى سمت هذه الغاية وعلت، صدرت عنها أعمال سامية مجيدة، وانطبعت نفس صاحبها بصورة من الجمال الروحى، وحدث به إلى الكمال دائماً حتى يأخذ فيه بالنصيب الذى قدر له .

والإسلام، وقد جاء لإصلاح نفوس البشر وتركيتها والعلوبها إلى منتهى الكمال الممكن لها، أوضح للإنسانية جميعاً الغاية القصوى وحدابها نحو المثل وكان هذا المثل هو: [قدس حضرة الله جلا وعلا] والآية الكريمة تقول: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وإذا عرفت هذا أيها الأخ الكريم فلا تستغرب بعد أن يكون المسلم ذاكراً لله على كل حال، وأن تؤثر عن النبي ﷺ - وهو أعرف الخلق بربه - تلك الصيغ الرائعة البليغة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتحميد فى كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها وحقيقتها، فقد كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحواله، ولا تعجب إذا طالبنا الإخوان المسلمين أن يستنوا بسنة نبيهم ويقتدوا به ﷺ فيحفظوا هذه الأذكار ويتقربوا بها إلى العزيز الغفار: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] (١).

تربى إمامنا المجاهد مصطفى مشهور فى مدرسة محمد ﷺ، مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا، مدرسة الإخوان المسلمين، فترعرع فيها ورضع لبانها ورشف من رحيقها، فتغذى جسده وصلب عوده، فعرف ربه فارتعش له وجدانه، وخفق له قلبه، وعاشت به نفسه، فاستحضر جلاله وعظمته، فتضرع وتذلل فى خشية وخوف وتقوى ورجاء فصار من الذاكرين الله كثيراً فى كل أحيانه . . .

يقول مصطفى مشهور رضى الله عنه: [الله غايتنا وهو خالقنا ورازقنا، فهل نغفل عن ذكره؟! وهل هناك من نسعد بذكره أفضل منه سبحانه، إنها سعادة لا تسمو عليها سعادة. إنها قرب من الله وأنس به واطمئنان إلى جنبه وانسراح الصدر بنوره وأمن وأمان وتفويض وإسلام الأمر له سبحانه، لا خوف، ولا قلق، ولا حيرة، لا شقاء، ولا اضطراب: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] (٢).

ويقول: [كلما ذكرت الله كنت مع الله وكان الله معك، كنت مع الغنى القوى القهار الرحمن الرحيم الرزاق من بيده الأمر وهو على كل شىء قدير، فلا تشعر بحاجة إلى أى شىء. فماذا فقد من وجد الله؟ لا شىء. . . وماذا وجد من فقد الله؟ لا شىء (٣).

(١) المأثورات - للإمام الشهيد حسن البنا.

(٢) (٣، ٢) زاد على الطريق - مصطفى مشهور.

ويقول رضى الله عنه : [أحرص يا أخى أن يكون لسانك رطباً بذكر الله ، فتذكر الله عند طعامك وشرابك ولباسك ونومك ويقظتك وبنى طريقك إلى العمل وفى عملك وفى كل أحوالك ، ولا تسمح أن تمر بك لحظات سهو أو لهو أو لغو . . فما لم تكن مشغولاً بعمل أو عبادة فاشغل نفسك بذكر الله فتستكثر من الحسنات وتحظى بالطمأنينة ومعية الله ويحط الله عنك السيئات ما شاء^(١) .

•• فى الذكر زاد:

يقول رضى الله عنه : [كلما ذكر الله باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ترك ذلك أثراً وانطبعاً خاصاً فى النفس والقلب وزاداً للروح يسمو بصاحبه ويسمو كلما ازداد ذكره لله وتعلو منزلته عند الله . أما الغافل عن ذكر الله فيتعرض لوسوسة الشيطان الذى يذكره بالمعاصى والشهوات والآثام وسبب الأعمال ، ويظل يهبط به ويهبط إلى أسفل سافلين ويصدق فيه قول الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

ويقول : [عندما نعيش بقلوبنا كل صفة لله أو اسم من أسمائه نذكره به يزداد إيماننا به وتعظيمنا له سبحانه وفى هذا خير زاد لنا على الطريق^(٢)]- أى طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى . .

•• الذكر أنس:

يقول رضى الله عنه : إن المؤمن إذا ذكر الله وقت عافيته وبسطة المال عنده يشكر الله ويتذكر فضل الله عليه فى ذلك فلا يطغى ولا تفتنه الدنيا . وحين يذكر الله وقت الشدة والضائقة يذهب عنه الضيق ويبدله سكينه وطمأنينة وأنساً وراحة بال .

وبهذه المناسبة يحكى لنا أستاذنا وإمامنا المجاهد مصطفى مشهور قصة ينسبها لأحد الإخوان - وفى غالب الظن أنها حدثت معه هو ولكنه لا يريد أن يفصح بذلك وينسبها لغيره . . يقول رضى الله عنه : أذكر أن أحد الإخوان كان محبوساً فى زنزانة ضيقة حبساً انفرادياً يعنى وحده ومغلق عليه الباب طوال الوقت تقريباً . . ولكنه بذكره لله سبحانه كان يشعر بأنس وراحة نفسية ولا يحس بأن للزنزانة جدراناً وباباً مغلقاً وكأنه فى الكون الفسيح .

والحارس الذى خارج الباب مستشعر أن الأخ فى ضيق بسبب غلق الباب عليه ، وكان يغافل الضابط ويفتح باب الزنزانة فتحة صغيرة بعض الوقت ليخفف عن الأخ ولكن الأخ يحكى ويقول إنه حينما يفتح الباب يشعر بوحشة ويقل أنسه الذى كان يعيشه مع ذكره لله تعالى^(٣) .

(١ ، ٢ ، ٣) المرجع السابق.

•• الذكر يغنى عن المسألة:

وفى هذا الأمر يقول: ومن جميل فضل الله علينا وحسن جزائه للذاكرين ما جاء فى هذا الحديث الشريف، يقول رسول الله ﷺ مبلغاً عن ربه: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»^(١).

إن التهليل والتكبير والتسبيح والاستغفار والحمد والثناء والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، كل ذلك له فضل كبير وثواب عظيم، وقد وردت فى ذلك آيات وأحاديث كثيرة^(٢).

•• أثر الذكر الحقيقى فى السلوك:

ثم يبين أستاذنا الأثر فيقول: وفى ذكرنا لله ما يدفعنا إلى التحلى بالصفات التى يحل لنا أن نتصف بها، لا تلك التى لا يحل لنا أن ننازعه إياها، فكلما ذكرنا الله الرحمن الرحيم الحليم الكريم الصبور الشكور العفو الغفور، وجدنا أنفسنا لا بد لتعال رحمة الله أن نرحم من فى الأرض. ولكى نحظى بجود الله وكرمه يلزم أن نكون كذلك مع خلق الله المحتاجين، ولكى يشملنا عفو الله يجب أن نعفو عن سىء إلينا. وهكذا، وفى ذلك زاد كبير.

فكلما ذكرت الله باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ترك ذلك أثراً واطباعاً خاصاً فى النفس والقلب والروح^(٣).

•• الذكر فى جماعة:

كان الأستاذ مصطفى حريصاً على التزام الجماعة بالذكر، وكان كثير الحض والحث على الذكر والذكر فى جماعة. . فهى زاد على طريق الدعوة. يقول رضى الله عنه: هذه الرحمة التى تتغشانا والسكينة التى تنزل علينا عندما نجلس لذكر الله كلها خير وزاد كبير، قسى الحديث الذى يرويه مسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فى من عنده»^(٤) هذا وإن الله سبحانه وتعالى يباهى ملائكته بمجالس الذكر هذه^(٥).

(١) حديث موضوع عند ابن حبان فى كتاب المجروحين ٤٧٦/١ وابن القيراني فى تذكرة الحفاظ برقم ٣٣٢، وابن الجوزى فى الموضوعات ٤٢١/٣، وضعفه ابن حجر فى فتح البارى ١٣٨/١١، والأباني فى السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٨٩.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٧٠٠.

(٢) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

•• أما الدعاء:

كان إمامنا المجاهد مصطفى مشهور كثير الدعاء ويعى ما فى الدعاء من زاد . . يقول رضى الله عنه: الدعاء يعنى شعور العبد بفقره إلى الله وشعوره بقدرة الله وأن الأمور كلها بيده . . وهذا عين العبودية والتسليم لله والإيمان به سبحانه . شعور بالانكسار لله والتضرع والتذلل له سبحانه وشعور بفضلته وكرمه وإحسانه وأنه على كل شىء قدير، وحياة القلوب بهذه المعانى فى ذاتها زاد عظيم . والدعاء عبادة والإعراض عنه استكبار وجحود، ومن تفضل الله علينا أن يدعونا لدعائه ويعدنا بالاستجابة . . فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ^(١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» ^(٢) . ويقول الشاعر:

الله يغضب عند ترك سؤاله وبنى آدم حين يُسأل يغضب
ويقول الأستاذ مصطفى: ما أجمل أن يتبادل الإخوة ما فى الدعاء من خير، بأن يدعو كل أخ لأخيه بظهور الغيب . فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهور الغيب إلا قال الملك ولك بمثل» ^(٣) .
ومن قول أحد الصالحين: ادع بلسان لم تعصه به . سئل كيف؟ قال: تسأل أخاك أن يدعو الله لك، وفى ذلك تقوية لروابط الحب والأخوة فى الله .
خلاصة القول، أن الأستاذ مصطفى مشهور:

•• كان دائم الذكر والدعاء:

- فكان محافظاً على أذكار الصباح والمساء «الوظيفة الكبرى والصغرى» ولسانه رطب بذكر الله [يذكر الله فى كل أحيانه].
- ملتزماً بأدعية اليوم والليلة، والأدعية الماثورة فى الحالات المختلفة .
- ملتزماً بأوراده -الورد القرآنى، وبأوراد الإخوان وهى: ورد الدعاء، وورد الرابطة، وورد المحاسبة . كذلك كان ملتزماً بأوراد الكتبية وهى: ورد المعرفة، ورد الوفاء، ورد التفكير، ورد المراقبة، ورد الإخلاص، ورد الإيمان .

(١) أخرجه أبو داود . برقم ١٤٧٩ والترمذى برقم ٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧ ، ٣٣٧٢ .

(٢) رواه الترمذى . وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم ٣٣٧٣ .

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٧٣٢ .

●● شامل الذكر:

يراقب الله تعالى في كل أمر وكل وقت، وكان يقول: بالمفهوم الشامل للذكر نرى أن كل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته عليك فهو ذكر، فالتوبة ذكر والتفكير من أعلي أنواع الذكر وطلب العلم ذكر وطلب الرزق إذا أحسنت فيه النية ذكر... وهكذا.

- كان ملتزماً بكل ذلك، يلزم أهل بيته ويحث إخوانه، وكان هذا حاله دائماً في حله وترحاله، داخل السجون والمعتقلات وخارجها.

●● ملتزماً بأداب الذكر والدعاء:

وفي هذا الأمر يقول: للذكر والدعاء آداب يجب أن نلتزم بها رجاء الإجابة والاستفادة ومن هذه الآداب: حضور القلب والخشية والسكون وحسن الأدب مع الحق تبارك وتعالى واستفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ويختم بها. ومن الآداب أيضاً: الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء أو الذكر واختيار جوامع الكلم أي الدعوات الجامعات للخير، والتكرير ثلاثاً، وأن يكون موقناً بالإجابة ولا يتعجلها، وألا يدعو المسلم على نفسه ولا على ولده ولا على ماله بسوء، وأن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره كأن يقول اللهم اهدنا وإياك.

من راعى هذه الآداب في الذكر والدعاء سيجد بإذن الله أثر ذلك حلاوة في قلبه ونوراً لروحه وانسراحاً في صدره وفيضاً من الله تعالى.

وعلى المسلم أن ينصرف من مجلس الذكر والدعاء في خشوع وأدب مع اجتناب اللغظ واللهو الذي يذهب بفائدة الذكر والدعاء وأثره.

●● محباً للذكر في خلوة:

يقول أستاذنا: مع ذكرنا لله في كل أحوالنا وأمورنا فإن ذكر الله في خلوة له أثره وله متعته وحلاوته في القلب ونوره وانسراحه خاصة إذا صاحب ذلك فيض العين بالدمع من خشية الله، فمن السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله خالياً قفاضت عيناه.

نعم أيها الأستاذ المربي، ففي الخلوة قرب وأنس ومناجاة.

هكذا كان إمامنا المجاهد مصطفى مشهور دائم الذكر، وكانت روحه يقظة... ونحن أخرج ما نكون إلى اليقظة الروحية فهي في الحقيقة مدد الدعوة وغذاؤها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها، جعلنا الله وإياكم من الذين يذكرون الله في كل أحيانهم وأيقظ أرواحنا لنمد الدعوة ونغذيها وننميها... آمين.

٦- حريصاً على النوافل

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله تعالى قال]: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لآعطينه، ولئن استعاذني لآعيذنه» رواه البخاري برقم ٦٥٠٢.

كان مصطفى مشهور حريصاً على النوافل حرصاً شديداً ويتفانى في أدائها تحريماً منه أن يصل مرتبة الأولياء الذين يحبهم الله . . . وكان لعبادته معالم واضحة فهو لا يفرط فيها أبداً . . . فكان شديد المحافظة على السنن الراتبة مع الفرائض . فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه مسلم برقم ٧٢٨.

فكان مداوماً على سنة الظهر لا يتركها . . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها» رواه البخاري برقم ١١٨٠، ١١٦٩.

ويقول الأستاذ مسعود السبحي^(١): صليت مع أستاذنا مصطفى مشهور صلاة العصر، وهم هو أن يصلي السنة قبلها فصلاها أربع ركعات، وكنت أصلي سنة العصر ركعتين، فلما رأته يصليها أربعاً فعلت مثله وصليتها أربعاً . . .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات، يفصل بينهم بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين»^(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن . وفي رواية لأبي داود عن علي بن أبي طالب أنه ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين^(٣).

(١) حوار مسجل مع الأستاذ مسعود السبحي - سكرتير المرشد العام سابقاً .

(٢) رواه الترمذي برقم ٤٢٩ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ١١٢٩ .

(٣) رواه أبو داود برقم ١٢٧٢ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ١١٣٠ .

وكان إذا حضر معسكراً أو كتيبة مع الشباب وكثيراً ما يحدث ذلك، فكان من عليه مسئولية إيقاظ المعسكر أو الكتيبة، دائماً ما يجده مستيقظاً ويصلى في الظلام.

ذاق مصطفى مشهور حلاوة قيام الليل فنصح إخوانه بقوله: [الذين يسلكون طريق الدعوة أحوج ما يكونون إلى قيام الليل، لما يعطيه من زاد، فقد وجه الله رسوله ﷺ في الأيام الأولى للدعوة إلى قيام الليل ليعده لتحمل أمانات الدعوة الثقيلة فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْرَبُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ١-٦].

وقال لهم ناصحاً أيضاً^(١): [وفي قيام الليل مجاهدة وتقوية للإرادة والعزيمة ومغالبة للشيطان وترويض للنفس على الخضوع لله. فمن يترك النوم والراحة والفرش والدفء ويقاوم رغبات الجسد ويقوم ويتطهر - وقد يكون الجو بارداً ويؤثر التعب لله والتقرب إليه، لا شك في أن ذلك زاد وإعداد له وعون على طريق الدعوة]. ويؤكد نصحه لإخوانه بالحرص على قيام الليل فيقول: [ما أجدر أصحاب الدعوات الذين يتعرضون لأذى الأعداء وكيدهم أن يستعينوا بسهام القدر ودعاء السحر. قم يا أخى بالسحر وادع الله وقل: [اللهم إنا ندرأ بك في نحور الأعداء والجبارين ونعوذ بك من شرورهم] وقل: [ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين] وقل: [اللهم اهزم أعداءك أعداء الدين وانصرنا عليهم نصراً عزيزاً يشفى صدورنا ويذهب غيظ قلوبنا] وما يفتح الله به عليك من دعاء.

ويقول: [تقرب إلى الله يا أخى ما استطعت بالنوافل وأفضلها قيام الليل مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة في جوف الليل» رواه مسلم.

ومما يعينك على قيام الليل إخلاص النية واستحضار العزيمة وتجديد التوبة والبعد بالنهار عن المعصية، والتبكير بالنوم والقبولة إن أمكن والاستعانة بالله.

ويوصى الأستاذ مصطفى مشهور وصيته الغالية فيقول: [على المسلم أن يداوم على قيام الليل وينهل من هذا الزاد، فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» البخاري برقم ١١٥٢، ومسلم برقم ١١٥٩.

ويستشهد بوصية الإمام الشهيد وحثه الإخوان على قيام الليل التي وردت في رسالة المناجاة وهي: [يا أخى: لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نيام والخليون هجع وقد سكن الكون كله، ورخى الليل سدوله وغابت نجومه، فتستحضر قلبك وتتذكر ربك

(١) زاد على الطريق - مصطفى مشهور.

وتمثل ضعفك وعظمة مولاك فتأنس بحضرتك ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكي من خشيته وتشعر بمراقبته وتلج في الدعاء وتجتهد في الاستغفار وتفرض بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ولا يشغله شيء عن شيء إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وتسأله لدنياك وأخرك وجهادك ودعوتك وأمالك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفستك وإخوتك : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

ثم يختم بنصيحته ويلج بها لإخوانه أن يحافظوا ويحرصوا على قيام الليل فيقول : [وأخيراً أقول لك يا أخي ، قم من الليل قيام العبد الفقير الذليل يتسلل في جنح الظلام ليطرق باب سيده الكريم ، ويقف على أعتاب بابه في ذل وانكسار وشعور بالنقص واعتراف بالذنوب وإحساس بالحاجة الملحة إلى عفو سيده ورضاه عنه ، مع الرجاء الملح في رحمته ورضوانه وجناته .

اطرق يا أخي باب مولاك في ظلام الليل بركعات خاشعة وسجادات طويلة ودعوات خالصة وتسبيحات ودمعات من خشيته ، وكن موقناً بإجابة ربك لدعواتك . ولا تنس في هذه الغمرة من الخير دعوتك فتسأل الله النصر والتمكين لدينه وتدعو لإخوانك بظهور الغيب :

سبحى نفسى وصلى	عند سطو العباديات
فإذا القلب تنزى	من تباريح الحياة
رقرقى النفس دموعاً	واسكبيها فى الصلاة
فإله الكون يصغى	للنفوس الباكيات

وهكذا كان حال أستاذنا مصطفى مع قيام الليل . .

ولعلنا نراجع أنفسنا وتأخذ بالعزم على الحرص والمداومة لهذه العبادة العظيمة وتذكر من نصائح الإمام الشهيد وأستاذنا مصطفى مشهور أهمية قيام الليل فى العون على تحمل عبء الدعوة ، ومدى تزويدنا وإعدادنا وعوننا على طريق الدعوة ، وتزويدنا بالإخلاص والتجرد ، ومعاشة الخوف والرجاء ، واللجوء إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار والتوبة ، والحصول على البركة والقرب والحب من الله تعالى بمناجاته الصافية والأنس والراحة النفسية . . . ونستخلص كل هذه المعانى من الآيات والأحاديث الواردة فى قيام الليل .

وكذلك كان أستاذنا لا يفرط فى صلاة التراويح فى رمضان ، لا فى الحضر ولا فى السفر . . سافر الأستاذ فى رمضان إلى إحدى البلاد العربية واحتفل به الإخوان بإفطار كبير ثم بدأت الكلمات ، وحان وقت صلاة العشاء والتراويح فأوقف الأستاذ الاحتفال وقال هيا بنا نصلى ، وبعد صلاة العشاء والأربع ركعات الأولى من التراويح ألقى كلمة إيمانية . . ثم أكمل معهم صلاة التراويح وذهب . .

٧- متين الخلق

تأخذ الأخلاق الإسلامية المرتبة الثالثة بعد سلامة العقيدة وصحة العبادة في تكوين المسلم القدوة. . وتحتل مكانة مرموقة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تعالج الأخلاق وتحث على التحلى بالخلق الفاضل والتخلى عن الذميمة، وتوضيح مجالات الأخلاق الفاضلة في حياة المسلم مع نفسه ومع أهله وزوجه، ومع والديه وأقاربه، ومع جيرانه، ومع إخوانه المسلمين، ومع غير المسلمين، وكذلك مع حكامه.

والرسول الأعظم محمد ﷺ هو قدوتنا في الأخلاق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويؤكد أستاذنا مصطفى مشهور أن الأخلاق من الثوابت فيقول: والأخلاق الفاضلة من الثوابت التي لا تتغير واللازمة لكل الناس في كل الأزمان وفي أي مكان لتحقيق للناس الحياة الطيبة الفاضلة. وأنها طاعة يؤجر المسلم على فعلها.

ويبين لنا أن القدوة العملية أكثر تأثيراً من مجرد الوعظ والتذكير، وأن حقل الدعوة والعمل في سبيل الله للتمكين لدينه وإقامة دولته له مجالاته المتعددة، والتي يلزم أن يكون الأخ فيها قدوة حسنة لما يدعو إليه، فإن لم يكن كذلك فربما يضع نفسه أمام قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ثم يقف أمام لفظ [متين] ويدقق في قصد الإمام البنا عندما ذكر مقومات الفرد المسلم ومنها: [متين الخلق]، يقول أستاذنا: لعله يقصد أن تصبح الأخلاق الإسلامية جزءاً أساسياً في بناء شخصيته، لا تتعرض للتغيير أو النقص بتغير الزمان أو المكان أو الأشخاص، فهو يلتزم بها طاعة لله ورغبة في ثوابه، والله رقيب عليه في كل مكان وزمان، فيظل الأخ المسلم ملتزماً بأخلاقه، أحسن الناس حوله أم أساءوا.

ويتقل لنا من مذخور تجاربه وممارسته الدعوية الطويلة أن الخلق لا يتحقق بمجرد القراءة، ولكن لابد من التمرس على امثال الفاضلة واجتناب السيئة، وهذا يحتاج إلى مجاهدة النفس

وترويضها حتى تألفها وتعادها، خاصة وأن في النفس نوازع للشري يسعى الشيطان والنفس الأمانة إلى غوها وسيطرتها، فلا بد من المجاهدة المستمرة.

فالنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم وبأسلوب سلس ومنطق سليم يعدد لنا أستاذنا أموراً غاية في الأهمية وثيقة الصلة بالأخلاق، وهي أمور أساسية لبناء المجتمع المسلم. الذي يسوده المناخ الإسلامى الصحيح، وهي:

١- سنة التغيير: فلو نظرنا إلى سنة الله في التغيير مع خلقه نجدها متصلة اتصالاً وثيقاً بالأخلاق وما تحمله النفوس من خير وشر وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أراد الله بحكمته أن يوحد المجتمع المسلم الذى يسوده المناخ الإسلامى الصحيح والذى يساعد الفرد على الاستقامة، فدعا الله المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل جعل هذا من أسباب خيرية الأمة الإسلامية فى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٣- التناصح والتذكير: دعا رسول الله ﷺ إلى التناصح والتذكير، فإنها تنفع المؤمنين، ففي ذلك نجاة من الخسران، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

٤- الإعداد السليم للقاعدة لاستقرار الحكم الإسلامى: وقد اهتم رسول الله ﷺ بإعداد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم كقاعدة صلبة يقوم عليها الحكم الإسلامى ليستقر ويعلو. ولن تكون قاعدة صلبة إلا على أساس متين من العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق المتينة. وهكذا كان مجتمع المدينة، فلما نزلت التشريعات وجدت الاستجابة السريعة والدقيقة فى التنفيذ والالتزام بها.

والتاريخ يؤكد أن بقاء الأمم وذهابها إنما هو مرتبط بالأخلاق، وكما يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

●● أخلاق لازمة للداعية:

ذكر أستاذنا بعض الأخلاق الفاضلة التى هى من أزم الأمور لرجل وجندى الفكرة والدعوة على سبيل المثال وهى:

- لين الجانب والتواضع والحلم: كى يسع الناس بهذا الخلق العظيم قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- مقابلة السيئة بالحسنة: أمر مطلوب للداعية، ويحتاج إلى صبر ونفس عالية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

- الصدق والوفاء بالعهد: بالصدق يكسب رجل الدعوة ثقة من يدعوهم وما يدعوهم إليه، بخلاف الكذب الذى يسقط صاحبه من أعين الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. كما وأن طبيعة العمل فى حقل الدعوة له التزاماته وعهوده، ولا يصح معه إلا الصدق والوفاء بالعهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

- العدل والإنصاف من النفس: من الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة للمسلمين عامة، وهى لرجل الدعوة أوجب وألزم، ففيها إبراز أن الإسلام يهتم بالعدل وتقديم الحق على حظ النفس مع الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

- الجود والكرم: ومن ألزم الصفات أو الأخلاق لرجل الدعوة: الجود والكرم والبذل والعطاء والإنفاق فى سبيل الله، والبعد عن البخل والشح، فكل نعمة أنعم الله بها على الأخ المسلم من مال ووقت، وصحة وجهد، وعلم ونفس وغير ذلك، يجب عليه أن يسخرها فى حقل الدعوة دون أن يدخر منها شيئاً، فتلك التجارة الرباحة التى لا مثيل لعائدها فى تجارات الدنيا، فلنستجب لنداء الله وهو يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]. ثم إن جندى العقيدة إذا كان قد عقد الصفقة الرباحة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿ [التوبة: ١١١] ، فلا يجوز له أن يبخل بشيء خشية ألا يتم البيع ويضيع الثمن الغالي ألا وهو الجنة ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تولوا يبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد: ٣٨].

●● مشهور متين الخلق:

إذا وصفت عظيمًا بأنه بسيط فهذا أمر عجيب، ولكن الأعجب من ذلك أن تتحقق البساطة في هذا العظيم حتى تصير البساطة له خلقًا، وهذا ما كان عليه أستاذنا مصطفى مشهور العظيم البسيط..

فكانت حياته كلها بسيطة وكانت شخصيته بسيطة رقيقة ليست لها أركان وزوايا حادة ولكنها شخصية سهلة بسيطة هينة لينة تتعامل مع الناس بسماحة الإسلام، وكانت هذه الأخلاق التي كتب عنها متجذرة في عمق نفسه، والذين يعرفونه يؤكدون لنا دائمًا أن كل ما كتبه الأستاذ مصطفى مشهور إنما هو مخاض لممارسته العملية لدعوته في حياته وليست مجرد فكر، وكل العناوين في كتبه لها مناسبات حدثت له ومعه.

ونحن بدورنا سنذكر بعض هذه الصفات مستعينين بالله وندعوه أن يوفقنا في عرضنا والالتزام بالتخلق بها، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٨- لين الجانب

يقول الدكتور عصام العريان^(١): من المواقف العظيمة التي لها بصمات في نفسى وتركت أثراً بالغاً في أعماقي من شخصية عظيمة مثل الحاج مصطفى مشهور: لين الجانب، والرفق الجميل الذى يتحلى به . .

صحبتة في أول رحلة معه إلى الخارج إلى فرنسا عام ١٩٨١ وكانت عقب أحداث منطقة الزاوية الحمراء (شمال القاهرة) والمعروفة بالفتنة الطائفية . وكنت حضرت لقاء وزير الداخلية آنذاك (النبوى إسماعيل) مع قيادات العمل الإسلامى ممثلاً لشباب الجامعات مع المرحوم الأستاذ عمر التلمسانى، وصادف أن كان فى حقيبتى أوراق منشورات تتعلق بالحدث الخطير الذى نجحنا فى وأدفتته وإطفاء النار التى كادت تحرق القاهرة عبر مؤتمرات ولقاءات وبيانات ومنشورات للتهدة .

وعند التفتيش عشر ضابط الأمن على تلك الأوراق فحجزنى وأنا بصحبته معاً، وتأخرت الطائرة لمدة ساعة ونصف الساعة عن موعد الإقلاع حتى أجرى الضابط اتصالاته بالوزارة . . ويعود معتزراً ومودعاً . ولم يكن منه (أى الحاج مصطفى) لى لوم ولا عتاب فضلاً عن التوقيع أو التوقيع، واكتفى بالقول: [إنه درس عملى بعدم حمل مثل هذه الأوراق التى تشير رية السلطات خصوصاً عند السفر والتعرض للتفتيش].

هكذا خاطبنى الرجل بلطف ورقة شديدة . . كان موقفاً مؤثراً من رجل عظيم خبير ذى تجرية واسعة كبيرة لشاب صغير مثلى لم يتجاوز عمره الثلاثين، لقد كانت هذه الأوراق فى حقيبتى، لذلك كان هو عظيماً معى - وهذا خلقه مع غيرى كذلك - كان الرجل حريصاً على مشاعرى وكان حريصاً على توجيهى برفق ولطف، فكان أسلوبه معى أسلوباً تربوياً عظيماً، إن دل على شىء فإنما يدل على الرفق والرقه ولين الجانب لدى الرجل .

ويقول الأستاذ مسعود السبحى^(٢): كان الأستاذ مصطفى مشهور ليناً سهلاً رقيقاً، ولكنه كان صعباً صلداً قوياً فى الحق .

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور عصام العريان .

(٢) حوارات مسجلة مع الأستاذ مسعود السبحى السكرتير الخاص للأستاذ مصطفى مشهور .

٩- يقابل السيئة بالحسنة

ويقول الأستاذ مسعود السبحي^(١): كان الأستاذ يسمع أذاه من إخوانه، وكان بيده أن يقسو عليهم، ولكنه كان يقتدى بالحبيب المصطفى ﷺ، لا يغضب لنفسه حيث كان بعض الإخوة يشده من لحيته ويقول له: [أنتم تفعلون كذا وكذا] ولكنه كان يقابل إساءتهم بالحسنى. يقول الدكتور محمود عزت^(٢): [ما شهدته غضب لنفسه أبداً، رغم ما كان يلاقه من الصغير ومن الكبير] ويقول: [أول ما بدأنا مع الشباب، كان بعضهم يتصل بنا ويقول: [إحنا جايين علشان نصلح الإخوان المسلمين] فكنا نغضب من هذا الكلام وتتمعر وجوهنا نحن شباب الإخوان المسلمين، أما هو فكان يفسح صدره لهم وبساطة يقول لهم: [تعالوا شوفوا أنتم هتقدروا تصلحوا إيه، وتعالوا شيلوا ده وحطوا ده...] وكان يعاملهم برفق ويصل بهم حتى يفهموا أن ميدان القول غير ميدان العمل، وميدان العمل الجاد المثمر غير ميدان العمل الذي تضيع فيه كثير من الجهود والإمكانات.

(١) حوارات مسجلة مع الأستاذ مسعود السبحي السكرتير الخاص للأستاذ مصطفى مشهور.

(٢) حوارات مسجلة مع الدكتور محمود عزت نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

١٠- متواضعاً^(١)

التواضع خلق يحبه المسلمون، ويلتزم به الدعوة تأسياً بسيدهم وقدوتهم رسول الله ﷺ الذي أوحى إليه رب العزة والجلال بقوله: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥]. وقال هو لأصحابه وجميع المسلمين إلى يوم الدين: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»^(٢) رواه مسلم. وجسد ﷺ التواضع خلقاً حياً يمشى على رجلين... «فكانت الأمة من إمام المدينة تأخذ بيده ﷺ وتنطلق به حيث شاءت» روى البخارى هذا المشهد عن أنس رضى الله عنه برقم ٦٠٧٢.

كانت البساطة والتواضع من سمات الأستاذ مصطفى مشهور، تقرأها بوضوح فى كل أموره (زيه، ومتعلقاته، ومعاملاته)، ألا تذكرون زى الخروج الذى كان كثيراً ما يرتديه (البدلة الصيفى والشبشب والطاقيه) وحقيته الصغيرة ومتعلقاته (المصحف والراديو وبعض الأوراق)... ودونكم بعض المواقف العابرة الدالة على ذلك:

- دعاه أخ صغير لحضور عقيقة ابن له فحضر خلف أخ على (فسبا) إلى مكان العقيقة (مسجد صغير فى حى شعبي متواضع جداً)، وظل مدة طويلة كلما قابل صاحب المناسبة يسأله عن حال مولوده بالاسم.

- كان يتصل هاتفياً بأخوة له صغار للسلام والاطمئنان، فإذا رد الأخ على الهاتف يعرفه بنفسه قائلاً: [أخوك مصطفى مشهور].

- هم مرة لإمامة المصلين فى مسجد فإذا بشاب جرىء قد ظهر فى القبلة ليؤم هو الناس، فيرجع الأستاذ فى هدوء ويأخذ مكانه فى الصف، وبعد الصلاة ثار مرافقوه على ذلك الشاب فأخذ يهدئ ثائرتهم وينهاهم عن تعنيفه.

- طلب مرة من أخ صغير أن يكتب له بعض المعانى ليتناولها فى مناسبة عقد زواج كان قد دعى إليه، قائلاً: إنى أدعى كثيراً لمثل هذه المناسبات وعندى بعض المعانى التى أكررها فيها، فيتخرج الأخ من أن يكتب شيئاً ظناً منه أنه مجرد اختبار، فإذا بالأستاذ يصبر على طلبه ويؤكد أن الأمر لم يتعد ما قال.

(١) حوار غير مسجل مع الدكتور سناء أبو زيد.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٨٩٥ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٧٢٥ وجزء من حديث طويل رواه مسلم برقم ٢٨٦٥.

- وكان عندما يخرج إلى المسجد يسلم على الصبيان ويعطيهم الحلوى التي لا يخلو جيبه منها أبداً، وظل على هذا الحال حتى آخر مرة ذهب فيها إلى المسجد قبل وفاته، روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعلُه^(١). وكان الأستاذ مصطفى مشهور يسلم على الباعة المتجولين وغيرهم ويسأل عنهم ويعطيهم حتى ولو لم يشتر منهم.

- وكان يتواضع مع أحفاده ويلاعبهم ويداعبهم، وكان ينادى حفيده (عبد الرحمن) بـ(يا أخ عبد الرحمن).

- يروى الدكتور عصام العريان قصة عن الأستاذ مصطفى مشهور يثبت فيها تواضعه الجَم فيقول: من المواقف التي تركت في نفسي أثراً كبيراً، في فترة السبعينيات: كان الحاج مصطفى مدعواً إلى لقاء في بولاق الدكرور في الجيزة وهي منطقة شعبية مكتظة، وفي وقت لم يكن لدى الإخوان سيارات ملاكى متوفرة، وكنت أمتلك (فسيبا) حيث كنت حديث التخرج، وانتظرنا أن يأتى أحد بسيارة إلا أن الأمور قد تعقدت ولم نجد سيارة وخشينا التأخير، ففوجئت بالحاج مصطفى يطلب منى بإصرار أن نذهب بالفسيبا، وركب خلفى وانطلقنا في شوارع القاهرة مما يدل على تواضعه وزهده وحرصه على الوقت والتزامه بالموعد.

- ويقول الأستاذ مسعود السبحى سكرتيه الخاص: كنت مرافقاً له في بشاور، فكان يغسل ثيابه بنفسه فأقول له: [يا أفندم!! . . . نغسلها لك] . . فيقول: [يا ولدى إذا كان عندك ما تريد أن تغسله فهاته لأغسله . . !!].

- وفي السجن والمعتقلات كنت ترى عجباً، كان يغسل ملابس المساجين، ويطبخ لهم ويشرف على المزارع وينظف الزنازين، وأكثر من ذلك كله كان يقوم بنظافة المراحيض والحمامات ولا يأنف ولا يستنكف وكأنه خلق لهذه الأعمال المهينة، وكان نبهاً ومودجاً للإخوان وغير الإخوان ومثالاً في التواضع المذهل . . رضى الله عنه وأرضاه.

- يقول الأستاذ مسعود السبحى سكرتيه الخاص: زارنا ذات مرة في الإمارات فاستقبلته وكنت قد حجزت له في إحدى فنادق الإمارات فقال لى: لماذا هذه المصروفات أما كان يكفى بيتي أحد الإخوان!؟

كان يركب سيارة مرسيدس أهداها له أحد الإخوان، لا يغادر مكان عمله (مكتب الإرشاد) إلا ويصطحب عم شحاتة هدهد الذى يعمل موظفاً فى الهاتف والأخ خالد مختار أحد شباب السكرتارية والأستاذ مسعود سكرتيه الخاص وكل من أراد أن يركب معه فهى ليست له وإنما للدعوة وما هو إلا جندي فى هذه الدعوة - كان يرى نفسه هكذا!! . .

(١) رواه البخارى برقم ٦٢٤٧.

١١- زاهداً

الزهد في الدنيا من صفات الرسول ﷺ، ومن سمات الصالحين، وقد أخبر الله عز وجل عن الزهد في هذه الدنيا بقوله: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. ويقول: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]. والآيات في هذا الشأن كثيرة.

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزيتها» متفق عليه^(١). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»^(٢) رواه مسلم. وعن أنس رضى الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» متفق عليه^(٣).

- كان الزهد من السمات البارزة في شخصية الأستاذ مصطفى مشهور. . . ونبين ذلك في بعض المواقف وهي:

- زاره أحد الإخوان وعندما جلس في حجرة الاستقبال على أحد الكراسي سقط به الكرسى. . . فقال له الأستاذ: معذرة يا بنى هذا الكرسى من عفش الزواج.

- كان مسكنه بسيطاً متواضعاً، ترى ذلك في الأماكن المختلفة التي سكنها منذ زواجه وحتى وفاته. وقد أشرنا إلى مكونات مسكنه بمرسى مطروح في الباب الأول من هذا الكتاب، أما باقى الأماكن التي سكنها فكل من زاره يشهد ببساطتها الشديدة.

- زاره أحد الإخوان بعد عام ٢٠٠٠، وتتلخص هذه الزيارة في مشهدين: يقول الأخ:

(١) رواه البخارى برقم ١٤٦٥، ورواه مسلم برقم ١٠٥٢.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٤٢.

(٣) رواه البخارى بأرقام ٤٠٩٨ - ٣٧٩٦ - ٢٩٦١ وغيرها ورواه مسلم بأرقام ١٨٠٥ - ١٨٠٤.

المشهد الأول: العفش (الأثاث)، فغرفة الجلوس أو الصالون عبارة عن (أنتريه) أقل من الأسيوطى فى مستواه- ضعيف البنية، هزيل الخشب متواضع جداً.
المشهد الثانى: كان الجو حار جداً، وتوجد مروحة لا تكفى، فأسررت ذلك فى نفسى طوال الجلسة، وقدمت لنا تحية لطيفة من أحد أحفاده.

أما الملحوظة التى سجلتها فهى:

بعدما خرجت من هذه الزيارة، قلت للأخ: يا أخى الكريم ألم تلاحظ أن الغرفة التى جلسنا فيها، والتى هى غرفة صالون المرشد العام، والتى يأتية فيها الزوار من كل مكان فى العالم ليس فيها جهاز تكييف؟! بألفين أو ثلاثة آلاف جنيه.. كيف يترك الإخوان مرشدهم بغير جهاز تكييف فى هذا الحر الشديد، فكانت زيارتنا لفضيلته ليلاً وكنا نتصعب عرقاً.. فقلت فى نفسى: لقد ضرب لنا الأستاذ مصطفى مشهور مثلاً حياً فى الزهد.. أيعيش هذه الفترة من عمره وقد تخطى الثمانين وليس عنده جهاز تكييف فى غرفة الاستقبال؟! انظروا إلى زهد الرجل وإلى استخفافه بالدنيا!! وكأنى أرى فيه سنة رسول الله ﷺ حينما دخل عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجد جسد الرسول ﷺ قد تركت فيه علامات من الحصر الذى كان ينام عليه، فقال له يا رسول الله: كسرى وقيصر ينعمون بالحرير والديباج، ورسول الله ﷺ ينام على حصير يؤثر فى جسده!! فانتفض رسول الله ﷺ وقال: يا عمر، ما لى وللدنيا.. ما لى وللدنيا.. ما لى وللدنيا..^(١) وكأن الأستاذ مصطفى مشهور يجيب على سؤالنا: لماذا لم تضع التكييف فى غرفة جلوسك بقوله: ما لى وللدنيا.

- وشهد له جميع من رافقه فى أسفاره الخارجية والداخلية بالبساطة الشديدة والزهد فى ملبسه ومأكله ونومه، وأنه لم يكن يشتري شيئاً لنفسه أو لأولاده من الأسواق وهو فى بلاد أوروبا أو أمريكا ولم يؤثر عليه بريق أو بهرج الأشياء، وإنما كان تركيزه على المهام التى سافر من أجلها فيؤديها على أكمل وجه، واشتهر بحقيبته الصغيرة التى تحفظ له أغراضه المهمة المكونة من: (المصحف والسواك والمسبحة والأوراق والقلم إلى جانب غياره البسيط من الملابس).

(١) رواه مسلم برقم ٢٣٧٧ عن عبد الله بن مسعود وليس فيه ذكر كسرى وقيصر برواية أصح مما جاء.

١٢ - خيراً لأهله

يقول صلوات الله وسلامه عليه: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخارى ومسلم. البخارى برقم ٥٠٩٠ ومسلم برقم ١٤٦٦.

وجاء فى الأثر الذى رواه ابن حبان: من تزوج امرأة لمالها لم يزد الله إلا فقراً، ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزد إلا دناءة، ومن تزوج امرأة ليغض بها بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه^(١).

وفى الحديث: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتک، وإذا غبت عنها حفظتک فى نفسها ومالك»^(٢).

وفق الله مصطفى مشهور فى اختيار زوجته كما أمر الإسلام وعمل معها حتى حقق الهدف الكريم كما أشرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب.

فى بداية أيام زواجه وهو يبادلها مشاعر الحب، كان يبذر معها بذر القيم الدينية الأصيلة (العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق المتينة).

وقدر الله تعالى له أن يعيش بزوجه بعيداً عن أهله، فعاش فى القاهرة ثم بعدها انتقل إلى مطروح، فكان بعيداً عن كل المؤثرات العائلية، فكانت فرصته فى بث أكبر قدر من مشاعر الحب مع أكبر قدر من القيم الدينية، فنقل زوجته إلى عالم سعيد جديد فريد من نوعه..

نجح العروسان ووقفاً جنباً إلى جنب وأقاما بيتاً سعيداً قائماً على تقوى الله والحب العميق وأنجبا ذرية صالحة تعاونوا فى تربية هذه الذرية التى ستكون لهما ذخراً يوم القيامة إن شاء الله.

عاش مصطفى مشهور مع زوجته وأولاده بالحب والتودد واللطف والرفق، وبالرعاية الحانية لهم وبذل الوقت والمال، وكان يحرص على صلاة الجماعة بهم وتلاوة القرآن وتعليمهم وتحفيظهم، وعمل لهم دروساً مهمة فى السيرة وغيرها، وكان يقيم لهم بعض الحفلات العائلية مع برنامج يضم الطعام، والشراب والمرح وكلمات قصيرة فيها آيات وأحاديث وقصص وعبر من السيرة، وكان مرحه معهم فيه عبر وعظات.

(١) خبر موضوع حكم بوضعه ابن حبان فى كتابه المجروحين ١٣٥/٥ وابن الجوزى فى الموضوعات ٤٥/٣ والذهبي ميزان الاعتدال ٦١٧/٢ والألبانى فى ضعيف الترغيب برقم ١٢٠٨ وفى السلسلة الضعيفة برقم ١٠٥٥.

(٢) صححه أحمد شاكر فى عمدة التفسير ٥٠٠/١ حيث أشار فى المقدمة إلى صحته.

أما أيام المحن فكان يرعاهم برسائله ويتابع أخبارهم ويرشدهم ويوجههم ، بل كان يلخص لأولاده بعض المناهج التعليمية . ولا ننسى رسائله الرقيقة لزوجته الصابرة المحتسبة المؤمنة التقية الراضية ، (نقلنا كل هذه الرسائل في باب المحن في هذا الكتاب ، وكان رقيقاً رقيقاً بأولاده وبناته وعودهم على ذلك ورباهم منذ نعومة أظفارهم ، فكان يوقظهم من نومهم بأنشودة جميلة يقول لهم فيها : [يا صباح الخيرات والحسنات والبركات والرحمات والأمورات].

وكان دائماً يشرك أولاده قدر طاقتهم في اهتماماته ، يحدثهم عن أماله وآلامه ، وعن مشكلات المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويحدثهم عن تجاربه الخاصة بما يناسب أعمارهم ، وعن تاريخ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، وكان شديد الحرص على اصطحاب ابنه مشهور إلى المسجد في الصلوات الخمس ، واصطحبهم جميعاً إلى صلاة الجمعة والعيدين وكذلك صلاة التراويح في رمضان وذلك لإفادتهم للارتباط بالجماعة ، ولسماع العظة المؤثرة ، وللإنصات لترتيل القرآن ، وليشهدوا الخير وجماعة المسلمين .

وكما كان مصطفى مشهور خيراً لأهله ، كذلك كان خيراً لأقاربه وأرحامه .

كان يحب أهله وكانوا يحبونه ، فكان يحافظ على الزيارات والمجاملات ويقدم لهم الخدمات ما استطاع ، وكان يشارك في تسوية الخلافات بينهم ، وكان يرعى الفقراء منهم .

كان دائماً يحدثهم عن أهمية الإيمان وحرارته وأن ما يعانته من مشكلات نتيجة لضعف الإيمان وبالتالي ضعف الأخلاق في كل مجال . وكان يؤكد لهم دائماً إحياء الإيمان في القلوب والعقول وذلك بالعبادة الخاشعة ، وبالقراءة الجادة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة والكتب الإسلامية المعاصرة ذات الأسلوب الحي ، وكان يحثهم على ممارسة ذلك ، ويسعى بهم إلى تغيير ما بالأنفس ليغير الله الحال إلى أحسن الأحوال .

وكذلك كان مع الجيران ..

فكان مصدر خير لأهله وأولاده وأقاربه وأرحامه وجيرانه .

لا يفوتني القول إن مصطفى مشهور أنشأ أسرته على الربانية حتى صارت هذه الأسرة الكريمة تعيش لأخرتها . . ولا نعجب منه في أسفاره الخارجية حيث لا يفكر في شراء هدايا لهم ليس بخلاً وإنما زهداً منه ومنهم . . وكذلك لا نعجب لموقف آخر وهو زيارتهم ، له في السجن بعد طول غياب ، لم يسألهم عن أحوالهم المعيشية (الأمر المتعلقة بالدنيا) وإنما سألهم عن دعوتهم وحالهم مع الله تبارك وتعالى ، وعن درس السيرة أين وقف في آخر حلقة معهم قبل السجن !! .

ومن نافلة القول أن نذكر مساعدته لزوجته ومعاونته لها وخدمتها حال مرضها في آخر عمرها، وهو ليس بغريب على مثل هؤلاء العظماء، ويوم وفاتها وهو يتلقى العزاء واقفاً..
كان مصطفى مشهور رقيقاً لطيفاً هيناً ليناً في معاملته لأهله وأولاده وأقاربه وجيرانه بل والناس أجمعين، وكان واسع الصدر رقيقاً خلوقاً يراعى شعور الآخرين. وبهذه المناسبة نذكر قصة مع زوجته.

*** قصة مع زوجته فيها عبر:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح^(١).
كثير من العظماء عظماء بأفعالهم وأقوالهم ومواقفهم أمام الناس وعلى الشاشة وبين الجماهير، ولكنهم فى بيوتهم أشخاص عاديون وليسوا عظماء مع نسائهم أو أولادهم..

أما أستاذنا فنجده يأبى إلا أن يكون من أكمل المؤمنين إيماناً بحسن خلقه وبخيرته لزوجته.
يقول الدكتور محمود عزت^(٢): [حككت لى زوجتى قصة سمعتها من زوجة الحاج مصطفى مشهور، أنه فى إحدى سفريات الحاج مصطفى الخارجية، قامت بتجهيز شنطة السفر ورتبت له احتياجاته وأوراقه، وبلغ الحاج مصطفى الإخوان بموعد السفر تحديداً، ثم بعد ذلك قدم لهم اعتذاراً بعدم السفر نسبة لظرف طارئ دون أن يوضح لهم السبب، والسرفى إلغاء هذه السفرية: أن زوجته أثناء ترتيبها للشنطة وجدت جوازى سفر فقامت بتمزيق أحد الجوازين ظناً منها أنه هو الجواز القديم المنتهى، ولكنها دون أن تعلم فقد مزقت الجواز الجديد الذى به تأشيرة هذه السفرية وهو الجواز سارى المفعول!!!..

لما علم الحاج مصطفى ذلك لم يسأل زوجته عن هذا الخطأ ولم يوضح لها ما سببه من إلغاء هذه السفرية، بالرغم من أن هذه السفرية كانت مهمة جداً.. حفاظاً على شعورها وعلماً منه أنها لو علمت بالحقيقة فسوف تحزن حزناً شديداً، ولم يحك الحاج مصطفى هذه القصة لأحد أبداً حتى مرت عليها سنوات ثم علمت زوجته بعد ذلك وحكت لزوجتى..

هذا هو حال أستاذنا مع زوجته الذى يعلمنا كيف تكون سعة الصدر، وكيف يكون حسن الخلق، وكيف يكون تقدير مشاعر الغير..

(١) رواه الترمذى برقم ١١٦٢ وصححه الألبانى وأحمد شاكر.

(٢) حوار مسجل مع الدكتور محمود عزت.

١٣- أمين الدعوة في القرن العشرين مهموماً لدعوته

ما أكثر المعاني المجردة التي يسعى الإدراك الإنساني إلى استيعابها، وما يعين على ذلك أن يحول الإنسان هذه المعاني المجردة إلى صور حسية تجسدها وترجمها، وحينما نحاول تطبيق هذه القاعدة العامة على (هم الإسلام والدعوة) فتتخيل صوراً لأكثر الناس تجسيداً لهذا المعنى في العصر الحالي، فإن صورة الأستاذ مصطفى مشهور تكون أول ما يجول في الخاطر، سيما الجدية البادية في ملامح الوجه، وصوت التنهيدة المترددة بين حين وحين لتكشف عمماً وراءها من هموم كبيرة وأحمال ثقيلة. تتوزع على قضايا متراحمة في الداخل والخارج. منها:

- دعوة حق مضيق عليها.
- ودين حق مفترى عليه.
- وأجناد حق ملاحقون.
- ومسلمون مستضعفون مضطهدون من قوى الشر هنا وهناك (صهيونية وصليبية وشيوعية وهندوسية) وهكذا.

كان الإخوان - في أحيان كثيرة - يكلمونه في شئون الدعوة عندما يستلقى متأهباً للنوم ويظلمون هكذا حتى يغلبه النعاس، فينصرفون عنه، ثم ربما يتذكر أمراً مهماً من أمور الدعوة فيطير النوم من عينيه وينهض ليواصل العمل.

●● آثار الهم:

إن هذا الملمح الأساسي في شخصية مصطفى مشهور كانت له آثار عديدة في حياته منها:

- ١- هممة نشطة دءوبة لا تعرف التكاثر ولا التثاقل بل ولا حتى التباطؤ في أية لحظة، فكان في حركته تلك هو (الحال المرئى)، لا يكاد يحل في مكان حتى يرتحل متنقلاً من سفر إلى سفر (في الداخل والخارج) ومن عمل إلى عمل، حتى ربما شملت جولاته ثلاث محافظات في اليوم الواحد.

- ٣- وقت مزدحم بالانشغالات والإنجازات يضمن بكل لحظة أن تضيع بغير فائدة، وكان هو نفسه وكذلك ذويه الأقل حظاً في وقته وجهده.

٤- كان كثيراً ما يقرأ قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] فما قرأها مرة إلا تأثر واستعير، وكأنه يتذكر عندها ثقل الأمانة التي كلف الله بها من اصطفاهم من عباده، ثم ثبت على الدرب ووفى بالعهد رجال مضوا إلى ربهم مع الصادقين غير مبدلين ولا مغيرين، ثم بقى غيرهم فماذا هم صانعون أيبتون كما ثبتوا ويصدقون كما صدقوا، وهنا يغلب الأستاذ الشعور بالوجل والإشفاق فيكون التأثر والبكاء.

من روايات الحاج فرج النجار في سنة ١٩٤٣^(١) أنه اتفق مع الأخ (أحمد عبدالفتاح العبد) أحد المسؤولين بالمكتب الإداري للإخوان المسلمين بالمنوفية في ذلك الوقت، أن يذهب أعضاء المكتب إلى القاهرة لمقابلة فضيلة المرشد الإمام حسن البنا وذلك للاطمئنان على الأخ (محمود على خليل زناتي) أحد إخوان شبين وأحد أعضاء النظام الخاص الذي التحق بكلية العلوم جامعة فؤاد (القاهرة) . .

يقول الحاج فرج النجار: [وبعد درس الثلاثاء . . التقينا بفضيلة المرشد العام في مكتبه وأثناء اللقاء استأذن شاب في سن الخامسة والعشرين تقريباً وسلم على فضيلة المرشد وقبل يده، وعرفنا بعد ذلك بنفسه: مصطفى مشهور- كلية العلوم- منيا القمح- شرقية، وخرج على الفور.

قال الأستاذ أحمد العبد لفضيلة المرشد: إن لنا طالباً التحق في هذه السنة بكلية العلوم ونريد أن نطمئن على تسليمه واستقراره، وعلى الفور نادى الأستاذ المرشد على الأخ الطويجي، ولما حضر طلب منه أن يلحق بالأخ مصطفى مشهور ويستدعيه للحضور. وعلى الفور حضر الأخ مصطفى مشهور، فقال له المرشد: (إخوانك في المنوفية لهم عندك طلب).

وأخذني الأخ مصطفى مشهور على جانب من اللقاء وسألني عن الموضوع، فقلت له: لنا طالب من المنوفية التحق بكلية العلوم في هذه السنة، وفوراً قال: محمود على خليل زناتي؟ قلت نعم.

فقال لي: اطمئن هو يسكن معي الآن.

ثم أعطاني عنوانه بالحي المحمدى بالدمرداش وثمره المنزل. وانضمت للقاء إخوان المنوفية وفضيلة المرشد.

(١) حوارات غير مسجلة مع الحاج فرج النجار.

وكانت لفتة تاريخية إذ عرفنا فضيلة المرشد مرة ثانية - في غيابه - بالأخ مصطفى مشهور وقال: «إنه مهموم بدعوة الإخوان المسلمين في القرن العشرين، وكما كان يوصف أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه بأمين الأمة في عهد الرعيل الأول، فإن هذا الشاب - ويقصد مصطفى مشهور - هو أمين دعوة الإخوان المسلمين في العهد الحالى.

وسألنى فضيلة المرشد عما تم مع الأخ مصطفى، فقلت لفضيلته: إننا اتفقنا على اللقاء في درس الثلاثاء المقبل ومعه الأخ محمود زناتى.

وعندما قابلته حسب الموعد في درس الثلاثاء شعرت وكأنه - يعنى مصطفى مشهور - يعانى من حمل ثقيل على كاهله، ولكنه لا يكمل ولا يعمل.

وكذلك شعرت من مخبره ومظهره أن هذا الشاب مهموم بالفكر بروحه ودمه، كما تختلط العقيدة بخلايا صاحب الرسالة المشغول بأمرها، وكذلك شعرت بأنه الوالد الحنون على كل أبناء الدعوة.

فكل أخ يقابله يفتح له صدره ويجلسه فى مكان يليق بإخوته وكل من يقابله يأخذ من عينيه بريقاً يستمر طابع الأبوة والأخوة والأمن والولاء من النظرة الأولى.



١٤- ذوهمة عالية

كان يتمتع بهمة عالية فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وفى كل ما يؤكل إليه من أعمال سواء فى السجن والمعتقلات أو قبلها أو بعدها، وكما يخبر من عاصروه فى المعتقلات: أنه كان دائم العمل فى خدمة الإخوان من غسل للملابس واهتمام بالمزرعة، والمطبخ، ونظافة عامة بل ونظافة المراحيض بيده الطاهرة!! وكذلك كان لا يكف عن إرشاد الإخوان وتصبيرهم وتثبيتهم، ولفت نظرهم إلى أهمية الدور الذى يقومون به، وأن ما يتعرضون له إنما هو منحة من الله تعالى تصقلهم وتعددهم لمواجهة أى حدث يتعرض له الأخ فى حياته. ومن بعض القصص التى كانت تحكى عنه.. أن الفول الذى كان يقدم للمعتقلين لا يؤكل لعدم جودة طهيته، فما كان من الحاج مصطفى إلا أن اتفق مع إدارة السجن على أن يأتوا بإلية خروف ليضعها فى الفول لتحسين طهيته وطعمه فى نفس الوقت، فكان الإخوان بعد ذلك يطلبون كميات أكبر وهكذا..

وكان لا يكف عن التخفيف من آلام الإخوان وتهوين الأمر عليهم، ويخص الذين يعانون المشاكل فى بيوتهم ومع أولادهم.

ومن همته العالية تذكيره الدائم المتواصل لأسرته ومراسلتهم بل وتلخيص المناهج التعليمية لهم من خلال هذه الرسائل وأكثر من ذلك تصويب الأخطاء التى فى رسائلهم التى كانت تأتية منهم وإفادتهم من ذلك.

وكذلك بعد خروجه من كل سجن أو معتقل كان يزاول معهم نشاطه الدعوى فى البيت من حفظ القرآن وتجويد ودرس السيرة المشهور.

هل تتصور أخى القارئ الكريم أن الأستاذ مصطفى مشهور بجانب كل مشغوليته التى لا تنتهى أنه كان يلزم نفسه بتحفيظ وتعليم القرآن لبعض العوام من الناس؟!.

ويجد خير دليل وبرهان على همته أنه كان كثيراً ما يوصى إخوانه بذلك فيقول: [لتتواص يا أخى بأن نستشعر مسئوليتنا وواجبنا نحو هذه الدعوة بصورة تؤرقنا وتباعد بيننا وبين الراحة أو الدعة والاستكانة، بصورة تجعلنا دائمي التفكير والانشغال بشئون الدعوة فهى كل شئ فى حياتنا، نفكر ونعمل كل ما يحقق مصلحة لها أو يدفع ضرراً عنها. ولنعلم أن كلاً منا على ثغرة فلا تؤتى الدعوة من قبلنا.

١٥- الإصرار على الحق:

أدرك مصطفى مشهور جيداً موقف سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ حين سآومه المشركون على دينه: «والله يا علم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»^(١) فوثبت روحه لاحقة بعالم الهمم الذي يقوده إمام الهممة الذي بلغ أرقى مستوى فيها لما بلغ سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى «فما زاغ بصره وما طغى» وكان كل تركيزه في دعوته ورسالته ومهمته التي بُعث من أجلها فذكرها المولى جل وعلا بعدم زيع البصر وطغيانه. ولذلك كله عاهد أستاذنا أن يمضى على خطى الحبيب ﷺ وبإيع أن يفدى دينه بروحه، ورفض الظلم والعدوان ولم يقبل الاعتداء على كرامته وماله وعرضه ودعوته، ولا خيار له في المطالبة بحقه لأن حق الجماعة التي عاهد الله على نصرتها وبذل كل شيء في الدفاع عنها.

ورحم الله الشاعر المسلم الذي يقول:

همتى هممة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفراً

فعاش لدعوته وبذل لها كل شيء ولاقى ما لاقى مع إخوانه في سبيلها في سجون الطغاة ما يقرب من الربع قرن قدمت فيها الدعوة من خيرة أبنائها شهداء على أعواد المشانق وفي ساحات التعذيب وخلف جدران السجون، إلا أن أستاذنا مصطفى مشهور خرج من هذه المحن هو وإخوانه كالذهب الأبريز، لم تلن له عزيمة فلم يهن ولم يضعف ولكنه صبر وصابر وثبت ورباط، فخرج من المعتقلات والسجون عام ١٩٧١ مرفوع الرأس لم يعط الدنيا في دينه لأحد وواصل المسيرة وقوراً مهابةً حياً متواضعاً صلباً شجاعاً حاملاً اللواء صادعاً بالحق معلناً موقف الجماعة في صراحة ووضوح وشجاعة وحزم وتصدد لكل العوائق.

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾



(١) ضعيف ضعفه الألباني في فقه السيرة ص ١٠٩ وفي السلسلة الضعيفة برقم ٩٠٩.

١٦ - حريصاً على الوقت دقيقاً في الموعد:

الوقت نعمة من نعم الله تبارك وتعالى المهمة التي أولاها القرآن الكريم بالغ العناية وكذلك السنة المطهرة، يقول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ ﴾ [٣٣، ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٦٢].

ولبيان أهمية الوقت، أقسم الله تعالى في مطالع سور عديدة من القرآن: ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۗ ﴾ [١، ٢] ﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۗ ﴾ [الليل: ١، ٢] ﴿ وَالْفَجْرُ ۗ ﴾ [١، ٢] ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ۗ ﴾ [الضحى: ١، ٢] ﴿ وَالْعَصْرُ ۗ ﴾ [١، ٢] ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۗ ﴾ [العصر: ١، ٢].

وتؤكد السنة المطهرة قيمة الوقت ومدى مسئولية الإنسان عن الوقت أمام الله، فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»^(١) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له.

الوقت أخى القارئ الكريم سريع الانقضاء، وما يمضى منه لا يعود أبداً ولا يعوض، وهو رأس مال العبد فى هذه الدنيا وأعلى وأنفس أملاكه، فعلينا جميعاً أن نحرض على الاستفادة منه وعدم قتله وتضييعه، وأن نغتنم كل فراغ فيه، بل ونسارع بعمل الخير ما أمكن، ونعتبر بمرور الأيام وتقلب الليل والنهار، وأهم شيء نحفظ به هذا الوقت هو تنظيمه وتصنيفه وأن لكل وقت عملاً خاصاً به وأن نتحرى الأوقات الفاضلة.

كان أستاذنا مصطفى مشهور يدرك قيمة الوقت ويعتقد فى قرارة نفسه أن الوقت أعلى من الذهب واللؤلؤ والماس ومن كل جوهر نفيس وحجر كريم وفهم واستوعب تقدير الإمام حسن البنا للوقت بقوله: [الوقت هو الحياة] الذى وافق قول الحسن البصرى: [يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك].

لم يتوقف عند الفهم والإدراك ومعرفة القيمة وإنما تجاوز ذلك بعزم وإرادة حازمة إلى التنفيذ والتطبيق والالتزام والسلوك... فلم يمض يوماً من عمره فى غير حق قضاءه، أو فرض أداه، أو مجد أو حصلة، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه ولم يعق يومه أبداً فلم يظلم نفسه كما قال حكيم.

(١) سبق تخريجه ص ٦٠٧.

لذلك نراه يقول^(١): [حياة المرء لا تقاس بعدد السنين التي عاشها من مولده إلى وفاته، ولكنها تقاس بما قام به في حياته من أعمال، وتأثير هذه الأعمال في حياة الناس على الامتداد الأفتى وعلى الامتداد الزمنى للأجيال، سواء كان هذا التأثير بالخير والنفع، أم بالشر والضرر، وبالتالي يكون الأجر وحسن الجزاء، أو الوزر والعقاب].

ويقول: [ولما كانت حياة المرء في هذه الدنيا قصيرة جداً، فلا يجوز لعامل أن يضع أى جزء منها دون استغلال فيما ينفعه يوم القيامة، وعند قيام الساعة يتصور الناس أنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

ويؤكد أستاذنا: أن الواجبات والأعمال المطلوبة في حقل الدعوة لتحقيق الهدف (إقامة الدولة الإسلامية والخلافة من جديد) كفيلة أن تشغل كل العاملين، بل يضيق الوقت بهم عن أداء تلك الواجبات، ولذلك نجد الإمام البنا يقول: [الواجبات أكثر من الأوقات]. وتوفر الصدق والإخلاص ينزل الله بركته على هذه الجهود فيكون الأثر الطيب... وهنا نحن نلمس ذلك من دعوة الإمام البنا الذى كان نموذجاً فى بذل الطاقة وشغل الوقت، وقد بارك الله فى عمله لتوفر الصدق والإخلاص (نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحداً) فقد استشهد ولم يتجاوز ثلاثة وأربعين عاماً وبعد مضى عشرين عاماً على إنشائه لجماعة الإخوان، ولكن امتدت ثمار جهوده أفقياً على الساحة العالمية وزمنياً مع الأجيال ولا يزال فى نمو وامتداد.

ثم يلفت نظر العاملين فى حقل الدعوة إلى نقطة غاية فى الأهمية وهى:

أن العمل الجماعى المنظم والمخطط لهو أفضل السبل لحسن الاستفادة من أوقات وجهود العاملين، بخلاف العمل الفردى غير المنظم وغير المخطط له، فكثيراً ما تشتت به الجهود، وربما تضادت أو تكررت ولم تتوحد.

•• دروس عملية:

من الدروس العملية التى عايشها الأستاذ، نذكر على سبيل المثال ما حكاها لنا أستاذنا عن سلوكهم فى السجن فقال^(٢): [وأذكر بهذه المناسبة أننا عندما كنا بالسجن كنا نشغل أنفسنا بأعمال نافعة يضيق بنا الوقت فى إتمامها، وربما يظن الكثيرون أن وقت السجن ممل وطويل. كذلك عندما كان يحبس أحدنا انفرادياً وحده فى زنزانه مغلقة يشغل وقته كله فى عبادة من صلاة وتلاوة للقرآن وذكر الله ومناجاة ودعاء إلى غير ذلك..].

(١) انظر: مقومات رجل العقيدة - مصطفى مشهور.

(٢) المرجع السابق.

وفي تقديمه نصيحة لرجال الدعوة بدأ بنفسه فيها يقول: [هكذا يجب على رجل الدعوة ألا تمر عليه فترة - مهما قصرت - في سهو أو لغو أو لهو ولكن في طاعة وخير . . . هناك وقت يضيع على كثير من الناس في سهو وهو الوقت الذي يقضونه في المواصلات، في سيارات أو قطارات أو طائرات، فحبذا لو شُغل في ذكر أو قراءة نافعة أو استماع للقرآن أو تلاوة أو غير ذلك .
من حرص أستاذنا على الانتفاع بوقته وأخذه بالتخطيط والتنظيم له فقد وضع لنفسه برنامجاً، أخذاً عهداً ألا يغيره وأن يلتزم به .

فكان يستيقظ قبل أذان الفجر بساعة يتهجد فيها لربه ويخلو مناجياً داعياً راکعاً ساجداً باكياً خاشعاً ثم يختم تهجده بالوتر، ثم يذهب إلى المسجد قبل الأذان ليوقظ عمال المسجد أو يفتحه هو إن كان لا يوجد أحد، ثم يصلى بالناس - إماماً - ثم يعود إلى بيته . . . كان يتلقى الصباح طاهراً نقياً قبل أن تلوثة أنفاس العصاة الذين لا يفقهون من نومهم إلا في ضحى النهار، ويستقبل يومه من البكور: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(١) حديث شريف رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن صخر بن وداعة الغامدي وابن ماجه عن ابن عمر والطبراني عن عدد من الصحابة . . . ثم يقرأ ورده (قرآن وأذكار) حتى شروق الشمس ثم يستريح قليلاً، ويتناول إفطاره في الساعة السابعة والنصف، ثم يصلى الضحى ويتأهب للذهاب إلى عمله، كان يستغل فترة وجوده في السيارة لسماع القرآن الكريم أو نشرة الأخبار في ذهابه وإيابه . . . يصلى الظهر جماعة في مقر العمل ويصلى العصر في المسجد وكان يستغل طريقه إلى المسجد بالسلام على من يلقي من الناس وتوزيع الحلوى على الأطفال، وكان حريصاً على توزيع الكتيبات والنشرات على المصلين في المسجد، وكان يكتب المقال الذي كان ينشر في جريدة الشعب بعد الراحة . . . ثم يتلوه بالورد من القرآن والأذكار المسائية ثم ينام بعد العشاء .

•• الدقة في الموعد:

حرصه البالغ على الوقت جعله دقيقاً في الموعد . . . فكان يجهز نفسه للذهاب ويعطى وقتاً كافياً مع مراعاة عواقب الطريق وقبل أن يأتي أحد في موعد له ولا يجده جاهزاً؛ يقول الأستاذ مسعود السبحي سكرتيره الخاص: في غالب الأوقات كنت أجده ينتظرنى في بلكونة الشقة جاهزاً بمبلاسه حاملاً حقيبته منتظراً . . . أما بالنسبة لبرنامج المواعيد فكان هو الذي يذكرنى بالمواعيد في غالب الأحيان .

(١) الحديث فيه مقال عند كثير من العلماء ولكن صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٨٤١ وصحيح ابن ماجه برقم ١٨٣٢ .

ذكر أحد الإخوان في القاهرة أن الأستاذ مصطفى مشهور كان قد اتفق مع بعض الإخوة على أن يلتقى بهم وحدد المكان والزمان ، ولكن وصل إلى علم المعنيين بالموعد أن الأستاذ في سفر خارج البلاد (ألمانيا) فاعتقد كل منهم أن الأستاذ سوف لا يتمكن من الحضور في الموعد المحدد، فلم يحضر أحد منهم، ولكن فوجئ الأخ الذي كان الموعد في منزله أن الأستاذ قد حضر في الموعد المحدد، علم الأخ أن الأستاذ قد توجه من مطار القاهرة بعد وصوله إليه مباشرة إلى منزل هذا الأخ . وحينما علم بقية الإخوة المعنيين بالموعد أسفوا لعدم حضورهم وكان درساً لهم في الاهتمام والدقة في الموعد والمحافظة عليه مهما تكن الظروف .

يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [على الأخ رجل العقيدة أن يكون منظماً في شئونه: فهذه النعم التي أنعم الله علينا بها من وقت وصحة ومال وعلم وغير ذلك: تستلزم أن نقدرها حق قدرها، وأن نحسن استغلالها، وألا نضيع سدى. ولن يكون ذلك إلا بالدقة والتنظيم لهذه الشئون، خاصة وأن الواجبات أكثر من الأوقات، وإذا لم يكن الأخ منظماً سيفقد الكثير من وقته وجهده.

كذلك الشئون المالية يراعى التوزيع الحسن لها، الأهم فالمهم، وباقي أموره يجب أن تكون منظمة بعيدة عن الفوضى والارتجال، فهذا يوفر عليه الكثير من وقته وحاله وجهده، هكذا الأخ منظماً في كل شئونه؛ في بيته وعمله ومكتبه وكل شئونه.

١٧- صادقاً في حبه لدعوته

الحقيقة التي يجب أن تثبت في الأذهان أن العمل لنصرة دين الله والجهاد في سبيل التمكين لدين الله في الأرض - أي العمل في الدعوة - يحتاج إلى نوعية متميزة من الرجال المؤمنين تتوفر فيهم صفات خاصة ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه مقرونة بحبه لهم، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣] وفي آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨] كذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وفي آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وكذلك: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وأيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. و﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]. وأيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وفي مجال القتال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَّانَ مَرْضُوعًا﴾ [الصف: ٤]، وكذلك: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن جميل فضل الله على هؤلاء الرجال المتصفين بهذه الصفات تقرير معيته لهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. وفي آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

أما الوسيلة للوصول والفوز بهذا الحب العظيم فيرشدنا إليها رسولنا الكريم الحبيب المصطفى ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

إن الحب الصادق للدعوة نابع وصادر عن الحب الصادق لله تبارك وتعالى والحب الصادق للحبيب المصطفى ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري برقم ١٥ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُقذف في النار» رواه البخاري برقم ٢١، ٦٩٤١، ١٦.

كان الأستاذ مصطفى مشهور من هؤلاء الرجال الذين يحبون الله ورسوله ويحبون دعوتهم، وكان يشعر أنه لا غنى له عن هذه الدعوة. يقول عنه الدكتور محمد حبيب: «لم أر أحداً يحب دعوته مثل الأستاذ مصطفى مشهور، لقد عاش لدعوته وعاشت الدعوة فيه» ويبدو ذلك واضحاً منذ انضمامه إلى ركب هذه الدعوة وإلى أن توفاه الله، كان لا يكف عن العمل ليل نهار لدعوته، وكان كلامه كله في الدعوة وحركته كلها للدعوة لا يكمل ولا يمل في خدمتها يحبها أكثر من نفسه وماله وولده والناس أجمعين.

لم نذكر قصته مع عروسه في ليلة زفافه وماذا قال لها؟! لقد صارحها من أول ليلة بحبه بأخرى وأنه متزوج بأخرى.. فتعجبت وقالت له: كيف ذلك؟! قال لها: الزوجة الأخرى التي أحببتها وتزوجتها قبلك هي: [الدعوة إلى الله تبارك وتعالى] وهي ستشغلني عنك كثيراً، وسأتأخر كثيراً بسببها، فأرجو ألا تغارى منها... ولكن الله تبارك وتعالى وفق عروسه في الرد فقالت له: وأنا سأكون لها خادمة بإذن الله.

وكان كثيراً ما ينصح الإخوان في أحفال الزفاف، فيها هو يقول في كلمة العقد التي ألقاها في عقد قران الدكتور أنور شحاتة رحمه الله في مسجد زنتاتي بشبين الكوم: [يا دكتور أنور أخبر عروسك أنك تزوجت قبلها زوجة لا يمكنك أن تفرط فيها أبداً لفرط حبك لها، هذه الزوجة هي: [الدعوة].

إن العمل لنصرة دين الله والجهاد في سبيله حتى يتمكن دينه في الأرض، بمعنى العمل في حقل الدعوة، لا يكون ناجحاً أبداً إلا بحب صادق لهذه الدعوة حباً عميقاً قوياً صادقاً مخلصاً لله تبارك وتعالى ثم لرسوله ﷺ ثم للدعوة، حباً يرفع من قدر العبد الداعي إلى الله حتى يوصله إلى مرتبة الذين يشملهم المولى جل وعلا بحبه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

كان الأستاذ كثيراً ما يبين لإخوانه أن: [الدعوة هي التي صنعتنا، وهي مقدمة على كل شيء.. مقدمة على النفس، مقدمة على الأهل، مقدمة على الولد، ونحن ما قيمتنا بدون هذه الدعوة.. نحن لا نساوي شيئاً أبداً بدونها، وهي التي جعلت لنا هذه العزة، وهذه الصلابة، وهذا الجلد...].

ومن شدة حبه للدعوة يرفض أن يشيخ قلبه فيها إذا شاخ جسده وبيض شعره ووهنت عظامه ، فكان إذا سُئل عن عمره يجيب دائماً بقوله :

العمر يهفو نحو السبعين والروح ثابتة عند العشرين
فكان يتحمل الأسفار ولقاءات الإخوان في الداخل والخارج والسهر والتعب ولقاءات عامة الناس في الدروس والمحاضرات والمؤتمرات ، ومجالسة البسطاء من الناس يعلمهم القرآن ويدعوهم إلى الله .

وظل على هذه الروح من حبه للدعوة حباً صادقاً والجهاد من أجلها . . حتى توفاه الله عز وجل .

١٨ - حبه الصادق لإخوانه:

نشأ مصطفى مشهور في المحاضن التربوية التي أسسها وأشرف عليها الإمام حسن البنا وذلك بغرسه بذور الإيمان والأخوة والحب في نفوس وقلوب ووجدان الإخوان وصنع منهم جيلاً قوياً تزود بالمعاني القرآنية التي تؤكد أن الأخوة في الله نعمة كبرى بعد نعمة الإسلام قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣] وعلم أن هذه الأخوة لا تشتري بالمال أو الأعراض الدنيوية ولكنها تتم بفضل الله وقدرته، قال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ (٦٢) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

اقتبس الإمام البنا للإخوان هذه المعاني من سيرة رسول الله ﷺ، فركز على قضية الإيمان، واهتم كثيراً بالتربية وإعداد الفرد المسلم، ثم اهتم بقضية الحب والأخوة وجعلها ركناً من أركان البيعة، وجعل أدنى مراتبها سلامة الصدر وأغلاها الإيثار، وسمى الجماعة (الإخوان المسلمون) لتحمل معنى الأخوة مع الإسلام. وهياً النفوس للجهاد في سبيل الله، وضرب المثل في ذلك عملياً في حرب فلسطين، وكانوا مثلاً رائعاً في الفداء والتضحية مما أزعج الصهاينة إزعاجاً شديداً. لذلك نجده رضوان الله عليه يقول تحت عنوان الأخوة عند ذكره لأركان البيعة في رسالة التعاليم: [وأريد بالأخوة: أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر وأغلاه الإيثار: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩].

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١].

يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [لقد تذوقنا حلاوة هذه النعمة -نعمة الأخوة في الله- في أوقات الشدة وأوقات العافية، أثناء المحن والابتلاءات والإعنات في السجون والمعتقلات، فكان الحب والأخوة بعد الإيمان والصبر خير دواء وراحة في هذا الجور من الإيذاء والتعذيب].

ويصف لنا قيمة الأخوة في الله بما عايشه في أسفاره وتجاربه ويقول: [إن الأخ إذا لقي أخاً له في الله في أى بلد أثناء سفره، كان له كالواحة الخضراء وسط الصحراء خاصة في بلاد الكفر، حقاً إنها نعمة من الله].

ويؤكد لنا أن هذه الأخوة لا تشتري بالمال في سياق قصة واقعية قرأها؛ وهى أن أحد أصحاب الملايين مات متحرراً، وكتب خطاباً ذكر فيه: أن كل من يتصلون به إنما يتصلون طمعاً فى ماله، فلم يشعر بأنس مع أحد منهم وشعر بوحشة وضائق به الحياة فانتحر.

ويقول: [إن الذين يعيشون فى ظل الحب والأخوة فى الله يحسون بسعادة وراحة نفسية لا يحظى بمثلها من يجتمعون على أعراض الدنيا فى تجارة أو لهو أو متاع دنيوى . . وقد تذوق الإخوان هذه السعادة، لذلك نجد الأخ يشعر بوحشة إذا غاب عن إخوانه أو إذا اضطرت الظروف أن يكون بعيداً عنهم، ويضرب بعضهم المثل: أن الجو الإخوانى بالنسبة للأخ كالماء بالنسبة للسماك].

يقول الدكتور محمد حبيب: [ما رأيت أحداً يحب إخوانه مثل الأستاذ مصطفى مشهور، كان رقيقاً عاطفياً يحب جميع إخوانه الصغير والكبير، كان يوزع الحب على الإخوان بجود وسخاء ولا ينضب إناءه].

ويحكى الدكتور حبيب أنه كان فى القاهرة وقابل الأستاذ فسأله الأستاذ كيف حال الإخوة فى أسيوط؟ فقال له: أنا لم أت من أسيوط، ولكننى منذ يومين فى القاهرة . . فقال له الأستاذ: أنت قاس، لماذا لم تأت؟! فقال له الدكتور حبيب: كنت مشغولاً وما أردت أن أسبب لكم إزعاجاً . . قال له الأستاذ: كان يجب عليك أن تتصل تليفونياً.

كان الأستاذ يحب الإخوان حباً شديداً وله علاقة خاصة بكل فرد، وهذه العلاقة من قوتها وعمقها يحس الفرد من الإخوان أن الأستاذ يخصه هو وحده بهذه العلاقة وهذه الأخوة والمحبة المتميزة . .

وكان دائماً مهموماً بأمورهم، يعمل على مواساتهم وحل مشاكلهم، تجد فى أجندة تليفوناته أرقام المعتقلين من الإخوان يسأل عن أحوال أسرهم المعيشية والنفسية وحتى عن أحوال الأولاد فى مدارسهم . . يسأل عن مرضى الإخوان فى كل مكان، وكان حريصاً على مشاركة إخوانه فى أفراحهم ومآتمهم ومناسباتهم . . والله الذى لا إله غيره كلما ذهبت إلى محافظة من المحافظات لمقابلة الإخوان والأخذ منهم عن سيرة أستاذنا إلا وأخبرونى عن مشاركة الأستاذ لهم فى مناسباتهم.

يقول الدكتور حبيب : أجريت عدة عمليات جراحية لابنتي فى عينها وكنت وقتذاك فى السجن، كان الأستاذ مصطفى مشهور يتابع حالة ابنتى باهتمام قل نظيره، لما فشلت هذه العمليات وكادت ابنتى تفقد بصرها أسرع أستاذنا بإجراء اتصالاته بالخارج لبحث عن الأطباء المختصين والمستشفيات ذات الخبرة والسمعة العالمية فى ألمانيا وفى بريطانيا وفى دول الخليج، ليس ذلك فحسب، وإنما كان يذهب إلى البيت ويجلس مع ابنتى ويرفع من روحها المعنوية ويتحدث معها برفق ولين ويزودها بالصبر على الابتلاء ويبين لها ثوابه عند الله تبارك وتعالى، وكان يعطيها شحناات إيمانية لتواجه هذا المرض برضى وثبات المؤمنين، وكان يصمم على المشاركة المادية.

ولما سافر الدكتور رشاد البيومى إلى ألمانيا لسبب يتعلق برسالة الدكتورة مع مشرف الرسالة الألمانى، زاره الأستاذ مصطفى^(١) واطمأن عليه وأعطاه مبلغاً من المال بعد جهد جهيد ورفض من الدكتور رشاد مؤكداً أن الحال مستور فقال له اشتر بعض الحاجات لأولادك. وهناك مواقف أكثر من أن تحصى تؤكد حبه الصادق لإخوانه.



(١) كان الأستاذ مصطفى مشهور يقيم بألمانيا، كان ذلك بعد أحداث سبتمبر ١٩٨١ م.

١٩ - كريم الوفاة والإنفاق

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ قَبْرِهِ يَخْلَفُهُ﴾ [سبا: ٣٩].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضى بها ويعلمها» البخارى برقم ١٤٠٩ و٧٤١ - ومسلم برقم ٨١٦.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» البخارى برقم ٢٨ و٦٢٣٦ و١٢ - ومسلم برقم ٣٩.

وعنه ﷺ قال: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة»^(١). وهناك آيات وأحاديث كثيرة تحت على الكرم والجود والإنفاق وحسن الوفاة، وأخرى تنهى عن البخل والشح.

كان الأستاذ مصطفى كريماً سخياً فى الإنفاق لأبعد الحدود ولا يبخل بما فى يده حتى ولو كان محتاجاً إليه، وكان يبذل كل ما يملكه على من يعول وعلى من لا يعول من أهله، وكان يكرم إخوانه بالبذل والعطاء، وكان يعطى كل محتاج من الجيران، وتميز وتفرد بشراء سلع المتجولين فى الشارع ممن يعرفهم ويعرف مدى حاجتهم، وكان يكرم حتى ضيوف أحفاده..

كان أحد أحفاده فى رحلة للقاهرة وقد قدم من الصعيد ومعه مجموعة من زملائه وبينما هو فى القاهرة قال لزملائه سوف نزرر جدى فاعتذر الزملاء وذهب هو وحده، وسأله جده مع من جئت إلى القاهرة، فعندما علم بأن معه زملاء ذهب إليهم وسلم عليهم واصطحبهم إلى البيت وقال له يا بنى لماذا أنت بخيل، وقدم لهم الطعام وأكل معهم مع أنه كان قد تغدى، ثم قدم لهم الشاي بنفسه، ثم ودعهم وانصرفوا بعد ذلك.

كان الأستاذ إذا قابل أحداً أياً كان قابله بالبشر والترحاب، وابتسم فى وجهه هاشأً باشأً مسروراً بقلاته، فأحبه كل الناس.

وكان كريماً فى حبه لإخوانه يوزع عليهم جميعاً حبه ولا ينضب إناؤه.

(١) صحيح سنن الترمذى بتخريج الألبانى برقم ١٩٥٦.

وكان كريماً مع إخوانه في توريثهم الدعوة والمسئولية، يبثهم كل ما آتاه الله تبارك وتعالى من مهارات وخبرات وتجارب في مجال الدعوة، يعلمهم الصبر والتوكل على الله والثبات على الحق والإصرار على التمسك بالدعوة مهما تكن الظروف ومهما واجهوا من عقبات ومحن وابتلاءات، وكان حريصاً على تربيتهم، كان أستاذاً شاملاً في مفهومه لكرم الوفاة والإنفاق.. فلم يقتصر على بذل المال وإكرام الضيف، ولكن كان كرمه شاملاً، فكان كريماً بماله، كريماً مع ضيوفه، كريماً في نصحه، كريماً في حبه، كريماً في تربيته، كريماً في توريثه دعوته لإخوانه، كريماً في نشر دعوته وخصوصاً في الدعوة الفردية.

لذلك كان أستاذاً إماماً في الجهاد، فإن المجاهد إن لم يكن كريماً فلن يكون مجاهداً، فالكرم بذل والجهاد في سبيل الله أكبر بذل، والإمامة في الجهاد لا تكون إلا بإمامة في الكرم، وكان أستاذاً كذلك.



٢٠- شدة تعلقه بالمساجد حتى مات فيها

أحب مصطفى مشهور الصلاة في المساجد بحكم نشأته الصالحة بفضل الله تعالى عليه ثم باهتمام والده في تربية أبنائه واصطحابهم إلى المسجد، فواظب عليها، وكانت لا تقوته صلاة في المسجد أبداً، بل كان يطيل المكث فيها حتى يغلبه النوم، وكثيراً ما كان يحمله خادم المسجد إلى البيت بعد صلاة العشاء.

زاد تعلقه بالمساجد لما عرف الإخوان وتربى في محاضنهم التربوية وتعلم من الكتاب العزيز والسنة المطهرة: أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدهمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨]. وأن رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يلقي الله تعالى غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنيبكم سنن الهدى، وأنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا ما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» رواه مسلم، ومعنى يهادى: يتمايل. برقم ٦٥٤.

وفي رواية له قال: «إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وأن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه». ضعفها أحمد شاكر في سنن أحمد ٥/٢٢٢.

توثقت علاقته بالمساجد حتى صار من السبعة الذين ميزهم رسول الهدى ﷺ عن غيرهم باستظللالهم بظل الرحمن وقال فيهم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» متفق عليه رواه البخارى برقم ٦٦٠ - ١٤٢٣ ورواه مسلم برقم ١٠٣١. وأظن أن أستاذنا قد شملته معظم هذه الخصال. وصار مشهوداً له بالإيمان لا اعتياده المساجد: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» حديث شريف (١).

(١) رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف - سنن ابن ماجه للألبانى برقم ١٥٤ وجميع رواياته ضعيفة وإن كان الحديث صحيحاً في معناه.

لم يكن تعلقه بالمساجد لمجرد أداء الصلوات فحسب وإنما كانت له رؤية تربوية ودعوية، للمسجد فيها دور عظيم، ولقد وضع ذلك فيما كتبه عن الصلاة في كتاب [من فقه الدعوة] إذ يقول:

[تحرى القبلة والتوجه إليها يعود المسلم على معرفة الاتجاهات وجغرافية المكان بالنسبة للكعبة بيت الله الحرام، وفي الشعور باتجاه المسلمين في أنحاء العالم إلى قبلة واحدة يكسب المسلم الشعور بالوحدة مع إخوانه المسلمين وارتباطه بهم، وهذا معنى تربوي مهم يلزم أن يصاحبه توجه القلب إلى الله بإخلاص النية وتنقيتها من كل آثار الرياء أو الشرك، وإخلاص الوجهة من أهم ما يلزم الداعية إلى الله في طريق الدعوة.

الاستجابة لنداء الصلاة بمجرد سماعه والتخلص من كل شواغل الدنيا فيه، مجاهدة وتقوية للإرادة والعزيمة وتغلب على أهواء النفس ومطامعها، وفي ذلك زاد وتربية لها أثرها العملى فى حياة الداعى إلى الله وترتيب الأولويات فى المهام والأمر.

انتظام الصفوف فى الصلاة وتسويتها والتزام الإمام وعدم سبقه وكذلك الفتح عليه إذا نسى أو أخطأ، كل ذلك له آثاره التربوية فى نفس المسلم، فالجندية والنظام والطاعة مع النصيح والتنبية للخطأ أمور لازمة للعاملين فى حقل الدعوة الإسلامية والمجاهدين فى سبيل الله.

الشعور بالمساواة فى صف واحد بين يدى الله لا فرق فى الوقوف بين غنى وفقير، لا تعالى ولا كبر فالكل سواء بين يدى الله، بل قد يضع الغنى جبهته ساجداً لله قريباً من قدمى الفقير فى الصف الذى أمامه دون حرج أو اشمئزاز، وفى هذا مجال تربوى مهم وزاد ضرورى لتألف المسلمين وتقاربهم وتقوية الصلة بينهم.

اجتماع المسلمين على الصلاة فى المسجد فى الأوقات الخمسة وفى صلاة الجمعة وفى العيدين، من شأنه أن يتيح الفرصة بين المسلمين فى الحى الواحد أو البلدة الواحدة للتعارف والتألف والوحدة والتعاون، فيعطون المحتاج، ويعودون المريض، ويشارك بعضهم بعضاً فى أفراحهم ويتعاطفون ويتراحمون فيما بينهم.

حرص المسلمين على الصلاة فى المسجد يربطهم بالمسجد ويعيد للمسجد رسالته المهمة التى كانت له فى أول الدعوة، فمسجد رسول الله ﷺ كان يدبر فيه أمر المسلمين وتجهيز منه الجيوش وترسم الخطط ويتدارس فيه كل ما يهم المسلمين، وما أخرج المسلمين اليوم إلى العودة بالمسجد إلى رسالته الأولى].

أما هو فقد توثقت صلته بالمسجد، فنظم حياته وفق نظام المسجد، فكان يعطى مواعيده مقرونة بمواعيد الصلاة مثل: نلتقى في المسجد بعد صلاة العصر، أو بعد صلاة المغرب، أو بعد صلاة العشاء، وكانت هناك مواعيد خاصة بعد صلاة الفجر. . يقول الدكتور عصام العريان: كانت الدعوة ملء حياته وملء وقته، وكان وقته كله مشغولاً، فكنا نستأذنه في موعد ولا نجد وقتاً إلا بعد صلاة الفجر أحياناً، ولكنه كان يقابلنا ببشر وترحاب وسرور وبهجة وسعادة.

وذكر أحد أحفاده: أنه في يوم ما استيقظ جدى مبكراً فقام وأيقظ خالتي لقيام الليل، وأقاموا الليل، ثم نزل جدى إلى المسجد وكان ذلك قبل موعد الفجر بحوالى ساعتين، وتنبهت خالتي لذلك، فأيقظتني ونزلت مسرعاً إلى المسجد فوجدته عائداً إلى المنزل بعد أن أيقظ عمال المسجد وأخبروه أنه باق ساعتان على الفجر.

وفي يوم وفاته جاءت غيبوبة قبل أذان العصر سقط بسببها على الأرض وخذش وجهه، ولكنه بعد الإقامة تماسك وذهب إلى المسجد مع أحد أقاربه وفي طريقه كان يسلم على من يلقي من الناس ويوزع الحلوى على الأطفال كعادته، ثم صلى العصر جماعة في المسجد وبعد ختم الصلاة ذهب ليحمل عصاه ويخرج من المسجد إلا أن الغيبوبة جاءت مرة ثانية وكانت أسرع، فسقط على الأرض داخل المسجد، فحُمل من المسجد وهو في غيبوبة تامة كاملة إلى المستشفى، ثم وافته المنية بعد أسبوعين وقدر الله تعالى أن يدخل قبره والمؤذن يؤذن لصلاة العصر.

كان يُحمل في صغره من المسجد إلى البيت بعد صلاة العشاء، وحُمل في آخر حياته من المسجد بعد صلاة العصر إلى المستشفى، وأخيراً حُمل إلى قبره وقت الأذان.

فهل هناك من هو أشد تعلقاً بالمساجد من هذا؟! رضى الله عنه وأرضاه وأدخله الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



٢١- صبار على البلاء والعبادة

عاش أستاذنا هذه الدعوة طيلة حياته معها حلوها ومرّما، وتعرض مع إخوانه للابتلاءات والمحن، فقد سجن عام ١٩٤٩ في قضية السيارة الجيب لمدة ثلاث سنوات، وسجن في عام ١٩٥٤ لمدة عشر سنوات في قضية حادث المنشية، واعتقل في عام ١٩٦٥ مع كل من سبق اعتقاله من الإخوان في ذلك الوقت وقضى في الاعتقال ست سنوات. . . وذاق من الإيذاء والتعذيب وتعرض للظلم من الطغاة والظالمين لا لذنب إلا لأنه يقول ربى الله ويدعو لإقامة دين الله وتحكيم شرع الله وتطهير المجتمع من ألوان الفساد والاحتلال والانحلال والضياع، والنهوض به من التردى والذل والهوان إلى كل معانى العزة والقوة والسيادة، لتكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لنا، ولنستطيع أن نسترد كل أرض سلبية وعلى رأسها فلسطين والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. . . ولكنه صبر واحتسب ولم تلن له قناة وظل ثابتاً على دعوته بفضل الله تبارك وتعالى. . . وكتب للأجيال خلاصة تجربته ينصحهم ويعلمهم وينير لهم طريقهم يقول لهم^(١):

●● الابتلاء سنة الله فى الدعوات:

معلوم لديك يا أخى أن الابتلاء والمحن سنة الله فى الدعوات، وله فى ذلك حكم ذكر بعضها فى آيات من كتابه العزيز: ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) ولقد فتننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ [العنكبوت: ١ - ٣] وفى آية أخرى من السورة نفسها: ﴿ وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١١] وفى آية أخرى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ثم إن النصر أماته ثقيلة، يحتاج إلى عنصر محص متجرد يمتحن بالبلاء؛ فينجح بالصبر والثبات، لا تشنيه شدة، ولا تغريه مادة، يلتزم شرع الله لا يحيد عنه ولا يفرط فيه].

ثم ينصح بالصبر على هذا الابتلاء المتمثل فى ظلم الظالمين ويقول: [اصبر يا أخى على ما يصيبك، فإن ذلك من عزم الأمور، وهذا الرسول الكريم، وهو أحب خلق الله إلى الله، أودى وصبر، وكان يوصى المسلمين الأول وهم يعذبون بالصبر، ويبشرهم بالجنة والنصر:

(١) انظر كتاب: من فقه الدعوة.

«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه الألبانی فی فقه السيرة ص ١٠٣ .

«والله ليضمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» أخرجه البخارى برقم ٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٩٤٣ .
يا أخى تذكر وأنت تتعرض للتعذيب سمية رضى الله عنها وزوجها ياسر رضى الله عنه، وكيف تحملا التعذيب حتى استشهدا دون أن ينطقا كلمة الكفر، وتذكر أيضاً موقف سحرة فرعون عندما هددهم فرعون بأشد العذاب بعد أن آمنوا وقد جاءوا فى الصباح يناصرونه ويطلبون الأجر والقرب، فانظر قوله لهم ورده عليهم: ﴿ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَيْنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١-٧٣].

هكذا تصححت الموازين عندهم بعد الإيمان، وتحذوا الظالم بكل وعيده وتهديده، وقد تم هذا التحول فى يوم واحد، واعلم يا أخى أن الصبر هو عنصر النجاح فى هذا الامتحان والبلاء، فاصبر لتفوز بأجر الصابرين: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]. ﴿ وَتَلْبَسُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فاصبر الصبر الجميل الذى لا شكوى معه لأحد إلا الله واستجب لنداء الله لعباده المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

هكذا يا أخى بصبرك تفوز بجمية الله لك، ومن كان الله، معه لا ينقصه شىء، ولا يخشى شيئاً إلا الله، وانظر يا أخى ما قاله الرسل لقومهم الذين آذوهم وطاردوهم: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]
وانظر إلى الآية التالية وما فيها من بشرى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤]. ولعل ذلك جزاء صبرهم وتوكلهم على الله .

إنك يا أخى حينما تتجمل بالصبر تهدأ أعصابك، وتطمئن نفسك، وتستطيع أن تمارس عبادتك ونومك وطعامك وغير ذلك في هدوء، بخلاف من لا يصبر تجده مهموماً مكروباً قلقاً مشدود الأعصاب، غير مطمئن في عبادته أو نومه أو طعامه.

انظر يا أخى كيف يدعونا الله إلى الصبر في مثل هذه الفتن بهذا الأسلوب الجميل: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

تذوق يا أخى كلمة (أتصبرون) وما فيها من رقة وترغيب يجعلنا نسارع ونقول: نصبر يا رب بعونك وفضلك.

ولا تنس يا أخى المظلوم أنك بصبرك وثباتك تكون قدوة لمن معك وغيرهم ممن قد يتعرضون للظلم، وتكون صورة مماثلة أمامهم للصبر والثبات مع الحق.

هكذا أستاذنا بأسلوبه السهل الممتنع يترك للأجيال ثروة ذخارة من خبرته وتجاربه الدعوية ونصحه الذى يتزود به الدعاة وخصوصاً فى الصبر على مواجهة الظلم ولا يفوته وهو الخبير بهذه الأمور أن يوضح لنا الفرق بين الرضى عند الظلم، وبين الرضى بقضاء الله وقدره فيقول: [الصبر لا يعنى الرضى عن الظلم]، ثم يشرح ذلك بقوله: [دعوة المظلوم إلى الصبر لا تعنى أننا ندعوه إلى الرضى عن الظلم واستساغته والتسليم به، فليس ذلك من شيم المؤمنين الذين وهبهم الله العزة والكرامة ثمرة لإيمانهم وتقواهم: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]. ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال تعالى فى وصف المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩] ويقول: ﴿ وَلَنْ نَنْتَصِرَ بِعَدُوِّكَ مَا عَلَيْنَا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١]. ويقول: ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

واعلم يا أخى وأنت فى القيود معلق أو مطروح على الأرض تتعرض للإيذاء والتعذيب، أنك لست فى مركز الضعف، ولكنك فى مركز القوة، مادمت ثابتاً على الحق معتصماً بالله القوى القهار العزيز الجبار. أما هذا الظالم الجبان الذى يعذبك وأنت مقيد معصوب العينين فهو فى مركز الضعف، برغم ما فى يده من سلاح ومن حوله من جند، لأنه مع الباطل، مطيح للشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

واعلم يا أخى أنك حر بتلك القيود، فإن القيود الحقيقية هى التى تقيدك وتعوقك عن طاعة الله، والسير على طريق الله، والجهاد فى سبيل الله، مثل حب الدنيا والشهوات والمناصب

والبخل بالنفس والمال والتشاغل إلى الأرض، وقد أعانك الله وتخلصت من هذه القيود، وانطلقت بدعوة الله، لهذا فأنت حر وهم المقيدون، وأنت عزيز وهم الأذلاء البؤساء.

ومن أبيات قالها الأخ الشاعر هاشم الرفاعي في زنزانته في الليلة التي ينتظر فيها حكم الإعدام:

كل الذى أدريه أن تجرعى كأس المذلة ليس فى إمكانى
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتى يغلى دم الأحرار فى شربانى
ويهدنى ألمى فأنشد راحتى فى بضع آيات من القرآن

والواجب أن وقوع الظلم يشد من عزيمة المظلوم للعمل على مقاومة الباطل والظلم، وإحقاق الحق حتى يسود العدل والأمن محل الظلم والفرع، وحتى لا يتكرر وقوع الظلم عليه وعلى غيره.

وعليك يا أخى أن تفرق بين الرضى عن الظلم وهو مرفوض، وبين الرضى بقضاء الله وقدره وهو مطلوب، وفيه الخير وإن بدا غير ذلك: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

● الصبر على العبادة:

تقول الأستاذة سلوى ابنة أستاذنا: إنها لازمتها بعد وفاة والدتها وكانت تتفانى فى بره وتقوم بخدمته وتسعد برعايته وتهنأ بمعيته^(١) . . .

أما عن صبره على العبادة فتقول: اكتشف أبى وهو فى ألمانيا عام ١٩٨٠ لما شعر بالأم فى الكلى أن إحدى الكليتين سليمة وأن الضمور قد شمل كليته الأخرى، وأنه يعيش بكلية واحدة، ورغم ذلك فقد كان يصوم رمضان كاملاً وكان محافظاً على صيام جميع النوافل بانتظام قبل وبعد اكتشاف هذا الأمر.

وتصف لنا مدى مواظبته ومحافظته على صلاة الجماعة بالمسجد وخصوصاً صلاة الفجر مهما كانت الظروف، فقد كان ينزل إلى المسجد أثناء نزول المطر أو انقطاع التيار الكهربائى فى الظلام المعتم، لا يصدده ذلك عن صلاة الجماعة فى المسجد، حتى إنه ذات يوم سقط على الأرض وحدث له جرح فى وجته وكان جرحاً عميقاً خاطه له الطبيب . . .

وقصة صلاة العصر فى اليوم الذى أصابته فيه غيبوبة الموت معروفة ومشهورة حيث لم تمنعه أو تقعه عن صلاة الجماعة فى المسجد . . .

(١) تم هذا الحوار عبر مكالمة هاتفية.

●● استحقاق الإمامة في الدين:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة: ٢٤]. فجعل الله سبحانه الصبر شرط للإمامة في الدين، وقد كان النبي ﷺ إمام الأئمة، كان جبل صبر يتحرك، بل لو كان الصبر رجلاً لغار من النبي ﷺ، صبر على الفقر والجوع حتى يربط على بطنه الحجر والحجرين، وصبر على فقد الزوج والولد، وصبر على إيذاء قومه له سباً وضرباً، وصبر على إخراجه من بلده، وصبر على فقد أصحابه أمام عينيه والتمثيل بهم، وصبر على قذفه في عرضه وأحب الخلق إليه عائشة رضی الله عنها، صبر على كل هذا وترك لنا رسول الله ﷺ هذه التركة وكل من ورثته له فيها نصيب بحسب قربه منه ﷺ، فعلى قدر صبرك تحدد قرابتك.

وما هو أستاذنا صبر على السجن عام ١٩٤٩ ثلاث سنوات وصبر على السجن عام ١٩٥٤، وصبر فيه على التعذيب والإيذاء وصبر على الإهانة وصبر على الجوع صبر على فراق أهله وولده وصبر على فتنة التأييد وصبر على فتنة التكفير وقضى في هذا الصبر عشر سنوات حكم عليه بها ظلماً وزوراً وبهتاناً. وصبر على السجن عام ١٩٦٥ وكان التعذيب والتنكيل والإيذاء أشد بكثير عن سابقه، صبر فيه أستاذنا وعاش في جحيم الدنيا صابراً محتسباً مع إخوانه لمدة ست سنوات، وصبر على الغربة بعد خروجه من السجن، وصبر على جمع الشتات ولم الشمّل وكثرة الأسفار والسهر والعنت والمشقة، وصبر على الشباب ليأخذ بيده على طريق الدعوة، وصبر على الغربة خارج البلاد ومفارقة الأهل والأحباب، وصبر على أمانة الإرشاد، وصبر على الأمراض..

فهذا هو أستاذنا الصابر الذي استمد صبره من نبي الهدى ﷺ وهو بذلك نحسبه جدير بالإمامة في الجهاد والإمامة في الدعوة رضی الله عنه وأرضاه.



٢٢ - صمته حكمة وكلامه فكرة^(١)

عرف الأستاذ مصطفى مشهور بين إخوانه طيلة حياته الدعوية بالصمت وقلة الكلام، وعُرف أيضاً أن كلامه كان دعوة، وصمته تفكير وتدبر وتعمق في الفهم، كل الذين عايشوه وصفوه بذلك وعلى رأسهم الأستاذ أحمد حسنين أمد الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية الذي سأله عن صمته الأستاذ فقال لي: [كان صمته حكمة وكلامه فكرة].

تمثل أستاذنا حديث رسول الله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» متفق عليه. رواه البخاري برقم ٦٠١٨ - ٦١٣٥ - ٦٤٧٥ وغيرها ورواه مسلم برقم ٤٧ - ٤٨ - ١٦٤٦.

أجمع الإخوان المسلمون الذين عاشوا معه داخل السجون والمعتقلات أو خارجها أنه ما كان يتكلم إلا في الدعوة وكان كثير الصمت والسكوت.

تجد بعض الناس يفضلون الصمت على الكلام لعدم قدرتهم عليه ويختلف السبب وتختلف الظروف من فرد إلى آخر، وفي الجملة فإن هذا الصمت ليس بنية فيكون صمتهم عادة، وكثير منهم ينطبق عليهم قول القائل [سكت دهرًا ونطق كفرًا].

أما أستاذنا فكان صمته عبادة وخلق، فهو يعلم مدى خطورة اللسان ويعي مدى قيمة الصمت، فخطر اللسان عظيم ولا نجاة إلا بالصمت، قال رسول الله ﷺ: «من صمت نجاة»^(٢) رواه الطبراني. وقال لقمان الحكيم: [الصمت حَكَمٌ وقليل فاعله]، أي حكمة وحزم، وقال عقبة بن عامر: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» رواه الترمذي صحيح مسند الترمذي للألباني برقم ٢٤٠٦، وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه أتكفل له الجنة» رواه البخاري برقم ١٣٣٢. وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخيرك بأيسر العبادة وأهونها على البدن.. الصمت وحسن الخلق» أخرجه ابن أبي الدنيا^(٤). وكان أبو بكر الصديق

(١) كما وصفه الأستاذ أحمد حسنين.

(٢) صحيح - صححه أحمد شاكر في مسند أحمد ١٠/١٤٠ والألباني في صحيح الجامع برقم ٦٣٦٧.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد صحيح ٤/١٧٩٤.

(٤) ضعيف ضعفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣/١٣٦.

رضى الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد^(١). وقال عمر رضى عنه: من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كثر النار أولى به^(٢). وقال ابن مسعود رضى الله عنه: والله الذى لا إله إلا هو ما شئء أحوج إلى طول سجن من لسان^(٣). وقال وهب بن منبه: فى حكم آل داود: حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسان مقبلاً على شأنه^(٤).

لقد جمع أستاذنا بصمته بين أمرين: السلامة فى الدين ومعرفة وفهم الإخوان.

وأدرك الفضل الكبير للصمت، وكثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والتقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات. فهذه آفات كثيرة وهى سبابة إلى اللسان لا تثقل عليه، ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب، فإن ذلك من غوامض العلم، ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ماضيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن مسابه فى الآخرة. فقد قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ومن المواقف العظيمة للأستاذ مصطفى مشهور، موقفه فى فتنة التأييد التى قابلها وواجهها بالصمت والثبات على طريق الدعوة، فمن ناحية فوت على المؤيدين فرصتهم وفوت على الحكومة انتهاز التحريض ومعاقبته، ومن ناحية أخرى وهى الأهم جذب وكسب الإخوان على ساحة طريق الدعوة..

ومن مظاهر صمته أنك كنت تراه فى السجن كثير الصمت، كثير الذكر كثير التلاوة، كثير العبادة كثير الخدمة، كثير التعاون مع إخوانه، على وجهه بشر وابتسامة، واستهانة بما هو فيه من سجن، كأنه يعيش فى بستان بين زهور متفتحة وأشجار وارفة وثمار يانعة. فكان بؤرة جذب لجميع الإخوان وكان سبباً ومدداً فى الصبر والثبات.



(١) لا يوجد له إسناد.

(٢) روى موقفاً على عمر وإسناده فيه ضعف كما ذكر الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء ١٣٧/٣.

(٣) صحيح موقوف على ابن مسعود فى صحيح الترغيب للألبانى برقم ٢٨٥٨.

(٤) ضعيف جداً، انظر ضعيف الترغيب للألبانى برقم ١٣٥٢.

٢٣ - شجاعاً مهاباً

كانت له مهابة ونجابة يستشعرها من يراه لأول مرة، يروى أحد الإخوان القدامى أن الأستاذ مصطفى كان يسكن مع أحد زملائه وهو في المرحلة الثانوية، وكان زميله هذا مدخناً إلا أنه لم يكن يدخن أمامه أبداً، ولم يكن يدخن داخل الشقة، وذلك لما لزميله مصطفى من مهابة، مع أنهم في سن واحدة وفي مدرسة واحدة وفي صف واحد!!

ومن مظاهر شخصيته المهابة أنه إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

إذا نظرت إلى وجهه وجدت حزماً وصرامة يحسبه الجاهل عبوساً وقسوة فيخافه ويخشى لقاءه، فهو رجل يألفه المؤمن ويأنس به بما يراه في وجهه يكسوه الجد والوقار، ويقابله بالبشر والابتسامة وطلاقة الوجه ولين الكلام، ويخافه الجاهل لأنه لا يعلم ولا يدرك ذلك، وهل يعقل أن قلباً دخله نور الإيمان لا تعلق وجه صاحبه إشراقه محمد ﷺ، وكيف رضى من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً أن يحرم على نفسه أبسط حقوق الأخوة عند اللقاء؟ فالسلام والمصافحة والمعانقة كلها جوفاء عند اللقاء إن لم يلبس الوجه ثوب الابتسامة المشرقة؟! . . .

أما إذا جالسته فهو عظيم من العظماء، لا يتكلم إلا بخير، وكلامه كله حكمة يذكرك بالله ويشملك بقدسية لا تستطيع أن تخرج عنها بإرادتك، وهو كأنه ممسك بزمام أمرك لا يطلقه إلا إذا أراد، فترى نفسك أسيراً بين يديه لا تستطيع الفكك ولا تريده أن يطلق سراحك، وإنما تسلم له قلبك قبل عقلك، وفي نهاية الجلسة يرد لك عقلك ولا يرد قلبك، فترى نفسك قد غرقت في حبه وتسعد لأنه تمكن في قلبك.

أما أنه شجاع، فقد كان قوى القلب جسوراً غير هيّاب من التبعات الضخمة والمسئوليات العظيمة إذا كان في ذلك مرضات الله سبحانه وتعالى. يبدو ذلك واضحاً جلياً في جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين بقيادة النظام الخاص الذي كان أستاذاً أحد أهم قاداته، فما من شك أن مواقف الإخوان ودماءهم الطاهرة التي روت شجرة الإيمان على ثرى فلسطين، وعلى ضفاف القناة، قد هزت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهكذا أثبتت دعو الإخوان المسلمين للعالم بأسره أنها قوة ولاء عملى، رسخ الإسلام في صدرها، وصدق العمل في حركتها وتصرفاتها وتضحيتها وصبرها ومرابطتها.

كذلك فترة المحن التي مر بها هو وإخوانه، كان شجاعاً بكل ما تعنيه هذه الكلمة، والشجاعة في ظروف المحن هي الثبات على الحق والاعتصام بالله القوي القهار العزيز الجبار، كما يقول موصياً إخوانه والأجيال القادمة: [اعلم يا أخى وأنت في القيود معلق، أو مطروح على الأرض تتعرض للإيذاء والتعذيب، أنك لست في مركز الضعف، ولكنك في مركز القوة، ما دمت ثابتاً على الحق معتصماً بالله القوي القهار العزيز الجبار. أما هذا الظالم الجبان الذي يعذبك وأنت مقيد معصوب العينين فهو في مركز الضعف، برغم ما في يده من سلاح ومن حوله من جند، لأنه مع الباطل مطيع للشيطان، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وكما يقول الأستاذ عمر التلمساني: [لقد خرجت من السجن وقد ازددت يقيناً بالحكمة القائلة: [لو اطلعتم الغيب لاخرتم الواقع،] فالسجين قد استقر عند خاتمة المطاف فليس لدى ظالمه إلا سجنه أو قتله، والسجين المستمسك بعقيدته تسليماً لأمر الله أشد إيلاماً لنفس الظالم من غيره. وإذن ففي ثبات السجين على دعوته انتصار للحق على الباطل، وهزيمة للباطل في عجزه عن تحقيق بغيه، فالباغى مهزوم مهزوم، وصاحب العقيدة منصور منصور، وهذا هو فضل الله عز وجل في تثبيتهم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤].

كان الأستاذ مصطفى شجاعاً في الحق لا تأخذه لومة لائم، وقد ظهر ذلك جلياً في فتنة التأييد؛ الفتنة التي عاجلها بالصمت والصمود والثبات على طريق الدعوة بشموخ كالجبل الأشم لا تلين له قناة. . . وعندما جاء أهله وعرضوا عليه مقابل التأييد أنه سيطلق سراحه ويرجع معهم، وأن الله تعالى أباح للمضطرب أكل الميتة فقال لهم: هذه فتنة وهي فقط مناورة من أذئاب الطاغية لحدوث انشقاقات بين المعتقلين. . . ولما وجد منهم (أى من أهله) إصراراً وإلحاحاً قال لهم: إذا كنتم مصرين على كتابة طلب الإفراج (وهو في الواقع ورقة تأييد وتنصل من الجماعة ومن قيادتها، فعليكم أن تحضروا إلى المرة القادمة طرحة ألبسها قبل الخروج بهذا الأسلوب.

وكان موقفاً شجاعاً نادراً لهذا الرجل العظيم. وظل على ذلك ثابتاً قوياً، وهكذا كان دأبه في كل أمر من الأمور التي تحتاج إلى وقفة صلبة في سبيل الحق، مع أنه هو الهين اللين في تعامله كما قال الأستاذ مسعود السبحي سكرتيره الخاص.

لقد حباه الله بعباءة وافر من أمهات الأخلاق مثل: الصدق والأمانة والإخلاص والحلم والصبر والعفة والكرم والشجاعة والتواضع. . . إلخ. . .



٢٤- مثقف الفكر

يقول أستاذنا:

[ومن جوانب إصلاح النفس اللازمة لرجل العقيدة الذي يتصدى للعمل الإسلامي والدعوة إلى الله، أن يكون مثقف الفكر، وثقافة الفكر تشمل جوانب ثلاثة أساسية:

الجانب الأول: معرفة سليمة ومتكاملة بإسلامه تمكنه من التطبيق السليم على نفسه، وتؤهله لحسن تقديمه للغير بشموله ونقائه، وأصالته].

وفي هذا الجانب نجد أستاذنا قد تطابق على قوله فعله، فهو منذ شبابه في سنه المبكرة وقد تربى في المحاضن التربوية ودرس وتأهل فيها ثم تخرج منها وكان نجيباً مبرزاً، فاخترته الإخوان في العمل العام ضمن الدعاة الذين ينشرون الدعوة ويعرفون الفكرة، خصوصاً وأنه كان يحفظ (القرآن)، (ورسائل الإمام).

الجانب الثاني: هو الإحاطة بظروف العالم الإسلامي، ماضيه وحاضره وأعداء الإسلام وأساليبهم، ومتابعة ما يدور على رقعة العالم من أحداث تؤثر من قريب أو بعيد على الإسلام والمسلمين، ومعرفة بالعاملين في حقل الدعوة الإسلامية واتجاهاتهم وأساليبهم وصور التعاون معهم، إلى غير ذلك من الأمور اللازمة لمن يتصدرون في مجال العمل الإسلامي.

وكذلك في هذا الجانب نجد نفس التطابق، فأستاذنا كان من أبرز الإخوان في الكتيبة النموذج التي كان يشرف عليها الإمام البنا، فقد تشرب كل ذلك من أستاذه إمامنا الإمام البنا رضى الله عنه وأرضاه. وفي مسيرة حياته الدعوية كان أعرف الإخوان بالإخوان وبالجماعات الأخرى، وأكثرهم إحاطة بظروف العالم الإسلامي ماضيه وحاضره وأعداء الإسلام، ويشهد على ذلك ما كتب في كتاب (من فقه الدعوة) وغيره من المقالات والمحاضرات والمقابلات وغير ذلك.

الجانب الثالث: هو إتقان التخصصات المختلفة المتصلة بشئون الحياة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة والصناعة وغير ذلك، فلا بد لرجل العقيدة من إتقان تخصصه ليأخذ مكانه في المجتمع وليسد الثغرة عند بناء الكيان الإسلامي. وجددير بنا أن نذكر أن معظم العلوم الحديثة وضع أساسها علماء مسلمون. فديتنا يحث على العلم والتعليم مع ربط العلم بالخالق سبحانه وتعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. وجددير بمن يعملون بحقل الدعوة

الإسلامية من الطلاب أن يكونوا متقدمين في دراستهم التخصصية ولو تخلفوا في دراستهم لتفروا غيرهم من العمل الإسلامي .

وها هو أستاذنا يضرب لنا المثل الفريد المشرف، وذكرنا تفوقه في دراسته والجوائز التي كان يحوزها بسبب التفوق، ولما تخرج من كلية العلوم كان الأول على دفعته، وحاز على درجة الماجستير، ولولا ظروفه الدعوية التي حالت دون نيله شهادة الدكتوراة لكان من أميز الخائزين عليها. وعرفناه حاذقاً في عمله، وكيف استفاد منه في عمل الدعوة في أمور كثيرة، أبرزها إدخال قسم التخطيط فيها كما عرفنا في الأبواب السابقة .



٢٥- قوى البنية

يقول أستاذنا:

[ومن إصلاح النفس المطلوب من رجل الدعوة أن يعتنى بصحة بدنه ليكون قوى البنية كي يستطيع أن يقوم بتكاليف العمل وأعباء الدعوة والجهاد، حتى لا يقف ضعف الجسم عقبة في سبيل تحقيق الآمال الكبار التي ننشدها، والرسول ﷺ يحثنا على الاهتمام بقوة الجسم فيقول: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» ونجد في أحاديث رسول الله ﷺ وسنته الكثير مما يساعدنا على المحافظة على الصحة وسلامة البدن.

كما نجد الإمام الشهيد يولى هذا الأمر عنايته مستجيباً لتوجيه الرسول ﷺ، ففي واجبات الأخ العامل في رسالة التعاليم يطالب كل أخ أن يبادر بالكشف الصحى العام وعلاج ما يوجد من أمراض والاهتمام بأسباب الوقاية والبعد عن أسباب الضعف الصحى، كما ينبه إلى البعد عن الإسراف فى قهوة البن والشاي ونحوها، والامتناع بتأتا عن التدخين، وينبه إلى النظافة فى كل شىء فى المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل، وكذلك اجتناب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل، كل الاجتناب].

نذكر لأستاذنا فى هذا المجال ممارسته للرياضة طيلة حياته، وقيادته لفريق كرة القدم فى محنة ١٩٥٤م وكان يسمى فريق (الجهاد) وكان فريقاً قوياً ينافس الفرق الأخرى: (فريق الفتح بقيادة الأستاذ محمد حامد أبو النصر) و(فريق النصر بقيادة المهندس سعد لاشين) ولكن فريق الجهاد بقيادة مصطفى مشهور كان دائماً هو الفريق المتفوق الذى يحصل على الكأس. وفى محنة ١٩٦٥ كانت الرياضة المفضلة له (لعبة الراكيت) التى كان يجهز لها دائماً الأخ محمد عبد الجواد زوج ابنته.

ظل أستاذنا قوى البنية طيلة حياته، ولم يعجزه مرض أو ضعف عن ممارسة دعوته وأداء أمانته، حتى لما اكتشف ضمور إحدى كليتيه لم يمنعه ذلك عن أداء مهمته ولا حتى عن أداء عبادته من صيام أو قيام. وهذه نعمة من الله تبارك وتعالى على أستاذنا، أدعو الله أن يشملنا جميعاً بها.

الفصل الثاني: أبرز السمات الفكرية الربانية

الربانية كما يقول الإمام حسن البنا: هي أخص خصائص دعوتنا، وذلك لأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً، أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها، ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا: [الله غايتنا] فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعاً فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح^(١).

وردت كلمة رباني في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ووردت في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبُّهُوَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ومعناها: المجاهد الصابر الذي لا يعرف الوهن، ولا الضعف، ولا الاستكانة، وغاية الرباني طلب المغفرة فالثبات فالنصر. ونجد هذا المعنى في الآية التي تليها مباشرة وهي: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وخلاصة أقوال السلف في معنى الرباني: العالم العامل الحكيم الزاهد^(٢).

●● مشهور الرباني:

كشفنا جانباً من الصفات الشخصية لأستاذنا وإمامنا مصطفى مشهور، ولا ندعى أننا أكملناها حصراً ولا نستطيع ذلك، إلا أننا عرفنا من خلال هذا الكشف المتحسس أن الرجل كان ربانياً.

(١) رسالة دعوتنا في طور جديد - الإمام حسن البنا.

(٢) انظر في كتاب: مفاهيم تربوية - الجزء الرابع - محمد عبد الله الخطيب.

فلقد عرفناه عابداً ذاكراً راعياً ساجداً شاكراً زاهداً إلخ . . . وشهد له إخوانه بذلك وكل الذين عاصروه منذ بداية التحاقه بجماعة الإخوان المسلمين، في السجون والمعتقلات وخارجها، كما شهد له تلاميذه من الشباب الذين تربوا على يديه، وتشهد له السطور التي كتبها في كتاب: مناجاة على الطريق وزاد على الطريق والحياة في محراب الصلاة، وبين الربانية والمادية، ومقومات رجل العقيدة، وغيرها من الكتب التي تمثل عصارة تجاربه وحياته، والتي تعبر عن صفاته صفات الربانيين، دأبهم دائماً: توبة ترد العبد إلى ربه، وتدفعه إلى العمل الصالح، وعبادة تصله بالخالق، وتجعل ربه معبوده وغايته، ووجهته، وحمداً لله على السراء والضراء، وسياحة في ملكوت الله عز وجل، وأمر بمعروف ونهى عن منكر يتجاوز صلاح النفس، إلى إصلاح الحياة والعباد وحفظ لحدود الله يرد عنها العادين والباغين، والمضيعين، ويصونها من التهجم والانتهاك . . . وخلاصة القول جمعه قول الله عز وجل: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

كان مصطفى مشهور يدرك مدى خطورة طغيان المادة وانحسار الربانية، الذي نتج عن الموجة الطاغية من مدينة المادية وحضارة المتع والشهوات التي غزت بلادنا مع احتلال الأعداء العسكري لأوطاننا.

وبهذا الانتكاس وهذا الارتكاس هبطت أخلاق الكثيرين حتى صارت أقرب للبهيمية منها إلى الإنسانية، فحلت الأنانية محل الإيثار والتنازع والافتتال محل الحب والوثام، وصارت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم وشغلتهم عن الآخرة.

وبسبب هذا الانحدار كثرت الجرائم (القتل والسرقه والاعتصاب وغيرها وانتشرت الخمور والمخدرات، ولم يعد هناك وازع من ضمير أو رادع من خوف الله . . . فغفلوا عن سر وجودهم وعن مصيرهم الحتمي الذي هم سائرون إليه لا محالة وعمما سيلقونه من حساب وجزاء، بل غفلوا عن الإله العظيم الخالق المطلع عليهم . . .

هكذا تسبب طغيان المادية وانحسار الربانية في وصول المجتمع إلى الحال الذي وصفناه^(١). إن من تجليات أستاذنا في وصفه ربانياً أنه تجاوز صلاح نفسه إلى إصلاح الحياة والعباد . . . ولقد عاش أستاذنا في عصر العلم والتقدم والحريات - كما يقولون - ومن العجيب أن نجد

(١) كتاب: بين الربانية والمادية - مصطفى مشهور - بتصرف.

فى مثل هذا العصر من الفراعنة الصغار الذين يقلدون الفرعون القديم، يقول عنهم أستاذنا^(١): [وإن لم يدعوا الألوهية، فتراهم يتكبرون فى الأرض بغير الحق ويستعبدون شعوبهم ويذلونهم، ويقهرونهم بالحديد والنار، وبالسجن والاعتقال والتعذيب والقتل، لا لشيء إلا أنهم يقولون ربنا الله، أو لأنهم يراجعونهم ويخطئون تصرفاتهم، وكأن لسان حالهم يحكى قول فرعون لقومه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]. كما نجد حول الفراعنة الصغار من يحاكون الملأ من قوم فرعون فى تحريضهم له ضد موسى عليه السلام وقومه: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُونَ أَن مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. وينسى هؤلاء جميعاً أن الله لهم بالمرصاد وينسون ما فعله من قبل بفرعون وجنوده.

ومزيداً فى كشف تدنى المجتمع وانحداره وانحطاطه يقوم أستاذنا ببعض المقارنات بين عصرنا والعصور الماضية التى أركستها وأخذت بناصيتها إلى الهاوية والانحدار طغيان المادة وانحسار الربانية. . فقوم إبراهيم الذين انتهى بهم انحطاطهم إلى محاولة حرقه وبالفعل ولكن الله أمر النار أن تكون برداً وسلاماً، وقوم لوط الذين ساقطهم شهواتهم إلى الشذوذ الجنسى فيأتون الرجال شهوة من دون النساء وقالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون. . وأصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين بالنار، وقارون الذى حرص على جمع المال بكل الوسائل وشغله حب المال عن حق الله وإنكاره لفضل الله وقوله: إنما أوتيته على علم عندى، فحسب الله به وبداره الأرض.

يقول أستاذنا عن عصرنا هذا^(٢):

- وما نحن فى عصرنا هذا نرى تلك الفعلة النكراء (فعله قوم لوط أى الفاحشة) تظهر وتنتشر فى بعض الأماكن، حتى نرى مجلس نواب إنجلترا يقرها قانوناً، وهاهم اليوم يتعرضون لأمراض خطيرة نتيجة هذا الداء، ألا وهو مرض «الإيدز».
- وفى عصرنا هذا نرى ألواناً من التعذيب، يفوق فى ألمه الحرق بالنار الذى لا يتعدى لحظات، وتصعد الروح، وينتهى ألم الجسد، أما تعذيب اليوم فقد تدخلت فيه التكنولوجيا الحديثة، بحيث لا يقضى على المعذب فيموت، ولا يخفف عنه العذاب.
- ونرى فى عصرنا هذا من الأفراد من شغلهم حب المال وجمعه واستحوذ عليهم وصاروا يجمعونه دون مبالاة من حلال أو حرام، ولا يؤدون حق الله فيه، كما نرى دولاً يزداد

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

- إنتاجها ويفيض عن حاجتها، ويفضلون إلقاءه في البحار كي لا تنخفض أسعاره، في الوقت الذي يموت الآلاف بل الملايين جوعاً في أنحاء مختلفة من العالم.
- ونرى انحسار الربانية في بعض الأقطار التي طغت فيها المادة، تدفع حكومات هذه الأقطار إلى اختراع وصنع وسائل تدمير رهيبية كالقنابل النووية التي تقتل الآلاف أو الملايين دون تمييز بين مقاتل وبين نساء وأطفال لا ذنب لهم، كما نرى عمليات خطف الطائرات وقتل المدنيين، كذلك حوادث السيارات المفخخة إلى غير ذلك من الحوادث اللاإنسانية، وكذلك حوادث استعمال الأسلحة الكيماوية والغازات السامة^(١).
- كما نرى المادية دفعت الكثير من الحكام المتسلطين إلى تعريض شعوبهم إلى حروب مدمرة لصالح الحكام والحفاظ على كراسيهم وليس لصالح أوطانهم.
- والعالم اليوم يتعرض إلى حرب المخدرات والسموم البيضاء المدمرة للشعوب والأفراد والأسر، يقف وراء تلك الحروب أفراد وأنظمة حكم فقدوا كل أثر من ربانية في قلوبهم وسيطرت عليهم أهواؤهم وحب المال ومتاع الدنيا على حساب تخريب البلاد والعباد.
- كما أدى انحسار الربانية من النفوس إلى ضياع فكري وعقيدى وصرفنا نرى ونسمع عن تجمعات شتى حول عقائد ومبادئ تافهة غاية في الغرابة تدل على الحيرة والضياع والقلق. وصدق الله العظيم: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].
- ونرى أيضاً من نتائج البعد عن الربانية والانغماس في المادية، انتشار الأمراض النفسية وإقبال الكثيرين على الانتحار وعلى ارتكاب جرائم شاذة، كأن يقتل الرجل بعض أبنائه أو زوجته، وكذلك الأم تقتل أولادها، وجرائم الاغتصاب والسراقات وغير ذلك.
- وبعد هذه المقارنة بين الواقع الذي نعيشه في عصرنا وواقع العصور الماضية بين أستاذنا العلاج الناجع فيقول:

[العلاج في العودة إلى الدين: فإلى العلاج الناجع أيها الناس، إلى الدواء الشافي من كل داء، إلى هذا الدين من جديد، إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وصدق

(١) كلها أعمال إرهابية نتجت عن طغيان المادية وانحسار الربانية، يرفضها الإسلام ويحاربها.

رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» رواه الحاكم في المستدرک .

نريد أن تأخذ الربانية مكانتها وحيزها الصحيح في نفوسنا، ونقلص من حجم المادية، وتحرر من قيودها، ونتخلص من رواسبها وملفاتها، هذه هي البداية الصحيحة للتغيير، ولبناء مجتمعاتنا وأوطاننا على أساس سليم ومتين].

ثم يحث المصلحين في المشاركة والتعاون لإنقاذ المجتمع والارتقاء به فيقول:

[ما أحوج البشرية اليوم إلى الإنقاذ من ظلمات الضلال، إلى نور الهداية، والأخذ بأيدي الناس من جاذبية الأرض والإخلاق إليها إلى سمو الروح والرقى بها .

إننا نناشد حملة مشاعل النور والهداية أن يؤديوا واجبهم في إرشاد الناس إلى طريق الحق والهداية والنور، نناشد من بيدهم قارورة الدواء لمرضى القلوب، حتى تبرأ البشرية من أدواء المادية الهابطة، وتسعد بالدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده].

لم يكن أستاذنا من المنظرين فقط أو من الواقعيين الذين يحملون الناس التبعة ويزيدونهم هموماً فوق همومهم، وإنما كان صاحب دعوة ورجل عقيدة عاهد ربه وباع وندرج حياته لهذه البيعة . . . لذلك نجده يحدد مهمته نحو مجتمعه، ولم يترك غيره من المصلحين وحدهم في ساحة الإصلاح وإنما بين لهم مهمته الرائدة والقائدة لهذا الإصلاح . .

ونبه أننا إذا ذكرنا مهمة الإصلاح فيجب أن نوضح أنها مهمة الجماعة التي من قادتها أستاذنا مصطفى مشهور (جماعة الإخوان المسلمين) . . والإصلاح الذي نحن بصدده في موضوع الربانية بينه الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه بقوله: [ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين؟ هي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة، وحضارة المتع والشهوات، التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ، وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا، وبيراً من بلادها قومنا، ولستا واقفين عند هذه الحد، بل سنلاحقها على أرضها، ونغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ، وتؤمن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، ويتشر ظل الإسلام الوارف على الأرض . وحيثئذ يتحقق للمسلم ما ينشد، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥] (١).

(١) الإخوان المسلمون تحت راية القرآن . للإمام البنا .

هذا ما كان عليه أستاذنا من منطلق إيمانه وتطلعاته الواسعة، ويقينه بالله الذى يحق الحق ويبطل الباطل مهما انتفش.

وللربانية شروط وضوابط لا بد من الالتزام بها حتى تتحقق بشكل كامل صحيح يوضحها أستاذنا ويؤكددها بقوله^(١):

[وخير طريق لتمثل الربانية الصحيحة هو:

١- الاقتداء برسول الله ﷺ فى كل أعماله وصفاته وأخلاقه، وجهاده فى سبيل التمكين لدين الله فى الأرض.

٢- على المسلم الحق اليوم أن يستشعر أن عليه واجباً تفرضه طبيعة المرحلة التى تمر بها الدعوة الإسلامية الآن، وهو: ضرورة العمل على إقامة دولة الإسلام، والخلافة الإسلامية].
أما بالنسبة للشروط فيقول^(٢):

[وكما هو واضح أن الفرد المسلم الربانى هو العنصر الأساسى فى كل مراحل البناء من البيت والمجتمع والحكومة والدولة، وبقدر متانتها وأصالتها تكون أصالة ومتانة باقى المراحل، والعكس صحيح. . .] فكانت الشروط أو المقومات.

المقومات الأساسية فى الفرد المسلم الربانى أو الضوابط وهى:

أ- سلامة العقيدة وقوة الإيمان.

ب- صحة العبادة.

ج- متانة الخلق.

د- الثقافة الفكرية.

هـ- القوة البدنية.

و- القدرة على الكسب.

ز- نافع لغيره.

ح- النظام فى كل شئونه.

ط- الحرص على الوقت.

(١) بين الربانية والمادية- مصطفى مشهور.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ى- جهاد النفس .

ثم يلخص أستاذنا في كلمة موجزة كيف يكون رجل الدعوة ربانياً خالصاً رجلاً كان أو امرأة، ليقام البيت المسلم الرباني ويتكون المجتمع المسلم الرباني، كقاعدة للحكم الإسلامي الذي يؤدي إلى قيام الدولة والخلافة بإذن الله . . [فعلی هذا الفرد أن تهيمن الربانية على كل جوانب حياته، وأن يتخذ قدوته رسولنا ﷺ قمة الربانية، فيلزم نفسه بهدى رسول الله ﷺ وستته، بل أدعيته في كل أمور حياته، وأن يلزم نفسه تعاليم الله ورسوله في معاملاته مع والديه، وأهله، وجيرانه، وزوجته، وأولاده، وأن يكون قدوة لغيره، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يخاف في ذلك لومة لائم] (١).

وأخيراً نقول:

كانت الربانية مهيمنة على كل جوانب حياة أستاذنا، وكان أثرها بارزاً وظاهراً ومعروفاً، فقد كان رجلاً كله أخوة وإيثار وحب لإخوانه، جميع إخوانه، والفرقة أبغض أبغض له، ويحسم الخلاف بأن يرده إلى الله ورسوله ويتجرد للحق ولا يجعل لشخصه وهواه مكاناً أو بروزاً أبداً، يصبر ويتحمل ويثبت ويتخطى العقبات ويواصل السير دون قعود أو انحراف، يدفعه إلى ذلك إيمانه وثقته بالله وطمعه في ثوابه ونعيمه، لا يداخله بأس مهما طال الطريق ومهما كثرت العقبات ومهما انتعش الباطل في قوته المادية، يستمد القوة والعون من الله تبارك وتعالى، ولا يضعف في مواجهة الباطل ولا يهين ولا يستكين، ويعلم أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة، فقد عقد الصفقة الرابعة مع الله تعالى، يتصف بصفات المؤمنين لتتم الصفقة الغالية، يطلب الشهادة ويتمناها فالموت في سبيل الله هو أسمى أمانيه . . يجدد نيته مخلصاً لله تبارك وتعالى، يدعو دائماً وأبداً أن يرزقه الإخلاص ويحث إخوانه على ذلك في كل وقت وحين، ينفق ماله في سبيل الله، لا يخون، ويحترم العهود، ولا يهضم الحقوق، لا يستسلم للهزيمة أمام الأعداء أبداً، يتحرى الوسائل الطيبة لتحقيق غايته النبيلة .

ثم تعدى إصلاح نفسه إلى إصلاح المجتمع، حيث حدد العلاج بعد أن شخص الداء فنراه يقول: [ولما كان ضعف الإيمان هو الذي أوصل إلى هذه الحال التي نشكو منها، فصار بديهاً، أن يتركز العلاج في بعث الإيمان في النفوس فيظهرها من كل هذه العلل والأمراض] (٢).

ثم يكشف الستار عن حقيقة الإيمان وكيف أنه يعالج النفوس ويشفيها من كل هذه الأدواء .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق نفسه .

● الإيمان هو العلاج:

وصف أستاذنا كأفضل نطاسى حاذق، العلاج والدواء الشافى من كل علل المادية، ألا وهو: [الإيمان] وشرح هذا العلاج فى نقاط كما يلى^(١):

١- الإيمان فى الحقيقة هو الحياة بالنسبة للإنسان وبغيره يكون كالميت: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٢- الإيمان يولد فى نفس صاحبه معانى العزة والقوة، والثقة بالله والاطمئنان إلى جنب الله، والأمل فى نصر الله، ودفاعه عن عباده المؤمنين، ورد كيد الظالمين عنهم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

٣- الإيمان يفجر فى نفس المؤمن طاقات كبيرة تدفع صاحبها إلى الجهاد والتضحية، والصبر والتحمل، وعمل الخير، وتعينه على تخطى العقبات مهما طال الطريق ومهما كثرت العقبات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤- الإيمان يحقق الطمأنينة والراحة النفسية، ويباعد بين المؤمن والقلق والحيرة والحزن والهم والتمزق داخل النفس: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا فَرَّخَ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، كناية عن التمزق الداخلى وعن التيه والضياع.

٥- الإيمان ينير الطريق لصاحبه، فيهدى إلى الصراط المستقيم ويتجنب الانحراف عنه: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

٦- الإيمان يحمى المؤمن من الوقوع فى الحرام أو الشبهات، لأنه يولد فى نفس صاحبه خشية الله، ومراقبة الله، والخوف من عقاب الله، كما يولد الإخلاص لله، ويطهر النية من كل شائبة، ويبرىء صاحبه من أمراض القلوب التى تفسد الإخلاص، كالرياء والغرور والكبر وحب الزعامة وحب الظهور.

(١) المرجع السابق نفسه.

٧- والإيمان ينقى صاحبه من الأمراض الاجتماعية، كالأناية وحب الذات، والحقد والحسد، والعادات الجاهلية، والعصبيات القبلية والإقليمية، وما يترتب عليها من صدمات وعداوات في كثير من الأحيان.

٨- الإيمان يعصم صاحبه من المعاصي، وارتكاب الكبائر والفواحش، ويمنعه من إيذاء الغير، سواء بالسب أو الغيبة أو التسمية، أو غير ذلك من صور الإيذاء. ويدعو إلى البر والإحسان، بين المواطنين، وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ٨]. ويدعو إلى إنصاف الذميين وحسن معاملتهم ﴿لَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا﴾ فلا يدعو إلى فرقة عنصرية ولا إلى عصبية طائفية.

٩- الإيمان يكسب صاحبه كل خلق فاضل، ولين الجانب، وكظم الغيظ، والعفو عمن يسىء إليه من إخوانه، ويدفع بالتي هي أحسن، ويكسب صاحبه فضيلة التواضع.

١٠- الإيمان يدفع صاحبه، إلى بر الوالدين والأقربين وصلة الأرحام وإكرام الضيف وحسن الجوار، والعطف على اليتامى والإنفاق على الساكين.

١١- الإيمان يشمر المودة والرحمة، والحب والإيثار بين المؤمنين، ويحول دون الفرقة والتنازع: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وحديث الرسول ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوْمَنُوا، وَلَا تَوْمَنُوا حَتَّى تَحَابُوا، أَوْ لَا أَدْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابْتُمْ؟ أَتَشَاءُ السَّلَامَ بَيْنَكُمْ؟» رواه مسلم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

١٢- الإيمان يدفع إلى الاهتمام بأمور المسلمين وقضاياهم، والدفاع عنهم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه: البخارى برقم ٦٠١١ ومسلم برقم ٢٥٨٦.

١٣- الإيمان يقوى عزم المؤمن ويزيل أى أثر للغشائية والوهن، والشعور بالضعف ويمنع الخوف من غير الله، ويدعو إلى حسن التوكل على الله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٢) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضِّلُوا

لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ آل عمران : ١٧٣ - ١٧٥ ﴾ .

١٤- الإيمان يصحح الموازين المادية، فلا يجعل الدنيا أكبر الهم ومبلغ العلم، فيتخفف المؤمن من جواذب الأرض التي تجعله يتأمل إلى الأرض عندما يدعى إلى التغيير للجهاد، وتكون الشهادة في سبيل الله أسمى أمانيه، ويسخر كل ما أنعم الله به عليه من وقت ومال وجهد وعلم ونفس في سبيل الله، ويجعل المال في يده لا في قلبه، وينفقه في سبيل الله.

١٥- الإيمان يحمي صاحبه من الوهن والاستكانة والضعف، خاصة إذا حدثت هزيمة في معركة مع الأعداء: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

١٦- التسليح بسلاح الإيمان هو العامل الأساسي لتحقيق وعد الله بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين، من الأخذ بأسباب إعداد القوة: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

١٧- الإيمان يثمر حب الأوطان ويدعو إلى العمل المنتج المثمن، للارتقاء بالوطن، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، ويدفع إلى حسن استغلال الوقت في النافع المفيد، وتسخير ماله فيما يعود بالنفع والخير على الناس.

١٨- الإيمان والتقوى يجلبان الرزق الحلال الطيب: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

١٩- الإيمان يولد الصبر والرضا والاطمئنان إلى عدل الله، وأنه ليس بغافل عما يعمل الظالمون، وأنه لهم بالمرصاد: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] . كما أن المؤمن يرضى بقضاء الله وقدره، وإن بدا أنه شر ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

٢٠- الإيمان عندما يتوفر في الزوج والزوجة، يحقق لهما السعادة الزوجية الحقة، والمودة والرحمة، فيقيم البيت المسلم القدوة، وتنشأ الذرية الصالحة في هذا الجو الرباني.

٢١- الإيمان يزجر صاحبه من التجراً على الفتيا بغير علم، ويلزم صاحبه الورع، والتحرز من التعامل، والخوض في شرع الله على غير تثبت، وقد وقع في هذا الأمر بعض الشباب حديثي العهد بالعمل الإسلامي.

٢٢- الإيمان يبصر صاحبه بما تمليه طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية من ضرورة العمل على إقامة الدولة والخلافة الإسلامية، وضرورة التعاون مع غيره من الصادقين العاملين لتحقيق هذا الهدف العظيم: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٢٣- الإيمان يدفع صاحبه إلى الوفاء ببيعته، وعدم التفریط في أداؤها، أو النكث فيها مهما طال الطريق، وكثرت العقبات: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٣٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

٢٤- والإيمان شرط لإتمام الصفقة الرابعة مع الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

٢٥- الإيمان والتقوى يحميان من نزغ الشيطان: ﴿إِنَّ الدِّينَ اتَّقُوا إِيَّاهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصَرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٢٦- الإيمان يحقق السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم والنجاة من النار في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَحِيحَتُهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

٢٧- والإيمان يجعل صاحبه في معية الله، ومن كان الله معه لم يفقد شيئاً، ومن تخلى عنه لن يجد إلا الضياع والضلال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

وهكذا نرى أثر الإيمان وعلاجه الشافي للعلل والأمراض التي تنشرها المادية وتسبب فيها، وذكر أستاذنا أن هذه النقاط إنما هي على سبيل المثال لا الحصر.

ثم بعد ذلك وصف أستاذنا للأمة كيفية تناول هذا العلاج الشافي، بطريقة صحيحة ينتج عنها الشفاء التام من هذا المرض الدوام.

•• كيف نجدد إيماننا:

بعدما أكد أستاذنا الدواء الشافى من العلل والأمراض المادية شرح للأمة كيف تتناول هذا الدواء، فبين لها أن طريقة تناول دواء الإيمان هو: [تجديد الإيمان] ولكنه لم يترك الأمة حائرة فى كيفية هذا التجديد، بل شرح لها بأسلوب سهل بسيط يستطيع كل واحد منا أن يفهمه بسهولة ويسر، فلخص هذا التجديد فيما يلى:

١- القرآن الكريم:

أول هذه النبايع وأهمها، بل هو أصلها جميعاً «القرآن الكريم» فقد وصفه الله تعالى فى القرآن نفسه أنه هدى ونور ورحمة وموعظة وذكر وشفاء لما فى الصدور، وأنه يهدى للتى هى أقوم إلى آخر هذه الصفات. إن تلاوة القرآن والاستماع إليه فى تدبر يزيد الإيمان، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

ثم إننا نجد القرآن الكريم يتناول قضية الإيمان بالله، وبالיום الآخر، والملائكة، والكتب، والرسل، والقدر، ويدلل عليها بأسلوب سهل منطقى مقنع، وبصورة ميسرة لمن أراد أن يذكر ﴿ وَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]. فالمطلوب أن نعد أجهزة الاستقبال، وهى القلوب، ونزيل ما قد يكون عليها من أفعال أو ران، كى يسرى نور القرآن وحكمة القرآن إلى تلك القلوب، فتتأثر به ويقوى الإيمان: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]. هكذا نجد القرآن يتعهدنا ويرشدنا فى كل أمورنا وأحوالنا، كى نسلك السبيل الصحيح الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين.

٢- التفكير فى خلق الله:

والقرآن الكريم يوجهنا إلى مصدر مهم من مصادر تجديد الإيمان، وهو التفكير فى خلق الله، لتتعرف من خلال ذلك على عظمة الله وقدرته، فبينعكس ذلك تعظيماً وتنزيهاً وتقديساً لله سبحانه تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١٦٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا

بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ آل عمران: ١٩٠ ، ١٩١ ﴾ . ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧- ٢٠] . والتفكر في أنفسنا وما أودعه الله في أجسامنا من عقل وأجهزة غاية في الدقة تؤدي وظائفها في انتظام: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] . والعلم الحديث يكشف لنا بصفة مستمرة أسراراً عجيبة في عالم الشمس والنجوم والأقمار، وفي عالم الحيوان والطيور والحشرات وفي عالم النبات والجماد: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١] .

٣- التفكير في نعم الله:

والتفكر في نعم الله التي أنعم الله علينا بها، والتي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤] . كي نقدر فضل الله علينا، وفقرنا إليه، فنقدره حتى قدره، ونقوم بواجب الشكر، وأدنى مراتب هذا الشكر أن نستعمل هذه النعم في طاعة الله ولا نستعملها في معصية . وأعرض هنا أسلوباً للتفكر في نعم الله يترك أثره الفعال في النفوس، ذلك أن تصور إنساناً أصيب في عينه وفقد بصره، ثم تصور ما سيطر على حياته من تغيرات، وإذا تصورنا أنه فقد سمعه ثم فقد بصره، فإذا به في سجن مظلم، فلا يرى أحداً ولا يسمع أحداً، فتكون حالته أصعب كثيراً، ثم إذا تصورنا بعد ذلك أنه فقد مع ذلك نطقه، فصار لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم، تصور معي أخى القارئ حالة مثل هذا الإنسان الذى لا يستطيع أن يوصل ما يريد به إلى غيره، كما لا يستطيع غيره أن يعبر له عما يريد منه، ما أقسى الحياة دون هذه النعم الثلاث من بين نعم الله التي لا تحصى ومنها نعمة العقل .

٤- التفكير في الغيب:

والتفكر في الغيب الذى ينتظر كل واحد منا، ابتداء من اللحظة التالية حتى الموت الذى يأتي بغتة، ثم الحياة فى القبر، ثم البعث والحساب، والصراط والجنة والنار . كثير من الناس شغلته الدنيا والمادة فلا يفكرون فى مستقبلهم وحياتهم الحقيقية: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٣ ، ٢٤] . إن التفكير فى هذا المجال يقوى الإيمان باليوم الآخر والمصير اللانهائى ويدفع إلى الاستعداد بالعمل الصالح والبعد عن معصية الله، وضرورة التأهب للقاء الله فى أى لحظة، فقد يصبح أحدنا بين أهله ويمسى وحيداً فى قبره، فلنعلم على أن يكون القبر روضة من رياض الجنة، وأن نكون من

أهل الجنة، وذلك بأن نستغل كل أوقاتنا، وكل ما أنعم الله علينا به من نعم في عمل الخير ومرضاة الله .

٥- معايشة السيرة النبوية المطهرة:

ومما يقوى الإيمان أن تعيش السيرة النبوية، وما فيها من أحداث ومواقف إيمانية لرسول الله ﷺ وصحابه لتقتدى بهم، وما أكثر تلك المواقف الإيمانية، فمثلاً فدائية سيدنا علي رضي الله عنه عندما نام ليلة الهجرة مكان رسول الله ﷺ، وثقة رسول الله ﷺ بالله سبحانه، وحفظه له هو وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار والمشركون أمام بابه: «ما بالك باثنين الله ثالثهما»: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وكذلك تلك النماذج الرائعة من الصبر على إيذاء المشركين، وتعذيبهم ولو أدى إلى الاستشهاد، كما حدث لياسر وسمية رضي الله عنهما، وما تعرض له بلال وغيره من الصحابة.

ومن السيرة أيضاً نعرف ثمرة الإيمان المتمثلة في الحب والأخوة، والتي أثمرت الإيثار بين الأنصار والمهاجرين، كذلك مواقف الثبات والجهاد والتضحية، وحب الاستشهاد في سبيل الله. كما نجد في السيرة مواقف إيمانية قوية لنساء مسلمات، كأسماء بنت الصديق، وخديجة زوجة الرسول ﷺ، ونسبية بنت كعب، وسمية زوجة ياسر، رضي الله عنهن وغيرهن كثيرات. ولما كانت السيرة هي التطبيق الأول للإسلام في عهد الرسول ﷺ وفي فترة نزول الوحي، فسنجد فيها زاداً كبيراً يعين على الطريق ووعورته.

٦- أداء الفرائض الأربعة:

ومن أسباب تجديد الإيمان وتقويته أداء الفرائض الأربعة، وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج، فحينما تؤديها في وقتها وبحضور القلب ستزودنا بطاقة إيمانية متجددة، ويزاد من التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وفي ثنايا آيات الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. فعلياً أن نعيش أسرار العبادات، وليس ظاهرها فقط. فالصلاة حين تؤديها حق الأداء بحضور قلب، تزودنا خمس مرات على الأقل ب زاد روحى متجدد. كذلك الشهر الكريم، شهر رمضان وما فيه من زاد روحى غامر. والزكاة التى تطهر النفس وتزكئها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وأما فريضة الحج:

فلها أثرها الرباني العالى الذى يظهر الحاج من كل ذنوبه ويعود كما ولدته أمه، وكل فريضة من هذه الفرائض الأربعة لها آثارها التربوية المهمة اللازمة لبناء شخصية المسلم القدوة.

٧- التهجد وقيام الليل:

ومن مصادر الزاد المهمة، التهجد وقيام الليل، خاصة وقت السحر فى هدأة الليل، والناس نيام، بعيداً عن الأضواء والضوضاء والرياء، حيث يصفو القلب، وتزكو الروح، وتكون المناجاة لله، ويكون الذكر، والدعاء، والتسبيح، والاستغفار، والركوع، والسجود. فى هذا الجو الربانى يطرق المؤمن باب الكريم سبحانه، ليسأله فيعطيه، يطرق بابه بركعات خاشعة، وسجودات خاضعة، ودعوات خالصة، ودمعات من خشية الله، وترتيل لكلام الله سبحانه. ولقد وجه الله سبحانه نبيه ﷺ إلى قيام الليل ليعده لتحمل الأمانات الثقيلة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٥]. ومن صفات المؤمنين: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]. ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]. وفى حديث لرسول الله ﷺ: «إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة» رواه مسلم برقم ٧٥٧.

وما أحوجنا فى هذه الأوقات إلى الدعاء لدعوتنا، ولإخواننا المجاهدين فى كل مكان بالنصر والتمكين.

٨- اتباع السنة فى كل أمور حياتنا:

ومن مصادر الزاد المتجدد، اتباع سنة رسول الله ﷺ فى كل أمور حياتنا، فاتباع سنة رسول الله ﷺ نرقى بأنفسنا روحياً وسلوكياً مقترين ما أمكننا من حياة رسول الله ﷺ المتميزة بالسمو الروحى، وقوة الإيمان، وتجعلنا نعيش حياتنا ونحن فى وعى وتذكر لله ولفضله علينا فى كل أحوالنا، حيث إن الأدعية المأثورة عن الرسول ﷺ عند الطعام والشراب والنوم والاستيقاظ وعند لبس الثياب وخلعه وعند قضاء الحاجة، وغير ذلك، تجعلنا نمارسها ونحن على ذكر لفضل الله علينا ورحمته بنا، بدلاً من أن نقوم بها ونحن فى غفلة ويشاركنا فيها الشيطان.

٩- المداومة على ذكر الله:

ومما يجدد الإيمان ذكر الله والمداومة عليه، فالذاكر لله يكون مع الله ويكون الله معه، ومن

كان الله معه شعر بالاطمئنان والراحة والسعادة الروحية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٣]. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. ومن داوم على ذكر الله لم يكن من الغافلين ويبعد عنه الشيطان، وعندما نقرن ذكر الله بالدعاء نزداد صلة بالله وتعلقًا به وشعورًا منا بضعفنا وفقرنا إلى الله الغنى القوي القهار الرزاق الذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير. ويتم الدعاء في تضرع وتذلل وثقة بإجابة الله، فقد قال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. فالدعاء هو العبادة والإعراض عنه جحود واستكبار.

١٠- صحبة الصالحين:

ومما يقوى الإيمان ويجدده صحبة الصالحين، حيث يتحقق التواصل بالحق والتواصي بالصبر، وتحقق الذكرى التي تنفع المؤمنين، ويتحقق التعاون على البر والتقوى، وكما أن الإيمان يدفع إلى العمل الصالح، فإن العمل الصالح يدعم الإيمان، ويركزه في النفس. وهناك من الأسباب والوسائل لتقوية الإيمان وتجديده الكثير، لمن صدقت نيته لتحقيق ذلك، وصدق الله العظيم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ لَسَبًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وهذا فإن أستاذنا (طبيب القلوب)، قد قام بواجبه على أكمل وجه، وشخص الداء العضال الذي أصيب به مجتمعنا [المادية]، ثم كتب له العلاج والدواء الشافي بإذن الله [الإيمان] وحرص على إرشاداته له بكيفية تناول هذا الدواء الشافي [تجديد الإيمان].. فعلى كل من جذبته الأرض وانزلق إلى الهاوية وانغمس في المادية أن يجتهد بعون الله وتوفيقه ويتناول هذا الدواء الشافي حسب إرشادات الطبيب المعالج ليجد نفسه وقد ارتقى إلى سمو الربانية وفاز بهذا الانتقال والارتقاء، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وفي الختام أنصح القارئ الكريم بالرجوع إلى كتاب أستاذنا ودراسته بدقة، يجعله يعايش المراد الذي يرمى إليه، وذلك لعظم الفوائد التي يخرج بها كل من له إرادة في التفسير والإصلاح. وفقنى الله وإياكم لما فيه الخير. ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُتَادِيًا مُتَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الشمولية

الفهم الشامل للإسلام أكسب فكرة الإخوان المسلمين شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ذلك ما أكدّه الإمام البنا في قوله:

[كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك: إن الإخوان المسلمين:

١- دعوة سلفية.

٢- طريقة سنّية.

٣- حقيقة صوفية.

٤- هيئة سياسية.

٥- جماعة رياضية.

٦- رابطة علمية ثقافية.

٧- شركة اقتصادية.

٨- فكرة اجتماعية.

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً.

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض^(١).

• ويلخص الإمام معنى الشمولية بقوله:

[الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء^(٢)].

(١) رسالة المؤتمر الخامس.

(٢) رسالة التعاليم.

ولتأكيد هذه الخاصية فكرياً وسلوكياً لجميع البشر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها يقول الإمام البنا: [. . . ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع ولا يقيدته جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين]^(١).

وعلى طريق الدعوة يلقي أستاذنا مصطفى مشهور من أضوائه لمحات على مرحلة التعريف ليسير الدعوة برؤية واضحة متجنيين أي زلل أو انحراف، قائلاً^(٢):

●● شمول الدعوة.. وتكاملها:

[حينما نبليغ الدعوة وننشرها يلزم أن نقدمها بشمولها وتكاملها دون اجتزاء أو مسخ، فالإسلام وهو خاتم الأديان تميز بشموله، وتكامله، وتعرض لكل شئون الإنسان الدنيوية والأخروية في تناسق عجيب ومواءمة فريدة، وما ذلك إلا إبداع الخالق العليم الخبير الرؤوف الرحيم لخلق وعباده. هذا الإسلام يحقق للناس السلام والطمانينة داخل نفوسهم بالإيمان بالله وتوحيده، ويحقق لهم السلام والأمن والحياة الطيبة في الدنيا بتعاليمه وتشريعاته ويحقق لهم السعادة والسلام في دار السلام عند ربهم. إن حياة الناس تمثل وحدة متكاملة، فلا يمكن أن تصلح الحياة إذا تولى الإسلام جانباً منها وترك الجانب الآخر لمذاهب وضعية وفلسفات أرضية، ولا بد أن يقوم الإسلام كلاً لا يتجزأ ويطبق كلاً لا يتجزأ].

ولحماية الدعوة من الانزلاق في المنعطفات الفكرية والحركية يوضح أستاذنا الطريق الصحيح للفكر والعمل الإسلامي، وعلى رأس ذلك يقول^(٣):

●● الشمول والعمق في النظرة:

لا بد من النظرة الشاملة العميقة عند العمل للإسلام، فالأمر ليس استجابة لحماسات أو انفعالات يريد صاحبها أن يعبر عنها بصورة أو بأخرى دون تقدير ودراسة للنتائج والعواقب. ولقد أثبتت لنا التجارب والابتلاءات أن الحماس الشديد ليس دليلاً على قوة إيمان صاحبه، ولكنه غالباً ما يدل على قصر نفسه وعدم استعداده للصبر على مشاق الطريق وتبعاته، فيخيل إليه أنه باندفاعه وحماسه يستطيع أن يحقق للإسلام ما لم يحققه غيره من قبل، وقد يصل به الحال إلى اتهام كل من لا يجاريه في حماسه واندفاعه بالجن والضعف.

إن المهمة التي يسعى العاملون للإسلام لتحقيقها ضخمة وكبيرة وليست مجرد تغيرات

(١) الإخوان المسلمون تحت راية القرآن.

(٢) من فقه الدعوة.

(٣) المصدر نفسه.

جزئية أو محلية، إنها إقامة دولة إسلامية عالمية، لأن دعوتنا عالمية للناس كافة، وأعداء الدعوة كذلك عالميون لا محليون فقط، والعالم اليوم غيره بالأمس. بوسائل الاتصال والمواصلات الحديثة لم تجعل أى جزء بمعزل عن باقى الأجزاء، وبالتالي فأى حديث فى أى جزء يمكن أن يكون له ردود فعل سريعة يجب أن تكون فى الحسبان].

ويؤكد أستاذنا أن جماعة الإخوان المسلمين رغم الاضطهاد والابتلاءات إلا أنها حافظت على الشمول والعمق والثبات مما جعلها جديرة بالثقة والتقدير.

يقول أستاذنا:

[بالنقاء والشمول والعمق والثبات استحوذت الحركة الإسلامية على ثقة كل مخلص راغب فى العمل للإسلام، وإذا بالأجيال الناشئة تلتحم بمسيرتها تدعمها وتزيدها قوة وحيوية، ولترب الأمانة.

إن الحركة الإسلامية التى أعادت الفهم الصحيح المتكامل للإسلام ديناً ودولة، مصحفاً وسيفاً، وعبادة وقيادة، وتمثلته تجربة عملية حية، وقدمت نوعيات صادقة من المجاهدين فى سبيل الله الذين ضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء فى فلسطين والقناة، لجديرة بالثقة والتقدير].

ويقول: (إن حركة إسلامية حافظت -رغم الضغوط الشديدة- على استقامة الدعوة الإسلامية متجنباً المنعطفات ومتخطية العقبات، لتورثها للأجيال الناشئة بهذا الشمول وهذا النقاء دون تبديل ولا تغيير، لحركة محفوفة برعاية الله وحفظه، موصولة بمدد من الله وعونه).

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

كان أستاذنا يضع نصب عينيه عبارة الإمام البنا -البليغة- عن تميز شمول الإسلام الزماني والمكاني والإنساني وهى [. . . إنه الرسالة التى امتدت طوياً حتى شملت أباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت أفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة^(١) . . .

وقام مع أستاذه -الإمام البنا- يجاهد فى استرداد ما انتقص من أطراف الإسلام وينادى بشموله؛ حتى يستوعب كل شئون الحياة، روحية ومادية، فردية واجتماعية، اقتصادية وسياسية، أخلاقية وثقافية، محلية ودولية.

(١) وردت هذه العبارة فى مقال للإمام البنا بعنوان: [من وحى حراء].

وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوى^(١): [علّمت دعوة الإخوان الناس أن الإسلام ذو شعب خمس:

- ١- شُعبة تتجه إلى النفس، فتصلحها بالعقيدة والعبادة والأخلاق.
 - ٢- وشُعبة تتجه إلى المجتمع، بالتنمية والعدالة والتكافل الشامل.
 - ٣- وشُعبة تتجه إلى الدولة، فتصلحها بالشورى والعدل والنصيحة.
 - ٤- وشُعبة تتجه إلى الأمة الكبرى، فتصلحها بالوحدة والتلاحم.
 - ٥- وشُعبة تتجه إلى الكون، فتصلحها بالعمار، والقيام بحق الاستخلاف فى الأرض.
- ومن أهم الأمور التى تميز أستاذنا فى الشمولية:

●● شمول الربانية:

كانت الربانية مهيمنة على كل جوانب حياة مصطفى مشهور، وكان أثرها بارزاً وظاهراً فى حياته الخاصة والعامة وتصرفاته وأقواله، ومن مظاهرها البادية الأخوة والحب والإيثار، ودوام الذكر والعبادة، والسعى الحثيث لإصلاح المجتمع... إلخ.

وكان يؤكد لإخوانه أهمية شمول الربانية ليكون رجل الدعوة ربانياً خالصاً رجلاً وامراً، وذلك لسلامة قيام البيت المسلم والمجتمع المسلم الصحيح الذى يمثل القاعدة الصلبة المتينة للخلافة الإسلامية..

ولخص هذا الشمول بقوله: [على هذا الفرد أن تهيمن الربانية على كل جوانب حياته، وأن يتخذ قدوته رسولنا ﷺ قمة الربانية، فيلزم نفسه بهدى رسول الله ﷺ، بل وأدعيته فى أمور حياته وأن يلزم نفسه تعاليم الله ورسوله فى معاملاته مع والديه وأهله وجيرانه وزوجته وأولاده، وأن يكون قدوة صالحة لغيره، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يخاف فى ذلك لومة لائم].

●● شمول العبادة:

العبادة فى نظر أستاذنا ليست قاصرة على الفرائض الأربعة (الصلاة والزكاة والصيام والحج) وإنما تشمل كل ما نقوم به من أعمال بنية التقرب إلى الله. ويستدل على ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦].

(١) انظر شرح هذه الشُعب فى كتاب: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى - للدكتور يوسف القرضاوى.

ثم يضرب على ذلك أمثلة والأمثلة كثيرة منها: [الدعوة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العمل على تمكين دين الله في الأرض، الجهاد في سبيل الله] وكذلك أدرج في الأمثلة كل ما يعين على العبادة واعتبره عبادة مثل: [الأكل والشرب بنية التقوى على الطاعة، تحرى الحلال وتجنب الحرام... إلخ].

●● شمول الذكر:

وكذلك الذكر لم يقتصر على المأثور من الأذكار، أو على الأوراد التي يلتزم بها الفرد، وإنما كان الذكر في نظر أستاذنا شاملاً؛ نجد ذلك في قوله: [والذكر يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه أم لم يجهر، والمقصود هو الاتصال المحرك الموحى].

فكما ورد أن الصلاة ذكر، فكذلك الزكاة والصوم والحج وجميع العبادات ذكر. وهكذا فإن سمة الشمول لدى أستاذنا لم تقتصر على الفكرة وعلى الألفاظ، وإنما كانت سمة شاملة للفكر والتنظير والسلوك والمعيشة في آن واحد.

التجميع

حرص الإخوان المسلمون منذ بداية دعوتهم وانتشارها في المجتمع على:

أ- التقريب بين المتباعدين .

ب- التجميع بين المتفرقين .

ج- التوفيق بين المتخاصمين في حدود الثوابت العقدية المجمع عليها .

وذلك انطلاقاً من الإعلان الباني من الإمام البنا منذ تأسيس الدعوة: [دعوة الإخوان

المسلمين، تبنى ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق]، فكان لا بد من الاهتمام بأمر أربعة وهي:

أولاً: الاعتدال في النظر إلى الأمور، وتبنى الوسطية المتوازنة في الحكم على الأشياء

والمواقف والأشخاص والهيئات والأعمال دون غلو ولا تقصير .

الثاني: التسامح في معاملة المخالفين .

الثالث: الرفق في التعامل مع المخالفين .

الرابع: تبنى المنهج النبوي في التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير^(١) .

•• الأصول العشرون والتجميع^(٢)؛

وضع الإمام البنا عشرين أصلاً فسر بها ركن الفهم في رسالة التعاليم، ليوحد به الفهم بين

الإخوان المجاهدين الصادقين من الإخوان المسلمين، وكذلك الجماعات والفئات الدينية

المختلفة التي كانت تضمها الساحة المصرية يوم كتب الإمام هذه الأصول، والعلماء والوعاظ

والخطباء الذين لا يتمون إلى أي جماعة أو أي فئة على الساحة .

وحين أنشئ اتحاد للجماعات الدينية في مصر تقدم الإمام البنا بهذه الأصول المركزية لتكون

محوراً تلتقى عليه هذه الجماعات المختلفة . . . ولتوحد الجبهة الداخلية الإسلامية، وللتضييق

على دائرة الخلافات الدينية والفكرية فيما بينها وجمعها على الحد الأدنى من الأصول

والمفاهيم الإسلامية التي توحد ولا تفرق وتقرب ولا تباعد .

ومن هنا نلاحظ في هذه الأصول عدة أمور:

أولاً: أنها تنجس غالباً إلى المسائل التي تختلف فيها وجهات النظر، بين المدارس الدينية،

(١)، (٢) انظر: الإخوان المسلمون - ٧٠ عاماً في الدعوة والتربية والجهاد - الدكتور القرضاوى - بتصرف .

قديمًا وحديثًا، كالخلاف بين السلف والخلف من المتكلمين، والخلاف بين الاتجاه الصوفي والاتجاه السلفي، والخلاف بين أنصار التقليد المذهبي و«اللامذهبي».

ثانيًا: أنها صيغت بحكمة واعتدال، لأنها تتجه إلى التجميع والتوفيق لا إلى الإثارة والتفريق، بين أتباع هذه المدارس، إذا توافر القدر الضروري من الفهم والإخلاص والتسامح. ثالثًا: أنه قصد فيها التركيز والإنجاز لا الشرح والتفصيل، لأن التوسع والتفصيل في هذه الأمور يتيح فرصة أكبر للخلاف، وتعدد الآراء وتضاربها، وهو عكس المقصود.

رابعًا: أنها لم تعن كثيرًا بالتوجه إلى العلمانيين والمتقنين ثقافة غربية، ولو كان ذلك من قصدها واهتمامها لأضافت إلى هذه الأصول أصولاً أخرى.

كان الإمام البنا مشغول الفكر والقلب بتوحيد الأمة المسلمة التي فرقتهما الخلافات من كل جانب، حتى قاتل بعضها بعضاً في أيام الحرب العالمية الأولى، وقد سقطت آخر راية كانت تجمع الإسلام تحت ظل العقيدة وهي راية الخلافة عام ١٩٢٤، وبرزت النزاعات القومية والوطنية بديلاً للوحدة الإسلامية والقومية الإسلامية.

فاهتم بتربية الإخوان على الحب والأخوة وربطهم برباط العقيدة وغرس في قلوبهم أن: [العقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأغلاها مرتبة الإيثار: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به، كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وهكذا يجب أن نكون^(١).

وقد كان التكوين العقلي والنفسي لمصطفى مشهور يتجه أبداً إلى البناء لا إلى الهدم، وإلى الجمع لا التفريق. . . إلى جانب التربية في المحاضن التربوية الإخوانية والالتزام بأركان البيعة التزاماً قلي نظيره، كل ذلك كان له كبير الأثر في سمات أستاذنا الفكرية ومنها (التجميع)، فكان اهتمامه الأكبر بالهدف العظيم وهو: [إقامة الخلافة الإسلامية].

•• جمع كلمة المسلمين^(٢):

يرى أستاذنا أن من أهم القضايا الواجبة على الساحة الإسلامية، ولا غنى عنها لتحقيق

(١) رسالة التعاليم.

(٢) من فقه الدعوة - بتصرف.

الهدف العظيم وهو إقامة دولة الإسلام العالمية [الخلافة الإسلامية] هي قضية: [جمع كلمة المسلمين].

والمعروف للجميع أن أعداء الإسلام هم الذين بذروا الفرقة والخلاف بين المسلمين وخاصة الحكام للحيلولة دون وحدتهم، وهذا ما يثبتته الواقع: خلافات ومهاترات من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وصدامات بل وحروب، والضحية هي الشعوب بما يزهق من أرواح وما يُنفق من أموال.

وأن الاستعمار الذي تقاسم بلادنا ساعد على إشعال الفتنة والحروب ليروج أسلحته ويجربها على حساب شعوبنا المغلوبة على أمرها.

وأن من أهم وأخطر الإنجازات للأعداء هو غرس الكيان الصهيوني كالسرطان في جسد الأمة الإسلامية، ثم عزل مصر مركز الثقل باتفاقية: [كامب ديفيد] حتى فقدت الدول العربية خيارها العسكري مع العدو الصهيوني بدون مصر.

والحقيقة التي لا تخفى على أحد والتي أصبحت واقعا ملموسا: أن الشعوب الإسلامية جميعها غير راضية عن هذه الخلافات والحروب، والعاطفة الدينية متوفرة في هذه الشعوب والتعاطف بينها موجود رغم ذلك كله، والدليل الواضح على ذلك ما أظهره الشعب المصري في مناسبات كثيرة عن رفضه للصالح والتطبيع مع العدو الصهيوني، وتجاوب الشعوب العربية والإسلامية معه، وخاصة ما أبداه من الرغبة في التخلص من التبعية لأمريكا رغم سوء الحالة الاقتصادية.

●● الحل كما يراه مشهور:

وعن كيفية الجمع بين كلمة المسلمين وتحقيق الوحدة يقول أستاذنا: [ومن المعلوم أن محاولات تحقيق الوحدة عن طريق القمم والرؤساء باءت كلها بالفشل، ولا بد من تركيز الجهود لتحقيق الوحدة من القواعد، وذلك بتحقيق الوحدة بين أفراد كل شعب في أقطارنا الإسلامية، ثم بين هذه الشعوب، ثم تلزم الشعوب حكوماتها بضرورة الوحدة ونبذ الخلافات.

●● الوحدة داخل القطر الواحد^(١):

وعن واقع أقطارنا الإسلامية يقول أستاذنا:

[كان من تخطيط الأعداء لتمزيق شعوبنا توريد مبادئ وضعية وتكوين أحزاب لتلك المبادئ ليوزع الناس حولها، في تنافس للوصول لكراسي الحكم، ولتكون هذه المبادئ بديلاً

(١) المرجع السابق.

لشريعة الإسلام، فإذا بالشيوعية والاشتراكية والقومية والوطنية والديمقراطية وغيرها من تلك المسميات تتكون لها أحزاب وترفع لها رايات وتصدر لها صحف ومجلات، في وقت تُحارب فيه الحركات الإسلامية وتلغى وترفع صحفها ومجلاتها ويمنع نشاطها رسمياً.

وبجانب الأحزاب نجد جماعات وتجمعات إسلامية، كل منها حددت لها أهدافها ووسائلها لتحقيق تلك الأهداف، وبعض هذه التجمعات تسير متعاونة، وبعضها تنشب بينها خلافات بدرجات متفاوتة.

وهكذا نجد جمهور الشعب المسلم موزعاً بين هذه الأحزاب السياسية والجماعات أو الجمعيات الدينية، وجانب من الشعب لم يشغل نفسه بشيء من ذلك كله وعكف على نفسه وعلى أمور معيشته وأسرته. هذا هو الحقل الذي يجب علينا أن نبذل جهودنا لجمع كلمته تحت راية الإسلام وعلى طريق العمل الصحيح الجاد لتحقيق هدفنا العظيم وهو التمكين لدين الله وإقامة دولته وخلافته.

● ما هو السبيل^(١) :

يرد أستاذنا على هذا السؤال بقوله :

[والسبيل لجمع كلمة كل شعب مسلم ووحدته يعتمد أول ما يعتمد على :

١- إحياء العقيدة الإسلامية في النفوس .

٢- بعث الإيمان في القلوب .

٣- تعريف المسلمين بحقيقة دينهم وعظمتهم وشمولهم، وأنه يغنينا عن كل تلك المبادئ الأرضية التي تثبت الأيام إفلاسها وفشلها في إسعاد الناس لأنها من صنع البشر العاجز، أما الإسلام فهو من صنع رب العالمين خالق البشر العليم الخبير بكل ما فيه خيرهم وصلاحهم، ولا يجوز تأديباً مع الله مجرد مقارنته بأى من تلك المبادئ الأرضية .

والإيمان حينما يباشر قلوب الناس يدفعهم إلى الحب والألفة بينهم ونبذ الخلاف والفرقة، فيستجيبون لداعى الوحدة بينهم طاعة وتقرباً إلى الله الذي يقول لهم : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . ثم يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

(١) المرجع السابق .

هذا هو الطريق الذي سار عليه رسول الله ﷺ فقد ركز على ترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس وإظهار زيف الأصنام ويطلان عبادتهم من دون الله، فتهيأت النفوس بعد ذلك للوحدة والأخوة والإيثار، وقد ظهر ذلك واضحاً عندما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار. وكان ذلك خطوة رئيسية في إعداد القاعدة القوية المتماسكة التي يتم عليها البناء.

فعلى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية بذل الجهد في نشر الدعوة وبعث الإيمان وجمع الكلمة تحت راية الإسلام، والأخذ بكل الأسباب المشروعة لتحقيق ذلك، مع الصبر والمصابرة، لأن التغيير المنشود لن يتحقق إلا من خلال سنة الله التي لا تتبدل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ويجب ألا يشبط عزيمتهم ما يواجهونه من عوامل الإفساد الرسمية في أجهزة الإعلام وغيرها، ولا ما يقوم به أصحاب المبادئ الهدامة من تشويه للإسلام أو تشكيك في العاملين الصادقين له، فالباطل مهما انتفش فهو زهوق، ولن يصمد أمام الحق وصدق الله العظيم:

﴿يَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. كما أن سنة الله غالبية ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وعلينا أن نفوت فرص الاستفزاز والإثارة، ولكن نقابل ذلك بالحكمة والهدوء والعمل الجاد الذي يؤدي في النهاية إلى استقطاب أكبر عدد من الناس تحت راية الإسلام بتخليهم عن غيرها من الرايات الأرضية التي خدعتهم بيريقتها الزائف.

•• الجماعات الإسلامية داخل القطر الواحد^(١)،

عرض أستاذنا الواقع الموجود في كثير من أقطارنا الإسلامية، ثم حدد الواجب إزاء هذا الواقع والسبيل لجمع كلمة المسلمين في كل قطر.

أولاً: تصنيف الجماعات حسب ما تقوم به من عمل لتحقيق جانب أو أكثر من جوانب الإسلام: أ- من يركزون على عقيدة التوحيد ونقائنها من الشوائب بجانب اهتمامهم بالعلم وتحقيق الأحاديث الشريفة.

ب- من يهتمون ببناء المساجد وأداء العبادات والتفقه في الدين واتباع السنة.

ج- من يهتمون بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر المسلمين والزكاة وغير ذلك.

(١) المرجع السابق نفسه.

د- من يركزون على الجهاد في سبيل الله ومواجهة أعداء الله بالقوة .

هـ- أصحاب الطرق الصوفية المتعددة .

و- من يفاصلون غيرهم لتشككهم في عقيدتهم ويحكمون على كثير من غيرهم بالكفر أو الفسق .

ز- من يعملون لإقامة الحكم الإسلامي ودولة الإسلام .

ويقول أستاذنا عن هذه الجماعات : [وقد يخطئ بعضهم الطريق اجتهاداً منهم ، ويسلك غيرهم الطريق الصحيح . وربما قامت خلافات بين بعض التجمعات قد تصل أحياناً إلى حد الصدام . كما أنه قد توجد بعض رايات إسلامية من صنع الأعداء لتقوم بدور مضاد منحرف يسيء إلى الإسلام ويساعد على الفرقة ويحول دون الوحدة] .

•• الطريقة التي نسلكها مع هذه الجماعات^(١) :

يقول أستاذنا : [يجب أن يكون دور الطبيب الذي يشخص الداء ويصف الدواء ويأمر بالعلاج ، ويصبر عليه حتى يتم الشفاء . فمجتمعاتنا أصيبت بكثير من العلل والأمراض ، في عقيدتها وفي عباداتها وأفهامها وأخلاقها وغير ذلك ، نتيجة لأسباب كثيرة منها :

أ - انصراف المسلمين إلى الدنيا ومتاعها .

ب - تقصير العلماء في القيام بواجب الدعوة والتذكير .

ج - احتلال أعداء الله لبلادنا ، وتسلبهم ، وإبعاد الشريعة عن الحكم ، وغزو بلادنا بكل ألوان الفساد ، ومحاربتهم هم وعملاؤهم في بلادنا للدعاة إلى الله وللحركات الإسلامية الصادقة ، وتشجيع الانحرافات الدينية . . . إلى غير ذلك من الأسباب .

فالواجب يملئ علينا أن نعذر الكثير من عامة المسلمين لجهلهم ووقوعهم تحت تأثير كل هذه العوامل ، فنأخذ بأيديهم ونصحح لهم مفاهيمهم وتصوراتهم وما وقعوا فيه من أخطاء أو انحرافات بدلاً من أن نفاصلهم ونحكم عليهم بكفر أو فسق أو شرك ، وأن يتم ذلك في جو من الحب والعلاقة الطيبة ، وقد يظن البعض أن هذه العلاقة الطيبة تعني إقراراً بالمخالفاتهم وانحرافاتهم ولكنها وسيلة لمعاونتهم على التصحيح والتخلص من هذه المخالفات دون إقرارها ، وليكن منهجنا الحكمة والموعظة الحسنة ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر وتحمل الأذى والإساءة ، وأن ندفع بالتي أحسن تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] . ومن منطلق

(١) المرجع السابق نفسه .

هذه الآية كان الإمام الشهيد يقول للإخوان: [كونوا مع الناس كالشجر يرمونه بالحجر ويرد عليهم بالثمر].

وبجانب السعى لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم مسترشدين بالقاعدة الذهبية: [نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه]، علينا أيضاً أن نعمل على إزالة أسباب الفرقة والخلاف بيننا وبين غيرنا وبين الجماعات بعضها البعض ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وتنفير الجميع من خطورة الفرقة والخلاف وتوضيح أهمية الوحدة لمواجهة أعداء الإسلام وكيدهم وتخطيطهم ضد الإسلام والمسلمين.

ومن المفيد أن نذكر هنا بعض ما ورد في رسائل الإمام الشهيد حول موقفنا من الهيئات الإسلامية لنسترشد به في أداء دورنا:

ففي رسالة المؤتمر الخامس نجده يقول: [أحب كذلك أن أفصح لحضراتكم عن موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية في مصر. ذلك أن كثيراً من محبي الخير يتمنون أن تجتمع هذه التجمعات وتتوحد في جمعية إسلامية ترمى عن قوس واحدة، ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح في هذا البلد. والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الإسلام وهم يتمنون لها جميعاً النجاح، ولن يفهم أن يجعلوا من مناهجهم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة].

ثم نجده في المؤتمر السادس يؤكد هذا المعنى فيقول: [أما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعها على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء، نحبها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً يتصر به الحق في ظل التعاون والحب ولا يباعد بيننا وبينها رأى فقهي أو خلاف مذهب، فدين الله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى، إذ نتحرى الحق في أسلوب لين يستهوى القلوب وتطمئن إليها العقول، ونعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية والحواجر النظرية، وتخل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية، حيث لا يكون هناك إلا إخوان مسلمون، للدين عاملون وفي سبيل الله مجاهدون ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. [نلاحظ أنه قال: حيث لا يكون هناك إلا إخوان مسلمون، ولم يقل: إلا الإخوان المسلمون، وذلك يعني أنهم جميعاً ستجمعهم أخوة الإسلام دون فوارق أو حواجز].

وإذا كانت كلمة الإمام الشهيد في المؤتمر الخامس تخص الهيئات الإسلامية في مصر فإن كلمة المؤتمر السادس عامة، ومعلوم أن دعوتنا عالمية من أول يوم، وأن ساحة عملنا تشمل الساحة الإسلامية كلها بل الساحة العالمية.

وكان رحمه الله يسعى جاهداً لإزالة الخلافات، ويحسن التعامل مع الجماعات والهيئات الإسلامية وقياداتها، وشارك في جماعة التقريب بين المذاهب. . ولكن الأجل وافاه قبل أن تبدأ خطواتها.

•• حول الخلافات في فروع الدين^(١)؛

يؤكد أستاذنا أنه لا يجوز أن يكون الخلاف في فروع الدين حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير بين الجميع.

ثم يستشهد بكلام الإمام الشهيد في رسالة دعوتنا ما نصه^(٢):

[إن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ضرورة، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة:

- منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعاني، وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأى في حدود اللغة وقوانينها، والناس في ذلك جد متفاوتين، فلا بد من خلاف. ومنها سعة العلم وضيقة. وأن هذا بلغه ما لم يبلغ ذلك، والآخر شأنه كذلك، وقد قال مالك لأبي جعفر: [إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة].

- ومنها اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الإمام الشافعى رضى الله عنه يفتى بالقديم في العراق ويفتى بالجديد في مصر، وهو بكليهما آخذ بما استبان له، وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق في كليهما.

- ومنها اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها، فبينما نجد هذا الراوى ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسه وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحاً عند غيره لما علم من حاله.

- ومنها اختلاف تقدير الدلالات، فهذا يعتبر عمل الناس مقدماً على خبر الأحاد مثلاً، وذلك لا يقول معه به وهكذا.

(١) المرجع السابق نفسه - بتصرف.

(٢) رسالة دعوتنا.

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد.

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته، ألسنا مسلمين وهم كذلك؟ وألسنا نحب أن تنزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ فقيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرايهم عندنا؟ ولماذا لا نتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟ هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، كان يخالف بعضهم بعضاً في الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافاً بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم؟ اللهم لا، وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيداً.

•• ما هو واجبنا؟

- حول ضرورة جمع كلمة المسلمين يحدد أستاذنا الدور الذي من واجبنا أن نقوم به تجاه العاملين في حقل الدعوة وهو كما يلي:
- ١- يلزم أن نواصل الجهود التي تمارسها الجماعة لتحقيق هذا الهدف ملتزمين توجيه الإسلام من الوسائل التي تقوى الروابط بين المسلمين.
 - ٢- يلزم التحرز من كل تصرف يوتر العلاقات بيننا وبين غيرنا من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.
 - ٣- يلزم حث قيادات تلك الجماعات على التنسيق والتفاهم وتوحيد المواقف ما أمكن، تمهيداً لوحدة تجمعهم تتضافر بها الجهود للنهوض من تلك الوهدة، وللعمل المشترك للتمكين لدين الله في الأرض.



العالمية

يقول أستاذنا الأعظم محمد ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة».

أرسله الله تبارك وتعالى للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وكانت رسالته رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأنزل الله معه كتاباً للعالمين: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

فكان الإسلام للعالم كله، وكانت طبيعته عالمية، لذلك فإن الدعوة للعالم كله.

والإمام البنا جعل من أخص خصائص الدعوة: [العالمية] فقال: [وأما أنها عالمية فلأنها موجهة للناس كافة، لأن الناس في حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للجموع من خير سابع وفضل شامل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكننا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بني الإنسان^(١).

ويقول الإمام البنا عن مهمة الإخوان المسلمين إجمالاً^(٢): [هي أن تقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ، وتؤمن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينشر ظل الإسلام الوارف على الأرض، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) **بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ [الروم: ٤، ٥].

ولما حدد الإمام مراحل منهاج الإخوان المسلمين وما يريدونه والوسائل التي تحقق ما يريدون قال: [نريد أولاً الرجل المسلم، ونريد بعد ذلك البيت المسلم، ونريد بعد ذلك الشعب المسلم،

(١) رسالة دعوتنا في طور جديد - للإمام البنا.

(٢) رسالة إلى الشباب - للإمام البنا.

ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة، ثم نرى أن نضم بعد ذلك كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعته وحدته المطامع الأوروبية، ومن حقنا أن نعيد الإمبراطورية الإسلامية التى قامت على العدالة والإنصاف ونشر الهداية بين الناس [ثم ختم بقوله^(١)]:

[نريد بعد ذلك ومعنا أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبليغ الناس جميعاً، وأن نعم بها أفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار. حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم].

ولما كانت هذه الدعوة للعالم كله، ولما كان من سمات الإمام البنا الفكرية: (العالمية) فقد توجه الإمام بنصائحه فى وقت مبكر من تأسيس دعوته إلى أقطار العروبة والإسلام، وكأنه يشعر بأن هذا الأمر الذى وضع بذرتة فى مصر سيتشتر فى كل أقطار الأرض، عودة مبصرة إلى منهج الله، وصحوة عالمية للإسلام فى كل شبر على ظهر الأرض.

وقد بدأ رضى الله عنه هذه الخطوة، بالسعى إلى الجمع، حيث يجتمع المسلمون ليلتقى بهم مذكراً بما آل إليه حال المسلمين، وداعياً لهم إلى العمل تحت راية الإسلام، لذلك تجده يقول:

[وكلمة إلى إخواننا فى أقطار العروبة والإسلام، أفلاذ كبد الوطن الإسلامى الكبير، وهو أنى أوصيهم بما أوصى به إخوانهم فى مصر، وكنت أتمنى من أعماق قلبى أن تسعدنى الظروف برحلة إلى بلدانهم المباركة، لولا الظروف القاهرة، فأعتذر إليهم وأبعث إليهم على صفحات مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م - بأجمل العواطف، عواطف الشوق والحب والتقدير، والأمل العظيم، فى جهودهم الصادقة، وخطواتهم الموفقة، وعملهم المبرور، للوصول إلى أهداف الدعوة الإسلامية المنقذة، وفقنا الله وإياهم على الخير، وجمعنا دائماً على كلمة الهدى والحق، إنه نعم المولى ونعم النصير^(٢)].

أما أستاذنا مصطفى مشهور فقد حباه الله تبارك وتعالى بهذه السمة الفكرية (العالمية) التى تميزت بها دعوة الإخوان المسلمين ويقول عن هذه السمة^(٣):

[تميزت دعوة الإخوان المسلمين بعالميتها، فالإسلام عالمى، جاء للناس كافة، وتهدف الجماعة لإقامة الدولة الإسلامية العالمية والوطن الإسلامى وطن واحد، والأمة الإسلامية أمة واحدة، وما هذه الأقطار وحدودها الجغرافية فى نظر الإسلام إلا وطن واحد ينتسب للجميع

(١) المرجع السابق.

(٢) مفاهيم تربوية - ج/٣ - محمد عبد الله الخطيب.

(٣) من فقه الدعوة.

فيه إلى الإسلام، وقد حاول الأعداء تقسيمه وتفريقه وإقامة الحواجز بين بعضها البعض بل وإشاعة الحروب فيما بينها.

فالجماعة تقف بجانب قضايا أي بلد إسلامي أو أقلية إسلامية في أي مكان في العالم، وتسعى لنشر دعوة الله في العالم كله وتعمل في توحيد كلمة المسلمين وتحرص على حسن العلاقة مع العاملين للإسلام أفراداً وجماعات، بل وتحمل إساءات البعض منهم وتقابلها بالحسنى امتثالاً لتوجيه الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. والأمل في الله كبير أن تزول هذه الخلافات وتجتمع كلمة المسلمين ليواجهوا الأعداء متحدين.

فلنحافظ على عالمية الدعوة، ونتجنب كل دعوة للإقليمية والتفوق داخل كل قطر. ويرى أستاذنا أن الدعوة الإسلامية على المستوى العالمي تمر بمرحلة مهمة دقيقة من عمرها، مرحلة نهوض من كبوة، ويقظة من غفوة، بل مرحلة إنشاء وإرساء لقواعد بنيان متين لدولة إسلامية عالمية تهدي البشرية الضالة وتقيم أعظم حضارة عرفها التاريخ بعد أن أفلست كل النظم البشرية..

ويقول عن هذه المرحلة من الطريق^(١):

[الشرق الإسلامي بعد أن سار بالدعوة الإسلامية وارتقى بها وأقام حضارة لا مثيل لها وغفا غفوة كبرى، فقد فيها جوهر دعوته في حياة الناس، فضاء منهم السلطان وزالت المهابة واحتلت الأرض وسلبت الثروات وتوارى الجهاد والتشريع بل وتوارى الخلق الإسلامي واندثرت الفضيلة وحلت الإباحية والفوضى، ويحاول الإلحاد أن يأخذ طريقه ولكنه سبحانه وتعالى هياً الأسباب لإيقاظ هذا الشرق الإسلامي من غفوته لتقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فكانت جماعة الإخوان المسلمين وبعض الجماعات الإسلامية، وسار الشهيد حسن البنا بجماعة الإخوان على نفس الطريق التي سار عليها رسول الله ﷺ فما أكثر الشبه بين هذه المرحلة التي تعيشها الدعوة الإسلامية الآن ومرحلة بدء الدعوة، فالإسلام غريب والجاهلية سائدة ودعاة الإسلام مضطهدون.

وكما كان أعداء الدعوة يتمثلون في مشركي الجزيرة وفي عبدة النار بفارس وفي الرومان واليهود، فاليوم أيضاً نجد الأعداء متمثلين في الشيوعية والصليبية والصهيونية وأصحاب المصالح الدنيوية من المسلمين.

(١) المرجع السابق.

ويذكرنا هذا بأن المسلمين ثبتوا حتى نصرهم الله وأذل أهل الشرك والكفر ودحروهم ، وكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وهذا ما نأمله ونعمل له إن شاء الله . .

●● ملاحظة مهمة حول هذه المرحلة:

يلاحظ أستاذنا أن منحنى الدعوة في صعود، وأن منحنى المادية في انحدار، يقول أستاذنا [وإننا نلاحظ أنه في الوقت الذي بدأ فيه منحنى الدعوة في الصعود بعد انحدار، نرى منحنى الحضارة المادية بدأ في الانحدار بعد الصعود. وبوادر الظاهرة الأولى تتمثل في الوعي الإسلامى الجديد الذى أخذ طريقه فى الأمة الإسلامية عامة وفى الشباب خاصة، وهذا المد الإسلامى فى الجيل ذكوراً وإناثاً فى حيوية ورغبة صادقة فى العمل الإسلامى والعمل للإسلام .

وبوادر الظاهرة الثانية تتمثل فى موجة الانحلال الخلقى الجارفة فى شباب أصحاب تلك الحضارة المادية .

وهذا يبشر بأن تحولاً فى قيادة البشرية سيتم، وتعود تلك القيادة إلى الشرق الإسلامى مرة أخرى، وتقوم دولة الإسلام العالمية بإذن الله تعالى وتسعد الدنيا بهذا الدين الحنيف].

كان أستاذنا كثيراً ما يؤكد أن: [طبيعة المرحلة هى: وضع الأساس المتين للدولة الإسلامية العالمية]، وكان يحث على العمل الجاد المتواصل فى هدوء ودون ضجيج . .

نجد هذا التأكيد مكرراً فى مواضع مختلفة فى مؤلفاته، ومقالاته، ومقابلاته ومحاضراته . . إلخ .

ولم يكن أستاذنا ممن يقف عند التنظير، وإنما كانت حياته كلها تطبيق وعمل متواصل جاد، فكان يقف بجانب قضايا أى بلد إسلامى أو أقلية مسلمة فى أى مكان فى العالم، وكان سعيه حثيثاً لنشر الدعوة فى أنحاء العالم كله، وكان حريصاً على توحيد كلمة المسلمين وحسن العلاقة فيما بينهم، وبرز نشاطه فى هذا المجال بروزاً ملموساً وملحوظاً فى الثمانينيات من القرن الماضى، حيث كان هو مهندس الحركة الإسلامية فى العالم . . وهذا ما سنذكره فى بعض الفصول من هذا الكتاب بإذن الله .

الباب السادس: مشاريعه الدعوية

الفصل الأول: مشروع الدعوة الفردية.

الفصل الثاني: مشروع الاهتمام بالأسرة كخليفة أولى للدعوة.

الفصل الثالث: مشروع رديف القائد.

الفصل الرابع: مشروع التوريت.

الفصل الخامس: مشروع التخطيط.

الفصل السادس: مشروع صناعة الرموز.

مشاريعه الدعوية

إن الكثرة من جنود الدعوة يعيشون في كنفها وأحضانها متأخين متحابين متآلفين، ويعملون فيها صفاً كأنهم بنیان مرصوص، ويتعاونون فيما بينهم لتنفيذ خططها ومشاريعها وتحقيق أهدافها باستخدام وسائلها، وهم على بصيرة من أمرهم مسترشدين بأركان بيعتها رافعين شعارها.

أما القلة القليلة الباقية وإن كانوا يشاركون الكثرة في جميع أعمالهم إلا أنهم جنود من طراز آخر: فهم في المقدمة (ولا أعنى مقدمة الصفوف التنظيمية) ولكنهم في المقدمة بأعمالهم وإبداعاتهم وعطائهم، فهم النموذج والمثال لغيرهم، لا يعيشون لأنفسهم وإنما يعيشون لغيرهم، يعيشون هموم دعوتهم وهموم أمتهم، يربطون الماضي بالحاضر ويخططون للمستقبل ويعدون له لربطه بالماضي والحاضر، ومن هؤلاء أستاذنا الأستاذ مصطفى مشهور.

مصطفى مشهور الذي كانت حياته مشاريع دعوية، فهو صاحب مشروع: [الأخ الواحد] أو [الدعوة الفردية]، كان يعايش حديث رسول الله ﷺ في هذا الأمر: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١)، وفي رواية أخرى: «من الدنيا وما فيها»، وأمام عينيه: «أصلح نفسك وادع غيرك». وبهذا يكون قد أضاف إلى وسائل نشر الدعوة المعروفة: الدروس والمحاضرات والخطابة والكتابة، وسيلة الاتصال الفردي، وكان يمارس هذه الدعوة طيلة حياته الدعوية وحتى لحظات حياته الأخيرة مع رواد المسجد ومع الجيران ومع الأقارب... فقد كان حريصاً على أن يحاول كل أخ عن طريق الدعوة الفردية أن يدخل صديقاً جديداً في مدة يحددها ويبدل كل ما في وسعه من طاقة وجهد، فإذا نجح كل أخ في هذه المهمة يعنى ذلك مضاعفة عدد الإخوان العاملين في صفوف هذه الدعوة المباركة وزيادة حملة الراية والمسئولية بما يخفف الحمل عليهم ويساعد على انتشار الدعوة في كل مكان ويسهل تحقيق الهدف.

وهو صاحب مشروع الاهتمام بالأسرة كخلية أولى للدعوة، وتوجيه النساء والفتيات، وكان دائماً ما يوصي بالاهتمام بالأبناء وتربيتهم على قيم الإسلام وأدابه، وها هو بين أسرته كان راعياً مسئولاً عن رعيته، بل كان نموذجاً لغيره وأسوة يُحتذى به، ولقد رأيناه في أبواب سابقة من هذا الكتاب كيف كان اهتمامه بأسرته، وتعلمنا منه كيف يكون الرجل خيراً لأهله وأبنائه. كان يدرك الأهمية البالغة للأسرة المسلمة فهي الخلية الأولى للدعوة واللبنة الأساسية للمجتمع المسلم. لذلك عمل لها مشروعاً خاصاً تركه وخلفه من ورائه يعمل فيه جميع الدعاة إلى الله وهم في طريق دعوتهم.

(١) سبق تخريجه وهو صحيح وليس عند الشيخين.

وهو صاحب مشروع رديف القائد (البديل) بحيث إذا غاب المسئول بسبب اعتقال أو مرض أو موت لا يتأثر عمله الذى يقوم به، ومن ناحية أخرى يكون قد اختار الكوادر التى يكلفها بالأعمال ويدربها عليها، وذلك تمهيداً لمشروع آخر يعتبر من أهم المشاريع فى حياته ألا وهو (مشروع توريث الدعوة للشباب).

لقد كانت الدعوة شغله الشاغل وتربية الشباب وإعداده هدفه الذى أوقف حياته له، وكانت قضية توريث دعوة الإخوان المسلمين فى الأجيال الجديدة همه الأكبر، كان دائماً يبيت الشباب من خبرته وتجاربه بما يعينهم على طريق الدعوة، وكذلك كان يبيت الأمل فى نفوسهم ويشيرهم بأن المستقبل للإسلام، لذلك وضع لهم أهم المشاريع فى حياته الذى أشرنا إليه وهو مشروع التوريث. كما استفاد كثيراً من تخصصه كمتنبئ جوى - حيث عمل فى هيئة الأرصاد الجوية لفترة من الزمن بعد تخرجه من كلية العلوم - بالاهتمام باستشراف المستقبل والتخطيط له. . . وكان يعلم أبناء التخطيط ويكلف كل واحد منهم بالإشراف على إدارة شئون المنزل ويعلمهم التخطيط. ويعتبر هو أول من أدخل قسم التخطيط فى العمل التنظيمى وأنشأ جهاز التخطيط على مستوى العمل الإسلامى العالمى، ولا عجب أنه كان إلى جوار عمله كمرشد عام للإخوان المسلمين يشرف بنفسه على قسم التخطيط.

وهو صاحب مشروع صناعة الرموز الإخوانية فى كافة الأماكن، بحيث تستطيع أن تجد فى أى مكان رموزاً لحركة الإخوان يمكن الاتصال بهم.

لقد أنشأ أستاذاً مصطفى مشهور هذه المشاريع العظيمة، وأصل لها وقعد لها، وعاشها والتزم بها فى حياته العملية، ونجح فيها نجاحاً باهراً وأفاد الدعاة فى طريق دعوتهم، فجزاه الله خير الجزاء. ونحن فى هذا الباب سنخصص لكل مشروع فصلاً مستقلاً مما يجعلنا نقسم هذا الباب إلى ستة فصول وهى كما يلى:

الفصل الأول: مشروع الدعوة الفردية.

الفصل الثانى: مشروع الاهتمام بالأسرة كخلية أولى للدعوة.

الفصل الثالث: مشروع رديف القائد.

الفصل الرابع: مشروع التوريث.

الفصل الخامس: مشروع التخطيط.

الفصل السادس: مشروع صناعة الرموز.

الفصل الأول:

مشروع الدعوة الفردية

* الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة في كل زمان، وفي زماننا هذا أوجب لما تتعرض له الأمة الإسلامية من هجمات شرسة من أعداء الله بقصد سلب جوهر الدعوة الإسلامية من نفوس المسلمين .

* الدعوة إلى الله شرف عظيم لصاحبها ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

* الدعوة إلى الله ثوابها كبير وعظيم، وحديث رسول الله ﷺ يقرر ذلك : «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»^(١) .

* الدعوة إلى الله وإلى الطريق الصحيح من ألزم الأمور وسط هذا الخليط من الرايات والتيارات والتجهيل والتشكيك والتغريب والانحراف .

* الدعوة إلى الله مرحلة مهمة من مراحل العمل الإسلامى الجاد وهى مرحلة التعريف التى تسبق التكوين والتربية، وهناك دعوة عامة فى المحاضرات والدروس ووسائل الإعلام كالكتاب والصحيفة والمجلة والشريط، وهناك «الدعوة الفردية» أيضاً، وهى لا تقل أهمية وهى التى سنخصصها هنا ببعض التفصيل .

وسنعمل الكتابة فى أمرين :

الأول: يتصل بالمعانى والأسلوب والتدرج على هيئة مراحل .

والثانى: حول مميزات الدعوة الفردية وخصائص الداعى الذى يقوم بها .

(١) ضعيف بهذه الرواية والصحيح : [خير لك من حمر النعم] سبق تخريجه .

أولاً: حول الأسلوب والمراحل

يلزم أن نعلم الواقع الذي عليه من تدعوهم إلى الله من المسلمين - فنحن نحصر هنا الحديث على دعوة المسلمين إلى الله وليس غير المسلمين - لأن المطلوب هو أن نتقل بهم من الواقع الذي يعيشونه وما فيه من قصور في فهم أو فتور في عمل أو تطرف أو غير ذلك، إلى فهم الإسلام فهماً كاملاً سليماً شاملاً نقياً كما جاء به رسول الله ﷺ وإلى معرفة متطلبات الإسلام كاملة، ثم كيفية تخصيص هذه المتطلبات على الوجه الأكمل الصحيح.

وبشيء من الدراسة والتحليل لمجتمعنا نجد أن ضعف الإيمان أو الإيمان المخدر في النفوس مع عدم المعرفة السليمة لحقيقة هذا الدين والغزو الفكري أيضاً، كل ذلك وراء هذا الحال التي عليها الكثرة من المسلمين والتي يسرت لأعداء الله تسخير بعض المسلمين لمحاربة الدين، من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ولا ينتظر وعى وحركة وعمل وإنتاج للإسلام من أمثال هؤلاء، إلا إذا استيقظ الإيمان أولاً في نفوسهم فيدفعهم إلى المعرفة والحركة والعمل والرقى بالنفس في مدارج العاملين الصالحين. ولعله من المفيد أن ننبه إلى أن التزام الترتيب في المدارج لازم ومهم حتى لا يؤدي عدم الترتيب إلى انتكاسة أو قعود، وسنبداً الدعوة مع شخص غافل لاه وتدرج به مرحلة مرحلة، من باب توضيح كيفية البدء مع مثل هذا الصنف، وفي الحقيقة هناك أفراد أفضل حالاً وأقرب استجابة، والأولى أن نبدأ بهم أولاً اقتصاداً في الوقت والجهد.

إن كثيراً من المسلمين شغلتهم الدنيا وألتهتهم عن عبادة الله وطاعته، وهم أشبه ما يكونون بقوم نائمين مستغرقين في النوم، وهناك نار تقترب منهم وستلتهمهم إذا بقوا على حالهم.

ويوجد وسط النائمين بعض المستيقظين الذين يشهدون هذا المنظر ولا يملكون دفع النار عن النائمين. فالواجب يملى عليهم أن يوقظوا النائمين ليتدارك كل واحد منهم حاله وبيتعد عن هذه النار، وأي محاولة لتحذيرهم من النار قبل إيقاظهم لا جدوى منها ولن يستجيبوا، لأنهم نائمون لا يسمعون هذا التحذير، «فلا بد من الإيقاظ أولاً ثم التحذير».

ولكن كثيراً ما يحدث عند إيقاظ نائم أن يطلب ممن يوقظه أن يتركه يسترسل في نومه لأنه مستمتع بالنوم ولا يريد أن يقلقه أحد. إنه يطلب ذلك وهو لا زال نائماً ولم يستيقظ، لأنه لو استيقظ فعلاً ورأى النار لسارع بالفرار منها، وإذا قال إنه قد استيقظ لا يُطمأن إلى هذا القول

إلا إذا اقترن بالحركة والابتعاد، هكذا يكون حال الداعى إلى الله تعالى مع من يدعوهم إلى الله، فعليه أن يصبر على دعوتهم ويتحمل ما قد يصدر منهم نحوه من إساءة أو أذى، ويحتسب ذلك عند الله مقتدياً في ذلك برسوله الحبيب ﷺ الأسوة الحسنة، فقد كان يدعو ويتعرض للأذى. ويصبر ويستمر في الدعوة ويقول: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وفي هذا المعنى كان الإمام البنا يقول للإخوان المسلمين: «كونوا مع الناس كالشجر، يرمونه بالحجر ويرميهم بالثمر».

●● المرحلة الأولى: إيجاد صلة وتعارف بمن تريد دعوته؛

نبدأ بالمرحلة الأولى في الدعوة الفردية وهي: إيجاد صلة وتعارف بمن تريد دعوته وإشعاره عملياً باهتمامك به والسؤال عنه إذا غاب، وغير ذلك، دون الحديث في أى أمر من أمور الدعوة حتى يفتح قلبه ويتهيأ لاستيعاب ما يقال له ليستفيد منه.

ويقدر ما تنال هذه المرحلة من اهتمام وعاطفة بقدر ما يتجاوب المدعو ويستجيب إلى ما يدعى إليه. وأى حديث معه قبل ذلك ربما يكون سبباً في نفوره وصدوده. ويمكن أن تستغرق هذه المرحلة بضعة أسابيع.

●● المرحلة الثانية: إيقاظ الإيمان المخدرفى نفوس المدعو؛

ولا يكون الحديث حول قضية الإيمان مباشراً، ولكن الأفضل أن يأتي طبيعياً وكأنه دون قصد، بانتهاز رؤية طائر أو نبتة أو حشرة أو أى مخلوق من خلق الله، ويتحدث معه عن قدرة الله وإبداعه وعظمته في هذا الخلق، ويوضح مثلاً كيف ينبت هذا النبات من طين وماء ويختلف بعضه عن بعض في الساق والأوراق والأزهار والثمار والألوان والرائحة والطعم، وهى تسقى بماء واحد ومن طين واحد ﴿صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] وهل يستطيع العلماء مع ما وصلوا إليه من علم أن يصنعوا حبة قمح مثلاً في معاملهم بحيث لو وضعوها فى الأرض ورويت بالماء أن تنبت عوداً من القمح؟ إنهم لن يستطيعوا لأن سر الإنبات فى الحبة التى خلقها الله من اختصاص الله وحده، ولا يستطيع بشر أن يودعه فى حبة صناعية. كما أن أهل الأرض جميعاً لو اجتمعوا ليخلقوا ذبابة ما استطاعوا، فالخلق والحياة من اختصاص الله وحده.

وهكذا يمثل هذا الحوار وتكراره والتفكر فى خلق الله سيثمر بإذن الله تنزيهاً وتعظيماً وتقديساً لله سبحانه مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُجْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ [آل عمران: ١٩١]. فالآية تؤكد أن ثمرة التفكير تنزيه وتعظيم لله ويدفع هذا إلى تذكر اليوم الآخر وما فيه من جزاء ويدفع المؤمن إلى دعاء الله بأن يقيه عذاب النار.

وهكذا باستيقاظ الإيمان بالله ووحدانيته وصفات القدرة والكمال، يبدأ القلب يحيا بمعرفة الله ويستيقظ من غفلته ويتهيأ لاستكمال قضية الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء، وكذا التعرف على المهمة التي خلقنا الله من أجلها في هذه الحياة الدنيا وهي عبادة الله ولا يتصور أن لهذا الخالق العظيم أن يخلقنا عبثاً.

ولعله من المفيد توضيح قضية تكريم الله لبنى آدم بسبب النفخة من روح الله التي أهملها كثير من الناس وعاشوا جانب الطين فقط ومطالب الجسد وأن العقيدة السليمة لازمة لهذه الروح وفيها سعادة الدنيا والآخرة.

وهكذا يستمر الحوار حول قضايا الإيمان، وعندما تستيقظ هذه القضايا سيبدأ الفرد في مراجعة نفسه ويشعر أنه لو بقى على حاله من الإهمال والتقصير والغفلة وإقباله على معصية الله وعدم طاعته، فإنه سيتعرض إلى عذاب الله يوم القيامة ولا مفر ولا منقذ له، وحينئذ يسلس قياده ويسهل توجيهه إلى ما يدعى إليه من التزام تعاليم الإسلام.

●● المرحلة الثالثة: معاونته في تدارك حاله بالتعرف على طاعة الله والعبادات المفروضة؛ عندئذ تبدأ المرحلة الثالثة وهي معاونته في تدارك حاله بالتعرف على طاعة الله والعبادات المفروضة وممارستها والانتظام فيها والابتعاد عن المعاصي والتحلل بالأخلاق الإسلامية.

ويفضل تزويده بما يقرأه من الكتب الميسرة في العقيدة والعبادة والأخلاق، كما يدعى إلى حضور بعض الدروس والمواظ، ويتعرف على أهل الخير والصلاح ويصرف عن أهل السوء، وهكذا يهيأ له المناخ الذي يساعده على استكمال شخصيته الإسلامية. ويلزم الصبر ومتابعته حتى ترسخ قدمه في هذا الطريق ولا يترك مدة طويلة دون تعهد ومعاونة كي يواصل السير في الطريق ويتجنب عوامل الفتور أو الكسل أو التفريط، وقد يستغرق ذلك عدة أسابيع أو بعض الأشهر حتى تستقر شخصيته الإسلامية دون اهتزاز.

وهنا نقول: إن هناك نوعيات كثيرة موجودة فعلاً على هذه الصورة، ويمكن البدء بها في المرحلة الرابعة التالية. . . ولكن بعد تحقيق المرحلة الأولى، وهي إيجاد صلة وعلاقة طيبة تهيئ لمواصلة الحوار والقيام بواجب الدعوة.

●● المرحلة الرابعة: توضيح المعنى الشمولى للعبادة:

توضيح المعنى الشمولى للعبادة وعدم قصره على الصلاة والصوم والزكاة والحج، ولكنه يشمل كل نواحي الحياة من طعام وشراب ولباس وعلم وعمل وزواج ورياضة ورعاية للأبناء، إلى آخر كل هذه الأمور، وذلك بتوفر شرطين وهما:

١- النية .

٢- مطابقة الشرع .

بأن تقصد بهذه الأمور الاستعانة بها على طاعة الله وعبادته، فيتحول الأكل والشرب إلى عبادة نال عليها ثواباً، وكذلك نتعلم لنفيد المسلمين ودولة الإسلام فيتحول العلم إلى عبادة وننال عليها ثواباً على كل ما نبذله من وقت وجهد، ونعمل فى أى تخصص لنفيد المسلمين ودولة الإسلام ولنكسب المال الحلال الذى نقيم به حياتنا وضروراتنا فيتحول العمل إلى عبادة. ومنتزوج لنعف أنفسنا ونفتح البيت المسلم الدعامة القوية فى بناء الدولة الإسلامية ولننجب الذرية الصالحة التى نتعهد بها بالتربية على قواعد الإسلام ليعز الله بها دينه فيتحول هذا الزواج إلى عبادة والتعب فى تربية الأولاد إلى عبادة وننال على ذلك ثواباً من الله. ونترى لتقوى أجسامنا لنستطيع القيام بأعباء الدعوة والجهاد فى سبيل الله فتصير الرياضة عبادة. وهكذا تصير الدنيا محرراً كبيراً نتعبد فيه إلى الله بكل عمل نزاوله فيها بفضل هذه النية الصادقة لله .

والشرط الثانى: موافقة هذه الأعمال لشرع الله وتعاليم الإسلام، فلا نأكل إلا حلالاً ولا نشرب إلا حلالاً ولا نلبس إلا حلالاً ولا نزاوّل أى عمل من هذه الأعمال إلا بما وافق شرع الله حتى تكون عبادة مقبولة إذ لا يتصور مثلاً أن نأكل حراماً لتتقوى به على طاعة الله .

وهكذا فى هذه المرحلة ينضبط الفرد المسلم فى حياته وحركاته وسكناته مع شرع الله والتعبد إلى الله بكل هذه الأعمال بدلاً من قصر مفهوم العبادة على الفرائض الأربعة المعروفة .

●● المرحلة الخامسة: توضيح أن ديننا لا يكتفى منا بأن نكون مسلمين فى ذواتنا:

وهى التى يوضح فيها للمدعو أن ديننا لا يكتفى منا بأن نكون مسلمين فى ذواتنا كأفراد نؤدى العبادات ونتحلى بالأخلاق الحسنة ولا نؤذى أحداً ولا شىء غير ذلك .

بل إن إسلامنا دين جماعى، إنه نظام حياة وحكم وتشريع ودولة وجهاد وأمة واحدة. وهذا الفهم الصحيح للإسلام يملئ علينا مسؤوليات وواجبات عامة علينا أن نؤديها تنفيذاً لأمر

الله كى يقوم المجتمع على قواعد الإسلام فى كل نواحيه سياسية أو اقتصادية أو تشريعية أو اجتماعية إلى آخره، ونعلم أيضاً أن من واجبتنا نحو هذا الدين أن نعمل على التمكين له فى الأرض ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وعلينا تبليغ هذا الدين للناس كافة.

ولا يمكن أن يعيش المسلم إسلاماً صحيحاً كاملاً منعزلاً عن إخوانه المسلمين غير متأثر بما يحدث لهم وما يتعرضون له من ضربات وأحداث وفتن على يد أعداء الله فى أجزاء متفرقة من العالم الإسلامى «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». وحول هذه المعانى يستمر الحوار مع المدعو حتى يتولد عنده الشعور بالمسئولية العامة نحو الإسلام والمسلمين ويخرج من عزلته. وبعد ذلك يوضح له ما تمليه هذه المرحلة التى تعيشها الدعوة الإسلامية على المسلمين من واجب العمل على إقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة الإسلامية بعد أن كاد لها أعداء الله وأسقطوها، ووجوب توضيح ما يتعرض له العالم الإسلامى من تمزق وخلافات وضربات من أعداء الله وفتنة للمسلمين عن عقيدتهم وتخريب للمساجد وهتك للأعراض ونهب للأموال واغتصاب لأرض المسلمين وتنشئة للأجيال على غير الإسلام، كل ذلك بسبب عدم وجود دولة الإسلام التى تردع أعداء الله وتمنعهم من هذه الاعتداءات التى تجمع المسلمين وتوحد كلمتهم وتقيم شرع الله فيهم.

ويجب توضيح أن مسئولية إقامة الدولة الإسلامية ليست قاصرة على الحكام أو العلماء، ولكنها مسئولية كل مسلم ومسلمة موجودين فى هذه الفترة من عمر الدعوة الإسلامية، وأن المسلمين جميعاً آثمون إن لم يعملوا على إقامة الدولة الإسلامية.

وهكذا يستمر الحوار حول إيقاظ الشعور بهذه المسئولية، بصورة تدفعه إلى التفكير فى كيفية أدائها والقيام بمطالباتها.

•• المرحلة السادسة: توضيح أن هذا الواجب لا يمكن أن يتم فردياً؛

وهنا تأتى المرحلة السادسة وهى توضيح أن هذا الواجب لا يمكن أن يتم فردياً فكل فرد وحده لا يستطيع أن يقيم دولة الإسلام ويعيد الخلافة، ولكن لابد من «الجماعة» الذى تجمع هذه الجهود الفردية لتستعين بها على تحقيق هذا الواجب الضخم والقاعدة الشرعية المعروفة أنه «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». فما دام واجب إقامة الدولة الإسلامية لا يتم إلا بالجماعة فقيام الجماعة واجب. ولا يتصور أحد أن يكون كامل الإسلام وهو يعيش وحده

دون أن يعمل في جماعة لتنفيذ مبادئ الإسلام وواجباته، ومن أهمها في الظرف الحالي: السعى المتواصل لإقامة الدولة الإسلامية.

وهذه الخطوة أساسية، فكثير من المسلمين لا يرون ضرورة قيام الجماعة أو الارتباط بجماعة خشية الالتزام بتكاليف، أو إشاراً للعافية ودفعاً للأذى الذي يمكن أن يتعرض له بسبب ارتباطه بجماعة. وبقدر توضيح عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم نحو الإسلام وأن القيام بهذه المسؤولية لا يتم إلا من خلال الجماعة يكون الاقتناع بضرورة الجماعة مهما كلفهم ذلك، خاصة بعد توضيح الخير العظيم المترتب على ذلك.

●● المرحلة السابعة: مع أي جماعة يعمل؟

وتأتي بعد ذلك المرحلة السابعة وهي الإجابة عن السؤال الذي يفرض نفسه: مع أي جماعة يعمل؟

وهذه المرحلة مهمة ودقيقة وتحتاج إلى حكمة وقوة وإيضاح وإقناع، ففي الساحة جماعات متعددة ومتحركة وتدعو الشباب إلى الانتماء إليها، وكلها تحمل لافتة الإسلام، ولكل جماعات شعاراتها ووسائلها التي تجذب بها الشباب.

والمفروض أن يفهم كل شاب مسلم أن قضية العمل للإسلام قضية مصيرية وأساسية، وعليه أن يحسن اختيار الطريق الذي يسير فيه ويضمن إلى سلامته وألا يندفع أو يتسرع في اختيار الجماعة التي يعمل معها لتحقيق مبادئ الإسلام، إذ ليس له غير عمر واحد ونفس واحدة فلا يخاطر بهما، ولكن يسترشد ويستوثق ويبدل الوقت والجهد في التبين، والاطمئنان أفضل من أن يختار طريقاً غير سوى ويندفع فيه دون تبين.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنه لتحقيق مطالب الإسلام وإقامة الدولة الإسلامية، يلزم أن نهج طريق رسول الله ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية الأولى حيث «أرسى العقيدة» في نفوس المؤمنين «ورباهم» في دار الأرقم على مائدة القرآن وفي مدرسته عليه الصلاة والسلام، فتخرج من هذه المدرسة رجال عقيدة استحوزت عليهم العقيدة وملك عليهم مشاعرهم ووجدانهم وصارت هي كل شيء في حياتهم يسخرون لها كل ما يملكون من وقت وجهد وصحة وفكر ومال ونفس، يثبتون عليها ويتحملون في سبيلها كل إيذاء وعنت، ولا يتخلون عنها، وينشرونها ويدافعون عنها ويجاهدون في سبيلها بأموالهم وأنفسهم، فكان هؤلاء هم الدعائم القوية في أساس الدولة الإسلامية الأولى، ثم آخى بينهم رسول الله ﷺ ونظمهم

وأخذ عليهم العهود والمواثيق ليدافعوا عن هذا الدين بكل ما يملكون . فتحقق على أيديهم النصر والتمكين بفضل الله .

وبهذا حقق رسول الله ﷺ «قوة العقيدة ثم قوة الوحدة ثم قوة الساعد والسلاح» ، إذ عندما تتكون القاعدة المؤمنة الصلبة المتماسكة تستطيع أن تواجه أعداء الله وترد الاعتداء عليها بالقوة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج : ٣٩] .

أما قبل تكوين القاعدة ، ولما كان المسلمون قلة ، كان رسول الله ﷺ يوصي المؤمنين بالصبر على الأذى ، والثبات على الحق الذي آمنوا به ، مع الاستمرار في تبليغ الدعوة إلى غيرهم ولم يطلب منهم أن يواجهوا الباطل بالقوة .

إذن «فالجماعة التي تسير على نفس الطريق هي الجديرة بالعمل معها» أما أي جماعة لا تقدم جانب التربية والإعداد على الوحدة والترابط وعلى استعمال القوة فهي جماعة تغامر بعملها هذا وتضر بالعمل الإسلامي . فمحاولة الوصول للحكم بطريق القوة دون التربية والوحدة أو بطريقة الأحزاب السياسية دون التربية مخاطرة بل إجهاض للعمل الإسلامي قبل أن ينمو نمواً طبيعياً على قاعدة صلبة ولا يتحقق له استقرار ولا استمرار .

إذن لابد من قاعدة صلبة ترضى هذا الحكم الإسلامي وتحميه وتدافع عنه ولا تسمح لغيره أن يستقر عليها . وهكذا «البناء يبدأ من الأساس وليس من القمة» وكلما كان البناء ضخماً كلما احتاج إلى أساس عريض وعميق ، والبناء المنشود هو دولة إسلامية عالمية لأن دعوتنا عالمية وأعداؤنا عالميون كذلك . والزمن في هذا المجال يقاس بعمر الدعوات والأمم وليس بعمر الأفراد .

وبفضل الله نجد أن الإمام الشهيد حسن البنا قد اقتبس هذا الطريق من سيرة رسول الله ﷺ وأكد ضرورة إعداد الفرد المسلم رجل العقيدة ، والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم كقاعدة صلبة تقوم عليها الحكومة فالدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية بإذن الله تعالى .

كما يجب أن يوضح للمدعو أن الجماعة الجديرة بالعمل من خلالها ، يلزم أن تأخذ الإسلام بشموله وتكامله : عقيدة وعبادة وخلقا وتشريعاً وحكماً وجهاداً ، وكل نواحي الحياة ، ولا يصح أن تهتم بجوانب وتغفل جوانب أخرى إثاراً للعافية أو لأى سبب آخر .

كما أن الجماعة التي يُرجى منها تحقيق الواجب ، والجديرة بالعمل معها ، يلزم أن يكون لها الامتداد الأفقى في العالم ، لتهيئ الأسباب لتكوين القاعدة العريضة للدولة الإسلامية العالمية لا مجرد حكم محلي في بلد ما .

وكلما كانت الجماعة صاحبة تجربة وخبرة كلما كان ذلك أدعى إلى الثقة فى تحقيق الأهداف وسرعة الإنتاج وحسن استغلال الوقت والجهد. وتكون فى فهمها وحركتها بعيدة عن التفريط والإفراط، بعيدة عن الانحراف والاجتزاء، مطابقة لهدى رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح.

كما يلزم أن تكون الجماعة منظمة مترابطة تسير بخطى، لا أن تكون مفككة، أو تتحرك ارتجالياً دون خطة ولا تنظيم.

كما يجب توضيح خطأ وخطر الفرقة وتوزيع الجهود فى تجمعات صغيرة، فالأصل أن من يريد أن يعمل للإسلام أن يضم صوته وجهده للجماعة التى تمثلت فيها الصفات السابقة، «ولا يجوز أن يرفع راية جديدة، ولا أن يسير وراء جماعة حديثة تجربة»، وذلك حتى لا يساعد على تشتيت الجهود. «ولا يجوز له مفاصلة هذه الجماعة الكبيرة ذات التجربة إلا إذا وجدها فى مجموعها على فسق أو ضلال».

وهكذا بهذا التوضيح المفصل فى هذه المرحلة يظهر لكل صادق مخلص أن الصفات اللازمة فى الجماعة التى يختارها متوفرة فى جماعة «الإخوان المسلمين» بفضل الله وتوفيقه.

ثانياً: توصيات خاصة بالدعوة الفردية

- * الدأب وأخذ الأمر بجد ومتابعة ومراجعة على فترات للاطمئنان على الاستمرار وعلى حسن الأداء والإنتاج.
- * الذين يقومون بالدعوة الفردية يحسن توجيههم وترشيدهم حول الأسلوب والمعاني وتسلسلها.
- * يمكن معاونتهم فى عملهم فى صورة لقاءات لمن يدعونهم يقدم فيها زاد وتوضيح وترسيخ للمعاني.
- * المراحل السبعة المذكورة يجب أن تتحقق وتستقر فى نفس من ندعوه الواحدة تلو الأخرى، لأن مخالفة هذا الترتيب قد يكون سبباً فى رفض المدعو لما ندعوه إليه، فقد روى أن كل مرحلة تترتب على أهمية التى قبلها والافتناع بها، فمثلاً إذا دعى لأن يكون فى جماعة دون الافتناع بالمسئولية العامة التى توجب الجماعة فلن يستجيب وهكذا.
- * لا يصح أن تكون الرغبة فى الوصول بالفرد المدعو إلى المرحلة الأخيرة سبباً فى السرعة والتعجل للوصول دون إتقان واطمئنان كامل لكل مرحلة منعاً للانتكاس إذا تعرض للتشكيك.
- * يستحسن أن يتم حوار حول المراحل السبعة وما تحتاجه من أدلة أو أسباب تعين على الإقناع بها تيسيراً لهذه المهمة مع من سيقومون بها.
- * يلزم مع تركية طريق الدعوة السليم بكل متطلباته، القيام أيضاً بدحض الشبهات المثارة حول العمل الإسلامى ومتطلباته والقائمين عليه حتى لا يكون هناك آثار للتشكيك فى نفسه.
- * يلزم إبراز الخير الكبير والفوز العظيم الذى يحوزه من يجيب داعى الله وكذا الخطر العظيم لمن لا يستجيبون، ففى أسلوب الترغيب والترهيب عون على تأثر المدعو بما يقال له.
- * على الداعين إلى الله أن يتعاونوا ويسترشدوا ببعضهم البعض فيما يعترضهم من عقبات وكيف يتخطونها والإفادة من تجارب بعضهم فى هذا المجال.
- * يمكن الاستعانة أثناء المراحل بالكتب والرسائل والمجلات التى تُعطى للمدعوين ويطلب منهم أن يسألوا عما يُبهم عليهم فيها لتوضيحه لهم.

- * من تهيأ من المدعوين وصار قادراً وأهلاً للقيام هو أيضاً بدعوة غيره، يُطلب منه ذلك ويوضح له الطريق ويتابع.
- * بقدر الإخلاص والدأب وسعة الصدر والصبر تكون البركة ويكون التوفيق والإنتاج إن شاء الله تعالى.
- * الدعوة الفردية تتم في كل الظروف والأحوال، بخلاف الدعوة العامة التي تتعرض للتضييق عليها أحياناً.
- * الدعوة الفردية تتميز بأنها تحدث صلة ورابطة بمن يدعو، بخلاف الدعوة العامة كالمحاضرات والدروس، حيث لا تتم صلة مباشرة بين الداعي والمدعو.
- * والدعوة الفردية تكسب صاحبها خبرة وممارسة للدعوة إلى الله التي هي من أوجب الواجبات.
- * الدعوة الفردية تدفع من يقوم بها إلى التحصيل والزاد الذي يعينه على حسن الأداء.
- * الدعوة الفردية تتيح الفرصة للمدعو أن يستفسر عن كل ما يعن له وإزالة أي شائبة في نفسه حتى يتم التكوين على نقاء.
- * بعملية حسابية بسيطة نجد أن إنتاج الدعوة الفردية يمكن أن يتضاعف في وقت قصير.

صفات لازمة للداعى إلى الله

- * أولاً وقبل كل شيء: [إخلاص النية لله تعالى] فبدون الإخلاص يحبط العمل .
- * أن [يقدر عظم المهمة] التى يتصدى لها، فيعطيها الاهتمام اللائق بها مستشعراً الثواب العظيم .
- * أن [يتسم بالحكمة] وحسن اختيار الأسلوب والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .
- * [أن يكون لين الجانب وحسن الخلق] صابراً حليماً محتسباً عند الله ما قد يناله من أذى أثناء قيامه بالدعوة إلى الله، متأسياً برسول الله ﷺ ومن تبعه من الدعاة إلى الله .
- * [أن يكون ذا خبرة بالمجتمع] الذى يدعو الناس فيه وما فى هذا المجتمع من تيارات وقضايا ويحاول أن يعرف الكثير عمّن يدعوهُ .
- * عليه أن يتفقه ويتعلم ليكون ذا عطاء وافر .
- * [أن يدرس السيرة العطرة والتاريخ الإسلامى] دراسة عملية ليأخذ منها الزاد وسيجد فيها العون على معالجة المشكلات التى تعترض الداعى إلى الله، كذلك بعض مواقف المسلمين الأول .
- * [يحفظ ما يستطيع من القرآن] للاستشهاد به فى دعوته، وأسلوب القصص القرآنى له أثر كبير فى النفوس .
- * عليه فى حديثه أن [يجمع بين مخاطبة العقل والوجدان] فإن إثارة الوجدان تهيج النفس لاستيعاب ما يخاطب العقل والتأثر به .

الفصل الثاني:

مشروع الاهتمام بالأسرة كخلية أولى للدعوة

إن شعورنا بالألم يصاحبه شعور بالأمل يعتملان في نفس كل فرد من التيار الإسلامي، بسبب ما آل إليه الحال في مجتمعنا من تراكم المشاكل والأزمات التي عانى منها الغالبية العظمى من الشعب، دون حل جذري لها من جهة المسؤولين، فدفعنا ذلك إلى القيام بما يملية علينا ديننا من واجب الإقدام بكل القوة والإيجابية لتدارك الأمر والحيلولة دون انهيار الأوضاع التي أصابته في فترات احتلال الأعداء وما تلاها من فترات حكم ديكتاتوري متسلط.

وإن الشعار الذي رفعه التحالف الإسلامي بأن [الإسلام هو الحل] هو الطريق الوحيد للإصلاح الشامل، والعلاج الشافي من تلك العلل والأمراض، وسنظل نطالب به المسؤولين ونكسب الرأي العام لجانبه حتى يستجيب له المسؤولين اختياراً أو إجباراً نزولاً على إرادة الشعب. طالباً أبناء الوطن بالإيجابية وتصحيح المسار كل مع نفسه، وفي موقعه وعمله، بأن يلزم كل منا نفسه، بتعاليم ديننا الحنيف وما فيه مصلحة الوطن والمواطن.

ونوجه حديثنا هذه المرة إلى الأسرة، وما يمكن لرب الأسرة وأفرادها من خطوات إيجابية بناءة لتصحيح المسار، فالأسرة دعامة أساسية في البناء، لأن المجتمع ما هو إلا مجموعة من الأسر «فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع»، وتكونت القاعدة المتينة لبناء الوطن، وإذا انهارت الأسرة انهار المجتمع، وقد حرص أعداء الوطن وأعداء الإسلام على تحقيق هذا الانهيار بكل وسائل الفساد، والإفساد، بالخمير والميسر والتبرج والفحشاء واستخدام المرأة كوسيلة لنشر الرذيلة، وشغلها عن رسالتها الأساسية في تنشئة الأجيال، وتسبب ذلك في تشرذم كثير من الأبناء وضياعهم، وانتشار الجرائم، وساعد إعلامنا الفاسد على ذلك، كما أن التعليم في مدارسنا ومعاهدنا أهمل جانب التربية في مراحل التعليم وفي فترة بناء شخصية الأجيال.

نريد من كل رب أسرة أن يستشعر مسؤوليته وواجبه الديني والوطني نحو أسرته، وألا يقتصر اهتمامه بتوفير الطعام والمشرب والملبس ومستلزمات الحياة الدنيوية فقط، ولكن ليعلم أنه قبل ذلك وأهم منه رعايتهم دينياً وخلقياً، فالله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

الفصل الثاني:

مشروع الاهتمام بالأسرة كخليفة أولى للدعوة

إن شعورنا بالألم يصاحبه شعور بالأمل يعتملان في نفس كل فرد من التيار الإسلامي، بسبب ما آل إليه الحال في مجتمعنا من تراكم المشاكل والأزمات التي عانى منها الغالبية العظمى من الشعب، دون حل جذري لها من جهة المسؤولين، فدفعنا ذلك إلى القيام بما يمليه علينا ديننا من واجب الإقدام بكل القوة والإيجابية لتدارك الأمر والحيلولة دون انهيار الأوضاع التي أصابته في فترات احتلال الأعداء وما تلاها من فترات حكم ديكتاتوري متسلط.

وإن الشعار الذي رفعه التحالف الإسلامي بأن [الإسلام هو الحل] هو الطريق الوحيد للإصلاح الشامل، والعلاج الشافي من تلك العلل والأمراض، وسنظل نطالب به المسؤولين ونكسب الرأي العام بجانبه حتى يستجيب له المسؤولين اختياراً أو إجباراً نزولاً على إرادة الشعب. طالباً أبناء الوطن بالإيجابية وتصحيح المسار كل مع نفسه، وفي موقعه وعمله، بأن يلزم كل منا نفسه، بتعاليم ديننا الحنيف وما فيه مصلحة الوطن والمواطنين.

ونوجه حديثنا هذه المرة إلى الأسرة، وما يمكن لرب الأسرة وأفرادها من خطوات إيجابية بناءة لتصحيح المسار، فالأسرة دعامة أساسية في البناء، لأن المجتمع ما هو إلا مجموعة من الأسر «فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع»، وتكونت القاعدة المثينة لبناء الوطن، وإذا انهارت الأسرة انهار المجتمع، وقد حرص أعداء الوطن وأعداء الإسلام على تحقيق هذا الانهيار بكل وسائل الفساد، والإفساد، بالخمر والميسر والتبرج والفحشاء واستخدام المرأة كوسيلة لنشر الرذيلة، وشغلها عن رسالتها الأساسية في تنشئة الأجيال، وتسبب ذلك في تشرد كثير من الأبناء وضياعهم، وانتشار الجرائم، وساعد إعلامنا الفاسد على ذلك، كما أن التعليم في مدارسنا ومعاهدنا أهمل جانب التربية في مراحل التعليم وفي فترة بناء شخصية الأجيال.

نريد من كل رب أسرة أن يستشعر مسئوليته وواجبه الديني والوطني نحو أسرته، وألا يقتصر اهتمامه بتوفير الطعام والمشرب والملبس ومستلزمات الحياة الدنيوية فقط، ولكن ليعلم أنه قبل ذلك وأهم منه رعايتهم دينياً وخلقياً، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

ونريد من الرجل رب الأسرة أن يعامل زوجته بالحسنى، وأن يقوم بواجباته نحوها، فرسولنا ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(١). رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها. وكان دائماً يوصى بالنساء خيراً، وكان يشارك أحياناً فى عمل البيت، لا نريد رب الأسرة المستبد برأيه، والذي يريد فقط أن يأمر فيطاع، فالزوجة لها دورها الخطير فى بناء الأسرة واستقرارها، فلا بد أن تشارك بالرأى، وأن يسود جو التفاهم والتعاون فيما بينهما فى شئون الأسرة.

على رب الأسرة أن يضفى على الأسرة جو البهجة والحب، والمناخ الطاهر النظيف الخالى من العادات السيئة والأخلاق الهابطة، كى ينعكس ذلك على الأبناء لأنهم يقتدون بالصق الناس بهم، وهما الأب والأم.

لا نريد رب الأسرة الذى تشغله أعماله عن رعاية بيته وأولاده وحمائيتهم من الانحراف، فلن ينفع المال مهما كثر فى إصلاح أى فساد أو انحراف نتج بسبب انشغاله فى جمع المال.

وصدق الشاعر حين يقول:

أصون عرضى بمالى لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه ولست للعرض إن أودى بمحتال

ونريد من المرأة - زوجة كانت أو أمًا - أن تقدر دورها الخطير فى بناء الوطن وذلك بحسن أدائها لدورها فى البيت وتنشئة الأبناء، فهى صانعة الرجال.

إن الإسلام جاء من أكثر من ألف وأربعمائة سنة ليكرم المرأة ويرفع من مكانتها وما كانت عليه من امتهان، وأعطاه حقوقها كاملة بما لم تعطه لها قوانين الدول الحديثة، التى يسمونها بالدول المتقدمة وأصحاب الحضارة الحديثة، إن كثيراً من هذه الدول وإلى عهد قريب كانت تحرم المرأة من الميراث إذا كان لها أخ، كما كانت تحرمها من الميراث إذا كان لها أم.

إن هناك فئة ضالة تدعى أنها تدافع عن حقوق المرأة، وأنها تريد أن تحررها من القيود التى يقيد بها بالإسلام وتعاليمه الخاصة بها، والحقيقة أن هؤلاء الأعداء لا يدافعون عن المرأة ولكنهم يدفعون بها إلى الضياع والابتذال والامتهان، فى حين أن الإسلام بتعاليمه الربانية يريد أن يكرمها ويحفظ عليها كمالها وجلالها، وأن يصونها من أن تكون مجرد متعة لحظية، يتبادلها أمثال هؤلاء الأعداء الذين يدعون أنهم يدافعون عنها، يريدون لها السفور والتبرج والاختلاط الذى لا يلتزم فيه بما يحول دون الفتنة.

(١) رواه الترمذى وصححه الأبانى فى صحيح سند الترمذى برقم ٣٨٩٥.

ألا فليعلم الجميع أن الحرية الحقيقية التي تحقق الخير للأفراد والمجتمع هي في التزام تعاليم الله خالق البشر، وهو أعلم بمن خلقه وبهم رؤوف رحيم، وهل يتصور عاقل أن الله في تعاليمه يجور على المرأة، أو أنه منحاز للرجل على حساب المرأة، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. ويكفينا نظرة إلى الواقع في بلاد الغرب أو الشرق المادى وحال المرأة والأسرة والعلاقة بين أفرادها، كثير من هذه الدول يشكون اليوم من التفريغ السكاني، ويحاولون بكل الوسائل معالجة هذه الظاهرة.

كما نرى المرأة في تلك الدول تشقى في سبيل توفير أسباب معيشتها، في حين يلزم الإسلام الرجال بكفالة المرأة وتكريمها، وهذا حديث رسول الله ﷺ يحث على تكريم المرأة: فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتهما أو صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة». رواه الإمام أحمد في مسنده وصححه أحمد شاكر ١٤٢/٥.

إننا نطلب من كل زوجة وأم أن تقوم بدورها، بإقامة البيت على أساس من آداب الدين الحنيف وتعاليمه، وتنشئ الأبناء على أخلاق الإسلام وسنة الرسول ﷺ، وحمايتهم من التأثير بالأخلاق والعادات السيئة التي يجدونها في الشارع بسبب الانشغال بالعمل، فإن ذلك له انعكاسات سيئة في بناء شخصية الأبناء، وإن أى نقص أو انحراف في تنشئتهم لا يعدله مال. كما نطالب ربة البيت أن تتحرى الحلال والبعد عن الحرام في مطعمهم ومشربهم، كذلك عدم الإسراف في استهلاك المياه والكهرباء والطعام وغير ذلك، خاصة في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الشعب.

ونطالب كل أسرة أن تراعى صلة الرحم، وبر الوالدين، والعلاقة الطيبة مع الأقارب وكذا مع الجيران، وأن تحسن اختيار المعارف والأصدقاء الصالحين وتجنب أهل السوء.

هكذا عندما تستجيب الأسر لهذا الذى ندعوهم إليه نكون قد خطونا خطوة بناء عظيمة في مراحل بناء الوطن، ومما يبشر بخير أن نرى هذا الأثر الطيب على الساحة المصرية، بل وعلى غيرها من الأقطار الإسلامية، من انتشار الزى الإسلامى للمرأة بعد أن كان مستغرباً وموضع سخرية منذ عشرات السنين القليلة وكان التعرى والتكشف هو السائد، بفضل الله وانتشار الوعى الإسلامى ساد الحجاب، وصارت المرأة أو الفتاة المتكشفة المتبرجة هي المستغربة المستكبرة، وهكذا نرى دعاة السفور والتبرج تمتلئ قلوبهم بالغيظ والكمد تحسراً على جهودهم التى ذهبت هباء، الأمل كبير فى أن يستمر هذا المد الإسلامى الواعى حتى يعم الساحة كلها بإذن الله.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الأسرة المسلمة القدوة

•• مكانة الأسرة في الإسلام:

تعتبر الأسرة المسلمة أو بيت المسلم من أهم المؤسسات في حياة المسلمين عامة وفي منهاج العمل الإسلامى بصفة خاصة، ويرجع ذلك إلى الدور الكبير المنوط بالأسرة في تنشئة الأجيال وصناعة الرجال الذين هم عدة المستقبل وركائز البناء ودرع الأوطان.

والمجتمع في أى دولة عبارة عن مجموعة من الأسر، فبقدر سلامة الأسرة وأصلتها تكون سلامة المجتمع وأصلته وبالتالي قوة الدولة وصلاتها وسلامة بناياتها. أما إذا انهارت الأسرة انهار تبعاً لها المجتمع ثم الدولة.

ومقياس سلامة الأسرة وأصلتها لا يكون بالجوانب المادية الدنيوية فقط كصحة الأبدان ومستوى السكن والغذاء واللباس والمستوى الاجتماعى والثقافى إلى غير ذلك، ولكن أسباب القوة والأصالة فى الأسرة المسلمة تتمثل أول ما تتمثل فى التزام أفراد الأسرة المسلمة بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً وأدباً ومعاملات، بحيث يهيمن الإسلام على جو الأسرة تماماً، فنرى الإسلام واضحاً فى كل جانب من جوانب حياة الأسرة والبيت، فى كل صغيرة وكبيرة، فى المظهر والمخبر فى المطعم والمشرب فى الأثاث واللباس، فى الأفراح والأتراح، فى العادات والتقاليد، فى علاقة أفراد الأسرة مع بعضهم بعضاً، فى اتباع هدى الرسول ﷺ فى أعمال اليوم والليلة، والأدعية المأثورة فى كل تلك الأحوال، ترى الإسلام فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتها. . فى مواعيد النوم والاستيقاظ، وفى معاملة الخدم، وفى العلاقة مع الجيران، وفى حدود العلاقة مع المحارم، وغيرهم من الأقرباء، إلى غير ذلك من أمور. فنرى الأب رب الأسرة يقوم بواجبه نحو زوجته وأبنائه ويكون نعم الراعى لرعيته، وكذلك الأم تقوم بواجبها نحو زوجها وأبنائها، وكذلك الأبناء يقومون بواجبهم نحو أبيهم وأمهم بما يمليه عليهم الإسلام من البر والإحسان والطاعة فى غير معصية.

وهكذا يسود المناخ الإسلامى جو البيت المسلم القدوة فتشرب فيه الذرية صالحة وتكون بحق قرة أعين للوالدين وذخراً للأمة.

وفى المقابل يخلو جو الأسرة المسلمة القدوة من اللهو واللغو والإثم ومن العادات الجاهلية ومن المحرمات فى المطعم والمشرب والملبس والمقتنيات، ويخلو من الإسراف والترف وما نهى عنه الإسلام.

● مكانة البيت المسلم في منهاج العمل الإسلامي:

نرى الإمام البنا حينما حدد الهدف العظيم الذي نشده وهو التمكين لدين الله بإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، حدد أيضاً وسائل البناء ومراحله ومنها الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم والحكومة الإسلامية والدولة الإسلامية والخلافة وأستاذية العالم.

فكان الأفراد المسلمون والبيوت المسلمة في المجتمع المسلم بمثابة القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء الحكومات المسلمة مستقرة قوية، ليتم ذلك على مستوى الشعوب الإسلامية.

والفرد المسلم القدوة هو الذي يقيم البيت المسلم القدوة، كما أن البيت المسلم القدوة هو الذي يخرج الأفراد المسلمين القدوة، وهكذا يتم توريث الأصالة الإسلامية للأجيال بقوة، وإذا حدث تقصير في هذا التوريث تعرضت الأسرة والأفراد إلى هبوط المستوى والانهيار، خاصة وأن دعاة الشر والفساد لا يألون جهداً في غزو أفرادنا وبيوتنا بكل ألوان فسادهم وشرورهم.

● أساس بناء الأسرة المسلمة القدوة:

تقوى الله هي الأساس المتين الذي يقوم عليه بناء الأسرة المسلمة القدوة، فيكون اختيار الزوج لزوجته حسب توجيه الرسول ﷺ بأن تكون ذات دين وليس لجمالها أو مالها أو حسبها. وتكون موافقة الزوجة وأهلها على الزوج لأنه ذو خلق ودين وأمانة. فيتأسس البيت المسلم هكذا على التقوى من أول يوم، وتصبح المقاييس الربانية والآداب الإسلامية هي التي توجه وتضبط خطوات بناء هذا البيت ابتداءً من الخطبة والعقد والدخول وما بعد ذلك، وتسيطر النظرة الإسلامية الصحيحة للزواج والحياة الزوجية، بخلاف النظرة المادية التي تقوم عليها بعض الزيجات وتصير المقاييس المادية هي أسلوب التعامل في حياة البيت، فسرعان ما يحدث الخلاف ويتعكر جو الحياة الزوجية لعدم الرجوع إلى الضوابط والمقاييس الإسلامية التي تحدد السلوك والرغبات ويلتزم بها الزوجان.

● حقيقة السعادة الزوجية:

يخطئ من يظن أن السعادة الزوجية تتحقق من خلال الماديات كوفرة المال وتهيؤ المسكن الجميل والأثاث الفاخر والمركب المريح والملابس المتنوعة والأدوات الحديثة في البيت، والطعام اللذيذ وأسباب الترف وإشباع الشهوات إلى غير ذلك من أمور. ولسنا مغالين أو بعيدين عن

الواقع إذا قلنا: إن الكثير من الفتيات يسيطر عليهن هذا التصور الخاطي، لحقيقة السعادة الزوجية، وتكون أحلامهن الوردية لعش الزوجية من خلال هذه النظرة المادية القاصرة.

والحقيقة التي نحب أن يعلمها شبابنا المسلم وفتياتنا المسلمات أن السعادة الزوجية الحققة لا تتحقق من وراء هذه الماديات التافهة الفانية، فكم نرى من هم في القصور وسط الحشم والخدم ولا سعادة زوجية حققة يعيشونها، ونرى السعادة الزوجية متحققة بين رجل وزوجته يعيشان في كوخ صغير. إن السعادة في عمومها من داخل النفس وليس من خارجها، من تقوى الله إذ يفيض الله بها على عباده المتقين.

وصدق الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع المال ولكن التقى هو السعيد
فحينما تتوفر التقوى لدى كل من الزوج والزوجة تتحقق لهم السعادة الزوجية الحققة، فتقوى الله تعنى مراقبة الله أولاً وتحرى كل ما يرضيه وتجنب ما يغضبه والتزام كل منهما توجيهات الكتاب والسنة في حياتهما وواجباتهما وحقوقهما، ولا شك أن ذلك السعادة والخير لأنها توجيهات من لدن حكيم وخبير وعباده رءوف رحيم، وإرشادات من الرسول الكريم الذى لا ينطق عن الهوى وهو بالمؤمنين رءوف رحيم، وعزيز عليه ما يعتهم وحريص عليهم وعلى ما فيه خيرهم.

ثم إنه بتوفر التقوى عند الزوجين تتوفر الثقة بينهما، فيطمئن أنها له وحده وتطمئن هي أنه لها وحدها، ولا سبيل حينئذ للشك والظنون والريب وغير ذلك مما يعكر صفاء الحياة الزوجية ويكون على حساب السعادة والمودة.

وبتوفر التقوى يتحقق السكن وتوجد المودة والرحمة بينهما، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

والمسلم الذى يتقى الله ينظر إلى الزواج على أنه عبادة يتقرب من خلالها إلى الله بحسن أداء واجبه نحو زوجته وبيته وأولاده. كذلك المسلمة التى تتقى الله تعتبر الزواج عبادة وتسعى لنيل رضوان الله بحسن قيامها بواجبها نحو زوجها وبيتها وأولادها، وهكذا على مثل هذا البيت تنزل السكينة والرحمة والمودة والسعادة.

توصيات عامة للأسرة المسلمة

هناك أمور وثيقة الصلة بالأسرة المسلمة أو البيت المسلم القدوة، تحدث فيها عادة تجاوزات لا تتناسب مع القدوة على طريق الدعوة، نرى من الواجب أن نلفت النظر إليها، بعضها يتصل بالمبنى وبعضها يتصل بالأثاث وكذا ما يتصل منها بالطعام أو الشراب أو اللباس أو الميزانية أو العادات أو الجيران أو الأصدقاء. نعرض إليها في إيجاز شديد، وإن كانت تحتاج إلى تفصيل ليس هنا مكانه.

•• حول المبنى:

نلاحظ في عصرنا هذا تسابقاً غريباً في تشييد المنازل والحرص على فخامتها وزينتها، ويتبارى الفنيون في إبراز عبقرياتهم، يصرف عليها بالملايين. ما من شك هذا إسراف منهى عنه في وقت نجد فيه الملايين من المسلمين المشردين بلا مأوى ولا ملابس ولا مأكلاً.

وقد يقول قائل: وماذا في ذلك إذا كان صاحب المال قد أدى حق الله فيه وأخرج زكاته وأنفق زيادة عن الزكاة على بعض الفقراء والمحتاجين. فنقول يجب أن يكون واضحاً أصلاً أن الحياة الدنيا ليست دار نعيم ولا دار استقرار، ثم إن مثل هذه البيوت الفخمة يمكن أن تكون مثار فتنة لأصحابها، تجعلهم يركنون إلى الدنيا. ولا يقدمون على الجهاد والعمل الشاق في سبيل الله، كما أنها قد تثير الحقد والحسد في نفوس المعوزين والفقراء. ولا نريد أن نعلم بيوتنا في الدنيا على حساب المساكن الطيبة في جنات عدن. ولتذكر جميعاً صفة بيوت النبي ﷺ وهو من هو منزلة عند الله.

وما نوصى به الأسرة المسلمة القدوة حول المبنى: [الاعتدال والبساطة والتقليل من التكاليف والكماليات] وألا يكون ضيقاً ولا متسعاً أكثر من اللازم، وأن يكون صحيحاً، وتكون غرفه كافية لتحقيق التفريق في المضاجع بين الأبناء وعزل البنات عن الصبيان. ويراعى عدم كشف عوراتهن من خارجه، وتيسير حركة أهل البيت بجمعزل عن مكان استقبال الضيوف ما أمكن. وحبذا لو خصص فيه مكان للصلاة يحافظ على نظافته وطهارته إلى غير ذلك من آداب إسلامية يلزم مراعاتها، هذا بالنسبة لمن عندهم قدرة على البناء، أما الذين لا يقدرون فيكتفون بالاستئجار، مع محاولة تحقيق الصفات السابقة في البيت المستأجر ما أمكن. هذا وإن الدولة الإسلامية تكفل للفقر بيتاً يسكن فيه.

•• حول أثاث البيت:

نلاحظ أيضاً تسابقاً وتباهياً بين الناس في اقتناء الأثاث الفاخر والفراش الناعم الوثير، وازدحام المنازل بكل أسباب الترف والرفاهية والكماليات، وللنساء دور كبير في هذا التسابق وفي إلحاحهن على الرجال في هذا المضممار وهذه التجاوزات، وللأسف يخضع الكثير من الرجال لضغط النساء.

وبالإضافة إلى ما في ذلك من إسراف منهى عنه، فإن هذا النوع من الأثاث يشد صاحبه ويجذبه إلى الإخلاد والاسترخاء والنوم عن الطاعات والفتنة بزخرف الدنيا ومتاعها على حساب الآخرة ونعيمها، ويجعل صاحبه يتأقل عن الجهاد أو تحمل المشاق والحياة الخشنة في سبيل الدعوة إلى الله ﴿لَا تَفْرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١]. وإذا اعتقل أو سجن ونام على الأسفلت أو على حصير الليف فقد يحدث له انهيار نتيجة النقلة الكبيرة. كما أن الأثاث الفخم سيكون عبئاً على أهل البيت ويحتاج إلى جهد وأيد عاملة للمحافظة على تنظيفه وتنظيمه كل يوم.

والذي نوصى به الأسرة المسلمة القدوة حول أثاث البيت، البساطة والمتانة بعيداً عن الإسراف والترف، وأن يكون أقرب إلى الخشونة منه إلى النعومة التي تساعد على كثرة النوم عن الطاعات. ففي ذلك توفير للمال وتوفير للجهد في تنظيمه وتنظيفه. ويمكن الاستفادة من بعض قطع الأثاث التي لها أكثر من استعمال كبعض الأرائك التي تتحول إلى فراش للنوم عند الحاجة إلى غير ذلك. كما يراعى خلو أثاث البيت من الأشياء المحرمة كالتماثيل وأواني الذهب والفضة وغير ذلك.

ومن المفيد أن نذكر في هذا المجال أثاث بيوت النبي ﷺ وكيف كان يؤثر الحصر في جنبه الشريف وهو أعز الخلق على الله.

•• حول الملابس:

نلاحظ أيضاً تسابقاً مجنوناً في شراء الملابس الكثيرة الفاخرة ومتابعة الأزياء الحديثة وتكتظ أماكن حفظ الملابس في البيوت بها، في وقت يتعرض فيه كثير من المسلمين وأبنائهم إلى التعري وإلى المعاناة من تقلبات الجو. وكما أن للفراش الوثير أثره غير المطلوب للمسلم القدوة، كذلك الملابس الفاخرة لها أثرها النفسى على صاحبها فتجعله يميل إلى الدعة والترف والنعومة التي تتنافى مع الرجولة المجاهدة التي تتحمل المشاق، ولذلك حرم الله الحرير والذهب على الرجال.

وربما أدى لبس الملابس الفاخرة أيضاً إلى الخيلاء والتعالى على الناس، إلى غير ذلك من معانٍ تتعارض وروح الإسلام وأدابه وقد تلهى الملابس الفاخرة صاحبها وتشغله في صلاته.

لذلك نوصى الأسرة المسلمة القدوة بالبعد عن الإسراف والترف في الملابس، وأن يراعى فيها البساطة والمتانة والحرص على نظافتها وطهارتها، والتحرز من المحرمات كالحرير والذهب بالنسبة للرجال. أما بالنسبة للنساء فيراعى الزي الإسلامى بحدوده ومواصفاته المعروفة حال خروجها من المنزل أو تعرضها لغير محرم من الأقارب أو غيرهم داخل المنزل. كما نوصى بالتصدق بالزائد من الملابس على الفقراء والمساكين. ولنذكر ما كانت عليه ملابس رسول الله ﷺ وصحابته. وليكن تطلعنا إلى السندس والاستبرق في الآخرة. . فهناك النعيم الخالد.

•• حول الطعام والشراب:

نلاحظ على كثير من الناس النهم والإسراف في الطعام والشراب وتعدد أنواعه وكثرة كمياته بما يستهلك جزءاً كبيراً من ميزانية البيوت، وكثيراً ما يلقى جانب كبير من باقى الطعام فى صناديق القمامة، فى وقت يموت فيه الآلاف والملايين من المسلمين جوعاً، ويحتاج فيه المجاهدون فى سبيل الله فى أفغانستان وغيرها إلى ما يسد رمقهم. وقد نهينا عن الإسراف فى الطعام والشراب ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. ومن حديث رسول الله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه» رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٦٧٤.

ثم إن الإسراف فى الطعام والشراب يؤدى إلى السممة وضخامة البدن وما يترتب على ذلك من علل وأمراض، وسيطرة الشهوات وبالتالى التشاغل والكسل والتراخى عن الطاعات وعن الحركة والجهد. وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: «إياكم والبطنة فى الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للسقم مكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد منها فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف وإن الله تعالى ليبيغض الخبير السمين وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»^(١).

ومن قبيل قلب الأوضاع أن يتحول شهر رمضان شهر الصوم والجوع إلى شهر التخممة والتفاخر بألوان الطعام والحلوى والمكسرات والسهر والسمر وغير ذلك مما هو متعارض تماماً مع طبيعة شهر رمضان وما يجب أن يكون عليه حال المسلمين من رياضة النفس والتخفيف من الطعام والشراب والإقبال على الطاعات والبعد عن اللغو والآثام.

(١) ليس قولاً لعمر وإنما هو لعبد الله بن عبد الرحمن الجزرى. انظر ابن حبان فى المجروحين ١/ ٥٢٩ وابن القيسرانى فى تذكرة الحفاظ ١٥٥.

والذى نوصى به الأسرة القدوة حول الطعام والشراب تحرى الحلال الطيب والتحرز من الحرام ومما فيه شبهة، والبعد عن الإسراف أو التقدير ومراعاة احتوائه لاحتياجات الجسم ما أمكن . لا نريد التلذذ فى الدنيا بشهوات البطن على حساب نعيم الجنة وثمارها . ولنتذكر طعام رسول الله ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين ، وكما تروى عائشة رضى الله عنها أنه كان يمر علينا الهلال ثم الهلال ثم الهلال لا يوقد فى بيت من بيوت رسول الله نار^(١) . وكان كثير من الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر يخرجهم الجوع من بيوتهم . ولا يفوتنا أن نذكر بالأدعية عند بدء الطعام والانتهاه منه كى يبارك الله فيه ولا يشارك فيه الشيطان .

●● حول ميزانية الأسرة المسلمة القدوة:

نلاحظ البعض ممن بسط الله لهم الرزق يتوسعون فى أبواب الصرف باقتناء أكثر من سيارة وعدد غير قليل من الخدم ويعطون أولادهم مالا غير قليل، ربما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى فسادهم وانحرافهم، نجدهم يقضون أوقاتاً فى رحلات سياحية خارج بلادهم ينفقون فيها الكثير ربما تعرضوا لخلالها إلى فتن ومفاسد وآثام .

ونرى أيضاً أسراً من محدودى الدخل لا ينظمون معدل صرفهم ليتناسب مع مواردهم فإذا هم يقعون فى أزمات وقد يلجئون إلى الاستدانة وقد تتراكم عليهم الديون . ونرى أسراً يدب الخلاف بين الزوج والزوجة بسبب الخلل فى ميزان الصرف وكما يقول بعضهم إن المرأة والطفل الصغير يظنان أن الرجل على كل شىء قدير، يحملون الرجل ما لا تتحمله موارده أو قد يتسع الخلاف ويؤدى إلى تصدع الأسرة، لذلك كله وغيره كثير نوصى الأسرة المسلمة القدوة بالآتى :

أولاً: وقبل كل شىء تحرى الكسب الحلال الطيب والتحرز من الحرام الخبيث، فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وما أجمل وصية الزوجة المسلمة الصالحة لزوجها عند خروجه للعمل فى الصباح إذ تقول له « اتق الله فىنا فلا تطعمنا إلا من حلال » .

ثانياً: التشاور بين الزوج والزوجة فى ميزانية البيت وأبواب الصرف والإنفاق، على ألا تتجاوز المصروفات الواردات، بل يجب أن يكون هناك جزءٌ مدخرٌ للطوارئ، وبهذه الطريقة تستشعر الزوجة مسئوليتها فى عدم تجاوز الميزانية والاقتصاد فى الصرف .

ثالثاً: الاكتفاء بالضروريات والبعد عن الكماليات ما أمكن، وعدم إتاحة الفرصة لانحراف الأولاد بوفرة المال فى أيديهم .

(١) متفق عليه : البخارى برقم ٢٥٦٧ ومسلم برقم ٢٩٧٣ .

رابعاً: مراعاة حق الله بأداء الزكاة فى وقتها وأداء فريضة الحج إذا توفرت الاستطاعة والتعود على الإنفاق فى سبيل الله وإعانة الفقراء والمساكين . وتعويد أفراد الأسرة على ذلك . ويفضل أن يكون فى البيت صندوق خاص بالتبرع لأبواب الخير والجهاد يودع فيه أفراد الأسرة ما يتيسر لهم إنفاقه فى هذا السبيل .

•• تجربة ناجحة:

وأعرض هنا تجربة ناجحة لمحدودى الدخل من شأنها أن تنظم معدل الصرف وتعفى رب الأسرة من الأزمات الموسمية التى تزداد فيها أبواب الصرف كبداية العام الدراسى أو الأعياد أو غير ذلك عندما يشتري لهم الأب ملابس أو غيرها ويتصور بعضهم أنه ميز بعضهم على بعض . فليحدث تشاور بين الزوج والزوجة على ضوء الدخل ويحدد القدر المناسب لمصروفات المنزل من طعام وشراب وكهرباء وغير ذلك ويجنب وحده ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء لكل عشرة أيام جزء كى ينظم معدل الصرف طوال الشهر .

كما يحدد لكل فرد من أفراد الأسرة مقدار شهري محدد حسب ظروفه وسنه ومتطلباته وفى حدود الميزانية بحيث يغطى هذا المبلغ كل احتياجاته الخاصة أو غير ذلك .

ويأخذ كل فرد نصيبه كل شهر ، ويمكن بالنسبة للأولاد بإشراف الأم تنظيم صرفهم وتحقيق مطالبهم فى حدود مبالغهم ، ويمكن التيسير عليهم بالإقراض ثم التسديد مع تشجيعهم على التوفير وهكذا يتعودون الشعور بمسئولية أنفسهم وترتيب أولويات احتياجاتهم ولوازمهم فى المناسبات المختلفة دون أن يحملوا والديهم شيئاً من الانشغال بمطالبهم .

بهذه الطريقة لا تتكدس الطلبات فى وقت واحد دون توفر المال الكافى ، وتزول الحساسيات أو الغيرة أو غير ذلك من المشاكل وتسير الأمور بانتظام إلى حد كبير .

وعند تنظيم الميزانية يحدد مبلغ احتياطى للطوارئ وفى الإجازات الصيفية يدرّب من كبير من الأولاد أو البنات بتسليمهم مصروف البيت الشهرى مدة شهر لكل منهم بإشراف الأم ليتدربوا على حسن توزيع المبلغ على أيام الشهر وحسن اختيار احتياجات المنزل من أصناف الطعام وغيره وفى ذلك تأهيلهم قبل الزواج .

وفى ظل هذا الجو من التفاهم والتعاون والمشاركة تكيف الأسرة حياتها بأقل قدر ممكن إذا تعرضت لابتناء أو امتحان وقلت فيه الموارد حتى يجعل الله لهم مخرجاً .

فالغنى غنى النفس، والقناعة كنز لا يفنى. وما أجمل حديث رسول الله ﷺ: «من بات آمناً في سره معافى في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وعن عبد الله بن محصن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سره، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»^(١) رواه الترمذى.

•• صلة الأرحام والعلاقة بذوى القربى:

مطلوب من الأسرة المسلمة القدوة أن تكون قدوة في كل ما يدعو إليه الإسلام من فضائل. ولقد حث الإسلام على صلة الأرحام والإحسان إلى ذوى القربى. ولا شك أن لذلك أثره في دعم الصلة والشائج في المجتمع المسلم بما يحقق جو التعاون والتكافل والتراحم بين المسلمين فيما بينهم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. ولو أن كل مسلم وكل أسرة مسلمة عملوا بهذه الآية الكريمة لتحقيق المجتمع الفاضل المتحاب المتعاطف بحيث لا يبقى فرد محتاج منسياً أو مهملاً.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه» متفق عليه^(٢).

أخرج البخارى والترمذى وأحمد عن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»^(٣) زاد الترمذى قبلها «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فعلى الزوج فى الأسرة المسلمة القدوة أن يحرص على احترام أسرة الزوجة وإكرامها خاصة والديه بحيث يشعرون وكأنه ابنهم وذلك بجانب بره وإحسانه لأسرته هو وخاصة والديه وعلى الزوجة المسلمة أن تحرص على احترام أسرة الزوج وإكرامها خاصة والديه حتى يشعروا وكأنها ابنتهم، وذلك بجانب برها وإحسانها لأسرتها وخاصة والديها.

(١) رواه الترمذى فى سننه برقم ٢٣٤٦ وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى.

(٢) رواه البخارى برقم ٢٠٦٧ ومسلم برقم ٢٥٥٧.

(٣) البخارى برقم ٥٩٨٨ - وأحمد بتخريج أحمد شاكر ١١٨/٣ والزيادة عند الترمذى صحيحها الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم ١٩٢٤.

ونبهه في العلاقات واللقاءات مع الأقرباء أن تُراعى آداب الإسلام وتعاليمه، من حيث التحجب وعدم الخلوة بغير المحارم، إذ إننا نلاحظ تجاوزات في ذلك بسبب الفهم الخاطى؛ بأن الأقرباء لا حرج معهم، فيجب التمييز بينهم وما يحل للمحرم، وما لا يحل له.

•• صلة الأسرة المسلمة بالجار:

لقد اهتم الإسلام بالتوصية بالجار والإحسان إليه كما ورد في الآية السابقة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة نذكر منها: عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» متفق عليه، وفي رواية ليصمت بدل يسكت.

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» متفق عليه البخارى برقم ٦٠١٥ ومسلم برقم ٢٦٢٥.

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر المرقة وتعاهد جيرانك أو قسّم بين جيرانك» رواه مسلم رواه البخارى فى الأدب المفرد برقم ٣٨ ومسلم برقم ٢٦٢٥ وهو صحيح.

•• حول المعارف والأصدقاء:

الأسرة المسلمة ليست فى عزلة عن المجتمع، ولا بد أن يكون لها معارف وأصدقاء، لذلك يلزم التفاهم بين الزوج والزوجة حول تحديد دائرة المعارف والأصدقاء لكى يتم حسن الاختيار لهم وتفادى التورط فى العلاقات مع أهل سوء. كما يلزم تحديد مدى العلاقة بحيث تكون بالقدر المناسب الذى يحقق الخير ويحول دون السليبات والمتاعب.

وعلى الأسرة المسلمة القدوة أن يكون القصد الأول من هذه الصلوات تحقيق الخير للدعوة الإسلامية بأن يتحقق من خلالها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى، وربما كان مناسباً تنظيم لقاءات للتفقه فى أمور الدين للرجال وأخرى للنساء، ويتجنب كل ما نهى الله ورسوله عنه من غيبة أو تميمة أو غيرهما. كما يعتنى أيضاً بالأطفال ويتم توجيهم.

ولا يخلو الأمر من تبادل الهدايا، فعلى الأسرة المسلمة القدوة أن تحسن اختيار الهدايا النافعة لجانب الدعوة كالمصحف الشريف والكتب الإسلامية النافعة وأشرطة الكاسيت أو الفيديو الإسلامى أو غير ذلك بما يفيد الكبار والصغار.

•• حول الضيوف وإكرامهم:

إكرام الضيف أيضاً من الفضائل التي يحث عليها الإسلام، وهي فضيلة تؤكد روح الأخوة والمودة والتعاطف بين المسلمين، وحينما تسود هذه القضية مجتمعنا يشعر كل فرد فيه بأنه بين أهله أنى ذهب وحيثما حل. بخلاف المجتمعات المادية في أوروبا وغيرها التي تفقد مثل هذه الفضائل، بل وحتى بر الوالدين والإحسان إليهما لا يكادان يوجدان حيث طغت المادة على العلاقات، لكننا في المجتمع الإسلامي نجد الإسلام يحث المسلمين على اشتراكهم وتعاونهم في قرى الأضياف إذا كثروا كما حدث مع أهل الصفة، ويراعى عدم الإسراف أو الكلفة. والأحاديث حول إكرام الضيف كثيرة، وقد أوردنا أحدها عند الحديث عن الصلة بالجار.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: دخل على جابر بن عبد الله نفر من أصحاب النبي ﷺ فقدم إليهم خبزاً وخلاً فقال: (كلوا فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نعم الإدام الخل. إنه هلاك بالرجل أن يدخل على نفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدم إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم) رواه أحمد والطبراني^(١). ولعل قوله إنه هلاك بالرجل... إلخ من كلام جابر مدرج غير مرفوع والله أعلم.

وعن أبي شريح الخزاعي قال، قال رسول الله ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة ولا يحل لرجل أن يقيم عند أحد حتى يؤثمه قال يا رسول الله فكيف يؤثمه؟ قال: يقوم عنده وليس له شيء يقريه» رواه مسلم برقم ٤٨.

•• الزوج والأب المسلم القدوة:

بعد أن تناولنا هذه الأمور العامة المتصلة بالأسرة المسلمة القدوة، يجمل بنا أن نتناول العناصر المكونة للأسرة المسلمة كلاً على حدة، كالأب أو الزوج، والأم أو الزوجة والابن والابنة، كي يتعرف كل منهم على واجباته الإسلامية نحو نفسه ونحو غيره. فبالنسبة للأب أو الزوج ننبه إلى الأمور التالية:

١- أن يستشعر مسئوليته العظيمة والثقيلة أمام الله عن رعايته للأسرة وأنه مسئول عن كل فرد فيها وعن كل ما يتعلق بها بدنياً وروحياً وعقلياً وأساسها هو الجانب الروحي أى ما يتصل بالعقيدة والتربية الإسلامية، التي يترتب عليها الحياة المصيرية في الآخرة ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم

(١) (نعم الإدام الخل) صحيح وصححها الألباني في أكثر من موضع كالشمائل المحمدية برقم ١٢٩ - ١٣٠ وصحيح سنن أبي داود برقم ٣٨٢٠ وصحيح الترمذى برقم ١٨٣٩ أما بقية ما ورد: (أنه هلاك الرجل... إلخ) فهو ضعيف: انظر السلسلة الضعيفة برقم ٥٣٨٩.

وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴿ [التحريم: ٦] وكذا حديث رسول الله ﷺ «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته..»^(١).

٢- عليه أن يكون قدوة حسنة لزوجته وأبنائه من حيث تمسكه بتعاليم الإسلام وقيامه بتكاليفه والتخلق بأخلاقه، فذلك خير له ويجعله أقوى تأثيراً في توجيهه ورعايته لأفراد الأسرة، بخلاف ما إذا كان مقصراً في شيء من ذلك فإنه يفقد بذلك صلاحيته للتوجيه حيث إن فاقد الشيء لا يعطيه.

٣- على الزوج أن يحسن معاملة زوجته، فهذا واجب إسلامي حثنا عليه رسول الله ﷺ فولاً وعملاً وهو قدوتنا، وحديث «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(٢) يؤكد هذا المعنى. ولاشك أنه بقدر حسن العلاقة بين الزوج والزوجة في ظل تعاليم الإسلام تتحقق الحياة الطيبة للأسرة كلها والعكس كذلك، فالمطلوب أن يسود جو المودة والرحمة والسكن، ولا يجد الشيطان سبيلاً للدخول بينهما.

٤- على رب الأسرة أن يحرص على إضفاء الجو الإسلامي على الأسرة والبيت، حتى تكون الحياة كلها في الأسرة تسير وفق تعاليم الإسلام وتخلو مما فيه مخالفة أو إثم بل وتنزه عن الشبهات. فتكون العبادة وتلاوة القرآن وذكر الله هو الجو الغالب وينحسر الصخب والسباب والغيبة والكذب وغير ذلك من الآثام.

٥- على الزوج المسلم القدوة أن يتيح الفرصة لزوجته في مشاركتها وتعاونها معه في تحمل مسئوليات الأسرة وحل مشكلاتها، فالأسرة كشركة مديرها الرجل وللزوجة دور كبير في حسن سير الحياة داخل الأسر، فلا يجوز لزوج أن يهمل دورها أو أن يجنح إلى أسلوب الأوامر والتسلط والاستبداد بالرأى.

وسبق أن ذكرنا موضع التفاهم حول الميزانية وحسن توزيعها والالتزام بها كمثال لهذا التعاون.

٦- ومن أهم ما يتعاون فيه الزوج مع زوجته، حسن تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة إسلامية ليكونوا حقاً قوة أعين لهما وعناصر بناءة في المجتمع الإسلامي، وإن أي إهمال في تربيتهم سيجعل منهم مصدر شقاء وإعنت لوالديهم وعناصر هدم وفساد في المجتمع. والآيات والأحاديث تحث على هذا المعنى ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان: ٧٤].

(١) جزء من حديث متفق عليه البخاري برقم ٢٧٥١ ومسلم برقم ١٨٢٩ وله روايات عديدة.

(٢) سبق تخريجه.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وغيره بألفاظ قريبة.

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاربوا بين أبنائكم- يعنى سوا بينهم» وفى لفظ: اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم (يعنى فى العطية)^(١).

عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة دخلت ومعها ابتان لها، قالت فأعطتها ثمرة فشقتها بينهما، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «من ابتلى - أى اختبر - بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٢) متفق عليه.

ويراعى الزوج والزوجة تعويد أولادهما على الثقة بأنفسهم وعلى الشجاعة وحب الجهاد، كما يراعى حسن اختيار لعب الأطفال بما يحقق مثل هذه المعانى فى نفوسهم، كذلك يراعى تشجيع الأولاد على الاهتمام بالمدرسة والتفوق فيها وتقديم الهدايا والجوائز لهم.

٧- على رب الأسرة أن يضمن جو البهجة على الأسرة ويحقق لهم ألواناً من التسلية والترويح الخالية من الإثم، حتى لا يلجأ الأولاد إلى التسلية فى مجالات أئمة، كالرحلات فى الأماكن البعيدة عن مظاهر الإثم وكالعمل فى الحديقة إن وجدت، وتعلم بعض الأمور كالإسعافات الأولية ومبادئ فى السباكة أو الكهرباء أو التجارة أو غير ذلك. ويراعى الحرص على جو الحب والمودة بين الأولاد وعدم تنازعهم وسريان روح العداة والبغضاء بينهم، وتعويد المخطئ على الاعتذار لمن أخطأ فى حقه وتعويد الآخر على التسامح وقبول الاعتذار.

٨- على الأب رب الأسرة أن يكون يقظ الضمير حذراً مما تحذر منه الآيات الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (١٤) إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴿١٥﴾ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿١٦﴾ [التغابن: ١٤ - ١٦]. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ [المنافقون: ٩].

٩- على الأب الزوج المسلم القدوة أن يعمل على الارتقاء بمستوى أفراد أسرته الإيماني وما يمليه هذا الإيمان من واجبات العمل والجهاد والتضحية فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى والتمكين لدين الله فى الأرض.

(١) رواه أبو داود برقم ٣٥٤٤ وصححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى برقم ٣٦٨٩.

(٢) البخارى برقم ١٤١٨ - ٥٩٩٥ ومسلم برقم ٢٦٢٩.

كذلك التهيؤ لما قد يتعرضون له بسبب ذلك من امتحانات وإبتلاءات، وضرورة الصبر والتحمل أسوة برسول الله ﷺ وصحابته.

١٠- على رب الأسرة المسلمة القدوة أن يكون معتدلاً في أسلوبه في حياة الأسرة، فلا ينجح إلى القسوة والشدة ولا إلى اللين والتساهل ومعتدلاً كذلك بين الإسراف والتقتير، وبين التضييق والتسيب.

١١- وعلى الزوج والزوجة إحسان المعاملة مع الخدم ومن يكفلونهم من يتامى أو غيرهم.

•• الزوجية والأم القدوة:

المرأة كزوجة أو أم دعامة قوية في كيان الأسرة وعامل استقرار أساسى في البيت، بل إن البيت هو مملكتها كما يقولون. وعلى عاتقها يقع العبء الأكبر في تربية الأبناء وصناعة الرجال، ولا تتحقق الأسرة المسلمة القدوة إذا توافرت الصفات المطلوبة في رب الأسرة فقط، دون أن تتوافر الصفات المطلوبة في الزوجة أيضاً.

ولقد فطن الأعداء إلى دور المرأة المؤثر في الأسرة والمجتمع، فاتخذوا منها وسيلة لنشر الرذيلة، لذا وجب على العاملين للإسلام أن يهتموا بالمرأة وأن يجعلوا منها وسيلة لنشر الفضيلة ودعم كيان الأسرة والمجتمع وتنشئة الأجيال الملتزمة بإسلامها.

•• لذلك نوصى الزوجية الأم المسلمة القدوة بالآتى:

١- أن تؤمن في قرارة نفسها بدورها الكبير وأثرها الفعال في جو الأسرة وحياتها، وأنها بسلوكها وحكمتها ويقظتها، وحسن مراقبتها لله، يمكنها أن تجعل من بيت الزوجية جنة يأوى ويحن إليها الزوج والأولاد ويستريحون فيه من لفح الحياة ومتاعبها خارج البيت.

٢- عليها أن تقوم بواجبها ودورها الأساسى في تربية الأبناء ورعايتهم، فهى أشد احتكاكاً بهم وهم أشد حاجة إليها في مرحلة بناء شخصيتهم ومغومهم، ويلزم التنسيق بينها وبين الأب في أسلوب التربية بحيث يتكامل البناء والتكوين ولا يحدث تعارض أو تضاد بين الأسلوبين. فأحياناً نرى عاطفة الأم نحو أولادها إذا لم تكن منضبطة، تكون سبباً في تدليل الأولاد أو تمردهم على سياسة والدهم وأسلوبه معهم. كما نرى بعض الآباء والأمهات يعطون الاهتمام الأكبر بصحة أبنائهم ولا يحظى تدينهم بمثل هذا الاهتمام فى حين أنه الأولى. وعلى الأم أن تتعرف على العادات والأخلاق السيئة التى قد يتعرض لها الأبناء خارج البيت لتحميهم من التأثير بها، وأن تتابع أصدقاء أولادها ونوعياتهم بحيث تجنيهم بمعاونة الوالد صداقة قرناء

السوء . وتطبق آداب الإسلام وتعاليمه عليهم من حيث التوجيه الديني وتعليم الصلاة لسبع والضرب عليها لعشر ومن حيث التفريق بينهم في المضاجع ، وتعويد البنات على الحياء وتقبل الزى الإسلامى عندما يبلغن سن الحيض أو قبله بقليل .

وعلى الأم ألا تعتمد على المربيات إلا لضرورة ملحة ، كما لا تعتمد على الرضاعة الصناعية إلا لضرورة صحية .

٣- لكى نلمس الأثر الفعال وتتضح الصورة، نقارن هذه الصورة المشرقة للأسرة المسلمة القدوة بأن نتصور بجانبها أسرة مسلمة لم تتوافر فى الزوجة الصفات التى ذكرناها ولم تقم بالواجبات التى تعرضنا لها بل ربما قلبتها رأساً على عقب وجعلت من البيت جحيماً وميداناً للخلافات، والنزاعات، والمخالفة لآداب الإسلام وتعاليمه، ولا يجد الزوج ولا الأبناء فيه جواً للاسترواح والهدوء وكيف يجد الزوج من المشقة والإعنات ويتعرض الأولاد إلى الضياع .

٤- وعلى الزوجة المسلمة القدوة أن تتعرف بدقة على واجباتها نحو زوجها وحقوقه عليها فتؤديها تعبدًا لله وطمعاً فى ثوابه، وأن تراعى مشاعره وتحفظ سره فى غيبته، وأن تتعاون معه فى الأمور التى أشرنا إليها عند حديثنا عن الزوج المسلم القدوة وخاصة تربية الأولاد وصلة الأرحام .

٥- على الزوجة المسلمة القدوة أن تشجع زوجها على القيام بواجباته نحو إسلامه من عمل وتضحية وجهاد، وألا تكون مشبطة له أو فتنة معوقة له . وأن يعيشا معاً ما تعنيه الآيات الكريمات . . . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] ، ﴿ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِهِنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] ، ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

٦- عليها أن تحسن اختيار معارفها وصديقاتها من النساء الصالحات، وأن تقوم بدور التوجيه والتذكير بآداب الإسلام وتعاليمه، وأن تكون هى نفسها قدوة لغيرها فى هذا المجال . فتكون اللقاءات متسمة بالطابع الإسلامى وتخلو من المائم ومن تناول الآخرين بالغيبة وغيرها، وتراعى آداب الإسلام كالحجاب وغيره .

٧- ما أجدر الزوجة المسلمة القدوة بأن تتحرى الحلال فى كل ما يتصل بالمنزل من أثاث

- ولباس وطعام وشراب وعادات وغير ذلك، وأن تتحرز تماماً من الحرام وكذا ما فيه من شبهة. كما يجب عليها أن يكون بيتها نموذجاً للنظافة والنظام، وتعود أولادها على ذلك.
- ٨- عليها أن تحافظ على القواعد الصحية وعدم تعرض الطعام للتلوث وكذا عدم جعل الأمور الخطيرة في متناول الأولاد كالأدوية والكبريت والأدوات الحادة وغير ذلك.
- ٩- يلزم اتباع سنة الرسول ﷺ وهدية في أعمال اليوم والليلة التي تمارس في المنزل كأداب الطعام والشراب واللباس والنوم والسلام والاستئذان وقضاء الحاجة ودخول المنزل والخروج منه والنظر إلى المرأة والأدعية المصاحبة لهذه الأمور وغيرها.
- وتجنب العادات والتقاليد الجاهلية أو المستقاة من الغرب وما فيها من مخالفة لتعاليم الإسلام.
- ١٠- أن تحرص هي والزوج على إحياء المناسبات الإسلامية وتحييها لنفوس الأبناء، كشهر رمضان وما فيه من صيام وقيام في المسجد والبيت والبعد عما اعتاده الناس من أمور مخالفة، كالسمر والفوازير وكالتخمة وكثرة ألوان الطعام.
- ١١- لسنا في حاجة إلى التذكير بأن الزوجة المسلمة القدوة يجب أن تكون قدوة حسنة ملتزمة بالزنى الإسلامي وتحاشي الزينة المنهى عنها كوصل الشعر والتنمص والأصباغ وغير ذلك.

● الابن المسلم القدوة والابنة المسلمة القدوة:

- عندما ننشد الأسرة المسلمة القدوة، فإننا نعني أيضاً أن يكون كل فرد فيها في ذاته قدوة إسلامية جيدة، وتعرضنا للأب أو الزوج وللأم أو الزوجة، ثم نتعرض للابن والابنة كذلك فتوجه إليهم بالتوصيات التالية:
- ١- أن يستشعر كل من الابن والابنة مكانة الأب والأم وما يستحقان أو يجب نحوهما من الحب والتقدير والبر والإحسان، وأن يقدرُوا ما تعرضوا له من تعب وسهر ورعاية وخاصة الأم وما لاقته من تعب ووهن أثناء الحمل والوضع والرضاعة والرعاية في مراحل الطفولة.
- ٢- أن يستشعروا واجب طاعة أوامر الله ورسوله ﷺ في بر الوالدين والإحسان إليهما، وما وراء ذلك من مثوبة وأجر وعلى العكس من ذلك أن عقوق الوالدين من الكبائر ويترتب عليها سخط الله وعقابه.

ونذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول هذا المعنى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ «أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال، قلت: ثم أى قال: بر الوالدين، قال قلت: ثم أى قال: الجهاد فى سبيل الله، قال: فحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى» رواه البخارى ومسلم والنسائى (١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «رغم أنف، رغم أنف، رغم أنف رجل أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة». وفى رواية «فلم يدخله الجنة» رواه مسلم وغيره (٢).

٣- ليعلم الأبناء أن أبويهما أعرف بما ينفع أبناءهم وما يضرهم بحكم السن والتجربة وهما فى الوقت نفسه يحبان لهم الخير ويكرهان ما يضر أولادهما. فعلى الأبناء أن يطيعوا والديهم فيما يأمرهم به ما لم يكن معصية واضحة لاشك فيها، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

٤- ليحرص الأبناء على روح الحب والمودة فيما بينهم، وتلافى جو التنازع والتشاحن، وليكن سائداً بينهم جو التسامح والتعاطف ويرحم الكبير الصغير ويوقر الصغير الكبير.

٥- على الأبناء أن يحافظوا على طاعة الله وخاصة الصلاة فى أوقاتها وعلى الأخلاق الإسلامية عموماً. وأن يهتموا بالقرآن وحفظ ما يتيسر لهم وفهمه. وكذا التفقه فى الدين. فحديث رسول الله ﷺ جعل من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: شاب نشأ فى طاعة الله (٣).

٦- وعليهم أن يتعلموا السنة فى الطعام والشراب والنوم واللباس وغير ذلك وأدعتها وأن يمارسوا ذلك.

٧- وأن يهتموا بدراساتهم بحيث يكونون من المتفوقين.

٨- وعليهم أن يتعودوا النظافة دائماً فى ملابسهم وأجسامهم وغرفهم وفى مدرستهم وكذا النظام فى أوقاتهم وفى غرفهم. ومكاتبهم وأدواتهم وكل شئ يتصل بهم.

٩- وعليهم أن يحسنوا اختيار معارفهم وأصدقائهم وأن يكونوا قدوة لهم.

(١) البخارى برقم ٥٩٦٠، ٥٢٧ ومسلم برقم ٨٥ والنسائى برقم ٦٠٩.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٥١.

(٣) جزء من حديث صحيح متفق عليه عند البخارى بأرقام ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦ ومسلم برقم ١٠٣١.

الفصل الثالث:

مشروع رديف القائد

إن مشروع رديف القائد أو «البديل» من أهم المشاريع التي أنشأها الأستاذ مصطفى مشهور، وهو يعتبر الأساس المتين والقواعد الركينة لمشروع التورث، وكلاهما يربطان مستقبل الدعوة وحاضرها بماضيها البعيد الذي يعبر القرون ويتصل بسيد الخلق وحبیب الحق قائد الدعوة سيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ففي ذلك الماضي التليد المجليد نجد موقفاً لرسول الهدى ﷺ، وبالتحديد في غزوة مؤتة حيث عين رسول الله ﷺ قائداً على الجيش، واختار رديفين (بديلين) له فقال ﷺ: «أمير الناس، زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليترض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم»^(١).

ولأهمية إيجاد الرديف، حرص أستاذنا مصطفى مشهور حرصاً بالغاً واهتم بهذا الأمر اهتماماً عظيماً حتى جعله مشروعاً من مشاريعه الدعوية.

●● إعداد الرديف:

اتخذ أستاذنا لإعداد الرديف خطوات وهي:

- ١- اختيار الشخص المناسب.
- ٢- تكليفه ببعض المهمات.
- ٣- تدريبه على الأعمال.

خاض أستاذنا هذه التجربة بنفسه، فكان يختار أحد الإخوان ممن يثق بهم ويرى فيهم مستقبلاً باهراً في تحمل المسؤولية وأداء الأمانة، ثم يكلفه بالسفر إلى مكان ما لحل مشكلة معينة، وكان يقول له: هذه المشكلة عندك أو أنت المسئول عنها أو أنت مكلف بحلها إلى آخر هذه العبارات التكليفية. أما بعد إنجاز المهمة فيكون الأخ قد خاض تجربته بما فيها من سلبيات وإيجابيات فيصحح له الأستاذ أخطاءه وسلبياته ويشن على إيجابياته ويطلبه بالإبداع في المرات القادمة، ويكون هذا تدريباً له في أداء مثل هذه المهام.

(١) رواه البخاري دون قوله: [فإن قتل فليترض المسلمون منهم رجلاً] برقم ٤٢٦٦. وقد جاءت جميع الأحاديث بجميع الروايات لتثبت أن خالداً أمر نفسه ورفع راية رسول الله ﷺ.

يقول الدكتور محمد حبيب: كان إعداد الرديف من الأمور التي كان يوليها أستاذنا الأستاذ مصطفى مشهور بالغ اهتمامه، بل إنه كان يزن بها مدى نجاح الأخ في دعوته فكان يقول: (يجب على كل أخ أن يعمل على إيجاد رديف له، وذلك لأن نجاح الأخ في دعوته إنما يترتب على مدى إعداده رديفًا له)، وكذلك كان يقول: (سر نجاح التورث يكمن في نجاح الرديف). وكان يكلف بعض الإخوان لأداء مهام وأعمال بقصد إعدادهم، وكثيراً ما كلفني لنفس القصد^(١).

●● تهيئة المناخ المناسب لإعداد الرديف:

- ١- إعداد رديف ناجح، يجب أن يكون هناك مناخ مناسب لهذا الإعداد وهو:
 - ١- السماح له بأن يكون نائباً في مهمة معينة (حل مشكلة أو أداء عمل خاص).
 - ٢- إيجاد روح التشجيع والدفع لاستجاشة مشاعره.
 - ٣- ملاحظة ومتابعة أعماله.
 - ٤- إعطاؤه الثقة الكاملة.
 - ٥- وجود مناخ تربوي من الألفة والحب والانتماء والشورى ووضوح الرؤية.

●● القدوة العملية:

الرديف يتأثر بقائده تأثراً مباشراً، ويتأسى بشخصيته وأخلاقه، والقائد الناجح الذي يقوم بإعداد رديف ناجح يدرك أن القدوة العملية هي السبب الرئيسي في نجاح الرديف وليس القدوة النظرية.

يقول الأستاذ مصطفى^(٢):

القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، ويسهل مشاهدتها والتأثر والافتداء بها وتقليدها. بخلاف الأقوال والمحاضرات والكتابات، فقد لا يستوعبها بعض السامعين أو القارئ أو قد لا يدركون مقاصدها. وقد تُنسى كلها أو بعضها. أو قد تظل نظرية ويجهل الكثير تطبيقها عملياً. أو قد يخطئ بعض الناس عند التطبيق.

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة بشرية عملية وسط المسلمين الأول، فكان له الأثر الكبير في تعرف المسلمين على الإسلام نظرياً وعملياً، واقتدوا به ﷺ في كل صغيرة وكبيرة. سواء في أمور العبادة أم المعاملات أم أعمال اليوم والليلة من طعام وشراب ونوم ولباس وغير ذلك.

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد حبيب.

(٢) القدوة على طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

ولو أضفنا إلى ذلك حرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى كل ما فيه خير لهم، ونهيهم عن كل ما فيه ضرر لهم، لعلمنا مقدار ما فاز به المسلمون الأول من خير في اقتدائهم بخير قدوة. وقد توارثت الأجيال هذا الخير بعد جيل صحابة رسول الله ﷺ حتى وصل إلينا لنورته إن شاء الله من بعدنا.

ولأهمية القدوة العملية في الإسلام حذر الله المؤمنين من أن تخالف أعمالهم أقوالهم التي يدعون إليها فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]. وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وحديث رسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى: فعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتنزلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتبه وأنهى عن المنكر وآتبه»^(١).
(قوله تنزلق: معناه تخرج- والأقتاب: الأمعاء).

من كل ما سبق نرى أهمية القدوة العملية على طريق الدعوة، وأنها وسيلة تعريف وتكوين في الوقت نفسه.

يعتبر القائد مربيًا بالنسبة للرديف أو البديل، لذلك يجب أن يقوم بدور المربي على أكمل وجه لإعداد العنصر الأساسي في البناء وهو الفرد المسلم القدوة الذي يقوم به البيت المسلم والمجتمع المسلم والحكومة المسلمة، ومن جانب آخر لإعداد الفرد الذي يستطيع تحمل التبعة والمسئولية داخل الجماعة وهو الرديف.

ولهذا الأخ المربي يقدم الأستاذ مصطفى مشهور بعض الملاحظات ليستفيد منها في مجال التربية وليكون قدوة في هذا المجال.

•• الأخ المربي القدوة،

- ١- على الأخ المربي أن يكون قدوة حسنة خاصة في الجوانب التي يربي إخوانه عليها.
- ٢- وعليه أن يعطى الاهتمام الأكبر لقضية الإيمان وسلامة عقيدة التوحيد، فذلك هو الأساس المتين الذي يقوم عليه بناء الفرد المسلم.

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٨٩.

٣- ثم يلي ذلك في الأهمية حسن أداء العبادات من حيث صحة أحكامها وأسرارها أو إحياء القلوب بها كي تثمر التقوى وسمو الروح .

٤- وعلى الأخ المربي أن يولي الجانب الأخلاقي اهتماماً خاصاً، لأن التخلي عن الأخلاق السيئة والتخلي بالأخلاق الفاضلة يحتاج إلى وقت وجهد وصبر ورعاية ومتابعة قريبة، وتحقيق ذلك من خلال الدروس والرحلات والكتيبة والمعسكرات والزيارات وغير ذلك . فالأخ المربي أثناء الرحلة مثلاً يكون متنبهاً إلى كل ما يصدر ممن معه من أقوال أو تصرفات ليجعل ما يلمسه فيها من انحرافات نصب عينيه ليعالجها معهم كمثل الطبيب إذا لمس ظاهرة لمرض معين عرفها وعالجها بالدواء المناسب .

٥- وعليه أن يركز في تربيته على إخلاص النية لله وخلوها من كل شائبة تفسدها، وهذا المعنى يفتح مجالاً في التعرض لأمراض القلوب التي تفتك بصاحبها وتحبط عمله وأجره، وضروة التحرز منها: كالكبر والغرور والرياء وحب الظهور وحب الزعامة والحقد والحسد وغير ذلك .

٦- وعلى الأخ المربي أن يربي إخوانه على الصدق والوفاء بالعهد وبالبيعة فذلك من أزم الأمور لكل أخ يأخذ مكانه في الصف ويكون على ثغرة من ثغرات العمل الإسلامي .

٧- وعلى الأخ المربي أن يربي الأفراد على أسلوب العمل الجماعي أو على طبيعة العمل في جماعة وما يتطلبه من شروط والتزامات لا بد منها لسلامة السير وتضافر الجهود وتوفر الإنتاج .

٨- وعليه أن يوضح لإخوانه طبيعة طريق الدعوة ومعالجه وما يتسم من طول وما يتخلله من أشواك وعقبات، وما على جانيه من منعطفات، ويوضح لهم كيفية تخطي العقبات والتحرز من المنعطفات .

وعليه أن يطمئنهم أنه برغم ما فيه فهو الطريق الوحيد، لأنه هو الطريق الذي سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته من قبل .

٩- وعليه أن يوضح لهم أن هناك عوامل نجاح تصاحب هذا الطريق لن تقف أمامها أي عقبات بإذن الله، وأن الأمل كبير في أن المستقبل لهذا الدين .

١٠- وعلى الأخ المربي أن يهتم بتزكية معاني الأخوة والحب، والإيثار بين الإخوة والتذكير الدائم بهذا المعنى وبالوسائل التي تنميها، والتحذير من الأمور التي تنال من هذا الحب أو تحدث

فرقة وخلقاً. فهذا الحب يثمر وحدة الصف وتماسكه، ومعلوم أن قوة الوحدة هي الأساس الثاني بعد قوة الإيمان وثالثهما قوة الساعد والسلاح.

١١- وعلى الأخ المربي أن يكون متحلياً بخلق الصبر ويربى إخوانه على التحلى بهذا الخلق لأهميته لمن يسلك طريق الدعوة، وكذا الصبر على تحمل الإيذاء في سبيل الله والرضا بقضاء الله وحسن التوكل على الله والطمع في رحمة الله.

١٢- وعليه أن يكون ذا علم ودراية بقضايا الشباب ومشكلاتهم الشخصية أو في أسرته وأهله أو في علاقته بإخوانه أو في حياته العامة، هذه القضايا التي قد تكون سبباً في تعويق سيره على الطريق أو انحرافه عنه، فعلى المربي التبصر بها ورسم الحل النافع لها.

١٣- وعليه أيضاً أن يبصر إخوانه بالانحرافات الفكرية أو الحركية التي ينزلق فيها البعض وتبعد بهم عن الطريق كي يتحرز منها، وخاصة أنها تبدأ بسيطة ثم تزداد مع الزمن.

١٤- وعلى الأخ المربي أن يزكى روح الجهاد والتضحية بالنفس والمال والوقت والجهد وكل شيء في سبيل الله في نفوس إخوانه، وأن يحثهم على عقد الصفقة الرابحة مع الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. والترغيب في الشهادة في سبيل الله.

١٥- وعليه أن يعيش وإخوانه جو السيرة العطرة وكأنه يحيى وإياهم مع هذا الجيل الأول وما تعرضوا له من أحداث ومواقف على طريق الدعوة، فذلك خير عون للاقتداء بهم والسير على نهجهم الذي أوصلهم إلى النصر والتمكين. فسيجد في السيرة نماذج عملية رائعة للصدق والأمانة والوفاء والحب والإيثار والفداء والجهاد والتضحية والبذل وغير ذلك مما تهدف إليه في مجال التربية، وبذلك يشعر الأخ أن سعيه للوصول إلى هذا المستوى ليس خيالياً ولكنه في إمكانية البشر فيجد في سعيه.

١٦- وعلى الأخ المربي أن يربى إخوانه على السمع والطاعة في العسر واليسر في المنشط والمكره في غير معصية، ويربهم على الثقة وعدم الشك أو التردد، ويعودهم الدقة في أداء ما يكلفون به من أعمال وواجبات، سواء كان في موقع مسئول أو جندياً، وأن كلا من المسئول أو الجندي يتعبد إلى الله ويسأله القبول، ويربهم على الاستعداد لتبادل المراكز بين الجندي والمسئول إذا اقتضى صالح العمل ذلك دون حرج.

١٧- من المفيد للأخ المربي أن يتيح لمن يريهم مجال الأسئلة والاستفسار، ويطلب منهم ألا يبقى أحد منهم شيئاً يحيك في نفسه دون سعى لاستيضاحه، ويعطى الفرصة لمن يريد أن يسأله منفرداً كي لا يكون هناك حرج .

١٨- وعلى الأخ المربي أن يعود إخوانه على سعة الاطلاع والتزود بالمعرفة، والتفقه في أمور الدين ويعلمهم كيفية الرجوع إلى أمهات الكتب والتعرف على ما يريدون .

١٩- وعليه أن يعودهم على العطاء ودعوة غيرهم إلى الله، وإلقاء الدروس، بل يحرص على إعداد إخوة مربين من بينهم ليقوموا بمثل واجبه مع غيرهم من الإخوة الجدد .

٢٠- وعلى الأخ المربي ألا يغفل في تربيته جانب الرياضة البدنية، ولا بأس من اختيار من يقومون عليها، لأن قوة البدن لا بد منها لمن يسلكون طريق الدعوة، وإذا تيسر إقامة نواد رياضية إسلامية تُمارس فيها ألوان الرياضة مع المحافظة على تعاليم الإسلام وأدابه وإقامة الصلاة في أوقاتها، فذلك خير .

بهذا يكون الإعداد للانتقال إلى مرحلة التورث . . والتي ستكلم عنها في الفصل التالي بإذن الله .

الفصل الرابع: مشروع التوريث

تمهيداً لمشروع التوريث يبين الأستاذ مصطفى مشهور لجيل الشباب، ضرورة وأهمية توريث الدعوة للأجيال التالية، وضمان سلامة عملية التوريث من الشوائب التي تضعفها وتكون سبباً في تفكك المشروع فيما بعد.. فيقول: [إذا كانت الأجيال تراث من الأجيال السابقة التي لها تجربتها وخبرتها في مجالات الحياة من تجارة أو صناعة أو زراعة أو غيرها، فمن باب أولى في هذه القضية المصرية لكل مسلم أن يرث عن سبقه في حقل الدعوة، التجربة والخبرة لتبدأوا أيها الإخوة من حيث وصلنا ولتواصلوا المسيرة ويحقق الله بكم الآمال.

وإذا كان من حق كل شاب منكم أن يستوثق ويطمئن تماماً من الطريق الذي سيسير فيه والجماعة التي سيضع يده في يد أفرادها لأنه ليس له غير عمر واحد ونفس واحدة فلا يغامر بهما، فكذلك أيها الإخوة: من حق الدعوة علينا أن نطمئن ونستوثق من الأيدي التي سترث منا هذه الأمانة بالألا تفرط فيها وتنحرف بها يمينة أو بسرة.

هكذا حينما يلتحم جيلنا بجيلكم، لا يصلح أن تكون هناك أية شائبة تضعف من قوة الالتحام. فيلزم من الآن إزالة أية شوائب فلا يبقى في نفس أحدكم أي تساؤل دون أن يعلم إجابته أو أي غموض دون أن يستوضحه وقد يسمع تشويهاً أو تشكيكاً من بعض من زين لهم الشيطان أن ينالوا من إخوانهم المسلمين دون تبيين، فمن حاك في نفسه شيء فليسأل ويعرف وجه الحق. ولا تنزعجوا أيها الإخوة حينما تسمعون من يهاجم جماعة الإخوان المسلمين أو ينال من أفرادها أو قياداتها، فليس هذا بالأمر الجديد كما أنه ليس بالأمر المخيف، فدعوتكم نقية نقاء ماء السحاب، والمحن زادت أصالته ولو أن فيها شيئاً مما يقال لما صمدت أمام كل هذه الابتلاءات.

أيها الإخوة، نحن ضيوف عليكم وإن هي إلا سنوات ولن تجدوا أحداً من جيلنا، فانتبهزوا الفرصة وخذوا التجربة، وخذوا أنفسكم بالجد والعمل والإنتاج، والله معكم ولن يترككم أعمالكم. ثم يشرع في وضع مشروعة القيم «التوريث والتحام الأجيال»، ويشرح تغير المجتمعات عبر الأجيال وقضية التغير على الساحة الإسلامية ودور التوريث والالتحام في هذا التغير، وبعد ذلك يبدى ملاحظاته الفاحصة الدقيقة وتوصياته المفيدة من صاحب التجربة العملية في هذا المجال وفي مجالات الدعوة الأخرى.

التوريث والتحام الأجيال

إن الهدف الذي قامت من أجله الجماعة وتسعى لتحقيقه هدف كبير وعظيم، ولا يتحقق خلال جيل واحد ولكن خلال عدة أجيال، فالتمكين لدين الله في الأرض وإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية إنجاز عظيم يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ولا يتم إلا تدريجياً وعلى مراحل، لذلك كان من القضايا الأساسية على طريق الدعوة التي يلزم الاهتمام بها، قضية توريث هذه الدعوة بكل أبعادها وأهدافها ووسائلها وبكل أصالتها وخبراتها من جيل إلى جيل دون تغيير أو تحريف، ومما يساعد على إتمام هذا التوريث على وجه سليم: التحام الأجيال التحاماً قوياً دون حوائل أو فجوات.

●● حول تغيير المجتمعات عبر الأجيال:

لو نظرنا إلى المجتمعات البشرية لوجدنا أنه يطرأ عليها تغيرات من جيل إلى جيل، سواء كانت هذه التغيرات في مجالات الحياة الدنيوية المادية أو في مجالات العلم والمعرفة والاختراعات أو في الجوانب الروحية والسلوكية والاقتصادية. وهناك وسائل كثيرة متعددة تساعد على إحداث هذا التغيير، ويقدم العلم الحديث وسائل جديدة لها تأثيرها الواسع والفعال في إحداث التغيير في النفوس، ولهذا نرى أصحاب المبادئ يسخرّون هذه الوسائل للتمكين لمبادئهم في الشعوب.

ونلاحظ أن التغيرات التي تحدث في المجتمعات البشرية بعضها ينحدر بها إلى مستويات هابطة من جيل إلى جيل وبعضها يسمو إلى مستويات أعلى، وقد يكون التغيير في المجتمع الواحد إلى أحسن في بعض الجوانب وإلى أسفل في جوانب أخرى.

●● قضية التغيير على الساحة الإسلامية:

كي نتعرض لقضية التوريث والالتحام بين أجيال الدعوة وأهمية ذلك في قضية التغيير التي هي سنة الله في خلقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. . . يلزم أن نلقى نظرة سريعة على ماضى الدعوة الإسلامية القريب ثم إلى حاضرها وإلى المستقبل المرتقب والذي نأمل أن تتحقق فيه أهداف الجماعة.

بعد أن تمت الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وقامت حضارة إسلامية رفيعة خاصة في الأندلس في وقت كانت أوروبا فيه تعيش في تخلف العصور الوسطى، وإذا بسنة الله في التغيير تأخذ طريقها، إذ ظهرت بعض عوامل الضعف في الأمة الإسلامية مما أطمع

فيها أعداء الإسلام واستطاعوا أن يستردوا جانباً من البلاد التي فتحتها الإسلام خاصة الأندلس وجنوب أوروبا حيث كان البحر الأبيض المتوسط في وقت من الأوقات بحيرة إسلامية، وتوالت الحروب الصليبية والكيد للدولة العثمانية واحتلال جيوش الأعداء لمعظم بلادنا الإسلامية، وأسقطوا الخلافة، وأبعدوا الشريعة عن الحكم في بلادنا واستبدلوها بقوانين وضعية، وغزوا بلادنا اقتصادياً وفكرياً واجتماعياً، ونشروا الفساد والانحلال بها والإلحاد في بلادنا الإسلامية، ومكثوا للمبشرين من غزو بلادنا بوسانلهم ومؤسساتهم.

وأقاموا حكومات ضعيفة تنفذ مخططاتهم، وأنشأوا الأحزاب في بلادنا لتمزيق وحدة كل شعب على حده، كما أثاروا الخلاف بل والحروب بين بعض حكوماتنا حول حدود مصطنعة أو غير ذلك من الأسباب التافهة.

وهكذا نرى أن منحنى التغيير كان ينحدر إلى الأسوأ وبسرعة، ولكن يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، فقد قيض الله لهذه الأمة من الدعاة إلى الله الذين يجددون لها أمر دينها، أمثال حسن البنا وغيره، ووقفهم الله وأعانهم للتصدي لتيار الانحلال والانهيار، وقامت حركات إسلامية على الساحة أبرزها [جماعة الإخوان المسلمين] التي أنشأها الإمام حسن البنا -رحمه الله- وإذا بنا بعد فترة قصيرة من الزمن نجد انحدار المنحنى قد توقف، بل وأخذ المنحنى في الصعود وإن كان ببطء بعض الشيء لطبيعة المرحلة.

وإذا بالحياة تدب في جسد الأمة الإسلامية بعد أن أسكنت حركتها وأثخنت بالجراح، فالإيمان الصادق وجد مساره إلى القلوب ليحييها، ومظاهر العودة للإسلام الصحيح بشموله أخذت طريقها في حياة الشعوب، والعودة إلى العقيدة السليمة النقية من الشوائب وألوان الشرك، والعودة إلى العبادة الصحيحة الخالية من البدع والخرافات والعودة إلى الأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية في السلوك والمعاملات، واتباع السنة والالتزام بتعاليم الإسلام، إلى غير ذلك من صور... بدأت تأخذ طريقها لحياة المسلمين.

وإذا باليقظة الإسلامية في نفوس المسلمين تزداد مع الأيام ويكشف الغطاء عن كيد الأعداء وعملاتهم وأساليبهم، ورفعت رايات لجمع المسلمين تحتها للعمل للتخلص من كل آثار الاستعمار، وللعمل بكل الوسائل المشروعة لإقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة الإسلامية التي تسترد كل شبر من أرض الإسلام اغتصبه الأعداء، وعلى رأس القائمة فلسطين والمسجد الأقصى، ولكي تحمي أرواح المسلمين وأعراضهم وأرض الإسلام وأموال المسلمين من اعتداء الأعداء بل ولتكسب أرضاً جديدة من أرض الله وخلق الله بنشر دين الله للناس كافة.

وأدلتنا على أن التغيير على الساحة الإسلامية يسير إلى أحسن منذ عشرات السنين القليلة الماضية في ظل نشاط الحركات الإسلامية وبخاصة جماعة الإخوان المسلمين، هذا التغيير في فهم الإسلام، فالنظرة الشمولية للإسلام وأنه منهاج كامل لشئون الدنيا والآخرة لم تكن معروفة لدى الكثير من المسلمين ولكنها اليوم صارت واضحة مألوفة، والقرآن كدستور والشريعة الإسلامية وأحقيتها في حكم بلادنا الإسلامية كان مستغرباً، واليوم صار مطلباً شعبياً جماهيرياً.

والجهاد كان ميتاً في النفوس ونراه اليوم روحاً متدفقة في نفوس المسلمين والشباب منهم بصفة خاصة، وتضرب له الأمثلة الرائعة في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي، ثم هذا التدين الحى القوى فى الشباب، فتياً وفتيات، والرغبة الملحة عندهم لتغيير الواقع الفاسد إلى الواقع الإسلامى الصحيح بعد أن كان التدين منذ عشرات السنين يكاد يكون مقصوراً على المتقدمين فى السن الذين يعدون أنفسهم للقاء الله، وكان تدينهم سلبياً؛ لأنفسهم فقط. كل هذه المظاهر وغيرها -كزوال كثير من البدع وإحياء كثير من السنن- كلها دلالة على أن منحنى التغيير إلى صعود وإن كان بطيئاً لأنه تغيير جذرى متسق مع طبيعة الأساس الذى يقوم عليه البناء، فالأساس أهم وأشق مرحلة فى البناء وطبيعته أنه تحت سطح الأرض وعندما يتم يعلو عليه البناء بعد ذلك سريعاً بإذن الله.

●● دور التورث والالتحام فى هذا التغيير:

مما لا شك فيه أن تلاحم أجيال الحركة الإسلامية وتورثها الدعوة من جيل إلى جيل بكل القوة والأصالة والشمول والخبرة، كان وراء هذا التغيير إلى الأحسن على الساحة الإسلامية، وفضل الله واضح فى إتمام هذا التورث بصورة سليمة ومتصلة، رغم كيد أعداء الله وحرهم للدعوة والدعاة، ومحاولاتهم المتلاحقة للقضاء على الجماعة أو صرفها عن خطها، أو محاولة تجفيف منابعها من الأجيال الناشئة، لإحداث فجوة بين الأجيال كى يختل التورث أو يحدث الانحراف، ولكنهم فشلوا، لأنها دعوة الله وليست دعوة أشخاص، ولأنها نور الله ولن يطفى نور الله بشر، وصدق الله العظيم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٤].

●● ملاحظات وتوصيات حول التورث والالتحام:

١- التورث لا يتم نظرياً عن طريق الكتب والرسائل، ولكن لكى يكون تورثاً سليماً لا بد من المعاشة والتلاحم بين كل جيل والجيل الذى قبله ثم مع الجيل الذى بعده، بالقودة العملية الملموسة التى لها تأثيرها الفعال فى التغيير والتورث، إذ تأتلف القلوب وتمتزج الأرواح

ويتولد الحب الصادق الذي هو مادة الالتحام القوية، بخلاف ما إذا كانت هناك خلافات أو كدر في النفوس، فإن ذلك يكون بمثابة الحوائث والشوائب التي تضعف الالتحام وتحول دون التورث الصحيح الكامل.

٢- في هذا الجو من التألف وامتزاج الأرواح والنفوس يتعرف كل جيل من الجيل الذي قبله على طبيعة طريق الدعوة ومعالمه، فيتعرف على الأهداف الكلية والجزئية ويتعرف على الوسائل المشروعة المعتمدة وعلى الواجبات المطلوب إنجازها، ويتم التعاون بين الأجيال في مجالات العمل والإنتاج في حقل الدعوة، فيتم التدريب وانتقال التجربة والخبرة من كل جيل إلى الجيل الذي يليه، ويتم التسديد والتصحيح والإشراف من الجيل السابق للجيل اللاحق.

٣- في ظل المعاشية والالتحام تمتزج حكمة الشيوخ وخبرتهم بحيوية الشباب وقوته، فيجتمع لمن يسلكون الطريق الحكمة والقوة والاعتدال، ومعلوم أن حكمة الشيوخ وحدها دون حيوية الشباب لا تكفي وقد يترتب على ذلك ببطء الحركة وقلة الإنتاج، كما أن حيوية الشباب دون حكمة الشيوخ يمكن أن تؤدي إلى الاندفاع والمخاطر.

٤- الأصل أن كل جيل يكتسب خلال فترته تجارب ودروساً جديدة يضيفها إلى ما اكتسبه من الجيل السابق، وذلك يعني أن رصيد الأجيال من الخبرة والتجربة والدروس يزداد مع كل جيل، ومن هذا المنطق يتمنى جيلنا أن تكون الأجيال التالية أفضل منه وأكثر نشاطاً وأشد التزاماً، وذلك لأن مجالات العمل ودائرته تتسع والأعباء في ازدياد مستمر، كما أن قطف ثمار هذا الجهاد بالتمكين يقترب، ويلزم أن تكون الأجيال المعاصرة لرحلة النصر والتمكين على مستوى عال من القدرة والكفاءة الإسلامية، فلا ترخص ولا انحراف ولا تفريط، ولكن يعطون النموذج الصحيح للتطبيق الإسلامي في الحكم والتمكين.

٥- المطلوب من كل جيل أن يعد الجيل الذي يليه لتحمل المسؤولية والقيام بواجبه في مرحلته، فيتدرب على تحمل المسؤولية ولو حدثت أخطاء تصوب في حينها، ولا شك أن ذلك أفضل من عدم التدريب، وما يترتب عليه من حدوث فجوة في القيادة يترتب عليها هبوط في مستوى من يتصدون للمسؤولية والقيادة، وينعكس ذلك على العمل والإنتاج كما وكيفاً.

٦- من المفيد أن يتعود الأفراد بعد الانتظام على التفكير في أمور دعوتهم، ويطلب منهم تقديم آراء ومبادرات في مجالات العمل التي يكلفون بها، وأن يتدربوا على وضع الخطط ومتابعتها والتعرف على إيجابياتها وسلبياتها، وهكذا مع مرور الوقت يكتسبون دربة وكفاءة على تحمل المسؤولية وتنمو فيهم المواهب القيادية.

٧- لا يجوز أن تتركز المسئولية وأعباء القيادة على أفراد بذواتهم مدة طويلة، ولكن يجب التجديد ومشاركة غيرهم.

٨- يلزم الاهتمام بمبدأ الشورى والتناصح بين الأجيال لتمتاز الأفكار وتنضج، ولكي تتاح الفرصة لكل فرد أن يشارك برأيه فيما يعود على العمل الإسلامي بالخير، فيطلب المسئولون من إخوانهم مشورتهم وآراءهم ونقدهم البناء، ولا يجوز أن يضيق مسئول بنصح أو نقد، فالجميع يتغنون مرضاة الله ويتعاونون على البر والتقوى، والمسئولية تقع على عاتق الجميع.

٩- يلزم الحرص على توفر الثقة وسلامة الصدر بين الأجيال كي يتم الالتحام والتوريث على أكمل وجه، ولا يجوز أن تبقى أى شائبة أو مسألة تحيك في الصدر من جيل نحو الجيل الآخر، ولكن يجب أن تُستوضح وتُزال كي لا تنال من الثقة أو تعكر صفاء النفوس.

١٠- من العوامل الأساسية في قضية التوريث، الالتزام بالأمر الأساسية التي تحافظ على سلامة السير على طريق الدعوة، وهي أركان البيعة العشرة، وقد جعلها الإمام الشهيد أركاناً للبيعة كي يكون كل أخ محافظاً عليها بل حارساً أميناً عليها وفاءً لبيعته.

١١- ففي مجال التعريف والتكوين يلزم توضيح هذه الأركان وتلك الأصول وتأصيلها في نفوس الأفراد لكي يكون الالتزام بها صحيحاً وسليماً، لذلك يجب الاهتمام بالتربية في صفوف الجماعة كي يكون التوريث جيداً وسليماً، وأى تقصير في مجال التربية ينعكس مباشرة على التوريث بالضعف والنقص.

١٢- يجب الاهتمام في التوريث بفقهاء العمل الجماعي وما يستوجبه من شروط وواجبات وأسلوب في التعامل والتعاون، وتأكيد القضايا السابق ذكرها من الرؤية الواضحة والاستمرارية والقوة والنماء والأصالة، وغير ذلك من القضايا الأساسية على طريق الدعوة.

١٣- يجب تأكيد الثقة بالجماعة ومناهج سيرها وأهدافها وقيادتها، حماية للأجيال من حملات التشكيك التي يتعرض لها العاملون في حقل الدعوة من أعداء الدعوة وعملائهم.

١٤- يلزم أن يحيط كل جيل بتاريخ الجماعة في الفترات التي سبقت، كي يشعر بوحدة العمل وانتظام المسيرة ومراحلها المرسومة، واتصال الماضي بالحاضر والمستقبل، فيسير في ثقة واطمئنان نحو تحقيق الأهداف المنشودة.

١٥- ومن القضايا الأساسية في التوريث، الجانب الروحي والزاد على الطريق، فلا يجوز أن ينقص بمرور الأجيال. . . ولكن نريد أن يزداد، فهو الضمان الأساسي لسلامة السير وتخطى العقبات والتحرز من المنعطفات والنجاة من الفتن.

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : ٤]

الفصل الخامس: مشروع التخطيط والتطوير

إن عقيدة الإسلام وقيمه ومبادئه ومثله وأخلاقه وجميع ما يتضمنه من أسس تقوم عليها المجتمعات الفاضلة، ثابتة لا تتغير بتغير الأجناس ولا الأزمان، فلا يقبل فيها تطوير أو تجديد. أما الوسائل والأمور الثانوية أو الفرعية، فليس هناك ما يمنع من تطويرها وتحسينها والرقى بها في إطار الحلال المباح.

نسمع بين الحين والحين أصواتاً ترتفع، بضرورة التطوير والتجديد أو التحديث في الإسلام ليوائم متطلبات العصر، كما نسمع لفظ العصرية واليسار الإسلامى وغير ذلك من ألفاظ، وفى مقابل ذلك نسمع ألفاظ الرجعية والتخلف والجمود والتزمت والتطرف والإرهاب وغير ذلك من ألفاظ وصفات.

لسنا هنا بصدد تنفيذ مدلولات هذه الألفاظ وتحديد الصواب والخطأ، والأصل أن معظم هذه الألفاظ والأوصاف أثارها أعداء الإسلام وبعض المبهورين بالحضارة المادية المعاصرة، يهدفون بذلك إلى التشويه والتنفير من الإسلام أو محاولة تطويع مبادئ الإسلام لتجارى العصر ومستجداته.

وحول هذا الموضوع نقول: إن الإسلام يرفض الجمود كما يرفض المغالاة والإرهاب، وأنه يقدر العقل كما يقدر الحرية، فنرى المعجزة الخالدة للإسلام هي القرآن؛ يخاطب العقول فى كثير من آياته، ويقدر أولى الألباب وذوى العلم والذين يتفكرون، ولكن تقدير العقل لا يعنى السماح للعقل أن يزاحم السنة الصحيحة أو يضادها.

فالعقل البشرى يتصف بالعجز والقصور، ولا بد للعقول من نور الوحي لكى يضىء لها الطريق ويصرها بالنافع من الضار، فالعقل كالعين والوحي كالنور، فلا بد للعين من نور ترى فى ضوءه، ويكفى دليلاً على ضلال العقول غير المسترشدة بالوحي، إقرار بعض المجالس النيابية فى بعض دول أوروبا للشذوذ الجنسى.

ويدعى بعض أعداء الإسلام أن الالتزام بتعاليم الإسلام لون من ألوان الجمود واستسلام للقيود، وهذا ادعاء باطل، ونقول إن الحرية التى يجب أن يسعى إليها كل إنسان هي التى تحقق له ولغيره الخير والسعادة وتجنبه وإياهم البؤس والشقاء، أما الحرية التى تحقق الخير لفئة دون غيرها فتعتبر لوناً من ألوان الظلم الاجتماعى، والحرية السليمة هي التى تحقق الخير للجميع ولا تكون إلا من خلال تعاليم رب العالمين الخبير بخلقهم وهو بهم رءوف رحيم.

ونخلص من ذلك إلى أن الحرية الحققة تتمثل فى العبودية الحققة لله وامثال أوامره ونواهيه.

التخطيط والتطوير

العمل الإسلامى اليوم يتصدى لتحقيق أشرف وأعظم إنجاز فى دنيانا وهو التمكين لدين الله فى الأرض بإقامة الخلافة الإسلامية على رأس دولة الإسلام العالمية التى تجمع كلمة المسلمين وتحكم شرع الله فى الأرض، وتسترد كل شبر أرض اغتصب من أرض الوطن الإسلامى، بل وتكسب أرضاً جديدة للإسلام، وذلك بتبليغ هذا الدين الحق إلى الناس كافة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

فالأمر الطبيعى أن يسير العمل لتحقيق هذا الهدف العظيم بتخطيط دقيق، وألا يكون ارتجالياً أو ردود أفعال، فيقسم الهدف الكبير إلى أهداف مرحلية وتوضع الخطة لكل منها والوسائل اللازمة، ويتابع التنفيذ . . وهكذا .
ولعله من المفيد أن نلقى بعض الأضواء على التخطيط وفوائده ليزداد حرصنا على الأخذ به فى أعمالنا .

التخطيط ليس أمراً مستحدثاً ولكنه قديم، وإن كان فى العصر الحديث نال اهتماماً خاصاً وصار علماً من العلوم الأساسية يتخصص فيه دارسون ووضع له أصول وقواعد واهتمت به الحكومات والشركات والهيئات، وصرنا نرى وزارة للتخطيط ضمن الوزارات ولجان تخطيط تابعة للشركات والمؤسسات والجماعات وغيرها .

إن من أبرز المهام الأساسية فى التخطيط، تحديد الأهداف أو المهام المطلوب تحقيقها وتقسيمها إلى أهداف مرحلية، مع ترتيب أولوياتها، ودراسة الظروف القائمة، ومعرفة الإمكانيات اللازمة وما هو متوفر منها وما يلزم توفره، ووضع الخطة لتحقيق كل هدف، وتحديد الجهاز أو الأشخاص الذين سيقومون بتنفيذ الخطة، وكذا تحديد المدة المناسبة لإتمام التنفيذ، وافترض الاحتمالات المتوقعة التى قد تؤثر على تنفيذ الخطة، وكيفية مواجهتها، ووضع البديل أو التعديل المناسب، ثم تحديد جهة المتابعة من ذوى الكفاءة والاختصاص للاطمئنان على السير بالخطة فى مسارها الصحيح دون تعويق أو انحراف .

بهذا العرض السريع للخطوط العريضة لمهام التخطيط، نرى فوائد كثيرة تتحقق من ورائه: فتحديد الأهداف المطلوبة وتقسيمها إلى أهداف جزئية يضمن إلى حد كبير عدم إغفال شيء من المهام أو القضايا المطلوب تحقيقها، نتيجة الانشغال الكامل بتحقيق بعض الأهداف قبل تحديدها وحصرها كلها .

ثم إن تجزئتها وترتيب أولوياتها من الأمور المهمة لتيسير التنفيذ، كى لا يحدث الانشغال بأمر مهم وهناك ما هو أهم منه، كما أن الترتيب والتسلسل يجعل كل مرحلة تساعد على تحقيق التى تليها، وفى ذلك توفير للوقت والجهد بخلاف لو سار العمل دون تحديد أولويات . كما أن دراسة الظروف المحيطة والإمكانات المتوفرة وحصرها يساعد كثيراً عند وضع الخطة، بحيث تكون واقعية عملية وليست نظرية خيالية بعيدة عن الواقع يصعب تنفيذها، ويؤخذ فى الاعتبار احتمالات التغيرات التى يرجح لها أن تطرأ على الظروف المحيطة وأثرها على الخطة، والتعديل أو التبديل المناسب حتى لا يحدث ارتباك أو توقف للتنفيذ ما أمكن .

كما أن حصر الإمكانيات والطاقات والكفاءات المتخصصة يفيد كثيراً فى تشغيلها والاستفادة منها، بدلاً من تعطيلها، كما أنه يفيد فى معرفة المجالات التى فيها نقص فى الإمكانيات أو الكفاءات، فيعمل الترتيب لتلافي هذا النقص، ليتحقق الاكتفاء الذاتى فى كل المجالات، خاصة وأن مجالات العمل تكثر نوعياتها وتتسع ساحتها .

ووضع الخطة للأهداف الجزئية أو المرحلية فى إطار الخطة العامة، أمر ضرورى لضمان السير المتكامل فى التنفيذ، إذ إن عدم تحقيق هدف جزئى أو مرحلى يمكن أن يؤثر على الخطة العامة فيعوقها أو ينقص من كمالها .

وتحديد الأشخاص أو الجهاز الذى يناط به تنفيذ الخطة وتوزيع المهام والمسئوليات حسب التخصصات أمر أساسى لنجاح الخطة، إذ بدون هذا التحديد قد يحدث التداخل فى الاختصاصات، أو تترك بعض المهام دون تحديد المسئولين عن القيام بها، فيحدث الخلل ويتعثر السير وتصبح المحاسبة لعدم معرفة المسئول عن الخطأ، فى حين أن تعرف كل فرد على دوره فى الخطة والجزء المنوط به منها يجعله يركز جهده وتفكيره فى القيام بهذا الدور على الوجه الأكمل، وتيسر كذلك المتابعة والمحاسبة وتيسر كذلك تنسيق العمل بين الجميع دون تضارب أو تعقيد .

وتقسيم الخطة العامة إلى مراحل وتحديد الوقت المناسب لإتمام كل مرحلة أمر ضرورى، لأن ذلك يحفز القائمين على التنفيذ كى ينجزوا المطلوب منهم فى الوقت المحدد، بخلاف ما إذا ترك الوقت ممدوداً دون تحديد، فكثيراً ما يدعو ذلك إلى التراخى ويشغل الوقت بجزئيات وفرعيات على حساب الكليات التى تتضمنها الخطة .

كذلك التفكير المسبق فى احتمالات التغيير الذى قد يطرأ على الظروف التى تم وضع الخطة على ضوءها، ووضع البديل المناسب لهذه الاحتمالات، يحول بعون الله دون حدوث ارتباك أو تعويق فى السير .

أما متابعة التنفيذ فهو أمر لا غنى عنه للاطمئنان على سلامة التنفيذ وسيره في الطريق الصحيح، وللتعرف على أى مشكلة عارضة والعمل على حلها والتغلب عليها فى حينها والاطمئنان على قيام كل فرد بما أنيط به من عمل على الوجه الصحيح، وقد يستدعى صالح العمل على إحداث تغيير ضرورى لأسباب تستدعى ذلك، فيتم هذا التغيير دون مجاملة على حساب الدعوة.

كما أن المتابعة لها أهميتها لمعرفة إيجابيات التنفيذ وسلبياته، فيستفاد من الإيجابيات وتتلافى السلبيات، وتتحصل الخبرة العملية والتجربة التى تعتبر من رصيد الحركة، تتوارثها الأجيال للإفادة منها والإضافة عليها.

●● ملاحظات عامة حول التخطيط:

مجالات العمل فى حقل الدعوة كثيرة، ودائرتها فى اتساع وحجمها فى نمو مطرد مع الزمن، فيلزم مراعاة ذلك عند التخطيط، بحيث تكون الخطة قادرة على استيعاب هذا النمو وذلك الاتساع.

ولما كانت أهدافنا كبيرة وتحتاج إلى وقت طويل، لزم أن يكون التخطيط ممتداً إلى مدى بعيد ولا يقتصر على فترة محدودة، فذلك يساعد على الإعداد المسبق لمتطلبات المراحل البعيدة قبل حلولها.

من المفيد أن يتمرس الأفراد فى كل موقع على التخطيط لما يطلب منهم من أعمال أو مهام، وحيداً لو أن كل أسرة وضعت خطة عمل لما تقوم به من متطلبات العمل فى حقل الدعوة، ثم يتم اعتمادها، فذلك أدعى أن يحرص أفراد الأسرة على إنجازها، بالإضافة إلى التمرس والخبرة فى وضع الخطط.

الوقت الذى يُنفق فى وضع الخطة قد يظنه البعض ضائعاً أو يمكن الاستفادة منه فى التنفيذ مباشرة بدون خطة، وهذا خطأ كبير، بل العكس فإن وضع الخطة يوفر وقتاً وجهداً كبيرين.

وثمة ملاحظة مهمة وهى الفارق الكبير بين: التخطيط فى مجالات الدعوة، والتخطيط فى المؤسسات والحكومات فى مجالات الحياة المادية، فقد تكون هذه المجالات المادية أيسر تحديداً ويمكن إخضاعها للأرقام، والأزمان والتقديرات والاحتمالات. أما مجالات العمل فى حقل الدعوة فهى مغايرة تماماً، لأنها فى مجملها تعامل مع القلوب والنفوس، وبناء الرجال أشق من بناء المؤسسات، وهناك سنن كونية يخضع لها العمل فى حقل الدعوة، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ثم إن القلوب بيد الله، فقد يتيسر فتح مغاليق بعضها ويستعصى البعض الآخر، والتوفيق من الله، فقد يجرى الله

خيراً كثيراً على يد فرد، وقد لا يتحقق مثله على أيدي أفراد عديدين، فيلزم أن يؤخذ ذلك في الاعتبار عند وضع الخطط في مجالات الدعوة.

حقاً إن الأمور كلها بيد الله، فلا يظن أحد أن التخطيط يتعارض مع كون الأمور بيد الله، فالله تعالى أمرنا بالعمل والأخذ بالأسباب، أما النتائج فموكول أمرها إلى الله، والتخطيط يعتبر ضمن الأخذ بالأسباب.

لهذا عندما يوفق الله بنجاح الخطة فلا يعتقد أحد أن سر النجاح يرجع إلى الدقة في وضع الخطة، وحسن اختيار الكفاءات لتنفيذها، ويغفل توفيق الله وعونه، بل عليه أن يرجع الفضل لله وتوفيقه في وضع الخطة، وفي إنجاحها كذلك، وإذا لم يتحقق الخير المنشود من وراء خطة فلا نبتئس، فالنتائج بيد الله، والمهم أن نكون قد أخذنا بالأسباب دون تقصير أو إهمال. والتوكل هو أن نأخذ بالأسباب ثم لا نعول عليها، ونكل الأمر لله.

● التطوير والتجديد:

التطوير والتجديد أمر مطلوب، يبحث عليه الإسلام للترقي في أساليب العمل ووسائل الحياة، والاستفادة مما في هذا الكون وسخره الله لنا ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ولكن لا بد لهذا التطوير أو التجديد أو الاستفادة من كل حديث، أن تكون له حدود تضبطه مع تعاليم الإسلام وأدابه ليحقق الخير للناس، وليكون معلوماً أن أي خروج على هذه التعاليم والآداب يترتب عليه الشقاء والحياة التعسة ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتِيمُ مَتِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٢) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣]، [١٢٤] والإسلام ليس ديناً رهبانياً ولكنه منهاج حياة كامل يحقق السعادة لمعتقيه في الدنيا والآخرة.

وإذا كان واقع المسلمين اليوم متسماً بالتخلف والفقر وغير ذلك، فلا يجوز أن ينسب ذلك إلى الإسلام، لأنه بسبب بُعد المسلمين عن تعاليم الإسلام، ويوم أن تمسكوا به أقاموا أعظم حضارة في وقت كانت أوروبا يعمها الجهل والتخلف، ومعلوم أن علماء المسلمين هم الذين وضعوا أسس الكثير من العلوم كالطب والهندسة والجبر والفلك والكيمياء وغيرها، وعندما بدأت دولة الإسلام في الضعف أخذ الأوروبيون من علوم المسلمين وبنوا بها حضارتهم، ولكن على فلسفة مادية، فكان شرها أكثر من خيرها، فهذا السباق في التسليح وما يتفق فيه من أموال طائلة، وتلك الحروب العالمية، وملايين الأرواح التي أزهقت فيها، ثم تسخير العلم لإنتاج وسائل فساد وإفساد وتدمير للأخلاق... كلها ثمار مرة لتلك الفلسفة المادية.

لكن الإسلام يسخر كل جديد وحديث لصالح الناس وخيرهم وحمائيتهم من الشرور والأضرار، لأنه من عند الله العليم الخبير الرؤوف الرحيم، وقد جعله الله خاتم الديانات وجعل رسوله خاتم الرسل كما جعله للناس كافة حتى قيام الساعة، وذلك يعنى أن هذا الدين سيظل مناسباً لكل الناس وكل الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وعلى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يتعرفوا على كل جديد وحديث في مجال عملهم ويستفيدوا منه ضمن خطة عملهم، بل يسعوا لتطويره وتحسينه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً امتثالاً لأمر الله ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فمما لا شك فيه أنه جدّ في مجال الإعلام وسائل وأجهزة حديثة أوسع وأسرع انتشاراً بين الناس ولها تأثيرها الفعال، فيلزم الاستفادة منها في نشر الدعوة وفي المجال الإعلامي للحركة، كما يجب الاستفادة من كل جديد نافع في مجال الطباعة والنشر، وكذا في مجال التخطيط والمتابعة، ثم إن مجال الاستفادة من جهاز الحاسب الآلي (الكمبيوتر) مجال واسع وقابل للتوسع، فيمكن مثلاً تصنيف أو ترتيب آيات القرآن حسب الأبواب وكذا الأحاديث النبوية وعلوم الفقه والتاريخ الإسلامي وغير ذلك من علوم الدين بما ييسر على الباحث أو الدارس مهمته ويوفر وقته وجهده، وبما يبرز للناس عامة ما يضمنه الإسلام من كنوز ومعارف وحلول لمشاكل البشرية.

ويلزم كذلك الاستفادة من كل جديد في مجال الجهاد والإعداد له، وكذا الاستفادة بكل جديد يفيد في كل مجالات الحياة كالمجال الاقتصادي، صناعياً كان أو زراعياً أو تجارياً أو مصرفياً، وكذا في المجال الصحي سواء في تخصصات الطب ووسائل العلاج أو صناعة الأدوية أو الأجهزة الطبية، وكذا في مجال التربية والتعليم ووسائله الحديثة، وغير ذلك من مجالات طالما أن ذلك كله يكون في إطار الإسلام وأدابه ولا يكون فيه مخالفة أو إثم.

وعموماً نقول: إن مبادئ الإسلام ثابتة، أما وسائل تحقيقه هذه المبادئ فمتجددة.

●● الارتجال وعدم التخطيط:

التخطيط لتحقيق الأهداف أمر مهم وعظيم الفائدة، فبالتخطيط تتحدد الأهداف والمهام المطلوبة، ويقسم الكبير منها إلى أهداف جزئية، وتوزع على مراحل مع ترتيب الأولويات، وتوضع الخطة لكل منها، وتقدر المدة اللازمة له والإمكانات المطلوبة، ومعرفة الموجود منها واللازم توفيره، واختيار الأشخاص اللازمين للتنفيذ، ثم عمل الترتيب لمتابعة التنفيذ من جهة محددة، ويوضع في الاعتبار الاحتمالات المتوقعة وما تستلزمه، وهكذا بالتخطيط يُنظم العمل ويحاط به دون إغفال جانب منه ويستفاد بكل الأوقات وتشغل كل الطاقات كل في

اختصاصه، وتوزع المسؤوليات وتحفز الهمم، فلا شك أن من يكلف بعمل محدد في وقت محدد وتوفر له الإمكانيات اللازمة يدفعه ذلك إلى الحرص على تنفيذه على الوجه الأكمل وفي الوقت المطلوب، بخلاف ما يكون التكليف دون تحديد لمقدار أو نوع العمل ودون تحديد لوقت إنجازه ودون اهتمام بتوفير الإمكانيات اللازمة، لا شك أن ذلك يشبط الهمم ويعرض الوقت إلى الضياع والطاقات إلى التعطيل، ولا تنجز الأعمال كاملة على الوجه الصحيح.

ولما كانت قضيتنا التي نتصدى للقيام بها هي أعظم قضية في دنيانا، وهي: التمكين لدين الله في الأرض وإقامة دولة الإسلام العالمية التي ترفع راية الإسلام وتحكم شرع الله وتحمي أرض الإسلام والمسلمين وتبلغ دعوة الله للناس أجمعين وتزهق باطل أعداء الله على اختلافهم، فلا يتصور أن يتحقق ذلك دون تخطيط، بل الواجب أن يتم التخطيط الشامل على الساحة الإسلامية ومحلياً في كل قطر ولكل مجالات العمل، وما يلزم من دراسات ومعلومات وتحليلات وتشغيل لكل الطاقات. . هذا هو الأصل.

والانحراف هو: الارتجال وعدم التخطيط أو التقصير فيه حتى تصير الحركة والعمل ردود أفعال فقط للأحداث العارضة، في الوقت الذي نجد أعداء الله يجمعون المعلومات وتقوم أجهزتهم بالدراسات والتحليلات ووضع الخطط لضرب الحركات والجماعات الإسلامية والعمل على القضاء عليها وعلى أى عمل جاد لصالح الإسلام والمسلمين.

قد يخطر للبعض تساؤل هو: كيف نخطط للمستقبل والمستقبل غيب لا يعلمه إلا الله؟ وكيف نحدد الأزمان لإنجاز أعمال معينة والأمور تتم بتقدير الله وتوفيقه؟ وأنا مطالبون بالعمل ولنا مسئولين عن النتائج؟ إلى غير ذلك من أفكار، فنقول: إنه لا تعارض بين ذلك وبين التخطيط، فمع أن الأمور تتم بقدر الله لكننا مطالبون بأن نعمل وأن نأخذ بالأسباب والتخطيط ضمن هذه الأسباب.

ولأجل ذلك وجدنا الفرق في هجرة رسول الله ﷺ وهجرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلو أن رسول الله ﷺ فعل كما فعل عمر، لحسب الناس أن هذا هو الواجب! وأنه لا يجوز أخذ الحيلة والحذر، والتخفى عند الخوف. مع أن الله عز وجل أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذي لا شك فيه أن ذلك بتسيب الله تعالى وإرادته.

لأجل ذلك استعمل الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدى إليها العقل البشرى في مثل هذا العمل حتى أنه لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها^(١).

(١) راجع فقه السيرة - للبطوى ص ١٣٦.

الفصل السادس: مشروع صناعة الرموز

من المعلوم أن الفرد هو النموذج الطبيعي للإسلام بجوانبه المختلفة، عقيدة وعبادة وأخلاقاً ثم تشریفاً بين أفراد المجتمع المسلم. ويقدر كمال نموذج الفرد المسلم يكون كمال نموذج البيت أو الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وكذا الحكومة الإسلامية والدولة الإسلامية، ويتحقق النموذج الصحيح السليم للحكم الإسلامي وتطبيق شرع الله في الأرض.

والأخ المسلم في الجماعة التي تسعى إلى تحقيق الهدف العظيم وهو التمكين لدين الله وإقامة دولة الإسلام يمثل عنصراً أساسياً في العمل والحركة والبناء.

ونؤكد دائماً أننا كلما تحدثنا عن الأخ المسلم عنيماً أيضاً الأخت المسلمة، فهما عنصراً تكامل في مجالات العمل والبناء، فالبيت المسلم لا يقوم إلا بأخ وأخت والمجتمع لا يقوم على أكتاف الرجال دون النساء. ونهدف إلى تحقيق نموذج الأخ المسلم أيّاً كان وضعه.

•• مقومات عامة:

هناك مقومات أساسية عامة يجب على الأخ المسلم القدوة أن يلتزم بها، وهناك التزامات أخرى بصفته يعمل في جماعة تعمل لتحقيق أهداف الإسلام، فالمقومات العامة هي:

- أن يكون الأخ المسلم القدوة سليم العقيدة، وهو أول وأهم مقوم. فتكون عقيدة التوحيد الخالص عنده نقية لا تشوبها شائبة تعكر صفاءها ونقاءها، فالعقيدة أساس العمل وعمل القلب أهم من عمل الجوارح، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً.

- وعليه أن يؤدي العبادات المفروضة أداءً صحيحاً سليماً، أداء يجمع بين أحكام صحتها وبين أسرارها وروحها كي تثمر ثمرة التقوى، وتكون مقبولة عند الله، فعليه أن يحسن الصلاة ويواظب على أدائها في أوقاتها جماعة في المسجد ما أمكن، وأن يظل على وضوء في غالب الأحيان، وأن يحرص على صيام رمضان والزكاة والحج متى توفرت الاستطاعة، كما يتقرب إلى الله بالنوافل كقيام الليل وصيام ثلاثة أيام على الأقل من كل شهر، ودوام ذكر الله تعالى القلبي واللساني، والإكثار من الدعاء المأثور. بل أن يجعل حياته كلها عبادة بأن يجعل قصده بكل عمل يقوم به خدمة الإسلام والمسلمين والاستعانة به على طاعة الله، فطعامه وشرابه

- ودراسته وعمله وزواجه ورياضته وكل عمل يمارسه ينوى به طاعة الله وخدمة الإسلام والمسلمين، ومع النية يلزم تحرى الحلال والبعد عن الحرام فى كل هذه الأمور.
- وعليه أن يكثّر من قراءة القرآن مع إتقانها، وأن يحفظ ما تيسر له منه ليساعده على قيام الليل، وأن يكثّر من قراءة حديث رسول الله ﷺ وأن يحفظ ما تيسر منه منفذاً ما تتضمنه الأحاديث من توجيهات.
- وعليه أن يتفقه فى أمور دينه، وينمى ثقافته وخبرته، ويتقن تخصصه العلمى أو الفنى كى يفيد به دعوته.
- أن يكون قدوة فى الجانب الأخلاقى فيعطى الصورة المثلى والصادقة للإسلام التى تنتزع التقدير والاحترام حتى من الأعداء.
- نريد المسلم المتميز بأداب الإسلام وتقاليدته وتحيته ولغته وزيه وإتقانه لعمله وأمانته ووفائه، ولا نسمح للعادات الأعجمية أن تغزو مظاهر الحياة فى مجتمعنا.
- أن يكون صادق الكلمة فلا يكذب أبداً.
- وأن يكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد، فلا يخلف مهما كانت الظروف.
- أن يكون شجاعاً عظيماً الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ، والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب.
- وأن يكون وقوراً يؤثر الجدى، ولا يمنع ذلك من المزاح الصادق والضحك فى تبسم.
- أن يكون شديد الحياء، رقيق الشعور، عظيم التأثير بالحسن والقبح، يُسر للأول ويتألم للثانى.
- أن يكون متواضعاً فى غير ذلّة ولا خضوع ولا ملق.
- أن يتصف بالعدل فى جميع الأحوال، بعيداً عن التأثير بالغضب والرضا، وأن يشهد على نفسه أو أقرب الأقربين.
- أن يكون رحيم القلب، يعفو ويصفح ويلين ويحلم ويرفق بالإنسان والحيوان.
- أن يكون حسن السلوك جميل المعاملة، يرحم الصغير ويوقر الكبير.
- ألا يتجسس ولا يغتاب ولا يصخب.
- يستأذن فى الدخول والانصراف.
- أن يبر والديه ويحسن إليهما.
- يصل رحمه.

- يقوم بحق الجوار .
- يكرم الضيف .
- يلاطف اليتيم ويحسن معاملته .
- يطعم الفقير والمسكين والأسير .
- نريد من الأخ المسلم القدوة أن يكون كله حركة ونشاطاً وحيوية ، ويقدم الخدمات ويشعر بسعادة وسرور كلما قدم خدمة للغير ، فيعود المريض ويساعد المحتاج ويحمل الضعيف ويواسى المنكوب ولو بالكلمة الطيبة ويسارع دائماً إلى الخيرات .
- عليه أن يهتم بصحته وبدنه . والنظافة في كل شيء ، وأن يكون منظماً في كل شئونه .
- أن يزاول عملاً اقتصادياً مهماً كان غنياً ، مقدماً العمل الحر على الوظيفة الحكومية ، محاولاً أن يستغل مواهبه ، ويجتهد في أن يتقن عمله ، وأن يتحرى الآداب والأخلاق الإسلامية كضبط المواعيد وعدم الغش وعدم الجشع ، وحسن التقاضى لحقه وحسن أدائه لحقوق الناس كاملة بدون طلب وبدون ماطلة ، وأن يتحرى الكسب الحلال ويتجنب كل وسائل الكسب الحرام ، وأن يتعد عن الميسر وعن التعامل بالربا .
- وعليه أن يخدم الثروة الإسلامية بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية .
- أن يؤدي الزكاة الواجبة عليه وأن يقدم من ماله لدعوته .
- أن يكون مجاهداً لنفسه ، دائم التوبة والاستغفار ، يحاسب نفسه دائماً .
- أن يكون حريصاً على وقته ، فالوقت هو الحياة والواجبات أكثر من الأوقات .
- أن يتعد عن أفراد السوء .
- أن يؤدي واجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ويكسب لصف العمل الإسلامى عناصر جديدة .

●● الأخ المسلم القدوة في الجماعة:

العمل الجماعى لتحقيق أهداف الإسلام ومبادئه له التزاماته وواجباته . فالأخ المسلم في الجماعة يجب أن يكون مقتنعاً كل الاقتناع بوجود العمل لإقامة دولة الإسلام العالمية والتمكين لدين الله في الأرض ، وأن يعلم تمام العلم أن هذا الواجب لا يتم فردياً ولكن عن طريق العمل الجماعى ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ثم إن تنظيم العمل الجماعى يستوجب التزامات وتعهدات لا بد من الالتزام بها لحسن سير العمل كى تتحقق الأهداف المنشودة .

- فعلى الأخ المسلم القدوة أن يلزم نفسه بالعمل لتحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الجماعة، فلا يحيد عن تلك الأهداف ولا يتقص منها نتيجة التعرض لعقبات، أو تعجلاً للنتائج أو غير ذلك.

- وعلى الأخ القدوة على طريق الدعوة أن يوفى ببيعته فهي بيعة مع الله، وألا ينكث في أى ركن من أركانها العشرة كى يفوز بوعد الله بالأجر العظيم للموفين بعهدهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُورٌ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

- فعلى الأخ القدوة على طريق الدعوة أن يلتزم بالفهم الصحيح السليم للإسلام الملتزم بالكتاب والسنة، وقد لخصه الإمام الشهيد فى الأصول العشرين، وأن يتجنب الأخ أى اجتراء أو انحراف أو خطأ فيما يكتب أو يقول، بل على كل أخ أن يكون حارساً أميناً على سلامة هذا الفهم داخل الجماعة وفاءً لبيعته وحماية للجماعة من وجود مدارس فكرية مختلفة نتيجة اختلاف فى الفهم قد يبدأ بسيطاً ثم يزداد، وربما أدى ذلك إلى تشتت الجهود فى حين أن أهم واجبات العمل الجماعى توحيد الجهود وتنظيمها.

- وعلى الأخ المسلم القدوة على طريق الدعوة أن يحافظ على إخلاص الوجهة لله وأن يطهر نيته بصفة دائمة من كل غرض مادى أو دنيوى، وأن يكون على حذر شديد من أمراض القلوب التى تفتك بصاحبها وتحبط عمله وأجره كالغرور والكبر وحب الدنيا وحب الزعامة والظهور وغير ذلك، فبقدر ما يسيطر الإخلاص على قلب الأخ ينعكس ذلك على سلوكه وتصرفاته وأقواله، فلا يتخذ موقفاً ولا يقدم على عمل إلا من منطلق إخلاصه لله متجرداً من كل هوى أو غرض ومن أى مجاملة لشخص أو جهة.

- لهذا يلزم أن يكون الأخ المسلم القدوة متجرداً لدعوته، متخلصاً من كل ما عداها من دعوات أو مبادئ أو هيئات أو أشخاص، فدعوته هى أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها فلا يساوم عليها ولا يخدع بغيرها.

- والأخ العامل القدوة لا بد أن يكون متعرفاً على طريق دعوته ومراحل العمل التى توصل إلى تحقيق الأهداف وأن يلتزم بها الطريق دون اجتراء أو انحراف، وهو طريق اقتبسه الإمام الشهيد من سيرة الرسول ﷺ وحركته بالدعوة وإقامته لدولة الإسلام الأولى.

- ويتركز فى تحقيق قوة الإيمان وسلامة العقيدة فى النفوس ثم قوة الوحدة والأخوة

والحب بين المؤمنين، ثم قوة الساعد والسلاح والجهاد حماية لدعوة الحق، بهذا الترتيب دون تقديم أو تأخير مهما كثرت العقبات أو طال الوقت بعض الشيء فكما قال الإمام الشهيد إنه طريق طويل وشاق لكن ليس هناك طريق غيره .

- والأخ المسلم القدوة لا بد أن يكون قد عقد العزم على الجهاد والتضحية بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله والتمكين لدين الله في الأرض، وأن يكون قد عقد الصفقة الربحية مع الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. ولكي تتم الصفقة لا بد وأن يتصف بصفات المؤمنين . وعليه أيضاً مع إخوانه أن يأخذوا بأسباب الإعداد للجهاد بقوة البدن وقوة العلم وقوة السلاح، ويلزم أن يدرس فقه الجهاد والقتال في الإسلام ليلزم نفسه به عند ممارسته فلا يغفل ولا يغدر ولا يمثل ولا يقتل طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة . . . إلى آخر آداب القتال في الإسلام .

- ونريد الأخ المجاهد القدوة الذي يقف مع إخوانه في صف الجهاد متلاحمين متحابين كالبيان المرصوص مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بِنْيَانًا مَرْصُوصًا﴾ [الصف: ٤]. فلا يسمح للشيطان ولا لأعداء الله أن يوجدوا خلافاً أو نزاعاً في صفوف المجاهدين، فإن ذلك يؤدي إلى الفشل والهزيمة .

- ونريد الأخ المجاهد القدوة الذي لا يشاقل إلى الأرض إذا دعا نفيير الجهاد، فعليه أن يتخفف دائماً من جواذب الأرض ومطالب الجسد، وعليه أن يتحرز تحرزاً شديداً من تولية الأدبار عند الزحف كي لا يتعرض لغضب الله وعذابه ويتسبب في هزيمة المسلمين .

- وعلى الأخ المجاهد أن يؤمن بأن النصر من عند الله وأنه وإخوانه وما يبذلونه من تدريب وجهد إنما هي أسباب فقط ﴿قَلِمَ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

- والأخ المجاهد القدوة لا يزهو بنفسه عند تحقيق النصر، كما لا يصيبه إحباط إذا وقعت هزيمة في معركة من المعارك مع الأعداء، فالمعركة، بين الحق والباطل كبيرة وممتدة ومتكررة ولن تنتهي بنصر أو هزيمة في معركة ولا بد من الصبر والمصابرة والمرابطة، ولا بد من قوة العزم والإرادة، ومن الجهد والجهاد والتعب، ومن التضحيات بالنفس والمال وبكل رخيص وغال .

- والأخ المسلم القدوة على طريق الدعوة يجب أن يكون قدوة في سمعه وطاعته لقيادته في العسر واليسر والمنشط والمكره في غير معصية . ويعتبر الأخ أن طاعته لأمره من طاعة الله

ورسوله يتقرب بها إلى الله وكذلك وفاء بيعته . ونريد الطاعة التي لا يصاحبها تقصير أو انتقاص أو تسويق أو تردد لما فيه ذلك من أخطار .

- ونريد من الأخ القدوة على طريق الدعوة أن يقدر أهمية إخوته ووجه لإخوانه وأنها من ألزم عوامل النصر وأنها من دعائم الإيمان « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١) . وأعلى مراتب الأخوة في الله الإيثار وأدناها سلامة الصدر ، فليحرص الأخ على أعلى مراتبها وليتحرز من الاقتراب من أدنى مراتبها حتى لا يتعرض إلى النكث في هذا الركن من أركان البيعة .

- فعلى الأخ القدوة أن يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون غيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا غيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية^(٢) ، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣) ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] . الأخوة بين المهاجرين والأنصار قدوة لنا على طريق الدعوة : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] .

- فعلى الأخ المسلم القدوة أن يتميز بلبين الجانب وإفشاء السلام والكلمة الطيبة والبسملة وكل ما وجهنا إليه الرسول ﷺ لتزكية معاني الحب بيننا ، وفي المقابل على الأخ المسلم القدوة أن يبتعد عن كل ما من شأنه أن يوجد فرقة في الصف ، فلا يصدر منه ما يؤذي أحداً من إخوانه ، وألا يغضب لنفسه ، ولكن يصفح ويعفو ويحسن وإذا رأى خلافاً بين أخوين فليسارع إلى الصلح بينهما ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] .

- والأخ المسلم القدوة على طريق الدعوة مطلوب منه أن يحافظ على الثقة بينه وبين قيادته ، ثقة تبعث الاطمئنان الذي ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة .

فالقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة وأحكام خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب . فالثقة بالقيادة أمر مهم في نجاح الدعوات . فعلى الأخ القدوة ألا يسمح بما يعرض الثقة للاهتزاز ، وإذا خالطه شيء من ذلك فليسارع إلى إزالته بالتبیین

(١) متفق عليه البخارى برقم ١٣ ومسلم ٤٥ .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للمنذرى ٢٠٨/١ وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب برقم ٤٢٧ .

(٣) متفق عليه البخارى برقم ٤٨١ ، ٢٤٤٦ ، ٦٠٢٦ ومسلم برقم ٢٥٨٥ .

واللقاء والمصارحة، وألا يسمح لنفسه أن تتأثر بالشائعات المغرضة والمتشككة التي يثيرها الأعداء في صورة نصائح بغرض بث الفرقة وتوهين العزائم والنيل من وحدة الجماعة، وعلى الأخ القدوة الذي في موضع مسئولية أن يتجنب المواقف التي تثير الشبهات ما أمكن وإن حدث؛ يسارع إلى توضيح ذلك لإخوانه.

- وأخيراً وليس آخراً نريد الأخ المسلم القدوة الذي يضرب المثل في الثبات على طريق الدعوة، فيواصل سيره في اطمئنان وثقة ويقين بنصر الله مهما بعدت المدة وتطاولت السنون، ومهما تعرض للمحن والإيذاء والإعنات، وليعلم أن ثباته وإخوانه في مرحلة الإيذاء والمحن هو النصر في تلك المرحلة، وأن الضعف والتخلي هو الهزيمة. وليعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا. فليصبر وليثبت ويسأل الله الصبر والثبات والنصر ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

وليعلم أن الوقت جزء من العلاج وأنه يقاس بعمر الدعوات والأمة وليس بأعمار الأفراد. ويعين على الثبات أن يعلم الأخ أن طريقنا - وإن كانت طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات - هي وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

وضع الأستاذ مصطفى مشهور هذه المقومات العامة والخاصة التي إذا ما توفرت في الأخ المسلم صار قدوة لغيره، وذلك تمهيداً لصناعة الرموز للدعوة في كل بلد أو مدينة أو قرية أو في أى مجتمع من المجتمعات - فما أهمية صناعة الرموز؟

● أهمية صناعة الرموز:

- ١- الرمز دلالة على البقاء داخل المجتمع، فوجود رمز يمثل شركة معينة في معرض للشركات، يدل على بقاء هذه الشركة ووجودها، وقوته دلالة على قوتها. فكيف يكون الحال بدعوة الإسلام في هذا الزمان، فوجود رمز لهذه الدعوة دلالة على بقائها، وقوة هذا الرمز دلالة على قوتها.
- ٢- الدور المتميز الذي يقوم به الرمز داخل المجتمع سواء في الظروف العادية أو في الأزمات، فإذا لم يكن الرمز الإسلامى موجوداً فإنه سيوجد غيره، فلا يوجد مجتمع بلا رموز.
- ٣- الرمز هو أهم حلقات الوصل بين المؤسسة التي يمثلها وفكرها وأهدافها وبين القاعدة الشريحة التي يتعامل معها.
- ٤- ظهور الرمز كقدوة أمر مهم في إحياء وبقاء الصفات التي يدعو إليها.

•• صفات تنفيذية لازمة:

الأخ المسلم القدوة الذي يصلح أن يكون رمزاً إلى جانب الصفات الأساسية (الله الصفات ومراقبة الله وخشيته)، والصفات الأخلاقية الأساسية (مروءة، رجولة، كرم، زهد... الخ) أن يكون شخصية تنفيذية كذلك، فيجب أن تتوفر فيه صفات هذه الشخصية التنفيذية وهي:

١- ذكاء مقنن ومبلور في دائرة العمل الإسلامى لتحقيق أهدافه وغاياته وما يتدرج تحت هذا الذكاء، أن يكون لماحاً حين التصرف، والفهم لشخصية وطبيعة المتعاملين معه، إضافة لصفات اللباقة وحسن اختيار وقت الحديث ووقت الصمت.

ويكون هذا الذكاء مقنناً لقوانين الإسلام ويستخدمه في دائرة العمل الإسلامى.

٢- العمق والأصالة في الرصيد الفكرى الذى يتحرك فيه أثناء حواراته مع الآخرين من أجل الدعوة ومتعلقاتها.

بمعنى أن تنضح لديه تماماً أركان بيعته وأهمية رسالته وأن يكون فهمه للإسلام واضحاً جلياً، فهو يعرف شمولية الإسلام ويعرف التحديات التى تواجه المسلمين، ويعرف فرضية العمل لإعادة مجد الإسلام. . وغيرها من المفاهيم الإسلامية، كما يكون رصيده الفكرى متجدداً مطلعاً باستمرار على كل جديد أولاً بأول.

٣- روحانية عالية تتساقط عندها الشبهات وتذوب عندها الشهوات، ونعنى، التوكل والتجرد والتضحية والإخلاص وحسن الصلة بالله وروح المجاهد، كما نعنى بها الطاقة والنشاط نتيجة هذه الروحانية التى تصله بالله، فلا تتسرب إليه بها أى شبهة وتذوب عندها كل الشهوات.

•• بعض المهارات:

١- مقدرة الرمز على كيفية كسب الناس.

٢- فن الرمز فى التواصل الفعال.

٣- أن يتمتع بفن التأثير.

٤- أن يكون حاذقاً فى فن حل المشكلات ومعالجة الأخطاء.

٥- أن يكون متميزاً، ومطوراً لذاته.

٦- الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار.

٧- أن يكون لديه فن فى إدارة الوقت.

٨- أن يكون متلفاً بالآخرين .

نخلص مما سبق إلى أن الرمز هو :

أحد أفراد الصف الذي يستطيع التعبير عن فكرته بوضوح ، ويتميز بمجموعة من الصفات تدفعه إلى المشاركة بفعالية في القضايا المختلفة ، وتجتمع فيه خصال الإسلام من الصدق والبروة والأمانة . . إلخ . . ، ويسلك حياته على المنهج الإسلامي من بيع وشراء وعقد وغيره ، وهو أيضاً مركز تجمع الخير ، فالخير يهوى إليه ، كما هو بؤرة لإشعاع النور .

ونخلص أيضاً أنه يجب مراعاة بعض الأمور عند اختيار الرمز وهي :

- ١- حسن الصلة بالله .
- ٢- مستوى جيد من السمع والطاعة .
- ٣- مستوى جيد من الانضباط .
- ٤- مستقر عائلياً .
- ٥- ليست عليه مأخذ (سلوكية- مالية) .
- ٦- مستقر مالياً .
- ٧- حالة صحية مقبولة .
- ٨- له حضور اجتماعي .
- ٩- حسن الخلق وسعة الصدر .
- ١٠- حسن المظهر وبشاشة الوجه .
- ١١- يجيد الاختلاط بالناس والاحتكاك بهم .
- ١٢- يجيد الحوار والإقناع .
- ١٣- القدرة على مخاطبة الجماهير (الخطابة) .

وفي الختام:

نذكر أن قدوتنا الأولى سيدنا محمد ﷺ قد ضرب المثل الأعلى في سمو العلاقات التي أقامها ، حيث لم يدع فرصة للاجتماع بالناس تفوته ، وكان يتبع الناس في الأسواق . ومكث ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يتبع الناس في بيوتهم لكي يهديهم إلى الخير . .

فنحن نريد من أفرادنا أصحاب الفكر الرشيد أن يصبحوا رموزاً اجتماعية وأن يكونوا بارزين يُشار إليهم بالبنان، وأن يكونوا في خدمة الأمة والعمل على رفعتها والنهوض بها وإرشاد المجتمع إلى الخير الذي جاء به رسولنا الكريم محمد ﷺ من عنده . . .
فهذا هو هدفنا، وفق ضابط رئيسي هو: [الإخلاص لله وحده، والعمل من أجل الإسلام].

ولزيد من الفائدة أنقل إليكم مقالاً جمع هذا الموضوع بأسلوب سهل وحديث وجميل، فهناك هو أيها القارئ الكريم . . .

الرمز في دعوتنا^(١)

الرموز: النموذج والأصل، والجمع رواميز، أما الرمز فهو: الإيماء والإشارة والعلامة، والجمع رموز.

من هذا التعريف اللغوي نخلص إلى تعريف الرمز الدعوى، فيقال: هو الشخص الذي يمثل إشارة أو علامة أو نموذجاً وأصلاً، ويرجع إليه في القول والفعل، يعنى هو القدوة.

وبهذا المعنى فلكل دعوة رموزها، حتى دعوات الباطل. وفي عصرنا نجد رموز الشيوعية، ورموز الفن، ورموز السياسة، ورموز الفكر، وأما رموز الإسلام ودعائه، فهم موضوع مقالنا.

إن رموز العمل الإسلامى كثيرون ومتنوعون، فالعالم المسلم رمز، والتاجر المسلم رمز، والطبيب المسلم رمز، والمعلم المسلم رمز، والمهندس المسلم رمز، وكل ذى تخصص فى علم أو حرفة رمز فى مجاله، ومادام الحال هكذا، فالأمر يستدعى شيئاً من بسط القول فى مكونات الرمز وصفاته، ذلك لأن الساحة الدعوية قد اتسعت الآن اتساعاً يستدعى رموزاً كثيرة هنا وهناك، بل يستدعى رموزاً متنوعة فى جميع مجالات العلم وجوانب الحياة.

وقبل أن أصطحب القارئ فى رحلة التعرف على المكونات والصفات، أضع هذه الكلمات على الأسطر الأولى قبل الدخول فى الموضوع:

- ١- الرمز فى الدعوة الإسلامية ليس معصوماً: لأن العصمة للأنبياء.
 - ٢- الرمز إنسان يعيش معنا ونعيش معه الواقع بحسناته وسيئاته، ولكن الله يضع له القبول فى قلوب المسلمين.
 - ٣- الرمز يؤدى دوره فى ضعفه مثلما يؤدى الدور فى قوته.
 - ٤- الرمز لا يحظى بأى درجة من درجات القداسة، وليس فوق المساءلة، ترتيباً على ما سبق.
 - ٥- الرمز قد يقود إلى الانتصار والتمكين، وقد يكون قائداً لمجموعة عمل فى قرية أو مدينة أو قطر فى فترة من عمر الدعوة قبل النصر والتمكين.
- ويمكن أن نستعيض عن الكلمات الخمس السابقة بهذه الفقرة:

(١) مجلة الرسالة- العدد (١٥) ربيع الأول- ربيع الآخر- جمادى الأولى ١٤٢٦هـ، الموافق أبريل-مايو-يونية ٢٠٠٥م، تصدر عن مركز الإعلام العربى- وهى فكرية ثقافية تهتم بشئون الدعوة. أما كاتب هذا المقال فهو: عبد القادر أحمد عبد القادر.

[الرمز رائد يعيش مع إخوانه في بستان الإسلام، ينهل من الكمال، وإن اعتراه نقص بشر، يقود جنود الدعوة، فيؤثر فيهم بقوله وعمله وحاله . . . وهو بعيد بهمته، بل بتوفيق الله له، عن النقائص والخطايا، فإن زل ذاب في الندم والبكاء، ويخطو إلى الأمام دائماً، وكلما علا ذاب في التواضع وخفض الجناح، يقبل النقد، وتسعده النصيحة، لا يقول أنا، بل يقول: أنتم أو إخواني].

•• عام وخاص:

يمكن تقسيم المكونات والصفات إلى قسمين: خاص وعام، فالرمز يشترك مع إخوانه في صفات ومكونات، ولكنه يتفرد بصفات ومكونات، والحديث سيتناول القسمين، ولكن الإشارة للخاص ستكون أوضح، لأنها المطلب . . . ومن ناحية أخرى، سأعرض لصفات تمثل خيطاً يربط الصفات الأخرى أو تمثل مادة تجمع عناصر عدة.

•• الصفات الخاصة للرمز:

الصفة الأولى: الاتزان الانفعالي:

يتفاوت انفعال الإنسان بين الخوف والأمان والحزن والفرح ومشاعر أخرى متناقضة . . . والمسلم الملتزم عامة، والرمز بشكل خاص يغلب عليه الاتزان في جميع الأحوال، فإذا حزن لا ينهار، وإذا فرح لم يغرق في الضحك، وإذا خاف لم يصب بالشلل، وإذا أمن لم يسترخ، فيفوته الحذر فيخترقه العدو . . .

•• كيف يتحقق الاتزان الانفعالي؟

بشكل عام يمكن القول بأن الاتزان الانفعالي يتحقق من خلال هذه الصفات:

١- ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والذكر من التذكر، ضد الغفلة والنسيان، ومنه الأذكار المأثورة وغير المأثورة، والذكر أو التذكر وقاية وعلاج من مؤثرات الشيطان ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]- والصلاة فريضة أو نافلة- من أقوى عوامل الاطمئنان والراحة، فقد شرعها الله مع بدايات الرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ قُمْ لِلَّيْلِ إِقْلِيلًا ﴿٢﴾ نَصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١- ٤] وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، قال: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها» رواه أبو داود^(١).

(١) صحيح سبق تخريجه.

٢- لا خوف إلا من الله:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. والخوف المقصود هو الخوف الكبير المنقذ من النار والمؤدي إلى الجنة، وليست المخاوف الصغيرة. المؤمنون عامة والرموز خاصة لا يخافون إلا الله، الخوف المصيري، الذي تتقرر بناء عليه المصائر، وأما الخوف الجزئي كخوف الغرق أو السباع أو النار، فهذا خوف فطري يدل على سلامة الطبع... هذا الخوف لا يقدر في الإيمان.

٣- ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

إن الحزن على ما فات نوع من نقصان العقل والدين، أن الذي قد فات لا يدرك، فلماذا يقف الإنسان يندب ذلك الفائت؟ الأولى أن ينهض للاستفادة من الحاضر من الزمن الذي يعيشه ومن الفرصة القائمة. إن الندم على الماضي لا ينفع الحاضر، وليس زاداً للمستقبل، قال ﷺ: «فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»^(١) رواه مسلم وابن ماجه. هذا فيما يخص الحزن على ما فات، أما الفرح بما هو واقع، فالأصل هو شكر النعمة، كحال سليمان ﷺ لما رأى عرش بلقيس حاضراً عنده: «قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم» [النمل: ٤٠].

بخلط هذه المواد الثلاثة: [١- ذكر الله، ٢- عدم الخوف أو الخشية إلا من الله، ٣- وعدم الندم على ما فات وفرح الاغترار بالموجود]، يقوم أساس الاتزان الانفعالي، فليحرص المؤمن وليتأسس الرمز.

الصفة الثانية: الرفق والتؤدة:

في المعجم الوجيز: رفق به وله وعليه: ألان له جانبه، وحسن صنيعه، وللرفق في سنة الرسول ﷺ أحاديث كثيرة، أنتقى منها هذه الباقية:

قال ﷺ لعائشة -رضي الله عنها-: «يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش»^(٢) وقال أيضاً: «إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله»^(٣) رواه البخاري.

(١) مسلم برقم ٢٦٦٤ وابن ماجه برقم ٦٤، ٣٣٧٩.

(٢) البخاري جزء من حديث بأرقام ٦٠٣٠، ٦٤٠١.

(٣) البخاري برقم ٦٠٢٤، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٩٢٧.

وقال: «من يحرم الرفق، يحرم الخير»^(١) رواه مسلم.

وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف»^(٢) متفق عليه.

وقال: «يا عائشة ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه»^(٣) رواه أبو داود وأحمد.

ويظهر الرفق في التؤدة والتأني في القول والعمل، ولكن أهل زماننا يغلب عليهم الرعونة والعنف متعللين بمقولة: «إننا في زمن السرعة!» ولا يمكن استيعاب الناس وجلب محبتهم والحصول على برهم إلا بالرفق في معاملتهم، والتأني في الاستماع والتحدث إليهم، قال الله سبحانه وتعالى محذراً نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول المستظل بالقرآن - رحمه الله - : «فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم، ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء... وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس».

التؤدة والتأني من الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذُكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

تأمل معي في أحوال أصحاب الصناعات المتقنين، إنك تراهم من أصحاب خلق التأني والتؤدة، أما غير المتقنين فتري الواحد منهم عاجلاً أهوج... هل تأملت في أحوال أصحاب المحال التجارية، وعملت مقارنة بينهم وبين الباعة الجائلين؟ البائع في محله عنده تأن وتؤدة، أما البائع الجوال فإنه يتكلم ويصيح، غير ثابت في وقفته، ولا متزن في حركته، ولا يركز بصره في بضاعته، ولا في نقوده، ولا في زبائنه... إن البائع الجوال لا يصلح لأن يكون صاحب دعوة، إلا ما قل وندر، أما الرمز فهو صاحب محل وصاحب دعوة.

الصفة الثالثة: اجتماعي متفتح:

الانفتاح على المجتمع هو القاعدة، والانغلاق أو الاعتزال شذوذ مرضي. الانفتاح الاجتماعي يعنى الحضور الحى النشط بين شرائح المجتمع، حضوراً يشمر التغذيةى الدائمة للنشاطات الدعوية حسب المتطلبات المتنوعة... وبناء على ذلك يقال:

(٢) مسلم برقم ٢٥٩٣.

(١) مسلم برقم ٢٥٩٢.

(٣) مسلم برقم ٢٥٩٤ وأبو داود برقم ٤٨٠٨ ومسنند أحمد بتحقيق أحمد شاکر ١٧٣/٢.

- إن الرمز له في كل مجال قول، وفي كل مقام موقف، وعنده لكل مشكلة حل، ولكل عقدة حيلة.

- الرمز لا يصاب بأمراض التوقع أو الانزواء مهما بلغت به المعاناة، لأنه من زكاهم النبي ﷺ بقوله: «المسلم الذي كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١) وفي رواية ابن ماجه وأحمد: [أعظم أجراً]^(٢).

- الرمز يتحلى بالصدق، فلا يكذب أبداً، ولا يرائي، طمعاً في منفعة ما! يمتدح الناس العامة والخاصة بما فيهم من إيجابيات وصفات طيبة وليس في الأمر غرابة! ليس في كل إنسان ميزة؟ ليس في كل مسلم عدد من الصفات الطيبة؟ فلماذا لا تمتدح كل إنسان بما فيه من الطيبات؟ ولماذا يغلب علينا وصف الناس بالسيئات؟ فإن كان تغليب السيئات من أحوال العامة، فلا يكون من حال الرمز.

إن من أكثر الناس صفة منكرة، وهي أنهم إذا عرفوا في إنسان سيئة، أشاعوا أنه سيء، أو أشاعوا عنه السوء! وتغاضوا أو غفلوا عن حسناته، أو نسوها!! أما الرمز الدعوى فإنه يتعامل مع الناس من خلال حسناتهم، ويتغاضى عن سيئاتهم إلى حين التمكين من علاجهم وهدايتهم، فهو يتعامل مع سيئاتهم بطريقة الطبيب الحكيم الرحيم. لذلك ينجح الرمز في علاقته الاجتماعية ويفشل غيره! جرب هذا بنفسك أيهما تحب من يصفك بسوء فيك؟ أم من يمتدحك بخير فيك؟

لقد امتدح النبي ﷺ حاتمًا الطائي بكرمه! وامتدح أقواماً بما كان في آبائهم من المكرمات! فكان ذلك أدعى لإسلامهم!

- والرمز يعرف أفكار زمانه، ويعرف حدود الخير، وأقطاب الفكر، وركائز الدعوات. . . إنه يعرف عقائد السابقين، ويعرف كيف يحاور رجال الدين (بالتى هي أحسن) فلا غرابة أن يحاور راهباً أو قسيساً أو حاخاماً. . . يعرف متى يتكلم، ومتى يصمت، وإذا جلس في مجالسهم أو جالسوه في مجلسه، لم تنزل قده ولا يزل لسانه. . . إنه وريث النبي ﷺ الشريك في حلف الفضول في الجاهلية! قال ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً، لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم

(١) رواه الترمذى بإسناد صحيح انظر صحيح الترمذى للألبانى برقم ٢٥٠٧.

(٢) رواية أبى داود صححها الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم ٣٢٧٣ وفى مسند أحمد بتحقيق أحمد شاذلى ٩٤/٧.

مظلوماً»^(١)، وروى ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدهى به فى الإسلام لأجبت» سيرة ابن هشام. وكان عمر الرسول ﷺ يومئذ عشرين سنة. الرمز شريك فى جميع أحلاف الخير فى عصره، فى قرينته، فى مدينته، فى محافظته، فى المجتمعات الخيرية، فى النقابات، فى الاتحادات العمالية والطلائية، فى الأحزاب العاملة لخير الوطن إن لم تكن لها انتماءات جاهلية.

الصفة الرابعة: غير قابل للتأزم ويجيد الخروج من الأزمة:

الأزمة هى الشدة والقحط، وأزمت السنة: اشتد قحطها. وفى زماننا تكثر الأزمات بقدر كثرة المجالات، وحسب تعداد البشر، الذين تأخذ الأزمة بخناقهم، وصار حديث الأزمة متداولاً حتى فى مجالات الهزل! فيقال: أزمة السينما، وأزمة الرقص الشرقى! ولكن الذى يجب أن تنصرف إليه الهمم: أزمت القوت وضرورات الحياة. وأزمات الحرية، وأزمات الحروب. . كيف يتعامل الرمز مع الأزمة؟ الإجابة فى هذه النقاط وما قد يتفرع عنها:

١- لا تستحوذ عليه الأزمة فتملاً ليله ونهاره وتعصف بحاله.

٢- يجيد الخروج من الأزمة.

٣- يحول دون وقوع مجتمعه فى الأزمات.

وبشء من التفصيل الموجز أقول:

لماذا لا تستحوذ عليه الأزمات؟

- لأنه يعلم أن الأزمة قضاء وقدر، وإذا نزل القضاء فإن رفعه قد اقترب.

- ولأنه متفائل، إنه يتعامل بتفاؤل يعقوب عليه السلام الذى قال بعد فقد ابنه الثانى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، فالتفاؤل طيف إيمان، أما التشاؤم فإنه طيف كفر ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- ولأنه صبور ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، وقد بشر الله الصابرين ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

الرمز يجيد الخروج من الأزمة:

- لأنه تربى على المواجهة وليس على الهروب.

(١) وروى جزء من ذلك ابن حجر فى تلخيص الحبير ٣/١٠٩٧ وقال بأنه مرسل وصححه الألبانى لصحة سنده وكثرة شواهد فى فقه السيرة ٧٢.

- لأنه تربي على توظيف الوسائل، ثم استخدام البدائل، وتربي على التفكير المبدع غير النمطي (الابتكاري) في مواجهة المشكلات.
- ولأنه يعتقد أن الله ما خلق داءً إلا خلق له دواءً، وأن لكل مشكلة مهما تعقدت حلاً. فالرمز غالباً هو الأمل حين تتعقد المشكلات.
- ولأنه رباني، فهو يستخدم الوسائل المشروعة، وليس من أتباع المذهب الميكافيلي، الذي يقول: الغاية تبرر الوسيلة. . ويقول أتحالف مع الشيطان من أجل المصلحة.
- الرمز يحول دون وقوع مجتمعه في الأزمة:
- لأنه تربي على القيادة الراشدة.
- لأنه يجيد تأمين المجتمع ضد المخاطر، حسب مبدأ: الوقاية خير من العلاج.
- ولأنه استفاد من خالد بن الوليد حين انسحب بالجيش في مؤتة حيث لم يكن سوى الانسحاب هو المخرج من الأزمة.
- ولأنه يعلم أن الوقوع في الأزمة إنما هو الهزيمة بعينها، قبل الحرب وفي الحرب وبعد الحرب.
- الصفة الخامسة: سياسي ماهر:
- ساس الناس: تولى رياستهم وقيادتهم.
- وللسياسة مهارتان رئيستان:

١- فريضة الشورى: وهي واجب شرعي، أمر به النبي ﷺ، فريضة سارية في الأمة إلى قيام الساعة. . ولا عليك ما يسميه الناس ديمقراطية، فإنها واجهة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. . إن رهبان الديمقراطية شياطين السياسة تقودهم أمريكا الآن. . . قال عز وجل ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والمشاورة إنما تكون قبل وضوح الأمر، وفيما لم يرد فيه نص صريح. قال البخاري: شاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام أو المخرج فرأوا له المخرج^(١). . . وشاور علياً وأسامة، فيما رمي به أهل الإفك عائشة فسمع منهما^(٢)، حتى نزل القرآن. . . وكانت الأمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من باطنها»^(٣) رواه الترمذي.

(١) لم أجده. (٢) البخاري برقم ٢٦٦١.

(٣) ضعيف رواه الترمذي وغيره بروايات كلها ضعيفة وانظر ضعيف سند الترمذي للألباني برقم ٢٢٦٦.

وإنفاذ الشورى يكون لمقصدین :

- الإعلام : بمعنى الإخبار والاستشارة بالأراء .
 - الإلزام : بمعنى التزام ولى الأمر بإجماع أهل الرأى أو الأغلبية .
- ويسير المسلمون فى أمور حكومتهم على أحد المقصدین حسب الاتفاق ، ولكن لا يتأرجح الحكم بين المقصدین ، وبالشورى يبرأ الرمز من الاستبداد والديكتاتورية براءة تتحقق باتباع الرمز للآليات الصحيحة فى المشاورة والشفافية .

٢- مفاوضات ومعاهد متميز: التفاوض وإجراء المعاهدات فن عظيم وخطير من فنون السياسة ، ولا قيمة للسياسى إذا لم يكن يجيد التفاوض والمعاهدة ، بحيث يحقق العزة للمسلمين ، ويراعى تحقيق المصالح العاجلة والآجلة (التكتيكات والاستراتيجيات) ، لقد فاض الرسول ﷺ وعاهد فى الحديبية ، وفى خيبر ، وفى وادى القرى ، وفواض وعاهد خلفاؤه من بعده ، وفواض وعاهد القادة الفاتحون على نهجه ﷺ وكما يكون التفاوض والتعاهد يكون نقض العهد بفقده صحيح .

الصفة السادسة: يؤمن الدعوة والمجتمع:

وهذا أيضاً من أعظم واجبات الرمز وأخطرها ، فإن لكل مرحلة من مراحل الدعوة احتياجات وضوابط أمنية ، فلأفراد احتياجاتهم ، وللأطر الدعوية احتياجاتها . . . والرمز على دراية ، وذو حس عال بهذا الشأن ، حس حصين لا يخترقه العدو ، حس حكيم لا يفزع صاحبه ولا يضطرب فى أشد الأحوال ، لا يقع الرمز بهذه الحيلة موقع المنافقين ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون : ٤] .

إن عملية تأمين الدعوة يحتاج إلى معرفة بهذه الأمور :

- ١- نظريات العدو الأمنية التى يمارس من خلالها أساليبه فى حربنا .
- ٢- الثغرات والأخطاء الموجودة فى النظام الأمنى المعادى .
- ٣- طبيعة الأفراد الذين يمارس العدو من خلالهم سياسته الأمنية .
- ٤- نقاط الالتقاء والافتراق فى الجهاز الأمنى المعادى .
- ٥- التزود بزاد ثقافى أمنى يشتمل على معلومات متنوعة عن أجهزة الأمن العالمية ، والمدارس الأمنية الشرقية (الشيوعية) والغربية والعلمانية أو الليبرالية (الرأسمالية) .
- ٦- التعرف على ما يمكن التعرف عليه من أجهزة التنصت وأشكالها وطرق استخدامها .

- ٧- التعرف على كيفية التموية على العدو .
- ٨- معرفة وسائل العدو في اختراق العمل الإسلامى .
- الصفة السابعة: ذو مكونات عالية الجودة (صفات إيجابية):
- الرمز فرد مسلم، ولكنه قائد . يتمتع بمكونات إسلامية عالية الجودة، فإذا كان الفرد المسلم يجب أن تتوفر فيه تلك المكونات بأى قدر يتجاوز الحد الأدنى، فإن الرمز يجب أن تتوفر فيه المكونات الإسلامية بأعلى مقدار ممكن . وهذا عرض مجمل بأهم المكونات الإيجابية المطلوبة:
- ١- سَبَاقٌ فِي الْخَيْرِ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].
- ٢- مصلح: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].
- ٣- مرب مستول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيتته» رواه الشيخان^(١).
- ٤- مصدر عطاء: «اليد العليا خير من اليد السفلى» رواه الشيخان^(٢).
- ٥- قوى فى خصاله: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير» رواه مسلم^(٣).
- ٦- أفقه من غيره: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»^(٤) رواه الشيخان.
- ٧- مخلص، واضح: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].
- ٨- صابر، صبور، مرابط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].
- ٩- متواضع: «تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»^(٥) رواه مسلم.
- ١٠- صادق: «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٦) رواه مسلم.
- ١١- أمين: ﴿إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينِ﴾ [القصص: ٢٦].

(١) صحيح سبق تخريجه .

(٢) متفق عليه البخارى برقم ١٤٢٧، ١٤٢٩، ١٤٧٢ ومسلم برقم ١٠٣٣ .

(٣) صحيح، سبق تخريجه .

(٤) متفق عليه البخارى بأرقام ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢ ومسلم برقم ١٠٣٧ .

(٥) جزء من حديث طويل رواه مسلم برقم ٢٨٦٥ .

(٦) رواه مسلم برقم ٢٣٠٧ .

- ١٢- سمح: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ﴿ فاعف عني ﴾ واستغفر لهم ﴿ [آل عمران: ١٥٩].
- ١٣- يحس بألام وحاجات الغير: «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع»^(١).
- ١٤- يقتص من نفسه: «الكيس من دان نفسه»^(٢) رواه الترمذی وابن ماجه وأحمد.
- ١٥- حسن الخلق: «ألا أحدنكم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة.. أحسنكم أخلاقاً»^(٣) رواه أحمد.
- ١٦- في الصف الأول في جهاده، مقتدياً بالنبي ﷺ وقد كان يتقدم جنوده: «فلم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»^(٤) رواه البخاری.
- وهذه مكونات عالية الجودة ولكنها صفات سلبية:
- ١- ليس كذاباً: قيل للنبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «لا»^(٥) رواه مالك في الموطأ.
- ٢- ليس غشاشاً: «من غش فليس منى» رواه مسلم برقم ١٠٢.
- ٣- ليس شرهاً أكولاً: «فلث لطعامه، وثلث لشرايه، وثلث لنفسه» رواه الترمذی^(٦).
- ٤- ليس مبتدعاً: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود^(٧).
- ٥- ليس ظالماً: «إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» حديث قدسي رواه مسلم^(٨).

(١) صحيح، صححه الألباني برواية [ليس يؤمن من بات... مشكلة الفقر ص ٩٧].
 (٢) ضعيف وروى بعده روايات كلها ضعيفة، انظر سنن الترمذی للألباني برقم ٢٤٥٩، وضعيف سنن ابن ماجه برقم ٤٩٣٨ وضعيف ابن عدی فی الكامل فی الضعفاء ٢/٢١٢ وابن القيسراني في تخريج الكشاف ٣/١٧٦ وابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٤/١٩٢٨ وابن عساكر في معجم الشيوخ ١/٣٠٠ وابن حجر العسقلاني في هداية الرواة ٥/٤٩.
 (٣) رواه أحمد انظر تحقيق مسند أحمد لأحمد شاكر ١١/٢٠٢ ورواه الترمذی برقم ٢٠١٨ وانظر صحيح سنن الترمذی للألباني.
 (٤) مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٢/٢٢٨ وهو صحيح.
 (٥) صححه الألباني في ال ٤٤٤٤ الأحمد ٤٣ وهو مرسل صحيح.
 (٦) رواه الترمذی برقم ٢٣٨٠ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذی.
 (٧) صحيح سنن أبي داود للألباني.
 (٨) رواه مسلم برقم ٢٥٧٧.

- ٦- ليس صحابياً: ﴿وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].
- ٧- ليس متكبراً: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١) رواه مسلم والترمذي.
- ٨- ليس مسرفاً، ولا مبذراً: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا (٣٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].
- ٩- ليس ناكثاً للعهد، ولا متلوناً، ولا غادراً: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].
- ١٠- ليس مترخصاً ولا متفلتاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
- ١١- يعمل بالرخصة مادام لها أصل، فإن الرخصة هدية الله لعباده: «إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته»^(٢) رواه أحمد.
- ١٢- بعيد عن الشبهات: «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه»^(٣) رواه مسلم، «من ترك الشبهات فهو للحرام أترك»^(٤).
- ١٣- لا يلعن، ولا يطعن، وعف اللسان، نظيف الكلام: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. «إن المؤمن ليس بطعان ولا بلعان، ولا الفاحش البذيء»^(٥) رواه أحمد.

الصفة الثامنة: الجدية:

معناها لغة: من الجدد، ضد الهزل، والجدادة: معظم الطريق، والحكمة تقول: من جد وجد. إذن من لم يجد لم يجد.

مصادر الجدية في حياة المسلم وتوصيات بشأنها:

هذه ملامح رئيسية للمسلم الجاد تدرج تحتها تفاصيل يعرفها السالكون:

- أن يحب عمله وأن يكون شغوفاً بكل تكليف.
- أن يؤدي أعماله بهمة وحماسة.
- أن يبادر بتقديم الأفكار والاقتراحات لتحسين الأداء وبالتالي الارتقاء بالنتائج.

(١) رواه مسلم برقم ٩١ والترمذي برقم ١٩٩٩.

(٢) صححه أحمد شاكر في المسند ٨/١٣٥.

(٣) رواه مسلم برقم ١٥٩٩ والبخاري برقم ٥٢.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/١٣٥.

(٥) بتحقيق أحمد شاكر وصححه في المسند ٥/٣٢٢.

- أن يتابع بيقظة في أثناء التنفيذ، وبعد ظهور النتائج ويستحضر صورة الفلاح الماهر.
- يستكمل النقص الذى يراه ويسد الثغرات أولاً بأول.
- يناقش ليتفهم الواجبات المطلوبة منه.
- يترك الجدل ويقلل من الاعتذارات.
- يهجر التراخى والكسل، ويقلل من ساعات النوم.
- يوظف الوسائل المتاحة ويطورها ويبتكر وسائل جديدة.
- يستعين بعد الله بأهل رأى وأصحاب الهمم العالية.
- حبذا لو جند الأهل والأولاد لإنجاز ما يمكن من التكاليف.
- إنه جندى فى صف، فلينظر إلى مقامه، أياكون ثغرة، أم مركز قوة؟
- هو جندى مسلم أو قائد، فلا يكون جنود اليهود والنصارى والهندوس والوثنيين أوعى منه بالدور المطلوب لنصرة الأمة وإعزازها.
- ينافس فى الإنجاز، ويسارع فيه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].
- يتقن عمله مهما كان صغيراً، والعمل الكبير أولى بالإتقان، لما يترتب عليه «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(١) السيوطى. ويعلم أن العمل المبتور أو الناقص ليس من صفات الربانيين المحبوبين.
- يضيف لمسات الجمال إلى عمله باستمرار، فإنه يرى الجمال فى كل شىء خلقه الله: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٢) رواه مسلم، وشتان بين تجميل العمل بقصد حب الظهور والخيلاء والمباهاة المذمومة، وبين تقديم الشىء الحسن ابتغاء مرضاة الله.
- يستلهم القدوة فى الأداء من الصالحين ومن النبى ﷺ من باب أولى.
- التضحية ركن فى بيعته الله، فلنكن أساساً لتحقيق الجدية فى جميع أعماله.
- أن الجدية بكل معانيها ومظاهرها لا تعنى تقطيب الجبين أو التحازن المبين، ولا تعنى تحويل البيوت والمنتديات والأعياد إلى مظاهر من الكآبة والكلام الجاف.
- التحلى بشىء من المرح الخفيف والمزاح العفيف والتودد اللطيف، فذلك يعطيه قوة فى العمل الجاد.

(١) صحيح.. صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٨٨٠.

(٢) مسلم برقم ٩١.

- الجدية لا تعنى هجر المتع المباحة، من مساعدة الزوجات، وملاعبة الأولاد، وحضور الحفلات، والمرح في الأعياد. . فقد كان ﷺ يحمل في قلبه الهموم العظيمة والمسئوليات الجسيمة وكان هو المتسم المداعب البشوش، وقد شاهدنا رجال الرعيل الأول من دعوتنا وهم الأكثر ابتلاءً، لا تكاد البسمة تفارق شفاههم في جميع المجالس، ولا تزال البشاشة تشرق من وجوههم، لقد كانوا يضحكون في أشد الأزمات.

- ليكن جده الله، فلا يكون تمثيلاً، ولا يكون مجرد انفعال يصطنعه، ويتذكر قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»^(١).

- يتجنب ترديد الشعارات والأمثال السلبية في مجال الجِد، وفي الاجتماعات، بل في حياته كلها كقولهم: [أى كلام]، [مشٌ حالك]، [خلّيك إيزى]، [بلاش عقد]... وغيرها من الكلمات التي تهد ببيان الجدية هدأ.

- يقارن دائماً بين نتائج العمل الجاد وغيره من الأعمال، ليكون ذلك حافزاً له على المزيد من الجِد، وليكون ذلك باعثاً له على حمد الله وشكره والثناء عليه، لتوفيقه له.

- لا يغرنه ما يحققه الهازلون والمهرجون واللصوص والمهربون والمزورون والمقامرون من المنافع والمناصب، فإن ذلك من خداع الرؤية، وإن الكسب الحاصل من ورائه سحت وحرام معنوياً كان أو مادياً.

قال مدرس الخط العربي حسن البنا (رحمه الله): [إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة [الإيمان- الإخلاص- الحماسة- العمل] من خصائص الشباب، لأن أساس الإيمان القلب الذكى، وأساس الإخلاص الفؤاد النقى، وأساس الحماسة الشعور القوى، وأساس العمل العزم الفتى، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً في كل أمة عماد نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، وفي كل فكرة حامل رايتها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آتَيْنَا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ومن هنا كشرت واجباتكم، ومن هنا عظمت تبعاتكم، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، ومن هنا نقلت الأمانة في أعناقكم، ومن هنا وجب أن تفكروا طويلاً، وأن تعملوا كثيراً. ويبدأ الرمز شاباً فتياً، ثم يمضى شيخاً قوياً، فيلقى الله فرحاً رضىياً.

(١) صحح سبق تخريجه.

الباب السابع: عبقرية القيادة

الفصل الأول: عبقرية الجنديّة.

الفصل الثاني: مبادئه مرشداً للجماعة.

الفصل الثالث: متطلبات القيادة.

الفصل الرابع: أسلوبه في الإدارة.

توطئة:

ثقل أمانة القيادة في جماعة الإخوان المسلمين

يقول الأستاذ مصطفى مشهور:

[إن أمانة القيادة في جماعة الإخوان المسلمين ثقيلة بسبب طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية والأمة الإسلامية، والأخطار المحدقة بها من كل ناحية، والمستوى الذي وصل إليه المسلمون من ضعف ووهن وتفارق وجهل وفقر وغير ذلك نتيجة لألوان الغزو المختلفة، العسكري والاقتصادي والثقافي والإلحادي وكل ألوان الفساد والإفساد. وصار لزاماً علينا أن نواجه كل هذا الركام من السلبات وعوامل الهدم لتزيحها ونضع الأساس المتين للبناء العظيم]^(١).

ويقول الإمام الشهيد حول هذا المعنى:

[شاءت لنا الظروف أن ننشأ في هذا الجيل الذي تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع البقاء أشد التنازع وتكون الغلبة دائماً للقوى السابق. وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه أغاليط الماضي وتجرع مرارتها، وأن يكون علينا رآب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا.

وشاءت لنا الظروف كذلك أن نخوض لجة عهد الانتقال الأهوج، حيث تلعب العواطف الفكرية والتيارات النفسية والأهواء الشخصية بالأفراد وبالأمم وبالحكومات والهيئات وبالعالم كله، حيث يتسبب الفكر وتضطرب النفس ويقف الربان في وسط اللجة يلمس الطريق ويتحسس السبيل وقد اشتبهت عليه الأعلام وانظمت أمامه الصور، ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه في ليل دامس بفكر وظلمات بعضها فوق بعض، حتى لا تجد كلمة تعبر بها عن نفسية الأمم في مثل هذا العهد أفضل من [فوضى] كذلك شاءت لنا الظروف أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية]^(٢).

ويبين لنا أستاذنا مصطفى مشهور أسباب ثقل أمانة القيادة في جماعة الإخوان المسلمين فيقول^(٣):

[والقيادة في جماعتنا بتبعاتها وأمانتها ثقيلة لأسباب سنذكر بعضها، ومن اللازم لكل من الأفراد والقيادة أن يستشعروا معاً عظم هذه التبعة وثقل تلك الأمانة ليتحقق التعاون في حمل هذه الأمانات والتبعات:

(١) من فقه الدعوة، القائد القدوة على طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

(٢) رسالة: هل نحن قوم عمليون - الإمام الشهيد حسن البنا.

(٣) القائد القدوة على طريق الدعوة.

- ١- التبعة عظيمة لاتساع مجال العمل وتعدد فروعها، لأن الإسلام دين شامل كامل ينظم كل شئون الحياة للفرد والمجتمع والدولة، ومطلوب أن نحققه في كل مجالات حياتنا.
- ٢- ومسئولية القيادة ضخمة وثقيلة، لعظم الغاية والأهداف التي نسعى إليها، فالله هو الغاية، والتمكين لدين الله في الأرض هو الهدف، فإقامة دولة الإسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة.
- ٣- وأمانة القيادة ثقيلة، لاتساع ساحة العمل الآخذة في الاتساع حتى كادت تشمل الساحة العالمية كلها.
- ٤- ومسئولية القيادة عظيمة، لضخامة عدد من تشملهم مسؤولية القيادة بانتمائهم وهم في ازدياد مستمر -والحمد لله- على اختلاف درجاتهم، وكذلك من وصلتهم الدعوة ويحتاجون إلى إعداد، ومن لم تصلهم الدعوة ويلزم توصيلها إليهم.
- ٥- وأمانة القيادة ثقيلة، لمسئوليتها عن توجيه كل أفراد الجماعة وتيسير أسباب العمل والإنتاج في حقل الدعوة لهم جميعاً، ومسئولة عن كل طاقاتهم وأوقاتهم وجهودهم وعملهم وكل قدراتهم وعن حسن الاستفادة للعمل الإسلامي.
- ٦- وأمانات القيادة ثقيلة، لعظم النتائج المترتبة على تحقيق الأهداف التي تسعى إليها الجماعة، فالخير الذي سيتحقق بالتمكين لدين الله عظيم وعظيم جداً، وسيكون له امتداده الأفقى على الساحة العالمية وامتداده الزمنى إلى الأجيال التالية من البشرية بإذن الله تعالى.
- ٧- وأمانة القيادة في جماعتنا ثقيلة وعظيمة، لكثرة قضايا العالم الإسلامى الملحة والمتلاحقة واحتياج كل قضية منها إلى جهد وبذل وتضحيات، ولا يمكن إغفال أى منها، ويلزم تقديم ما يمكن من عون، وذلك في ظروف إمكاناتنا المحدودة، لأننا لازلنا دعوة ولسنا دولة، وفي وقت تتعرض فيه الحركة إلى ضغوط ومطارادات وكيد.
- ٨- وأمانة القيادة في جماعتنا ثقيلة، لأن المسلمين على الساحة ينظرون إلى جماعتنا على أنها الأمل الذى يُرجى لإنقاذهم مما يعانون من أحوال غاية فى السوء. وما يتعرضون له من اعتداءات ومذابح، وصار على الجماعة أن تبذل كل الجهد لتكون على مستوى الثقة الممنوحة لها ولتحقق الآمال المرجوة.
- ٩- وأمانة القيادة عظيمة وثقيلة، لطول طريق الدعوة مع كثرة عقباته وكثرة منزلقاته ومنعطفاته وما يتطلبه من حكمة القيادة لحماية الصف وبث روح الصبر والمصابرة والنفس

الطويل وبذل الجهد وبعث الهمم والعزائم لتخطى العقبات والتحرز من المنعطفات، وما يحتاجه ذلك من تربية وتوعية لاستمرار سلامة الصف واستقامة الفكر.

١٠- وأمانة القيادة في جماعتنا ثقيلة وعظيمة، لضخامة التحديات التي تواجه الحركة وتتصدى لها من أعداء الله في الشرق والغرب وعملائهم في بلاد المسلمين.

والجميع يحاولون تعويق الحركة، بل يحاولون القضاء عليها مستعملين في ذلك كل ما لديهم من وسائل مشروعة وغير مشروعة، خاصة بعد لمس الأعداء هذه الصحوة الإسلامية على الساحة وما سببته لهم من إزعاج جعلهم يصعدون حربهم وكيدهم ضد الإسلام والمسلمين عامة وضد جماعتنا خاصة. ولكننا رغم ذلك مطمئنون -والحمد لله- إلى أنهم لن يستطيعوا أن يقضوا على الحركة ولا على الصحوة إذا استقمنا على طريق الله واستعنا بالله.

•• ما هو المطلوب من قيادة الجماعة؟

يرد أستاذنا مصطفى مشهور على هذا السؤال فيقول:

[مطلوب من قيادة الجماعة أن تواصل السير بالجماعة على طريق الدعوة، بكل الأصالة والالتزام بخط الدعوة المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، دون انحراف أو ترخص أو مغالاة، ومطلوب منها أن تنمي رصيد الخبرة والتجربة الذي كسبته الجماعة وأن تورثه إلى الأجيال التالية زائداً غير منقوص، ومطلوب منها أن تحافظ على رصيد الثقة الذي حازته الجماعة لدى العاملين الصادقين أفراداً وجماعات على الساحة الإسلامية، وتعمل على زيادته^(١).

ونحن في هذا الفصل سنتكلم عن عبقرية قيادة أستاذنا مصطفى الذي لا يستطيع الإنسان أن يفرق بين جنديته وقيادته، فهو جندي دعوة وفي نفس الوقت قيادة دعوية فريدة، فكان رضى الله عنه طيلة حياته جندي دعوة وهو في موقع القيادة، وكان قائداً فذاً في جميع المواقع التي شغلها في هذه الجماعة.

فهو بهذا يتمتع بعبقرية الجندي وعبقرية القيادة، وهذا ما سنراه في هذا الفصل بإذن الله تعالى.

(١) المرجع السابق.

الفصل الأول: عبقرية الجندية

ربى رسول الله ﷺ أصحابه على مائدة القرآن وفي مدرسته ﷺ، فكانوا الأساس المتين الذى قامت عليه دولة الإسلام الأولى، هذه المدرسة النموذج التى آخت بينهم برباط العقيدة فنشئوا أقوياء بقوة العقيدة وقوة الأخوة والحب، ولما قادهم ﷺ إلى الجهاد دفاعاً عن دعوة الحق وإزالة العقبات التى تحول بينها وبين الناس، تحقق على أيديهم النصر والتمكين لدين الله فى عهده ﷺ وفى عهد الخلفاء الراشدين من بعده.

فصار أصلاً أن يكون المسلمون جميعاً مجتدين للعمل بالإسلام وللإسلام.

ومن هذا المنطلق أقام الإمام البنا مدرسته فى الدعوة والتربية وأنشأ محاضن تربية تخرج الجنود الأفاضل الأبطال ليسيروا على نهج نبيهم وأصحابه . . فرسم لهم الطريق وتدرج بهم فى مراحل (التعريف والتكوين والتنفيذ)، ووضع مواصفات للفرد المسلم المطلوب إعداده بأن يكون: سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، مثقف الفكر، قوى البنية، نافعا لغيره، قادراً على الكسب، منظمًا فى شئونه، حريصاً على وقته، مجاهداً لنفسه، إلى آخر هذه المقومات الأساسية اللازمة، ثم حدد الوسائل التى تساعد على هذا الإعداد، كالدروس والأسر، والكتيبة والرحلة والمعسكر والجوالة والنوادي الرياضية إلى غير ذلك. كما حدد ما يجب أن يلتزم به الأخ العامل من عهود واجبات، فحدد أركان البيعة العشرة، وكذا واجبات الأخ العامل، والوصايا العشر إلى غير ذلك. وهياً الإمام البنا جماعة الإخوان المسلمين للتصدي لتحقيق أعظم إنجاز فى هذه الحياة وهو التمكين لدين الله فى الأرض . . . لذلك صار لزاماً على كل من ارتضى العمل تحت لواء هذه الجماعة أن يكون [رجل دعوة وجندى عقيدة]، وأن تتوفر فيه المقومات الأساسية التى تؤهله للقيام بهذا الدور العظيم، خاصة فى المرحلة المهمة التى تمثل الأساس المتين الذى يقوم عليه بناء الدولة الإسلامية^(١).

هكذا تتضح أهمية الجندية فى الجماعة، فهى لا تقل أهمية عن القيادة ومكانتها . . . وكما يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [لا تستطيع قيادة قوية أن تنجز مهاماً عظيمة بجنود ضعفاء غير مؤهلين، أما الجنود الأقوياء فإنه لو فرض أن قيادتهم ليست على المستوى، يمكنهم أن يختاروا من بينهم قيادة قوية]^(٢).

(١) القائد القدوة على طريق الدعوة.

(٢) المرجع السابق.

وفى أدبيات الإخوان: [الجندي الصحيحة اليوم طريق القيادة الناجحة غداً] فإذا عاش الفرد الجندي في وقت ما كواجب يؤديه لقيادته، فإنه سيجدها كحق له في وقت آخر عندما يشغل مواقع المسئولية، وقد انطبق هذا المعنى تماماً على حال أستاذنا الأستاذ مصطفى مشهور حيث كان نعم الجندي فصار نعم القائد، وإليك بعض الأمثلة:

وقف الأستاذ عمر التلمساني - رحمه الله - على باب مكتب الأستاذ مصطفى مشهور، ووضع راحتيه على حافة الباب ومال إلى الأمام قليلاً، وقد تهلل وجهه ببسمة عذبة ثم قال: [إحنا معطلينك يا حاج؟] فإذا بالحاج مصطفى يتغض لتوه ويللم أوراقه ومتعلقاته على عجل وبلا ترتيب ويضعها في حقيبته الصغيرة الشهيرة ويضعها تحت إبطه ويسرع ليقف في وضع [انتباه] أمام الأستاذ عمر التلمساني وهو يقول: [يا سلام على الذوق، معذرة يا فندم دا إحنا اللي معطلين حضرتك]، وذلك أن الأستاذ عمر كان يريد الانصراف من العمل وقد اعتاد أن يصحب معه الأستاذ مصطفى... هذه صورة من صور الجندي بين القادة.

●● قصة الاستخلاف:

لما كان الأستاذ عمر التلمساني في مرضه الأخير كان يجتمع بمكتب الإرشاد في المستشفى الذي يُعالج فيه، وتمت هذه الاجتماعات بعضها في مستشفى كليوباترا وبعضها في مستشفى المقاولون العرب، ولما تدهورت صحته بدأت الصحافة تتناول الحديث عن سيخلفه وبدأت الآراء تتضارب حول بعض الشخصيات المؤهلة لذلك مثل الأستاذ مصطفى مشهور... وكثير الحديث عن الحرس القديم ورجال النظام الخاص، وما هو مصير الجماعة لو قادها مثل مصطفى مشهور رجل النظام الخاص وأنها سوف تنتكس وستعود إلى الوراء وأنها ستكون إرهابية!! إلى غير ذلك من التشكيك والتشويه لهذه الجماعة ولقيادتها وتاريخها العريق.

وأجريت حوارات مع بعض الإخوان السابقين مثل الأستاذ صالح أبو رقيق والأستاذ محمد فريد عبد الخالق وغيرهم وأخذ رأيهم في هذا الأمر.

في هذه الأثناء اجتمع مكتب الإرشاد وحسب الأمر، وخلص إلى أن أصلح من يقوم بهذه المهمة في هذه الفترة ويدراً كل الشكوك والشبهات هو الأستاذ [محمد حامد أبو النصر]^(١) ليس لكبر سنه فقط وإنما لأنه لم يكن من رجال النظام الخاص، وبهذا تجنب الدعوة من إثارة الشبهات حول رجال النظام الخاص.

(١) هو من رجال الإخوان السابقين إلى الدعوة وله تاريخه وماضيه وجهاده، وكان عضواً بمكتب الإرشاد أيام الإمام حسن البنا، واستمر فيه حتى صار مرشداً عاماً للإخوان المسلمين ١٩٨٦ - ١٩٩٦.

كلف مكتب الإرشاد لتبليغه بهذا الأمر شخصين هما: [الحاج حسنى عبد الباقي والدكتور محمد السيد حبيب]، وقبل الرجل من موقع إحساسه بالمسئولية وبالخطر وبما يمكن أن يلحق بالدعوة من الترهات والأقاويل والأذى.

بدأ مكتب الإرشاد إجراءاته فى إتمام الترشيح، وإخطار الأقطار المختلفة بهذا الأمر. فعرض هذا الترشيح عليهم. . فكان أمراً محيراً لهم وكانوا معذورين فى حيرتهم هذه. .

فالأستاذ مصطفى - لما اتخذت القيادة قرارها العبرى بأن يبقى بالخارج فى أحداث سبتمبر ١٩٨١ م. . وقد وفق الله الإخوان وهداهم إلى هذا القرار الحكيم الذى اتخذ فى الوقت المناسب - بقى بالخارج ما بين عام ١٩٨١ م وحتى ١٩٨٦ م، وجال وطاف بين الأقطار العالمية، وكانت من أعظم الفرص أن يتجول الأستاذ مصطفى بين دول أوروبا كلها وأمريكا والدول العربية والآسيوية، واستطاع أن يعود بالدعوة فى هذه المناطق إلى جذورها وأن يزيل ما علق بها شوائب وأن يعيدها إلى منابعها الصافية التى تلقاها على يد الإمام البنا لتأخذ مجراها فى نفوس الإخوان، واستطاع أن ينهض بالدعوة خلال هذه الفترة التى قضاها هناك، وأن يوحد المفاهيم والأسس والمنطلقات، وأنشأ وأسس قواعد العمل تربوياً وإدارياً، وربط الخارج بالقيادة فى مصر، فأصبحت الدعوة كلها فى نسج وشكل واحد بفضل الله ثم بفضل جهوده رضى الله عنه وأرضاه. .

صار الأستاذ مصطفى بالنسبة للإخوان بالخارج ملء السمع والبصر كما هو كذلك بالنسبة للإخوان داخل مصر. وصار فى نظر الإخوان أنه هو الشخصية القادرة على قيادة الجماعة، وشهد له العالم وجميع الكيانات الإخوانية بالقدرة والكفاءة والقيادة والسبق، وبكل المقاييس هو الشخص المناسب أن يكون مرشداً.

أما بالنسبة للأستاذ محمد حامد أبو النصر، فالإخوان بالخارج لا يعلمون عنه شيئاً فهو ليس له مؤلفات ولا كتب^(١) وتاريخه لم يتحدث عنه أحد، ولم يخرج إليهم. . لذلك كان اختياره مرشداً أمراً محيراً بالنسبة لهم. . كيف يكون ذلك؟ فإن الرجل لم يظهر فى شاشات التلفزيون ولم يُسمع من خلال محطات الإذاعة، وليست له تسجيلات ولم يُعرف عنه شئ من خلال الإعلام. . فكيف تغمض الأعين عن الأستاذ مصطفى المعروف وينظر إلى الأستاذ محمد حامد أبو النصر غير المعروف؟! وكانوا يقولون كيف نختار إنساناً لا نعرفه ونترك الذى نعرفه؟!

(١) له كتاب وحيد الله تحت عنوان: [حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر].

بذل الأستاذ مصطفى جهداً كبيراً في إقناع الإخوان باختيار الأستاذ أبو النصر مرشداً عاماً، ولم يترك الأمر لغيره ليقوم بهذه المهمة . . ولكنه قام بها بنفسه .

ثم اجتمع مجلس الشورى العالمى برئاسته وحضر معه هذا الاجتماع الدكتور محمد السيد حبيب^(١)، وعرض الأمر على مجلس الشورى ولكن قوبل هذا العرض بالرفض . . حاول الأستاذ مصطفى إقناع المجلس ولكن كان المجلس يزداد تمسكاً به كلما أمعن هو فى الدفاع عن الأستاذ أبو النصر . .

أخيراً قال لهم الأستاذ مصطفى هذا هو الدكتور محمد حبيب قد تلقى على يد الأستاذ أبو النصر وتلمذ أكثر من عشر سنوات فهل ترضون شهادته؟ قالوا: نعم نرضى بشهادته . . فقال الأستاذ [اتكلم يا محمد] فتكلم الدكتور حبيب عن الأستاذ أبو النصر بما هو أهل له، وأراد الله تعالى به خيراً ففتح عليه وتكلم بما يليق بالرجل . .

ثم علق الحاج عباس السيسى على كلامه وقال: [إن هذا الرجل -يعنى الأستاذ أبو النصر- والله إنكم لا تعرفونه، إنه يصلح أن يكون قائداً عالمياً]. وفق الله وسدد وتم الاختيار وصار الأستاذ أبو النصر مرشداً عاماً للإخوان المسلمين .

نخلص من هذه القصة بموقف الأستاذ العظيم الجندى المخلص والقائد الملهم مصطفى مشهور، جندى دعوة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وكان كذلك . . فى حين أن الفرد منا يتطلع إلى أن يكون نقيب أسرة أو مسئول كذا فى موقع كذا أو كذا . . أما هو فكان لا ينظر إلى منصب أو مكانة، ولكنه كان يدافع عن الأستاذ أبو النصر دفاعاً مستميتاً ليرفعه أمام إخوانه ويقنعهم به ليكون مرشداً . . وكان لا يرى نفسه إلا جندى دعوة مطيعاً لقيادته . فكان نعم الجندى بحق .

ولما تولى الأستاذ أبو النصر مكانة الإرشاد كان هو ذراعه الأيمن، كما كان مع المرشد السابق الأستاذ عمر التلمسانى، وكما عهدته الإخوان فى مكتب الإرشاد كان يقوم هو بكل شىء، بمعنى أنه من إخلاصه وتفانيه فى العمل كان هو المرشد الفعلى طيلة فترة إرشاد الأستاذ أبو النصر تماماً، كما كان مع الأستاذ عمر . . رضى الله عنهم جميعاً .

●● أحداث بارزة فى عهد أبو النصر:

عاشت جماعة الإخوان المسلمين فى عهد الأستاذ محمد حامد أبو النصر، أحداثاً بارزة على الصعيد السياسى، كان أهمها: ترسيخ الوجود الفعلى لرموزها فى العديد من النقابات المهنية

(١) الدكتور حبيب هو الذى روى لنا قصة الاستخلاف فى حوار مسجل معه .

ونوادي التدريس الجامعية والجمعيات الأهلية. وخاضت الجماعة في عهده الانتخابات البرلمانية في أبريل ١٩٨٧م متحالفة مع حزبي العمل والأحرار، مما أتاح لها دخول ٣٦ نائباً إخوانياً لأول مرة في تاريخ الجماعة إلى مجلس الشعب، وأدى ذلك إلى قيادتها للمعارضة البرلمانية بشكل فعلى، كما خاضت الجماعة انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشورى عام ١٩٨٩م، وقاطعت انتخابات البرلمان عام ١٩٩٠م وتبعته بقية الأحزاب المعارضة احتجاجاً على استمرار العمل بقانون الطوارئ وعدم وجود ضمانات كافية لنزاهة الانتخابات. وفي عام ١٩٩٢م خاضت الجماعة انتخابات المجالس المحلية. وفي عام ١٩٩٣م رفضت قيادة الجماعة فتح التجديد للرئيس مبارك لفترة رئاسة ثالثة مما أثار غضب السلطة عليها، وأحال ٨٢ من قياداتها إلى المحاكم العسكرية في عام ١٩٩٥م والتي قضت بسجن ٥٤ من الرموز المعروفة في محاكمة غير قانونية ثم شاركت الجماعة أيضاً في انتخابات مجلس الشعب التي جرت في نوفمبر ١٩٩٥م..

وكانت أبرز الإنجازات على المستوى الداخلى للجماعة، هو استكمال الهيكل الإدارى والتنظيمى، من خلال تنفيذ مبدأ الشورى في اختيار القيادات على جميع المستويات حتى عضوية مكتب الإرشاد واختيار المرشد، وذلك لأول مرة منذ دخول الجماعة عصر المحن.

وفي الختام أقول: أكمل الأستاذ محمد حامد أبو النصر -رجل رأى والحكمة الذى تتلمذ على يد الإمام الشهيد وزامل الهضبيى والتلمسانى ومصطفى مشهور - كأفضل ربان رائد حكيم لتلك السفينة (سفينة الدعوة لينطلق بها للوصول إلى الغاية رافعاً عليها راية [الإسلام هو الحل] ساعياً للوصول بتحقيق الأهداف بقيام الدولة الإسلامية العالمية..

وتوفى رحمه الله فجر السبت ٢٩ من شعبان ١٤١٦هـ الموافق ٢٠/١/١٩٩٦م ودفن جثمانه الطاهر بجوار رفيق دربه الأستاذ عمر التلمسانى فى مقابر القطامية بمدينة نصر بالقاهرة. رحمهما الله رحمة واسعة وتقبلهما فى الصالحين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

•• متطلبات الجندية^(١):

ذكر أستاذنا بعض الأمور الأساسية التى يلزم تحققها فى الفرد الذى يعمل فى جماعة تسعى إلى تحقيق مبادئ الإسلام، وإذا ما توفرت هذه الأمور فى الفرد العامل صار جندياً حقيقياً فى جماعته وهذه الأمور هى:

(١) من فقه الدعوة - القائد القدوة على طريق الدعوة - ص ٥٢١ - ٥٢٤.

١- أن يعرف ماذا يعنى انتماؤنا للإسلام، وأنه ليس مجرد انتماء بالميلاد أو الوراثة، ولكن يفهم أن الإسلام والعمل له هو قضيته المصيرية ورسالته التى خلق من أجلها فى هذه الدنيا وأن سعادته فى الدنيا والآخرة تتحقق بالتزامه بالإسلام وقيامه بمتطلباته، وأن أى مخالفة أو نقص فى هذا المجال يرتب عليه الإثم والحساب والجزاء .

٢- أن يتعرف على طبيعة المرحلة التى تمر بها الدعوة الإسلامية فى هذه السنوات، ومتطلبات هذه المرحلة، ذلك أن أعداء الإسلام تأمروا ضد الإسلام واحتلوا بلادهم، ثم أبعثوا شريعتهم عن الحكم، وأسقطوا الدولة والخلافة، وغزوا شعوب المسلمين بكل أسباب الفساد والانحلال والضعف والفرقة، والشعور بالحاجة إلى الأعداء والركون إليهم والاستسلام لمخططاتهم، واصطنعوا عملاء لهم ينفذون مخططاتهم فى بلادنا بعد أن أجلىنا جيوشهم بدماء شهدائنا، وغرسوا هذا الكيان الصهيونى كالسرطان فى قلب الوطن الإسلامى .

٣- أن يعلم أنه لا خلاص من هذه الحال إلا بالعودة الصحيحة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فتعود للمسلم شخصيته الإسلامية القوية، العزيزة المؤمنة بالله والمؤمنة برسالتها فى هذه الدنيا وشعور المسلم بأستاذيته للبشرية لانتمائه لهذا الدين الحق .

٤- أن يؤمن بضرورة العمل على بعث الإيمان فى النفوس لتعود للمسلمين قوتهم وهيبتهم، وأنه لا بد من إقامة دولة الإسلام وخلافته وتكون للمسلمين قوتهم التى تدفع كل اعتداء على أرضهم وأرواحهم وأعراضهم وتحرير بلاد المسلمين وشعوبهم من كل سلطان للأعداء وخاصة فلسطين والمسجد الأقصى وأولى القبليتين وثالث الحرمين .

٥- أن يعلم تمام العلم أن العمل لإقامة دولة الإسلام واجب على كل مسلم ومسلمة، وليس أمراً اختيارياً وأن المسلمين جميعاً أئمون إن لم يعملوا على إقامة دولة الإسلام .

٦- ويعلم أيضاً أن واجب إقامة الدولة الإسلامية لا يمكن أن يتحقق فردياً بأن يعمل كل مسلم وحده، ولكن لا بد من العمل الجماعى المنظم الذى يوحد الجهود لإقامة دولة الإسلام .

٧- وبناءً على القاعدة المعروفة: [ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب] يعتبر العمل الجماعى لتحقيق إقامة دولة الإسلام واجباً وليس كما يظن الكثيرون أنه يكفيه أن يعمل فردياً دون جماعة .

٨- ثم عليه بعد علمه بوجود العمل الجماعى أن يستشعر أهمية اختيار الجماعة التى يعمل معها كى لا يبذل وقته وجهده وماله ونفسه فى غير الطريق الصحيح، وعلى ألا يتسرع فى اختيار الجماعة . . ولكن عليه أن يثبت ويستوثق ويطمئن عند الاختيار .

٩- ومما يساعده على اختيار الجماعة، أن تتوافر فيها صفات أساسية، أهمها أن يكون من منهاجها إقامة دولة الإسلام العالمية وأن تأخذ الإسلام بفهمه الشامل النقى بعيداً عن الاجتزاء والانحرافات، وأن تسلك طريق رسول الله ﷺ فى تحقيق هذا الهدف، وذلك بتحقيق المقومات الأساسية من قوة الإيمان والعقيدة وقوة الوحدة ثم قوة الساعد والسلاح، بهذا الترتيب . وأن يكون حقل عملها هو الساحة الإسلامية كلها، فلا تكون منغلقة على نفسها فى أحد الأقطار، إلا أن تكون منبثقة ومتعاونة مع الجماعة التى تعمل على الساحة، وأن تكون الجماعة التى يختارها لها خبرة وتجربة ورصيد .

١٠- ويكون معلوماً لدى الفرد أن الأصل فى الإسلام هو اجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف وليس التفرق تحت رايات وشعارات، فإسلامنا واحد وهدفنا واحد وطريقنا واحد، ثم إن الله تعالى يدعونا إلى الوحدة بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وينهانا عن التفرق والتنازع: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] فلا مبرر لرفع رايات متعددة باسم العمل للإسلام .

١١- وحينما يختار الفرد الجماعة التى يعمل من خلالها، يجب أن يختارها بمحض اختياره وإرادته دون إحراج أو إكراه أو مجاملة، فالقضية خطيرة ومصيرية ويترتب عليها تبعات ومسئوليات . وعليه بعد الاختيار ألا يتأثر بأى تشكك يثار حول الجماعة والعمل الجماعى مما يثيره الأعداء عن قصد أو بعض المسلمين عن جهل أو تبعية .

١٢- وليعلم الفرد أن العمل الجماعى يستتبع شروطاً والتزامات يجب أن يكون على علم بها وأن يكون مستعداً للالتزام والوفاء بها؛ كى تستطيع الجماعة تحقيق أهدافها . والأولى عدم الانتماء ابتداء إذا لم يتوفر الاستعداد للالتزام .

١٣- ومعلوم أصلاً أن العمل فى هذا المجال إنما هو لله سبحانه وليس لأشخاص، وأن الأجر والثوية من الله، ويستلزم ذلك إخلاص الوجهة لله، ويعلم الفرد أن تعهده وبيعته لقيادة الجماعة إنما هو فى الحقيقة تعهد وبيعة لله ويلزمه الوفاء بها وعدم النكث فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] .

١٤- على كل فرد أن يستشعر ما هو فيه من خير عظيم بانتظامه في ركب العاملين الصادقين للإسلام، بحيث يدفعه هذا الشعور إلى الحرص الشديد على هذا الخير بحيث لا يفرط فيه أو يتعد عنه، وأن يروض نفسه على الصبر والتحمل لمتاعب الطريق ومشاقه سواء من خارج الصف أو حتى من داخله، فالقضية ليست كالوظائف الدنيوية إذا فقدتها في مؤسسة يجد غيرها في مؤسسة أخرى، ولكنه عمل أخروي له أهداف محددة وطريق واحدة، ولا يصلح معه أى طريق كما لا يصلح معه العمل الفردي.

١٥- على الفرد أن يعلم أن ألزم شيء على طريق الدعوة، دوام مراقبة الله تبارك وتعالى وتذكر الآخرة والاستعداد لها، وأن يقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة، وأن يتقرب إلى الله بالنوافل، كقيام الليل وصيام ثلاثة أيام على الأقل كل شهر والإكثار من الذكر القلبي واللساني والإلحاح بالدعاء المأثور.

أخيراً نقول: كان أستاذنا يعمل بما يعلم ويعلم إخوانه هذا الخير، فكان أسوة وقدوة لغيره من جنود الدعوة. . وكان جندي دعوة بحق.

وما كتب شيئاً في مجال فقه الدعوة إلا بعد معايشة وتجربة عملية قام بها بنفسه، فكان نعم الكاتب المجرب العامل بما علم.

الفصل الثاني:

مبايعته مرشداً للإخوان المسلمين

عقب إتمام إجراءات دفن جثمان المغفور له الأستاذ محمد حامد أبو النصر وقبيل مغادرة المشيعين، ألقى المستشار محمد المأمون الهضيبي -نائب المرشد العام- كلمة قصيرة دعا فيها للفقيه الراحل، ذاكراً فضله وجهاده وصبره وثباته، معلناً أنه أوصى قبيل مرضه ووفاته باختيار نائبه الأول الأستاذ مصطفى مشهور خلفاً له في حمل راية الدعوة والجهاد، وأكد الهضيبي أن هذا الاختيار قد انعقدت عليه الآراء بالإجماع سواء داخل مصر أو خارجها، وأشار إلى أن الكل يعرف الأستاذ مصطفى مشهور وجهاده وتاريخه وعطاءه للدعوة منذ ارتباطه بها.. ونبه الهضيبي الجميع إلى ضرورة عدم الالتفات إلى مروجى الشائعات، الذين لا يفهمون دعوة الإخوان، ويريدون أن يخلقوا خلافات لا أصل لها.. ودعا الهضيبي أمام حشد غفير من المشاركين، الجميع إلى العمل والبذل والعطاء والثبات والتمسك بحبل الله المتين حول القيادة الجديدة التي هي خير خلف لخير سلف.

في هذا اليوم ٢٩ من شعبان ١٤١٦ هـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٩٦ م وقف عشرات الآلاف من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشيعون أبو النصر ليبايعوا الأستاذ مصطفى مشهور مرشداً عاماً خامساً للإخوان المسلمون^{١١} في بيعة علنية جماعية رددوا خلالها ثلاثاً وراء الأستاذ لاشين أبو شنب -أحد قيادات الإخوان: [اللهم على الحق بايعناك.. اللهم على منهج رسول الله ﷺ بايعناك.. اللهم على كتاب الله تبارك وتعالى بايعناك]^(١).

وفي عصر اليوم التالي (الأحد) أقيم سرادق العزاء بجوار مسجد رابعة العدوية، الذي خرجت منه الجنائز، وسط استمرار الحصار الأمني الذي منع اقتراب السيارات من مكان العزاء حتى كيلو متر من المكان: مما أدى إلى حدوث ارتباك شديد في المرور لفترة طويلة، وتواصل العزاء عقب الإفطار، وشارك فيه عدة آلاف يتقدمهم مئات الشخصيات السياسية والإسلامية المعروفة، وشارك من الأردن خمسة من قيادات العمل الإسلامي وعلى رأسهم الأستاذ عبد المجيد الذنبيات -المراقب

(١) وصف متشددو الإخوان ماتم ببيعة المقابر ونشرت بعض الصحف هذا الوصف، فدافع بعض الإخوان بأن القانون الأساسي للإخوان لا يعرف البيعة ولكن يعرف الانتخاب، وقالوا إن ماتم في المقابر لم يكن سوى إعلان لقرار تم اتخاذه بطريقة قانونية من قبل مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة الذي انتخب مصطفى مشهور لخلافة سلفه محمد حامد أبو النصر عندما استحل عليه المرض.. وهذا ماتم بالفعل.

العام للإخوان بالأردن- والنائب حمزة منصور- المتحدث باسم كتلة العمل الإسلامي، كما شارك ممثل عن الإخوان في سوريا، ومن مصر شارك الدكتور محمد سيد طنطاوي -مفتي الجمهورية، وجميع قيادات الأحزاب السياسية (العمل - الوفد - الأحرار - الناصري - التجمع)، حيث ألقى معظمهم كلمات تأيينية سياسية امتدحت أسلوب الجماعة وتاريخها ومنهجها، وتحدثت عن الفقيد الراحل، كما ألقى الدكتور ميلاد حنا كلمة نيابة عن الأقباط أشار فيها إلى وطنية الإخوان وتاريخهم، وتحدث عن صلته بفضيلة المرشد الراحل، كما تحدث الدكتور حمدي السيد نقيب الأطباء وقدم عزاء النقابة، وألقى الأستاذ محمد فريد عبدالحال وهو من الرعيل الأول لدعوة الإخوان كلمة مؤثرة عن دور الإخوان ووطنيتهم وسلوكهم وعفتهم وعزتهم بالحق.

●● كلمة المرشد الجديد:

اختتم الأستاذ مصطفى مشهور المرشد العام الجديد لجماعة «الإخوان المسلمون» كلمات سرادق العزاء بكلمة قصيرة أكد فيها الثوابت في منهج الجماعة، وأنها تدعو إلى الإسلام الشامل، وتسعى إلى إقامة الدولة الإسلامية العالمية، وأنها ترفض العنف والإرهاب أيًا كان مصدره، وقال إن الإمام الشهيد حسن البنا جعل هدف الجماعة: [تحرير الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي، وإقامة دولة الإسلام على هذا الوطن].. وقال مشهور: [إن هدف الجماعة ليس هدفًا بسيطًا.. إنه إقامة دولة إسلامية عالمية لا يقاس الزمن فيها بعمر الأفراد ولكن بعمر الدعوات والأمم، ونحن لا نستطوع الزمن، ولكن المهم أن نسير على الطريق ونواصل السير ونورث الأمانة جيلا بعد جيل، حتى يحق الله الحق ويطل الباطل، لا بد أن ندخل في حسابنا العامل الرباني، ولا نقيس الأمور بمقاييس المادة فقط.. وقال: [إننا سنواصل السير على نفس الطريق دون انحراف كما سار به إمامنا الشهيد ومن بعده الأستاذ حسن الهضبي، والأستاذ عمر التلمساني، والأستاذ محمد حامد أبو النصر، سنسير على نفس الطريق إن شاء الله، وكلنا أمل أن المستقبل للإسلام إن شاء الله، ونشكر كل من شارك في هذا العزاء.. ونسأل الله أن يغفر للفقيد وأن يرحمه وأن يعفو عنه وأن يدخله مدخل صدق.. وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يجمعنا ومن سبقونا على الطريق.. في جنات النعيم.

●● أول حوار مع المرشد الجديد:

كانت [مجلة المجتمع الكويتية]^(١) أول صحيفة عربية تحاور المرشد العام الخامس للإخوان

(١) مجلة المجتمع الكويتية بتاريخ ١٠ من رمضان سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٣٠ من يناير ١٩٩٦ م العدد ١١٨٦ وحواره الأستاذ أحمد منصور مدير تحرير المجلة وقتذاك.

المسلمين بعد ساعات من إعلان البيعة له لتتعرف على آفاق المرحلة الجديدة للإخوان، وتصورات المرشد الجديد، ودورهم على الساحة المحلية والعالمية خلال الفترة القادمة.. فإلى نص الحوار..

س: يتحدث كثير من المراقبين عن دخول جماعة «الإخوان المسلمون» مع بداية قيادتكم لها مرحلة جديدة.. فما هي أهم ملامح وتصورات هذه المرحلة؟

ج: الإخوان لهم منهج ثابت، يتضمن أهدافاً ووسائل وأساليب لا تتغير بتغير مرشدهم، لأن القضية ليست مرتبطة بأشخاص بقدر ما هي مرتبطة بمبادئ وقيم ومثل وأهداف، تتمثل في إقامة الدولة الإسلامية والأسلوب المعتدل في الدعوة والسلوك، والبُعد عن العنف، والدعوة إلى الله بكل وسيلة متاحة دون مخالفة لقوانين البلد التي يقيم فيها الأخ، فهذا هو المنهج الدائم، لكن قد تتغير الظروف من بلد إلى آخر، فتحصل موازنة بين متطلبات الدعوة والظروف الأمنية بما لا يؤدي إلى صدام أو توقف.

س: لكن الفترة التي بدأ فيها الإخوان دعوتهم وعملهم قبل أكثر من سبعين عاماً أصبحت ظروفها وملامحها التاريخية والجغرافية متغيرة عن العصر الراهن.. أليس هناك توجه للأخذ بأسباب ووسائل جديدة لتطوير أداء الإخوان ووجودهم على الساحة العالمية؟

ج: الهدف الذي يسعى إليه الإخوان هدف كبير، يتمثل في إقامة دولة الإسلام العالمية، وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق في مدة قصيرة، ولكن يحتاج إلى إعداد كبير. الإمام البنا - رحمه الله - رسم هذا الطريق بالأخذ بوسائل التربية من خلال إعداد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، فيكون قاعدة صلبة يقوم عليها البناء، فهذا هو الهدف الذي يشغل الإخوان في كل مكان، إعداد الفرد والبيت والمجتمع، حتى تنهياً الأسباب حينما يقوم حكم إسلامي في أي بلد يقوم على قاعدة صلبة متينة لا تهتز، لأننا لا نريد أن يقوم البناء، ويتم، ثم ينهار بسبب الضعف في الأساس، فهذا هو منهج الإخوان، أما التغيير في ظروف الزمان والمكان فإنه يؤدي إلى استحداث الوسائل التي تناسب مع تحقيق الهدف دون إخلال بالعمل بصورة أو بأخرى.

س: في ضوء تحقيق هذا الهدف ما هو تعريفكم وتصنيفكم للمرحلة التي يمر بها الإخوان الآن؟

ج: المرحلة التي يمر بها الإخوان مرحلة بها ضغوط وتضييق، ومحن، وابتلاءات، وسجون، ومعتقلات، وهذه سنة الله في الدعوات الحقة، والإمام البنا قال للإخوان: (إن هذا هو طريق الدعوات، وهو نفس الطريق الذي سار فيها النبيون والمرسلون وأتباعهم على مدار

التاريخ ، وكان الإمام يوصينا بما أوصى به رسول الله ﷺ والمسلمين في مكة ، بالصبر والثبات ، وعدم التخلي عن الإسلام وعن الدعوة إلى الله ، وألا تستدرجنا هذه الضغوط إلى التهور أو العنف أو غير ذلك ، ولكننا نصبر ونثبت ونظمثن إلى أن الله سبحانه وتعالى سيؤيد هؤلاء الصابرين الثابتين إن شاء الله ولن يتخلى عنهم .

س: لكن بعض الذين يقرءون الأحداث يقولون إن الإخوان يعيشون في المحن منذ ما يزيد على خمسين عاماً، وإذا استمر وضعهم على ما هو عليه، فلن يخرجوا من المحن، ولن يستطيعوا تحقيق هدفهم المنشود.. فما هو تصوركم لهذا الطرح؟

ج : هذا التصور تصور مادي بحت ، لا بد أن ندخل العامل الرباني في القضية ، فالله سبحانه وتعالى لن يتخلى عن عباده ، ونضرب في هذا مثلاً ، فالصحابه كانوا حول رسول الله ﷺ في مكة مستضعفين ، وكانوا يُعذَّبون ويقتلون ، وحولهم المشركون في الجزيرة ، واليهود في المدينة ، والفرس والروم كأكبر دولتين في هذا العصر ، فمن كان يتصور أن هذه القلة المؤمنة ستنتصر على كل هؤلاء الأعداء ، وتطهر الجزيرة من الشرك والأصنام ويجلو اليهود ، وتفتح بلاد الفرس ، ويُغلب الروم ، ويتبدد الظلام ، ويعم النور ، ويمتد سلطان المسلمين إلى أطراف الدنيا؟ لكن الله سبحانه وتعالى كان مع المؤمنين ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ وَأَلْقَى اللَّهُ رَمِيًّا ﴾ [الأنفال: ١٧] والله سبحانه وتعالى وعد بنصر المؤمنين ، وبالتالي فإن المهم هو أن نكون مؤمنين حقاً ، وندعو الناس أن يكونوا مؤمنين حقاً ، وأن يلتزموا بإسلامهم ، فيكونوا أهلاً لتحقيق وعد الله بالنصر لهم ، فدوام الحال من المحال ورغم ما تعرضنا له من محن طوال الخمسين عاماً الماضية فإن الدعوة تنتشر وتقوى ، ويشتد عودها ، وهذه المحن تصقل الأفراد ، وتمحصهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

س: إذن فما هي الوسائل التي سعى الإخوان من خلالها للخروج من إطار المحنة والتضييق القائم عليهم لممارسة دورهم على الساحة دون قيود أو رضوخ للضغوط والمحن؟

ج : نحن نحاول أن نجد لنا باباً نبث من خلاله فكرتنا ودعوتنا ، وأريد هنا أن أؤكد أننا لسنا مخالفين للدستور حينما ندعو الناس إلى الإسلام الصحيح ، وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، لأن الدستور المصري ينص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ، وهذا ليس واجب الإخوان فقط ، وإنما هو واجب كل مسلم ومسلمة ، أن يحققوا مطالب الإسلام منهم ، فالإسلام ليس عبادة فقط ، ولكنه دين ودولة ، وهذا الدين لا بد له من دولة تطبق الإسلام وتحمي المسلمين من أعداء الله ، وترد كيد الأعداء

عنهم، فهذا واجب، لكن كثيراً من المسلمين غافلون عن هذا الواجب، والإخوان يدعونهم لتحقيق هذا الواجب والعمل على تطبيق الشريعة والحكم بالإسلام، ولو أن الحكومات قامت بتطبيق الشريعة فإن كل الإخوان سيكونون عوناً وجنداً لهم، ولكن هذا هو تكبير، فنحن ندعو إلى الله وندعو الرأى العام أن يناصر هذا المطلب ويقف معه حتى يتحقق.

س: هل هناك مساع يقوم بها الإخوان للبحث عن قنوات شرعية بديلة يمارس من خلالها الإخوان عملهم على الساحة حتى تحسم القضية المرفوعة منهم أمام القضاء بخصوص عدم وجود قرار بحل الجماعة عام ١٩٥٤م؟

ج: نحن طالبنا بأحقية وجودنا الرسمي، وأنه ليس هناك قرار بحل الإخوان، ورفعنا بذلك قضية في مجلس الدولة، ولا زالت القضية منظورة، وحينما فكرنا في إنشاء حزب منذ انتخابات ١٩٨٤م قالوا بضرورة وجود أحزاب رسمية، ففكرنا في عمل حزب، لكن قيل لنا إنه لن يسمح بقيام حزب ديني، والقوانين لا تسمح بحزب ديني لأنه سوف يتسبب في قيام فتنة طائفية، وهذا غير واقعي، فنحن علاقتنا بالمسيحيين من أجود العلاقات، وذلك منذ أيام الإمام البنا، والأستاذ الهضيبي، والأستاذ عمر التلمساني، والأستاذ أبو النصر، فهي علاقات جيدة، ويشهد بها الأقباط أنفسهم، فنحن نريد تشكيل حزب، لكن قيل لنا إنهم لن يوافقوا لنا على تأسيس حزب، ومع ذلك فقد سعى بعض شباب الإخوان وتقدموا ببرنامج حزب «الوسط» لأننا لم نحظر عليهم عمل هذا، وتقدموا بالفعل إلى لجنة شئون الأحزاب، وفي الغالب لن يوافق عليه، لكننا نحاول حتى يكون هناك حوار بيننا وبين الحكومة للتفاهم في أسلوب العمل، رغم أننا بعيدون عن العنف ولا نخالف القوانين أو أى شيء من هذا القبيل، ولكن مع هذا نجد هذا التضييق، وهذا التعسف والاعتقالات والمحاكمات، والمنع من الترشيح، وغير ذلك.

س: هل حزب الوسط يدخل في إطار المساعي التي يقوم بها الإخوان للبحث عن قنوات شرعية للتعبير عن وجودهم وممارستهم لعملهم على الساحة المصرية؟

ج: هذا الحزب.. حزب (الوسط) تبنى فكرته والقيام به بعض الإخوان ولم يكن هناك حظر على الإخوان للقيام بمثل هذه الأعمال ولكنهم قاموا كتجربة، فإذا تمت الموافقة عليه يكون خيراً، لأننا نود أن يكون عملنا علنياً وخالياً من السرية، وفي هذا إقامة للحجة على الحكومة في أنهم هم الذين يرفضون هذا الأسلوب ولا يوافقون عليه، فنحن بهذا نعذر وليس للحكومة حجة في منعنا من ممارسة العمل بشكل علني.

س: تقول بعض وسائل الإعلام إن مجيء مرشد جديد للإخوان كان له دور بارز وتاريخي في النظام الخاص، يعتبر نقلة جديدة في أسلوب وعمل الإخوان وأن الجماعة سوف تنهج الأسلوب المتشدد في المرحلة القادمة؟

ج: برنامج الإخوان، ومنهج الإخوان، وأسلوب الإخوان، لا يتغير بتغير الأشخاص، وكوني كنت في النظام الخاص السابق للإخوان الذي كان دوره مرتبطاً بقضية محاربة اليهود في فلسطين والإنجليز في مصر أثناء احتلالهم لها، وقام النظام الخاص بدور جيد في هذين الجانبين، وانتهى هذا الأمر، فليس معنى هذا أنني أحمل منهج العنف أو التشدد، أو أي شيء من هذا القبيل، ويعلم الله أنني بعيداً تماماً عن مثل هذه الأساليب، لكنها كانت ظروف احتلال فلسطين والاحتلال البريطاني في مصر، والحمد لله ليس لدى أي نوع من التشدد أو التطرف، وما هذه الدعاية إلا محاولات مغرضة لمحاولة تشويه الصورة وتفسير الناس، وهم الآن يحاولون إلصاق التهم بنا بأننا على صلة بالجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد، ولكن لم يثبت ذلك وليس لنا بالفعل أية صلة، بل استنكرنا العنف في الحوادث التي حدثت، ومنذ خروجنا من السجن في أوائل السبعينيات وحتى الآن حدثت حوادث كثيرة لم يشترك واحد من الإخوان في أي حادث من هذه الحوادث.

س: على امتداد تاريخ الإخوان منذ نشأتها في عام ١٩٢٨م وحتى الآن تداول قيادة الجماعة أربعة مرشدين، وكان لقيادة كل منهم مرحلة لها ما يميزها من خصائص، وكان لشخصية كل مرشد انعكاساتها على الجماعة وعلى وضعها، سواء المحلي أو العالمي.. فما هو برنامج المرشد الخامس [الإخوان المسلمون] الأستاذ مصطفى مشهور؟

ج: الظروف سيكون لها دور كبير في تحديد هذا البرنامج، فالإمام البنا كان دوره توضيح عقيدة الإسلام، وكان ينفي عنه البدع والخرافات، ويوضح متطلبات الإسلام من كل مسلم، وضرورة إقامة الدولة والاهتمام بالتربية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان هذا دوراً مهماً جداً في بداية الدعوة، ثم جاء بعد ذلك الأستاذ الهضيبي، وكانت مرحلته مرحلة محن، وكانت شخصيته مناسبة جداً لهذه المرحلة، بثباته وصلبه وجلده، فكان مناسباً لهذه المرحلة، ثم حينما خفت المحن وجاء الأستاذ عمر التلمساني كان مطلوباً أن تفتح على العالم، ونبين حقيقة الإخوان، وقد عاد نشاط الإخوان بارزاً في مصر بالفعل، وعادت مجلة «الدعوة» للصدور، وانتشرت دعوة الإخوان في أنحاء شتى من العالم، وحينما توفاه الله كان الأستاذ أبو النصر امتداداً لهذه المرحلة، وإن كانت في آخرها حدثت محنة الاعتقالات والمحاكمات العسكرية، مثل ما حدث في الانتخابات وغير ذلك.

أما نحن فإننا نوائم بين متطلبات الدعوة والظروف الأمنية التي تفرض ظلالها وأثارها على الأسلوب وعلى العمل، ولكن نحن يهمننا جداً أن نوضح أن الإسلام دين السلام، ودين الحرية، ودين العدل، ودين الرحمة، وننفي عنه كل هذه التهم التي تُلصق به مثل مصطلحات «الأصولية» والتشدد، وغير ذلك وكذلك نؤكد أن الإخوان ملتزمون بالأسلوب المعتدل، ولا يريدون إلا الإصلاح، ويحبون وطنهم كأخلص الناس لوطنهم، وأنا نرى أن الإسلام هو الحل الأمثل والوحيد لإصلاح كل أزمات المجتمع، لأنه من عند الله الذي خلقنا ويعلم ما ينفعنا وما يضرنا، أما غيره من النظم الأخرى فكلها من صنع البشر، فنحن نريد أن نوضح للناس جميعاً بالأسلوب المعتدل ودون مخالفة للقوانين ما استطعنا، بأن الإسلام هو الحل الأمثل والوحيد لكل مشاكل البشرية.

س: هل معنى ذلك أن يترقب الناس أداء غير تقليدى للإخوان فى ممارسة العمل الدعوى السياسى بشكل عام خلال الفترة القادمة؟

ج: ليس هناك شىء اسمه تقليدى أو غير تقليدى، فكل الوسائل المتاحة لنا لنشر الدعوة وتعريف الناس بالإسلام وغير المخالفة للشرع أو الإسلام، سوف نستغلها حتى وإن وقفنا على الدعوة الفردية التى يقوم من خلالها كل فرد بدعوة غيره إلى الإسلام الصحيح، لأن الإمام البنا حينما قال الفرد والأسرة والمجتمع فليس معنى المجتمع هنا أن يصبح كل الناس من «الإخوان المسلمون» ولكن معناها أن يكون كل فرد مسلماً فى ذاته، ملتزماً بإسلامه، ويؤمن أن الإسلام هو الحل، وهذا ما ندعو الناس إليه بأية وسيلة نتاح ولو حتى فى الدعوة الفردية.

س: هل يوجد لديكم توجه فى هذه المرحلة لطلب عقد لقاء مع القيادات السياسية فى مصر أو رئاسة الحكومة لمحاولة كسر الطوق المضروب على الإخوان، وفتح قناة جديدة للحوار؟

ج: نحن نتمنى ذلك وندعو إليه، وطالب به الأستاذ مأمون الهضيبى -الناطق الرسمى باسم الإخوان- فى بعض أحاديثه، ونحن نأمل بأن تتاح الفرصة للقاء للحوار مع بعض المسئولين، ولكن للأسف هم يغلقون أبوابهم دوننا ولا يتيحون لنا مثل هذه الفرصة، ومن المفروض أن يحدث تفاهم ووضوح رؤيا، فنحن لسنا طلاب حكم لذاته ولا ننافسهم فى الحكم، ولكن كل ما نريده هو أن يطبقوا شرع الله، وقبل ذلك حدثت دراسات فى البرلمان حينما كان الدكتور صوفى أبو طالب رئيساً لمجلس الشعب، وأعد الشيخ صلاح أبو إسماعيل -رحمه الله- دراسات لتطبيق الشريعة، لكنها وضعت فى الأدراج ولم يُنظر إليها، فهذا هو الذى نطالب به وندعو الناس جميعاً لمطالبة به وتطبيقه، فنحن نتمنى أن يحدث لقاء، ويكسر هذا الطوق ونتفاهم بشكل صحيح حتى لا يحدث عدم استقرار فى البلاد.

س: ما هي رؤيتك المستقبلية للدور الذي يمكن أن تقوم به جماعة الإخوان المسلمين، على الساحة العربية والدولية.

ج: نحن كما نفعل في مصر، ونطالب بتطبيق الشريعة والإسلام الصحيح، فالإخوان في كل قطر يدعون لمثل هذا الأمر، والحمد لله هناك تقدم وإن كان بطيئاً، ولكن تتكون هناك قاعدة ورأى عام يؤازر ويناصر هذه القضية مع مرور الزمن، كذلك فنحن نتعاون أيضاً مع الجماعات الأخرى في قضية الإسلام العام، لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة وليست مشتتة إلى أقطار مستقلة، فنحن ندعو إلى وحدة المسلمين، وإلى الهدف العام وهو إمامة الدولة الإسلامية، وهذه الصحوة التي ظهرت في بعض البلاد الإسلامية دليل على أن هذا الهدف سيتحقق تدريجياً إن شاء الله، ولعل نتائج الانتخابات التركية وفوز حزب الرفاه بالمرتبة الأولى في الانتخابات وحزب الحكومة في المرتبة الثانية، دليل على بوادر هذه الصحوة الإسلامية، وفشل النظم الأخرى في تحقيق الهدف الكبير، وهذا الهدف هو إقامة دولة الإسلام العالمية الذي لا يقاس بعمر الأفراد ولكن بعمر الدعوات والأمة فيأخذ بعض الوقت ونحن لا نستطيع هذا الوقت لأن أساس أي بناء وأهم مرحلة فيه، وأشق مرحلة أيضاً هي الأساس والقاعدة التي يقوم عليها البناء، والأساس دائماً تحت الأرض ويكون غير ظاهر فلا نتعجل ولا نعتبر أن هذا الوقت ضائع، أو ليس وراءه نتيجة، لأن إعداد الفرد والأسرة والمجتمع هو الأساس، وحينما يكتمل بناء هذا الأساس في كثير من الدول الإسلامية، تقوم حكومات إسلامية ثم تتحد لتكوّن الدولة الإسلامية العالمية حتى ولو بعد حين، ويتحملون التضحيات والإيذاء وغير ذلك، لأن هذا الإيذاء هو صقل وتمحيص للأفراد الذين يتم بهم البناء.

س: في بداية توليكم مسئولية قيادة جماعة الإخوان المسلمين، التي وصفها المؤرخون بأنها كبرى الحركات في التاريخ المعاصر.. لو أن هناك كلمة توجهونها للإخوان، فما هي هذه الكلمة التي توجهونها إلى الإخوان خصوصاً وإلى المسلمين على وجه العموم؟

ج: أريد أن أؤكد ألا يدخل في ذهن الإخوان أو المسلمين عموماً أي لون من ألوان لباس أو الإحباط أبداً، ولا نقيس الأمور بالمقاييس المادية بأن الأعداء يحاربون الإسلام في كل مكان، ولديهم أسلحة، ومدافع وطائرات وغير ذلك، وأن المسلمين مستضعفون ومتفرقون، لكن لا بد أن ندخل العامل الرباني، وأن الأمر بيد الله، والنصر من الله، وأن المستقبل للإسلام، لأن هذا الدين ارتضاه الله للناس كافة وحتى قيام الساعة، فلا يمكن أن يقضى عليه مهما عمل الناس، فلا بد أن نبعث الأمل في النفوس ونثبت ونصبر، ويكون لدينا الاطمئنان بأن الله سبحانه وتعالى لن يتخلى عنا.. بإذن الله.

الفصل الثالث:

متطلبات القيادة

فى التوطئة التى مهدنا بها الولوج إلى هذا الباب، أثبتنا ما ذكره أستاذنا عن مدى ثقل أمانة القيادة ومدى عظم مسئولياتها من خلال أسبابها، وذلنا هذه التوطئة بسؤال رد عليه أستاذنا هو: ما المطلوب من قيادة الجماعة؟ . .

أما فى هذا الفصل فسنعرض لبعض الأمور التى يلزم أن تراعى من قبل من يكونون فى موضع مسئولية لتكون عوناً لهم، وكذلك سنعرض لأمثلة عن أخلاق وصفات القادة، ثم لبعض الملاحظات والتوصيات. . ثم نختم هذا الفصل ببعض الأمور والآداب المتبادلة بين القيادة والجنود.

ونذكر هذه الموضوعات كما يراها أستاذنا ونقلها كما كتبها فى كتاب: [القائد القدوة على طريق الدعوة]، وإذا كان هناك تعليق أو إضافة فسنقوم بواجبنا ما استطعنا بعون الله تعالى .

•• حول ما يعين على القيام بأمانات القيادة^(١)؛

يستعرض أستاذنا بعض الأمور التى يلزم أن تُراعى فى القيادة والمسئولين لتكون عوناً لهم، يقول: [وهذه الأمور أو الملاحظات تتبع من منطلق إيماننا بأن الأمور كلها بيد الله، وأننا لن نستطيع أن ننجز أعمالاً أو نحقق أهدافاً إلا بتوفيق الله وعونه مهما كانت كفاءاتنا، أو قدراتنا الشخصية، فلا سهل إلا ما جعله الله سهلاً.

أولاً: من أوجب الأمور اللازم توفرها عند المسئول، الإخلاص لله والصدق معه، فذلك يجلب له توفيق الله وعونه، ويجمع عليه المخلصين الصادقين الذين يقفون معه ويعاونونه بكل الإخلاص والصدق، أما إذا خالط المسئول شىء من رياء أو حب للظهور أو الزعامة أو غير ذلك فقد لا تحقق له ما سبق ذكره من عون الله وتوفيقه وكذا معاونة الصادقين المخلصين، بالإضافة إلى تعرض عمله للإحباط والعياذ بالله .

ثانياً: ومع توفر الإخلاص يجب أن تستشعر القيادة مراقبة الله الدائمة لها فى كل أوقاتها وأعمالها، بما يدفع إلى المسارعة إلى الخير وإلى إتقان العمل والرقى به إلى مرتبة الإحسان .

(١) القائد القدوة على طريق الدعوة، ص ٤٩٥ - ٤٩٧ .

ثالثاً: الاستعانة بالله في كل الأحوال وفي كل الأمور ودوام اللجوء إليه والفرع إليه عند الشدائد والعقبات، والتحرز من الشعور بأن النجاح في الأعمال يرجع إلى الكفاءة والقدرة والتخطيط فقط، ولكن لا بد من العلم أن هذه كلها أسباب وأن الأمور كلها بيد الله.

رابعاً: ضرورة إحساس القائد أو المسئول بأمانة القيادة إحساساً كبيراً يدفعه إلى السهر عليها والإحاطة بها، وإلى اليقظة والانتباه والتفاني في العمل وبذل الجهد للقيام بأعبائها، وتوفير الإمكانيات اللازمة والاستفادة من كل جديد، أما إذا قل إحساس المسئول بأمانة مسئوليته غالباً ما تفتت همته عن أدائها على الوجه الأكمل حتى لو توفرت له الإمكانيات والوسائل الحديثة.

خامساً: اهتمام القيادة بقضية التربية وإعداد الرجال والعمل على تحقيق الإيمان القوى الذي هو بمثابة الأساس المتين في بناء شخصية الأفراد وبه يتحقق وعد الله لعباده المؤمنين بالثبوت والتأييد والنصر والتمكين، كما أن الاهتمام بالتربية يخرج أفراداً جيدين يتحملون المسؤوليات ويخففون عن القيادة بعض أعبائها في جو يسوده الحب والتعاون، ويبعداً عن المشاكل والخلافات.

سادساً: ما يعين القيادة كثيراً تركية معاني الحب والأخوة في الله بين الأفراد عموماً وبينهم وبين القيادة، والشورى والتعاون، والتغلب على العقبات، في حين أن عدم توفر الحب يبرز معه الخلاف ويفسد جو التعاون بل ويزيد الأعباء على القيادة.

سابعاً: أن تهتم القيادة بالتخطيط وتحديد الأهداف والمراحل والوسائل والإمكانيات، وتوزيع الأعمال والمهام على مختصين أكفاء، مع وضع النظم واللوائح التي تنظم سير العمل وحسن أدائه، مع متابعة التنفيذ والاطمئنان على سير العمل وانتظامه وتذليل العقبات في الطريق.

ثامناً: أن تستشعر القيادات الفرعية، بل كل أفراد الجماعة، ثقل الأمانة وضرورة معاونة القيادة في القيام بأعبائها، مما يدفع كل فرد أو مسئول في موقعه إلى أداء واجبه وسد الثغرة التي يقف عليها، وإلى تقديم النصح أو الاقتراحات للقيادة بما يعينها على أماناتها في جو من الأخوة والحب والتقدير.

تاسعاً: أن تحرص القيادة على بعث الأمل وحفز الهمم والعزائم في الأفراد وحمائيتهم من كل معاني الشيطان أو الشعور بالإحباط إزاء المحن والعقبات، ويفيد في ذلك التذكير بعوامل النجاح التي ذكرها الإمام الشهيد والتي لا تقف أمامها عقبة من العقبات وهي: قوة دعوتنا إذ

إنها دعوة الله وهي أسمى الدعوات، وحاجة العالم كله إليها، فكل ما فيه يهد لها ويهيئ سبيلها، وإننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية والمنافع الذاتية ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ثم إننا نترقب تأييد الله ونصره، ومن نصره الله فلا غالب له.

عاشراً: نختم هذه الأمور بهذه المعانى المهمة التى ذكرها لنا الإمام الشهيد فى هذا المجال حيث قال: [ولقد كنتُ ولازلت أقول للإخوان فى كل مناسبة: إنكم لن تغلبوا من قلة عددكم ولا من ضعف وسائلكم ولا من كثرة خصومكم، ولا تألب الأعداء عليكم، ولو تجمع أهل الأرض جميعاً ما استطاعوا أن ينالوا منكم إلا ما كتب الله عليكم. . ولكنكم تُغلبون أشد الغلب وتفقدون كل ما يتصف بالنصر والظفر بسبب، إذا فسدت قلوبكم ولم يصلح الله أعمالكم أو تفرقت كلمتكم واختلفت آراؤكم، أما ما دتم على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى أخذ فى سبيل طاعته سائر نهج مرضاته، فلا تهنوا أبداً. . ولا تحزنوا أبداً وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم].

•• أخلاق وصفات لازمة للقيادة والمسئولين^(١)

القائد أو المسئول فى أى موقع يعتبر قدوة لغيره، ورمزاً للجماعة يعبر عنها فى كل ما يصدر عنه من قول أو عمل، ثم إن الناس - وخاصة الخصوم - ينظرون إليه بمجهر مكبر.

ومن هذا المنطلق ولأهمية العمل الجماعى فى حقل الدعوة وخطورة نتائجه، لزم توفير أخلاق وصفات أساسية فىمن يتولون قيادة ومسئولية فى الجماعة، ولما كان زعيمنا وقائدنا على طريق الدعوة هو رسولنا ﷺ فعلى كل قائد أو مسئول أن يجعله المثل الأعلى له فيقتدى بأخلاقه وصفاته ومعاملاته وتصريفه لشئون القيادة والحركة بالدعوة.

وسنعرض هنا لبعض الصفات والأخلاق اللازم توافرها عند القادة والمسئولين:

١- أن يكون من طلاب الآخرة مخلصاً الوجهة لله:

ذا قلب سليم خال من أمراض القلوب التى تحبط الأعمال كالرياء وحب الجاه والمنصب وحب الزعامة أو الغرور أو غير ذلك.

٢- أن يكون ذا عقل راجح:

ذا حكمة وتجربة وسعة اطلاع وقدرة على الإحاطة بالأمر وسرعة فهمها وحسن تصريفها. ولا يكتر عنده النسيان أو انغلاق التفكير فى مواقف الإثارة والغضب، فكثيراً ما

(١) المرجع السابق - ص ٤٩٧ - ٥٠٨.

يتعرض لظروف متغيرة وقضايا متعددة منها ما يثير ومنها ما يقبض الصدور، ولا بد له من التصرف الحكيم العاقل إزاء كل عقبة أو موقف، وعليه في مثل تلك المواقف أن يتذكر قول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

٣- أن يكون متخلفاً بالحلم والأناة والرحمة ولين الجانب:

فالمستول يتعرض إلى أصناف شتى من الناس، منهم الجاهل أو الأحمق، فعليه أن يسعهم بحلمه وأن يعمل على كسبهم أو على الأقل عدم كسب عداوتهم، وصدق الله العظيم حيث يقول لرسوله الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والأناة والحلم من الأخلاق التي حث الشارع عليها ورغب فيها ومدح أصحابها.

٤- الرفق:

خلق لازم لمن هم في موقع القيادة، مضاده العنف، وأحاديث رسول الله ﷺ عن الرفق معلومة منها ما جاء في الصحيح عن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»^(١) وعنها أيضاً في الصحيحين قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فرفق به»^(٢).

٥- الشجاعة والمروءة وعدم الجبن والتهور:

فما أخطر على الجماعة من قائد جبان ومتهور، وأصل الشجاعة ثبات القلب والثقة بالله وخلو القلب من الوهن الذي هو حب الدنيا وكرهية الموت.

وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب. والتهور هو الاندفاع دون دراسة أو معرفة أو تقدير لعواقب الأمور، ولما كان الأفراد يقتدون بقيادتهم لذلك تبرز أهمية هذه الصفات عند القيادة.

٦- الصدق:

خلق أساسي لازم لكل أخ، وأن يتحرى الصدق دائماً، وذلك على المستول أوجب وألزم، فبالصدق تتوفر الطمأنينة إلى القيادة وتعلو الثقة بها، وذلك أمر أساسي في العمل

(١) رواه مسلم برقم ٢٥٩٣.

(٢) رواه مسلم برقم ١٨٢٨.

الجماعى، وبالكذب ولو قليلاً توجد الريبة وتهتز الثقة أو تفقد، وما أخطر ذلك على العمل الجماعى .

وعلى القائد أو المسئول أن يثبت مما ينقل إليه، وألا يتسرع بترديد ما يصله، ففى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى قال: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»^(١).

٧- التواضع وعدم التعالى على الغير:

فبالتواضع تجتمع حول القائد القلوب، والتعالى يباعد عنها، تماماً كما أثر لىن الجانب وغلظة القلب . والتواضع هو خلق رسول الله ﷺ القائد والقدوة الذى اختار أن يكون عبداً نبياً وليس ملكاً نبياً . . والله سبحانه يقول له فى القرآن: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

ومن صفات المؤمنين الذين يحبهم الله ويحبونه أنهم ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] وفى موضع آخر: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وفى الحديث الشريف عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»^(٢) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٣) رواه مسلم .

والتواضع أيضاً هو الخضوع للحق والانقياد له . . وتواضع القيادة يتوفر جو التعاون والمشورة وعدم الحرج أو الهيبة التى تحول دون ذلك .

ونلفت النظر إلى أنه قد يداخل البعض شىء من الزهو عندما يتحقق على يديه خير أو نصر للدعوة، والأصل فى هذه المواقف التواضع وشكر الله وإرجاع الفضل لله . ولنا فى حال رسول الله ﷺ عند دخوله مكة فاتحاً متصراً الأسوة الحسنة .

٨- العفو وكظم الغيظ والإحسان للمسىء:

فالذى فى موقع مسئولية كثيراً ما يتعرض إلى مواقف شتى وقضايا مختلفة وأشخاص متباينين، وقد يتعرض إلى إساءات واستفزازات من أفراد أو من جهات معينة، وغالباً ما تكون الجماعة هى المقصودة بذلك فى شخصه، فواجبه أن يتحلى بصفات العفو وكظم الغيظ

(١) رواه أبو داود برقم ٤٩٩٢ وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٢٥ .

(٢) رواه مسلم برقم ٢٨٦٥ .

(٣) رواه مسلم برقم ٢٥٨٨ .

والإحسان، فذلك من شأنه أن يجمع الناس على الجماعة التي يمثلها، أما المسئول الذي ينفذ غضبه ولا يعفو ويقابل الإساءة بالإساءة، فلا شك أنه يسىء إلى جماعته ويكسب لها كل يوم أعداء، بل قد يفر من جنودها الأصليين الكثير نتيجة هذا السلوك. وآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تحثنا على هذه الأخلاق، فمن صفات المتقين: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣].

ثم هذا التوجيه الرباني المؤثر: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وكلنا يعرف موقف الرسول ﷺ عندما جذبته أعرابي بردائه جذبة شديدة أثرت في عاتقه وهو يطلب منه مالا، وكيف التفت إليه الرسول وضحك ثم أمر له بعتاء: وغير ذلك من المواقف كثير.

ثم إن إنفاذ المسئول لغضبه قد يورطه في أخطاء أو مواقف لا تليق بمكانته ومكانة الجماعة التي يمثلها، وينعكس ذلك على المصلحة العامة للدعوة، كما يراعى ألا يؤدي العفو إلى ذل أو مهانة لا تليق، وإلى مفسدة تربو على مصلحة شرعية.

٩- الوفاء بالعهود والوعد:

هذا الخلق من ألزم الأخلاق للمسلمين عموماً وللعاملين في الجماعة خصوصاً، وهو بالنسبة لمن منهم في موقع المسئولية أكثر إلزاماً، فهذا الخلق يعكس على جو العمل الثقة والاطمئنان، والتعاون والإنتاج، بخلاف عدم الالتزام أو الوفاء بالوعد والعهد خاصة من المسئولين، فإن ذلك يعكس عدم الثقة أو الشك في تنفيذ ما اتفق عليه من أمور، أو عدم الاطمئنان إلى توفير اللازم لإنجاز عمل ما، وبالتالي يتعثر العمل والإنتاج في حق الدعوة.

وإذا سرت روح عدم الوفاء بالعهد بين أفراد الجماعة، فسيؤدي ذلك إلى عدم الالتزام بمواعيد اللقاءات أو المدد المحددة لتنفيذ ما يعهد إليهم القيام به من أعمال إلى غير ذلك، وغنى عن البيان أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين وأن خلف العهد من صفات المنافقين.

ولقد كانت أركان البيعة عندنا من أهم ما يلزم الوفاء به من قبل القيادة والأفراد، فهي بيعة مع الله والنكث في أي ركن هو نكث في تلك البيعة، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ويزكى الله الصادقين فى عهودهم بقوله تعالى: ﴿ من المؤمنين رجال... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ... إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

١٠- الصبر:

معلوم لدينا أن طريق الدعوة طويل وشاق ومحضوف بالمكاره وملء بالأشواك والعقبات والمحن والابتلاءات، فما ألزم الصبر والمصابرة والنفس الطويل لمن يسلكون طريق الدعوة، وإذا لزم ذلك لكل فرد فهو لمن فى موقع المسئولية ألزم، لأنه قدوة لغيرهم خاصة فى أوقات الشدة. ثم إن المهمة التى تتصدى لها عظيمة، وكبيرة وتحتاج إلى جهود كثيرة وإلى وقت طويل، وذلك يرتب على القيادة مداومة الإحاطة بكل مجالات العمل وتدبير الأمور وتوزيع الأعباء ومتابعة التنفيذ ومعالجة العيوب وحل المشاكل والخلافات، وكل ذلك يحتاج من القيادة قسطاً كبيراً من الصبر والمصابرة مع الحلم والحكمة كى تواصل الجماعة مسيرها لتحقيق أهدافها دون أن يتعرض العمل إلى تعويق أو توقف أو انحراف - وقد حثنا الله على الاستعانة بالصبر والصلاة فى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة: ١٥٣].

كما دعانا إلى الصبر والمصابرة والمرابطة فى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ورغبنا فى ثوابه إزاء الصبر بقوله: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر: ١٠].

١١- العفة والكرم:

من الصفات المهمة التى يجب على كل أخ بصفة عامة وعلى المسئولين بصفة خاصة الاتصاف بها، عفة النفس وعدم خضوعها للشهوات أو النزوات، وعدم التطلع إلى ما عند الغير من متاع الدنيا، إذ إن الاستجابة لذلك دليل ضعف الإرادة الذى لا يتناسب وما جندنا أنفسنا له من جهاد مرير ضد أعداء الله، ثم إن المسئول الذى يخضع لشهواته ونزواته يسقط من أعين الناس ويفقد تقديره واحترامه. فليحذر المسئول أن يصيب كسباً مادياً له أو لأحد من أقاربه من خلال موقع مسئوليته.

كذلك على من فى موقع قيادى أن يكونوا قدوة فى الكرم والجود اقتداءً بقدموتنا ﷺ وكذلك بالأنصار الذين ضرب الله بهم المثل فى الإيثار فى قوله تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩].

١٢ - الورع والزهد:

إن المسئول الذى يتحلى بالورع والزهد فيتحرز من الشبهات ويترك ما لا بأس به حذراً مما فيه
بأس، ويحاسب نفسه فى كل أحواله وأوقاته، لاشك أنه يعطى القدوة الحسنة لإخوانه ويضفى
على موقع القيادة منزلة سامية، وينفى عنها أى شبهة استغلال أو منفعة شخصية، وينعكس ذلك
على الجماعة بما يجعلها موضع التقدير والإعجاب. أما المسئول الذى لا يتحلى بالورع ولا يتحرز
من الشبهات فإن الأفراد بعده سيكونون أكثر تجاوزاً ووقوعاً فى الشبهات بما قد يعرضه للوقوع فى
الحرام بالإضافة إلى أنه يسىء إلى الجماعة من موقع مسئولته. والتحلى بالورع يوصل إلى التحلى
بالزهد فلا يتعلق المسئول بأمور الدنيا ومتاعها ويخلص لله فى كل أحواله دون جواذب أرضية.

١٣ - العدل والإنصاف ولو من نفسه:

الانصاف بالعدل والإنصاف من أهم وألزم الصفات للقائد أو المسئول فى عمل جماعى،
كى يطمئن كل فرد على حقوقه وعلى إنصافه، فينتقل فى عمله بثقة واطمئنان ويسود جو
العمل الصدق والإخلاص والاستقرار والإنتاج، أما إذا عرف عن المسئول جور أو محاباة أو
عدم إنصاف فلا يتحقق الاطمئنان والانطلاق فى العمل فى جو من الثقة والاطمئنان، ويحل
خلق التزلف عند البعض محل الصدق والإخلاص ويفسد جو العمل، فليحرص كل مسئول
على العدل والإنصاف حتى من نفسه، وعليه أن يعدل عن الخطأ إذا تبين له أنه خطأ ولا يصبر
عليه، ولا يحابى أحداً على حساب أمانة المسئولية، وألا يتسرع فى الحكم فى أى قضية قبل
سماع الطرف الآخر، ولعله من المفيد إحالة الفصل فى الخلافات إلى جهة تفصل فيها لتظل
علاقة المسئول بالجميع طيبة سليمة.

١٤ - البعد عن المن والحديث عن النفس:

عندما يجرى الله خيراً للإسلام على يد قائد أو مسئول، عليه أن يرجع الفضل فى ذلك إلى
الله سبحانه وتعالى ولا يرجعه إلى نفسه أو إلى تخطيطه وكفاءته، ولا يمين بذلك، ولكن عليه
أن يحمد الله على توفيقه وتيسيره الأمور له بما حقق ذلك الخير. وعليه ألا يتشوف إلى ثناء
الناس عليه ومدحهم له، تحرزاً من الرياء الذى يحبط العمل، وعليه ألا يتحدث عن نفسه
وإنجازاته فى حقل الدعوة أو عن الجهود التى يبذلها فى هذا المجال.

١٥- المحافظة على حرمان الله:

من أوجب ما يراعيه المسئول في الجماعة أن يكون حارساً يقظاً وأميناً على حرمان الله وتعاليم الإسلام من أن يحدث لها انتهاك أو تجاوز في جماعته ومجال عمله، فلا يتساهل أو يتهاون إزاء أى تفريط أو عدم التزام بشيء من ذلك، فما قامت الجماعة إلا لإقامة شرع الله فى الأرض، وإلزام الناس بتعاليم الإسلام، فأفراد الجماعة وقيادتها أولى الناس بهذا الالتزام. وأن أى تفريط لا يقابل بالحزم يسرى كالميكروب فى جسد الجماعة فيفسدها وياعد بينها وبين أهدافها كما يبعد الصادقين المخلصين عنها، والوقاية خير من العلاج، فعلى المسئول أن يسهر على المحافظة على حرمان الله وتعظيمها بين أفراد الجماعة: ﴿ وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠].

١٦- سلامة الصدر وعدم السماع للغيبة أو النميمة:

من أخطر الأمور وأضرها بالعمل الجماعى أن يصغى المسئول إلى من يسرون بالغيبة والنميمة فى صف الجماعة، إذ إن سماعه يعنى ضمناً إقراره لسريان هذا الداء الخطير، وهذا مدخل كبير للشيطان من شأنه أن يوقع العداوة والبغضاء بين أفراد الجماعة ويحدث الفرقة والتصدع. ثم إن المسئول ولا شك سيتغير قلبه نحو بعض الأفراد نتيجة ما نقل عنهم وتهتز الثقة فيهم، وينعكس ذلك لا محالة على العمل وجو التعاون والإنتاج. فالأفضل ألا يستمع المسئول إلى غيبة، وقد وجهنا الرسول ﷺ إلى هذا المعنى فى حديثه الذى يقول فيه: «لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»^(١) رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

ولعل أسلوب المواجهة يعين على وقف هذا الداء وعدم تكراره أو انتشاره.

١٧- العزم والتوكل وعدم التردد:

كثيراً ما يتعرض القائد أو المسئول إلى مواقف وتبعات ثقال، وإلى أحدث لها نتائجها الخطيرة، ومطلوب منه أن يواجه ذلك كله بعزم وقوة وحكمة دون ضعف أو تردد أو استسلام، فبعد أخذه بالأسباب واستشارته واستخارته عليه أن يعزم ويتوكل على الله محسناً الظن بالله الذى بيده الأمر وهو على كل شيء قدير. فإن التردد أو الضعف يؤدي إلى نتائج خطيرة وبلبله

(١) أبو داود برقم ٤٨٦٠ والترمذى برقم ٣٨٩٦. . ضعفه البيهقى فى شعب الإيمان ٧/ ٣٥٥٠ وضعفه الذهبى فى المذهب ٦/ ٣٢٧٣ والألبانى فى ضعيف سنن أبى داود ٤٨٦٠ وفى ضعيف مسند الترمذى ٣٨٩٦. . ولكن صححه أحمد شاكر فى مسند أحمد ٥/ ٢٨٦.

فى الصف وربما يؤدى ذلك إلى الفرقة والفشل أو الهزيمة أمام الأعداء . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحثنا على العزم والتوكل على الله منها قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فانقلبوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

١٨ - القصد والاعتدال فى الأمور:

لما كان القائد أو المسئول فى الجماعة يدير عملاً ضخماً ويقود جمعاً كبيراً تتفاوت فيه الطاقات والقدرات ، فلا بد له أن يسلك طريق القصد والاعتدال وأن يبتعد عن الغلو أو التفريط ، ويتعدى عن التسرع أو الإبطاء وكذا عن التهور والجبن ، إذ لا يصلح شىء من ذلك ، ولكن الاعتدال دائماً أفضل وأمن للعواقب وأقل تعريضاً للمزالق والمخاطر . كما أن الاعتدال يساعد على اجتماع الكلمة وتوحيد الصف ، بخلاف الغلو الذى قد يستهوى البعض ولا يرضى عنه الجمهور .

ثم إن طول الطريق وثقل الأمانة يستلزمان الاعتدال لضمان مواصلة السبيل لتحقيق الأهداف دون انحراف أو تعويق أو قعود .

١٩ - الثبات مع الحق دون اهتزاز أو تغيير:

طريق الدعوة كما خبرناه مليء بالأشواك والعقبات والمواجهات المتكررة مع الباطل وأهله ، فواجب القيادة أن تكون مثلاً للثبات مع الحق وعدم الاهتزاز أو التطير خاصة فى أوقات الشدة أو الأزمات ، وفى تلك الأوقات تتعلق الأنظار بالقيادة ويكون لمواقف القيادة الأثر الفعال فى النفوس ، فكلما وجد الأفراد قيادتهم ثابتة مطمئنة لم تضعف أو تلتفت قناتها أمام الباطل كلما حذوا حذوها ، وكلنا يذكر موقف الرسول ﷺ فى أحد وحين وكيف كان لذلك الأثر الكبير فى تغيير الموقف .

٢٠ - تجنب التشاؤم أو الإفراط فى التفاؤل:

التشاؤم واليأس ليسا من شيم المؤمنين مهما اشتد الظلام والظلم ومهما كثرت العقبات وتضخمت ، فإننا نستعين بالله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ثم إننا نعمل ونأخذ بما استطعنا من أسباب مشروعة ، ولسنا مسئولين عن النتائج ، والأمور تجري بتقدير الله

وحكمه . وإذا أضفنا إلى ذلك عوامل النجاح التي ذكرها الإمام الشهيد والتي أشرنا إليها سابقاً فلن يداخلنا بأس أبداً ولكن الأمل يميلاً قلوبنا بالنصر والتمكين . فعلى المسئول أن يتمثل هذا المعاني وأن يوجه الأفراد إليها ، كما أن عليه هو وإخوانه ألا يفرطوا في التفاؤل ، فإن هذا الإفراط يمكن أن يوصل إلى اليأس أو الإحباط عندما لا يتحقق الخير أو النصر السريع ، حيث إن المهمة كبيرة والطريق طويل والإنسان عجول والله لا يعجل لعجلة أحدنا .

ثم يختم أستاذنا هذه الصفات بنصيحة لمن يتصدون للقيادة والمسئولية ، أن يتحلوا بهذه الصفات ويحافظوا عليها ، بالإضافة إلى الأخلاق الإسلامية العامة الواجبة على كل مسلم . . . ويذكر منها على سبيل المثال : الحياء والبر والإحسان وصلة الرحم وإكرام اليتامى والمساكين وحفظ السر وستر عوارات المسلمين والرحمة وطيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء والوقار والسكينة والانقياد لحكم الله ورسوله والبعد عن الفحش في القول وعن السباب والبعد عن الجدال والمراء وكثرة المزاح وعدم رفع الصوت أكثر من اللازم والمحافظة على السنة وآدابها والخشوع والذكر وتجنب البدع والشبهات . إلى غير ذلك من تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه .

●● ملاحظات وتوصيات^(١)؛

فيما يلي بعض الملاحظات أو التوصيات التي تراعى من قبل القيادة لحسن سير العمل :

أولاً: حول طبيعة العمل ومجالاته:

١- يجب الالتزام بالأهداف التي قامت من أجلها الجماعة وهي : التمكين لدين الله في الأرض بإقامة دولة الإسلام العالمية ، دون تفريط أو اجتزاء مهما طال الوقت وكثرت العقبات . فلا يتحول الأمر إلى أهداف محلية في بعض الأقطار . دون الهدف العام على الساحة الإسلامية كلها . وأن يصير القصد مجرد الوصول للحكم بغض النظر عن إقامة شرع الله أو غير ذلك من الصور .

٢- على القيادة أن تراعى شمول مجالات العمل لكل متطلبات الحركة دون إغفال لجوانب منها ، فالإسلام كل متكامل ولا يصلح معه اجتزاء أو فصل جوانب عن غيرها .

٣- يلزم مراعاة طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية ومتطلباتها ، فالجماعة تنصدي لإعادة بناء الدولة الإسلامية على أساس متين من العقيدة السليمة والإيمان القوي المتين ، والعودة الصادقة إلى الكتاب والسنة في كل أمر من الأمور ، وإزالة هذا الركاب من الأفهام الخاطئة للإسلام . والعادات الجاهلية المخالفة للشرع ، وتخليص النفوس من كل

(١) المرجع السابق ص ٥٠٨ - ٥٢٠ .

معانى الضعف والوهن والاستكانة، وبعث كل معانى العزة والقوة والجهاد والتضحية وإعداد الأجيال وتربيتهم على هذه المعانى .

٤- على القيادة أن تولى الجانب التربوى -على كل المستويات- الاهتمام اللائق به، فالتربية هى الأساس فى قوة البناء وتماسكه وهى التى تعد الأجيال التى تراث الأمانة وتحمل الأعباء وتواصل العمل والتضحية والجهاد فى جو من الأخوة والحب ودون مشاكل وخلافات .

٥- مراعاة الجانب السياسى فى مجالات العمل ودور الجماعة فيه بالقدر المناسب، على ألا يظغى على جانب التربية ودون انتقاص لأهمية المجال السياسى فى الحركة .

٦- يلزم أن تراعى القيادة موقف الجماعة من الجماعات الإسلامية الأخرى، بالحرص على حسن العلاقة وتهيئة جو من التعاون معها، وعدم التورط فى مواقف احتكاك مع أى منها، وتحذر الأفراد من الاستدراج إلى شىء من ذلك ولو تعرضنا إلى إساءات من بعضهم، فالأصل أننا نسعى لتوحيد الجهود، والأمل كبير فى أن يتحقق ذلك فى القريب بإذن الله لنواجه التحديات مجتمعين لا متفرقين .

٧- المرحلة القادمة للحركة سيغلب عليها -والله أعلم- طابع الجهاد والتمكين بإذن الله، فيلزم مراعاة ذلك فى مجال العمل وإعداد الرجال والكفاءات والدراسات اللازمة لتلك المرحلة .

٨- الاهتمام بتهيئة مجتمعاتنا لتكون بمثابة القواعد الثابتة القوية التى يقوم عليها الحكم الإسلامى المستقر، لذلك يلزم الاهتمام بالرأى العام وإعداده وعدم التقليل من شأنه وضرورة معايشة الجماهير والاهتمام بمشاكلهم .

٩- المرأة المسلمة لها دورها الأساسى فى العمل الإسلامى، فهى التى تساعد على إقامة البيت المسلم الذى يعتبر دعامة فى بناء الدولة الإسلامية، وهى التى تنشئ الأجيال المسلمة الصالحة التى تراث الأمانة، وتواصل مسيرة العمل والجهاد، فيلزم الاهتمام بإعداد المرأة المسلمة فى حقل الدعوة .

١٠- ضرورة الاهتمام بالأجيال الناشئة فى مراحل نموها وبناء شخصيتها الإسلامية ليشبوا على الاستقامة وفى حماية من الفتن والانحرافات التى عمت البلوى بها فى مجتمعاتنا .

١١- على القيادة أن تحرص على توريث الدعوة إلى الأجيال التالية، بكل أصالتها وشمولها وخبراتها، لضمان مواصلة السير على طريق الدعوة دون انحراف أو تفريط أو هبوط فى المستوى .

١٢- لما كانت الحركة بالدعوة تشمل أقطاراً متعددة وجنسيات مختلفة، لزم الاهتمام بالتعرف على لغات تلك الجنسيات وتوفير ما يمكن من أفراد يتقنون تلك اللغات مع اللغة العربية ليسير مجال العمل والتعاون والاستفادة في مجال الدعوة.

١٣- المال عصب لازم للعمل الإسلامي، يلزم العناية بتوفيره لتحقيق مجالات العمل والأهداف المنشودة دون تعويق بسبب قلة المال.

١٤- يجب أن تركز القيادة على الاستفادة من الخبرات في مجالات العمل والتي تظهر في مواقع العمل المختلفة على الساحة الإسلامية. والاستفادة من الإنتاج الفكري المفيد في مجالات التخطيط والتنظيم والإدارة والاجتماع وغير ذلك.

ثانياً: ملاحظات تتصل بحسن سير العمل:

سنعرض هنا لبعض الملاحظات التي تعين القائد أو المسئول على القيام بمسئوليته على الوجه الأفضل وتحقيق حسن سير العمل وحمايته من التعثر والخلل:

١- واجب المسئول الإحاطة الكاملة بجوانب مسئوليته كي يؤديها كاملة دون إغفال لأي جانب منها في زحمة العمل والمشاكل.

٢- وعليه أن يكون مؤمناً بمهمته إيماناً قوياً بحيث تستحوذ عليه فيعطيها الاهتمام اللائق بها وما تحتاجه من وقت وجهد.

٣- لا بد للمسئول في أي موقع كي يضمن حسن سير العمل، من وضع خطة متكاملة للعمل تتحدد فيها الأهداف والمراحل والوسائل والإمكانات، وتحديد الذين سيقومون على التنفيذ وكذا متابعة التنفيذ.

ويراعى في الخطة أن تكون متسقة مع الواقع فلا تكون نظرية أو خيالية، والأفضل للأعمال أن تبدأ سهلة ثم تنمو مع الزمن في ظل الخبرة وتفادي السلبات وهذا خير من أن تبدأ كبيرة ثم تقلص تدريجياً ويصعب تنشيطها بعد ذلك. ومن المفيد التفاهم مع المسئولين الفرعيين حول الخطة وأفضل سبل تنفيذها ليكونوا عوناً في نجاحها.

٤- من اللازم أن يكون المسئول عنده القدرة على معرفة الرجال لكي يحسن اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب الذي يسد الثغرة التي يوضع فيها على الوجه الأكمل دون مشاكل أو تقصير، وحتى لا يلجأ المسئول إلى كثرة التغيير في الأشخاص لما يترتب على ذلك من سلبات.

٥- مطلوب من القائد أو المسئول أن ينظم عمله ووقته ليتجنب الإرهاق الذي ينعكس

سلبياً على العمل وعلى التفكير السليم اللازم لحسن إدارة العمل ومتابعته، ولا يجوز أن يشغل نفسه بأمور يمكن لمساعديه أن يكفوه إياها .

٦- يقظة المسئول وسهره الدائب للاطمئنان على سير العمل أمر واجب وحتى يمكنه علاج أى سلبية تظهر فى حينها قبل أن تتضاعف أو تتعقد .

٧- حزم المسئول وعزمه أمر لازم لحسن سير العمل، فبعد المشاورة يعزم ويحزم بتوكل على الله ولا يتردد، لأن التردد وكثرة تغيير رأى يحدث بلبلة فى الصف وتؤثر على سير العمل، ويظهر المسئول أمام معاونيه بمظهر الضعيف الذى ينال من الثقة المطلوب توفرها .

٨- يجمل بالقائد أو المسئول أن يركز اهتمامه على العمل الجاد، وأن يتجنب كثرة الكلام، فالقضايا التى نواجهها تستلزم العمل الجاد المتواصل، فإن من يزرع الأقوال لا يحصد إلا الأوهام . وليعلم المسئول أن كل كلمة تخرج من فمه محسوبة للجماعة أو عليها ويمكن أن يتلفها المشككون إن كان فيها ما يؤاخذ عليه .

٩- من المستحسن للمسئول أن يتجنب إبداء رأيه الشرعى فى القضايا الفرعية التى فيها خلاف، بل يحسن أن يعرض أوجه رأى المختلفة فيها بغير تحيز حتى لا يظن أحد أن هذا رأى الجماعة باعتباره قائداً أو مسئولاً، وقد درجنا فى الجماعة على عدم إلزام أفراد الجماعة برأى واحد فى هذه الأمور الفرعية التى فيها أكثر من رأى، طالما أن رأى لا يخرج صاحبه من الإسلام .

١٠- على القيادة أن تجنب الجماعة الانزلاق فى الفتن الطائفية سواء مع فرق المسلمين أو غير المسلمين، وعليها أن تحمى الصف من الاستدراج فى مثل هذه المنزلقات التى لا يستفيد منها غير الأعداء وتكون على حساب العمل للدعوة .

١١- العمل فى حقل الدعوة عبادة لله، فعلى المسئول دائماً أن يذكر إخوانه بمراقبة الله وإتقان العمل وإخلاص النية كى تكون عبادة مقبولة، وحث الأفراد على التقدم وإحراز النجاح وتشويقهم لنيل ثواب الله ورضوانه .

١٢- على المسئول أن يطمئن بصفة دائمة على الروح المعنوية فى صفوف من هو مسئول عنهم، ويعمل على رفعها وبعث الأمل فى النفوس لتقوى الهمم وتنطلق الطاقات فى مجال العمل والإنتاج، وعليه أن يزيل أى أثر مشبط قد ترسبه الأحداث الجارية أو المشاكل المعتة .

١٣- لا يصح أن يحصر المسئول نفسه فى الحاضر ومشاغله، ولكن عليه أن يفكر فى المستقبل وتوقعاته ومتطلباته، بحيث لا تكون تصرفاته ردود أفعال للأحداث دون حساب سابق لها .

- ١٤- على القيادة أن تحرص على الارتقاء بأسلوب العمل وتطوير وسائله والاستفادة من كل مستحدث يساعد على تحقيق الأهداف ويرتفع بمستوى الإنتاج في حقل الدعوة .
- ١٥- من المهم أن تقوم القيادة بتقويم العمل والإنتاج بين فترة وأخرى للاطمئنان على سلامة السير ونماء الإنتاج . وللتعرف على الإيجابيات لتعميمها وعلى السلبيات لعلاجها وتلافيها، وعلى القيادة أن ترحب بكل نقد بناء ولو جاء من خصم للجماعة .
- ١٦- على القيادة ألا تغالى فى تقدير طاقاتها وإمكاناتها بالتضخيم والتهويل فتغتر، ولا تغالى بالتصغير والتهوين بها فتياس وتغتر همتها .
- ١٧- يجب تحرز القيادة عن الاستغراق فى الإداريات على حساب الجانب الدعوى والروحى الذى هو الأصل، وألا تحوّل العمل إلى رسميات وشكليات لا روح فيها، وقد يحدث ذلك جفوة بين الأفراد العاملين، إذ إن الناحية الروحية هى التى تغذى جو الحب والتعاون .
- ١٨- المفروض أن تكون للمستول صلاحيات تمكنه من التصرف وتسيير العمل خاصة عند الظروف الطارئة، ولا يجوز أن تُشل حركته بسبب كثرة القيود التى تحد من تصرفاته .
- ١٩- يقدر وحدة القيادة وتماسكها بقدر ما تكون قدرة الجماعة وثقة الأفراد بقيادتهم، وعكس ذلك إذا حدثت فرقة أو خلافات بين أعضاء القيادة، فإن ذلك يضعف من قوة الجماعة وتتاثر القواعد بهذا الخلاف وربما يترتب على ذلك وجود تكتلات حول أشخاص، وفى ذلك إضرار بالعمل وبوحدة الصف .
- ٢٠- على القيادة أن تتجنب الاحتكاك أو الصدام مع الغير ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وألا تكسب عداوات وخاصة مع غيرهم من العاملين للإسلام .
- ٢١- تراعى القيادة حماس الشباب فتوجهه ليكون حماساً مبصراً منضبطاً لا يورط الجماعة فى صدام مع الأعداء دون تقدير للظروف .
- ٢٢- على القيادة حماية الصف من ظهور مدارس أو تيارات فكرية مخالفة لخط الجماعة، فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى خلافات وتمزق للصف .
- ٢٣- كما لا تسمح القيادة بوجود محاور تجمع حول أشخاص وعصبيات إقليمية أو أقطار أو حول مدن فى القطر الواحد، أو غير ذلك مما يؤدي إلى إضعاف روح الوحدة والتعاون أو يؤدي إلى فرقة الصف .

٢٤- تحرص القيادة على أن يسود جو الانضباط والمحاسبة على الأخطاء، لأن أى تفريط فى ذلك يتيح الفرصة لظهور روح التسبب واللامبالاة وسريانها فى جسد الجماعة، ولذلك خطره الجسيم على العمل وعلى الجماعة.

٢٥- على القيادة أن تحمى صفوف الجماعة من العناصر الغربية ومن حملات التشكيك التى يقوم بها الأعداء، وعليها أن تداوم الصلة بالقواعد، وتوضح لهم الأمور اللزوم توضحها خاصة ما يثيره المشككون.

٢٦- إذا فُرض وظهت نوعيات مشاغبة فى الصف فعلى القيادة معالجة هذه الحالات بالهدوء والحكمة، دون تعريض الصف إلى متاعب أو اضطرابات.

٢٧- ليس عيباً ولا انتقاصاً من قدر المسئول أن يطلب إحلال من هو أقدر منه إذا شعر بعجزه عن أداء مسئولياته، فصالح العمل أولى بالمراعاة.

ثالثاً: ملاحظات حول أسلوب التعامل بين القائد ومعاونيه:

نعرض بعد ذلك للملاحظات التى تتصل بأسلوب تعامل القائد أو المسئول فى أى موقع، مع مَنْ هو مسئول عنهم ومن يعاونونه فى القيام بعبء العمل:

١- أول ما يهتم به المسئول هو حسن اختيار الرجل المناسب فى كل موقع مسئولية، لما يحققه ذلك من حسن سير العمل وارتقائه وتحقيق الاستقرار وعدم حدوث هزات نتيجة سوء الاختيار أو تغيير الفرد من موقعه.

٢- لا يجوز للقيادة أن يكونوا من المتشائمين الذين لا يرون إلا الوجه القبيح للرجال والحوادث، وألا يكونوا من المتفائلين المتهورين الذين يلقبهم فرط ثقتهم بالناس إلى برائن الخبثاء.

٣- يساعد المسئول على معرفة قدرات وكفاءات من يعملون معه، كثرة الاحتكاك بهم فى مجال عملهم وإثارة همهم وتقدير جهودهم وتفهم مشاكلهم والاهتمام معهم فى حلها، وزيارتهم زيارات مفاجئة غير دورية بحيث لا تكون كثيرة متكررة ولا قليلة نادرة.

٤- حسن توزيع الأعمال وتحديد الاختصاصات، بحيث لا يغفل جانب من جوانب العمل، وألا يحدث تداخلاً فى الاختصاصات بما يربك العمل أو يعطله.

٥- تحديد وتنظيم قنوات الاتصال مع كافة المستويات وتيسيرها بما يحقق سهولة المتابعة ووصول المشورة والآراء أو التعليمات.

- ٦- حرص القيادة على رفع مستوى من هم فى أوضاع مسئولية وتدريبهم على مجالات مسئولياتهم، مستفيدة من كل جديد مفيد، خاصة وأن حجم العمل ومجالاته فى ازدياد مستمر، فلا بد من مقابلة ذلك بما يناسبه من كفاءة ودربة ودراية.
- ٧- من المفيد أن تعطى القيادة مسئولى الفروع قسطاً كافياً من الحرية فى اختيار أفضل الوسائل التى تعينهم على تحقيق المطلوب منهم، وحتى تتولد عندهم خاصية المبادرة والقدرة على تخطى العقبات وإيجاد الحلول للمشكلات.
- ٨- على القيادات أن تبث روح التعاون الصادق بين مسئولى الفروع، فذلك من ألزم الأمور فى العمل الجماعى لتداخل مجالات العمل وعدم انفصالها.
- ٩- على المسئول أن يتعود استشارة من يعاونونه قبل إصدار القرارات خاصة المهمة منها، فإن ذلك يولد الشعور بالمشاركة والتعاون فى تحمل المسئولية وأدعى إلى الاهتمام بتنفيذ القرارات وتبنى نجاحها لدى الجميع.
- ١٠- من المهم تحديد الأوامر أو القرارات المطلوب تنفيذها عند إصدارها وتوضيح الغاية المقصودة منها، بحيث لا يكون هناك جانب غامض يلتبس فهمه عند من ينفذون، كما يلزم أن تكون الأوامر فى حدود الاستطاعة، مع تحديد المسئولين عن التنفيذ ليشيروا مهمتهم فوراً، فقد يتعرض القرار إلى عدم التنفيذ نتيجة عدم تحديد المسئولين عن تنفيذه، فعلى المسئول ألا يقبل أى تفريط فى تنفيذ التعليمات والقرارات فذلك ينقص من التقدير اللائق بموقع المسئولية.
- ١١- من المفيد أن تتم لقاءات دورية لمسئولى فروع العمل للتنسيق والتعاون، حيث إن طبيعة الأعمال متكاملة و مترابطة، وبدعم بعضها بعضاً، يفيد ذلك فى تلافى السلبيات وسد الحاجات.
- ١٢- يراعى القائد التسلسل فى الاتصال وتبليغ التعليمات وعدم تخطى المسئولين إلا فى الظروف الاضطرارية، حتى لا يؤدي تخطيه إلى الشعور ياغفالهم أو فقدان الثقة بهم، وذلك له انعكاسه السئ على جو العمل والإنتاج ويؤثر على روح التعاون اللازم توفرها.
- ١٣- عند محاسبة المسئول على الأخطاء يلزم دراسته للظروف التى أدت إليها كي لا يؤخذ المخطئ بجريرة ظروف خارجة عن إرادته، ولعمل الترتيب أيضاً لتفادى أسباب الخطأ مستقبلاً، وإذا ترتب على المحاسبة تأنيب أو معاقبة يجب أن يتم ذلك بعدالة ودون قسوة وفى تناسب مع الخطأ، ودون إثارة لأخطاء سابقة التأم جرحها بحيث تحقق العقوبة فائدة لا

انتكاساً، وكلما كانت العقوبة منصوصاً عليها في اللوائح كلما كان ذلك أفضل، حتى لا يظن أنها عقوبة شخصية من المسئول. كما يراعى عدم تقرير أى مسئول أمام مرؤسيه للحفاظ على مكانته بينهم.

١٤- على كل قائد أو مسئول أن يتحرز كثيراً عند اتخاذ إجراء بإعفاء أحد الأفراد من العمل أو إبعاده عن الصف بسبب أخطاء أو غير ذلك، إذ لا يملك أحد أن يحول دون قيام فرد بالعمل لدعوة الله إلا إذا ثبت أن الضرر المترتب على بقاءه في الصف أو في موقعه يرجح الفائدة من بقاءه، وذلك بعد بذل الجهد في إصلاحه إعداراً إلى الله، فمصلحة الجماعة فوق الأفراد.

١٥- على القيادة أن تراعى مستوى من تكلفهم بأعمال وكذا عند محاسبتهم على الأخطاء، فلا تعامل المبتدئ معاملة الملتزم، كأن تقسو عليه في التكليف أو في المحاسبة فلا يتحمل فينفر ويتعد، كذلك لا تتهاون مع الملتزم، فتعامله معاملة المبتدئ فيفطر في عمله.

١٦- وفي مقابل المحاسبة على الأخطاء يلزم تشجيع الذين يحسنون في أداء واجباتهم وذكرهم بالخير، فليست مهمة المسئول البحث عن الأخطاء والمحاسبة عليها فقط، ولكن يتحسس الإنجازات الطيبة ويشئ عليها ويمدحها، ففي ذلك رفع للمعنويات ودعم للثقة والتقدير.

١٧- العمل في مجال الدعوة يختلف عنه في الشركات والمؤسسات، فالجميع في الجماعة يعملون لله، فعلى القيادة أن تتعهد العاملين عامة والمسئولين خاصة بالتوجيه والإرشاد والتذكير بالله، وبأن إتقان العمل عبادة وقربى إلى الله، ويتم ذلك في ظل الحب والأخوة وبعيداً عن التجريح والأذى. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فعندما عندما كان يريد تصحيح خطأ وقع فيه أحد من المسلمين يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا^(١) - دون الإشارة إلى المخطئ، مراعاة لشعوره.

١٨- مطلوب ممن يكون في موقع المسئولية، التعرف الدقيق على سير العمل وقيام كل مسئول أو فرد بما وكل إليه، والتعاون معهم في تذليل أى عقبات تظهر لهم عند التنفيذ، ولا يكتفى بإصدار التعليمات والأوامر ويبقى في مقره ظاناً أن دولا ب العمل سيبير هكذا تلقائياً، على أن تتم المتابعة بكل دماثة وحكمة ويتقبلها المرء وسون برحابة صدر حينما يحسون أن المقصود منها صالح العمل للإسلام وليس البحث عن الأخطاء.

١٩- من المفيد أن تستطلع القيادة آراء الأفراد في القواعد واقتراحاتهم لحسن سير العمل وتحقيق مصلحة الدعوة، وكذا أى نقد بناء حول العمل أو القيادة، وواجب القيادة أن ترد على

(١) متفق عليه البخارى بأرقام ٤٥٦، ٦١٠١، ٢٧٣٥، ومسلم بأرقام ١٤٠١، ٢٣٥٦.

أى استفسار أو رأى يصلها من الأفراد ولا تهمل الرد لما لذلك من أثر كريم وشعور بتقدير القيادة للأفراد.

٢٠- ليكن معلوماً للقيادة أن إتقان أخ لجانب من جوانب العمل لا يعنى بالضرورة صلاحيته لجوانب أخرى من العمل، فمثلاً الداعية القوي المؤثر في الجماهير أو المؤلف الذي يتقن الكتابة في مجال الدعوة، ليس بالضرورة أنه يتقن الجوانب التنظيمية أو الإدارية أو العسكرية، فلا يقدم إلى مثل هذه المجالات إلا إذا ثبت بالتجربة كفاءته فيها. ولا يعتبر ذلك عيباً أو انتقاصاً من قدره، فكل ميسر لجوانب دون غيرها، ولا يجوز المجاملة في هذه الأمور لخطورتها ومصحة الجماعة. والعمل فوق الأشخاص.

٢١- أثبتت لنا التجارب أن الحماس الشديد عند بعض الأفراد ليس بالضرورة دليلاً على قوة إيمانهم وسدّة رغبتهم في العمل والتضحية، ولكن غالباً ما يكون ذلك دليلاً على النفس القصير، فيظن المتحمس أنه بهذا الحماس يمكنه الوصول إلى نهاية الطريق وتحقيق الأهداف بصورة أسرع ثم يرتاح بعدها. لكن لما كان هدفنا عظيماً وطريقنا طويلاً فلا يصلح معه إلا من تحلى بالصبر والتحمل والنفس الطويل. فمن الخطورة أن يوضع أصحاب الحماس الشديد في ثغرات مهمة أو مواقع مسئولية دقيقة، إذ قد يسيئون التصرف أو يتوقفون عن مواصلة السير بعد فترة، لقصر نفسهم.

٢٢- من واجب القيادة إذا حدثت مواقف شدة أو هزيمة وقتية في معركة أمام العدو، أن تبادر برفع معنويات الأفراد، وألا تتركهم فريسة للشعور بالهزيمة والضعف، وقد تعهد الله المسلمين بعد غزوة أحد بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١]. ولا تستسلم لأي إحباط نفسى ولتعلم أن الهزيمة الحقيقية هي هزيمة القلوب وليس الهزيمة في معركة من المعارك.

رابعاً: ملاحظات عامة:

هناك بعض الملاحظات العامة التي يلزم أن تراعيها القيادة أثناء السير:

١- اهتمام القيادة بالمحافظة على أصالة طريق الدعوة وتجنب صور الانحراف المختلفة، وقد تعرضنا سابقاً لهذا بشيء من التفصيل (١).

(١) انظر كتاب: طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف- مصطفى مشهور.

٢- يلزم تحقيق اتصال السابق باللاحق فى القيادات ومجالات العمل بحيث لا تحدث فجوة أثناء السير، ولكى يستفيد اللاحق بخبرات السابقين وتجاربهم فلا تبدأ قيادة جديدة من الصفر.

٣- واجب القيادة التحرز من أى محاولة من الأعداء أو من أى جهة للاحتواء أو الاستدراج أو التسخير لحساب تلك الجهات، أو محاولة صرف الجماعة عن وجهتها الأصلية أو تفرغها من مضمونها، ولا مجاملة فى ذلك والأفضل الثبات والصلابة مع الحق ومع الحكمة فى معالجة المواقف.

٤- مراعاة طبيعة العمل للدعوة وما فيه مصلحة العمل دون إفراط أو تفريط.

٥- على القيادة التحرز الشديد من إباحة دم مسلم بغير حق. وليتحرز المستول من أن يقول كلمة يفهم منها أحد الأفراد أن يبيع بها دم إنسان معين فيجتهد هذا الفرد ويستبيح دمًا حرامًا. والرسول ﷺ يقول فيما يرويه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما: «ولا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»^(١).

•• أمور وآداب متبادلة بين القيادة والجنود

١- الاحترام والتقدير:

يجب أن يسود العلاقة بين القيادة والجنود، الاحترام والتقدير المتبادل بعيداً عن روح التسلط والضعف أمام الجنود من قبل القيادة. ولكن تقدير واحترام خالص لوجه الله، نابع من شعور كل منهما أنه يتعبد إلى الله ويتقرب له بحسن تعامله مع الآخر. فالجندى يحترم قائده ويقدره لأنه رمز الوحدة والقوة المتمثلة فى قيادة الجماعة، ويصاحبه فى ذلك حديث رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعصى الأمير فقد عصانى» متفق عليه^(٢).

وعلى القائد أن يصاحب قول أبى بكر رضى الله عنه: [لقد وليت عليكم ولست بخيركم...^(٣)] ويستشعر مسئوليته عن رعيته؛ فالأمر فى الجماعة يختلف عن صورة العلاقة بين رئيس ومرءوسيه فى الشركات أو المؤسسات الرسمية وما بداخلها من تملق ونفاق أو تسلط واستبداد.

(١) رواه البخارى برقم ٦٨٦٢.

(٢) متفق عليه البخارى بأرقام ٢٩٥٧، ٧١٣٧ ومسلم برقم ١٨٣٥.

(٣) روى ذلك ابن كثير فى البداية والنهاية بإسناد صحيح ٢١٨/٥، ٣٥١٦.

٢- أدب الحديث والحوار:

الحديث والحوار بين القيادة والجنود حول أمور الدعوة والحركة أمر مكرر ولا مناص منه، فالواجب على كل من الجانبين مراعاة آداب الحديث كما علمنا رسول الله ﷺ، فالمتحدث يقبل بوجهه إلى من يحدثه ويوضح الألفاظ بصوت مناسب لا هو بالخافت الذي لا يكاد يُسمع ولا بالمرتفع المؤذى، مع تجنب العبارات أو الألفاظ المؤذية أو غير اللائقة فضلاً عن الغيبة والنميمة. وعلى السامع أن يقبل بوجهه لمحدثه وأن يوليه انتباهه وإنصاته وألا يقاطعه حتى يتم حديثه وأن يحرص كل منهما ألا يتطور الحوار إلى الجدال والمراء، بل يكون حرص كل منهما على الوصول للحق والخير وافترض كل منهما الخطأ في رأيه كما يفترض فيه الصواب.

٣- الثقة المتبادلة وحسن الظن:

إن من أزم الأمور لحسن سير العمل في الجماعة، تبادل الثقة وحسن الظن بين القيادة والجنود، لما يحققه ذلك من جو التعاون الصادق لإنجاز متطلبات الدعوة والحركة، والعكس إذا ظهرت بادرة سوء الظن أو اهتزاز الثقة بين القيادة والجنود، فإن ذلك ينعكس مباشرة على مجال العمل والتعاون بالإضعاف والتعويق، والأصل أن نستجيب لأمر الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

٤- بادل النصيحة بين القيادة والجنود:

نحن بشر وكلنا فيه نقص وعيوب، وواجب المسلمين أن يبصر بعضهم بعضاً بما فيهم من نقص أو عيوب، فالؤمن مرآة أخيه، ومن صفات المؤمنين أنهم يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر. فالواجب ألا تحول مواقع المسئولية مهما تدرجت دون تبادل هذه النصائح والتواصي بهدف تسديد العمل وتلافي السلبات والأخطاء، فلا يتحرج الجندي من نصيح قائده أو مسئوله، وعلى الأخير أن يقبل النصيحة بكل رحابة صدر وحرص على الاستفادة مما تحمله النصيحة من خير له وللدعوة، وحديث الرسول ﷺ عن النصيحة: «قلنا لمن» قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١). رواه مسلم. ويلزم مراعاة أدب أداء النصيحة وحسن اختيار الظروف، والأسلوب، ونذكر في هذا المجال حكمتين جديرتين بالاتباع:

الأولى: [أد النصيحة على أكمل وجه واقبلها على أى وجه].

(١) رواه مسلم برقم ٥٥.

الثانية: [من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه].

ومن الملاحظ في المؤسسات الرسمية أن المرءوس يتحرج كثيراً من نصحته لرئيسه أو تنبيهه إلى خطأ يلاحظه خشية أن يغير قلبه نحوه أو يتعرض بسبب ذلك إلى أذى. ويلاحظ أيضاً أن الرئيس حينما ينصح المرءوس أو ينبهه إلى خطأ يتم ذلك في صورة غير لائقة أمام الغير مما يثير الشعور بالغيظ أو التبرم. أما في مجال العمل في الجماعة فالحال غير الحال إذ يراعى أدب الإسلام في أداء النصيحة وتقديم مصلحة الدعوة على أي اعتبار شخصي.

٥- تبادل الحب والعاطفة الأخوية:

الأخوة والحب في الله من أزم الأمور الواجب توافرها بين الإخوان عموماً وبين القيادة والجنود خصوصاً، فالأخوة في الله من أساسيات هذا الدين ومن أصول العمل الجماعي وهي ركن من أركان البيعة العشرة، أدنى مراتبها سلامة الصدر وأعلها الإيثار، وفي ظل الحب والأخوة يتحقق التعاون المثمر لصالح الدعوة وتتوافر الثقة القوية ويحال بين الشيطان وأعدائه أن يفسدوا العلاقة بين القيادة والأفراد أو أن يوجدوا فرقة وتنازعاً. إن أخطر داء يؤثر على العمل الإسلامي هو داء الفرقة والخلاف في وقت يتعاون فيه أعداء الإسلام لحرب الإسلام والمسلمين.

فعلى القيادة والجنود في الجماعة الحرص على توافر الحب والأخوة بينهم وتنمية هذه الرابطة معتدين في ذلك بتوجيه الرسول ﷺ بإفشاء السلام وبالكلمة الطيبة وطلاقة الوجه وبالتهادى والتزاور وسلامة الصدور، كذلك العفو والإحسان وعدم السماح للشيطان بالتزغ وتغيير النفوس بإساءة الظن والغيبة وعدم التبين، فالله يحذرنا من ذلك بقوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

أحياناً يحدث خلاف في الرأي حول بعض القضايا، فليحرص كل من القيادة والجنود ألا يؤدي الخلاف في الرأي إلى فساد الود بينهم، وليأخذ الخلاف في الرأي طريقه المرسوم حسب اللوائح والنظم لإنهائه وتوحيد الرأي وعدم استمرار الخلاف حتى لا يعقب تغييراً في النفوس.

ولا يعني توافر الحب والعاطفة أن يتساهل القائد أو المستول في محاسبة من هو مستول عنهم عما يكلفه به من أعمال ومدى التزامهم بنظام الجماعة ولوائحها كما لا يستغل الجندي هذه العاطفة ويقصر في عمله معتمداً على أن المستول لن يشتد عليه في محاسبته على تقصيره.

٦- قوة الصلة وسهولة الاتصال بين القيادة والجنود:

طبيعة القيادة في جماعة تستدعي قوة الصلة ويسر الاتصال بين القيادة والجنود، لتبادل

الرأى وتوحيد المواقف والآراء إزاء الأحداث، وتبادل المشورة والنصح والتوجيه وتلقى التعليمات وغير ذلك من مهام العمل ومتطلباته، فوسائل الاتصال بالنسبة للقيادة كالأعصاب فى الجسم فإذا ضعفت الصلة ووسائل الاتصال تعرض العمل لما يشبه الشلل، فعلى القيادة والجنود الحرص على قوة الصلة والاتصال بينهما والتغلب على أى عقبات تحول دون ذلك . وأحياناً ثقل الأعباء على القيادة يشغلها بعض الشئ عن الاتصال بالقواعد فعلى القواعد، أن تسعى من جانبها لمداومة الصلة بالقيادة فالمسئولية مشتركة .

٧- التهيؤ لتبادل المراكز بين القائد والجندى:

أعنى استعداد القائد أو المسئول إذا أعفى من مسئوليته وصار جندياً أن يتقبل ذلك بكل رضى ورحابة صدر، ولا يضيق أو يتبرم بذلك ويعتزل، أو غير ذلك من التصرفات السلبية، فالعمل فى الجماعة فى أى موقع هو عبادة، والقبول والثواب فيه بقدر إخلاص الوجهة لله وبذل الجهد، وكل موقع عمل يعتبر ثغرة يلزم سدها . وعليه أن يلزم نفسه بالسمع والطاعة لمن صار هو تحت قيادته ولو كان أحد مرءوسيه سابقاً .

هذا وعلى الجندى فى أى موقع أن يهين نفسه لاستيعاب مواقع المسئولية والاستعداد لتحمل أماناتها إذا ما انتدب للقيام بها وحسن أداء واجباتها .

وعلى القائد أو المسئول أن يدرّب مرءوسيه على تحمل المسئولية كى يؤهلهم لها عندما يخلو مكانه بسبب أو بأخر، ويشعر بالفرح والسعادة عندما يجد من بين من هو مسئول عنهم من يصلح أن يكون قائداً أو مسئولاً .

وعموماً يلزم شعور القائد أنه يظل قائداً على الدوام أو أنه لا يصلح إلا للقيادة، وعلى الجندى ألا يشعر أنه لا يصلح إلا جندياً، بل يعد نفسه للقيادة إذا ما تعرض لها أو انتدب إليها .

٨- النزول على حكم الله ورسوله دون تردد:

من الأمور التى يلزم توافرها فى القيادة والجنود على السواء، الاستعداد الكامل للنزول على حكم الله ورسوله دون تردد أو مكابرة، فذلك أذى لإنهاء أى خلاف يعترض طريق العمل وعندما يرد هذا الخلاف إلى الله ورسوله، وصدق الله العظيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِئِ الْأَمْرَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

وصدق الله العظيم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

هذا ويستعان أيضاً بالنظم واللوائح التي وضعت لصالح العمل والتي تساعد على إنهاء أى خلاف يظهر، خاصة وأن هذه اللوائح والنظم قد وضعت بحيث لا تتعارض مع نص أو أصل فى الإسلام.

ومن المتفق عليه أنه من واجب كل من القيادة والجنود التفقه فى أمور الدين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فذلك أدعى لتبين الحق فى ضوء الكتاب والسنة وأمان من الانحراف أو الخطأ أثناء السير على طريق الدعوة، وما يتعرض له العاملون فى حقل الدعوة من مواقف أو وسائل أو غير ذلك.

٩- دراسة الحركات وتنمية الخبرات:

على القيادة والجنود أن يعنوا بدراسة الحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة دراسة تحليلية لمعرفة ما لها وما عليها، وكذا يلزم الاطلاع على الحركات الهدامة والمعادية للإسلام فى القديم والحديث والتعرف على أهدافها وأساليبها للعمل على إحباطها أو الحذر منها. كما يلزم تصنيف الناس من حولنا ومعرفة الصديق من العدو وتحديد المواقف مع كل.

أخيراً إن كان لنا تعليق فنقول: إن ما كتبه أستاذنا العظيم مصطفى مشهور حول متطلبات القيادة والجنودية يعكس ما زوده الله تعالى به من عناصر الكفاية فى أمور فقه الدعوة علماً وعملاً، وأنه ما كتب ذلك إلا بعد ممارسة وتجارب عملية فى حياته الدعوية، وكما قال الأستاذ عمر التلمسانى: [إن كتابته فى الموضوع -يعنى فقه الدعوة- جيدة نافعة. لأنه -أى مصطفى مشهور- تلقاه -أى تلقى فقه الدعوة- يافعاً ومارسه شاباً وثبتته الله عليه رجلاً وامتحن فيه شيخاً فأنعم الله عليه فزوده بعناصر الكفاية للكتابة فى هذا الموضوع علماً وعملاً]. فهذه المتطلبات تجمع فى شخص أستاذنا القيادة الفذة والجنودية المخلصة، وهذه هى العبقرية بعينها والتي نستطيع أن نطلق عليها: [القيادة الربانية] وهى نوعية القيادة المفقودة منذ سقوط الخلافة.

إن من أخطر عوائق التمكين غياب القيادة الربانية، وذلك أن قادة الأمة هم عصب حياتها، وبمنزلة الرأس من الجسد، فإذا صلح القادة صلحت الأمة، وإذا فسد القادة فسدت الأمة، ولقد فطن أعداء الإسلام لأهمية القيادة الربانية فى حياة الأمة الإسلامية، لذلك حرصوا كل

الحرص على ألا يمكنوا هذه القيادات الربانية من احتلال نواصي الأمور وأزمة الحكم في الأمة الإسلامية، ففي خطة لويس التاسع يؤكد: [عدم تمكن البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم بها حاكم صالح] ويحث على: [العمل على إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة، والفساد، والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة]^(١).

وصرح المستشرق البريطاني [مونتجومري وات] في جريدة التايمز اللندنية قائلاً: [إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى]^(٢).

وقال المستشرق الصهيوني [برنارد لويس] تحت عنوان: [عودة الإسلام] في دراسة نشرها عام ١٩٧٦م: [إن غياب القيادة العصرية المثقفة: القيادة التي تخدم الإسلام بما يقتضيه العصر من علم وتنظيم، إن غياب هذه القيادة قد قيدت حركة الإسلام كقوة منتصرة، ومنع غياب هذه القيادات الحركات الإسلامية من أن تكون منافساً خطيراً على السلطة في العالم الإسلامي، لكن هذه الحركات يمكن أن تتحول إلى قوى سياسية هائلة إذا تهيأ لها هذا النوع من القيادة]^(٣).

إن من أهم أسباب التمكين لدين الله في الأرض وقيام الدولة الإسلامية العالمية أن يتولى أمور الدعوة وقيادة المسلمين قيادة ربانية قد جرى الإيمان في قلبها وعروقها، وانعكست ثماره على جوارحها، وتفجرت صفات التقوى في أعمالها وسكناتها وأحوالها... وهذا ما كان عليه أستاذنا مصطفى مشهور القائد الرباني..

قد يسألني سائل فيقول: إذا كان مصطفى مشهور قائداً ربانياً فلماذا لم تقم دولة الإسلام العالمية في عهده؟ ولماذا لم يمكن لدين الله بخلافة إسلامية يكون هو خليفته؟!

وأنا أقول لهذا السائل: إذا كنت تعلم أن المرحلة التي عاشها أستاذنا مصطفى والتي نعيش فيها نحن بعده إلى يومنا هذا مرحلة تأسيس وإرساء وإنشاء لقواعد بنيان متين لدولة إسلامية عالمية تهدي البشرية الضالة وتقيم أعظم حضارة عرفها التاريخ بعد أن أفلست كل النظم البشرية، فلن تستعجل الثمرة قبل نضجها ولن تقطف زهرة قبل أوانها. أما مصطفى مشهور فكان يقيم دولة الإسلام في قلوب الإخوان لتقوم على الأرض.

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله - جلال العالم - ص ٦٣.

(٢) المصدر نفسه - ص ٢٥.

(٣) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم - محمد السيد يوسف ص ١٨٥.

الفصل الرابع: أسلوبه في الإدارة

●● الشورى:

الشورى من أسمى المبادئ الإسلامية ومن أعظم قيمه العليا، فرضها الشرع فصارت أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وأداؤها واجب على المسلمين، على سبيل الإعلام أو الإلزام.

والالتزام بالشورى يعتبر من مكونات الشخصية الإيمانية الربانية، وذلك لأن الله تعالى قرن بها بعض الفرائض واجتناب الفواحش، حيث لا تكتمل الشخصية الإيمانية إلا بالالتزام بأوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٧، ٣٨].

كما دخلت الشورى في شئون الأسرة الخاصة بالزوجين قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ورسول الله ﷺ كان أكثر الناس استشارة لأصحابه؛ يستشيرهم في الأمور الكبيرة والصغيرة وفي أيام السلم وإبان الحرب، ويسأل الرجال والنساء ويصغى لأرائهم جماعات وفرادى ويسأل آل بيته، ويسأل الكبار والصغار، ويسأل عامة الناس، بأشكال مختلفة وطرق متنوعة، أى أنه ﷺ كان يعلم سواد الناس المشاركة والتفكير وتحمل المسؤولية. ومن كثرة مشاوره رسول الله ﷺ لأصحابه نرى أبا هريرة قوله^(١): ما رأيت أكثر مشاوره لأصحابه من رسول الله ﷺ، وقال ﷺ فيما رواه الترمذى: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»^(٢).

ثم قرء القرآن مبدأ الشورى في نظام الحكم -حتى ومحمد ﷺ هو الذى يتولاه- وذلك فى النص القرآنى القاطع الذى لا يدع للأمة المسلمة مجالاً للشك فى أن الشورى مبدأ أساسى لا

(١) رواه البيهقى فى حديث طويل فى دلائل النبوة ٩٩/٤ وقال له شواهد وصححه ابن حجر فى الكافى الشافى برقم ٥٩ ولكنه مرسل.

(٢) ضعيف، مسند الترمذى برقم ٢٦٦، وضعفه الألبانى فى ضعيف سنن الترمذى وضعفه، أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٨٩/٦، وضعفه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/٣٤٠.

يقوم نظام الإسلام على أساس سواه، وذلك في الآية الكريمة التي نزلت بعد غزوة أحد والتي كانت تسرية للمسلمين عما حدث في المعركة من خسائر وإرساء لقواعد هذا المبدأ العظيم في العمل السياسي ونظام الحكم، والآية الكريمة هي قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والله تبارك وتعالى رفع شأن هذا المبدأ فأفرد له سورة كاملة سميت سورة الشورى وهي مكية وشملت الآية التي تؤكد أن الشورى صفة ملازمة للجماعة الإسلامية وسلوكًا اجتماعيًا لا يغادرهم قبل قيام الدولة الإسلامية وبعد قيامها (وهي الآية التي ذكرناها في أول الكلام عن الشورى في هذا الفصل، فإن كلمة (أمرهم) من ألفاظ العموم تشمل جميع شئونهم العامة وحياتهم المشتركة.

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يقول الشيخ الشهيد العلامة سيد قطب: [والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، لصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو كما قلنا نص مكي قبل قيام الدولة الإسلامية.

فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد.

والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة وخصائصها الذاتية، والجماعة تتضمن الدولة، وتنهض وإياها بتحقيق المنهج الإسلامي وهيمنتها على الحياة الفردية والجماعية.

ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكراً، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشئون الحكم فيها، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية، وهي من ألزم صفات القيادة^(١).

فنهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين نهج سيدهم ونبیهم وقائدهم، وطبقوا نظام الشورى في حياتهم لشمولها.

وسار الإمام الشهيد حسن البنا على نفس الطريق وربى إخوانه على ذلك، ففي أول حياته الدعوية قال بالشورى المعلمة وكان متحمساً لها، ويحمل إخوانه بالحوار على الأخذ بها، ولكنه في أيامه الأخيرة انتهى إلى الأخذ بالشورى الملزمة وترك لنا قانون الجماعة الذي صاغته

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ / ص ٣١٦٥.

لجنة مؤلفة من الأساتذة: [عبد الحكيم عابدين وطاهر الخشاب وصالح عشاوي -رحمهم الله] وكان الأستاذ حسن البنا على رأس هذه اللجنة التي قدمت مشروع النظام، وتم إقراره في عام ١٩٤٨م أي قبل استشهاده بعام واحد، ينص هذه القانون على الأخذ والالتزام برأى الأكثرية، وإذا ما تعادلت الأصوات فإن رئيس الجماعة أو الإدارة يكون مرجحاً، وهذا هو المعمول به في كل المؤسسات المعاصرة في معظم أنحاء العالم.

وكأننا بالأستاذ البنا رحمه الله قد أخذ بالشورى المعلمة، عندما كان تلامذته ناشئين، وبعد أن بلغوا مرحلة متقدمة في الوعي والفهم انتهى إلى الأخذ بالشورى الملزمة، لتكون أصلاً ثابتاً في القانون الأساسي للتنظيم الذي أنشأه وقاده^(١).

كان أستاذنا مصطفى مشهور مدركاً أن الشورى دعامة من دعائم الإيمان وصفة من الصفات المميزة للمسلمين، سوى الله بينها وبين الصلاة والإنفاق في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] فجعل للاستجابة لله نتائج بين لنا أبرزها وأظهرها، وهي الصلاة والشورى والإنفاق، وإذا كانت الشورى من الإيمان فإنه لا يكمل إيمان قوم بتركوا الشورى ولا يحسن إسلامهم إذا لم يقيموا الشورى إقامة صحيحة. ومادامت الشورى صفة لازمة للمسلم فعلى الحاكم أن يستشير في كل أمور الحكم والإدارة والسياسة والتشريع وكل ما يتعلق بمصلحة الأفراد أو المصلحة العامة، وعلى المحكومين أن يشيروا على الحاكم بما يرونه في هذه المسائل كلها، سواء استشارهم الحاكم أو لم يستشرهم.

لذلك مارس مصطفى مشهور الشورى في حياته بشمولها وأخلص في ممارستها ونحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحداً.

- مارسها في بيته مع زوجته وأبنائه، ونذكر مثلاً ليس على سبيل الحصر: نجحت ابنته الصغرى سمية في الثانوية وكانت الأولى وكان مجموعها يدخلها كلية الطب فأشار عليها وخيرها قاتلاً: [الطب شفاء الأبدان، والدراسات الإسلامية شفاء الأرواح ولك أن تختاري]. . . فاختارت سمية الدراسات الإسلامية.

- ومارس الشورى في الجماعة، ونذكر موقفاً على سبيل المثال وهو: لما اختار الإمام حسن الهضيبي لجنة من الأوفياء الثابتين من كوادر النظام الخاص الذين أخلصوا للدعوة ولم يتمردوا على القيادة للقيام بلم شمل الإخوان وقيادة الجماعة وهم: [الحاج حسنى عيد الباقي والدكتور

(١) منهج الإمام البنا - الثوابت والمتغيرات - الأستاذ جمعة أمين - ص ١٤١.

أحمد الملط والأستاذ كمال السنانيري والحاج مصطفى مشهور والحاج أحمد حسنين] بمعاونة أعضاء مكتب الإرشاد وعلى رأسهم الأستاذ عمر التلمساني والسيد محمد حامد أبو النصر . . . لم يكتف مصطفى مشهور بهذا الاختيار وإنما كان يشاور إخوانه على هذا الاختيار .

يقول الحاج فرج النجار: [كان الحاج مصطفى مشهور من أكثر الإخوان مشاوراً لإخوانه في كل شيء في كل كبيرة وصغيرة، ولما اختير ضمن اللجنة التي مهمتها لم شمل الإخوان وقيادة الجماعة كنت وقتها في القاهرة فسألني قائلاً: ما رأيك في هذه اللجنة؟ فقلت له: اللجنة التي يكون فيها الابن الروحي للإمام الشهيد حسن البنا وحواريه - يعني مصطفى مشهور - جديرة بالقيام بهذا العمل ومؤهلة لقيادة الجماعة^(١) .

- ومارس أستاذاً الشورى وهو مرشد للإخوان المسلمين، لأنه يدرك أن الشورى هي منهج الإدارة في صنع واتخاذ القرار وهي عكس الاستبداد بالرأى، لما تسمح به من تنوع في الآراء التي تعرض قبل «العزم» أي قبل حسم الأمر. وها هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب^(٢) يقول: [في المشورة سبع خصال:

١- استنباط الصواب . ٢- اكتساب الرأى .

٣- التحصن من السقطة . ٤- حرز من الملامة .

٥- نجاة من الندامة . ٦- ألفة القلوب .

٧- اتباع الأثر].

وورد على لسان الأحنف بن قيس عندما سُئل: بأي شيء يكثر صوابك ويقل خطوك فيما تأتيه من الأمور وتباشره من الوقائع؟ قال: [بالمشاورة لذي التجارب]^(٣) .

وكان أستاذاً يشاور إخوانه في الصغيرة فضلاً عن الكبيرة، ويقول عنه الدكتور محمد السيد حبيب: [يكاد يكون مفرطاً في تطبيق الشورى حتى أن البعض كان يأخذ عليه المبالغة في الشورى]^(٤) .

ويقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان الحاج مصطفى مشهور بطبعه واسع الشورى، فكان يحب أن يأخذ رأى الناس ورأى من حوله من الإخوان، ولم أجده في يوم من الأيام

(١) حوار غير مسجل مع الحاج فرج النجار .

(٢) النظام السياسى فى الإسلام - محمد عبد القادر أبو فارس .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حوار مسجل مع الدكتور حبيب .

استبد برأيه أبداً، وأقل ما كان يفعله أن يأخذ رأى نائبه الأستاذ مأمون الهضيبي، والحاج أحمد حسنين باعتبارهما عملياً نائبيه، فكانت هذه الدائرة الثلاثية أضيق الدوائر الشورية بالنسبة للحاج مصطفى^(١).

أما بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين، فإن الشورى عندها من الثوابت التي لا تتغير فهي «أصل موجود وواقع منفذ» كما يقول الأستاذ مصطفى مشهور وهو يؤكد أخذ الجماعة بمبدأ الشورى «الملزمة» ويدفع عن الجماعة تشكيك المدعين المتشككين الذين يتهمون جماعة الإخوان بعدم الأخذ بمبدأ الشورى، هؤلاء يقول لهم أستاذنا: الشورى: أصل موجود، وواقع منفذ. ويشرح ذلك بقوله: [وفي مجال التشكيك أكثر منه في مجال التساؤل يدعى بعض المتشككين أن الإخوان لا يعطون الشورى في تنظيماتهم المكانة اللائقة بها، ويلزمون من يسير معهم بالطاعة العمياء.

وهذا ادعاء باطل، الغرض منه صرف الشباب المسلم الحر عن الانتظام في صفوف الجماعة خشية أن يفقد شخصيته. وواقع الإخوان يرفض هذا الادعاء وينكره، إذ يحرص الإخوان على تكوين الفرد المسلم القوي في كل جوانب شخصيته، صاحب الإرادة القوية المؤثرة المغيرة البناءة، وإلا فكيف تنصدي الجماعة لأعظم إنجاز في الدنيا وهو: إقامة دولة الإسلام وتعتمد في ذلك على نوعيات ضعيفة الشخصية، ضعيفة الإرادة، لا رأى لها ولا تأثير؟ ثم إن الإخوان وقد ألزموا أنفسهم بالإسلام الصحيح كما جاء به رسول الله ﷺ فهمًا وتطبيقًا، ولا يتصور أن يغفلوا أمر الشورى في مناهجهم وتنظيماتهم وقراراتهم، وهم يقرؤون في السيرة كيف كان رسول الله ﷺ يمارسها مع أصحابه مع نزول الوحي عليه، فكيف بنا ونحن أحوج إلى تمحيص الرأى وتبادل المشورة؟ ثم إن الواقع التنظيمي للإخوان يؤكد مبدأ الشورى، فالهيئة التأسيسية ومجالس الشورى وكل مؤسسات الجماعة قائمة على مبدأ الشورى واحترام الرأى والمناقشة بعيداً عن الفرقة والخلاف. ولكن يلزم التنبيه إلى أمر وهو أنه بعد إعطاء حق الشورى والحوار فإنه يجب الالتزام بما ينتهي إليه الجمع من رأى أو قرار بما في ذلك أصحاب الآراء المخالفة، ولا يجوز التحدث بالرأى المخالف بعد ذلك في الصفوف، منعاً للبلبله والفتنة، ولا يعتبر ذلك في هذه المرحلة كبتاً للحرية أو منعاً للشورى، ولكنه منع للفتنة وحماية للصف.

●● الإدارة بالحب:

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إنى لأحبك، والله إنى لأحبك، أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على

(١) حوار مسجل مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

ذكرك وشركك وحسن عبادتك»، وأوصى بذلك معاذ الصنابحي وأوصى الصنابحي أبا عبد الرحمن^(١). سنن أبي داود.

أخذ بيده: كأنه عقد محبة وبيعة مودة.

والله إنني لأحبك: اللام للابتداء وقيل للقسم وفيه أن من أحب أحداً يستحب له إظهار المحبة له.

فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن: إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركن في دبر كل صلاة: أي عقبها وخلفها أو في آخرها.

تقول اللهم أعنى على ذكرك: من طاعة اللسان.

وشركك: من طاعة الجنان.

وحسن عبادتك: من طاعة الأركان.

قال الطيبي: ذكر الله مقدمة انشراح الصدر، وشكره وسيلة النعم المستجابة، وحسن العبادة المطلوب منه التجرد عما يشغله عن الله تعالى^(٢).

هكذا كان رسول الله ﷺ يكلف أصحابه ويدبر أمور دنياهم وأخراهم بالحب.

وأستاذنا مصطفى مشهور، يشهد له كثير من الإخوان أنه كان يدبر أمور الإخوان ويكلفهم بالأعمال بوسيلة الحب. . فكان إذا أراد أن يكلف أحداً من الإخوان أتى به وسأله: [أنت بتحبني يا فلان] فيرد عليه الأخ ويؤكد حبه العميق ومشاعره بكل إخلاص ومودة، فيقول له: [طيب طالما الأمر كذلك أريد منك أن تفعل كذا، أو أن تقوم بالمهمة الفلانية. . إلخ من التعليقات وإسناد المهمات]^(٣).

يقول الشاعر:

بالحب يا مشهور أنت تقودهم وبذاك أنت على القلوب أمير
والحب في فن القيادة جامع والحنق في كل الأمور يضير

وهكذا كان أستاذنا يعقد مع من يريد أن يكلفه عقد محبة ويبايعه ببيعة مودة، ثم بعد ذلك يكلفه بما يشاء، وكأنه يقول له: إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركن هذا الأمر أو هذا التكليف أو المهمة.

(١) ١٥٢٢ صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود.

(٣) حوار مسجل مع الدكتور رشاد البيومي.

كانت هذه الوسيلة ناجحة في إدارته، وذلك لأن المحبة كانت حقيقية فكان يحب الإخوان وكان الإخوان يحبونه .

●● الاتصال بالمحبين:

المحب هو كل من أحب الإخوان المسلمين بسبب (موقف معه أو مع أحد أقاربه أو جيرانه أو أولاده) كان مع أحد الإخوان، أسدى إليه معروفًا أو قدم له مساعدة أو خدمة، جعله يحب هذا الأخ، وعرف عن طريقه الإخوان ووجدتهم مثل هذا الأخ صاحب المعروف فأحب الإخوان، ولهذا السبب أنشأ معهم علاقة حب ومودة، وفي الأصل يكون هذا المحب محبًا لأهل الخير . . هذا المحب وأمثاله يؤيدون الإخوان ويحبونهم ويشاورونهم في كل أمورهم وشئونهم . .

ينظر أستاذنا إلى هؤلاء على أنهم أعضاء في جماعة الإخوان مستقبلاً، فكان يهتم بالجلوس معهم ومقابلتهم في أى مدينة أو قرية يذهب إليها، ليكتشف قدراتهم وطاقتهم ويمهد لتوظيفها وتفعيلها بقدر الإمكان، ومن ناحية أخرى ليتعرف المحبون على القيادة الإخوانية ويتقربون إليها وتطمئن قلوبهم لها، وكذلك تنطبع في أذهانهم ومخيلتهم حسن المعاملة والتواضع والمحبة والمودة فتترسخ في قلوبهم ولا يستطيع أحد أن يمشى بينهم يوشية أو فرية على أى شخص من قيادة الإخوان المسلمين .

●● الاختيار لكل مهمة رجلها المناسب:

أتى نعيم بن مسعود رضى الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت قينا رجل واحد، فخذك عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»^(١) فسعى نعيم وأدى مهمته بإذن الله، فاختلف أمر الأعداء وفرق الله جمعهم بهذا السعى المشكور .

فبعث رسول الله ﷺ رجلاً لينظر ما فعل القوم . . وهذا هو مثالنا الثاني في اختيار رجل المهمة المناسب . .

فمن حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التميمي، عن أبيه قال: كنا عند حذيفة بن اليمان فقال له رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، في ليلة ذات ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخير القوم يكون معي يوم القيامة؟ فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم

(١) رواه ابن إسحاق، ثم انظر القصة في البداية والنهاية- لابن كثير ج/ ٤ ص ١١٣ . وقال الألباني: هذه القصة بدون إسناد ولكن قوله ﷺ: [الحرب خدعة] صحيح متواتر وقد رواه الشيخان انظر فقه السيرة بتحقيق الألباني ص ٣٠٥ .

الثالثة مثله، ثم قال: يا حذيفة قم فأتنا بخير القوم، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: اتنى بخير القوم ولا تدعهم على، قال: فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد قوس وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تدعهم على، ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ، فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان^(١).

أما في غزوة مؤتة فقد اختار رسول الله ﷺ ثلاثة أمراء لقيادة هذه المعركة، واختارهم على الترتيب لعلمه بقدراتهم فهم: ١- زيد بن حارثة ٢- جعفر بن أبي طالب ٣- عبد الله بن رواحة. وكان الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه يتأسى برسول الله ﷺ في هذا الأمر، وكانت له خبرة بالرجال ومعرفة عميقة ودراية دقيقة. فلما كون الإمام النظام الخاص اختار له خمسة ليقودا هذا النظام، وكان يختار أشخاصاً بالتحديد للقيام ببعض المهام. وكان أستاذاً مصطفى مشهور كما عهدناه خبيراً بالرجال وله نظرة ثاقبة، وكان يعرف إخوانه معرفة تامة ويلم إماماً واسعاً بقدراتهم وطاقاتهم.

يقول الدكتور حبيب: [لما خرجت من السجن الذى قضيت فيه مدة خمس سنوات التى حكمت علينا فيه محكمة عسكرية، سألتى الحاج مصطفى قاتلاً: ماذا ستفعل وفى أى مجال تريد أن تعمل؟ فقلت له طبعاً فى التربية، ولكنه قال لى: وأنا أريدك أن تعمل فى قسم المهنيين مع عملك فى التربية وكان يقصد أن الأقسام لا يمكن أن تستغنى عن التربية. فعليك أن تستلم عمل المهنيين وتدخل فى التربية وأن ترتقى بالمهنيين تربوياً]^(٢). وعرفنا أن الحاج مصطفى هو الذى اختار الثلاثة الذين أسسوا مكتب الطلبة وهم: [الدكتور رشاد البيومى لجامعة القاهرة- والدكتور على شهبان لجامعة عين شمس- والدكتور محمود عزت لجامعة الزقازيق].

كانت هذه الاختيارات. . . وغيرها كثيرة، موفقة وسديدة وفق الله تبارك وتعالى الحاج مصطفى فيها أيما توفيق، وحباه من الخبرة ومعرفة الرجال ما يعينه على الاختيار الصحيح.

(١) رواه مسلم برقم: ١٧٨٨.

(٢) حوار مسجل مع الدكتور محمد حبيب.

● المتابعة (١) :

المتابعة عند أستاذنا مصطفى مشهور لها أهمية قصوى ، فهو لا يقتصر على متابعة إخوانه في العمل الإداري ، وإنما يتابع أسر الإخوان المعتقلين ، ولا أبالغ إذا قلت إنه كان يتصل بهم يومياً أو يقوم بزيارتهم ليطمئن عليهم ، كانت له أجندة يجمع فيها أرقام تليفوناتهم . . . تروى إحدى زوجات الإخوان المعتقلين أن الحاج مصطفى مشهور اتصل بها تليفونيا ، فلما ردت على التليفون وقال لها مصطفى مشهور يتحدث معك قالت : صرت أبحث عن مكان مرتفع لكي أقف عليه وأكلمه من مكان عال يليق بمقامه !! . . . ومن خلال اتصالاته بأسر الإخوان المعتقلين يعرف أن فلاناً ابن الأخ فلان مريض أو والده الأخ فلان مريضة أو الابن فلاناً عنده امتحان كذا في كلية كذا . . . إلخ . . . فكان يتابعهم جميعاً ويسأل عن أحوالهم ، فيزور المريض ويبارك للناجح ويساعد المحتاج وهكذا كان في المتابعة مع أسر المعتقلين من الإخوان المسلمين .

أما المتابعة الإدارية لإخوانه ، فقد كان يتابع كل شيء بنفسه ويعرف الصغيرة ويسأل عليها بعد الكبيرة ، وكان يسأل كل مسئول قبل موعد الاجتماع به ومتابعة عمله بشكل رسمي ، وكان دقيقاً ويهتم بتفاصيل الأمور ولا يستصغرها .

يقول الدكتور محمود عزت (٢) : كان الحاج مصطفى يتابعنا بالنظرة أو الكلمة أو الإشارة !! وكنا نفهم من نظرتة ما يريد أن يقوله لنا أو يسألنا عنه !! . . . وكان يقوم بأشق المهمات .

● الثقة المتبادلة وحسن الظن :

في هذا المجال يقول أستاذنا : [إن من أزم الأمور لحسن سير العمل في الجماعة تبادل الثقة وتوفير حسن الظن بين القيادة والجنود ، لما يحققه ذلك من التعاون الصادق لإنجاز متطلبات الدعوة والحركة ، والعكس إذا ظهرت بادرة سوء الظن أو اهتزاز الثقة بين القيادة والجنود ، فإن ذلك ينعكس مباشرة على مجال العمل والتعاون بالإضعاف والتعويق ، والأصل أن نستجيب لأمر الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

(١) كانت متابعته تشمل جميع أنحاء العالم وكل مكان فيه إخوان مسلمون ، بالإضافة إلى أحداث العالم والأقليات المسلمة ، والصراعات والتيارات الفكرية وبؤر الأحداث إلى جانب المتابعة الداخلية حتى الاتصال بقاعدة الجماعة ، وهذا من عبقرياته : أن العالم أجمع في رأسه .

(٢) حوار مسجل مع الدكتور محمود عزت .

كان مصطفى مشهور سليم الصدر حسن الظن، يثق بإخوانه ثقة عظيمة. يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان الحاج مصطفى مشهور أكثر إخوان (النظام الخاص)^(١) تحوراً، فلم يكتف عنا أمراً من أمور الدعوة، وكان يطلعنا على كل شيء ويشعرنا بأننا محل ثقة وأنها تتحمل المسئولية بصفة جماعية.

●● حرصه على الدعوة وأصالتها:

تؤكد مواقف أستاذنا مصطفى مشهور التي لا أستطيع حصرها - حول الحفاظ على دعوة الإخوان المسلمين - حرصه الشديد على التمسك بالدعوة وأصالتها ومبادئها عملياً. . . ونضرب مثلاً على ما نقول: ذكرنا أن مكتب الإرشاد كان يعقد جلسات يجرى فيها مشاوراته حول تكوين حزب سياسي للإخوان المسلمين، واختلفت الآراء في هذا الشأن، وذهب فريق يدعو إلى أن يكون الحزب وعاءاً للجماعة، وكان موقف أستاذنا: أن يكون الحزب جزءاً من أنشطة الجماعة مثله مثل الأقسام الأخرى، وذلك حفاظاً على الدعوة وأصالتها ومبادئها.

كما تؤكد ذلك جميع كتاباته والتي تعتبر تأصيلاً وتنظيراً للدعوة، وهذا من منطلق حرصه الشديد على التمسك بالدعوة وأصالتها ومبادئها نظرياً. . .

●● يجمع بين اللين والصلابة:

إن الله تبارك وتعالى يفضلهُ وكرمه قد أنعم على أستاذنا بعاطفة جياشة تحنو على الكبير والصغير، فكان يهتم بإخوانه اهتماماً عظيماً ويسعى لراحتهم وراحة بالهم. . . وكانت هذه العاطفة وهذا الحنو واضحاً وبارزاً في شخصيته. . . فكان هيناً ليناً عطوفاً رحيماً. . . ومن عبقرية في القيادة أنه كان يجمع بين اللين والصلابة. . . فقد كان قوياً شديداً صلباً في مواقفه من أجل دعوته والدفاع عن أصالتها ومبادئها وكيانها، وكانت صلابة أحد من أبنائه وإخوانه في الدعوة تجعله في أشد الفرح وبالغ السرور، وكان يريد منهم جميعاً أن يكونوا في مواقفهم للدفاع عن دعوتهم شوامخ راسية. . .

لقد عوّدنا النظام المتسلط الحاكم أن يقوم بأعمال قمعية متكررة ومعروفة قبيل كل انتخابات، فيقوم باعتقالات واسعة أو بالضغط على المعتقلين من الإخوان داخل السجون، ويقيم المحاكم العسكرية، وذلك كله للضغط على الإخوان المسلمين وثني عزم قادتهم عن مواقفهم المقاومة لهم ولسياساتهم والانسحاب من الانتخابات وساحات المقاومة. . . هذا كله

(١) يعني الإخوان الذين كانوا يتمون للنظام الخاص سابقاً. والمعلوم أنه لم يعد للإخوان المسلمين نظام خاص.

بالإضافة إلى الضغوط الأخرى الإعلامية وغيرها مثل: التركيز على أن الجماعة محظورة وغير شرعية أو تكرار الاسطوانة المشروخة حول قضايا الإخوان القديمة: [قضية اغتيال النقراشى باشا، وقضية السيارة الجيب، وقضية نسف محكمة الاستئناف، وقضية الأوكار] والكلام عن النظام الخاص أو الجهاز السرى المسلح... إلخ...

ففى سنة ٢٠٠٠م وبالرغم من الأجواء الملبدة بالغيوم ركب أستاذنا ثبج البحر وسط الأمواج المتلاطمة، وبعد إجراء الشورى خرج مكتب الإرشاد بقرار المشاركة فى انتخابات سنة ٢٠٠٠م لمجلس الشعب...

ترددت بعض المكاتب فى محافظات مختلفة فى المشاركة بحجة الضغوط الأمنية، فكان أستاذنا يستدعى مسئولى هذه المكاتب ويناقشهم ويحاورهم ليقنعهم فى دخول الانتخابات... فلم يثنى أستاذنا ولم يلقن، ولكنه كان على قوة وصلابة وشدة وحزم وعزم... فكان يحاول إقناعهم بأن هذه فرصة لإثبات الوجود ولكسر طوق الحصار الذى يحاولون فرضه على الجماعة، وإذا لم نقم بهذا العمل فسوف يحققوا أهدافهم... فلا بد من إبداء القوة والصلابة والجلد للحاق بالدعوة... كان يحاول إعادة صياغة النفس ويربطها بخالقها ودعوتها ورسولها، ويشرح لهم أن الشعوب تنظر إلينا بل الأمة كلها تنظر إلينا وأن الشعوب فى حاجة إلى قيادة قوية صادقة مخلصه، فلا بد من أن نبذل من أنفسنا وحرمتنا وجهدنا ومالتنا ووقتتنا، وإذا رأيت الشعوب ذلك منا سوف تثق بنا وتعطينا تأييدها وثقتها، وإذا لم نفعل ذلك فسيؤثر ذلك على الدعوة وعلى الشعوب بل على أنفسنا... ولا بد من الثقة بالله والثقة بالطريق والثقة بالنفس...

كانت لديه ثقة ويقين وقوة إيمانية وطاقة نفسية هائلة، لا يعرف اليأس طريقاً إليه، وبذل مع الإخوان محاولات مضمية لإقناعهم...

إنه رغم كل ما حوله من ضغوط وعقبات إلا أنه لا يثنى ولا يتحنى ولا يبلين ولا يستكين أبداً -رضى الله عنه وأرضاه.

وبالفعل جرت الانتخابات وفاز الإخوان بأكثر مما فازت به المعارضة مجتمعاً رغم الحروب والعقبات والتزوير التى حدثت ضد الإخوان أثناء الانتخابات.

فى ذلك الوقت أجلت الحكومة محاكمة النقايبين وكانت المحكمة عسكرية!! والمعروف أن المحكمة العسكرية لا تحتل التأخير والتباطؤ، ولكنهم أجلوا النطق بالحكم لمدة عام كامل ليجعلوها ورقة ضغط على قيادة الإخوان^(١).

(١) ألقى القبض على الإخوان النقايبين فى ١٤/١٠/١٩٩٩ واستمرت المحاكمة حتى صدر الحكم فى شهر نوفمبر سنة ٢٠٠٠م وكانت الانتخابات فى أكتوبر سنة ٢٠٠٠م- التى فاز فيها الإخوان المسلمون بسبعة عشر مقعداً.

وخرجت الجماعة من هذه الانتخابات بفائدة الثقة بالقيادة . فلقد رأى الصف الإصرار والصلابة والقوة والجلد والمثابرة والصبر والعزم والحزم من قيادته الرشيدة وعلى رأسها الأستاذ مصطفى مشهور .

●● العلاقة الحميمة بالأفراد:

كانت لأستاذنا علاقة خاصة وحميمة بكل إخوانه، فهو يألف ويؤلف ويحب إخوانه ويحبونه، كما يقول الأستاذ لاشين أبو شنب: [كان مصطفى مشهور شاملاً في حبه لإخوانه إلا أنه كان يشعر كل واحد منا أنه يخصه بعلاقته ومحبته، وحدث ذلك معي شخصياً، كان يشعرني ذلك وكنت أشعر بالفعل بهذه الخصوصية].

وكان يقرب أهل الطاعات، وكل من كانت الجماعة بالنسبة له كل شيء ويقرب من يبذل ويضحى ويقدم لدعوته كل غال ونفيس، وكان يؤكد روح الجماعة والاهتمام بنظرة الناس لها، خصوصاً وقد نشأت قنوات ثقة بين الإخوان من خلال المحن وهي ليست مكتوبة ولكن يحفظ كل واحد لأخيه عهوده ومواريثه، والمعروف أن المحن تكشف عن معادن الرجال وقدراتهم . . . كان الرجل ذا فراسة، ولم يكن يأخذ بالموقف أو الموقفين ولكن كان يختبر الرجال ولا يعبأ بما التفت حولهم من جماهير أو كانوا أصحاب شهرة، بل كان يعيد النظر ولا يسلم لأحد بسهولة وإنما يجرب الفرد في العمل والعبرة بالميدان . . . وكان معياره للشخص الالتزام مع القدرات والطاقات، وبعد كل ذلك كانت له حاسة وميزان يقيس به الرجال، هذا الميزان الذي لا تخدعه المظاهر، ولذلك قال عنه بعض الإخوان إنه انتقائي! فإذا كانت الانتقائية بهذه الكيفية فحيلاً . . . كان يطبق الحديث: «كل ميسر لما خلق له»^(١) وكان يطبق كمال الأمانة فيوسد الأمر لأهله .

يقول الدكتور حبيب^(٢): [لما اختارني إخوان أسيوط مسئولاً عنهم وافق الحاج مصطفى ولكنه أوصاني بالشورى وأن أقيم علاقة حميمة مع كل فرد منهم على حدة، وكانت وصيته موفقة وسبباً في نجاح عملي هناك].

كان مصطفى مشهور شبيهاً بالإمام البنا في كثير من الصفات، فالإمام الشهيد المربي العظيم، كان إذا جلس بين الإخوان كان يشعر كل واحد منهم أنه أقربهم إلى قلبه، وكان هذا الشعور يشمل الجميع، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع أصحابه، فإذا قرأت سيرة أحد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ظننت أنه كان أقربهم وأحبهم إلى قلب الرسول ﷺ .

(١) جزء من حديث . . . متفق عليه البخاري برقم ٧٥٥١ ومسلم برقم ٢٦٤٩ .

(٢) حوار مسجل مع الدكتور، محمد حبيب .

يقول الأستاذ عباس السيسى: [لقد كان حسن البنا روحاً كبيرة فسيحة تملأ كل الفراغ كما يملأ الهواء كل الأجواء، وكان الحضور معه يعنى أن تعيش مغموراً في بحر من السعادة والنور... فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره، وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية ولكنها عاطفة حقيقية صادقة رقيقة تحيى بالحب، والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها ما أحسسته بنفسى وشعورى، كان ذلك فى منزل الأستاذ مصطفى مشهور فى شارع زين العابدين بمحرم بك بالإسكندرية عام ١٩٤٥م وهناك وجدت مجموعة من الأخوة قد سبقونى، وبعد لحظات وصل إلى المنزل فضيلة المرشد حسن البنا وكانت مفاجأة سارة... جلس يتحدث معنا فى تطورات الدعوة وواجبنا نحوها بروح لطيفة مؤنسة وتحدث عن أمله فى الشباب وثقته بإيمانهم... وكانت لحظات واستأذن للخروج... وقمنا لوداعه، وكان عناقاً حاراً مؤثراً، أبلغ وأعطر وأذكى ما فيه تلك الدموع التى تساقطت من عينيه... وبإلهام من لحظات فى حياتنا... لا تنسى أبداً^(١).

●● المركزية واللامركزية فى الإدارة،

كان الحاج مصطفى يحمل هم الجماعة ولا يشغله فى حياته أمر غير الجماعة، وكان ملماً بأمور الجماعة فى الخارج والداخل وكان حريصاً على متابعة سيرها ودقيقاً فى متابعتها حتى أن بعض الإخوان كانوا يظنون المركزية فى إدارته... يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان الحاج مصطفى بسيطاً فى إدارته ولم يكن لديه أى تعقيد إدارى، فكان يعرض إخوانه - بسعة صدره وتواصله وحبه وصفحته وصبره - الدارسين لعلوم الإدارة الحديثة نظرتهم له ونقدتهم أسلوبه البسيط وأنه مخالف لقواعد الإدارة الحديثة - إلا أنه لم يكن يعارض أو يعترض قواعد الإدارة، ولم يعبه عدم إلمامه بقواعد الإدارة الحديثة^(٢)، وكان أول من دعا إلى عمل خطة لسيير عمل الجماعة وأول من ترأس لجنة الخطة.

أما تقسيم الأدوار وتوزيع الأعمال والتكاليف فكانت من طبيعة الحاج مصطفى مشهور، فهو الذى يختار الرجال ويكلفهم بالأعمال... فكان البعض يأخذ عليه المركزية فى الإدارة!! وأنه يتابع كل كبيرة وصغيرة بنفسه حتى يصل إلى قاعدة الهرم؛ حتى المحيين كان يتابعهم... فعلى المستوى الإدارى قد تكون المركزية معوقة أحياناً، ولكنه لم يكن يفعل ذلك من باب المركزية... فلم أر فيه أنه كان رجلاً مركزياً... وإنما كان يفعل ذلك من باب الحرص

(١) حسن البنا مواقف فى الدعوة والتربية - عباس السيسى ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) فى الثلاثين عاماً الماضية تطور علم الإدارة تطوراً كبيراً، فلم يكن يلزم الحاج مصطفى وأبناء جيله أن يدرسوا أو يستوفوا علم الإدارة الحديث.

والاطمئنان والاهتمام . . حتى أنه كان يذكر مساعديه ويذكر سكرتيره!! والمفروض أن السكرتير هو الذي يذكره . .

إن تواضعه وأدبه مع إخوانه جعله حريصاً أن يعمل بنفسه كل شيء ، أذكر في اجتماعات مكتب الإرشاد أكون جالساً بجوار مفتاح مصباح الكهرباء وإذا أراد أن يفتح المصباح كان يقوم بنفسه ويذهب إلى المفتاح ويفتحه ولا يطلب مني وأنا جالس بجوار المفتاح ، وهذا من أدبه وتواضعه ، فقد كان رجلاً متواضعاً صالحاً طيباً^(١).

ويقول الدكتور حبيب : [كان الحاج مصطفى يؤمن بأن التكليف أصل التورث ، وهو الذي أنشأ التخطيط داخل الجماعة ، وكثير من المواقف تثبت أنه لم يكن مركزياً . . ولقد أعطاه الله تبارك وتعالى من الإحاطة والشمول والحضور ما لا يعطيه لغيره من الإخوان . . فإذا كان الحاج مصطفى يعلم ما يحدث وما يدور في هذه المنطقة أو الشُعبة أو الأسرة في الداخل والخارج فهي موهبة ، فما ذنبه إذ جباه الله تبارك وتعالى بذلك . . .]^(٢).

سبق وأن أشرنا إلى أن الإمام الشهيد حسن البنا كان يطلق على الحاج مصطفى مشهور : [أمين الدعوة في هذا الزمان] وكان في ذلك الوقت طالباً بكلية العلوم ، وذلك لما يتمتع به من همة عالية واهتمام بالغ بالدعوة وسيرها وحرصه الشديد على انتشارها واتساعها ولهفته على نوعية الفرد ومدى تربيته والتزامه بدينه وقوة إيمانه وعلاقته بربه ، وهكذا كان مصطفى مشهور حتى آخر يوم في حياته .

●● الأمل:

الإسلام يحرم اليأس والقنوط ، وينهى عن التخاذل والفرار ويعين على تحمل الأمانة ، وطبيعة الإسلام تؤز أزا وتدفع دفعاً إلى إعلاء الهمم وتقوية العزم واستعادة الثقة وجوب الحركة للإنقاذ ومواجهة الأعداء ومجابهة التحديات والمخاطر دون يأس أو خوف أو تردد . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] . وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] . وقال تعالى :

(١) حوار مسجل مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح .

(٢) حوار مسجل مع الدكتور محمد حبيب .

تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وفي حلقة أخرى من نفس السلسلة يقول أستاذنا الحاج مصطفى مشهور: [لا يجوز لمسلم أن يداخله ظن باستمرار ليل الظلم والظلام، أو أنه ليس له نهاية، كما لا يجوز أن يترك الواقع الحالى أى أثر من يأس وإحباط فى نفسه، رغم قسوة الظلم وحلقة الظلام، ليس ذلك من شيم المسلمين، ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

كما لا يتوهم من هم وراء الظلم والظلام أنهم قادرون على تأمين أنفسهم وعلى استمرار هذه الحال من الظلم دون تغيير، فالأمور كلها بيد الله سبحانه والله لا يرضى عن الظلم، كما أنه لو دام الحال لغيرهم ما وصل إليهم، والله سبحانه فى تغيير الأحوال سنن لا تتبدل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ويقول: [هل سمعنا يوماً أن فريقاً من الناس على امتداد البشرية اجتمعت إرادتهم على محاولة لإطفاء نور الشمس؟ ليس فى طاقة البشر، فكيف إذن بنور الله الذى جاء به الإسلام وهو أقوى وأسطع من نور الشمس، ولا نسبة بينهما؟ وصدق الله العظيم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وسنة الله فى إتمام نوره أن يواجه المسلمون محاولات أهل الباطل لإطفاء نور الحق بما طلبه منهم إسلامهم من:

- إعداد.
- تربية.
- صبر.
- ثبات.
- جهاد.
- تضحية.

ملتزمين فى هذا المجال بالأسباب والوسائل التى شرعها الإسلام لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والأمل يملأ قلوبهم، واليقين يطمئنهم بالنتيجة الحتمية لهذه المعركة بين الحق والباطل والتى أكدها القرآن الكريم بالآيات الكريمة ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ

[حقاً كثر الظلم والطغيان واستكبر الطغاة والظالمون، وقست قلوبهم فصارت كالحجارة أو أشد قسوة وخلت من الرحمة والإنسانية وكأني بالوحوش الكاسرة أرحم منهم .
كما اشتد الظلام: ظلام الجهل وظلام المادة وحضارة المتع والشهوات التي غزت بلادنا من الغرب والشرق، وانتفش الباطل بظلامه وانحسر الحق بنوره إلى حد ما .
حقاً طال ليل الظلم والظلام . . . ولكن مع ذلك فالمستقبل للإسلام، وكل الدلائل تؤكد هذا . . .]

ويقول: [إن المبادئ الأرضية جميعها تعلن إفلاسها وفشلها وتراجعها وليس هناك بديل إلا الإسلام منهاج رب العالمين .

و شاء الله سبحانه أن يهيئ لهذا الدين من يجدده ويبعث الحياة في جسد الأمة الإسلامية لتنهض من كبوتها، وتصحو من غفوتها لتؤدي رسالتها بنشر هذا الدين الحق في آفاق الدنيا، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ومن الغريب أن أحد الفلاسفة الغربيين ألف كتاباً بعنوان: [الإسلام قوة الغد العالمية]^(١) ينبه فيه الغرب المسيحي أنه ستقوم في الشرق دولة إسلامية عالمية عندما يصحو هذا العملاق من غفوته [العالم الإسلامي] ويتعرف على القوى الكامنة فيه، وأنه لن تقف أي مقومات في أوروبا أمام هذه الدولة .

هذا ما قاله ذلك الفيلسوف الغربي وقد سبقه الإمام الشهيد حسن البنا بكلام دقيق حول هذا المعنى، بعد أن ذكر العقبات في طريق الدعوة قال تحت عنوان: (عوامل النجاح): «ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعاً، أن ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات وننادى بفكرة الإسلام وهي أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨] . وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيها يمهد لها ويهيئ سبيلها، وإننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية، بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وأننا نترقب تأييد الله ونصرته، ومن نصره الله فلا غالب له ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] .

فقوة دعوتنا وحاجة العالم إليها، ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا، هي عوامل النجاح التي لا

(١) جريدة الشعب العدد (٥١١) الثلاثاء ١٢ من صفر ١٤١٠ هـ، الموافق ١٢/٨/١٩٨٩ م.

جَفَاءَ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿ [الرعد: ١٧] . ﴿ بَلْ نَقْدِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿ [الأنبياء: ١٨] . ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿
[الررم: ٤٧] ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿
[القصص: ٥] (١).

ويؤكد الحاج مصطفى أن نور الله سيعلو ويعم مؤذناً بانتهاء ليل الظلام فيقول: [رغم كل هذا الظلام الزاحف بجنوده وقوته وعتاده، فإننا مطمئنون أن هذا الظلام سيتبدد وأن نور الله سيعلو ويعم مؤذناً بانتهاء ليل الظلام، ولن تجدى كل وسائل إعداء الله في محاولة إطفاء نور الحق، وصدق الله العظيم ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ (٢).

كان مصطفى مشهور لا يعرف اليأس ولا القنوط ويحدوه الأمل حتى آخر لحظة في عمره، بل كان يدعو إلى الأمل ويثبته في قلوب الشباب ويشرهم بأن المستقبل للإسلام.

يقول الدكتور محمد حبيب (٣): [كان للحاج مصطفى مقال ثابت في رسالة الإخوان المسلمين، يجمع له بعض إخوانه ويناقشهم في اختيار الموضوع وعناصره ويكلف أحدهم بصياغته . . وفي اليوم الذي غشى عليه فيه وهو يوم الثلاثاء ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٢ م، كان المقال قد أعد للمراجعة والمناقشة، فقرأت عليه المقال . . ولكنه قال لي: [يا محمد أنا عاوز المقال ده يكون كله أمل . . . فقلت له: ما هو المقال فيه ما تقوله حضرتك، فقال: بس أنا عاوز الأمل يقفز من بين السطور ويكون واضح للقارئ . . .] ثم ربط الدكتور حبيب بين هذا الموقف وحديث الثلاثاء الذي كان يلقيه الإمام الشهيد حسن البنا المملوء بالأمل والحب في الله والأخوة في الله وحب الدعوة، والذي يربط الحاضرين بالله تبارك وتعالى .

وفي الختام نقول: هكذا كانت عبقرية القيادة المتألقة، والتي لا ترقى إليها القيادات التقليدية أو القيادات المصنوعة والمتكلفة، وإنما هي العبقرية التي صاغها الله تبارك وتعالى واختار لها أهلها، ونحسب أستاذنا مصطفى مشهور من أهلها ولا نزكى على الله أحداً، فالرجل كان عبقرياً في قيادته، اجتمعت عنده: الشورى والإدارة بالحب، والتواضع الذي

(١) جريدة الشعب العدد (٥١٢) الثلاثاء ١٩ من صفر ١٤١٠ هـ، الموافق ١٩ / ٨ / ١٩٨٩ م.

(٢) جريدة الشعب، العدد (٥١١) الثلاثاء ١٢ من صفر ١٤١٠ هـ، الموافق ١٢ / ٨ / ١٩٨٩ م.

(٣) حوار مسجل مع الدكتور محمد حبيب .

يجعله يتصل بالقاعدة مباشرة، وحسن اختياره لرجال المهمات، وحسن متابعته لسير العمل، وملئه جنوده بالثقة وغرسه فيهم حسن الظن، وشدة حرصه على أصالة الدعوة وحراسته اليقظة للدعوة، والتقاء اللين والصلابة في شخصه، وهذا أمر عسير لدى غالبية القادة، وعلاقته الحميمة بأفراد الجماعة، وجمعه بين المركزية واللامركزية في إدارته، وتشبعه بالأمل ويقينه فيه بل وبثه في نفوس أفراد الجماعة.

الباب الثامن
مصطفى مشهور
ورسائل الإمام البنا

الفصل الأول:

لمحة في رسائل الإمام البنا^(١)

تتكون رسائل الإمام البنا من عشرين رسالة، يمكن تقسيمها على أساس صورة إعدادها وآلية أدائها إلى:

•• أولاً: رسائل مقاليتية:

أى نُشرت في شكل مقالات ثم جُمعت بعد ذلك في رسالة واحدة مثل:

١- رسالة (بين أمس واليوم) وقد نشرت تبعاً في جريدة «الإخوان المسلمين» ابتداءً من عدد ٤ صفر ١٣٥٣ هـ.

٢- رسالة (هل نحن قوم عمليون) وقد نشرت تبعاً في جريدة «الإخوان المسلمين» ابتداءً من العدد (١٤) بتاريخ ٢٨ من ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ، ثم الأعداد ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧.

ثانياً: رسائل خطابية:

أى تمثلت في خطب ومحاضرات، ثم بعد ذلك طبعت في رسائل، وهى:

١- رسالة (إلى الشباب).

٢- رسالة (الإخوان المسلمون تحت راية القرآن).

وهو نص خطاب ألقاه المرشد فى جمع حاشد من الإخوان بدار الإخوان بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨ هـ- الموافق ٤ من أبريل ١٩٣٩ م.

٣- رسالة (المؤتمر الخامس) وهى نص خطبة ألقىت فى مؤتمر الإخوان سنة ١٣٥٧ هـ المنعقد بالقاهرة.

٤- رسالة (إلى الطلاب) وهى نص خطبة ألقىت فى مؤتمر الإخوان سنة ١٣٥٧ هـ.

٥) رسالة (المؤتمر السادس) وهى خطاب ألقى فى المؤتمر المنعقد فى يناير ١٩٤١ م.

ثالثاً: رسائل معدة مكتوبية:

وهى التى ألفت ابتداء ولا تدخل فى نطاق الأنواع السابقة وهى:

(١) من كتاب: الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل - د. جابر قمبيحة.

- ١- رسالة (دعوتنا).
- ٢- رسالة (إلى أى شىء ندعو الناس).
- ٣- رسالة (دعوتنا فى طور جديد).
- ٤- رسالة (مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى).
- ٥- رسالة (مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى - نظام الحكم).
- ٦- رسالة (مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى - النظام الاقتصادى).
- ٧- رسالة (الجهاد).
- ٨- رسالة (المرأة المسلمة).
- ٩- رسالة (التعاليم).
- ١٠- رسالة (نظام الأسر).
- ١١- رسالة (العقائد).
- ١٢- رسالة (المأثورات).

رابعاً: رسائل عامة مكتوبة موجهة إلى معروفين محددين:

- ١- رسالة (نحو النور).

•• طبيعت رسائل الإمام البنا:

- تمثل مجموعة رسائل الإمام البنا أصول الفكر الإخوانى وبرامج الإخوان، ومنهاجهم التربوى والإصلاحى فى نطاق الفرد والأسرة والمجتمع. وتتعدد المحاور الموضوعية فيها كما يلى:
- أ- منها العقدى الروحانى: وتتمثل فى رسالة (العقائد) ورسالة (المأثورات).
 - ب- ومنها التنظيمى الداخلى للجماعة. رسالة (نظام الأسر) ورسالة (التعاليم).
 - ج- ومنها ما هو تنظيمى عام للجماعة، وهو أوسع وأرحب من النوع السابق، كرسائله الخطابية الموجهة للإخوان مثل: رسالة (إلى الشباب)، ورسالة (المؤتمر الخامس)، ورسالة (المؤتمر السادس).
 - د- ومنها ما يمثل عرضاً لمبادئ الإخوان ومنهجهم الإصلاحى مثل: رسالة (دعوتنا) ورسالة (إلى أى شىء ندعو الناس).

هـ- ومنها ما هو إسلامي - بالمفهوم العام: يعرض للرسالة وللرسول ﷺ وأصحابه، وحال الدولة الإسلامية في ماضيها وحاضرها وموقف الإسلام من (المحدثات) كالقومية والمذاهب الأخرى مثل: رسالة (بين أمس واليوم) ورسالة (المرأة المسلمة) ورسالة (هل نحن قوم عمليون؟)

و- ومنها ما يمكن أن نسميه: الرسائل الدستورية، وهي التي تعرض الخطوط العريضة للدستور الإسلامي في مجال الحكم والاقتصاد والتربية والحرب مثل: رسالة (مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي - نظام الحكم، النظام الاقتصادي) ورسالة (الجهاد).
ولكننا نجد تداخلاً وتعانقاً مشمراً بين عدد من الأفكار في كل الرسائل، حتى يصعب الفصل بين ما هو للإخوان خاصة أو للمسلمين عامة.

إن ما ذكرناه هنا من رسائل فهي: (الرسائل الدعوية الكتابية)، وهناك أنواع أخرى من رسائل الإمام البنا وهي:

- أ- (الرسائل العامة الموجهة) وهي الرسائل الموجهة للملوك والأمراء والرؤساء.
- ب- (الرسائل الشخصية أو الخاصة) وهي رسائله الخاصة إلى أبيه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي رحمه الله.

●● موقف مشهور من هذه الرسائل:

كانت بعض الرسائل قد سبقت مصطفى مشهور وظهرت قبل انضمامه للإخوان، منها على سبيل المثال رسالة دعوتنا ورسالة إلى أي شيء ندعو الناس، ورسالة هل نحن قوم عمليون، ومن قبلها رسالة المرشد ورسالة الدعوة^(١)، فلما انضم مصطفى مشهور إلى الإخوان درس هذه الرسائل وحفظها عن ظهر قلب، ثم بعد ذلك ظهرت باقي الرسائل بأنواعها وفي مناسباتها وكذلك درسها وحفظها عن ظهر قلب، وكان شديد التأثر والتمسك بها حتى أنه كان يستشهد بها في حديثه مع الآخرين في سلاسة وتلقائية متناهية.

(١) رسالة المرشد وهي أول ما طبع من الرسائل (القانون الأساسي للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية) صدر منها عددان، الأول بتاريخ ٥ من رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢ من يناير ١٩٣١ م، والثاني بتاريخ ٢٠ من شعبان سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٩ من ديسمبر ١٩٣٢ م.
أما رسالة الدعوة فهي الرسالة التي زود بها الإمام البنا دعائه إلى الأقاليم سنة ١٩٣٥ م يقول عنها الأستاذ عبد الحكيم عابدين: (وددت لو أنها موجودة الآن وكنت قد فقدت أحد أولادي، وهي وثيقة سماها الإمام (دستور الدعوة) انظر في مذكراته غير المنشورة لعبد الحكيم عابدين).

سهل على مصطفى مشهور تجاوز مراحل الدراسة في مرحلتى التعريف والتكوين وكان من أبرز الإخوان فى الأسر والكتائب حتى تميز وصار من الإخوان العاملين فى مجال الدعوة العامة، وساعده ذلك كثيراً فى مهمته التى كلفه بها الإمام الشهيد وهى تربية الرجال وإعدادهم وتجهيزهم فى النظام الخاص .

وكانت هذه الرسائل زاداً له فى السجون والمعتقلات وبفضل هذه الرسائل بعد الله تبارك وتعالى استطاع مشهور أن يواجه الابتلاءات والفتن والمحن ويأخذ بأيدي إخوانه، فقد كان بمثابة بؤرة الجذب فى الثبات على المبدأ والتمسك بالحق فى صمود وشموخ .

ولما سطر كتبه التى كانت مخاضاً لممارسته العملية الطويلة لدعوته فى حياته وليست مجرد فكر مجرد، كانت مبنية على هذه الرسائل وكان الاستشهاد بها كما تقدم فى سلاسة وتلقائية متناهية .

إن رسائل الإمام البنا هى التى صاغت مصطفى مشهور وإخوانه الصادقين وخصوصاً رسالة التعاليم وهى الرسالة التنظيمية الداخلية التى تبنى شخصية الأخ المسلم، ولذلك فسوف نقدم فى هذا الباب دراسة تلقى فيها الضوء ما استطعنا على حال أستاذنا العظيم مصطفى مشهور بعد إثبات هذه الرسالة بكاملها لأهميتها، وسنكتفى بها عن الرسائل الأخرى .

الفصل الثاني: رسالة التعاليم

تعتبر رسالة التعاليم من الرسائل التي تحمل فكر الجماعة، وتعد المصدر الأصيل لهذا الفكر..
وضعها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه وكتبها قاصداً بها نخبة معينة
ودرجة خاصة من الإخوان المسلمين وهم «المجاهدون»..

يقول رضى الله عنه: (هذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا
بسمو دعوتهم وقدسيتهم فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى
هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهى ليست دروساً تحفظ لكنها تعليمات تنفذ،
فالى العمل أيها الإخوان الصادقون ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل
وجهة هو موليتها، فاستبقوا الخيرات، وكلاً وعد الله الحسنى.

ثم يؤكد الإمام توجيه رسالته إلى النخبة المقصودة فيقول: أيها الإخوان الصادقون، أركان
بيعتنا عشرة فاحفظوها -يعنى علماً وعملاً-:

[الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد،
والأخوة، والثقة].

ثم فصل هذه الأركان ركناً ركناً بالترتيب موجهاً كلامه إلى هذه النخبة بعد أن جمعها على
قلب رجل واحد، فقال منادياً وكأنه يخاطبهم فرداً فرداً أو جماعة فى فرد: أيها الأخ الصادق:

الفهم

إنما أريد بالفهم:

أن توقن بأن فكرتنا «إسلامية صميمة» وأن تفهم الإسلام كما تفهمه، فى حدود هذه
الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز:

١- الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

٢- والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

٣- وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

٤- والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان في هذا الباب منكر يجب محاربهته «إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة».

٥- ورأى الإمام أو نائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفي المصالح المرسله، معمول به ما لم يضطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات. والأصل في العبادات التعبد دون التفات إلى المعاني، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد.

٦- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم عليه السلام، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص - فيما اختلف فيه - بطعن أو تحريج، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا.

٧- ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر.

٨- والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقق العلمي التنزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجبر ذلك إلى المراء المذموم.

٩- وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالحوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والحوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفي التأويل مندوحة.

١٠- معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه، تؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا في ذلك ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

١١- وكل بدعة في دين الله لا أصل لها- استحسناها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص- ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها.

١٢- والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي، لكل فيه رأي، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

١٣- ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قرينة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم.

١٤- وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشبيد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة.

١٥- والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

١٦- والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها. كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.

١٧- والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

- ١٨- والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء. و«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».
- ١٩- وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي. فلن تصطمح حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار.
- ٢٠- لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأى أو معصية- إلا أن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر. وإذا علم الأخ المسلم [دينه] في هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائماً: [القرآن دستورنا والرسول قدوتنا].

الإخلاص

وأريد بالإخلاص:

أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة، لا جندي غرض ومنفعة ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٣) لا شريك له وبذلك أمرت ﴿[الأنعام: ١٦٣]. وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: [الله غايتنا] و[الله أكبر والله الحمد].

العمل

وأريد بالعمل:

ثمرة العلم والإخلاص: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

- ١- إصلاح نفسه: حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً في شؤونه، نافعاً لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدة.

٢- وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام - وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك .

٣- وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصيغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً، وذلك واجب كل أخ حدته، وواجب الجماعة كهيئة عامة .

٤- وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي - غير إسلامي - سياسى أو اقتصادى أو روحى .
٥- وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها، والحكومة إسلامية مادام أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه .

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة فى غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذى تتخذه ولا بالنوع، مادام موافقاً للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى .

ومن صفاتها: الشعور بالتبعية، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة .
ومن حقها - متى أدت واجبها - الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والأموال فإذا قصرّت، فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٦- وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتنا وجمع كلمتها، حتى يودى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة، والوحدة المنشودة .

٧- وأستاذية العالم، بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ﴿ وَيَأْتِىَ اللَّهُ لِأَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] .

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً فى الجماعة، وما أثقلها تبعات، وما أعظمها مهمات، يراها الناس خيالاً ويراهها الأخ المسلم

حقيقة، ولن نياس أبداً، ولنا في الله أعظم الأمل ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

الجهاد

وأريد بالجهاد:

الفريضة الماضية إلى يوم القيامة. والمقصود بقول رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغزو ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»^(١). وأول مراتبه إنكار القلب، وأعلها القتال في سبيل الله، وبين ذلك: جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر. ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، ويقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج: ٧٨]. وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: [الجهاد سبيلنا].

التضحية

وأريد بالتضحية:

بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضحية في سبيل فكرتنا تضحية. وإنما الأجر الجزيل والثواب الجميل، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ... ﴾ الآية ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... ﴾ الآية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ... ﴾ الآية، ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا... ﴾ الآية.

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: [والموت في سبيل الله أسمى أمانينا].

الطاعة

وأريد بالطاعة:

امتثال الأمر وإنفاذه تَوْأً في العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث: التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة في هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية. وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ لا يُعرف كما قال الإمام ابن تيمية في منهاج السنة ١/١١٠ والصحيح: [من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق]. رواه مسلم برقم ١٩١٠ وأبو داود [ولم يحدث نفسه بالغزو...]. ٢٨٨٩ والنسائي ٣٠٩٧.

المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها «القانون الأساسي» وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة في هذه المرحلة «عامة».

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها ووعده بالمحافظة على مبادئها. وليست الطاعة التامة لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة - في هذه المرحلة - صوفي بحث من الناحية الروحية، وعسكري بحث من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائماً (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج، وتمثل الكتاب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقاً، وهذه الرسالة الآن. والدعوة فيها «خاصة» لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقياً لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد «كمال الطاعة».

التنفيذ: والدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا «كمال الطاعة كذلك» وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ.

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتبية، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث. فقدّر التبعة التي التزمتها وأعد نفسك للوفاء بها.

الثبات

وأريد بالثبات:

أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته، مهما بعدت المدة وتناولت السنوات والأعوام، حتى يلقي الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسينيين، فإما الغاية وإما الشهادة في «النهاية» ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات، ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا [الستة] تحتاج إلى حسن إعداد وتحمين الفرصة ودقة الإنفاذ، وكل ذلك مرهون بوقته ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

التجرد

وأريد بالتجرد:

أن تتخلص لفكرتك عما سواها من المبادئ والأشخاص، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤]. والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهدًا، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي معاهد، أو محايد، أو محارب. ولكل حكمه في ميزان الإسلام، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء.

الأخوة

وأريد بالأخوة:

أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وهكذا يجب أن نكون.

الثقة

اطمئنان الجندى إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. والقائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ (٢) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١]. وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة

القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعاً، والثقة بالقيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات. ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته:

- ١- هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟
 - ٢- هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟
 - ٣- هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التى تصدر إليه من القيادة فى غير معصية طبعاً قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟ مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟
 - ٤- هل هو مستعد لأن يفترض فى نفسه الخطأ وفى القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم فى المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى؟
 - ٥- هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة فى نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة؟
- وبالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهاها يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٥].
- أيها الأخ الصادق:

- إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء:
- ١- أن يكون لك «ورد» يومية من كتاب الله لا يقل عن جزء، واجتهد ألا تختم فى أكثر من شهر ولا فى أقل من ثلاثة أيام.
 - ٢- أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر فى معانيه، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك، وأقل ما يكفى فى ذلك «كتاب «حماة الإسلام» وأن تكثر من القراءة فى حديث رسول الله ﷺ، وأن تحفظ أربعين حديثاً على الأقل ولتكن الأربعين النووية، وأن تدرس رسالة فى أصول العقائد ورسالة فى فروع الفقه.
 - ٣- أن تبادر بالكشف الصحى العام وأن تأخذ فى علاج ما يكون فيك من أمراض، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحى.
 - ٤- أن تبتعد عن الإسراف فى قهوة البن والشاى ونحوها من المشروبات المنبهة، فلا تشربها إلا للضرورة، وأن تمتنع بتأتاً عن التدخين.

- ٥- أن تعنى بالنظافة فى كل شىء فى المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل ، فقد بنى الدين على النظافة .
- ٦- أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً .
- ٧- أن تكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد ، فلا تخلف مهما كانت الظروف .
- ٨- أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق وكتمان السر ، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب .
- ٩- أن تكون وقوراً تؤثر الجدد دائماً ، ولا يمنع الوقار من المزاح الصادق والضحك فى تيسم .
- ١٠- أن تكون شديد الحياء رقيق الشعور ، عظيم التأثير بالحسن والقبح تسر للأول وتتألم للثانى ، وأن تكون متواضعاً فى غير ذلة ولا خضوع ولا ملق ، وأن تطلب أقل مرتبتك لتصل إليها .
- ١١- أن تكون عادلاً صحيح الحكم فى جميع الأحوال ، ولا ينسبك الغضب الحسنات ولا تغضى عين الرضا عن السيئات ، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل ، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان مرأ .
- ١٢- أن تكون عظيم النشاط مديراً على الخدمات العامة ، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس ، فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضيف وتواسى المنكوب ولو بالكلمة الطيبة وتبادر دائماً إلى الخيرات .
- ١٣- أن تكون رحيم القلب كريماً سمحاً تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان ، جميل المعاملة ، حسن السلوك مع الناس جميعاً ، محافظاً على الآداب الإسلامية الاجتماعية ، فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح فى المجلس ، ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب ، وتستأذن فى الدخول والانصراف إلخ .
- ١٤- أن تجيد القراءة والكتابة وأن تكثر من المطالعة فى رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها ، وأن تكون لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة ، وأن تتبحر فى علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص ، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إماماً يمكنك من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع مقتضيات الفكرة .
- ١٥- أن تزاول عملاً اقتصادياً مهما كنت غنياً ، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً ، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .
- ١٦- ألا تفرص على الوظيفة الحكومية ، وأن تعتبرها أضييق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتاحت لك ، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة .

- ١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجابة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد .
- ١٨- أن تكون حسنَ التقاضى لحقك، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولا تماطل أبداً .
- ١٩- أن تتعد عن المسير بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل .
- ٢٠- أن تتعد عن الربا فى جميع المعاملات وأن تطهر منه تماماً .
- ٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى .
- ٢٢- أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك، تؤدى الزكاة الواجبة فيه، وأن تجعل منه حقاً معلوماً للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً .
- ٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءاً من دخلك مهما قلّ، وألا تنورط فى الكماليات أبداً .
- ٢٤- أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة، ومن ذلك التحية، واللغة والتاريخ والزي والأثاث، ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب، والقدوم والانصراف، والحزن والسرور . . إلخ وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك .
- ٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة .
- ٢٦- أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة، ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكثار من الذكر القلبى واللسانى، وتحرى الدعاء المذكور على كل الأحوال .
- ٢٧- أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان .
- ٢٨- أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها فى أوقاتها، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

٢٩- أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، وتعمل على ذلك مستطيعاً الآن ذلك .

٣٠- أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعت الاستعداد .

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائماً وأن تتحرز من صفات الأثام فضلاً عن كبارها، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسب فيها على ما عملت من خير أو شر، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه في غير فائدة، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام .

٣٢- أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازغ الغريزة في نفسك، وتسمو بها دائماً إلى الحلال الطيب، وتحول بينها وبين الحرام من أى كان .

٣٣- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

٣٤- أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم .

٣٥- أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعاً .

٣٦- أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك، وتؤدى حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار، وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر، وتؤثرهم بمعاملتك دائماً .

٣٧- أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملى بها، وأن تعتبر نفسك دائماً جندياً في الثكنة تنتظر الأمر .

●● فضل رسالة التعاليم:

لقد أثبتنا رسالة التعاليم بكاملها للفائدة، ولأنها لا تقبل الاختصار أو الاجتزاء وهى ليست دروساً كتبها الإمام البنا للحفظ، وإنما هى تعليمات تنفذ بحذافيرها تتكون هذه الرسالة من عشرة أركان للبيعة - مع الله تبارك وتعالى - وضعها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه، وذلك ليلتزم بها ويحققها فى نفسه كل من أراد أن يأخذ مكانه فى صفوف الدعوة، فإذا آمن الأخ بهذه الأركان فقد وجب عليه أن يلتزم بشمانية وثلاثين واجباً حددها له الإمام البنا فى هذه الرسالة العظيمة، ليكون لبنة قوية فى البناء

لقد وصفها الإمام الشهيد بقوله: [هي مجمل الدعوة، وموجز الفكرة، تجمعها خمس كلمات: (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمانتنا).. وكذلك تجمعها خمس مظاهر: [البساطة، والتلاوة، والصلاة، والجنديّة، والخلق]. ثم وجه رضى الله عنه نصيحته للأخ المسلم فقال: خذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففى صفوف القاعدين متسع للكسالى والعاثين.

وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية من غاياتك، كان جزاؤك العزة فى الدنيا والخير والرضوان فى الآخرة، وأنت منا ونحن منك، وإن انصرفت وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب. فاختر لنفسك، ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَزْمُونُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿﴾ [الصف: ١٠-١٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿﴾ [الصف: ١٤].

●● مصطفى مشهور وأركان البيعة:

تلقى أستاذا مصطفى مشهور أركان البيعة من واضعها وتربى بين يدي منشئها أستاذه وشيخه الإمام الشهيد حسن البنا، ففهمها فهماً نقياً صافياً سهلاً شاملاً كافياً وافياً، ووعاها وطبقها فى نفسه وعاشها بين إخوانه ركناً ركناً، فقد تسربت إلى عمق قلبه وملكت عليه حسه وشعوره وأخذت بمجامع لبه وذهنه وفؤاده حتى توزعت بين حناياه، فتأصلت فى نفسه وتجدرت، وتحققت فيه بأوفى ما يكون حتى صارت خلقاً... وكثيراً ما كان يحث عليها إخوانه ويجضهم بتحقيقها فى أنفسهم، حتى صار التأكيد عليها نطقه وحديثه.

وجعلها المقياس والمعيار والميزان الذى يزن به الأخ العامل فى حقل الدعوة، يقيسه بها ليحدد مدى قربه أو بعده عن دعوته. فإذا تحققت بكاملها وترتيبها فيه كان من المتقدمين فى صفوفها الذين سعدوا فى الدنيا بالعزة الإيمانية وفى الآخرة بالنعم الربانية، وإلا فهو مع

القاعدين العابثين وليس من الإخوان المسلمين وليسوا هم منه حتى لو حمل أخطأ الأقتاب وأعلى المراتب والمناصب واشتهر بينهم وذاع صيته فلا قيمة له عند الله تبارك وتعالى ولا يوزن له في ميزان الحق عز وجل .

وكان كثيراً ما يحدث إخوانه عن أركان البيعة مؤكداً أهميتها فيقول: جعلها الإمام الشهيد عشرة أركان ورتبها بهذا الترتيب لحكمة، فلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير وإنما بهذا العدد وهذا الترتيب [الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، الثبات، التجرد، الأخوة، الثقة].

ويؤكد أحد المقررين إليه بأن أركان البيعة كانت متحققة فيه بأوفى ما يكون، وأن كل من عايش أستاذاً سواء في بداية انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين في الثلاثينيات أو داخل السجون والمعتقلات أو خارجها، أو بعد ذلك حتى مماته يشهد بذلك، ويقول: كنا إذا أصيب أحد أفراد الإخوان بخلل ولم نعرف السبب وتصيبنا الحيرة في أمره كنا نلجأ إلى الأستاذ مصطفى مشهور، فكان يؤكد لنا أن أركان البيعة لم تتحقق بكاملها في هذا الأخ . . . فإذا قمنا بمعالجة الخلل في بعض الأركان وتركنا ركناً واحداً «مثلاً» فيه خلل . . . كان يرفض ويؤكد العلاج في جميع الأركان ولا يرضى بالخلل حتى ولو في ركن واحد، وكان يتشدد في الأخذ بجميع الأركان وتحققها بكاملها وعدم التفريط في ركن من أركانها . . . وإذا اكتملت هذه الأركان في الأخ كان يقول: [هذا هو الأخ الذي نريد]^(١) ويرى أن عدم الوفاء بها انحراف .

•• عدم الوفاء بأركان البيعة انحراف^(٢)؛

يقول أستاذاً مصطفى مشهور: أركان البيعة من الأصول الثابتة الراسخة للعمل الجماعي في طريق الدعوة، وعدم الوفاء بها أو ببعضها أثناء السير على طريق الدعوة انحراف عن الأصل . . . فالإمام البنا حينما حدد أركان البيعة وجعلها عشرًا ولم يقتصر على ثمانية أو تسعة، كان مقتنعاً كل الاقتناع بأهميتها ولزوم توفرها في كل أخ يريد أن يأخذ مكانه في الصف ويسد ثغرة ويتحمل مسئولية، لأن عدم توافر أي ركن منها في فرد يعتبر نقصاً ويمكن أن يؤتى من قبل هذا النقص وتؤتى الجماعة من قبله .

لهذا كان عدم الوفاء بأحد أركان البيعة انحرافاً عن الأصل يعرض الفرد والجماعة إلى أخطار ومتاعب، فلنحرص على الوفاء والالتزام بكل أركان البيعة، ثم إن الجماعة لا تكره

(١) الدكتور محمد السيد حبيب نائب المرشد العام للإخوان المسلمين سابقاً . حوارات مسجلة .

(٢) طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف - مصطفى مشهور .

أحدًا على الانتظام في صفوفها . ولكن من ارتضى ذلك فعليه أن يلزم نفسه بشروطها وعهودها .

والبيعة في الحقيقة مع الله ، فلا يفرط ولا ينكث في أي ركن من أركانها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيزْتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] .

●● الواجبات الثمانية والثلاثون:

إذا دقنا النظر وأمعناه في هذه الواجبات وجدناها ترجمة فعلية وحقيقية لأركان البيعة ، وسلوكًا يسلكه كل من آمن بهذه الأركان إيمانًا عميقًا .

ونحن عندما نتحدثنا عن السمات الشخصية لأستاذنا في هذا الكتاب كانت هذه الواجبات هي الركائز التي تقوم عليها وتتسم بها شخصية الأستاذ رضى الله عنه وأرضاه . .

وبما أن أركان البيعة كانت متحققة بأوفى ما يكون في شخصيته فكان رضى الله عنه يقوم بأداء هذه الواجبات على أكمل وجه وكان دقيقًا في تحريمه هذه الواجبات .

ونحن في هذا الفصل نستعرض بعون الله تعالى ما وفقنا الله به ، بإلقاء الضوء على بعض الجوانب التي استطعنا معرفتها عن حال أستاذنا مع أركان البيعة ركنًا ركنًا ، ومع الواجبات إجمالاً ، لنخرج بقدر من الفائدة في هذا المجال ، أدعو الله بالتوفيق فيه وفي غيره من الجوانب . . . آمين .

الفصل الثالث:

حال مصطفى مشهور مع أركان البيعة

[١]

ركن الفهم

•• أهمية الفهم^(١)،

يقول إمامنا وفقهنا مصطفى مشهور عن أهمية الفهم: [من القضايا الأساسية في مجال العمل الجماعي للإسلام، أن يتوحد فهم أفراد الجماعة للإسلام بما يوحد الوجهة في العمل لأن العمل، مرتبط بالفهم، ولا يجوز أن يكون في الجماعة الواحدة مدارس فكرية متعددة، ولذلك حرص الإمام الشهيد على إعطاء قضية الفهم ما تستحقه من اهتمام، فجعل همه أن يقوم الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ خالياً مما ناله من انحرافات البعض سواء في العقائد أو العبادات أو العادات، وبعيداً عن الاجتزاء أو التشويه وبعيداً عن الخلافات التي مزقت المسلمين إلى فرق وأحزاب، وما قام به أعداء الإسلام في الماضي والحاضر من تشويه لوجه الإسلام المشرق. ولما كان هدف الإخوان إقامة دولة الإسلام العالمية وإعادة الخلافة، فلا بد وأن يقوم هذا البناء العظيم على هذا الفهم الصحيح الشامل النقي للإسلام ولا يتصور أن تبذل جهود وتزهق أرواح على طريق الدعوة لإقامة دولة إسلامية عالمية على أساس من فهم مذهبي خاص لا يجتمع عليه كل المسلمين، أو على أساس من فهم غير كامل أو غير سليم. لذلك نجد الإمام البنا بعد قراءات كثيرة ودراسات عميقة، قدم الإسلام بصورته الناصعة في رسائله، ثم جعل الركن الأول من أركان البيعة: الفهم، ووضع له أصولاً عشرين كإطار يحمي هذا الفهم الصحيح من الاجتزاء أو الانحراف أو الشوائب، وقد أثبتت الأيام بفضل الله أصالة هذه الأصول العشرين ودقتها واعتدالها وبعدها عن الإفراط أو التفريط، وإن كان بعض المغالين أو المتشددين لم ترقهم بعض الألفاظ، ولكننا لا نتعامل بمقاييس المغالين.

ولحرص الإمام الشهيد على توحيد وجهة الإخوان من جهة والمحافظة على هذا الفهم من جهة أخرى جعله ركناً من أركان البيعة بل الركن الأول ليكون كل أخ ملتزم بالجماعة مسئولاً عن المحافظة عليه من أي تعديل أو تغيير وفاء عن الفهم لبيعته.

(١) طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف - مصطفى مشهور.

●● صور الانحراف عن الفهم:

ثم يبين لنا صور الانحراف عن الفهم فيقول: ومن صور الانحراف في قضية الفهم عن الخط الأصيل ما يلي (١):

١- تبنى أفكار مخالفة للإسلام:

تبنى أفكار أو أفهام فيها مخالفة صريحة للفهم الصحيح للإسلام من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام والذي اجتمعت عليه الجماعة وجددت إطاره الأصول العشرين، والسير بهذه الأفكار المخالفة داخل الصفوف بما يحدث بلبلة واختلافاً. ومن الأمثلة البارزة لهذا النوع من الانحراف في الفهم هو فكر التكفير الذي ظهر عند بعض أفراد الجماعة داخل السجون والمعتقلات. وهو في الحقيقة ثمرة من ثمار الإيذاء والتعذيب الشديد، وهو مخالف لأصول الإسلام وما أشير إليه في الأصول العشرين. وقد بذلت جهود مكثفة لتفنيد هذا الفكر وتصحيح خطئه. وعدل الكثير عنه بسبب ذلك، وبقيت مجموعة محدودة عليه، فوقف الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله موقفاً حازماً - وكان هو المرشد العام وكان في المعتقل في ذلك الوقت - وقال للذين أصروا على فكر التكفير: لم تكفركم كما تكفروننا ولكن ليس هذا فكر الإخوان المسلمين الذي بايعنا عليه الإمام البنا وليس من الإسلام في شيء فإن تمسكتم به فلتبحثوا لكم عن لافتة أخرى غير لافتة الإخوان. وبهذا صار من يحمل فكر التكفير ليس من الإخوان.

٢- الانتقاص من قدر السنة:

ومن صور الانحراف حول قضية الفهم، أي محاولة للانتقاص من قدر السنة النبوية أو الاكتفاء بالقرآن، أو ترجيح النظر العقلي على الأحاديث الصحيحة، أو محاولة تطويع الإسلام ليجارى هوى الحكام أو بعض تقاليد العصر باسم التطور، أو التحديث إلى غير ذلك من الأفكار المنحرفة والأساليب المغرضة. فآيات القرآن تؤكد التزامنا بالسنة وطاعة الرسول ﷺ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذَكَرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]. وحديث الرسول ﷺ: «تركت فيكم ما إن

(١) المرجع السابق.

تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وستتقون^(١) فلا يصح أن يصدر من أحد من الإخوان أى شىء من هذه الأفكار المنحرفة ولا نروج لأصحابها بين صفوفنا ولتحذر هذا الصف من الناس المتعالين أو المتعلمين ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه .

٣- الإلزام بالرأى:

ومن صور الانحراف حول قضية الفهم ، محاولة إلزام أفراد الجماعة جميعاً برأى واحد فى الأمر الفرعى الذى فيه أكثر من رأى ولكل رأى دليله ، فإن هذا المسلك يحول الجماعة إلى فرقة أو طائفة أو مذهب خاص ، فمن وافقنا على هذا الرأى ارتبط بنا ومن خالفنا ابتعد عنا ، وما على هذا قامت جماعة الإخوان . وحرص الإمام الشهيد على تفادى ذلك لتتسع الجماعة للمسلمين جميعاً لتوحدهم ما وسعهم الإسلام . ولكنها فى الوقت نفسه لا تتسع لمن يخرج رآيه عن الإسلام . وإن كنا فى مثل هذه الأمور الفرعية التى فيها أكثر من رأى نتواصى أن نأخذ بالرأى الذى دليله أرجح ولكن لا نفاصل من أخذ برأى آخر طالما أنه فى دائرة الإسلام .

٤- تضخيم القضايا الجزئية:

ومن صور الانحراف عن قضية الفهم ، تضخيم القضايا الجزئية والفرعية على حساب القضايا الكلية ، ولأن القضايا الفرعية غير متفق عليها ، فيفتح مجال الخلاف والجدال بما يشغل الإخوان وغيرهم وقد يرسب فى النفوس ما يحول دون التعاون المثمر للعمل الجاد فى القضايا الأصلية . وكيف والإسلام يتعرض إلى محاولات الأعداء للقضاء عليه جملة ، ويختلف المسلمون حول فرعيات وجزئيات؟ وقد دعانا الإمام الشهيد إلى تلك القاعدة الرشيدة فى هذا المجال وهى : [أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه] ، فلنتزم بذلك .

٥- الاجتزاء:

ومن صور الانحراف حول قضية الفهم ، الاجتزاء فى أخذنا للإسلام وفى العمل به كأن يقتصر على الجوانب التى لا تثير الحكام كالعبادة والعلم والذكر وأعمال البر إلى غير ذلك ، وترك جوانب التشريع والحكم والجهاد ومحاربة المنكر . ولكن علينا أن نقدم الإسلام كاملاً وندعو إليه كاملاً ونعمل له كاملاً ولا نخاف فى الله لومة لائم مهما تعرضنا بسبب ذلك إلى الإيذاء ، فقد كان قدوتنا ﷺ يدعو ويؤذى ويستمر فى الدعوة رغم ذلك دون انتقاص . وبينها

(١) صحيح صححه الألبانى فى منزلة السنة برقم ١٣ وفى مشكاة المصابيح برقم ١٨٤ وجاءت الرواية فى أحاديث متفرقة وقسم كبير منها رواه مسلم برقم ١٢١٨ .

الإمام الشهيد إلى هذا المعنى في الأصل الأول من الأصول العشرين بشمول الإسلام وتكامله . ولقد تعرضنا أثناء المحن إلى امتحان في أركان البيعة ومنها الفهم بين متطرفين كأصحاب فكر التكفير وبين مترخصين يريدون منا أن ندع أمور الحكم والتشريع والجهاد التي تثير الحكام وتعرضنا للإيذاء . فكان الوفاء بالبيعة يحتم علينا أن نحافظ على الفهم دون تبديل ولا تغيير حتى نورثه إلى من بعدنا سليماً صحيحاً شاملاً .

ولعله من المفيد أن نوضح أن الانحراف في الفهم أو غيره يبدو بسيطاً دقيقاً ثم يزداد مع الزمن ، مع اندفاع الشباب وروح التعصب ، ولسنا أن المنحرف كثيراً ما يلبس عليه إبليس فيعتقد أنه على الصواب . وغيره هو المنحرف ، ويأخذ في تلمس الآيات والأحاديث التي يؤولها بما يخدم بها فكره المنحرف ، ويجمع حوله ويرفع راية وينشئ جماعة وهكذا يحدث التمزق والتشتت نتيجة الانحراف عن الفهم .

وواجب الأخوة يحتم علينا أن نبصر من يبدأ في الانحراف لتصحيح فهمه قبل أن يوغل في الانحراف ويزداد قناعة أنه على الصواب فيصعب إرجاعه منه^(١) .

•• مرجعية ركن الفهم:

أنعم الله تبارك وتعالى على أستاذنا وحباه بفهم شامل دقيق عميق لطبيعة الدعوة ، وأفاء عليه بقدرة وفراسة عجيبة وميزان دقيق يزن به الأمور حتى لو لم يكن عنده علم في جانب من الجوانب ، فتجد استغراقه للفهم يجعله ذا ملكة في التوازن والتوسط فلا يميل إلى طرف على حساب الطرف الآخر ، وإنما كان له رؤية صائبة من خلال ركن الفهم .

حيث إن ركن الفهم بالنسبة له كان يمثل المرجعية والقاعدة التي يبنى عليها تصويره لمنهج الإسلام ، لا يلتفت إلى قول فلان أو فلان بل يؤكد دوماً أن ركن الفهم هو الإطار الذي نفهم في حدوده منهجنا ، وإذا قيل له إن زيدا من الناس يقول كذا وكذا في مسألة تتعلق بالمنهج قال: [عندنا في ركن الفهم هذه المسألة . . كيت وكيت] .

لذلك كان أستاذنا يؤكد أهمية وضرورة اتخاذ ركن الفهم قاعدة ومرجعية وأنه هو المدخل إلى جميع الأركان الباقية . .

ومن شدة حرصه واهتمامه بركن الفهم كان يكلف علماء الفقه والشرع بعمل دراسات

(١) من خلاصة تجاربه داخل المعتقلات طيلة العشرين سنة .

وبحوث والقيام بتأليف الكتب لتأصيل هذا الركن وشرحه والتوسع في توضيحه وتحصيله، كما لهذا الركن من أهمية وخطورة عظيمة على موقف المسلم من إسلامه بشكل عام ومن الدعوة بشكل خاص^(١) . .

كان أستاذنا يقول لإخوانه في مناسبات كثيرة جملة جامعة عن الفهم تكاد تكون قاعدة ذهبية للالتزام بهذا الركن وهي: [لا يمكن أن يترتب سلوك صحيح على فهم خاطئ] فالفهم الصحيح لا بد أن يكون مقدمة لسلوك وتطبيق وعمل صحيح، ومحال أن يكون هناك فهم سقيم خاطئ مغلوط فيه انحياز لطرف على حساب طرف آخر ويترتب عليه ممارسة أو موقف صحيح . .

كما كانت له بعض التجارب في هذا الأمر . . فيقول: [إن المحن تفرز قوالب كما قمائن الطوب] فيقدر ما يكون الفهم عميقاً متأسلاً متجذراً في الفرد المسلم بقدر ما يحميه من كثير في مواقع الزلل أثناء المحن^(٢) . .

والدارس لما كتبه أستاذنا في فقه الدعوة يتبين ما نقول، ويظهر ذلك جلياً في كتاب: (طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف) على سبيل المثال . . وغيره، فإن ركن الفهم يمثل المرجعية والقاعدة الأساسية^(٣) . .

(١) أمثال: الشيخ محمد عبد الله الخطيب (نظرات في رسالة التعاليم)، و د. يوسف القرضاوي (شرح الأصول العشرين)، والأستاذ جمعة حين (ركن الفهم - شرح الأصول العشرين)، الشيخ سعيد حوى (في آفاق التعاليم) . .

(٢) ستكلم عنها تفصيلاً بصفتها نظرية من نظرات الأستاذ مصطفى .

(٣) سنخصص باباً نتأمل فيه بعض كتب الأستاذ مصطفى .

(نظرية القمينة)

إعداد اللبنة المتينة للبناء

ينظر البعض إلى المحن على أنها عواصف تهشم وتحطم وتقضى على كل مظاهر الحياة في الحركة الإسلامية، مما يتصور معه أن الأعداء قد نالوا من الدعوة وتحقق لهم ما يشتهون من القضاء عليها، ولم لا وقد أزيلت اللافتات وأغلقت الدور وصودرت المؤسسات وألغيت مظاهر النشاط المختلفة، هكذا وكأن كل الجهود السابقة التي بذلت في محيط الدعوة قد اندرست ولم يعد لها أثر.

فما مدى صحة هذا التصور أو هذه النظرة وما مدى مطابقتها للواقع.

يرد أستاذنا على هذا التصور وهذه النظرة بقوله:

[تعود بي الذاكرة أكثر من عشرين عاماً عندما كنا بالوحدات الخارجة ننفذ الأحكام التي صدرت من محاكم الشعب عام ١٩٥٤، حين شبه أحد من أجهدتهم المحنة -من وجهة نظره- الجماعة ببناء ضخّم وجاءت المحنة فهدمته وجعلته ركماً. فوجدت أنه تشبيه خاطئ ومثبط؛ لأنه يعني أن كل الجهود التي بُذلت في حقل الدعوة من قبل قد انتهت وقضى عليها ولم يعد لها أثر، وأن أي محاولة لبناء جديد يمكن أن تتحطم أيضاً وهكذا، تشبيط للماضي وللحاضر والمستقبل. فدفعني ذلك إلى التفكير في حقيقة أثر المحنة على الجماعة والأفراد. فتساءلت: هل حقاً كان هناك بناء تهدم أم أننا كنا لانزال في مرحلة الإعداد للبناء؟

فإذا نظرنا نجد أنه عادة يسبق البناء إعداد اللبنة المتينة الصلب التي يتم بها البناء، مع إرساء القاعدة المتينة التي يقوم عليها البناء].

وهذا يعني تحقق ركن الفهم في هذه اللبنة -وهي أفراد الجماعة- فإذا تحقق هذا الركن كانت اللبنة متينة ومعدة للبناء، وهذا ما يعنيه أستاذنا في هذه النظرية التي تلخص في (إعداد اللبنة المتينة للبناء) والتي أطلقت عليها اسم: [نظرية القمينة] وجاءت هذه التسمية من تشبيه الأستاذ لما تفرزه المحن من العناصر بما تفرزه القمائن من الطوب.

يقول أستاذنا في هذه النظرية:

[المعتاد أن نعد أولاً الطوب النئ (اللبن) على قالب مخصوص وبمقاسات محدودة ونجفف وترص، ثم تدخل مرحلة الحريق للتمحيص كي تزداد صلابة ثم يكون البناء باللبنة المتينة التي تخرج من الحريق.

وبالمقارنة نرى أن الفترة التي قبل المحنة كانت بمثابة إعداد لبنات الطوب التي، والحة بشة الحريق للتمحيص - يعنى أن الإمام الشهيد بعد أن صمم البناء وحدد مراحلها بدأ تشكيل الأفراد على قالب الإسلام الصحيح عقيدة وعبادة وأخلاقاً وفهماً وعملاً، وما كانت الأشعة الحقة من أسر وكتائب ومعسكرات ومحاضرات وجوالة إلى آخره إلا وسائل لهذا التشكيل على قالب الإسلام الصحيح ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

ثم جاءت المحنة للتمحيص ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [آل عمران: ١٤١]، ﴿ أَلَمْ يَكُنْ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ [العنكبوت: ١ - ٣] ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

تخرج من الحريق لبنات صلبة متينة تتحمل الضغط الشديد ولا يذبيها الماء، ولبنات هشة غير متماسكة . . وبالمثل أثر المحنة على الأفراد؛ يصقل البعض ويكسبهم صلابة وقوة ويزدادون إيماناً مع إيمانهم، لا تشبههم الشدة ولا تغريهم العافية، والبعض الآخر تؤثر فهم المحنة تأثيراً آخر فتضعف من إرادتهم وتوهن من عزيمتهم، وبين هؤلاء وهؤلاء آخرون على درجات متفاوتة .

وكما يحدث أن اللبنة السليمة المتينة التي لم يحدث لها اعوجاج أو ضعف هي التي يقوم بها البناء مترابطة في تناسق مع مثيلاتها وتشدها لبعض مادة الأسمنت ليكون البناء قوياً متيناً، كذلك الأفراد الذين أكسبتهم المحنة قوة وصلابة مع استقامتهم على المنهج الإسلامي السليم دون انحراف ومع التزامهم بالجماعة تربط بينهم رابطة الأخوة والثقة والحب في الله ليكون البناء قوياً .

وظهر بعد ذلك أثناء المحنة صنف ثالث من الأفراد يحتاج للمحنة أيضاً، وهو الفريق الذي تطرف فهمه وغالى في حكمه على غيره ولم يلتزم وحدة الصف، ووجدت نظيره في التشبيه، وهو تلك اللبنة التي اسود لونها من شدة اللهب وتغير شكلها ولم تحافظ على استقامتها، وربما التصقت بغيرها وكونت كتلة لا يمكن فصلها عن بعض بسهولة، ولا تصلح للاستفادة منها في البناء وإن كان ظاهرها الصلابة، قد يستفاد من بعض اللبنة الضعيفة بقدر طاقتها، أما هذه اللبنة فلا يستفاد بها لأنها تحدث خللاً في الصف بسبب اعوجاجها . وهذا هو الحال بالنسبة للأفراد فيمكن الاستفادة بهم قدر طاقتهم، إلا هؤلاء المتطرفين فإن تطرفهم وعدم

استقامة فهمهم يحولان دون الاستفادة منهم ما لم يعدلوا عن هذا التطرف ويصححوا فهمهم وأسلوبهم في العمل ، وهذا يحتاج منا ومنهم إلى جهد وصبر مع الصدق والإخلاص .

هذا هو التشبيه الصحيح لأثر المحنة . فلم تكن هدمًا لبناء ولكنها صقل وتمحيص وتمييز وإعداد للبناء . كما أن هذا التشبيه يجيب على من يتساءل : لماذا نرى بعض الأفراد القدامى وبعض الذين تحملوا مسئوليات قبل المحنة لم يثبتوا؟ وهل كان اختيارهم خطأ؟ .

فلو نظرنا نجد أن قدم اللبنة قبل الحريق لا يستلزم ضرورة صلابتها وتماسكها في الحريق ، كما أن تحمل بعض اللبنة للضغط من فوقها قبل الحريق لا يحتم أيضاً ضرورة صلابتها وتماسكها في الحريق .

ولعل تمام مطابقة التشبيه لحقيقة أثر المحنة على الأفراد يرجع إلى أن اللبنة من طين ونحن أيضاً من طين . والاختلاف في نوع اللهب الذي يتم به التحميص أو التمهيص (١) .

نخلص من هذه النظرية إلى أنه بقدر ما يكون الفهم عميقاً ومتأصلاً ومتجذراً في نفس الأخ ، بقدر ما يحميه من كثير من مواقع الزلل أثناء المحن ، وبطبيعة الحال أن الأخ يكون على قدر من التهيئة النفسية وهو بين أهله وأولاده ، ينام على فراشه ويشرب الماء المثلج ويجلس أمام أجهزة التكييف ويأتيه طعامه النظيف الشهى ، والمراجع بين يديه يبحث فيها بهدوء وروية . . . فهو في هذا الحال يكون على استقامة من الأخلاق والطباع ، وبطبيعة الحال فإنه يفهم الشيء فهماً مستقراً ومتوازناً ، أما في معمة المحن فالأمر مختلف كثيراً .

وهكذا نجد أن الفهم غاية في الأهمية ، ومن هنا كان أستاذنا دائم التأكيد والحث والحض على الاهتمام بهذا الركن للشباب وغير الشباب .

(١) انظر : كتاب من فقه الدعوة - طريق الدعوة - مصطفى مشهور .

[٢]

ركن الإخلاص

كتب أستاذنا عن الإخلاص يقول:

● أهمية الإخلاص^(١)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١، ١٢]. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٦) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥]. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ومن الأحاديث النبوية حديث: «إنما الأعمال بالنيات»^(٢) وهو حديث معروف يوضح أثر النية على العمل وعلى الجزاء. وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»^(٣). رواه مسلم. وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: سئل رسول الله: عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال رسول الله: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»^(٤) متفق عليه.

فلاهمية الإخلاص على طريق الدعوة جعله الإمام ركناً من أركان البيعة العشرة ليلزم كل أخ نفسه به وبالوفاء والمحافظة عليه من أى شائبة حتى لا ينكث فى بيعته. وها هو يوضح مفهومه للإخلاص فيقول: [وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مشورته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر. وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة لا جندي غرض ومنفعة] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٦) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه [الله غايتنا]، و[الله أكبر والله الحمد].

(١) طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف مصطفى مشهور.

(٢) صحيح رواد الشيخان وقد سبق تخريجه.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم برقم ٢٥٦٤، ٤٦٥١ وفيه زيادة (وأعمالكم).

(٤) البخارى بأرقام: ١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨ ومسلم برقم ١٩٠٤.

ومن أصالة رجل الدعوة على طريق الدعوة، أن يصدق ما عاهد الله عليه دون تبديل ولا تغيير حتى يلقي الله على ذلك، فيكون ممن قال الله فيهم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الإحزاب: ٢٣، ٢٤].

وهكذا فالإخلاص غاية في الأهمية، وذلك لارتباطه بالله عز وجل، وهو (أن يقصد الأخ بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، فإذا حدث انحراف عن الإخلاص فسيتج عنه حتماً انحراف عن الغاية حيث إن الله تبارك وتعالى هو غايتنا.

●● الانحراف عن الغاية:

يقول أستاذنا: الانحراف عن الغاية هو أخطر الانحرافات، وأشدّها حاجة للحذر منه، فغايتنا على طريق الدعوة هو الله سبحانه. والانحراف هنا يعنى أن يقصد غير الله، أو الأعلى يشرك مع الله غايات أو مقاصد دنيوية ومطامع شخصية.

ومعلوم أن أى انحراف فى الغاية ولو كان بسيطاً يعرّض العمل كله للإحباط وعدم القبول. قال تعالى: ﴿لَئِن أَسْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال: - عن رب العزة: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك. فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه»^(١). لأن الله غنى عن الشركة ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه.

من هنا كان إخلاص النية لله ونقاؤها من كل شائبة، أمراً أساسياً على طريق الدعوة ويحتاج إلى المراجعة والاطمئنان الدائم. فالنفس لها أهواء والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، ويحرص دون ملل على أن يفسد عليه عبادته وجهاده وأن يحبط أعماله وثوابه.

●● أمراض القلوب مكمن الخطر:

ويحدد مكمن الخطر فيقول: قال: فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه: «ألا وإن فى الجسد مضغية إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»^(٢) متفق عليه. - الرياء والغرور والكبر والتعالى وحب الزعامة وحب الظهور - الذى يقصم الظهور - والتطلع لأعراض الدنيا من مناصب أو جاه أو مال أو سلطات إلى غير ذلك من الاهتمامات الدنيوية الهابطة، كل ذلك من أمراض القلب التى تنحرف بصاحبها عن الغاية، وهى أشد خطراً من أمراض

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٨٥.

(٢) البخارى برقم ٥٢ ومسلم برقم ١٥٩٩.

الأجساد، لأن أمراض الأجساد أثرها على الجسد الفانى فترة الحياة الدنيا، أما أمراض القلوب فأثرها ممتد مع الروح الباقية فترة الدنيا والآخرة. . إن أمراض القلوب تفسد النية وتحيط الأعمال. ولنعلم أن أمراض القلوب موجودة عند كل إنسان، ولكن المؤمن يقاومها دائماً ويظهرها فى نفسه بقوة إيمانه وتقواه ودوام مراقبته لربه، وبتجديد النية وإيثار ما عند الله على كل أعراض الدنيا مستيقناً أن ما عند الله من جزاء خير وأبقى. إنه تجاذب وصراع دائم بين دوافع الخير ونوازع الشر، ومجاهدة للنفس لتزكيتها والقرب من الله، وجذب الأرض لها بشهوات الجسد ورغباته الدنيوية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٦٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وليس بالضرورة أن يكون الانحراف عن الغاية يعنى التوجه الكامل إلى الأعراض الدنيوية والتحول الكامل عن الله، ولكن مجرد وجود أى قدر من تلك الأغراض فى النية واستقراره فى القلب فهو انحراف كاف لإحباط العمل وإخراجه من دائرة الإخلاص لله.

ومن مكان الخطر فى الانحراف عن الغاية، أنه لما كانت النية محلها القلب فقد يحدث الانحراف ولا يظهر للناس إلا بعد وقت حينما تطفئ أعراضه وتظهر، ويكون فى ذلك الوقت قد أفسد غيره أو ترك آثاراً سيئة، خاصة إذا كان فى موقع مسئولية، وإن كانت النتيجة فى النهاية إقصاء أصحاب مثل هذه الأمراض عن الصف إلا أن يعدلوا ويطهروا قلوبهم ويخلصوا نيتهم لله. فقد عودنا الله أن هذه الدعوة تنفى عنها خبثها، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

كما أن المحن والابتلاءات التى تمر بها الدعوات وهى التى سنة الله فى الدعوات من شأنها أن تنقى الصف وتميز الصادق من غيره ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٦] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

بعد أن بين أستاذنا أهمية الإخلاص وأتبعه بتوضيح مكمّن الخطر وهى أمراض القلوب. . يبدى لنا ملاحظات وعبر حول الانحراف عن الهدف من خلال تجربته الواسعة فى حقل الدعوة، فيتلمس لنا من مذخور هذه التجربة الطويلة أنواع الانحراف.

•• أنواع من الانحراف عن الغاية:

١- قد ينجح الأخ فى امتحان الشدة والابتلاء ويظن أنه صار فى نجاة من الفتن، ولكنه قد يرسب حينما يتعرض لفتنة الدنيا ومتاعها، فلنكن على حذر من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ثم إن أعداء الله جعلوا محاولة الفتنة بالدنيا والمناصب وغير ذلك، من وسائل حربهم لأصحاب الدعوات بالإضافة للفتنة بالإيذاء والتعذيب .
ولنا في طريق المصطفى ، عبرة حيث عرض عليه الملك والجاه والمال .
ونجدهم في ذلك يخدعون من يغرونهم بذلك بأن فيه دعماً وتمكيناً للعمل الإسلامي ، وإنهم لكاذبون .

قد عاش رسولنا الحبيب ، حياته في شظف من العيش -ولو أراد لكان أرغد الناس عيشاً- ولكن ليضرب لنا المثل في الزهد والتعالى على أعراض الدنيا وإيثار ما عند الله ، فالدنيا ليست دار مستقر ولا دار نعيم ، وكثيراً ما يدعو الرخاء إلى الاسترخاء والتناقل إلى الأرض .
وعلى طريق الدعوة جعلنا رائدنا رسول الله ، فلنقتد به ولنحذر فتنة الدنيا .

ولنأخذ العبرة مما قصه علينا القرآن الكريم في شأن سحرة فرعون وكيف غيرهم الإيمان وعدل موازينهم ، فبعد أن جاءوا في الضحى يطلبون المال والقرب من فرعون إذا بهم بعد إيمانهم لا يخشون تهديد فرعون لهم بأشد العذاب ولكنهم ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٦) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ [طه : ٧٢ ، ٧٣] . هكذا تعدلت الموازين ، فإذا كان هذا موقف سحرة فرعون فهل يجوز لمن يسير على طريق الدعوة أن يتكس ويميل إلى الدنيا بعد أن كانت وجهته خالصة لله؟

١- ومن أعراض مرض الغرور التي لمسناها، أن يظن الأخ أنه متميز على غيره بخبرة وذكاء وحسن تقدير للأمور ومعرفة بفنون السياسة وأساليبها وكيفية المناورة مع الأعداء إلى غير ذلك ، ويتعالى على إخوانه ويبخسهم أشياءهم ولو كانوا أهل سبق في الدعوة . وأمثال هؤلاء لو تحقق خير للدعوة على أيديهم يرجعونهم إلى مقدرتهم وعبقريتهم وينسون فضل الله وعونه وتوفيقه . وأنه لولا ذلك ما تحقق خير . ويذكرنا هذا بمنطق قارون ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] .

٣- ولمسنا أن صاحب مرض حب الزعامة يحرص على ربط الأفراد بشخصه أكثر من حرصه على ربطهم بالجماعة ، ويقرب منه من يشجعون فيه هذه النزعة ، لهذا يلزم التحذير من الارتباط بالأشخاص مهما كانت مواقفهم أو مميزاتهم ، فإن الحى لا تؤمن عواقبه^(١) . كما يقول ابن مسعود والصحاب الكرام .

٤- ليكن معلوماً أن من يظهر عليه أعراض هذه الأمراض لا يعترف بوجود المرض عنده ،

(١) انظر مشكاة المصابيح برقم ١٩١ بلفظ [فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة] . وقال الألباني : إسناده منقطع .

ربما لجهل منه بذلك نتيجة تلبيس إبليس له، أو لكيلا يتخذ منه موقف بسبب ذلك، وقد يلجأ إلى تبرير مواقفه أنها لمصلحة الدعوة وليست لأغراض شخصية، كاشترائه في وزارة لا تحكم بشرع الله ويتهم غيره بالقصور في تقدير مصلحة الدعوة في مثل هذا التصرف.

ثم إذا كانت هناك ثمة مصلحة هل ينفرد هو بتقديرها؟

٥- قد يندفع البعض بحسن نية إلى مجاملة أصحاب هذه الأمراض، إما إشفاقاً على الصف من التصدع، أو خوفاً من حرمان الجماعة من جهودهم أو غير ذلك من الأسباب، ولكن ليكن معلوماً أن بقاء هذه النوعيات في الصف - بعد استعصاء علاجهم - أخطر وأضر بالصف من تطهيره منهم. ففي بقائهم إقرار للانحراف وتأثر الغير بهم وفتح باب للتسبب وعدم الالتزام، وفي النهاية لن يقال فلان انحرف ولكن يقال صف أعوج ببقاء المنحرف فيه.

ثم يختم أستاذنا حديثه حول الانحراف عن الغاية بكلام للشهيد سيد قطب في هذا المعنى حيث يقول: [المرّة بعد المرّة يصاب بعض أفراد الجماعة بنزوات، وفي كل مرّة يسقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة. وقد يمكس العدو بفرع من الشجرة ويظن أنه بجذب هذا الفرع سيقتلع معه الشجرة كلها، حتى إذا أن الأوان وجذب الفرع خرج في يده كالحطبة الجافة لا ماء ولا حياة وبقيت الشجرة].

هكذا فالإخلاص هو الضابط والحاكم لقبول الأعمال، ولهذا كان أستاذنا يؤكد عليه ويحرص كل الحرص على توضيحه لإخوانه والالتزام به. وقد شهد له كل من عايشه وعمل معه على طريق الدعوة أنه كان دائم المراقبة ودائم المحاسبة والتعنيف للنفس.

كما كانت مواقفه دائماً تتجاه البعض داخل الصف أو بعيداً عنه، ممن كان له انحرافات أو ممارسات أو شذوذ ومغالاة. . . كان يقول: [إذا كان صاحب هذه الممارسات مخلصاً فسينفع الله به]. أما إذا كانت هذه الممارسات من أجل الشهرة أو المناصب وكثيراً ما كانت تظهر هذه الممارسات في فترات الاسترخاء وعدم وجود ضغوط من قبل الدولة على الدعوة، والمعلوم أن هذا الجو يغري الكثير بأن ينشطوا ويتحركوا ويعلموا ولاءهم للدعوة وذلك لأنه لا يوجد في مثل هذا الجو ما يخيف أو ما يمس هذا الإعلان وهذا الانتماء. . . فيظهر الحماس والتعجل والصوت العالي. . . إلخ. . . فكان أستاذنا يقول: إذا كانت هذه الممارسات فيها إخلاص لله سبحانه وتعالى وهناك حرص على أن يكون العمل لله، فإن الله تعالى سينفع به ويثاب المرء رغم أنه.

هكذا كان أستاذنا مع هذا الركن بالقول والعمل -رحمه الله رحمة واسعة.

[٣]

ركن العمل

العمل في مجال الدعوة^(١)

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِّرِ اللَّهُ لَكُمْ رِسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

في نطاق الركن الثالث من أركان البيعة يبين أستاذنا العمل في مجال الدعوة فيقول:
العمل الصالح مرادف للإيمان ومصداق له، وهما معاً من أسباب النصر والتمكين والنعيم في الجنة. والعمل في مجال الدعوة من أجل التمكين لدين الله وإقامة دولة الإسلام من أفضل مجالات العمل الصالح وأشرفها.

ولقد اهتم الإمام الشهيد بقضية العمل أيما اهتمام، فجعل العمل ركناً من أركان البيعة العشرة، وعندما تحدث في رسالة [بين أمس واليوم] عن وسائلنا العامة قال: [هي الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل] وفي المؤتمر الخامس ذكر أن من خصائص دعوة الإخوان إشار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات، مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلف والفساد.

ولتوضيح قدر العمل ومكانته يقول: [يسهل على كثيرين أن يتخيلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطيع تصويره أقوالاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا: ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل، ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد والعمل المضمنى].

وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله. وفي قصة طالوت بيان لما أقول فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختيار الدقيق وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها^(٢).

كلام واضح ودقيق ويتناسب مع الهدف العظيم الذي تتصدى الجماعة لتحقيقه والذي تتسع ساحة العمل له، وتتعدد مجالات العمل فيه ويحتاج إلى زمن طويل وجهود كبيرة،

(١) انظر: كتاب قضايا أساسية على طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس.

وغنى عن القول أنه لا يصلح لتحمل هذه الأعباء والقيام بهذه الأعمال إلا من رصدوا حياتهم لهذه الدعوة، وراضوا أنفسهم على تحمل مشاق الطريق. يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون- يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، يتقنون عملهم رجاء القبول فلا يقصرون ولا يتباطئون، يبتغون وجه الله ولا يراءون.

لا يقوم بهذه الأعباء ويؤدى هذه الأعمال المهمة المضية إلا تلك النوعية من الإخوة العاملين، ولا يصلح أن يستأجر لها أناس من غير هذه النوعية مهما أغدقت عليهم من مال، ولكن الأخ العامل الذى عقد الصفقة الربحية مع الله طمعاً فى جنة الله يسخر كل ما يملك من وقت وجهد ومال وعلم ونفس فى ميدان العمل للدعوة والجهاد فى سبيل الله ولا يبخل بشيء من ذلك وفاء لبيعته فى ركن التضحية الذى يقول عنه الإمام الشهيد: [وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء فى سبيل الغاية. وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضحية فى سبيل فكرتنا تضحية وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

•• قضايا عامة:

يذكر أستاذنا بعض القضايا العامة التى تعيننا على فهم ما سيعرضه علينا من الحالات التى يتفاوت فيها الأفراد فى قدر العمل الذى يقدمونه للدعوة، وما قد يحدث من عدم الموازنة بين العمل للدعوة والعمل للكسب المعيش وقضايا البيت والأهل وطغيان جانب على جانب فيقول:

* الفرد المسلم مطلوب منه أن يعمل فى مجال الدعوة ومنوط به أعمال أخرى كعمله الذى يتكسب منه ومهام أسرته وبيته، ولو نظرنا نظرة دقيقة فإن كل هذه الأعمال تعتبر عبادة مادامت النية هى التقوى على طاعة الله، والدراسة عبادة بنية إفادة الإسلام والمسلمين، والزواج عبادة بنية العفة وإقامة البيت المسلم وتنشئة الذرية الصالحة، والرياضة عبادة بنية التقوى لتحمل أعباء الجهاد، وهكذا بالنية الصحيحة وتحرى الحلال فى هذه الأعمال تصير عبادة ينال صاحبها عليها الأجر والثواب من الله وتكون حياة المسلم كلها عبادة ويحقق قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* ويتبع هذا المعنى معنى آخر مهم وهو أن يجعل الأخ هذه الأمور المتصلة بعمله المعيش وزواجه ومكان عمله وأسفاره وغير ذلك، تخضع إلى حد كبير لمصلحة الدعوة وحسن أدائه لما أنيط به من عمل للدعوة.

* الإسلام يحض على السعى على الرزق الحلال، ولا يرضى أن يكون المسلم عالة على غيره. لذلك نرى الإمام البنا يذكر ضمن مقومات الفرد المسلم المطلوب: أن يكون قادراً على الكسب. وكان يزهّد في الوظيفة الحكومية ويرغب في العمل الحر الإنتاجي. وقد حرص على إقامة مؤسسات اقتصادية ضمن نشاط الجماعة لممارسة المنهج الإسلامي في المعاملات الاقتصادية بعيدة عن الربا وغيره من المحرمات ولدعم الحركة الإسلامية وللإسهام في بناء المجتمع اقتصادياً.

* الأصل أن يبذل الأخ من ماله لدعم العمل الإسلامي ولو كان من ضرورياته ولا يكتفى بالفضل، ونرى الإمام يتناول هذا المعنى وهو يرد على تساؤل: من أين المال؟ فيقول: [يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبون الذين يرمقون الإخوان المسلمين على بُعد ويرقبونهم عن كشب قائلين: من أين ينفقون وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة؟ وإنى أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعاً، وأن مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعون من نفقاتهم، ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم، يود أحدهم لو كان له أضعافه أضعاف فينقله في سبيل الله، فإذا لم يجد بعضهم شيئاً تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون. في هذا المال القليل والإيمان الكبير والله الحمد والعزة بلاغ لقوم عابدين، ونجاح للعاملين الصادقين، وأن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان ﴿يَمَحِقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

* إن النعم التي أنعم الله بها على كل واحد منا من صحة ومال ووقت وجهد وعقل وعلم ومعرفة ونفس، تعتبر رصيذاً أو رأس مال قابلاً للاستثمار، وأرباح تجارة للاستثمار تلك النعم هي التجارة التي يعرضها الله علينا بهذا الأسلوب المشوق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

ولتساءل معاً: ماذا نقول عن إنسان عنده رأس مال ومعرض عليه مشروع لاستثماره، عائدته كبير جداً ومضمون جداً، وإذا بهذا الإنسان بدل أن يسارع لتقديم ماله لهذا المشروع إذا به يلقي ببعضه يومياً في البحر ويفقده، ولا يقدم لهذا المشروع الربح شيئاً أو يقدم النذر اليسير؟ ربما كانت الإجابة على هذا التساؤل أن هذا الإنسان غير سوى وربما قد أصيب بلوثة في عقله.

هل نعلم أن هذا المثال ينطبق على كل من لا يسخر نعم الله السابق ذكرها في مجال العمل للدعوة وفي سبيل الله . . . خاصة وأن الوقت الذي يمر دون استغلاله لن يعود مرة ثانية، تمامًا كالمال الذي يُرمى في البحر، وكان من الممكن في ذلك الوقت تسخير جهده وعمله وماله في عمل نافع لدعوة الله . . . ولكنه عطلها وأضاع فرصة الاستفادة.

•• تفاوت وتصحيح:

يتناول الأستاذ بعض الحالات التي يتفاوت فيها الأفراد في مقدار ما يقدمونه في مجال العمل للدعوة، ومدى مسارعتهم أو تباطئهم، وتصحيح أي خطأ أو انحراف في هذا الجانب، ويوضح التوازن المطلوب بين أعمال الدعوة وما عداها، يقول أستاذنا: قد نرى أخًا استحوز عليه العمل للدعوة بدرجة كبيرة ووجد في ذلك سعادته ومتعته، وقد يكون ذلك على حساب عمله المعيشي أو على حساب أهله وبيته وأولاده أو على حساب صحته وأعصابه .
وفي الجهة المقابلة قد نجد من استحوز عليه عمله المعيشي ومشاكل الأسرة والأولاد وكان ذلك على حساب الدعوة بل على حساب آخرته إن لم تتداركه رحمة الله.

وبين هاتين الصورتين صور متعددة وبدرجات متفاوتة . والصورة السليمة والأمثل أقرب إلى الحالة الأولى بعد تعديل فيها بأن يؤدي عمله المعيشي على وجه صحيح فهو عبادة وعليه أن يتقنه ليكون دخله حلالاً طيباً، ويعطى أهله وبيته حقهم من الرعاية والعاطفة والمودة فهو راع لهم ومستول عن رعيته، وأن يعطى بدنه حقه وإلا تعرض للعلل والأسقام نتيجة الإرهاق ويكون ذلك سبباً في عجزه عن القيام بأعباء الدعوة ثم إن الإرهاق وتعب الأعصاب لهما نتائج سلبية على العمل والإنتاج وعلى العلاقة مع غيره من إخوانه .

وسواء كانت كثرة العمل في مجال الدعوة بسبب الرغبة الذاتية الشديدة، أو بسبب تراكم الأعمال والتكاليف لسوء التخطيط أو عدم إعداد معاونين، فلا بد أن تعالج هذه الحالة ولا تُترك هكذا وتُصحح بما يحقق الاعتدال والتوازن .

هذا وإن الاهتمام بالأهل والأولاد عبادة وقربى إلى الله واتباعاً لهدى رسول الله ، فالمطلوب إقامة البيت المسلم النموذج كدعامة في البناء ولتنشئة الأجيال تنشئة صالحة، وبذلك يكون أفراد البيت كلهم عوناً له على أداء واجبه في الدعوة ولا يكونون مشبطين أو مصدر فتنة وإعنات، بعكس ما إذا انشغل عنهم حتى بأعمال الدعوة، فإن هذا الإهمال تنتج متاعب وسلبيات وربما انحرافات ويكونون معوقين له ومشبطين ومصدر فتنة له، وقد لمسنا ذلك عملياً خاصة أثناء المحن، فالأسر التي اهتمت بها عائلتها قبل المحنة كانت مصدر راحة له وتشجيع، والأسر التي انشغل عنها عائلتها قبل المحنة كانت مصدر إعنات وتثييط .

أما الحالة التي يشغل العمل المعيشي ومشاكل الأسرة الجانب الأكبر من وقت الأخ وجهده فإن ذلك يكون على حساب عمله للدعوة، وما يعود عليه هو نفسه من الزاد الروحي والاستقامة على أمر الله .

وقد يحدث ذلك إما لطبيعة العمل الذي يتكسب منه ، بأن يكون من النوع الذي يشغل صاحبه من الصباح إلى وقت متأخر من الليل كبعض الأعمال الحرة ، أو يحدث ذلك بأن يعمل الأخ عملاً إضافياً بجانب عمله الأصلي لزيادة الدخل ، أو يكون شديد التعلق بالأولاد والأسرة أو غير ذلك من الأسباب .

وهذه الصورة ولاشك خاطئة وآثارها ضارة وخطيرة إذا تصورنا حدوثها من عدد غير قليل ، فيتعرض عمل الدعوة وإنجازاتها إلى التعطيل أو القصور . فيلزم علاج مثل هذه الحالات قبل أن ينضب زاد أصحابها الروحي ، وتحتويهم دوامة هذه الأعمال والمشاكل ويصعب انتزاع أصحابها منها ، ثم إنه يخشى أن يزداد حب أحدهم للمال ويقع في فتنة ، كما يخشى أن يقع في فتنة الزوجة والأولاد أيضاً .

أما الذين يسعون للارتباط بعمل معيشي إضافي لزيادة الدخل ، فالأمر يحتاج معهم إلى مراجعة ، فهناك قلة منهم أعبأهم العائلية ثقيلة وتضطرهم لذلك فتلتزم لهم بعض العذر ، وربما يمكن معالجة هذه الحالات بما لا يحرم الدعوة من طاقاتهم وجهودهم . أما الذين يعملون وقتاً إضافياً لزيادة الدخل في حين أن عملهم الأصلي مجزئ ، فالأولى بهم أن يقدموا أوقاتهم وجهودهم للقيام بأعباء الدعوة التي لا يمكن أن يقوم بها غيرهم ، ولسنا في حاجة إلى التذكير بأن ثواب الله لا يعدله أي حال في الدنيا ، ولا يجوز أن يكون الدافع للعمل الإضافي المحافظة على مستوى معيشي جيد مجارة للناس الذين تنافسوا الدنيا وجروا وراء متاعها الزائل ، ولندكر قدوتنا « وصحابته الأكرمين ومستوى معيشتهم في طعامهم ولباسهم وأثاث بيوتهم وغير ذلك .

والذي يكتفى بعمله الأصلي ويقدم باقي وقته وجهده للدعوة يبارك الله له في ماله وصحته وزوجه وأولاده ، أما الذي ينظر نظرة مادية بحتة ويفضل العمل الإضافي على عمل الدعوة فقد يُبتلى في شيء من ذلك وينفق أضعاف ما حصل عليه من عمله الإضافي .

وقد تقتضى ظروف العمل للدعوة تفرغ بعض الإخوة للقيام بهذه المهام التي لا يصلح لها غيرهم ، فلا يجوز الاعتذار أو الشعور بالخرج ، وفي سيرة سلفنا الصالح من كانوا يقومون بأعمال ويُعطون من بيت المال .

وعلى الذين يبسط الله لهم الرزق فى عملهم المعيشى متحريين الحلال ومتحريين من الحرام، أن يؤدوا حق الله فى هذا المال، وأن يقدموا للدعوة ما تحتاجه للقيام بأعبائها، فتلك هى التجارة الربحة .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وكلنا يعلم كيف كان سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف يساهمان فى إعداد جيوش المسلمين بأموالهم سخية بها نفوسهم .
ثم يختتم أستاذنا هذا الموضوع فيقول:

إننا أردنا بهذه الجولة فى أعماق النفوس أن نوضح قضية العمل فى مجال الدعوة وأهميتها، وأن نصحح المقاييس والموازن لتكون ربانية وليست مادية دنيوية ولنستجيب جميعاً لهذا النداء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

•• رجل لا يعرف الفراغ:

عُرف عن أستاذنا أنه كان يقسم وقته على عمله المعيشى -عندما كان موظفاً بالأرصاء الجوية- وأسرته وأهل بيته وأولاده، والعمل فى دعوته، وكان متوازناً لا يطغى جانب على حساب آخر، ولما تفرغ لدعوته كان وقته كله لدعوته، ولم يكن له وقت يقضيه فى اللاعمل ولا يعرف شيئاً اسمه الفراغ، وكان رحمه الله يرتب على نفسه من الواجبات ما يجعل وقته كله لدعوته . . وكانت نفسه مشغولة بما يفيد، فلا تفوت لحظة إلا وقد مراها بقراءة أو تدبر أو تفكر، أو تذكير أو توضيح معنى أو متابعة أو نصح أو إلقاء محاضرة أو خطبة أو كتابة رسالة أو مقال أو تأليف كتاب . . . إلخ.

وصدق فيه وفى أمثاله قول القائل: (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل) . .

كان وقته كله معبأ مملوءاً مشغولاً بالدعوة . .

وكان ذلك يفرض عليه أن يرتب واجبات اليوم والليلة، وأخرى أسبوعية، وثالثة شهرية، ويعرف بدقة كل واجب يقوم به فى وقته المحدد، وكان يكتب واجباته اليومية فى ورقة صغيرة قبل صلاة الفجر، ثم ينفذ ما كتبه فى هذه الورقة من واجبات فى أوقاتها المحددة لها بدقة متناهية . .

كان الرجل منظماً ، وكان دقيقاً فيما ينظمه وكان حريصاً على تنفيذ ما يرتبه من واجبات يومية أو أسبوعية أو شهرية ، كل واجب في وقته المحدد له^(١) .

يقول أحد الإخوان الذين كانوا يرافقونه في أسفاره خارج البلاد لحضور المؤتمرات أو المخيمات : كنا إذا انتهى البرنامج أو كانت هناك فترة راحة أثناء البرنامج نخرج للتجوال والسياحة والتنزهة أو التسوق وشراء بعض المستلزمات ، وكان الأستاذ وحده الذي يرفض الخروج ليجلس بين الأوراق والمهمات التي جئنا من أجلها ، فتركه وهو بين هذه الأوراق ونعود وهو لا يزال بين الأوراق يقلبها ويراجعها ، يصحح ما يصححه أو يضيف ما يضيفه إلى غير ذلك من الأعمال . . لقد كان أكثرنا اهتماماً وأكثرنا انشغالاً بالأمور التي جئنا من أجلها^(٢) .

وفي إحدى المهمات الخارجية في تركيا يحكى أحد المقرئين إليه أنهما كانا عائدين من مكان ما إلى مقر الإقامة ، وفي أثناء الطريق إذ بمشكلة مصرية مشهورة تمر أمامهما فأراد أن يلفت نظر الأستاذ ، ولكن الأستاذ لوح له بيده (هكذا) بعدم الاهتمام والمبالاة بمثل هذه الأمور فهي ليست لها أية قيمة^(٣) . .

هكذا كان الرجل حريصاً على وقته يقضيه في العمل الصالح ، ولا يفرط حتى في اللحظة التي يلحظها بطرفه ، وألا يكون طرفه ولا تكون نظراته إلا لله تبارك وتعالى ، وكان يقدر قيمة الثواني الزمنية التي يقضيها في النظر في أمور ليست هي من أمور دينه ودعوته . . هذا الاهتمام وهذا الحرص في تحقيق هذا الركن وبقية الأركان كانت تكسبه بل تزيده رصانة وثقلاً . .

هكذا يكون الرجل الذي لا يعرف الفراغ ، وهكذا يكون رجل الدعوة وجندى الفكرة . كان أستاذنا مثلاً للأخ العامل ومودجاً حياً لذلك ، وكان دائماً يمزح ويقول : [هناك أخ عامل ، وآخر عامل أخ] . فالأخ العامل هو الذي يترجم ما قرأه وما سمعه إلى واقع عملي ، فمثلاً إذا قرأ عن الصبر وتصبر وتخلق بالصبر ، وإذا قرأ عن الجهاد جاهد نفسه وجاهد في سبيل الله ، وإذا قرأ عن الإنفاق في سبيل الله أنفق وبذل ما يملكه لله تعالى . . إلخ . . وكان يقول : الإيمان والعمل الصالح متلازمان ، فالعمل الصالح مصدق للإيمان والإيمان لازم لقبول العمل الصالح ، فالإيمان يدفع إلى العمل الصالح ، والعمل الصالح يؤكد الإيمان ويدعمه ويقويه .

(١) مقابلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح .

(٢) مقابلة مع الدكتور محمد السيد حبيب ، النائب الأول للمرشد العام للإخوان المسلمين سابقاً .

(٣) نفس المقابلة .

ومن أقواله كذلك: الدعوات تقوم على العزائم وأولى العزم ولا تقوم على الرخص والترخص، كما قال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مریم: ۱۲]. وقوله: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ۵۵].

ويقول: الأخ المسلم يقوم بالعمل:

أولاً: لأداء الواجب.

ثانياً: للأجر الأخرى.

ثالثاً: للإفادة.

فهو إن عمل فقد أدى الواجب وفاز بثواب الله متى توافرت شروطه وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتي فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتي بأبرك الثمار.

والعمل الصالح يجعل من صاحبه قدوة صالحة للغير، وفي ذلك معاونة على نشر الفضيلة في المجتمع بالقدوة العملية وهي أكثر تأثيراً من القول أو الكتابة.

يذكر أحد مرافقيه في رحلة إلى أفغانستان أنه كان يظل يعمل طوال اليوم، وإذا حان وقت النوم أخذ قسطاً من الراحة ثم يقوم لقيام الليل وكأنه نام من أول الليل.

ومن أقواله: إن الظروف التي تمر بها الدعوة الإسلامية والمسلمون اليوم تحتم النهوض من هذه الكبوة والعمل المتواصل لمجابهة أهل الباطل وأعداء الإسلام الذين يبذلون جهدهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، وهذا يعظم من قدر وأهمية العمل الصالح وخيره وأثره في الدعوة.

إن نهوض الأمة الإسلامية يتطلب من أبنائها قوة روحية ونفسية هائلة تتمثل كما قال الإمام الشهيد حسن البنا -رضى الله عنه- في عدة أمور:

١- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف.

٢- وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر.

٣- تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل.

٤- معرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره.

وهكذا كان أستاذنا صورة صادقة لهذه المبادئ، وكان مثلاً فيما يكتب وفيما يقول وفيما يعمل. . . وكان يعمل لدعوته عملاً دؤوباً دون كلل ولا ملل، فقد عاش لدعوته وعاشت فيه دعوته.

[٤]

ركن الجهاد

كان الأستاذ مصطفى مشهور من أكثر الإخوان فهماً لأركان البيعة، ومن أشدهم تمسكاً بها وتطبيقاً لها في نفسه.

ولما كان للحركة والجهاد أهمية في مسيرة حركة الإخوان المسلمين فقد أثيرت بعض التساؤلات من بعض العامة والخاصة، تصدى لها أستاذنا مفنداً ومجيباً عليها، ليزيل اللبس ويوحد الفهم والجهود، يقول أستاذنا: (١)

إن الجهاد هو السبيل . هذا ما يجب أن نعيه تماماً، ونسير ونعمل على ضوئه، فضعف الإيمان قد وصل بالمسلمين إلى ما وصلوا إليه من هوان وتفكك وتحكم لأعداء الله في مقدراتهم وفتنة بعضهم عن دينهم، وبعث الإيمان في القلوب من جديد هو المنطلق الأساسي للنهوض، وبعث الحياة في الأمة الإسلامية، لتستعيد قوتها وتأخذ مكانتها التي اختارها الله لها كخير أمة أخرجت للناس، وكأستاذة للبشرية بهذا الدين الحق كي يخرجوهم به من الظلمات إلى النور. ومع قوة الإيمان والعقيدة لا بد من قوة الوحدة والترابط بين المسلمين لتوحيد الجهود، ثم تأتي قوة الساعد والسلاح حينما لا يجدى غيره، وهذا هو دور الجهاد.

وقد اقتبس الإمام الشهيد حسن البنا ضرورة هذه القوى الثلاثة وبهذا الترتيب من سيرة الرسول ﷺ وحركته بالدعوة حين أقام دولة الإسلام الأولى .

وحول موقف الإخوان المسلمين من الجهاد تثار تساؤلات كثيرة من هنا وهناك من العامة والخاصة:

تساؤلات ممن يجهلون الكثير عن الإسلام .

تساؤلات ممن باعوا أنفسهم وأموالهم لله .

تساؤلات ممن أمات الوهن واليأس نفوسهم .

ومن أناس نفوسهم تواقه للاستشهاد في سبيل الله .

فنسمع من يقول: أتريدون بالجهاد أن تكرهوا غير المسلمين على اعتناق الإسلام بقوة السلاح؟

ومن قائل: أتريدون أن تجاهدوا أعداء الله في الشرق والغرب وعندهم القوة الجبارة وأنتم

ضعفاء لا تملكون شيئاً من ذلك؟

(١) من فقه الدعوة - الجهاد هو السبيل - مصطفى مشهور .

ومن قائل: أتريدون بالجهاد أن تلقوا بشباب الإسلام إلى التهلكة وتقدموه لقمة سائغة لأعداء الله؟!

وفى المقابل نسمع من يقول من بعض الشباب المتحمس: هل الإخوان تعبوا بعد المحن وألقوا السلاح وتركوا الجهاد؟

ومن قائل: أتريدون بسليبتكم هذه أن تثبطوا همم الشباب وتميتوا روح الجهاد؟
ومن مسائل: حتى متى تكتفون بالدعوة والتربية دون الجهاد، وأعداء الله لكم بالمرصاد يعتدون عليكم بين الحين والحين وتقابلون اعتداءهم باستسلام دون مقاومة؟
كل هذه الأسئلة تثار حول الإخوان وموقفهم من الجهاد. وقد نعذر بعض أصحاب هذه الأسئلة: نعذر الجاهلين كما نعذر المتحمسين..

ولكن نجد لزاماً علينا أن نوضح لهم الأمور لتكون جميعاً على بينة كي يتوحد الفهم وتوحد الجهود بإذن الله.

ورداً على هذه الأسئلة وغيرها، شرح الأستاذ مصطفى مشهور طبيعة هذا الدين وهي: [«الدعوة والحركة» وأن «الجهاد» ذروة سنامه] ثم ذكر بعض آيات وبعض أحاديث الجهاد، وأردفها بأقوال للإمام الشهيد حسن البنا، ثم وضح موقف الإخوان المسلمين من الجهاد. وشرح بطريقة يسيرة سهلة موضوع: الجهاد هو السبيل، ووجه كلامه للشباب، وأخيراً بسط لنا هدف الجهاد وهو الاستشهاد وأنه هو أسمى الأمانى، وسنقل ما كتبه أستاذنا وترجمى هدف الجهاد لحين الحديث عن ركن التضحية.

●● طبيعة هذا الدين.. الدعوة.. الحركة.. والجهاد ذروة سنامه:

يقول أستاذنا رضى الله عنه:

وقبل التعرض لهذه الأسئلة والإجابة عليها يلزم التذكير بمعالم أساسية ضرورية لتكون الرؤية صحيحة من خلالها ومفيدة بحدودها.

فطبيعة هذا الدين الإسلامى ومتطلباته من المسلمين ودور الجهاد ومنزلته بالنسبة إلى هذا الدين، أمور يجب أن تكون واضحة لا لبس فيها.

إن ديننا الإسلامى ليس دين كهنوت ورهبنة، بمعنى أن كل إنسان يتعبد لربه ولا شأن له بأحد من الناس ولا شأن لأحد من الناس به، ولكنه دين كامل ينظم شؤون الحياة الدنيا للناس كما يرعى شؤون الآخرة: ينظم شؤون المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية

وغيرها، دين عقيدة وشريعة وعبادة، يتناول كل صغيرة وكبيرة تتصل بالإنسان في أعماق نفسه وفي حياته الدنيا مع غيره من المسلمين ومن غير المسلمين ومستقبله اللانهائي هناك في الآخرة. إنه كذلك دين أمة واحدة وجماعة واحدة وقبلة واحدة وكتاب واحد. يجعل المسلمين في علاقاتهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ويقول رسوله الكريم ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١). إنه يلزم أتباعه بتطبيق تشريعاته وتحكيم قرآنه وسنة نبيه فيما بينهم، ويلزم أتباعه بتبليغ الدين الحق للناس كافة. إنه ثورة على الجاهلية وما فيها من عبادة لغير الله أو عادات وتقاليد لا ترضى الله. فهل يتصور لدين مثل هذا أن يقوم ويحقق أتباعه كل متطلباته دون أن يتعرض له أصحاب العقائد المغايرة بالهجوم والاعتداء على أصحابه ومحاولة الحيلولة بينهم وبين إقامة هذا الدين والتمكين له؟! وهل يتوقف أتباع هذا الدين عن مواصلة العمل به والعمل له بمجرد اعتداء أعداء الله عليهم؟!

وإذا صبروا وتحملوا استمروا في طريقهم، أفليس لهذا الصبر والتحمل من أمد؟ أو ليس من حقهم أن يردوا العدوان ويزيحوا العقبات من طريقهم؟ ومن هنا كان الجهاد ضرورة لازمة، ولذلك جعله الإسلام فريضة ماضية إلى يوم القيامة، ورغب فيه وحث عليه وجعله ذروة سنام الإسلام، وبدونه لا تقوم للدين قائمة ويحكم أهل الباطل، ويتعطل دين الله وتفسد الحياة، وتسير في غير الطريق الذي أراده الله لها، وهل هذا يليق في حق الله تبارك وتعالى؟

وسنوضح هنا بعض الأمور المتصلة بالجهاد في الإسلام، ثم نتعرض بإذن الله لتوضيح موقف الإخوان من الجهاد وما عرض له التساؤلات التي سبقت الإشارة إليها. فالإسلام عنى بشأن الجهاد والجنديّة واستنفار الأمة وحشدها كلها صفًا واحدًا للدفاع بكل قواها عن الحق، وجعل الجهاد فريضة لازمة حازمة على كل مسلم لا مناص منها ولا مفر، ورغب فيه أعظم ترغيب وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات، ولعله من المفيد أن يُرجع إلى رسالة الجهاد للإمام الشهيد حسن البنا، فقد جمع فيها من آيات القرآن المتصلة بالجهاد والقتال والاستشهاد، كذلك الأحاديث الشريفة حول الجهاد ما نجد فيه الزاد الوفير.

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وأبو نعيم من حديث حذيفة والحاكم من حديث ابن مسعود نحوه وأبو نعيم وغيره من حديث أنس بنحوه وكلها ضعيفة. سبق تخريجه.

•• من آيات الجهاد فى الإسلام:

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤].

- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيِّنَاتٍ مَرْصُوعًا ﴾ [الصف: ٤].

•• من أحاديث الجهاد فى السنة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه. ثم قال: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد^(١). وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٢).

وعن المقدم بن معد يكرب: قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر الله له فى أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقاربه»^(٣).

•• أقوال للإمام الشهيد:

وعن حكم الجهاد فى الإسلام يقول الإمام الشهيد فى رسالة الجهاد: أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر

(١) انظر تيسير الوصول: ١/ ٢١٥ ورواه مسلم برقم ١٨٧٨.

(٢) انظر تيسير الوصول: ١/ ٢٢٠ ورواه مسلم برقم ١٩٠٩.

(٣) انظر تحفة الأحوذى: ٥/ ٣٠٣. وقال الترمذى برقم ١٦٦٣ حسن صحيح غريب وسنن ابن ماجه.

صحيح: صحيح سنن الترمذى بتصحيح الألبانى وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٢٢٧٤.

الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها. ثم يقول الإمام: والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم وانتهكت حرمتهم، وتحكم في شئونهم خصومهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوى على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمراً كان مفعولاً.

ويقول الإمام الشهيد في موضوع آخر من رسالة الجهاد عن الأثر الذي يروى: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر قال: جهاد القلب أو جهاد النفس. قال: إن هذا الأثر ليس بحديث على الصحيح ويقال إنه من كلام إبراهيم بن عبلة^(١).

وتحت عنوان «لماذا يقاتل المسلم» في الرسالة نفسها، يقول الإمام الشهيد: فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حماية للدعوة وضمناً للمسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبثها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وأن الإسلام كما فرض القتال أشاد بالسلام فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وعن الرحمة في الجهاد الإسلامي يقول الإمام الشهيد: لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي هي أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل، فقد حرم الله العدوان وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة، فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينيهون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم خير محاربين، كما أنهم في سلمهم أفضل مسالين، كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهانة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الأمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدين الخائفة وفظائعهم الشنيعة.

وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل؟

ثم يدعو فيقول: اللهم فقه المسلمين في دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

●● موقف الإخوان المسلمين من الجهاد:

إن الجهاد في سبيل الله أخذ في السنوات الأخيرة يفرض نفسه على الساحة الإسلامية، وصار له واقع ملموس في بعض أجزاء العالم الإسلامي، وفي باقي الأجزاء تسرى روح

(١) ليس بحديث كما قال الإمام البنا وقال الإمام ابن تيمية لا أصل له انظر مجموع الفتاوى ١١/١٩٧ وقال الألباني: هو قول فكر انظر سلسلة الضعيفة برقم ٢٤٦٠.

الإعداد له والشعور بأنه لا بد منه، وأنه هو السبيل الوحيد لرد عدوان أعداء الله وتحرير أرض الإسلام من احتلالهم وغزوهم، وصارت هناك قناعة أن سبيل المفاوضات واتفاقيات السلام مع أعداء الله دون الجهاد هو استسلام تحت اسم السلام.

ثم إن هناك واجباً مفروضاً على كل مسلم لا يتحقق بغير الجهاد والإعداد له، ألا وهو إقامة دولة الإسلام وخلافة الإسلام والتمكين لهذا الدين. ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

•• الطريق لإعادة خلافة راشدة:

[إيمان وعمل . . محبة وإخاء . . إعداد وجهاد].

قبيل قيام جماعة الإخوان المسلمين، وبعد سقوط الخلافة الإسلامية مباشرة، نظر الإمام حسن البنا حوله وكان طالباً بكلية دار العلوم ودرس أحوال العالم الإسلامي وما آل إليه المسلمون دراسة عميقة متأنية وعرف أن بُعد المسلمين عن جوهر دينهم وضعف إيمانهم هو الذي انتهى بهم إلى تمكين أعداء الله منهم وإسقاطهم لدولة الإسلام والخلافة الإسلامية وغزو المسلمين فكرياً واقتصادياً وسياسياً وأخلاقياً. واستشعر الخطر الجسيم الذي يتعرض له المسلمون والضرورة الملحة بل الواجب الذي يفرضه الإسلام على كل مسلم ومسلمة للعمل على إعادة الخلافة الإسلامية وإقامة دولة الإسلام من جديد على أساس متين وكيان قوى لحماية العقيدة، وإقامة شرع الله بين المسلمين، وتحرير المسلمين وحمائهم من كل اعتداء ولنشر دعوة الإسلام في العالم والتمكين لهذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله لعباده.

وبعد تفكير عميق ولجوء إلى الله، وفق الله الإمام الشهيد إلى الطريق الوحيد لتحقيق هذا الواجب العظيم، هو الطريق الذي سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته من قبل، عندما أقاموا الدولة الإسلامية الأولى. ويتلخص في كلمات قليلة: إيمان وعمل، ومحبة وإخاء، وإعداد وجهاد، وهكذا ربي رسول الله ﷺ المسلمين على مائدة القرآن وفي مدرسته ﷺ وأخى بينهم ونظمهم وحثهم على الجهاد والتضحية، فكانوا أهلاً لنصر الله وتأييده، فتطهرت بهم جزيرة العرب.

وكان من نشاط الإخوان غير الرياضة البدنية: الجواله والتدريبات الكشفية. وكثيراً ما كنا نرى الإمام الشهيد بيننا وهو يرتدى معنأى الجواله ويشترك في هذه التدريبات.

وبعد تكريم الله إياه بالشهادة - وكان قتله جزءاً من تلك المؤامرة - واصل الإخوان مسيرتهم في طريق الجهاد على ضفاف قناة السويس ضد الإنجليز في أوائل الخمسينيات، كما واصلوا

جهادهم ضد اليهود في مناطق إسلامية أخرى غير مصر، بعد أن غيبت الدعوة في السجون أيام عبد الناصر، واليوم نرى الإخوان يشاركون إخوانهم المجاهدين في أفغانستان، كما أنهم يجاهدون في سوريا ضد النظام الطائفي الكافر الظالم.

•• هل الإخوان تعبوا من المحن وألقوا السلاح وتركوا الجهاد؟ لا؛

وهكذا نرى أن الإخوان لم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقطعوا حاضرهم عن ماضيهم، ولن يقطعوا مستقبلهم عن حاضرهم وماضيهم، يورثون الأجيال والدعوة بشمولها ونقائنها، ويورثونهم روح الجهاد وحب الاستشهاد والتضحية حتى يتحقق نصر الله وتكون كلمة الله هي العليا.

•• المحن عندهم تصقل التجربة وتزيد الإيمان وتؤكد العزم على المضي؛

الإخوان لم تتعبهم المحن ولم ولن يلقوا السلاح أو يتركوا الجهاد، ولكن المحن تصقلهم وتزيدهم إيماناً وإصراراً على العمل لنصرة دينهم دون وهن أو ضعف أو استكانة بسبب ما أصابهم في سبيل الله.

•• لا اندفاع وراء الحماسة ولا انتظار حتى الموت بل لكل أمر قدره؛

ولكن الإخوان مع ذلك لن يندفعوا وراء تحمس بعض الشباب إلى القيام بأعمال فجأة غير مدروسة، لا تغير الواقع الفاسد وربما أساءت إلى العمل الإسلامي واستفاد منها أهل الباطل - كما أن الإخوان لن يسلكوا سبيل التريث المميت الذي يفوت الفرص ويهبط بالروح الجهادية في نفوس الشباب، ولكنهم يقدرون الأمر حق قدره مسترشدين في ذلك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في كل خطوة يخطونها مستعينين بالله، سائلين إياه الرشد والتوفيق، ويتقبلون كل نصح أو تذكير أو إرشاد من كل فرد مهما كان موقعه.

عرف ذلك الإمام الشهيد فأقام جماعة الإخوان المسلمين وسار على الطريق نفسه، ورأى أنه لكي تقوم التربية على أساس متين، ولكي يقوم بناء الدولة على أساس سليم، لا بد من العودة بالمسلمين إلى الإسلام الصحيح الشامل النقي كما جاء به رسول الله ﷺ بعيداً عن الانحراف أو الخطأ وبعيداً عن الاجتزاء والتشويه والبدع والخرافات وبعيداً عن أسباب الخلاف، فوضع الأصول العشرين الموجودة في رسالة التعاليم تحت ركن «الفهم» من أركان البيعة العشرة كإطار يحمي الفهم السليم للإسلام. وعرف كذلك دور الجهاد في السير بالدعوة وأهمية الإعداد له، إذ لا بد للحق من قوة تحميه.

وقد لمس أن روح الجهاد بين المسلمين في ذلك الوقت تكاد تكون معدومة، وروح الخنوع والاستسلام هي السائدة.

•• الجهاد سبيلنا.. شعار الدعوة:

فأعطى جانب الجهاد في دعوة الإخوان الاهتمام اللائق به، ونلمس هذا الاهتمام في صور متعددة: فنجده يؤكد أن الجهاد هو السبيل التي يهتف بها الإخوان: [الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا] ثم نجد إشارة الإخوان سيفين حول كتاب الله، والسيفان رمز الجهاد والقوة التي تحمى الحق المتمثل في كتاب الله.

ثم نجد أنه أطلق على دعوة الإخوان أنها: «دعوة الحق والقوة والحرية» تأكيداً لضرورة القوة بجانب الحق. ثم نجد جعل الجهاد ركناً من أركان البيعة العشرة «والتضحية» ركناً آخر. ثم نجد خصص «الجهاد» برسائله التي كتبها وكان دائماً وأبداً في أحاديثه يحث على الجهاد ويرغب في الاستشهاد ويربط الإخوان بالرعييل الأول مع رسول الله ﷺ وما ضربه من أمثلة رائعة في مجال الجهاد بالنفس والمال.

•• الواقع صدق التجربة.. واستمر الجهاد:

ولم يقتصر الأمر على القول والكتابة، ولكن عندما واتت فرصة الجهاد في فلسطين سارع وانتهزها، وضرب الإخوان فيها أروع الأمثلة، ولولا الكيد والتآمر وخيانة القضية من حكام بلاد المسلمين في ذلك الوقت لتبدل الأمر.

الإخوان يعلمون أن التسرع قبل الإعداد يمكن أن يكون بمثابة الإجهاض، ويعلمون أن التواني أو التردد بعد حلول الوقت المناسب والإعذار إلى الله تكون بمثابة الموت المعنوي، وفي ظل الشورى والثقة المتبادلة يتحقق النصر بإذن الله.

يعتقد بعض الشباب التواق إلى الجهاد والاستشهاد أنه يحقق أمله هذا في أعمال جزئية: كإزالة بعض صور المنكر المنتشرة في بلادنا بالقوة، والحقيقة أن صور المنكر هذه ثمار شجرة خبيثة إذا أزيلت بعض ثمارها فستثمر غيرها طالما أنها قائمة، ولا بد من اجتثاث الشجرة الخبيثة كلها وغرس الشجرة الطيبة مكانها، شجرة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وهذا أمر له تقديره وإعداده وتوقيته المناسب.

والإخوان عندما يقدمون شبابهم للجهاد في الوقت المناسب، لا يلقون بهم إلى التهلكة، بل التهلكة هي الإحجام عن الجهاد حينما يحين وقته وتحتّمه الظروف إذ إنه في تغلب أعداء الله يتعرض المسلمون إلى الفتنة في دينهم وتنتهك حرمانهم وينشأ أبناؤهم على غير عقيدة الإسلام.

كما يجب أن يكون معلوماً أنه ليس بالضرورة أن يرد المسلمون كل اعتداء أو إيذاء يقع عليهم من أعداء الله في حينه ، ولكن عندما تنهيب لهم المكنة والظروف . ففي فترات الدعوة الأولى والمسلمون قلة ويتعرضون لاعتداء المشركين وإيذائهم لم يأمر رسول الله ﷺ برد الاعتداء بالقوة، ولكن كان يوصيهم في ذلك الوقت بالصبر والثبات مباشرة إياهم بالنصر والجنة، ومع الصبر والثبات الاستمرار في تبليغ الدعوة رغم الإيذاء . وحينما تهيأت الظروف نزل الإذن بالقتال في قوله تعالى : ﴿ أَدْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] .

وعلى هذا الضوء لن يستمر موقف الإخوان من الاعتداءات المتكررة عليهم سلبياً، ولكن لا بد من يوم يعذرون فيه إلى الله ويردون العدوان ويدافعون عن أنفسهم .

•• ليس الجهاد لدفع الأذى فقط... ولكن لإقامة الدولة المسلمة أيضاً،

وليكن معلوماً أيضاً أن الجهاد والإعداد له ليس مجرد دفع الاعتداء والإيذاء اللذين يتعرض لهما المسلمون من أعداء الله ، ولكن الجهاد والإعداد له أيضاً لإتمام المهمة العظيمة وهي إقامة دولة الإسلام والتمكين لهذا الدين ونشره في ربوع العالمين، ويقدر عظم المهمة يكون الإعداد لها، وما يحتاج إليه هذا الإعداد من وقت وجهد، والوقت هنا لا يقاس بأعمار الأفراد ولكن بأعمار الأمم والدعوات .

أما تلك المقولة الخاطئة بأن المقصود بالجهاد في الإسلام هو إكراه الناس على الدخول فيه بحد السيف فلنسا في حاجة إلى جهد في إثبات بطلانها، وقد كتب فيها الكثيرون ويكفي أنها تتناقض مع قول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .
والواقع والتاريخ ينفيان هذا الادعاء الكاذب .

بعد هذا التوضيح والرد على التساؤلات حول الجهاد بصفة عامة وحول الإخوان بصفة خاصة، بقى أن نتوجه إلى شبابنا المسلم ببعض المعاني الأساسية التي يجب أن يستصحبها معه في مجال الجهاد والإعداد له، ليكون أهلاً لهذا الشرف العظيم .

•• نصائح مشهور للشباب المسلم على طريق الجهاد:

يقول أستاذنا مصطفى مشهور :

نتوجه إلى الشباب المسلم في أنحاء العالم بالنصح والتذكير على طريق الجهاد، فنقول لهذا الشباب : اعلم أن الجهاد في سبيل الله سيكون -والله أعلم- السمة الغالبة على العمل الإسلامي في المرحلة المقبلة من عمر الدعوة الإسلامية والتي سيعاصرها شباب اليوم مع

استمرار الدعوة والتربية، ولن تخلو تلك المرحلة أو المراحل من الابتلاء والإيذاء على أيدي أعداء الله وأعدائهم، فسنة الله أن يستمر الإيذاء حتى يأتي النصر. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَيَّ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وليعلم الشباب المسلم على طريق الجهاد أن ساحة جهاده في سبيل الله ليست مقصورة على قطر من أقطار الإسلام دون غيره، فالوطن الإسلامي واحد لا يتجزأ وإن راية الجهاد قد رفعت في بعض أجزائه، وستظل مرفوعة بإذن الله حتى يتحرر كل شبر من أرض الإسلام، وتقوم دولة الإسلام، وتبلغ دعوة الله إلى الناس كافة.

واعلم أيها الشباب أن قضايا العالم الإسلامي فلسطين أو أفغانستان أو سوريا أو أريتريا أو الفلبين وغيرها، ليست قضايا أرض وشعوب، ولكنها قضايا عقيدة ودين، هي قضايا الإسلام والمسلمين جميعاً، ولا يمكن أن يكون حلها بالمفاوضات والمساومات والاعتراف للعدو بما اغتصب من أرض إسلامية، ولا بد من الجهاد في سبيل الله، فالجهاد إذاً هو السبيل.

●● أيها الشباب المسلم المجاهد:

قدّر ما يلقيه عليك إسلامك من مهام جسام في هذه المرحلة من عمر الدعوة الإسلامية، وما تعقده الأمة الإسلامية عليك من آمال عظيمة وإنجازات كبيرة، وكن على يقين أن المستقبل لهذا الدين الحنيف الذي ارتضاه الله لعباده، ولتطمئن إلى تحقيق وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين. واعلم أن دون تحقق هذه الآمال الكبار جهداً وجهاداً، وعرقاً ودماءً، وأرواحاً وشهداء، وتضحية وفداء، فعدّ نفسك لذلك، فطريق الجهاد ليس مفروضاً بالورود، ولكنه طويل وشاق وملء بالأشواق والعقبات.

●● أيها الشباب المسلم على طريق الجهاد:

اعلم أن ساحة الجهاد اليوم واسعة، وأن أعداء الله كثيرون، وألوان الحروب متعددة، مما يجعل صراع الحق مع الباطل يتطلب جهداً ووقتاً، فهيب نفسك لذلك وكن من أصحاب النفس الطويل، ولا تكن ممن يأخذون الأمر ببساطة وعدم إحاطة ويتعجلون النصر، فإذا ما تأخر بعض الوقت وهنت عزائمهم وضعفت هماتهم وداخل اليأس قلوبهم. وكن يا أخي على ثقة مطلقة بربك، إنه معك ما دمت معه، فإنه ناصرك ما دمت تنصر دينه: ﴿إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وكن على ثقة بدينك، وأنه الدين الحق المقبول عند الله، وكن على ثقة كبيرة بطريقك

وجماعتك وأنت على الطريق الحق، وثق بنفسك وإخوانك أنكم قادرون -بعون الله- على إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو بعد حين.

•• أيها الشباب المسلم:

استشعر مسئوليتك عن كل مسلم على أرض الله يتعرض إلى قتل أو إيذاء أو فقر أو مرض أو جهل أو قهر أو تحكم من أعداء الله. تألم لألمهم، وليدفعك الألم إلى العمل والجهاد لإنقاذ هؤلاء جميعاً. واستشعر أيضاً مسئوليتك الضخمة، وتجمع مع إخوانك تحت راية العمل الإسلامى الجاد، واسلك طريق الجهاد الحق لنصرة دين الله وإعزاز الأمة الإسلامية كي تعود البشرية إلى ما فيه خيرها وفلاحها.

•• أخى الشاب المسلم:

تبين طريقك وحدد وجهتك دون تباطؤ ولا تردد، ضع يدك فى أيدى أهل الجهاد والحق، أهل الصدق فى القول، والإخلاص فى العمل، دعك ممن قصروا جهادهم على صفحات الكتب والصحف والمجلات وانشغلوا بالجدل حول قضايا فرعية فى الإسلام، فى الوقت الذى فيه تسلب أرض المسلمين وتزهق أرواحهم وتهتك أعراضهم وتستباح حرمتهم بأيدي أعداء الله.

•• أخى الشاب المسلم:

سارع إلى الخير واعقد الصفقة الرابحة فى هذه التجارة مع الله لتفوز بالفوز العظيم وبالنصر المبين وتنال النعيم المقيم، وتنجو من العذاب الأليم مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وتحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [التوبة: ١١١].

لا تبخل يا أخى بشيء من نفس أو مال أو وقت أو جهد فى سبيل الله.

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلْمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخِلُّ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

•• أخى الشاب المسلم:

أعد نفسك وأهلك لنيل شرف الجهاد فى سبيل الله، وزودها بكل زاد يعينها على الطريق، لتواصل المسيرة حتى النصر أو الشهادة دون تردد ولا تهازل ولا قعود. أعدّها بالعقيدة السليمة والإيمان القوى والنية الخالصة الصادقة، والتقوية من كل رياء أو غرض دنيوى لتكون كلمة الله هى العليا. وأعدّها بالعبادة الصحيحة الخالصة لله وبالأخلاق الإسلامية المتينة وأعدّها بالفكر المثقف والعلم النافع المتخصص، ليتحقق اكتفاؤنا الذاتى فى كل متطلبات الجهاد ما استطعنا إلى ذلك. وأعدّها بالبدن القوى الذى يتحمل مشاق الجهاد، وأعدّها بالمال الصالح وكل أسباب القوة، امتثالاً لأمر الله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

•• أخى الشاب المسلم على طريق الجهاد:

وأنت تعد نفسك وتدريبها على فنون القتال وتأخذ بأسباب القوة، عليك أن تتعلم فقهه وحدوده وأدابه وأحكامه، يجب أن تتعلمها وتلتزم بها، كى يكون جهادك مقبولاً عند الله، فهو كغيره من الفرائض من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج، إذا لم يلتزم بأدائها وأحكامها تبطل ولا تقبل عند الله. فكما سبق أن ذكرنا أن المسلمين حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يثلمون ولا يسرقون ولا يتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يقتلون النساء والصبيان والشيوخ، كما نهوا عن الإجهاز على الجرحى وعن إهاجة الرهبان المنعزلين ومن لا يقاتل من الأمنين، إلى غير ذلك من التعاليم.

•• أيها الشباب المسلم على طريق الجهاد:

إن أول وأهم وأقوى ما تتسلح به فى جهادك لأعداء الله، هو سلاح الإيمان. فهو الزاد المتجدد على الطريق، وهو الذى يفجر ويدفع بصاحبه إلى الإقبال على الموت غير هيب، مستهيناً بالصعاب، مؤثراً ما عند الله. فى تقديرى أن الشباب المؤمن المجاهد أخوف لأعداء الله من مفاعل ذرى، وهو أيضاً فى ميزان القوى أثقل وأقوى من المفاعل الذرى، وذلك لسبب بسيط هو أنه إذا تسلح المسلمون بسلاح الإيمان صاروا أهلاً لتحقيق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين وأيدهم بجنوده: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٨) أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ

ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿ [الحج: ٣٨، ٣٩]. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

•• أيها الشباب:

أيها الشباب المسلم على طريق الجهاد، تخفف من جواذب الأرض وأسباب الترف كي تستجيب لداعى الجهاد دون تشاقل، ولا تعرضت إلى العذاب الأليم مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمُوهَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٣٨ - ٤١].

واعلم يا أخى الشاب المسلم المجاهد أن الله غنى عنا وعن جهادنا، فنحن المحتاجون إلى ثواب الله ونعيمه ونيل هذا الشرف: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

والله قادر على أن ينتصر من أعداء الله دون جهادنا ولكنه الابتلاء والامتحان: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]. ﴿وَلِيَبْلُوَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَيَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

•• أخى الشاب المسلم على طريق الجهاد:

لا ترهب قوة أعداء الله ولو كثرت عدداً وعدة، فالله ولى المؤمنين يمدهم بجنده ويؤيدهم بنصره: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

نحن أخى الشاب فى الحقيقة ستار لقدرة الله ونصر الله، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله. إنك تجد هذا المعنى واضحاً فى قول الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧]. ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

هكذا نجد الفاعل لأفعال: يعذبهم، ويخزهم، وينصركم، ويشف، ويذهب، ويتوب. هو الله سبحانه وتعالى، فعلى المسلمين أن يقاتلوا، أما ما يترتب على القتال فمرجه إلى الله، فالأمر كله لله وإلى الله.

•• أخى الشاب المسلم المجاهد:

ضع يدك فى يد إخوانك فى صف الجهاد، وارتبط معهم بقوة برباط الأخوة الصادقة فى الله، لتكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، فتفوزوا جميعاً بحب الله ونصره مصداقاً لقول الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بِنْيَانٌ مُّرْصُوعٌ ﴾ [الصف: ٤].

وتمثل حال المجاهدين الأولين من الأنصار والمهاجرين وما كان بينهم من حب وأخوة وإيثار؛ ضرب الله بها المثل فى قرآنه الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

لا تسمح يا أخى للشيطان أو لأعداء الله أن ينالوا من هذا الحب وهذه الأخوة فتوجد بذلك ثغرة إلى صفوف المسلمين.

•• أيها الشباب المسلم على طريق الجهاد:

كن خير منفذ لأمر الله وتوجيهه للمؤمنين المجاهدين فى هذا النداء الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ ﴾ [٤٥] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

هكذا يأمرنا بالثبات وذكر الله وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع أو الخلاف ثم بالصبر، وكله من لوازم النصر وعدم الفشل.

فليكن همك يا أخى جمع الكلمة ووحدة الصف، وابتعد كل البعد عن كل ما يفرق صف المجاهدين أو يمزق وحدتهم أو يبدد جهودهم، واعلم أن الاجتماع على غير الأصوب خير من الافتراق على الأصوب، ففى ظل الوحدة يمكن أن نهتدى إلى الأصوب بعد ذلك.

●● أخى الشاب المسلم المجاهد:

إياك ومواقف المنافقين من الجهاد وأقوالهم، وكذا القاعدين والمتخلفين، تعرف عليها من كتاب الله وخاصة من سورة التوبة، تحرز من الوقوع فيها أو التأثر بها. صم أذنك عن أقوال المشيطين والمشككين والمنافقين، فقد ضعفت همتهم عن الجهاد فلجأوا إلى تشبيط عزائم المجاهدين، وبث معاني الضعف والوهن في نفوسهم بالتخويف من أهوال الحرب وقوة الأعداء، وبالنيل من الثقة بالقيادة والأوامر والتعليمات الصادرة منها، إلى غير ذلك مما يكون له أسوأ الأثر وأخطر النتائج أثناء الحرب، وصدق الله العظيم: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُواكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعَانٌ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

●● أيها الشباب المسلم المجاهد:

استعن بالله ولا تعجز، واسأل الله الصبر والثبات.. هكذا يوصينا رسولنا الحبيب ﷺ فيقول: لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتموه فاثبتوا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف^(١). هكذا لا نعتدى ولا نتمنى لقاء العدو، ولكن نرد العدوان مستعيتين بالله سائلين إياه الصبر والثبات والنصر - نرى مصداق ذلك في الفئدة المؤمنة الثابتة مع طالوت في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢٤٩) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرتنا على القوم الكافرين (٢٥٠) فهزموهم بإذن الله ﴿[البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

لا بد للمجاهد من الصبر والثبات. انظر يا أخى إلى عبارة: ﴿أفرغ علينا صبراً﴾ أى صبراً كثيراً، فإن النصر مع الصبر، وكما يقال بين النصر والهزيمة صبر ساعة. وصدق الله العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أخى الشاب المسلم المجاهد، تقدم فى صفوف المقاتلين فى سبيل الله وكلك يقين أنك على موعد مع إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة. نصر يفرح به المؤمنون فى أنحاء الأرض، أو شهادة تنال بها منازل الشهداء وثوابهم: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذْ هِيَ الْحُسَيْنِيَّةُ وَتَحْنُ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود من حديث عبد الله بن أبي أوفى. انظر تيسير الوصول - ٢٢١/١.

البخارى برقم ٢٩٦٥، ٣٠٢٤ بنصه ومسلم برقم ١٧٤٢.

وفى الوقت نفسه ضع نصب عينك النتائج الخطرة على المسلمين والوعيد الشديد من الله لمن يولى الأدبار عند الزحف كما هو واضح فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

•• أيها الشاب المسلم المجاهد:

كن على حذر من أن يصيبك شيء من الضعف أو الوهن، أو الاستكائة إذا قدر الله هزيمة المؤمنين فى معركة من المعارك، فالهزيمة الحق من داخل القلوب وليست فى معركة على ساحة القتال. فعلينا أن نتوكل على الله ونواصل الجهاد دون وهن لما أصابنا فى سبيل الله، وهذه الآيات تحكى حال المؤمنين فى مثل هذه المواقف: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيَمْحَصِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]. وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

•• أختى الشاب المسلم المجاهد:

راجع هذه الآيات الأخيرة وانظر كيف أن إخوانك المجاهدين السابقين يسألون الله أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهم فى أمرهم مع سؤالهم الثبات والنصر، وكأنهم استشعروا أن هذه الذنوب وهذا الإسراف فى الأمر من أسباب الهزيمة، كما أن الثبات وطاعة الله من أسباب النصر. فعلى المجاهدين فى سبيل الله أن يتحزروا من معصية الله وهم فى سبيل الله، وليعلموا أن معصيتهم لله أخطر عليهم وأخوف لهم من عدوهم.

أما فى حالة النصر فلا نرجعه إلى قوتنا ومقدرتنا وكفاءتنا، ولكن نرجعه إلى الله: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ونتواضع ولا نتعالى، ولنا قدوة فى تواضع رسول الله ﷺ فى فتح مكة. كما لا يصح أن يداخلنا غرور أو إعجاب حينما نرى كثرة فى العدد والعدة فى صفوف المجاهدين المؤمنين،

فلن تغنى عنا هذه الكثرة شيئاً إذا تخلى الله عنا، وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

واعلم أخى الشاب المسلم المجاهد أننا مطالبون بالعمل ولسنا مسئولين عن النتائج، فقد أمرنا الله بمجاهدة أعداء الله ورد عدوانهم ولم يطالبنا بتحقيق النصر، فالنصر من عنده هو. ولذلك فلن يحرمنا الله أجر المجاهدين فى سبيله ولو كانت النتيجة فى غير صالح المؤمنين. اعلم أخى الشاب المسلم فى صف المجاهدين أنك هدف عظيم وصيد ثمين لأعداء الله لو حصلوا عليك.

وليس ذلك بالقتل فقط، لكن لو استطاعوا أن يخدعوك أو يساموك ويستميلوك إلى جانبهم بوعده أو وعيد، فلا تمكنهم من نفسك، واعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأنت على ثغرة من ثغور المسلمين، فلا يؤتوا من قبلك، وكن فى موقعك خير حارس أو مقاتل أو مرابط، مستشعراً فضل الله عليك أن من عليك بشرف الجهاد فى سبيله. متذكراً الثواب العظيم: ثواب الرباط أو الحراسة أو القتال فى سبيل الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

كما تستشعر الخطر العظيم والإثم الكبير بل والعذاب الشديد، لو تخلت عن موقعك ومهمتك وسمحت لأعداء الله أن ينفذوا إلى صف المؤمنين.

•• أخى المسلم فى صفوف المجاهدين:

كن دقيقاً فى عملك ووقتك وتنفيذ ما يُطلب منك، فرب تأخر دقيقة أو تقصير بسيط فى تنفيذ أمر يعرض أعداداً كبيرة من صفوف المجاهدين إلى الهلاك والقتل، أو يؤدى إلى سقوط موقع مهم فى أيدي الأعداء.

•• أيها الشباب المسلم المجاهد:

فى كل مكان، عليك بكتاب الله، تدبره واتله حق تلاوته، ففيه الزاد الوافر على طريق الجهاد، قف طويلاً عند السور والآيات التى تتناول الجهاد والقتال فى سبيل الله، احفظها لو استطعت، فستزودك بكل ما تحتاج إليه فى جهادك وقاتلك لأعداء الله من زاد، واقراء وتدبر سيرة إمام المجاهدين عليه السلام وصحابته الغر الميامين، وما فى الغزوات من صور رائعة للجهاد ونماذج فريدة للتضحية والفداء والحب والإيثار والإعداد والتخطيط.

•• أختي المسلمة:

أما أنت أيتها الأخت المسلمة على طريق الجهاد، فإن لك دوراً مهماً في مجال الجهاد، يبدأ في البيت بتربية الأجيال وتنشئتهم وإعدادهم للجهاد. فالمرأة صانعة الرجال، وكانت النساء المسلمات يحفظن أبناءهم الغزوات كما يحفظنهم السورة من القرآن.

كما أن الأخت المسلمة التي تعيش روح الجهاد تكون عوناً لزوجها مشجعة له على طريق الجهاد، ولا تكون فتنة له أو مثبطة ومعدة له، كما أنها تحسن رعاية أولاده وتحفظه أثناء غيابه في الجهاد.

وللمرأة المسلمة في الماضي دور في المعارك: فقد قامت بسقاية الجند وتضميد الجرحى، بل شاركت أحياناً بالسلاح كما فعلت نسيبة بنت كعب دفاعاً عن رسول الله ﷺ يوم أحد.

•• مشهور المجاهد:

أثبتت المواقف العملية صدق رجال الدعوة، وشهد لهم التاريخ، بل أضاعت صفحات أعمالهم التي ألحقتهم بسلفهم الصالح، وتبين لمن بعدهم وظهر جلياً أنهم صدى الدعوة الأولى دعوة محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وأكدت سيرتهم أنهم ليسوا حزباً سياسياً، ولكنهم حركة إسلامية مجاهدة، مهمتها توجيه الناس كل الناس توجيهاً صحيحاً سليماً، وإعداد أمة إسلامية إعداداً صالحاً قوياً، وتاريخهم الممتد يجعلهم الصخرة التي ترتطم بها أمواج الخطيرين - الداهمين اللذين يهددان العالم الإسلامي والوطن العربي أولاً ويهددان البشرية كلها بعد ذلك: [الاستعمار والإلحاد] فتتحطم وتتبدد هذه الأمواج.

رفع الإخوان المسلمون شعار [الجهاد سبيلنا] وطالما رددوه، فواجههم القدر باختيارين ليمحص صدقهم وإخلاصهم، كانت قضية فلسطين أولاً وموقفهم من المستعمرين في القناة ثانياً... وفي هذين الميدانين أثبتت المواقف العملية كما أسلفنا صدقهم وإخلاصهم وحسن تربيتهم ومدى حبهم للجهاد والاستشهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته بحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله.

ومصطفى مشهور من أبرز القادة في هذه الدعوة التي تربي فيها على حب الجهاد والاستشهاد، وكان وهو في بواكير عمره قد أعدّ عدته، وأخذ أهبطه، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير... دائم الاهتمام... على قدم الاستعداد أبداً. إذا دعى أجاب، وإن نُودي لبى، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجدّه ولعبه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه فيه، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته.

تقرأ في قسما وجهه، وترى في بريق عينيه، وتسمع في فلتات لسانه، ما يدل على ما يضطرم به قلبه من جوى لاصق وألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزيمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة، وذلك شأن المجاهدين من الأفراد والأمم.. فأنت ترى ذلك جلياً في الأمة التي أعدت نفسها للجهاد. وكان حبه لدعوته قد ملك شغاف قلبه، وتشوقه إلى يوم يفتديها بنفسه يتوثب من نظراته وأنفاسه، وبالرغم من أن الهدوء والرزانة والجد سمته إلا أنك ترى أمام عينيك قلباً يتحرق وروحاً تتوثب لتأخذ مكانها بين الحور العين في الفردوس الأعلى.

بدأ أستاذنا سيرة جهاده من يوم انضمامه لهذه الدعوة، فقد شارك في فرق الرحلات ثم شارك في الجواله وتدرج فيها، بعد ذلك ولما أنشئ النظام الخاص اختاره الإمام الشهيد عضواً فيه، يقوم بأهم الأدوار ويحمل أثقل الأعباء، فكان يتخير كل من يتوسم فيه الجد وعمق الفهم والاتزان، ويقوم بالتربية والإعداد وتنشئة الرجال، ويشارك في وضع الخطط وتجهيز العدة والعتاد وفي كل ما يخص هذا النظام من أعمال، كيف لا وهو العضو القيادي البارز.

لقد شارك أستاذنا في الأعمال الأولى التي قام بها النظام الخاص ضد جنود الاحتلال مشاركة قيادية، واستمرت مشاركته القيادية في الحرب ضد اليهود في فلسطين سنة ١٩٤٨م وكذلك في المقاومة السرية ضد الإنجليز في قناة السويس^(١).

لمس منه إخوانه الذين شاركهم هذه الأعمال الجهادية الصدق في اللقاء والصبر على العناء والبذل دون حدود من مال ووقت وجهد ونفس وروح مع صفاء في النفس ورقة في الشعور والتزام بأحكام الدين، فأحبه حباً صادقاً من كل قلوبهم لما جمع الله فيه هذه الصفات.

كان الرجل مجاهداً بكل ما تعنيه كلمة مجاهد.. فكان مجاهداً بقلبه، مجاهداً بلسانه، مجاهداً بقلمه، مجاهداً بماله، مجاهداً بنفسه، مجاهداً بوقته، مجاهداً بروحه في سبيل الله تبارك تعالى.

وكذلك شارك إخوانه المحن، من سجن ومعتقلات وتعذيب، فكان في دياجيرها كما كان في منازل الرخاء والعافية، بشاشة لا تجهم فيها، ومعين سكينه، وفيض أمن لمن حوله، لا يهاب ولا يفزع، ومثال رزانة وصبر لا يتخلف حتى لكان الله عز وجل ساقه ليكون سحابة تظلل المعذبين والمكتوبين بنار المحنة.

ثم خرج من هذه المحن صلباً قوياً ثابتاً كالجبل الأشم الشامخ لا تهزه الريح والأعاصير، يستكمل مسيرة الجهاد حتى لقي ربه، وكان دائماً يردد قول الشاعر:

عمري بسنى لا بعد سنين لأسخرن غداً من التسعين
عمري إلى التسعين يجرى وروحي ثابتة على العشرين

(١) راجع فصل النظام الخاص من هذا الكتاب لتستعرض التفاصيل.

[5]

ركن التضحية

يرتبط ركن التضحية بركن الجهاد ارتباطاً وثيقاً، حيث لا جهاد بلا تضحية، وتتجسد التضحية في هتاف الدعوة الدائم الذى وصفه الإمام الشهيد وهو: [الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا].

لقد أدرك أستاذنا المعنى العميق للتضحية وهو: بذل النفس . . كل النفس، والمال . . كل المال، والحياة . . كل الحياة، وكل شيء فى سبيل الغاية . . والغاية هو [الله].

فكان باذلاً لنفسه، كل نفسه، وماله كل ماله، وحياته كل حياته فى سبيل الله تبارك وتعالى . . . وكان منغمساً فى دعوته بكل شيء انغماساً كاملاً فى عطائه وبذله .

وله قاعدة ذهبية للتضحية يقول فيها: «الدعوة لا ينفع معها: لا فضول الوقت . . . ولا فتات الجهد . . .» وكان يحض إخوانه على ذلك، ويقول لهم: بقدر العطاء للدعوة بقدر ما يمكن أن تتحقق الآمال فى هذه السنة قبل العشر سنوات القادمة، والعشر سنوات قبل المائة سنة القادمة، فاحزموا أمركم وابدلوا كل ما فى وسعكم وجهدكم . .

وكان محبباً لإخوانه الأتقياء الأخفياء الأنقياء الذين يبذلون لدعوتهم ويضحون بكل غال ورخيص فى سبيل الله، فكان يجالسهم ويتقرب إليهم ويقربهم إليه .

أدرك أستاذنا أن طريق الدعوة طريق شديد الوعورة، ليس مفروشاً بالزهور والورود والرياحين، وإنما كله بذل وعطاء وتضحيات وملىء بالشوك والعقبات والعراقيل . . . أدرك ذلك كله من يوم أن صارح الإمام الشهيد إخوانه بقوله: «أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فلازلتم مجهولين ولازلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد. سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم، وستجدون من أهل الدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف فى وجوهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحمى من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال واليكم بالإساءة والعدوان. وسيشير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس بأبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتمدين بأموالهم ونفوذهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنْمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وستدخلون بذلك ولا شك دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم، وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان. ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومشوية العاملين المحسنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٤] فلم أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله.

وأصر أستاذنا على أن يكون من أنصار الله، ولم يبخل بما أنعم الله عليه من نفس ومال ووقت، وضحى بها كلها، في حين أن غيره يضحى بواحدة أو أكثر، ولكنه كان منغمساً في دعوته انغماساً كاملاً، وكان نموذجاً فريداً يُحتذى في البذل والعطاء بكل ما أعطاه الله وأنعم به عليه..

وكان أسوة وقدوة لإخوانه العاملين في الدعوة، وكل من عرفه أو رافقه أو عايشه تعلم منه التضحية على وجهها الأكمل فعلاً وقولاً وسلوكاً وخلقاً.

ليس ذلك فحسب، وإنما كتب للأجيال وسطر لهم بحروف من نور ما عايشه وطبقه في حياته المليئة بالجهاد والتضحية، فكان نبراساً لهم تعلموا منه ما قرأوه في كتاب [من فقه الدعوة] عن الجهاد والاستشهاد..

وها نحن ننقل ما كتبه عن الاستشهاد على طريق الدعوة..

● الاستشهاد على طريق الدعوة: (١)

يقول أستاذنا:

«الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا» .

هتاف طالما رددناه ورددته معنا على طريق الدعوة أبناء الدعوة أثناء سيرهم وعملهم وجهادهم في سبيل الله إعلاء كلمة الله والتمكين لدين الله . وقد فاز بهذه الأمانة كثير من الأحباب ومن بينهم منشى الجماعة الإمام الشهيد حسن البنا، ونسأل الله أن يتقبلهم جميعاً وأن يفسح لهم جناته، وأن يلحقنا بهم غير مبدلين ولا مغيرين، وغير فاتنين ولا مفتونين، وأن يرزقنا الشهادة مثلهم . . آمين .

لقد تتابع موكب الشهداء على طريق الدعوة منذ زمن بعيد، ففاز بالشهادة على أرض فلسطين الحبيبة عامى ٤٧، ٤٨ إخوة كرام في جهادهم ضد عصابات صهيون الأثمة المغتصبة، وقدمت الدعوة نماذج رائعة للجهاد والفداء والاستشهاد في سبيل الله ولا زالت ذكراها ترعب اليهود حتى اليوم ولا زال اسم الإخوان المسلمين يفزعهم، وقد تناولت بعض الكتب هذا الجهاد وذكرت تفاصيل عن معاركه وشهادته . ثم كان التآمر بتخطيط أعداء الله وتنفيذ عملائهم من حكام العرب في تلك الفترة، فصدر قرار حل جماعة الإخوان في مصر في ديسمبر ١٩٤٨م واعتقالهم، ما عدا الإمام البنا، حيث دبروا قتله في فبراير ١٩٤٩م وكانوا قد أدخلوا الجيوش العربية أو رموزاً لها في فلسطين باسم إنقاذها من اليهود، ولكن حقيقة الأمر لتسليمها لليهود، وذلك بإعلان الهدنة وإيقاف الحروب النظامية والفدائية، وأخذ المجاهدون من الإخوان من ساحة الجهاد إلى المعتقلات والسجون، ثم إعلان التقسيم وقيام إسرائيل . لهذا يعتبر الإمام الشهيد حسن البنا هو شهيد فلسطين وإن لم يقتل على أرضها .

على ضفاف قناة السويس قام جهاد للإخوان ضد الإنجليز المحتلين، نال الشهادة خلاله شباب في ريعان شبابهم أمثال عمر شاهين وأحمد المنيسى وغيرهما - رحمهم الله جميعاً، وقد ضربوا أيضاً أمثلة رائعة من البطولة والفدائية مما أسرع بجلاء الإنجليز عن مصر .

ثم فرض علينا أعداء الله ميداناً آخر للشهادة وهو ميدان الظلم والظالمين وفتنة المؤمنين، تحت التعذيب الشديد في سجون عبد الناصر وعلى أعواد المشانق، وقد أقبلوا على الشهادة بكل رباطة جأش وثبات واحتساب، فكان الشهداء عبد القادر عودة والشيخ محمد فرغلى ويوسف طلعت وكانا من قادة الجهاد في فلسطين وإبراهيم الطيب، هندواى دوير ومحمود

(١) من فقه الدعوة - الجهاد هو السبيل - مصطفى مشهور .

عبد اللطيف، ثم الشهداء سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ويوسف هوش وعشرات غيرهم تحت التعذيب^(١). وأخيراً الشهيد محمد كمال السنانيري في العهد الحاضر وكذا خالد الإسلامبولي وإخوانه - رحمهم الله جميعاً.

كما نال الشهادة كثير من أبناء الدعوة في فلسطين المحتلة وفي لبنان ومازالوا يتعرضون إليها في جهادهم ضد اليهود، وكذلك في سوريا قتلاً بالرصاص أو تحت الأنقاض أو من دفنوا أحياء أو تحت التعذيب أو الشنق في سجون سوريا، وكذا نال الشهادة إخوان في العراق وفي ليبيا والصومال وأندونيسيا وفي ساحات الجهاد وفي أفغانستان والفلبين وإرتيريا وغيرها، وسيظل موكب الشهداء يتتابع في كل منطقة في العالم الإسلامي يتفجر فيها الصراع بين أعداء الله وأهل الباطل المتسلطين وبين الدعوة إلى الله الذين استيقظت فيهم روح الجهاد وصاروا يقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل إعلان كلمة الله.

سيظل الصراع بين الحق والباطل تتسع ميادينه وترتفع رايات الجهاد ويتنزل نصر الله على عباده المؤمنين ويتخذ الله شهداء حتى يتنزل نصر الله ويمكن لدين الله في الأرض بإذن الله.

يظن البعض أن شهادة هؤلاء الشهداء خسارة لحقت بالجماعة حيث فقدت شخصيات كان لها أثرها وتأثيرها في ساحة العمل والجهاد، وهذا ظن خاطئ، فإن شهادة الشهيد في سبيل دعوته زاد وقوة للأجيال ورمز للتضحية والفداء في سبيل الدعوة، وقدوة لأبناء الدعوة على طريق الدعوة.

ويظن أعداء الله وعملاؤهم أنهم يقتل بعض الدعوة إلى الله سيقضون على دعوتهم وجماعتهم، خاصة لو كانوا من القيادات، وهم في هذا الظن واهمون مخطئون، فإنها ليست دعوة أشخاص أو جماعة أشخاص تنتهي بقتلهم، ولكنها دعوة الله ونور الله ولن يطفى نور الله بشر، والله سبحانه وتعالى يجمع عليها الصادقين المخلصين يعرض بهم الصف ليواصلوا العمل والجهاد حتى تتحقق الأهداف التي قامت من أجلها الجماعة من إقامة دولة الإسلام وعلى رأسها الخلافة الإسلامية تمكيناً لدين الله في أرض الله ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وليعلم شبابنا المسلم أن المعركة بين الحق والباطل معركة شرسة وممتدة زماناً ومكاناً لتشمل الساحة الإسلامية، وليعلموا أن الجهاد هو السبيل وأن التضحية بالنفس والمال أمر حتمي، وأن فرضية الجهاد والاستشهاد ستزداد خلال عشرات السنين القليلة القادمة كمقدمات لمرحلة

(١) بالإضافة إلى شهداء مذبحه طره وعددهم ٢٢ شهيداً من الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٧.

الجهاد والتمكين بإذن الله كما حدث في عهد الدولة الإسلامية الأولى بعد مرحلة الإيذاء والتعذيب . ولا يجوز أن يداخل شبابنا أى بأس في تحقيق النصر والتمكين بسبب كثرة الأعداء وقلة المؤمنين ، فقد يمّا كان المؤمنون مع رسول الله ﷺ قلة في العدد والعدة ، والأعداء كثرة في العدد والعدة ، ولكن الله أيد رسوله والمؤمنين بجنده والله جنود السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

حقاً أيها الشباب . . الموت في سبيل الله أسمى أمانينا ، ولم لا وهذه آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ترغيبنا وتشدنا إلى الاستشهاد في سبيل الله بما ذكرت من منزلة الشهداء وما يعطيهم الله من خير وكرامات وفضل .

تعالوا نستعرض بعضها لنزداد شوقاً وسعيّاً إلى الاستشهاد في سبيل الله : أول منازل الشهداء أنهم يصيرون أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] . ويقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ ﴾ [١٥٤] فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنْ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩ - ١٧١] . ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد : ١٩] .

تذوق معي يا أخى عبارة «عند ربهم» .

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمِهِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿ [محمد : ٤ - ٦] . ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [النساء : ٧٤] . ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ [آل عمران : ١٩٥] . ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ [التوبة : ٨٨] . ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴿١٠﴾ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١١﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴿١٢﴾ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ [الصف : ١٠ - ١٣] .

ثم نتقل إلى روضة أحاديث رسول الله ﷺ حول الجهاد والاستشهاد: فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعونه. ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد»^(١) رواه الستة إلا أبا داود. وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» وفي رواية: «لما يرى من فضل الشهادة»^(٢) متفق عليه.

وعن المقدم بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشاهد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن القرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، وبشفع في سبعين من أقاربه»^(٣) رواه الترمذى وابن ماجه.

عن أنس رضى الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقه، أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صيرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال: «يا أم حارثة إنها جتان في الجنة وإن ابنتك أصاب الفردوس الأعلى»^(٤) رواه البخارى.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة»^(٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

كانت هذه بعض الآيات والأحاديث التى تشوقنا إلى الجهاد والاستشهاد، وما أردنا الإحاطة والاستقصاء فليس هذا مجاله، ولكنها ومضات من النور تبصرنا وتوضح لنا منزلة الشهداء عند ربهم.

فيا أخى على طريق الدعوة، يا من اخترت سبيل المؤمنين الصادقين الذين عاهدوا الله على العمل والجهاد لإعلاء كلمة الله وللتمكنين لدين الله فى الأرض، يا من تعرفت على مكانة

(١) صحيح وسبق تخريجه ورواه مسلم برقم ١٨٧٨.

(٢) البخارى ٢٨١٧ - ٢٧٩٥ بالترتيب ومسلم ١٨٧٧ بالرواية الثانية.

(٣) صحيح وسبق تخريجه بلفظ: (أقاربه).

(٤) البخارى بأرقام: ٢٨٠٩، ٣٩٨٢، ٦٥٥٠، ٦٥٦٧.

(٥) رواه أحمد بإسناد صحيح انظر مستند أحمد ٩٩/١٥ بتحقيق أحمد شاکر وصحح سنن الترمذى ١٦٦٨ بتحقيق الألبانى وصحح سنن ابن ماجه برقم ٢٢٧٨.

الجهاد في سبيل الله وعلى منزلة الشهداء فصرت تتشوق إلى نيل تلك المنزلة، وتهتف من أعماق قلبك: «الجهاد سيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، يا أخى إنها أمنية سامية حقاً . . ولكن لا بد لنيلها من تهيؤ وإعداد ودقة والتزام . فلا يتصور أحد أنه إذا أقدم على أى عمل فى أى وقت بتقديره الخاص ثم تعرض فيه للقتل أنه بذلك نال الشهادة، ولكن هناك أمور يلزم مراعاتها والالتزام بها .

•• أمور يلزم مراعاتها والالتزام بها:

أولاً: أن تعقد الصفقة الرابعة مع الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] .
وبذلك تكون على استعداد كامل لتقديم نفسك ومالك وكل ما تملك في سبيل الله عندما يستدعى الأمر ذلك .

ثانياً: لكى تتم الصفقة وقبل البيع عليك أن تلزم نفسك صفات المؤمنين، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] .
ولعل الآية التالية لهذه الآية وما فيها من صفات للمؤمنين تؤكد هذا المعنى حيث قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] .

كما أن هناك صفات أخرى للمؤمنين وردت في سورة «المؤمنون» وفي غيرها وكذا في أحاديث رسول الله ﷺ يلزم التعرف عليها ومجاهدة النفس للالتزام بها . ثم إن الإيمان القوى مطلوب على طريقة الدعوة، لأنه يعين على الصبر والتحمل والثبات على الحق عند تعرض صاحبه إلى المشاق أو إلى الإيذاء والتعذيب، كما لمسنا في موقف سمية وزوجها ياسر رضى الله عنهما وكذا بلال وغيره . والإيمان يساعد صاحبه على الإقدام فى القتال ومجادلة الأعداء والصبر والثبات عند الزحف .

ثالثاً: يلزم إخلاص نيتك فى الجهاد والاستشهاد، فتكون نيتك إعلاء كلمة الله فى أرض الله، ولا يخالط هذه النية أى شائبة دنيوية . وهذا حديث رسول الله يوضح ذلك تمام الوضوح: عن أبى موسى رضى الله عنه أن أعرابياً أتى النبی ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه - وفى رواية: يقاتل شجاعة

ويقاتل حمية - وفي رواية: يقاتل غضباً، فمن في سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه (١).

رابعاً: أن تسأل الله تعالى الشهادة بصدق، فلا يكون الأمر مجرد ترديد باللسان ولكن يصدقه القلب والعزم الصادق وترقب الفرص، وبهذا تنال منزلة الشهداء وأجرها بإذن الله حتى لو مت على فراشك كما هو في حديث رسول الله ﷺ، فعن سهيل بن حنيف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» رواه مسلم.

خامساً: أن تكون مستجيباً في كل وقت للجهاد بالمال دون شح أو بخل حتى لو لم تنهياً الظروف للجهاد بالنفس، لأن الصفقة الرابحة شملت النفس، المال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وهذه أحاديث لرسول الله ﷺ تحت على ذلك: فعن زيد بن خالد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا» متفق عليه.

وعن أبي يحيى بن فاتك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف» رواه الترمذى وقال حديث حسن.

سادساً: أن تكون منتهيًا لإجابة نداء الجهاد في أى وقت تدعى إليه في أى بقعة من العالم الإسلامى، فإسلامنا عالمى وليس إقليمياً وبلاد المسلمين وطن واحد عليك أن تتخفف من جواذب الأرض التى تتشاقل بصاحبها إلى الأرض فيتعرض إلى عذاب الله كما فى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وفى معنى قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. أى اخرجوا للقتال يا معشر المؤمنين شبيهاً وشباناً، ومشاة وركباناً فى جميع الظروف والأحوال فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

ولنحذر أن نقترّب من حالة هؤلاء الذين ورد ذكرهم فى الآية الكريمة ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي

(١) سبق تخريجه.

الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿التوبة: ٨١، ٨٢﴾.

سابعاً: ما دمت جندياً فى صف فعليك أن تلتزم بما يُطلب منك فى مجال الجهاد وما يحدد لك فيه وقتاً ومكاناً، ولا تلجأ للتصرفات الفردية أو الاجتهادات الشخصية، وذلك وفاءً لبيعتك وتوحيداً للجهود، وحماية للعمل من سلبيات التصرفات الفردية غير المنضبطة. فكثيراً ما يدفع الحماس بعض الشباب إلى تصرفات فردية هوجاء تضر بالعمل العام وتورط فى مواقف معتتة لم يتم الاستعداد لمواجهةها.

فبسبب النظرة السطحية المحدودة يتصور بعض الشباب أن هذا الصراع المرير بين الحق والباطل يمكن أن ينتهى بقتل بعض الأشخاص وتفجير القنابل أو غير ذلك من التصرفات دون تبصر بالعواقب، فى حين أن القضية عميقة فى النفوس ولأنها قضية عقيدة وممتدة على الساحة الإسلامية كلها، وقديمة زمنياً وممتدة فى المستقبل إلى ما شاء الله لها.

لم يكن صعباً أو شاقاً على أحد المسلمين فترة مكة أن يقتل أبا جهل أو أبا لهب أو أن يحطم الأصنام حول الكعبة أو بعضها وهى تعبد من دون الله من قبيل إزالة المنكر، ولكن ما كان لأحد من المسلمين أن يقدم على أى شىء من ذلك لما يترتب عليه من إضرار كبير بالدعوة وتعريض للقضاء عليها وهى لا تزال كالنبتة الضعيفة.

ثامناً: عليك يا أختى أن تدرس آداب القتال فى الإسلام لكى تلتزم بها كى يكون جهادك صحيحاً مقبولاً ليس فيه ما يشوبه، فالمسلمون حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحريات ولا يتقدمون بالأذى، فهم فى حربهم خير محاربين كما أنهم فى سلمهم أفضل مسلمين.

فعن بريدة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أو صاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»^(١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليستجب الوجه»^(٢).

(١) هو بهذه الصيغة باطل كما قال ابن أبى حاتم فى العلل ١٤٨/٢ وضعفه أبو حاتم الرازى فى البدر المنير ٨٧/٩ وضعفه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٢٠/٥. أما لفظه (لا تقتلوا وليدًا) مكصححه الطحاوى فى معانى الآثار ٢٢١/٣.

(٢) رواه مسلم زيادة [أخاه] برقم ٢٦١٢.

كما ورد النهي عن قتل النساء والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهاجة الرهبان المنعزلين ومن لا يقاتل من الأمنين فأين هذه الرحمة من غارات المتمدنين الخائفة وفظائعهم الشنيعة وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل [من رسالة الجهاد للإمام البنا .
تاسعاً: عليك يا أخى أن تأخذ بأسباب الإعداد ما تيسر لك ذلك ودون إعنات أو مشقة ودون تعريض للأضرار وعلى ضوء التوجيه والظروف ، فقد كان رسول الله ﷺ يواجه أصحابه فى هذا المجال . فعن أبى حماد عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي»^(١) رواه مسلم .

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستفتح عليكم أرضون وكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»^(٢) رواه مسلم . وعنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من علم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى»^(٣) رواه مسلم .

وهناك معنى يلزم أن نلقت النظر إليه هو أن نؤمن أن النصر من عند الله وأن الإعداد وما يتعلق به من باب الأخذ بالأسباب فقط ، فلا تنسب تحقق النصر إلى كفاءة التدريب أو الإعداد، ولكن نرجعه إلى تأييد الله وتبنيته لعباده المؤمنين : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] . ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال : ١٧] .

عاشراً: عليك يا أخى أن تراعى بيتك وأهلك بالتوعية الإسلامية وأن تهيشهم لجو الجهاد والاستشهاد، فلا يكونون مشبطين، بل يعينون ويشجعون على الجهاد، ويستقبلون نبأ استشهادك إذا أذن الله بالرضا والاحتساب والاستبشار وليس بالجزع والانتحاب، ولتضرب لهم الأمثلة الرائعة من السيرة العطرة للمسلمين الأوائل واستقبال ذويهم لنبا استشهادهم .
أحد عشر: عليك أن تحرص ألا يكون عليك دين، أو توصى بسداده إن لم يتوفر لك سداده فى حياتك .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ» رواه مسلم، وفى رواية: «القتل فى سبيل الله يكفر كل شىء إلا الدين»^(٤) .

(١) رواه مسلم برقم ١٩١٧ .

(٢) رواه مسلم برقم ١٩١٨ .

(٣) رواه مسلم بلفظ [أو قد عصى] برقم ١٩١٩ .

(٤) رواه مسلم برقم ١٨٨٦ كلاهما .

ثم يختم أستاذنا حديثه عن الاستشهاد على طريق الدعوة بمسك قد تخيره من أنواع مسك ختم به الإمام الشهيد رسالة الجهاد حيث قال رضى الله عنه: (أيها الإخوان: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة، واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها فى سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُوَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد فى سبيله).

نعم أيها الإمام، لقد استجاب الله دعائك ورزقك الشهادة... نسأل الله أن يرزقنا إياها، إنه قريب مجيب.



[٦]

ركن الطاعة

قمة الطاعة في عقيدة التوحيد، تتمثل في كمال الحب وكمال الذل للمخالق عز وجل، ويكمن سر الخلق الأمر والثواب والعقاب في خلاصة سورة الفاتحة وهي الآية التي جمعت معانيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والإنسان المؤمن - بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً- إذا ما امتلأ قلبه بعقيدة التوحيد التي هي أصل كل خير، وجل قلبه ولان وأخبت ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وإذا كانت الطاعة هي الانقياد والموافقة، فهي لا تكون إلا عن أمر يصدر من أمر دون إكراه وتكون بحسن استماع وفهم، والطاعة في القرآن وردت كذلك بمعنى أن يخضع العبد وينقاد لأمر الله ورسوله ليفوز برضى الله ويحظى بجزائه، وارتبطت طاعة أولى الأمر بطاعة الله تبارك تعالیٰ ورسوله ﷺ ارتباطاً وثيقاً لا تنفك عنها ما لم تكن في معصية، وإلا فلا طاعة لأي مخلوق مهما علا شأنه وعظمت سطوته وطغى جبروته إذا كان أمره مخالفاً لأوامر الله ورسوله، ففي طاعته تكون معصية الله ورسوله... يقول رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى»^(١) والأمير هنا، أي كان، من أولى الأمر، بشرط الانتساب إلى الله والرسول، فكلمة (أميرى) هي أمير مذيلة بباء النسب، ويرد هذا النسب، إلى الله والرسول...^(٢).

نشأ مصطفى مشهور - في المحاضن التربوية للدعوة المباركة وترعرع تحت رعاية الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه - على هذا المفهوم العظيم للطاعة وتعلم فيها: أن الطاعة هي: (امتثال الأمر وإنفاذه توأ في العسر واليسر والمنشط والمكره) وقد تدرج في مراحل الدعوة الثلاث: المرحلة الأولى: التعريف: وذلك بنشر الفكرة بين الناس، والطاعة الثامنة لم تكن لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظام والمبادئ العامة للجماعة.

(١) متفق عليه البخارى بأرقام ١٨٣٥، ٢٩٥٧، ٧١٣٧ ومسلم برقم ١٨٣٥.

(٢) الطاعة في المعروف - جمعة أمين عبد العزيز - ص ١٣٣ - بتصرف.

المرحلة الثانية: التكوين: هي استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض، وشعارها أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج.

المرحلة الثالثة: التنفيذ: الدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة.

ولا شتماله على مراحل الدعوة الثلاث يكاد يكون ركن الطاعة أهم أركان البيعة العشرة. وأن صف الجماعة لا يستقيم وبنیان صرح الدعوة لا يعلو إلا باعتماده على ركن الطاعة، فقد حكى الإمام البنا عن صاحبه العالم الطبيب الضابط العابد (محمد سعيد العرفي) وهو ينصحه نصيحته المشهورة المفيدة في فقه الحركة المبنية على شرع الله تعالى وهي قوله: (احذر من صنفين حذراً شديداً ولا تلحقهما لصفوف الدعوة أبداً: الملحد الذي لا عقيدة له، وإن تظاهر بالصلاح فإنه لا أمل في إصلاحه هو بعيد عنكم بأصل العقيدة، فماذا ترجو منه؟ والصالح الذي لا يحترم النظام، ولا يقدر معنى الطاعة، فإن هذا ينفع منفرداً، وينتج في العمل وحده، ولكنه يفسد نفوس الجماعة: يغريها بصلاحه، ويفرقها بخلافه، فإن استطعت أن تستفيد منه وهو بعيد عن الصفوف فافعل، وإلا فسد الصف واضطرب، والناس إذا رأوا واحداً خارج الصف لا يقولون خرج واحد، ولكن يقولون صف أعوج، فاحترس من هذا كل الاحتراس)^(١).

عاش مصطفى مشهور طيلة حياته جندياً ناجحاً في هذه الدعوة المباركة وقائداً عبقرياً فذاً كذلك، ومن خلال تجاربه أيقن أن للطاعة بركة عظيمة، وكان يقول لإخوانه إذا ما فتح الله تبارك وتعالى على الدعوة وعلى الداعية^(٢): (فإن هذا الفتح وهذه الفيوضات الربانية سببها بركة الطاعة)، ومن أقواله: (من لم يكن جندياً متميزاً، فلن يكون قائداً متميزاً)، وكثيراً ما كان يؤكد لإخوانه أن الطاعة تكشف مدى الإخلاص والصدق لدى جندي الدعوة، فإذا كان في نفسه هوى أو حظ نفس فإن منسوب الطاعة يتناسب عكسياً مع الهوى وحظ النفس، وإن تصاعد الهوى وحظ النفس يكون على حساب الطاعة.

كان مصطفى مشهور ينتقى الأفراد ولا يحب الذي فيه لجة كثيرة ومرء ولا يرتاح إليه، وكان دقيقاً في العمل بالوصية التي ضمنها الإمام البنا وهي: (لا تكثر من الجدل في أي شأن من الشئون فإن المرء لا يأتي بخير) وكان هو بطبيعته لا يحب الجدل والمرء... فكان ينتقى كل

(١) مذكرات الدعوة والداعية - الإمام الشهيد حسن البنا.

(٢) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد حبيب.

من لديه إقبال وسماحة ورضى واستعداد للتنفيذ... ومعروف أن الدعوة لا تحتاج إلا لمثل هؤلاء الأخيار المباركين..

كما كان كثيراً ما يبحث الإخوان ويذكرهم بالألا يضيعوا أوقاتهم فيما لا يفيد وفي كلام وجدل وأخذ ورد وأن الوقت يمضي، وأمامنا كثير من الأعمال، ويؤكد ما قاله الإمام البنا في وصاياه: (الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك مهمة فأوجز في قضائها).

ضرب مصطفى مشهور أروع الأمثلة في كمال الطاعة كجندى دعوة، وألزم نفسه بالالتزامات والسلوكيات التي يجب على كل فرد في الجماعة الالتزام بها، ومنها: (إلزام النفس بامتثال الأمر الصادر من القيادة في صف الدعوة كل في موقعه وإنفاذه في العسر واليسر والمنشط والمكره، ما كان في غير معصية، إذ لا تعتبر الجماعة جماعة تحقق أهدافاً وتتجزأ آمالاً إلا إذا كان أفرادها يسمعون ويطيعون لقيادتهم تعبداً وطاعة لله، فإن طاعة الأمير من طاعة الله والامتناع عن تنفيذ الأوامر أو مجرد التردد في تنفيذها يعرض العمل إلى المخاطر ويعتبر نكثاً في البيعة، يلزم هنا كمال الطاعة والنزول على رأى القيادة ولو خالف رأى الفرد ما دام الأمر في غير معصية)^(١).

وللنظم واللوائح اعتبار خاص وأهمية بالغة يعتبرها مصطفى مشهور نقطة الارتكاز لمسار الدعوة، وعنهما يقول: (هب أننا انطلقنا بدون نقطة أصل ونسير في صحراء ثم اختلفنا، نريد العودة ولكننا لا نعرف من أى الأماكن بدأنا ومن أى نقطة كان انطلاقنا، فلم نصل إلى الهدف ولا نستطيع أن نرجع إلى المكان الذى بدأنا منه، فما هو إلا الضياع)، فهو يعتبر النظم واللوائح فى الجماعة هى الأساس، وإن السمع والطاعة من خلال النظم واللوائح هو العاصم من كثير من القواصم.

وكان يذكر إخوانه بكلمات الإمام البنا، بأن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات، وأن الإخوان المسلمين يعلمون تماماً ماذا يريدون ويعرفون الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة^(٢) وأن طريق الدعوة غير مفروشة بالورود، بل شاقة طويلة وليست بالسهلة القصيرة، فهى صراع بين الحق والباطل، تتطلب صبراً واحتمالاً وبذلاً وعطاء وتضحية دون تعجل للنتائج ودون يأس أو قنوط، فالمطلوب العمل، والنتائج يقدرها الله فى الوقت الذى يريد وبالصورة التى يريد، فقد لا ترى ثمارها فى حياتك وإنما لمحاسبون عن

(١) انظر: من فقه الدعوة - القائد القدوة على طريق الدعوة.

(٢) رسالة إلى الشباب - الإمام الشهيد حسن البنا.

العمل وليس عن النتائج^(١). فلا بد لإنفاذ الأمر بشكل طبيعي، فكأن أمور الدعوة مفهومة ولا تحتاج إلى شرح ولا بد أن تنطلق ويقدر الانطلاق فستجاوز كثيراً من العقبات، والوصول إلى الغايات والأهداف سيكون بأقل التكاليف... ولكن هذا الانطلاق لا بد أن يكون من خلال النظم واللوائح.

لذلك كان يلزم نفسه باللوائح والنظم إلزاماً كاملاً تماماً غير منقوص، ويحث إخوانه على ذلك، وقد أثبت هذا الأمر في كتاب وجعله من الأمور الأساسية التي يجب على الفرد في الدعوة أن يلتزم بها، وهو:

أن يعلم الفرد أن التزامه بنظم الجماعة ولوائحها أمر أساسي ولازم لحسن سير العمل لتحقيق الأهداف، وأن وفاء بما يعطيه من عهد وبيعة يعتبر طاعة وتعبداً لله ومن أفضل القربات، وأن طاعته لأمره في غير معصية هي طاعة لله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(٢) متفق عليه.

وكثيراً ما كان يقول: إن للطاعة دليل ومغزى بأمور أخرى... خاصة بالإخلاص والتضحية... ولذلك فإن الأركان يسلم بعضها البعض ويدل بعضها على بعض، وكأنها حبات عقد منظوم.

وهكذا كان مصطفى مشهور يولي ركن الطاعة بالغ الأهمية كباقي الأركان، وكان يحث إخوانه على الالتزام به والتمسك بهذا الركن العظيم الذي بلغ فيه مستوى القمة وهو كمال الطاعة.

(١) انظر: كتاب طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

(٢) صحيح سبق تخريجه.

[٧]

ركن الثبات

●● الثبات نعمة:

الثبات نعمة من الله تبارك وتعالى يمن بها على عباده المؤمنين السالكين سبيله والداعين إلى طريقه، فلقد أنعم الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ بهذه النعمة العظيمة لما حاول المشركون معه محاولات لهم المتعنتة، أولها فتنته عما أوحى الله إليه، ليفترى عليه غيره، وهو الصادق الأمين... ومن خلال هذه المحاولات، مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بألثمتهم وما كان عليه أبائهم، وآخرون ساوموه أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرمه الله، والكبراء طلبوا أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء... وهي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلل الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغنم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يُفتن بهذه عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقى الطرفان في منتصف الطريق، وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة. فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، والتسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرته الدعوة... والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم، ومتى دبت الهزيمة في أعماق السرية، فلن تنقلب الهزيمة نصراً!!

لذلك امتن الله على رسوله ﷺ أن ثبتته على ما أوحى الله، وعصمه من فتنة المشركين له، ووقاه الركون إليهم - ولو قليلاً - ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، وفقدان المعين والنصير^(١). قال تعالى: ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذَا لَأَذْقَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - سورة الإسراء.

ولما استغاث رسول الله ﷺ في غزوة بدر ودعا ربه قائلاً: «اللهم انجز لى ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً»^(١) والح في الطلب حتى سقط رداؤه عن منكبيه، ثم جاءه أبو بكر فأخذ رداه فردّه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفناك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ١٠ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١١ إِذْ يُغْشِيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجِزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ١٢ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٤﴾ [الأنفال: ٩ - ١٤]، استجاب الله تعالى لمناشدة رسوله فأكرم أهل بدر، فأمدهم بألف من الملائكة مردفين، وكانت بشارة لأهل بدر بأن جند الله معهم لتطمئن قلوبهم، وأكرمهم بالنعاس الذي ملأ قلوبهم سكينه وطمأنينة وأذهب عنهم الفزع والهلوع والخوف من كثرة عدد المشركين، وأنزل عليهم من السماء ماء فطهرهم وأذهب عنهم رجز الشيطان وربط على قلوبهم وثبت أقدامهم، ثم أتم عليهم نعمته وزاد مدده المادى بمدد روحى، وذلك بما أوحى به إلى الملائكة من تثبيت الذين آمنوا وبما وعد به من القاء الرعب في قلوب الذين كفروا وبما أمر به الملائكة من الاشتراك الفعلى في المعركة، والأعظم من ذلك كله معية الله سبحانه وتعالى للملائكة وإدارته للمعركة سبحانه جل في علاه.

•• للثبات ثمن؛^(٢)

في تسليته من الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ عن المصير البائس الذى انتهى إليه فريق من البشر، وفي تعزية منه عز وجل عن إعراض هذا الفريق عن رسوله ﷺ وكفرهم بما جاء به من عند ربه، يثبت الله تعالى رسوله ﷺ ويأمره جل في علاه أن يثبت ويستمسك بالحق الثابت المطرد من قديم فى رسالة كل رسول، فيقول: تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٤٠ فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ٤١ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ٤٢ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤٣ وَإِنَّ لَذِكْرَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ٤٤﴾

(١) رواه مسلم برقم ١٧٦٣ .

(٢) فى ظلال القرآن - سورة الزخرف .

وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥ - ٤٥].
يقول له اثبت على ما أنت فيه، وسر في طريقك لا تحفل بما كان منهم وما يكون، سر في طريقك
مطمئن القلب إنك على صراط مستقيم، لا يلتوى بك ولا ينحرف ولا يحيد. فهذه العقيدة
متصلة بحقيقة الكون الكبرى، متناسقة مع الناموس الكلى الذى يقوم عليه هذا الوجود. فهي
مستقيمة معه لا تنفرج عنه ولا تنفصل، وهي مؤدية بصاحبها إلى خالق هذا الوجود، على
استقامة تؤمن معها الرحلة فى ذلك الطريق. والله سبحانه يثبت رسوله ﷺ بتوكيد هذه الحقيقة -
وفيهما تثبيت كذلك للدعاة من بعده، مهما لاقوا من عنت الشاردين عن الطريق!..

وهكذا يثبت لنا تاريخ الدعوات أن محاولات النيل من الدعوات ورجالها دأب المعارضين
لها فى كل عصر، فهم من قديم يحاولون تشويهها والازدراء عليها وعلى أصحابها، وقد
يلجأون إلى المزيد من التهكم والتهجم، مما يخرج بعض النفوس، ويجعل أتباع الحق يشعرون
بالغربة والخرج، فقد عالج القرآن الكريم هذا الأمر: فأمر بالتمسك بالحق، ثم شرح المبررات
التي تدعو لذلك، ثم ختم العلاج بإنذار حاسم عام يرن صداه فى أذان المؤمنين المصدقين
بالحق، وأذان الظالمين المكذبين المتعالمين على خالقهم، يسمعه كل من أمر بالثبات على الحق،
ومن نكلوا عن اتباعه، فقال تعالى فى سورة الزخرف ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

حين تحتوى قبضتك على شىء نفيس، فحاول اللصوص أن يتزعموه منك بالقوة ثم أصخت
إلى صوت الحارس الأمين يهيب بك، استمسك بما معك، واثبت على ما أنت عليه، وسر فى
طريقك، ولا تحفل بما كان من قطاع الطريق، سر فى طريقك مطمئناً، إنك على صراط مستقيم.
فمعنى ذلك: شدد قبضتك، وركز قوتك، ولا تركن إلى التراخى أو التفريط، وهكذا
تنطلق آيات الله إلى أفئدة عباده، ففى ضمير كل مؤمن منها هاتف يصرخ فى أعماق قلبه كلما
تكاثرت الفتن وحبكت المؤامرات وتبجح لصوص المبادئ.

إن معالم الهدى لا تخفى مهما لفظ المبتلون، ومخلا نقيهم، والصراط المستقيم لا تؤخذ
خريطته من أيدي البشر، فقد أخذناها عن الله تبارك وتعالى، وعرفنا حدوده فى كتابه المبين
﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتِ تُصِرُّونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٢، ٣٣] (١).

(١) مفاهيم تربوية - مفهوم الثبات - محمد عبد الله الخطيب.

لا بد أن يستمسك الدعوة في كل زمان بالحق المبين، ولا بد أن يشبوا على الحق، قاله تبارك وتعالى منجز وعده والله تعالى مثبتهم ومنزل عليهم نعمته؛ نعمة الثبات، ثم بعد ذلك النصر العزيز المؤزر. ويرى مصطفى مشهور أن الثبات من المقومات الأساسية لرجل العقيدة، فيقول تحت عنوان: (١)

والثبات على طريق الدعوة:

من المقومات الأساسية لرجل العقيدة. وقد قال الإمام الشهيد عندما تحدث عن الثبات: «وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقي الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنين، فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى، بعيدة المراحل كثيرة العقبات، ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظم الأجر وجميل الثوبة، وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا الست تحتاج إلى حسن الإعداد وتحمين الفرص ودقة الإنفاذ، وكل ذلك مرهون بوقته ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلٌّ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

لقد أوضح لنا الإمام الشهيد أننا سنلقى خصومة من كثير من الأعداء وأنا ستعرض للاعتقال والتشريد وتفتيش البيوت ومصادرة الأموال وذلك قبل أن يحدث شيء من ذلك بسنوات. وهذا التوضيح المسبق لطريق الدعوة كان لازماً لتوطين النفس وتهيئتها لمواجهة هذه المحن بعزم صادق، ويقين بأن هذه المحن هي سنة الله في الدعوات، وأنه قد يطول بكم هذا الامتحان، فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله.

وقد خبرنا طريق الدعوة، وأثناء المحن والفتن قعد البعض أمام بعض العقبات، كما انحرف البعض عن الطريق، ولكن كان الثبات أمراً هاماً وخاصة أثناء المحن وعند الجهاد وملاقاة الأعداء. وفي قصة طالوت وجالوت خير مثال لتخطي العقبات وضرورة الثبات ومواصلة السير، وعند مواجهة العدو سألوا الله الصبر والثبات: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِأَذْنِ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

•• المعينات على الثبات:

يؤكد مصطفى مشهور أن ما يعين على الثبات يتمثل في ثلاثة أمور: الإيمان الصادق، ورابطة الأخوة، واللجوء إلى الله بالدعاء.. فيقول:

(١) من فقه الدعوة - مقومات رجل العقيدة.

* وعلينا أن نسأل الله دائماً وأبداً الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد . فيا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك : ﴿ يثبتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

* ولا شك أن الإيمان الصادق هو خير عون لصاحبه في الصبر وتخطف العقبات ، وهو الذي يعين صاحبه على مواصلة السير على الطريق مهما طال وقته وكثرت عقباته فما عند الله خير وأبقى .

* كما أن رابطة الأخوة في الله على طريق الدعوة تعين سالكي الطريق على مواصلة السير ، حيث يتوفر بينهم التواصل بالحق والتواصي بالصبر ، والذكرى التي تنفع المؤمنين ، والمرء كثير بإخوانه ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . ولقد كان رسول الله ﷺ يمر على آل ياسر وهم يُعذِّبون فيقول لهم : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »^(١) .

وكان يبشر المؤمنين بأن الله ناصر دينه وتمام نوره ولكنهم يستعجلون .

* وفي عصرنا هذا تعرض الإخوان وغيرهم من الدعوة إلى الله ، إلى محن شديدة ، وإلى تعذيب وقتل ، ولكن الله صبرهم وثبتهم ، وانتشرت دعوتهم حتى عمت أقطاراً كثيرة ، وما هذه الصحوة الإسلامية إلا ثمرة من ثمار هذا الصبر وهذا الثبات . ونحسب أن هذه الصحوة ستؤتي ثمارها الطيبة بإذن ربها .

وهكذا يكون ركن الثبات من أهم الأركان ، والثبات من أخطر الأمور التي يترتب عليها مصير الدعوة والداعية . . . فإذا ما عصفت رياح هوج . هنا أو هناك ولم يثبت الداعية حامل الدعوة ، فإن هذه الرياح ستهوى بالدعوة إلى مكان سحيق . . . أما إذا استمسك الداعية بدعوته وواجه هذه المحن والفتن ، فإنه سيظل يحمل الراية وستظل دعوته باقية شامخة ، فكيف لا يكون الثبات من أخطر الأمور؟! .

●● الثابتون منحة الله لدعوته:

إن من أعظم المنح التي يهبها الله تبارك وتعالى للدعوة أن يبعث لها رجالاً ثابتين يحملونها ويتحملون في سبيلها الصعاب ويتجرعون من أجلها المرار بصبر ورضى . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

(١) صحيح صححه الألباني في فقه السيرة ص ١٠٣ وسبق تخريجه وانظر سيرة ابن هشام .

وفى هذا المعنى يروى لنا الدكتور محمد حبيب^(١) حواراً دار بينه وبين شاب صحفى من الإخوان المسلمين التونسيين ركب بجوارره فى الطائرة فى رحلة داخلية فى باكستان بين لاهور وإسلام أباد، وكان حبيب فى رفقة الأستاذ مصطفى مشهور، يقول الدكتور حبيب: قال لى الأخ الصحفى (الحبيب المكنى): «الدعوة بعد الإمام البنا والأستاذ سيد قطب لم تر شخصيات على هذا القدر من التنظير الفكرى والاستشراق الفقهى للدعوة». وكأنا يخص الأستاذ مصطفى مشهور!!

فقلت له: الدعوة يحملها رجال والرجال فيهم العلماء وغير العلماء، ولما تعرضت الدعوة للمحن والفتن والابتلاءات وكادت أن تضيع معالمها وأوشكت على الانهيار، لم يحملها إلا رجال ثبتوا على الحق وعلى مفردات وعناصر وثوابت الدعوة، واستطاعوا أن يحافظوا على سلامة الفكرة وطهارة المنهج ونبيل القصد، ولولا هؤلاء الرجال لكانت الدعوة فى خبر كان، فهؤلاء الرجال هم منحة الله تعالى لدعوته، وهم حاملوها وحراسها.

أما الإمام البنا فقد وضع الأصول والقواعد واستطاع أن يؤسس جيلاً يترجم هذه المفاهيم إلى حركة، إلى دعوة، إلى ممارسة، إلى نماذج تتحرك وتعيش بين الناس، فإذا سقطت هذه النماذج فستنهار دعوة البنا لا سمح الله.

والأستاذ مصطفى مشهور من هذه النماذج الفذة ومن هؤلاء الرجال الذين ثبتوا ثبوت الأبطال فى مواجهة أعاصير وفتن كقطع الليل المظلم، هذه الفتن المتنوعة والمحن المختلفة وليست فقط الجلد والتعذيب داخل السجون والمعتقلات وإنما جميع أنواع وألوان المحن والفتن التى مرت بها دعوة الإخوان المسلمين، داخل الجماعة أو خارجها بشتى أنواعها المختلفة.

لقد ثبت الله مصطفى مشهور وإخوانه على الفهم والمادة والقيمة وحمل الدعوة غضة طرية، وورثها لجيل الشباب كما هى ولم يمسه شئ ينقص منها شعرة، وكان تمسكه بالدعوة لا يقبل المساومة أو النقض أو الإبرام ولا الانفصال، فالثبات أمر حتمى لدى مصطفى مشهور.

وكان لمصطفى مشهور مواقف فى الثبات، منها على سبيل المثال دخول الجماعة فى الانتخابات البرلمانية وتعرض الجماعة لنقض ومحاولات تشويه وهجوم شرس وضار، وبالرغم من كل ذلك كان مصطفى مشهور يقول: «لا بد أن نشارك لكى نثبت وجودنا» فالجماعة ليست هوى وليس فراغاً وإنما هى وجود يشغل حيزاً فى هذا الفضاء، فلا بد أن يشعر به الأعداء قبل الأصدقاء ولا بد أن يلتمسه الناس، فبدون الثبات وبدون التضحية هل يمكن

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد حبيب.

للدعاة أن يقدموا شيئاً . . . لقد فقدت الشعوب ثققتها وأملها في حكامها وفي الأنظمة القمعية والديكتاتورية، وتشرف من خلال تعشقها للبطولة إلى نماذج فذة قوية ثابتة تتعرض للأهوال والمصاعب والأعاصير فتثبت ثبوت الجبال.

استطاع مصطفى مشهور وإخوانه أن يثبتوا وأن يعبروا هذه المحن القاسية ويصلوا إلى بر الأمان لتسليم الأمانة وتوريث الدعوة بسلامتها وطهرها ونقاها، وكان مصطفى مشهور يقول: الدعوة سوف تورث رغمًا عنا، فلا بد أن نورثها نحن في حياتنا ونطمئن على سلامة التورث، من أن يرث الدعوة أجيال لم يأخذوا حظهم في المعرفة والتربية والتضحية والعمل والجهاد . . . إلخ».

لقد عاش مصطفى مشهور حياته الدعوية بنفس طويل، فرط حياته ومستقبله وآماله بها، وعاش من أجلها يصلح ويخاصم في سبيلها، ليس له أرب شخصي، ولا أي هدف آخر، بل ظلت حياته مرهونة بهذا الحق وموقوفة على هذه الرسالة: مهتدياً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. كما وعى دروس الإمام الشهيد ووصاياه بهذه الحقيقة، فليست دعوة الإسلام ثوباً يخلع ويلبس عند اللزوم، وليست سلعة تباع أو تشتري في سوق، بل هي عقيدة ربانية لا يملك الإنسان أن ينسلخ منها، أو يتكر لها، أو يساوم عليها، إلا إذا أسلم قياده للشيطان.

وكانت وصية الإمام البنا رضى الله عنه في أذنه دوماً فيخفق بها قلبه، يقول الإمام البنا: «كما أوصيكم كذلك، أن تثبتوا على هذه الدعوة، وتذكروها دائماً، وتؤدوا حقها من وقتكم بالاجتماع الدائم، ومن مالكم بالاشتراك المناسب، ومن جهدكم بالعمل المتواصل، ومن عواطفك بالحب المتبادل، وألا يصرفكم عنها صارف من كسل أو قعود، أو ريب أو شكوك، أو يأس أو توجس، أو وعد أو وعيد، فهي دعوة الله ظاهرة بتأييده، مرعية بتوفيقه، واصلة إلى أهدافها بنصره، وبأبى الله إلا أن يتم نوره» ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الْدِّينَ لَا يُؤْفُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وهكذا كان مصطفى مشهور نموذجاً فذاً، بل إماماً في الثبات وكان شامخاً وصار قدوة للأجيال يُحتذى به، أن يثبتوا على دين الله على هذه الدعوة - دعوة الإخوان المسلمين.

[٨]

ركن التجرد

•• حسن الاختيار:

الهدف الكلى الذى تمليه طبيعة المرحلة هو: إقامة الدولة الإسلامية العالمية «الخلافة الإسلامية» التى تمكن لدين الله، وتحمى أرض المسلمين وأرواحهم وأعراضهم من عدوان الأعداء... لتبلغ دعوة الله تبارك وتعالى للناس جميعاً. وهدف أسمى كهذا، محال أن يتحقق فردياً، ولا بارتجال أو ردود أفعال... وإنما لابد من العمل فى جماعة يتوفر فيها التعاون بين العاملين فى حقل الدعوة وتضافر الجهود، والدراسة والتخطيط والتنظيم والتنسيق. وأن تسلك هذه الجماعة الطريقة الوحيدة الذى سلكه سيدنا محمد ﷺ، ثم تركز هذه الجماعة على:

- ١- الإيمان.
 - ٢- إعداد جنود الدعوة بالفهم الصحيح الشامل والتربية.
 - ٣- الأخوة فى الله.
 - ٤- بعث روح الجهاد والتضحية.
 - ٥- تحقيق النموذج القدوة للفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم.
- وهذا باختصار ما جاء به فى عصرنا هذا الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه، وعلى هذا أسس جماعة الإخوان المسلمين التى هى [كبرى الحركات الإسلامية فى هذا العصر] وتكوين الجماعة واجب بوجوب إقامة الدولة الإسلامية العالمية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
- ولكننا نجد فى ساحة الحقل الدعوى جماعات كثيرة مختلفة يغلب عند بعضها الأسلوب السياسى على التربية والتكوين الدقيق للأفراد والأسر والمجتمع، وأخرى أسلوبها متعجل مندفع حيث اتخذت أسلوب القوة فى التغيير دون الاهتمام بقضيتى: الإيمان والوحدة وغير ذلك من القضايا التى هى مثار خلاف عند بعض الجماعات التى تعمل فى حقل الدعوة^(١).

(١) نعرفنا على هذا الطريق النورانى من خلال ما شرحه أستاذنا مصطفى مشهور فى كتابه من فقه الدعوة [وحدة العمل الإسلامى فى القطر الواحد] للمسلمين للتعرف على الطريق والتزامه - فاستبطناه بتصرف -.

[٨]

ركن التجرد

•• حسن الاختيار:

الهدف الكلى الذى تمليه طبيعة المرحلة هو: إقامة الدولة الإسلامية العالمية «الخلافة الإسلامية» التى تمكن لدين الله، وتحمى أرض المسلمين وأرواحهم وأعراضهم من عدوان الأعداء... لتبلغ دعوة الله تبارك وتعالى للناس جميعاً. وهدف أسمى كهذا، محال أن يتحقق فردياً، ولا بارتجال أو ردود أفعال... وإنما لابد من العمل فى جماعة يتوفر فيها التعاون بين العاملين فى حقل الدعوة وتضافر الجهود، والدراسة والتخطيط والتنظيم والتنسيق. وأن تسلك هذه الجماعة الطريقة الوحيد الذى سلكه سيدنا محمد ﷺ، ثم تركز هذه الجماعة على:

١- الإيمان.

٢- إعداد جنود الدعوة بالفهم الصحيح الشامل والتربية.

٣- الأخوة فى الله.

٤- بعث روح الجهاد والتضحية.

٥- تحقيق النموذج القدوة للفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم.

وهذا باختصار ما جاء به فى عصرنا هذا الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه، وعلى هذا أسس جماعة الإخوان المسلمين التى هى [كبرى الحركات الإسلامية فى هذا العصر] وتكوين الجماعة واجب بوجوب إقامة الدولة الإسلامية العالمية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ولكننا نجد فى ساحة الحقل الدعوى جماعات كثيرة مختلفة يغلب عند بعضها الأسلوب السياسى على التربية والتكوين الدقيق للأفراد والأسر والمجتمع، وأخرى أسلوبها متعجل مندفع حيث اتخذت أسلوب القوة فى التغيير دون الاهتمام بقضيتى: الإيمان والوحدة وغير ذلك من القضايا التى هى مثار خلاف عند بعض الجماعات التى تعمل فى حقل الدعوة^(١).

(١) نعرفنا على هذا الطريق النورانى من خلال ما شرحه أستاذنا مصطفى مشهور فى كتابه من فقه الدعوة [وحدة العمل الإسلامى فى القطر الواحد] للمسلمين للتعرف على الطريق والتزامه - فاستبطناه بتصرف -.

●● طبيعة دعوة الإخوان وموقفها من الدعوات الأخرى:

يلخص أستاذنا مصطفى مشهور كلام الإمام البنا عن طبيعة دعوة الإخوان المسلمين وموقفها من الدعوات الأخرى ليعلم الناس حقيقة هذه الدعوة ويضمن كل من اختارها والتزم بها وسلك طريقها أنه على هدى المصطفى ﷺ ليزداد تمسكاً ولا يلتفت إلى غيرها أو يجمع معها غيرها من الجماعات أو الفكر.

فيقول رضى الله عنه بعد أن فند التشكيكات وتصدى لها بأسلوب هادئ ومنطقي:

●● أولاً: طبيعة دعوتنا:

لكل دعوة خصائص، ومن خصائص دعوة الإخوان فيما أعتقد، أمور نحقق بعضها ونغفل عن البعض الآخر، وحبذا لو لاحظنا الجميع حتى يكون النجاح تاماً والتوفيق كاملاً إن شاء الله، من هذه الخصائص:

١- الإيجابية في البناء:

فدعوتنا تبنى ولا تهدم وتأخذ بالإيجاب دائماً، فعلينا أنفسنا قبل كل شيء.

٢- مطابقة العلم للقول:

فعلينا أن ندرس قانوننا وفيه الكفاية ونقتدى بما يقول هذا القانون.

٣- الريانية:

فعلينا أن نديم صلتنا بالله، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، بدوام الذكر والدعاء بالمأثور - وفي رسالة المآثورات غناء -.

٤- التجمع:

فعلينا أن نجتمع دائماً وأن نتشوق إلى اللقاء وأن نشعر بحقوق الأخوة.

٥- الاحتمال والكفاح:

فلنرب أنفسنا على ذلك، ولتسع صدورنا لكل شيء، هذه مجملات تفصيلها تعلمونها جميعاً ويجمعها جميعاً البناء والعمل فاعملوا.

ثانياً: موقفنا من الدعوات الأخرى:

موقفنا من الدعوات في هذا البلد، دينية واجتماعية واقتصادية - بناء على طبيعة دعوتنا - موقف واحد على ما أعتقد: نتمنى لها جميعاً الخير وندعو لها بالتوفيق، وإن خير طريق

نسلكتها ألا يشغلنا الالتفات إلى غيرنا عن الالتفات إلى أنفسنا - إننا في حاجة إلى عدة وإلى تعبئة، وإن أمتنا والميادين الخالية فيها محتاجة إلى جنود وإلى جهاد، والوقت لا يتسع لتطلع إلى غيرنا ونشتغل به، كل في ميادينه والله مع المحسنين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق .

وستسمعون أن هيئة من الهيئات تحدث عنكم، فإن كان الحديث خيراً فاشكروا لها في أنفسكم ولا يخذعنكم ذلك عن حقيقتكم، وإن كان غير ذلك فالتمسوا لها المعاذير، وانتظروا حتى يكشف الزمن الحقائق، ولا تقابلوا هذا الذنب بذنب مثله، ولا يشغلنكم الرد عليه عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله، وستسمعون أن هيئة تتهمكم بالاتصال بهيئات أخرى نكرها أو نصادمها فلا تهتموا بذلك ولا تحاولوا أن تنفوه أو تثبتوه، فإن على من اتهم أن يثبت والبيئة على من ادعى .

ويوضح ذلك بأن من يتهم : إما جاد يريد أن يثبت فيسيديه تثبه إلى معرفة حقيقة الدعوة، وإن كان يريد أن يتسلى بالاتهام والغيبة فلن يضركم أمره، فدعوه وما يشاء وسلوا الله تعالى لنا وله الهداية والنصرة .

ثم يقول : [وستسمعون أن قوماً يريدون أن يتصلوا بكم وأن يتصلوا بهم من أهل العمل، إما صادقين أو غير صادقين، فأحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح : إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله ﷺ وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمنأؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام، في وقت تصرفت فيه الأهواء والشهوات، وضعفت عن هذا العبء الكواهل . وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي إلى أحد، وتستغنى عن غيرها، إذ هي جماع كل خير وما عداها لا يسلم من النقص، إذن فأقبلوا على شأنكم، ولا تساوموا على منهاجكم، واعرضوه على الناس في عزة وقوة، فمن مد لكم يده على أسامه فأهلاً ومرحباً في وضح الصبح وقلق الفجر وضوء النهار، أخ لكم يعمل معكم ويؤمن إيمانكم وينفذ تعاليمكم، ومن أبى ذلك فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه .

●● أثر التجرد على الدعوة والداعية:

للتجرد أثر عظيم على الدعوة والداعية، فهو يحفظ للدعوة بقاءها ونقاءها، ويفتح لها قلوب الناس . كما أنه يعين الداعية على الثبات على دعوته

١- التجرد يعين الداعية على الثبات:

عرفنا أن هناك ثمة أفكار وجماعات على الساحة، والتجرد يحتم على صاحب الدعوة أن

تسيطر عليه فكرته وخصائصها ومقوماتها وواجباتها وشعاراتها وقادتها ولوائحها ونظمها . . . إلخ .

وبهذا فلا بد ألا يلتفت إلى غيرها ولا يجمع معها غيرها من الجماعات أو الفكر . وهكذا يكون صاحب المبدأ وجندى الفكرة وصاحب الدعوة . . .
وعرفنا كذلك أن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى لا بد وأن تواجههم المحن والفتن وهذا من سنن الله تبارك وتعالى .

والتجرد يعين الداعية إذا ما تعرض للمحن والفتن، ولقد أثبت الإخوان المسلمون الذين ثبتوا أمام التعذيب والتنكيل والتشريد بل والشنق على أعواد المشانق والإعدام بالرصاص وغيره من أساليب التصفية الجسدية، وثبتوا أمام الفتن الفكرية مثل [التكفير والتأييد] - أثبتوا أنهم متجردين لدعوتهم متمسكين، بها مهما حدث لهم بسببها حادث أو أصابهم في سبيلها مكروه . . .

٢- التجرد يفتح للدعوة قلوب الناس:

كما أسلفنا، فإن دعوة الإخوان المسلمين منذ نشأتها وهي في محن وفتن، وكثيراً ما قدمت ومازالت تقدم البذل والعطاء والتضحيات وهي ثابتة شامخة . فأفرادها كما قلنا منهم من أعدم ومنهم من عُلّق على المشانق ومنهم من عُدّب ومنهم من ألقى في السجون والمعتقلات عشرات السنين . . . وهذا سبب تأييد الناس لهم في المعارك الانتخابية وغيرها .

والناس بطبيعتهم يقبلون ويلتفون حول صاحب البذل والعطاء والتضحيات، والإخوان المسلمون يقدمون كل ذلك دون مقابل أو مصلحة دنيوية فهم لم يحصلوا على وزارة، ولا على أموال أو حدائق غناء، ولكنهم دائماً في محن وأعاصير من الأحداث، ومع هذا فإنهم ثابتون متجردون . . . لذلك يؤيدهم الشعب ويقف بجانبهم ولسان حاله يقول: «أنا لا آمن على نفسى ولا آمن على أهلى ولا آمن على بلدى ولا آمن على حاضرى ومستقبلى ومستقبل أولادى، إلا فى أيدي الإخوان المسلمين» . . . ويقول: «هؤلاء: (أى الإخوان المسلمون) هم الذين أريدتهم وهم الذين سيحققون آمالى، وهذه هى الصدور المخلصة واليد المتوضئة التى آمن على بلدى فى يدها» .

فيقدر هذا التجرد، ويقدر ظهوره وإبرازه للأجيال وللتاريخ، يكون مثلاً وشهياً ورايات للناس، فيثقون ويقدمون ويلتفون حول هؤلاء المتجردين . . .

وقد رأى الناس نواب المصالح ونواب القروض ونواب الكيف، وأن جميع الأمور تقضى

بالأموال ، ورأوا نواب الإخوان المسلمين ولسان حالهم يقول : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً فكل ما يقدمونه خدمة لله وقربى إليه . فلماذا لا يثقون فيهم ولماذا لا يعطونهم ولاءهم ونصرتهم !! وهم يرون نائب الإخوان متجرداً لفكرته ولقيمه وليس في هناةٍ ورغد ، وإنما في أقوى معارك وفي خضم نار ملتبهة ، وبالرغم من ذلك يرونه متجرداً لدعوته .

٣- التجرد يحفظ للدعوة بقاءها:

الداعية يثبت على دعوته بتجرده لها ، ويتجرد لدعوته بشبته عليها وبالتزامه بهذين الركنين (الثبات والتجرد) يحقق لنفسه ولدعوته البقاء والنقاء ، فهو يظل حاملاً مخلصاً لها مادام ثابتاً عليها متجرداً لها .

وبإقبال الناس على الدعوة والتفافهم حولها بسبب تجرد أصحابها يكون المدد الذي لا ينقطع من الكوادر والمنتسبين والمحبين لهذه الدعوة .

وهكذا فالتجرد يحفظ للدعوة بقاءها ونقاءها بالداعية المتجرد الثابت وبالتضاف الناس حول الدعوة والإقبال عليها حتى يكتب الله تبارك وتعالى لشريعته أن تحكم الأرض وأن تسود ويمكن لدينه في الأرض بفتح قلوب الناس له وهدايتهم إليه .

أخيراً:

نقول : كان أستاذنا مصطفى مشهور نموذجاً في التجرد لدعوته ، وكانت دعوته في عينه كجوهرة مكنونة يحافظ عليها ولا يمكن بحال أن يفرض فيها ، ومن القصص التي تُحكى في هذا المجال^(١) : أن بعض المقربين إليه كانوا ينقلون له صورة حية للتجرد عن أخ كريم وهو : [الدسوقي بقنينة] من إخوان البحيرة ، أنه لا يرى أمامه سوى دعوة الإخوان المسلمين وكان معروفًا بحبه الشديد لها والتغنى بسيرتها والاعتزاز بالانتساب لها ، كان مصطفى مشهور يحس بإحساسه ويشاركه بواجده ويعلم حقيقة ما فيه هذا الأخ الكريم وأن ركن التجرد هو الذي ارتقى بهذا الأخ إلى هذا المستوى الرفيع وكان يقول لهم : إن مثل أخيكم كرجل يملك لأولوة وقد وضعها في علبة من زجاج ، ينظر إليها بحب وإعجاب ومحال أن يفرض فيها ، ثم هو يخرجها من الصندوق ويتقن تلميعها لتزداد بريقاً إلى بريقها وجمالاً إلى جمالها . . وهذا شأن كل أخ يتجرد لدعوته ، فهو لا يرى سواها ولا مثيل لها عنده .

هكذا كان أستاذنا من أعظم المتجردين ومن أقوى الثابتين لدعوة الإخوان المسلمين .

(١) حوارات مسجلة مع الدكتور محمد حبيب .

[٩]

ركن الأخوة

تربى مصطفى مشهور ونشأ على الأخوة فى المحاضن التربوية لدعوة الإخوان المسلمين منذ نعومة أظفاره، فتعلمها وفهمها وتشربها وطبقها وعاشها بين إخوانه وتذوق حلاوتها فى أوقات الشدة وأوقات العافية، وكان من الشاكرين لله تعالى على نعمه ومنها نعمة الأخوة، فتعبد ربه بها، ولما صار فيها من العارفين لم يفتر عن النصح لإخوانه بالتخلق بها. وسطرها للإخوان خاصة ولجميع المسلمين فى كتاب مقومات رجل العقيدة^(١) وجعل من مقومات رجل العقيدة أن يكون محباً لإخوانه. فكتب عن نعمة الأخوة وعن تذوقها فى الشدة والرخاء ثم كيف يكون الحرص عليها.

•• نعمة الأخوة:

يقول أستاذنا مصطفى مشهور عن نعمة الأخوة:

الأخوة فى الله نعمة كبرى بعد نعمة الإسلام، ذكر الله لنا ذلك فى قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول تعالى منفراً من الفرقة: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ويقول تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ (٦٦) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فالأخوة والوحدة رمز الإيمان والقوة، والتفرق والتنازع رمز الفشل والكفر. فالحب والأخوة فى الله بين قلوب المؤمنين العاملين فى حقل الدعوة وعلى طريق واحد هو أقوى الروابط التى تجمع العاملين فى صف واحد يشد بعضه بعضاً، كل يفتدى أخاه بنفسه ويؤثره على نفسه، وهم على طريق الدعوة وفى ميادين الجهاد كالبيان المرصوص لا ينفذ العدو بينهم. هكذا كان المسلمون الأول وكان المهاجرون والأنصار.

(١) من فقه الدعوة - مقومات رجل العقيدة - مصطفى مشهور.

وتحكى لنا السيرة العطرة عندما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كيف كان الأنصارى يؤثر أخاه المهاجرى على نفسه، وسجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وهكذا أعدهم الله على يد رسوله ﷺ بقوة الإيمان أولاً، ثم بقوة الحب والوحدة ثانياً، استعداداً لمرحلة الجهاد والدفاع عن الإسلام الذى يستلزم التضحية بالنفس والمال، وإيثار ما عند الله، ويستلزم تلاحم الصفوف فى مواجهة الأعداء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِنِيَانٍ مُرْصُوعٌ﴾ [الصف: ٤].

وهكذا اقتبس الإمام الشهيد حسن البنا هذا الطريق من سيرة رسول الله ﷺ، فركز على قضية الإيمان، واهتم كثيراً بالتربية وإعداد الفرد المسلم، ثم اهتم بقضية الحب والأخوة وجعلها ركناً من أركان البيعة، وجعل أدنى مراتبها سلامة الصدر وأغلاها الإيثار، وسمى الجماعة [الإخوان المسلمون] لتحمل معنى الأخوة مع الإسلام - وهياً النفوس للجهاد فى سبيل الله، وضرب المثل فى ذلك عملياً فى حرب فلسطين، وكانوا مثلاً رائعاً فى الفداء والتضحية مما أزعج الصهاينة إزعاجاً شديداً. لذلك نجده رضوان الله عليه يقول تحت عنوان الأخوة عند ذكره لأركان البيعة فى رسالة التعاليم:

[أريد بالأخوة: أن تربط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق قوة وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر وأغلاه الإيثار: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والمؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وهكذا يجب أن نكون.

ورسولنا ﷺ يربط الإيمان بالحب فيقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١). ويقول: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

(١) متفق عليه البخارى برقم ١٣ ومسلم برقم ٤٥.

•• تذوق الأخوة:

وعن تذوق حلاوة نعمة الأخوة يقول مصطفى مشهور: لقد تذوقنا حلاوة هذه النعمة - نعمة الأخوة في الله- في أوقات الشدة وأوقات العافية، أثناء المحن والابتلاءات والإغترات في السجون والمعتقلات، فكان الحب والأخوة بعد الإيمان والصبر خير دواء وراحة في هذا الجو من الإيذاء والتعذيب.

ثم إن الأخ إذا لقي أخا له في الله في أى بلد أثناء سفره، كان له كالواحة الخضراء وسط الصحراء خاصة في بلاد الكفر.. حقا إنها نعمة من الله.

وقد قرأت أن أحد أصحاب الملايين مات متحرراً، وكتب خطاباً ذكر فيه أن كل من يتصلون به إنما يتصلون طمعاً في ماله، فلم يشعر بأنس مع أحد منهم وشعر بوحشة وضاق به الحياة فانتحر.. هكذا لم يستطع بماله أن يكسب صديقاً خالصاً.

ولكن الشيطان وأعدائه من الجن والإنس يغيظهم أن يجدوا أبناء الدعوة متحابين مؤتلفين، فيحاولون النزغ بينهم والتحرش فيما بينهم. وقد حذر الله المؤمنين من ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وعلمنا رسول الله ﷺ من الأمور التي نتعامل فيما بيننا بها لنحمي هذا الحب وتلك الأخوة من أن ينال منها الشيطان وأعدائه:

- فدعانا إلى إلقاء السلام كلما التقينا.

- ودعانا إلى التبسم في وجوه بعض.

- وأن نشمت العاطس.

- ونعود المريض.

- ونعين المحتاج.

وحتى إذا أخطأ أحدنا وجهنا إلى أسلوب التوجيه كما كان يفعل ﷺ، بما لا يسىء إلى مشاعر أحد فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»^(١) رواه البخارى ومسلم. وقد أرشدنا بعض الأئمة الفضلاء إلى حكم طيبة في كيفية أداء النصيحة وكيفية استقبالها. فيقول أحدهم: [أد النصيحة على أكمل وجه، واقبلها على أى وجه].

(١) صحيح سبق تخريجه وهو متفق عليه.

ويقول آخر: [من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظ أخاه علانية فقد فضحه وشانه].

●● الحرص على الأخوة:

بعد أن أوضح أستاذنا نعمة الأخوة وتذوق حلاوتها، كان لابد من تقديم النصح لإخوانه، بالمحافظة على هذه النعمة ليدوم طعم حلاوتها عندهم، فقال رضى الله عنه:

فليحرص كل منا على إخوته وحبه من أن ينال منها أحد.

وإذا حاك في صدره شيء من أخيه فعليه أن يتبينه، فرما كان هناك لبس أو خطأ في فهم، وليقبل منه عذره إن اعتذر، وصدق الله العظيم: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

فمن غفر لأخيه وعفا عنه عفا الله عنه، فلا يجوز لأخ أن يبقى وصدرة غير سليم نحو أحد من إخوانه، وإلا عرض نفسه للنكث في بيعته في ركن الأخوة.

ولنحرص على تمثل صفات المؤمنين، مثل قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وفي موضع آخر يقول رضى الله عنه:

ما أحوجنا يا أخى ونحن نسير معاً على طريق الدعوة إلى التأخى فى الله لتقوية الرابطة بيننا كما فعل رسول الله ﷺ حين أخى بين المهاجرين والأنصار وضربوا أمثله رائعة من الحب والإيثار. اشدد يا أخى على يد إخوانك على الطريق بقبضة كلها حب وإيثار ورحمة، ولكنها قوية لا تفلت عند الهزات والشدائد أو فى غمرة الفتن والأحداث، وهذا رسولنا الحبيب ﷺ يحثنا على ذلك: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». فتعرف يا أخى على إخوانك، وتآلفوا وتعاونوا وتناصحوا وتكاشفوا وتحابوا وكونوا عباد الله إخواناً.

أخى القارئ الكريم. . كيف أنقل لك حقيقة الأخوة؟! الأخوة إذا ما تمثلت فى رجل عاش بين إخوانه فإنه مصطفى مشهور. . . فحدث عنه ولا حرج، بكل ما فى الأخوة من عاطفة،

من حب، من إخلاص، من بذل، من تفران.. إنك لا تشعر أن بينك وبينه حاجز.. فكل ما يخطر على بالك من معنى الأخوة كانت موجودة لديه تلقائياً، وكل ما يمكن أن يخطر على بالك من الأخوة ولوازمها ومتطلباتها تتوفر فيه، كان مهموماً بإخوانه حتى فى خصوصياتهم.. كان يدرك معنى الأخوة بعمق، وأنها ليست مجرد كلمة تقال للأخ لفظاً فقط: [إنى أحبك فى الله]، نعم هى تقال لفظاً وتطلق وتعايش معنى..

لقد بذل مصطفى مشهور من نفسه وماله وكل ما يملك، وأخضع كل بذله فى سبيل الأخوة، وما من أمر كان يعلمه أنه يمكن أن يودى إلى تقوية الصلة بأخ من الإخوان إلا وكان يفعله.

كان سليم الصدر نحو الجميع، وكان يؤثر إخوانه على نفسه فى كل شىء، وهذه هى الأخوة التى نتكلم عنها والتى جعلها الإمام البنا ركناً من أركان البيعة وهى أخوة العقيدة.

كان مصطفى مشهور على أعلى مستوى من الأخوة وهو هذه القامة المديدة، كان حريصاً على ذلك حتى وهو مرشد لإخوانه، لا تحدته نفسه أنه هو أولاً ثم بعد ذلك إخوانه!! بل يؤثر إخوانه على نفسه دائماً.

•• فى الختام:

بعد أن عرفنا أن الأخوة لب الإيمان، وعلامة الصدق، ودليل الالتزام بالحق، نختم بكلمات للإمام الشهيد حسن البنا، كلمات لا يذكرنا بها فحسب وإنما يحضنا عليها ويلزمنا بها تأكيداً لقول المولى جل علاه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

يقول الإمام رضى الله عنه: [ثم أوصيكم بعد ذلك بأن تحرصوا الحرص كله على نعمة الحب فى الله، التى ألفت الله بها بين أرواحنا، وربط على قلوبنا، وجعلنا بها إخوة فيه، فليس الإيمان إلا الحب والبغض، وما كانت قوة بغير وحدة، وما كانت وحدة بغير توافق ومحبة، وإنها لنعمة من الله كبرى علينا نحن الإخوان أن ألفت بين قلوبنا هذا التأليف حين صارت كلمة الإخوان مفتاحاً تفتح به مغاليق الدور والقلوب والجيوب، وسيالاً تهتز له المشاعر والعواطف فى أى وقت، وفى أى بلد، وفى أى مكان، فاحمدوا الله واشكروه على هذه النعمة والمحافظة عليها، وجعلها فيما بينكم معنى عملياً يدعو إلى التزاور والتناصر، والتعاون والتكاتف على شئون الحياة ومطالبها، والتناصح بما فيه خير معاشكم ومعادكم وصلاح دنياكم وأخراكم إن شاء الله].



[١٠]

ركن الثقة

ختم الإمام البنا رضى الله عنه وأرضاه أركان البيعة بركن فى غاية الأهمية، ليزن به قوة نظام الجماعة وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها وكذلك تغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب. وكان فتحاً عظيماً من الله تبارك وتعالى على دعائه أن يكون هذا الميزان هو: [الثقة المتبادلة بين القائد والجنود] فكان ركن الثقة..

بهذا الركن العظيم أراد الإمام البنا: اطمئنان الجندي إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير.

وأكد الإمام أن القائد فى الدعوة ولا دعوة بغير قيادة..

ثم بين حقوق القيادة جزء من دعوة الإخوان المسلمين، أى صدى لدعوة الإسلام فى هذا الزمان بقوله: [وللقيادة فى دعوة الإخوان حق الوالد بالرابعة القلبية، والأستاذة بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة..] (١)، إذن علاقة لها قدسية خاصة لا تسلط ولا استبداد.

ويأتى هذا التأكيد بناءً على ما غرسه رسول الهدى ﷺ وقذفه فى قلوب أصحابه ليشعل فى قلوبهم من وهج الشموس الربانية، فأشرقت قلوبهم وأضاءت بعد ظلمة وديجور، وليفيض عليهم من ماء الحياة الروحية فاهتزت وربت وثمرت فيها الأزاهير وأورقت بالوجدانيات والمشاعر وترعرعت فيها العواطف والضمائر.. قذف سيد المريرين وفخر المرسلين الهادين ﷺ فى قلوب أصحابه (٢):

١- أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتاً فى النفس وتمسكاً فى القلب: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٢) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿[الزخرف: ٤٣، ٤٤]. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ

(١) انظر: رسالة التعاليم- للإمام البنا.

(٢) دعوتنا فى طور جديد- للإمام البنا.

أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الجاثية: ١٨] . ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] . فَأَمَنُوا بِهِذَا وَعَتَقَدُوهُ وَصَدَرُوا عَنْهُ .

٢- أنهم ماداموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط في الظلام، وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس، وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه: يحنو عليه ويرشده ويقومه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل .

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحاً، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحى السماء: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] . ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] . فَأَمَنُوا بِهِذَا أَيْضًا وَعَتَقَدُوهُ وَصَدَرُوا عَنْهُ .

٣- أنهم ماداموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه، فإن الله معهم يعينهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير، وهو معهم أينما كانوا. وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرأون هذه المعاني واضحة في كتاب الله: ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] . ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] . ﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنِي أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢] ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥] .

وقرأوا هذا وفقهوه جيداً فأمنوا به واعتقدوه وصدروا عنه .

وبهذه المشاعر الثلاثة:

١- الإيمان بعظمة الرسالة .

٢- الاعتزاز باعتناقها .

٣- الأمل في تأييد الله .

أحياءها الراعى الأول ﷺ في قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله . وحدد لهم أهدافهم في هذه الحياة، فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة في صدورهم أو مصاحفهم، بادية في أخلاقهم وأعمالهم، معتدين بتكريم الله إياهم، واثقين بنصره وتأييده، فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنية المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

وهكذا كانت ثقتهم بدعوتهم . . . التي بنى عليها الإمام البنا ركن الثقة كأحد أركان البيعة . ومن ثوابت الدعوة وأصول الفكرة استخلص الإمام البنا خمس حالات يجب أن تتوافر في الجنود والقادة معاً، ثم وضعها في شكل أسئلة يكشف بها الأخ الصادق مدى ثقته بقيادته وهي كما يلي :

- الحالة الأولى:

استخلص الإمام البنا من الأسرة التي هي من ثوابت الجماعة موضوع التعارف وهو من أركان الأسرة، ففي الأسرة يتم التعارف بين الإخوان والتفاهم والتكافل وتحقق الأخوة وتتم دراسة ظروفهم بدقة فتظهر القدرات والقيادات وتحقق الانتماء، ومنها وضع السؤال الأول: [هل تعرف الأخ الصادق (الجندي) إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته].

- الحالة الثانية:

استخلص الإمام البنا من أركان البيعة -وهي الصفات التي يتصف ويتخلق بها الأخ المسلم الصادق عن إيمان وقناعة وتربية سليمة وذلك لتحقيق الشخصية الأخلاقية المؤثرة في المجتمع- الإخلاص .

ومن الأسرة -التي تظهر القدرات والكفاءات والقيادات- الكفاءة . ومنهما وضع السؤال الثاني: [هل اطمأن لكفائته وإخلاصه] . . .

- الحالة الثالثة:

استخلص الإمام البنا من أركان البيعة ركن الطاعة ومن الأسرة ركن التفاهم ومنها وضع السؤال الثالث: [هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادات في غير معصية طبعاً قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟ مع إبداء النصيحة والتنبية إلى الصواب؟

- الحالة الرابعة:

استخلص الإمام البنا من أركان البيعة ركن الفهم الأصل الخامس ونصه: (ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفي المصالح المرسله، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات. والأصل فى العبادات التعبد دون التفات إلى المعانى - وفى العادات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد).

ومن هذا الأصل فى ركن الفهم وضع: السؤال الرابع: [هل هو مستعد لأن يفترض فى نفسه الخطأ وفى القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم فى المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى؟].

- الحالة الخامسة:

استخلص الإمام البنا من رسالة التعاليم - واجبات الأخ المسلم الصادق الثمانية والثلاثين، الواجبات: [١٥، ١٦، ٢٥، ٣٧، ٣٨] التى تقول:

١٥- أن تزاول عملاً اقتصادياً مهماً كنت غنياً، وأن تقدم على الحر مهما كان ضئيلاً، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية.

١٦- ألا تحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتاحت لك، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة.

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة.

٣٧- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك وبخاصة إذا أمرت بذلك.

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك فى كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعملى بها، وأن تعتبر نفسك دائماً جندياً فى الثكنة تنتظر الأمر.

ومن هذه الواجبات كان: السؤال الخامس: [هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة فى نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة].

•• مصطفى مشهور الجندى القائد:

كل من تربي في المحاضن التربوية التي أنشأها الإمام البنا في مدرسة الإخوان المسلمين يتخرج منها وهو يجمع بين الجندية والقيادة . . فالجندية بمعناها العام في هذا المجال هي الجندية للدعوة وتشمل جميع الإخوان الصادقين مهما اختلفت مسؤولياتهم وتنوعت تخصصاتهم . أما الجندية بمعناها الخاص فكل مرؤوس في أى ثغرة من ثغور الدعوة جندى لرئيسه وقائده .

والقيادة بمعناها العام في هذا المجال فكل رئيس في ثغرة من ثغور الدعوة كبرت أو صغرت فهي قيادة مهما اختلفت المسؤوليات وتنوعت التخصصات ، أما القيادة بمعناها الخاص فهي قيادة الدعوة المسككة بدفة السفينة وهي رأس القيادات جميعها داخل الجماعة وهي : [مكتب الإرشاد] .

وأستاذنا مصطفى مشهور رضى الله عنه كان يجمع بين الجندية والقيادة بكل معانيها ، ففي الوقت الذى كان يعيش فيه بين إخوانه جندياً له رؤساء وذلك في بداية طريقه داخل المحاضن التي أشرنا إليها وحتى اختياره مسئولاً قيادياً للنظام الخاص ، كانت ثقته بقادته عظيمة ، وقياس ذلك تفانيه في خدمة الدعوة والتزامه التام في السمع والطاعة بل وكمال الطاعة وتميزه المعروف بين إخوانه .

وبعد اختياره مسئولاً قيادياً في النظام الخاص كان يجمع بين الجندية والقيادة ، فكان جندياً مخلصاً للإمام البنا ومكتب الإرشاد وفي نفس الوقت كان قيادياً مهاباً مطاعاً .

أما في فترة المحن والسجون والمعتقلات فقد كان معروفاً بين إخوانه في جميع السجون التي تنقل فيها أنه من القيادات الكبيرة للجماعة وكان مسئولاً طيلة محنتي ١٩٥٤ و ١٩٦٥ أيضاً كان يجمع بين القيادة والجندية .

وبعد الإفراج اختاره الإمام الهضيبي في مكتب الإرشاد ليجدد بناء الدعوة مع إخوانه تنظيمياً وفكرياً ، فكان جندياً لمرشده ومن بعده المرشدين الأستاذين العظيمين الأستاذ عمر التلمساني والأستاذ محمد حامد أبو النصر وشاركهما في القيادة ، ومن ناحية أخرى كان قيادياً مطاعاً مهاباً لإخوانه جميعاً .

حتى صار مرشداً ، فهو أيضاً كان يجمع بين الجندية للدعوة والقيادة للجماعة ، وكان مخلصاً صادقاً في جنديته وفي قيادته بل كان عبقرياً في قيادته^(١) .

لم يكن مصطفى مشهور مرشداً فحسب وإنما كان أستاذاً والداً وأخاً ومربيّاً فأحبه إخوانه لأنه كان كذلك قبل أن يصير مرشداً ، وزادت وتعمقت بعد ذلك .

(١) خصصنا باباً نتكلم فيه عن فترة إرشاده وعبقرية القيادة - بإذن الله تعالى .

•• واجب المسلم عند التشكيك:

وواجب الأخ المسلم إذا بلغه أى صورة من صور التشكيك أن يتبين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

وقد تجد أحداثاً على الساحة العالمية أو الساحة الإسلامية تختلف فيها الآراء وتحدث فرقة واختلاف فى المواقف.

ولكى تحافظ الجماعة على وحدة صفها يجب على كل فرد:

- ١- أن يقوم بواجب الشورى.
 - ٢- ويلتزم بموقف القيادة الذى تتبناه وإن خالف رأيه.
 - ٣- وألا يتأثر بما يثيره البعض من النيل من موقف القيادة.
- فتمر الأحداث دون أن تنال من وحدة الصف.
- ولئن تجتمع على الصواب خير من أن نفترق على الأصوب

•• واجبات الأخ المسلم^(١):

وهى الواجبات الثمانية والثلاثون التى وضعها الإمام الشهيد وأردف بها أركان البيعة ليستكمل بذلك تعاليمه للإخوان الصادقين من الإخوان المسلمين، ويقول رضى الله عنه وأرضاهما: [أيها الأخ الصادق: إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء].

كانت هذه الواجبات هى السلوك الطبيعى والتلقائى بالنسبة لأستاذنا مصطفى مشهور حتى بدرت عليه مظاهر هذه التعاليم، فهتف لسانه وقلبه وجوارحه وكل خلية فى جسده بهتاف الدعوة [الله غابتنا.. والرسول قدوتنا.. والقرآن شريعتنا.. والجهاد سيلنا.. والشهادة أمينتنا].

•• مشهور والمظاهر الخمسة:

جمع الإمام الشهيد مظاهر الدعوة فى خمس كلمات: [البساطة.. والتلاوة.. والصلاة.. والجنديّة.. والخلق] ومن يعرف دلالات هذه الكلمات يجدها متحققة بل ومتعمقة فى شخصية أستاذنا مصطفى مشهور.

(١) ذكرنا هذه الواجبات فى أول هذا الباب، وهى جزء من رسالة التعاليم لا تنفصل عنها.

فرسول الله ﷺ لم يكن معه غير فئة قليلة من المؤمنين في مكة، وحوله المشركون واليهود والفرس والروم، ولكنه بسيره هو وصحابته على الطريق الصحيح أيدهم الله ونصرهم وتظهرت الجزيرة من الشرك، وأجلى اليهود، وفتحت الفرس، وقامت دولة الإسلام، وانتشر سلطانها، وتبدد الظلام وعم النور.

واليوم يتعرض الإسلام والمسلمون إلى حملات وتحديات من قوى الباطل بكل أسلحتها الحديثة، ولكن لن تفزعنا تلك الحملات، بل تدفعنا إلى التزام الصراط المستقيم وشريعة الله، لكي نكون أهلاً لنصر الله، وكلنا ثقة أن الله يحقق وعده بالنصر والتمكين لعباده المستضعفين، إذا ساروا على طريق الدعوة الصحيح: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

●● الثقة في القيادة:

وعلى رجل العقيدة أن يثق في قيادته، أنها تتحرى شرع الله في كل تصرفاتها ومواقفها، وليعلم أنه لا جماعة بدون قيادة، ولا قيادة إلا ولها حق الطاعة من الأفراد في غير معصية، ويجب أن يتبادلوا الثقة بين القيادة والأفراد والتعاون على النجاح في الوصول إلى الغاية والتغلب على ما يعترضها من عقبات.

●● تشكيك وتضئيد:

ولنعلم أن هناك أعداء يحاولون هز الثقة في صفوف الجماعة وقيادتها، يحاولون التشكيك في منهج الجماعة.

ويقولون: إننا كلما ارتفع بناؤها هدمه العدو عن طريق المحن التي نتعرض لها. وهذا فهم خاطئ، فالمحن ليست هدماً، ولكنها صقل وتمحيص، وإعداد للقاعدة الصلبة المتلاحمة التي يقوم عليها البناء، ليستمر ويستقر، ويعلو ولا يتعرض للانهار. ويحاول الأعداء هز الثقة في قيادة الجماعة وأنها بسبب خطئها تعرض الأفراد إلى المحن والابتلاءات والتعذيب.

وهذا أيضاً فهم خاطئ، لأن المحن سنة الله في الدعوات الحققة، تعرض لها الرسل ومر آمنوا معهم دون خطأ أو تفریط منهم.

وقد يشكك الأعداء بأن قيادة الجماعة لا تتحرى الحق والشورى عند اتخاذ قراراتها، وهذا أيضاً كذب وافتراء، فالقيادة بفضل الله أول ما تتحرى عند أي موقف: رأى الشرع وتنزل عليه، كما أنها تلتزم بالشورى التي أوجبها الإسلام.

•• واجب المسلم عند التشكيك:

وواجب الأخ المسلم إذا بلغه أى صورة من صور التشكيك أن يتبين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

وقد تجد أحداثاً على الساحة العالمية أو الساحة الإسلامية تختلف فيها الآراء وتحدث فرقة واختلاف فى المواقف.

ولكى تحافظ الجماعة على وحدة صفها يجب على كل فرد:

١- أن يقوم بواجب الشورى.

٢- ويلتزم بموقف القيادة الذى تتبناه وإن خالف رأيه.

٣- وألا يتأثر بما يثيره البعض من النيل من موقف القيادة.

فتمر الأحداث دون أن تنال من وحدة الصف.

ولئن تجتمع على الصواب خير من أن نفترق على الأصبوب

•• واجبات الأخ المسلم^(١):

وهى الواجبات الثمانية والثلاثون التى وضعها الإمام الشهيد وأردف بها أركان البيعة ليستكمل بذلك تعاليمه للإخوان الصادقين من الإخوان المسلمين، ويقول رضى الله عنه وأرضاهما: [أيها الأخ الصادق: إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء].

كانت هذه الواجبات هى السلوك الطبيعى والتلقائى بالنسبة لأستاذنا مصطفى مشهور حتى بدرت عليه مظاهر هذه التعاليم، فهتف لسانه وقلبه وجوارحه وكل خلية فى جسده بهتاف الدعوة [الله غابتنا.. والرسول قدوتنا.. والقرآن شريعتنا.. والجهاد سبيلنا.. والشهادة أمينتنا].

•• مشهور والمظاهر الخمسة:

جمع الإمام الشهيد مظاهر الدعوة فى خمس كلمات: [البساطة.. والتلاوة.. والصلاة.. والجنديّة.. والخلق] ومن يعرف دلالات هذه الكلمات يجدها متحققة بل ومتعمقة فى شخصية أستاذنا مصطفى مشهور.

(١) ذكرنا هذه الواجبات فى أول هذا الباب، وهى جزء من رسالة التعاليم لا تفصل عنها.

١- البساطة:

تقرأها بوضوح في كل أموره: [زيه، ومتعلقاته، ومعاملاته]، ألا تذكر يا إخواني زي الخروج الذي كان يظهر فيه كثيراً؟! [البدة الصيفي والشبشب، وهذه الطاقية القماش البيضاء التي يضعها على رأسه عند الصلاة، وهذه الحقيبة الصغيرة البسيطة تحت إبطه وفيها المصحف والراديو وبعض الأوراق]. . أتذكرون أيضاً كيف يتحدث ويتصرف على سجيته بلا تكلف ولا لف ولا دوران . .

٢- التلاوة:

كان مصطفى مشهور يشعر أن أجل نعمة من الله بها على خلقه هي أن جعل كلامه عز وجل بلغة البشر، وبذلك أمكنهم أن يقرؤوه ويفهموه ويتدارسوه ويتذكروه، وهذا فهم موفق ولا شك لأنه يوافق قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

كان أستاذنا ملازماً لمصحفه يكثر من تلاوته وتدبره بل كان يحفظه عن ظهر قلب، وكانت له خواطر عميقة واستنباطات دقيقة، وكان القرآن ينساب من فيه سهلاً مطواعاً في صلاته حيث كانت له وقفات ونبرات معبرة مؤثرة، وفي استدلالاته كذلك عندما يسوقها في حديثه، أو في كتابه .

٣- الجندية:

إن مقولة [الجندية الصحيحة اليوم طريق القيادة الناجحة غداً] من صحتها ودقتها وعظمتها تكاد تكون قاعدة بل من أهم القواعد في فقه الحركة، فإذا عاش الفرد الجندية في وقت ما كواجب يؤديه لقيادته، فإنه سيجدها كحق له في وقت آخر عندما يشغل مواقع المسئولية، وقد انطبق هذا المعنى تماماً على حال أستاذنا مصطفى حيث كان نعم الجندى فصار نعم القائد .

وقف الأستاذ عمر التلمساني رضى الله عنه وأرضاه على باب مكتب الأستاذ مصطفى ووضع راحتيه على حافتي الباب ومال إلى الإمام قليلاً وقد تهلل وجهه ببسمة عذبة ثم قال: [احنا معطلينك يا حاج؟] فإذا بالحاج مصطفى ينتفض لتوه ويللمم أوراقه ومتعلقاته على عجل وبلا ترتيب ويضعها في حقيبته الصغيرة الشهيرة ويضعها تحت إبطه ويسرع ليقف في وضع «انتباه» أمام الأستاذ عمر وهو يقول: [يا سلام على الذوق، معذرة يا فندم دا إحنا اللي معطلين حضرتك] وذلك أن الأستاذ عمر كان يريد الانصراف من العمل وقد اعتاد أن يصحب معه الأستاذ مصطفى -رحم الله الجميع رحمة واسعة .

٤ - الصلاة:

كان للأستاذ مصطفى نصيب من قول رسول الله ﷺ: «وجُعِلت قرّة عيني في الصلاة»^(١) هكذا كان الرجل ولا أزكيه على الله، فكان يحب الصلاة وينتظرها ليذهب بها همه وتقربها عينه، وكان له تعلق خاص بالمسجد، ويكفي في ذلك ما كان في لحظات حياته الأخيرة حيث تصميمه الشديد وهو في غمرات الموت على التوجه إلى المسجد ليكون المسجد هو آخر عهده بالدنيا، كما كان يعشق الأسحار ويملاها بما يسره الله من صلاة ودعاء واستغفار وتلاوة.

دعى - ذات مرة - إلى معسكر بالفيوم فحضر مساءً بعد جولتين في محافظتين أخيرين - في اليوم نفسه - وعندما بدأ الشباب يوقظ بعضه بعضاً في الأسحار إذ بالأستاذ في ركن مظلم يتهدج وما يدرى أحد متى استيقظ ولا كيف!؟

٥ - الخلق:

كان أستاذنا يدرك تماماً مكانة الخلق في الإسلام وثقله في الميزان وأثره في الدعوة، فكان أحرص الناس على التحقق بالخلق الفاضل - على وجه العموم، وقد حباه الله بعباءة وافر من أمهات الأخلاق - على وجه الخصوص - مثل: [الصدق، الأمانة، الإخلاص، والحلم، والصبر، والعفة، والحياء، والكرم، والشجاعة، والتواضع].

وكان هذا الجانب الخلقى في شخصيته من أهم أسباب حب إخوانه وأبنائه له وإعجابهم به، ومن أهم أسباب ما حظى به - أيضاً - من احترام وتقدير من غيرهم، وما أكثر المواقف الدالة على تأصل هذه الأخلاق المذكورة فيه، ولكن المقام لا يتسع لتفصيلها، ولعلك أيها القارئ الكريم تلمح بعضها من الكلام السابق. . . لذلك خصصنا باباً نسبر به غور سماته الشخصية والفكرية لنجليها لتكون نبراساً يُحتذى وقدوة لهذا الجيل والأجيال القادمة بإذن الله تعالى.

•• في الختام أقول:

بالرغم من أننا ندرك أن حال أستاذنا وفقهنا مصطفى مشهور مع رسائل الإمام الشهيد حسن البنا وخصوصاً رسالة التعاليم يحتاج إلى كتاب مستقل على نحو أوفى وأشمل لا يتسع له المقام. . . إلا أننا اجتزئنا القليل الموجود من الكثير المأمول المنشود تطلعاً إلى دراسة واسعة عميقة كاملة شاملة، لذلك لا نستطيع أن نقول إننا قد استوفينا هذا الموضوع بحثاً.

(١) وكذلك قوله: (ﷺ) ذو حظ من صلاة - رياض الصالحين - صحيح وقد صححه ابن حجر في فتح الباري ٣٥٣/١١ والألباني في صحيح الجامع ٣١٢٤ وفي صحيح الجامع أيضاً ٣٠٩٨ والسلسلة الصحيحة بأرقام: ٣٣٢٩، ٣٢٩١، ١٨٠٩.

ومن ناحية أخرى فنحن قصدنا التركيز على رسالة التعاليم ، لأنها تعتبر من أهم الرسائل في التنظيم الداخلي للجماعة بالإضافة إلى نظام الأسر .

أدعو الله أن نكون قد وفقنا فيما عرضناه كما أدعوه أن يوفقنا جميعاً في الالتزام بهذه الرسائل العظيمة وأن يجمعنا بصاحبها في الفردوس الأعلى وعلى يمينه أستاذنا مصطفى مشهور الذي شهد له إخوانه ومعاصروه بأنه الابن الروحي للإمام وحواريه^(١) كما أضيف شهادة أحد الإخوان الذي يقول : لم يخلف الإمام البنا أحداً في التربية كمصطفى مشهور^(٢) رحمه الله رحمة واسعة ورفع ذكره وشأنه في الآخرة كما رفعه في الدنيا . آمين .

(١) مجموعة من الإخوان القدامى الذين عايشوه في الشدة والرخاء .

(٢) هو الأستاذ الفاضل صبرى عرفة الكومي وهو من إخوان المنصورة وأحد قادة تنظيم ١٩٦٥ ، حكمت عليه المحكمة الظالمة في عهد عبد الناصر بالاعدام ولكنه خفف إلى الحكم المؤبد عضو مكتب الإرشاد سابقاً .

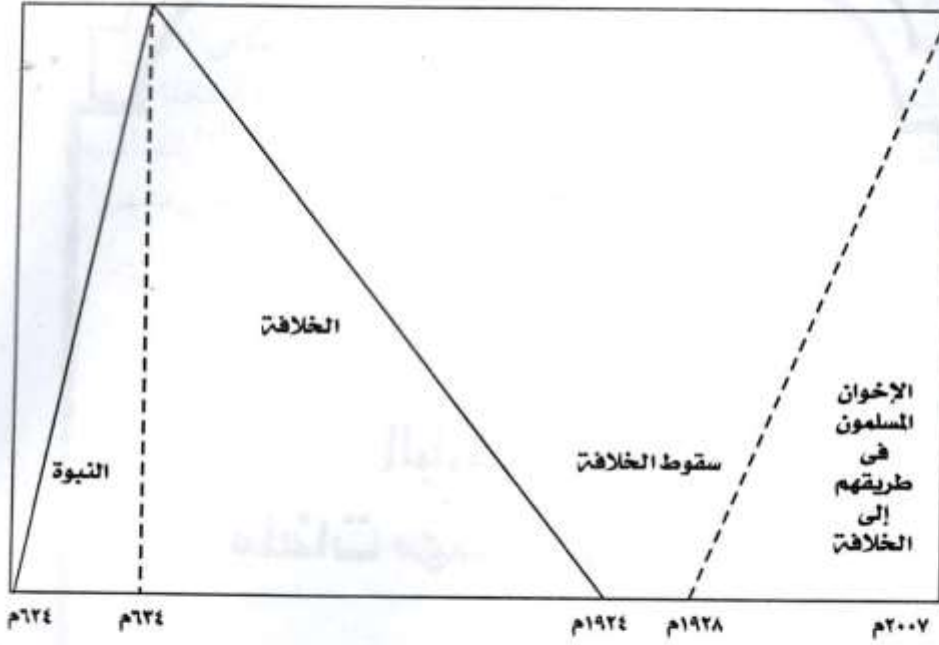
المباني التاسع:
ملفات مهمة في حياته

الفصل الأول: الخلافة الإسلامية

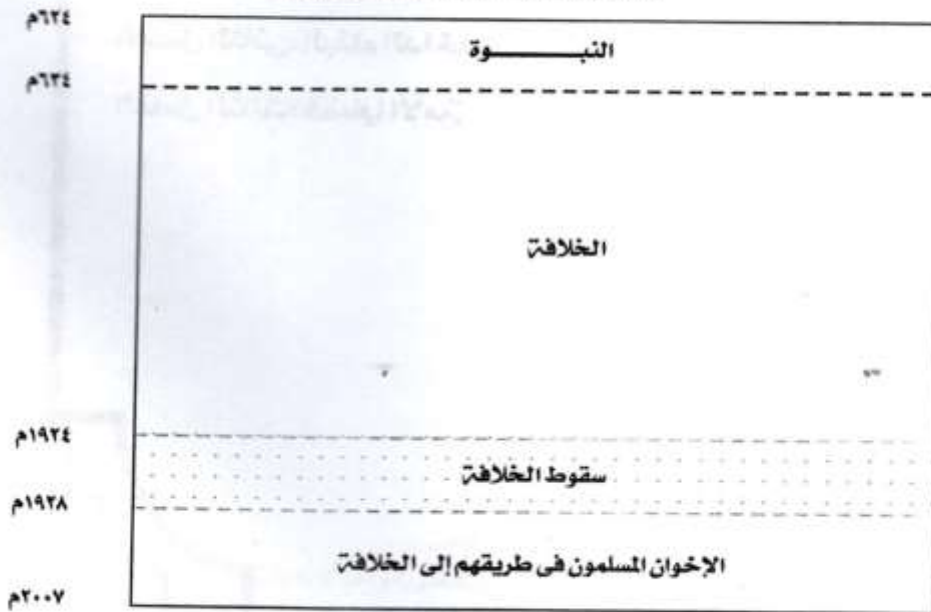
الفصل الثاني: البناء الداخلي

الفصل الثالث: قضايا الأمة

رسم بياني للخلافة الإسلامية



• رسم بياني للخلافة الإسلامية



توطئة:

كان في حياة الحاج مصطفى مشهور ملفات مهمة كثيرة جداً، وتكاد تكون جميع ملفات الدعوة مهمة بالنسبة له، ولكن يصعب الأمر ويكون شبه مستحيل بالنسبة لى أن أحصرها جميعاً وأذكرها في هذا الباب، وإلا فالأمر يحتاج إلى مجلدات تضاف إلى هذا الكتاب . . لذلك أخذت ما أراه أنا من أبرز الملفات المهمة في حياة أستاذنا رضى الله عنه .

فاخترت أولها: [الخلافة الإسلامية] وهى هدف جماعة الإخوان المسلمين، والذي وضعه الحاج مصطفى مشهور نصب عينيه، وكان همه الأكبر وشغله الشاغل الذى برز في حياته سواء في أحاديثه أو كتاباته أو حتى في سلوكه، وهو في نظره البناء الضخم والصرح الكبير الذى يسعى الإخوان في بنائه .

واخترت ثانيها: [البناء الداخلى] الذى يتمثل في التربية، تربية الفرد المسلم الذى تتكون منه الأسرة المسلمة التى تكون المجتمع المسلم الذى سيخرج الحكومة المسلمة، وأيضاً التكوين وهو إرساء القواعد التنظيمية الإدارية للجماعة، فتربية الفرد وهيكل الجماعة يكونان الأساس الثمين الراسخ الذى سيقوم عليه البناء الضخم والصرح الشامخ، وكان الحاج مصطفى مشهور يقرر أن المرحلة التى تعيشها الدعوة هى مرحلة تأسيس وإرساء قواعد لإقامة البناء، وكان يحرص كل الحرص على تجديد هذا الأساس وأن يكون هذا الأساس قوياً متيناً لعلمه بضخامة البناء والصرح الذى سيقوم عليه، وهذا الصرح الشامخ والبناء الضخم هو [الخلافة الإسلامية]، لذلك حرصتُ على اختيار البناء الداخلى لارتباطه بالبناء الأول ارتباطاً وثيقاً .

واخترت ثالثها: [قضايا الأمة]، وكذلك حرصت على هذا الاختيار لتأكيد أن الجماعة جزء من هذا المجتمع؛ تشاركه جميع ظروفه، حلوها ومرها . والحاج مصطفى من سماته العالمية أنه كان يهتم اهتماماً بالغاً بكل ما يحدث للأمة في أنحاء العالم . . فجمعتُ قضايا الأمة داخل مصر وخارجها لتكتمل الصورة لدى القارئ الكريم ويكتمل الاختيار لهذه الملفات المهمة .

واحتاج الأمر إلى تقسيمها إلى فصول . .

فكان الفصل الأول: عن الخلافة الإسلامية .

والفصل الثانى: عن البناء الداخلى .

والفصل الثالث: عن قضايا الأمة .

الفصل الأول:

الخلافة الإسلامية

(انطلاقنا بالدعوة الإسلامية.. طريقنا للخلافة العالمية)

أولاً: عودة الخلافة الإسلامية

يظن البعض أن الحديث عن الخلافة انقضى زمنه ومحيت آثاره، فهو ذو صبغة تاريخية فحسب!! ونحن نخالف هذا الرأي إجمالاً وتفصيلاً، فنرى أن تناول هذه القضية من صميم العلاج لما يعتبر قطب الرحي لمشاكلنا الحالية - أي احتلال فلسطين منذ عام ١٩٤٨م واحتلال العراق وأوضاع أفغانستان والسودان والصومال والشيخان وكوسوفا والبوسنة وباقي الأقليات، وغير ذلك من المشاكل الواقعة على الشعوب مثل الديكتاتورية والظلم والفساد والفقر... إلخ. وإذا نادينا بضرورة إعادة نظام الخلافة، فلا يظن البعض بنا التحليق في الخيال، فقد تعلمنا من سيرة الرسول ﷺ كيف نتفاءل ونواجه الأزمات بروح مشرقة، آمليين في تحقيق نصر الله عز وجل بعد الأخذ بالأسباب.

يروى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيزا وبدل ذليلاً، إما يعزمهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم فيدينون لها»^(١).

ومهما كانت الأحوال مشبطة للعزائم، فإنها لا تصل إلى الظروف التي بشر فيها رسول الله ﷺ، سراقه بحلى كسرى، وقد تحققت النبوة في خلافة عمر رضى الله عنه، عندما سقطت فارس في أيدي المسلمين واستدعى سراقه ليحلى بها معصمه^(٢).

ونقول مع الأمير شكيب أرسلان - رحمه الله -: [ولقد سار الشرق «الإسلامي» في مدة وجيزة عقبان جياداً واجتاز أزمات شداداً، وهو ماض في مسيره إلى الأمام لا سبيل بعد اليوم إلى تعويقه، ولا حاجز يمكن أن يقف في طريقه بدسائس تلقى ومبالغ سرية تنفق، وأخلاق تفسد، ودم تشرى وأشراك تبث، وأسياف تسل، ولا المحلقات في الجو تقدر على كم الأفواه،

(١) لم يرو عند الإمام أحمد... صحيح انظر مشكاة المصابيح للألباني برقم ٣٩ والهيتمي في مجمع الزوائد ١٧/٦.

(٢) وردت القصة بروايات كثيرة في الكتب الصحاح وكتب السنن غير أنها خلت من ذكر سوارى كسرى.

ولا الغازات السامة [أسلحة الدمار الممنوعة والمحرمة دولياً] تقوى على إطفاء نور الله، وما تزيد هذه الوسائل تلك الأمم المستضعفة إلا شوقاً إلى الحرية، ونداءً إلى الثارات، وإصراراً على الضغائن، ومهما يكن من حيل العباد، فللكون سنن هو سائرته والله أمر هو بالغه^(١).

أما هؤلاء الذين لا يكتفون بالشواهد والأدلة المستمدة من عقيدتنا وتاريخنا فنسوق إليهم خيالات أمثال هرتزل وجولدمان وحاييم وايزمان وبن جوريون، في إنشاء إسرائيل، مع الفارق الكبير بين وصفهم الكتاب بالإفساد في الأرض وبين معرفتنا المؤكدة لإحدى السنن الإلهية في قوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

إننا لا نحلق مع أوهام فلاسفة اليوتوبيا كأفلاطون والفارابي وتوماس مور الذين أجهدوا أنفسهم وأقاموا في خيالاتهم صروح دولة وأنظمة حكم، بينما تحققت الوحدة الإسلامية في ظل الخلافة قرونًا طويلة، إن أصابها الوهن أحياناً فقد أثبتت ضرورتها وأهميتها لاسيما بعد أن أصابنا ما أصابنا بفعل الاستعمار اليهودي والصليبي.

فما استطاع أبناء صهيون النفاذ إلى القدس إلا على أشلاء الخلافة العثمانية، كما أثبتت ذلك الوثائق التي نشرت حديثاً، وأهمها مذكرات عبد الحميد السلطان المظلوم.

وفيما يلي نص الوثيقة التي نشرها الأستاذ سعيد الأفغاني. وهي رسالة السلطان عبد الحميد إلى شيخه يوضح فيها أسباب تنازله^(٢).

الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة^(٣)، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس من السنة الحالية، حمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

(١) حاضر العالم الإسلامي - المقدمة - لشكيب أرسلان.

(٢) مجلة العربي ص ١٥٠ وما بعدها - العدد ١٦٩ شوال ١٣٩٢هـ - ديسمبر ١٩٧٢ م.

(٣) هذه العبارة لا تجوز في حق المخلوقين لأنها خاصة برب العالمين.

سیدی . .

إننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً . وأعرض أننى مازلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المسألة المهمة الآتية كإمانة فى ذمة التاريخ .

أننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أننى - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى باسم (جون ترك) وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصدروا وأصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب الآتى :

[إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت المملكة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى أيضاً .

وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى، وأبلغونى أنهم سيعدوننى إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمدته أننى لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة : فلسطين وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فإنى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . وأعتقد أن ما عرضته كاف فى هذا الموضوع المهم، وبه أختتم رسالتى هذه .

أثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تفضلوا بقبول احترامى بسلامى إلى جميع الأخوة والأصدقاء يا أستاذى العظيم . . لقد أطلت عليكم التحية، ولكن دفعنى بهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علماً، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

إن إحياء الخلافة الإسلامية من جديد أصبح ضرورة ملحة لتجميع القوى المتفرقة للمسلمين، توطئة لمجابهة التحديات التي تحيط بهم من كل جانب، هذه التحديات العقائدية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

قال مالك بن نبي: [ويجب من الآن أن نعمل على ظهور سلطة روحية تجمع الرأي وتوحد الصف بالنسبة للمسلمين في العالم كله، وإنما يجب من الآن أن نعيد النظر في قضية الخلافة الإسلامية. فقد باتت ضرورة عالمية وحيوية. وليكن لها أى اسم، ولكن ليكن هدفها توحيد الصف الإسلامى والرأى الإسلامى فى كل مكان على ظهر الأرض. وإن كنت أتفاءل بكلمة (مجلس الخلافة) وليشترك فيها كل العالم الإسلامى، ولكن لنبدأ فى إعلان وجودها من الآن]^(١).

•• بشارة الرسول ﷺ بخلافة آخر الزمان:

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكاً عاصماً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»^(٢).

هذا الحديث خبر منه ﷺ عن أمر أمته وأنها تمر بخمس حالات:

- الحالة الأولى:

حالة النبوة وهو أكمل أحوالها حيث يوجد نبيها ﷺ ويتنزل الوحي إليه ويرشد الأمة إلى الحق والخير.

- الحالة الثانية:

خلافة على منهاج النبوة، وهى تلك الفترة الذهبية من عمر هذه الأمة، وقد جاء تحديدها فى الحديث الذى رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة

(١) مجلة الوعي الإسلامى، العدد ٦٣ ربيع أول ١٣٩٠هـ - ٦ مايو ١٩٧٠م - ص ٥٧، (المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر).

(٢) حديث حسن رواه الإمام أحمد [٣٠ / ٣٥٥ حديث ١٨٤٠٦] والبيزار والذبيرانى فى الأوسط [٦٥٧٧].
صحيح: انظر حجة القرب للحافظ العراقى برقم ١٧٥ والهيشمى فى مجمع الزوائد ١٩١ / ٥ وحسنه الألبانى فى مشكاة المصابيح ٥٣٠٦.

ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك» قال سفينة : أمسك ، خلافة أبي بكر ستان ، وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان اثنا عشرة سنة ، وخلافة علي ست سنين^(١) الترمذى [٢٢٢٦] وغيره وقال الترمذى : حديث حسن ، وإنما سميت هذه الفترة بالخلافة كما فى بعض الروايات ، وبخلافة النبوة فى روايات أخرى ، لأن الخلفاء صدقوا هذا الاسم بأعمالهم ، وتمسكوا بسنة نبيهم ﷺ والتزموا الشرع فى أحكامهم ، كما قال حميد بن زنجويه فيما نقله عن البغوى فى شرح السنة .

- الحالة الثالثة :

الملك العضوض وهو الذى يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنه معضوض فيه عضوًا ، ويقال عضوض بضم العين وأعضاء جمع عض وهو الخبيث الشرس .

- الحالة الرابعة :

الملك الجبرى وهو الذى يكون فيه عتو وقهر .

- الحالة الخامسة :

خلافة على منهاج النبوة ، وقد سبق بيان معنى كونها على منهاج النبوة .

وهذا الحديث وما فى معناه يبين فضل الخلافة على الملك لما فى الملك من التقص من بعض الوجوه ، ولذا لما خير الله نبيه ﷺ بين أن يكون ملكًا أو يكون عبدًا رسولاً ، اختار ﷺ أن يكون عبدًا رسولاً^(٢) ، كما جاء ذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى أخرجه أحمد [٧١٦٠] وابن حبان فى صحيحه [٦٣٦٥] [السلسلة الصحيحة حديث رقم ١٠٠٢] وقد روى ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل سلمان الفارسى رضى الله عنه عن الفرق بين الخليفة والملك؟ فقال سلمان رضى الله عنه : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهمًا أو أقل أو أكثر ثم وضعت فى غير حقه فأنت ملك ، أما الخليفة فهو الذى يعدل فى الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهل بيته والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بكتاب الله^(٣) .

(١) صحيح رواه الترمذى برقم ٢٢٢٦ والبيهقى فى السنن الكبرى ٥٧/١ وصححه الألبانى فى كتاب السنة برقم ١١٨٥ وغيرهم .

(٢) صحيح : مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٢/١٤٣ والألبانى فى السلسلة الصحيحة ٣/٣ وكذلك فى السلسلة الصحيحة برقم ١٠٠٢ بلفظ [لا ، بل عبدًا رسولاً] .

(٣) الطبقات الكبرى - لابن سعد - ج/٣ ص ٣٠٦ .

وما ينبغي أن ننبه إليه أن هذه الأحكام في الملك إنما هي في الجملة، وإلا فقد يحصل من بعض الملوك من اتباع السنة ونشر الشريعة والجهاد في سبيل الله، مثل ما يحصل في زمن الخلفاء، كما كان في عهد عمر بن عبد العزيز وبعض الملوك من بعده، ثم إنه يجوز إطلاق الخليفة على الملوك من بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وإنما اختص الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بكمال الخلافة، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - مرفوعاً-: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدى، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» رواه البخاري [٣٤٥٥] الفتح ٦ / ٤٩٥، ورواه مسلم [حديث رقم ١٨٤٢].

على كل حال ففي الحديث بشارة لهذه الأمة أنه سيكون في آخرها خلافة النبوة، فيعز الإسلام وتعلو رايته ويتشرب دين الله في الأرض، فعلى كل مسلم أن يثق بهذا الوعد النبوي الكريم وأن يحدث نفسه بالجد في أن يكون من أسباب تحقق هذا الوعد^(١).

(١) للتوسع في الإحاطة بحديث البشارة، راجع: [مجموع الفتاوى - لابن تيمية ج/١٨ ص ٣٥ وما بعدها، وتحفة الأحوذى ج/٩ ص ٧٠ وما بعدها، وعون المعبود ج/٣ ص ٣٩٧].

ثانياً: الإخوان المسلمون والخلافة

قبيل قيام جماعة الإخوان المسلمين، وبعد سقوط الخلافة الإسلامية مباشرة، نظر الإمام الشهيد حسن البنا حوله وكان طالباً بكلية دار العلوم، ودرس أحوال العالم الإسلامي وما آل إليه المسلمون، دراسة عميقة متأنية، وعرف أن بُعد المسلمين عن جوهر دينهم وضعف إيمانهم هو الذي انتهى بهم إلى تمكين أعداء الله منهم وإسقاطهم لدولة الإسلام والخلافة الإسلامية وغزو المسلمين فكرياً واقتصادياً وسياسياً وأخلاقياً، كي يقضوا على العقيدة في نفوسهم كما قضوا على الكيان في صورة الخلافة. واستشعر الخطر الجسيم الذي يتعرض له المسلمون والضرورة الملحة بل الواجب الذي يفرضه الإسلام على كل مسلم ومسلمة للعمل على إعادة الخلافة الإسلامية وإقامة دولة الإسلام من جديد على أساس متين وكيان قوى لحماية العقيدة، ولإقامة شرع الله بين المسلمين، وتحرير المسلمين وحمايتهم من كل اعتداء ولنشر دعوة الإسلام في العالم والتمكين لهذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله لعباده.

●● الخلافة في فكر الإمام البنا^(١):

يقول الإمام الشهيد حسن البنا^(٢): [الإخوان المسلمون يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام، وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حوِّرت عن منهاجها ثم ألغيت بتأناً إلى الآن.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع ذلك يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات.

(١) تكلم الإمام البنا في أكثر من خمسة عشر موضعاً حوتها عشر رسائل من رسائله عن الخلافة الإسلامية، وجعلها الهدف الأول وعمل طوال حياته لإعادتها.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس.

- لا بد من تعاون تام، ثقافى واجتماعى واقتصادى، بين الشعوب الإسلامية كلها، يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد.

- ثم يلى ذلك تكوين عصبية الأمم الإسلامية، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الإجماع على [الإمام] الذى هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفتدة وظل الله فى الأرض. ولما حدد الإمام البنا أهداف الإخوان المسلمين قال^(١): [أهدافنا العامة: ماذا نريد أيها الإخوان؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل؟ أم سعة الجاه وهو عرض حائل؟ أم نريد الجبروت فى الأرض: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، شهد الله أننا لا نريد شيئاً من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا، ولكن اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى، وذلك حق طبيعى لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى وتعلن مبادئه القومية وتبلغ دعوته الحكيمة للناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً أثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين فى وادى النيل وفى بلاد العروبة وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين.

ثم بين المهام التى يجب على الإخوان التزامها لتحقيق الهدف المنشود، فقسم هذه المهام إلى: مهام إجمالية، ومهام تفصيلية: يقول الإمام^(٢):

أما إجمالاً:

فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التى جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدها عن زعامة النبى ﷺ وهداية القرآن، وحرمت العالم من

(١) رسالة: بين الأمتن واليوم.

(٢) رسالة: الإخوان المسلمون تحت راية القرآن.

أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها، وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وأما تفصيلاً:

هذه مهمتنا نحن الإخوان المسلمين إجمالاً، فأما في بعض تفاصيلها فهي أن يكون في مصر أولاً، يحكم أنها في المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم في غيرها ذلك:

- نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- ونظام للدفاع والجنديّة يحقق مرمى النفير العام: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

- ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

- ونظام للثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام ويطابق جلال الوحي في أول آية في كتاب الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبي المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم ويحقق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

- ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

- وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى :
﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَنْتَ مِنَ اللَّهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [التقصص : ٧٧].

نحن نريد :

الفرد المسلم . . .

والبيت المسلم

والشعب المسلم . . .

والحكومة المسلمة

والدولة التي تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة وأوطانهم المسلوية وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام].

وجعل الإمام البنا عشرة أركان للبيعة، ومن هذه الأركان ركن العمل، ومن مراتب ركن العمل المطلوبة: إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية. . . يقول الإمام عليه الرضوان^(١).

[٦- وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة].

وعول على الإمام في توحيد الأمة عند اختلافها فقال^(٢): [إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة فيقضى بينهم ويرفع حكمه الخلاف أما الآن فأين الخليفة، وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضى ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإن اختلفهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر].

وجعل رضى الله عنه في الأصول العشرين من ركن الفهم للإمام مكانة في الفقه فقال^(٣):

[٥- ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفي المصالح المرسله، معمول به، ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات، والأصل في العبادات التعبد دون التفات إلى المعانى، وفي العادات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد].

(٢) رسالة دعوتنا.

(١) رسالة التعاليم - ركن العمل -.

(٣) رسالة التعاليم - ركن الفهم -.

وجعل وحدة الأمة، والاجتماع على قرار ولى الأمر فيما لا نص فيه من دعائم نظام الحكم الإسلامى فقال^(١):

[وَالأمة الإسلامية واحدة، لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها، ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصيح من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصغير، وذلك هو المعبر عنه في عُرف الإسلام ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «الله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢) وقال: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودَّع منها»^(٣) وفي رواية «وبطن الأرض خير لهم من ظهرها»^(٤) وقال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

ولا تكون الفرقة في الشئون الجهورية في الأمة الإسلامية، لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الإسلام، معترف به من أبنائها جميعاً.

والخلاف في الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضاً ولا خصومة ولا حزبية يدور معها الحكم كما تدور، ولكنه يستلزم البحث والتمحيص، والتشاور وبذل النصيحة، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه، وما لا نص فيه فقرار ولى الأمر يجمع الأمة عليه، ولا شيء بعد هذا].

وجعل الإمام البنا تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية من ضمن خطوات الإصلاح العملي تمهيداً لاستعادة الخلافة الضائعة فقال^(٥):

[٤- تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعاً، وبخاصة العربية منها تمهيداً للتفكير الجدى في شأن الخلافة الضائعة].

لقد حدد الإمام البنا المراحل والخطوات الصحيحة التي تؤدي إلى قيام الخلافة الإسلامية فقال^(٦):

- (١) رسالة نظام الحكم.
 (٢) الدين النصيحة - سبق تخريجه.
 (٣) صحيح: صحيحه أحمد شاكر في مسند أحمد ٤٩/١١ وإن كان ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم ١٣٩٢.
 (٤) ضعيف وضعفه الترمذى في سننه برقم ٢٢٦٦ وضعفه المنذرى في الترغيب والترهيب ٣/٣٤٠ وانظر ضعيف سنن الترمذى للألباني ٢٢٦٦ وضعيف الترغيب للألباني ١٥٥٧.
 (٥) رسالة نحو النور.
 (٦) رسالة إلى الشباب.

[إن منهاج الإخوان المسلمين محدد المراحل واضح الخطوات، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد ونعرف الوسيلة التي تحقق هذه الإرادة.

١- نريد أولاً الرجل المسلم «الفرد المسلم» في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردي.

٢- ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه ونحن لهذا نعى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا تكويننا الأسرى.

٣- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضاً، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألو في ذلك جهداً ولا نترك وسيلة.

٤- ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر من قبل. . . ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمتنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامى بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس من هذا النظام.

٥- ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعته وحدته المطامع الأوروبية. ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها. فمصر وسوريا والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.

ولئن كان الرايخ الألماني يفرض نفسه حامياً لكل من يجرى فى عروقه دم الألمان، فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوى أن يعتز بنفسه حامياً لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن، فلا يجوز فى عرف الإسلام أن يكون العامل العنصرى أقوى فى الرابطة من العامل الإيمانى. والعقيدة هى كل شىء فى الإسلام، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟

٦- ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر ودوى فيه صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن يتحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام - فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل. ولئن كان السيور موسولينى يرى من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية، وما تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديماً إلا على أساس المطامع والأهواء، فإن من حقنا أن نعيد مجد [الإمبراطورية الإسلامية] التي قامت على العدالة والإنصاف ونشر نور الهداية بين الناس.

٧- نريد بعد ذلك ومعه، أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبليغ الناس جميعاً، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار. حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

●● مصطفى مشهور والخلافة الإسلامية

تتلمذ مصطفى مشهور على يد الإمام الشهيد حسن البنا ونشأ وترعرع في حجر ومحضن الدعوة المباركة، وقد تشرب الفكرة والمنهج وسار على درب الإمام بخطو ثابت راسخ، وكما عرفناه فقيها في الدعوة فقد كان مدركاً لطبيعة المرحلة، فوطد نفسه وأعدّها للقيام بما تمليه عليه هذه المرحلة من تبعات في عزم وثبات وثقة بالله... فكان: [انطلاقه بالدعوة الإسلامية هو طريقه للخلافة العالمية]...

●● هذه المرحلة من الطريق:

يبين أستاذنا مصطفى مشهور المرحلة التي تعيش فيها دعوتنا فيقول^(١):

[ما أكثر الشبه بين هذه المرحلة التي تعيشها الدعوة الإسلامية الآن ومرحلة بدء الدعوة. فالإسلام غريب والجاهلية سائدة ودعاة الإسلام مضطهدون. وكما كان أعداء الدعوة يتمثلون في مشركى الجزيرة وفي عبدة النار بفارس وفي الرومان واليهود، فالיום أيضاً نجد الأعداء متمثلين في الشيوعية والصليبية والصهونية وأصحاب المصالح الدنيوية من المسلمين. ويذكرنا هذا بأن المسلمين ثبتوا حتى نصرهم الله وأيدهم وأذل أهل الشرك والكفر ودحروهم وكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

(١) من فقه الدعوة - طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

وهذا ما تأمله ونعمل له إن شاء الله . وأنا لنلحظ أنه في الوقت الذي بدأ فيه منحى الدعوة في الصعود بعد انحدار، نرى أن منحى الحضارة المادية بدأ في الانحدار بعد الصعود، وبوادى الظاهرة الأولى تتمثل في الوعي الإسلامى الجديد الذى أخذ طريقه فى الأمة الإسلامية عامة وفى الشباب خاصة، وهذا المد الإسلامى فى الجيل ذكوراً وإناً فى حيوية ورغبة صادقة فى العمل بالإسلام والعمل للإسلام، وبوادى الظاهرة الثانية تتمثل فى موجة الانحلال الخلقى الجارفة فى شباب أصحاب تلك الحضارة المادية .

وهذا يشير بأن تحولاً فى القيادة البشرية سيتم وتعود تلك القيادة إلى الشرق الإسلامى مرة أخرى وتقوم دولة الإسلام العالمية بإذن الله تعالى وتسعد الدنيا بهذا الدين الحنيف . ويقول عن الوسائل التى وضعها الإمام البنا لتحقيق هذا الهدف^(١) :

[الوسائل... والخطوات:

الوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١- إيمان عميق .

٢- تكوين دقيق .

٣- عمل متواصل .

بهذه الوسائل يسير العمل وتتدرج الخطوات، فيوجد الفرد المسلم، والبيت المسلم والمجتمع المسلم، فتتبع القواعد الإسلامية المتينة لقيام الحكومة الإسلامية التى تتحد مع مثيلاتها لتحقيق الدولة الإسلامية العالمية وعلى رأسها الخلافة الإسلامية وأستاذية العالم بإذن الله تعالى : ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

وكما تسير الوسائل من إيمان وتكوين وعمل جنباً إلى جنب، فكذلك الخطوات الأولى من إعداد الأفراد المسلمين وإقامة البيوت المسلمة وغزو المجتمع بالدعوة الإسلامية، تسير أيضاً جنباً إلى جنب .

ولا يصح ونحن فى الطريق أن نختصر الوسائل أو الخطوات أو أن نستغنى عن بعضها ظناً أن البقية تفى بالغرض وتؤدي المهمة . فلا إيمان بدون عمل وتكوين ولا مجتمع بدون أفراد مسلمين وبيوت مسلمة كدعائم تقوم بها وعليها الحكومة الإسلامية .

كما أن أى تفريط أو تعجل فى إرساء هذه القاعدة المتينة والدعائم القوية يكون مخاطرة يمكن أن تؤدي إلى انتكاسة، وأن الوقت والجهد المبذولين فى وضع أساس أى مبنى لا ينظر على أنهما ضائعان ويمكن توفيرهما لمجرد أنه لم يظهر شيء بعد فوق سطح الأرض . وكلما

(١) المرجع السابق نفسه .

كان البناء ضخماً استنفد وضع الأساس جهداً ووقتاً كبيرين . وهل هناك بناء أضخم من قيام دولة إسلامية عالمية تسود الدنيا وترشد الإنسانية كلها إلى نور الإسلام .

وما أجمل ما قاله الإمام الشهيد مخاطباً الذين يستعجلون الثمرة قبل نضجها فيقول: [أيها الإخوان المسلمون وخاصة المتحمسين المتعجلين منكم:

اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع . . إن طريقكم هذه مرسومة خطواتها، موضوعة حدودها، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها .

إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر حتى تنمو البذرة وتثبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه إحدى الحسينين .

إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة .

•• متطلبات هذه المرحلة:

لقد أكد أستاذنا أن مرحلة الدعوة الإسلامية على مستوى العالم بمرحلة مهمة ودقيقة من عمرها، مرحلة نهوض وكبوة، ويقظة من غفوة، بل مرحلة إنشاء وإرساء لقواعد بنيان متين لدولة إسلامية عالمية تهدي البشرية الضالة وتقيم أعظم حضارة عرفها التاريخ بعد أن أفلست كل النظم البشرية . وشبه مرحلتنا هذه بمرحلة الدعوة الأولى في مكة من غربة وسط جاهلية، ومن تضاقر قوى الكفر عليها، ومن قلة المؤمنين وكثرة تعرضهم للأذى . . . بعد ذلك بين متطلبات مرحلتنا هذه فقال (١): [نود أن نبين هنا أن متطلبات هذه المرحلة من المسلمين المعاصرين لها غير المتطلبات الواجبة في ظل دولة إسلامية قائمة بالفعل، فلا شك أن مرحلة التأسيس وإرساء القواعد شاقة وعنيفة وتحتاج إلى إيمان عميق وصبر ومصابرة، وتكوين دقيق، وثبات ومجالدة، وعمل متواصل لا يعرف الملل .

وكيف لا والمؤمنون العاملون قليلو العدد ضعيفو القدرة وهم يواجهون باطلاً سائداً متمكناً وليس لديهم الإسلام الإيمان، وللأستاذ البنا رحمه الله في هذا المعنى عبارة دقيقة رائعة إذ يقول: [إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور:

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا

(١) المرجع السابق نفسه .

يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره].

ولئن شاءت إرادة الله أن نكون معاصرين لهذه الفترة الدقيقة الهامة من عمر الدعوة الإسلامية بكل متطلباتها ، وأن يهيئ الله لنا الأسباب لمعرفة الطريق الصحيح للعمل وأن يوفقنا إلى حمل هذه الأمانة بعد أن تقاعد عنها الكثير ، فإننا نرجو أن نكون أهلاً لهذا الاختيار والاصطفاء من الله ، وأن نقوم بأعباء الدعوة مهما ثقلت في عزم ومضاء .

فندعو كل من يتقدم لينال شرف العمل والمضى في طريق الدعوة أن يوطد نفسه ويعدها للقيام بما تمليه عليه هذه المرحلة من تبعات في عزم وثبات وثقة بالله ويقين كامل بسمو هذه الدعوة ونبالة مقصدها وكذا حاجة العالم إليها ، وفوق ذلك كله تأييد الله لها ، فهذه عوامل نجاح لا تقف أمامها عقبة من العقبات .

•• حول خطوات العمل ووسائله:

كان أستاذنا يؤكد دائماً في محاضراته ومؤتمراته ولقاءاته ومقالاته ومؤلفاته وممارساته التزام الأصالة في طريق الدعوة ، ويحذر من الانحراف عن هذه الأصالة . . . ومن هذه الأمور خطوات العمل ووسائله في تحقيق الهدف [الخلافة الإسلامية] فيقول (١):

[إن مثل هذا الهدف العظيم الذي نعمل له ونسعى لتحقيقه لا يمكن أن يتحقق هكذا ارتجالياً بدون خطة مرسومة وأهداف مرحلية محدودة ووسائل متفق عليها . ولهذا نجد الإمام الشهيد حرص على تحديد كل ذلك في أحاديثه وكتابه وممارساته العملية فترة حياته وهو ما نواصل السير عليه بتوفيق من الله وعون من بعده .

وقد استرشد الإمام البنا في ذلك كله بسيرة قدوتنا رسول الله ﷺ وكيف سار بالدعوة حتى أقام الدولة الإسلامية الأولى ، وكان الإمام البنا دقيقاً غاية الدقة في اقتفاء خطى رسول الله ﷺ في هذا المجال ، ولهذا السبب نجد أن الأيام والأحداث تؤكد إصابة هذا الطريق وسلامة السير واعتدال الخطوات ، تزداد الثقة بأنه موصول بإذن الله إلى تحقيق ما نهدف إليه .

لقد عرف الإمام البنا أن ضعف الإيمان في نفوس المسلمين قد أوصل إلى هذه الحال من الضياع والفرقة بين المسلمين وأوصل إلى ترك الجهاد وإلى الذلة والهوان ، فكان لابد من التركيز على بعث الإيمان وإرساء العقيدة ليتخرج رجال عقيدة أقوياء الإيمان ، ثم لابد من تقوية روابط الحب والأخوة الإسلامية التي هي أقوى الروابط ، والعمل على إزالة أسباب الفرقة والخلاف .

(١) من فقه الدعوة - طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف - مصطفى مشهور .

ثالثاً: وجوب العمل الجماعى لتحقيق الهدف [الخلافات]

كان الأستاذ مصطفى مشهور يبتكر أفضل الأساليب لتوريث الأجيال الناشئة الخبرة والتجربة - فمن حقها أن تتسلم أمانة العمل والمسئولية . . ومن هذه الأساليب : [الأسئلة والأجوبة عليها] لذلك نجده رضى الله عنه وضع كتاب : [تساؤلات على الطريق] . . .

وكانت القضية الأولى فى هذه التساؤلات الأسئلة التالية :

- طريق دعوتنا، هل يجب على كل مسلم سلوكها، وهل الوجوب على سبيل الاختيار؟!
 - وهل العمل لإقامة الدولة الإسلامية واجب على كل مسلم؟!
- وفى إجابته عن هذه الأسئلة قال أستاذنا^(١) :

[التساؤل الذى يحتل مركز الصدارة للإجابة عليه هو الذى يتناول أصل القضية وهو : هل لزاماً على كل مسلم أن يسلك طريق الدعوة الذى تسلكونه؟ ومن ثم فهل الأهداف على هذا الطريق من إقامة دولة الإسلام والتمكين لهذا الدين واجب لازم على كل مسلم ومسلمة؟ أو أنه فرض كفاية أو على الخيار لمن شاء؟

لقد كُتِبَ الكثير حول الإجابة على هذا التساؤل، وفى مقدمة ما كُتِبَ فى عصرنا الحديث : رسائل الإمام الشهيد حسن البنا الذى رسم لنا الطريق مقتبساً إياه من كتاب الله ومن سيرة رسولنا الحبيب ﷺ ثم دعانا إليه، وأجيبناه وسرنا معه فترة من الزمان، وسبقنا شهيداً على طريق الدعوة، ونسأل الله أن يثبتنا على الطريق حتى نلقاه غير مبديلين ولا مغيرين ولا فاتنين ولا مفتونين .

وفى الإجابة عن هذا التساؤل أجتهد فى اختصار وتركيز ما استطعت دون ادعاء بإحاطة وبالله التوفيق .

●● الإسلام.. دين جماعة.. دين الآخرة والدنيا معاً:

إن إسلامنا العظيم ليس ديناً فردياً رهبانياً، ولكنه دين يجمع بين الدنيا والآخرة : دين جماعة واحدة وأمة واحدة ووطن واحد وجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر . دين يطلب من كل مسلم أن يهتم بأمور المسلمين فى أى بقعة من بقاع

(١) من فقه الدعوة - تساؤلات على الطريق - مصطفى مشهور .

الأرض وما يتعرضون له من اعتداءات وما يعانون من آلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١) رواه الطبراني وأبو نعيم، وهو حديث ضعيف.

إن هناك مسئوليات عامة يلقيها الإسلام على كل مسلم ومسلمة سيسال عنها يوم القيامة. إن أرواح المسلمين التي تزهق بالآلاف، وأعراض النساء التي تهتك، وأبناء المسلمين الذين ينشئون على غير الإسلام، وتعطيل شريعة الإسلام وتبديلها بقوانين وضعية، والنيل من العقيدة والاعتداء على مقدسات المسلمين، والغزو الانحلالي وإيقاع العداوة وإشعال الحرب بين المسلمين، كل ذلك وغيره كثير، هل يقبل إسلام مسلم لا يتأثر ولا يتحرك إزاء هذه المآسى؟ وإذا علمنا أنه لا طريق لإصلاح كل ذلك وتغيير هذا الواقع المر إلى إقامة الدولة الإسلامية التي تمكن لدين الله وتحكم شرع الله وتحمى أرواح المسلمين وأبناءهم وأرضهم وأموالهم، أفلا يكون العمل لذلك واجباً شرعياً؟!

•• الحكومة في الإسلام.. من العقائد والأصول لا من التفهيمات والفروع؛

[فالإسلام يجعل الحكومة ركناً من أركانه، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من التفهيمات والفروع، وجعله النبي ﷺ عروة من عرى الإسلام]^(٢) من كلام الإمام الشهيد في المؤتمر الخامس. بل إن من يجحد هذا الأمر يكفر كفرة يخرج من الملة.

وإذا علمنا أن مسئولية إقامة الدولة الإسلامية هي مسئولية كل مسلم ومسلمة وليست مسئولية الحاكم أو العلماء دون غيرهم، فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون لهم دور في أداء هذا الواجب الإسلامي الذي تفرضه طبيعة المرحلة التي نعيشها من عمر الدعوة الإسلامية بعد سقوط الدولة والخلافة.

والذين يقصرون عملهم للإسلام على العلم والعبادة والذكر وعمل الخير دون العمل على أداء هذا الواجب أثمون مقصرون، ولن يغنى علم ولا عبادة إذا ظل المسلمون هكذا لقمة سائغة لأعداء الله يستبيحون كل حرمة المسلمين، بل سيحولون بين هؤلاء المتعبدين والمتعلمين والذاكرين وبين عبادتهم وعلمهم وذكرهم وينشئون أبناءهم على غير الإسلام، ولا يملك لهم هؤلاء شيئاً.

(١) ضعيف سبق تخريجه.

(٢) الحديث: [قال ﷺ: لتنقطن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقصت عروة تشيت الناس بالتي تليها وأولهن نقصاً للحكم وآخرهن الصلاة]. صححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٤/٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٠٧٥.

ولما كان هذا الواجب الأساسى والمهم - وهو إقامة الدولة الإسلامية - لا يتم بشكل فردى، بل بالعمل الجماعى المنظم والمخطط له . . علمنا أن الجماعة والعمل الجماعى واجب على كل مسلم ومسلمة تحقيقه . . ولا يجزئ العمل الفردى المعثر .

●● الشهيد حسن البنا يرسم الطريق:

وهذا ما اهتمدى إليه الإمام الشهيد حسن البنا بعد دراسة عميقة لواقع المسلمين ودراسة عميقة لسيرة رسول الله ﷺ، فرسم لنا الطريق لهذا العمل الجماعى المنظم، طريق الدعوة، وهو الطريق الذى سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم عندما أقاموا الدولة الإسلامية الأولى، نسير عليه وندعو إلى سلوكه، وتزداد ثقتنا به مع الأيام والأحداث، هكذا وبهذا الاختصار الشديد نرى أنه لزاماً على كل مسلم ومسلمة فى هذه الفترة من عمر الدعوة أن يعملوا لإقامة دولة الإسلام، وأن يسلكوا طريق الدعوة الذى نسلكه لتحقيق هذا الواجب .

●● ومن الأسئلة المهمة أيضاً:

- لماذا لم تقم دولة الإسلام على يد الإخوان؟

- وهل يعنى ذلك أن طريقهم لا يوصل إلى تحقيق هذه الغاية؟!

فى رده على هذه الأسئلة يقول أستاذنا مصطفى مشهور^(١):

●● دولة الإسلام لماذا لم تقم بعد؟

نعم لماذا لم يقم الإخوان دولة الإسلام التى ينشدونها برغم مرور ما يزيد على نصف قرن من الزمان؟ وهل يعنى ذلك أن طريقهم لا يوصل إلى تحقيق هذه الغاية؟

●● دولة عالمية لا دويلة:

للإجابة عن هذا التساؤل يلزمنا أن ننظر نظرة عميقة وممتدة مكاناً وزماناً. إن الذى ينشده الإخوان ليس دويلة إسلامية فى قطر إسلامى فحسب، ولكنهم ينشدون دولة إسلامية عالمية تغطى الساحة الإسلامية وتؤدى رسالة الإسلام العالمية، وتتصدى وتصمد أمام قوى الأعداء العالميين فى الشرق والغرب الذين يتوافر لديهم أحدث ما وصل إليه العلم من وسائل اتصال ومواصلات وتنصت إلى غير ذلك من أسلحة دمار حديثة .

كل ذلك يعطى للقضية بعداً آخر، فى طبيعة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل يجب أن يكون فى الحسبان .

(١) المرجع السابق نفسه .

●● نحن لا نرمم.. بل ننشئ من جديد:

ثم إننا لا نرمم بناءً موجوداً، ولكننا ننشئ بناءً جديداً بعد أن نزيل ركائماً لبناء تهدم، والدولة الإسلامية كأي بناء ضخيم لا بد له من أساس عريض وعريق وممتين، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، إذ إن الأساس هو أهم وأشق مرحلة في البناء. . وطبيعة الأساس في أي بناء أنه تحت سطح الأرض. . فلا يراه أو يقدره صاحب النظرة السطحية غير المتعمقة، ويظن أنه لم يتم شيء وأن الجهد والوقت الماضيين ضائعان.

●● التغيير الجذري عمل الإخوان:

كذلك الذي ينظر اليوم لفترة ماضية محدودة لا يقدر حقيقة التغيير الجذري الذي أحدثته دعوة الإخوان المسلمين على الساحة الإسلامية، ويلزم أن تحدث المقارنة بين ما كان عليه المسلمون والوطن الإسلامي عند بدء قيام جماعة الإخوان، وما هو عليه اليوم ليتضح الأثر الكبير وتظهر حقيقة إرساء الأساس الذي سيقوم عليه بإذن الله.

●● ظواهر التغيير:

وباختصار شديد أوضح الأثر والتغيير في أربع ظواهر أساسية:

- ١- أكثر الأقطار الإسلامية كانت محتلة عسكرياً من أعداء الله، وقد أبعدها شريعة الله عن الحكم، واستباحوا كل حرمة المسلمين وغزوا المسلمين في عقيدتهم ولغتهم وأخلاقهم. . إلى آخره.
 - ٢- الكثرة الغالبة من المسلمين = كانوا يجهلون حقيقة دينهم، ويعيشون القشور السطحية دون الجوهر، ولا يدركون شمول الإسلام وتناوله لكل جوانب الحياة الدنيا كما يشمل الآخرة.
 - ٣- كانت روح الجهاد في سبيل الله تكاد تكون معدومة، ولا يتأثر أو يتحرك أحد من المسلمين لما يحدث لإخوانه المسلمين في قطر آخر.
 - ٤- لم يكن التدين منتشرًا بين الشباب، وكاد يكون قاصراً على المسنين، وكان تديننا سلبياً. هذا ما كان عليه حال المسلمين والعالم الإسلامي قبيل جماعة الإخوان.
- * أما اليوم فيفضل الله أولاً ثم بتأثير دعوة الإخوان، نراها قد دفعت كثيراً من الشعوب الإسلامية إلى التخلص من الاحتلال العسكري، والمطالبة بتطبيق شرع الله الذي أبعد عن الحكم، ولا زالت المطالبة مستمرة في إصرار مع الحكام الحاليين لبلاد الإسلام.
- * ونرى الفهم الشامل للإسلام وأنه دين ودولة صار سائداً، والافتناع بأحقية الإسلام في إصلاح حياة البشرية صار أمراً مسلماً به عند الكثيرين والحمد لله.

* ونرى اليوم روح الجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله التي تسرى في الشباب في ازدياد، كما نرى التأثير والتجاوب مع قضايا العالم الإسلامي يتعرض له المسلمون في أى مكان.

* ونرى ظاهرة التدين في وسط الشباب فتياًناً وفتيات، والمتمثلة في هذه الصحوة الإسلامية الواضحة على مستوى الشعوب الإسلامية، والتي لو أمعنا النظر فيمن كان وراء هذه الصحوة وفي بدء ظهورها في أى قطر إسلامي، لوجدنا دعوة الإخوان ووسائل الإخوان، وما تعرض له الإخوان من محن وما قدموا من شهداء، كل ذلك كان زاداً ووقوداً للأجيال الناشئة. . ونلمس أن تدين شباب اليوم إيجابى حى، قوى مؤثر يريد أن يغير، وليس تديناً سلبياً كالسابق، وهنا دليل الحياة تدب في جسد العالم الإسلامي.

هكذا طبيعة الأساس، فهذا التغيير، وهذه النوعيات من رجال العقيدة، ومن البيوت المسلمة والمؤسسة على التقوى، والرأى العام الإسلامى، كل ذلك يمثل القاعدة الصلبة والأساس المتين ليقوم عليه الحكم الإسلامى والدولة الإسلامية إن شاء الله، ويقدر ما نبذل لاكتمال هذه العناصر الثلاثة، تتهياً الظروف لقيام الحكم الإسلامى إن شاء الله والله المستعان، ويقدر التقصير يكون التأخير.

وثمة نظرة أخرى هي: إن الزمن هنا لا يقاس بأعمار الأفراد ولكن يقاس بأعمار الدعوات والأمم. ولو نظرنا إلى الماضى لوجدنا أن منحى الدولة الإسلامية أخذ في الانحدار التدريجى منذ بضعة قرون، حتى سقطت الدولة فالخلافة، ثم نجد أنه بفضل الله ثم بأثر دعوة الإخوان المسلمين غير انحداره، وأخذ في الصعود من جديد وإن كان بطيئاً. والظواهر الأربع السابقة دليل على هذا التحول وهذا الصعود، وحتى يتم الصعود إلى القمة وتقوم دولة الإسلام العالمية إن شاء الله، فإن استغرق ذلك قرناً من الزمان من بدء التحول لما كان كثيراً في الدعوات والأمم خاصة وأنا لا نريد لبنائنا أن يقوم ثم ينهار ولكن يقوم ليثبت بإذن الله^(١). والمعلوم أن أى تعجل أو عدم إتقان في الأساس ربما يعرض البناء للانهيار أمام أى هزة أو شدة، وهذا ما لا نريده ولا نرضاه.

وهناك معنى آخر وهو أننا مسئولون عن العمل والأخذ بالأسباب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ولسنا مسئولين عن النتائج، وإنما أشد تشوقاً لنصر الله وتمكينه من الشباب المتحمس، ولكن الأمور تجري بالمقادير وبسنن لا بد منها.

(١) راجع هذا المنحى بالرسم البيانى للخلافة الإسلامية المرفق بهذا الفصل.

المهم في الأمر أن نسير على الطريق الصحيح ، وأن نبذل أقصى الطاقة دون تبديل ولا تغيير .
ألا فليطمئن وينعم المستوضحون الصادقون ، والإخوان العاملون ، وليهدأ المشككون
وليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً؛ يصلح لهم أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

ويستكمل أستاذنا ردوده الشافية الكافية ويعرض لأسئلة في غاية الأهمية وهي :

- هل يمكن لجماعة الإخوان أن يقيموا دولة الإسلام وأعداء الله لهم بالمرصاد؟

- لماذا لا يلجئون لأساليب الأحزاب السياسية لعلهم يصلون أسرع؟

- هل ستظل هذه الجماعة تتلقى الضربات والمحن دون رد أو مقاومة؟

- هل هذه المحن نتيجة خطأ القيادة؟

هل من الممكن أن يقيم الإخوان بناء الدولة الإسلامية وأعداء الله لهم بالمرصاد يضربونهم
ويهدمون ما ينون أو لا بأول؟ فهلا يتنازلون بعض الشيء عن أسلوب التربية ويلجئون إلى
أسلوب الأحزاب السياسية ، فقد يسرع بهم في الوصول إلى الحكم وإقامة الدولة الإسلامية؟
يقول أستاذنا في ردوده الرائعة^(١) :

ارجعوا إلى الأصول.. فهناك الحل.. ارجعوا إلى الأصول.. فهي مفتاح الحل: (٢)

لعله من المفيد للإجابة عن هذا التساؤل ، الرجوع إلى السيرة العطرة عندما كان رسول الله
ﷺ وصحابته يتعرضون للمحن والضربات والإيذاء من أعداء الله ، وكان ظاهر الأمر أن حجم
الشرك والكفر كبير ، وقوة أعداء الله عظيمة ، وأن حجم المؤمنين صغير وقوتهم ضعيفة .
ولكنه برغم استمرار الإيذاء والمحن قامت دولة الإسلام ، وتظهرت الجزيرة من الشرك
والأصنام ، وفتحت بلاد الفرس ، وأجلى اليهود ، وعم النور ، وتبدد الظلام . واهتم رسول
الله ﷺ من أول يوم بأعداد المؤمنين وتربيتهم واستمر على ذلك رغم المحن ، بل حرص على
ذلك حتى بعد النصر والتمكين .

الأمر في الواقع له مقاييس وموازين أخرى غير مقاييس وموازين البشر المادية . إنه الحق
والباطل . إنه تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين أمام كيد الشيطان وأعوانه من أعداء الله . إن
القضية ليست بين أعداء الله وبين أشخاص الدعاة إلى الله ، إنها بينهم وبين الله ودعوته :

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) ويقصد أستاذنا بهذا أصول الدين من كتاب وسنة ثم ما وضعه الإمام البنا من أصول بناها على الكتاب والسنة .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]. إن الدعوة إلى الله العاملين في حقل الدعوة باعوا أنفسهم لله، ولم يعد لهم حظ في دنيا الناس، ولا مطعم لهم دنيوي يتنافسونه مع أعداء الله. ونجد سنة الله التي لا تتبدل بين أهل الحق وأهل الباطل أن يحدث الصراع، وتكون النتيجة في النهاية لأهل الحق مهما انتفش الباطل أمامهم: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَائِبٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا بَدَّ اللَّهُ أَنَّ يَضْرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَرَامِعٌ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. ولكنه الامتحان والابتلاء من الله تعالى ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

ويوضح لنا الله سبحانه هذه المقاييس في مجال الحرب والقتال فيقول: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] ويقول: ﴿ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

والله سبحانه وعد بالنصر عباده المؤمنين. لذلك وجب علينا أن نكون مؤمنين حقاً لنكون أصلاً لتحقيق وعد الله بالنصر على أعداء الله. وهنا تظهر أهمية جانب التربية والتكوين على مدى الطريق، وعدم التهوين من شأنها أو الإقلال منها. فالإيمان هو السلاح القوي الذي نواجه به قوى الأرض جميعاً، والإيمان هو الذي يفجر في أصحابه كل طاقات الصبر والثبات والتحمل والجهد والتضحية والفداء، وليست السياسة وأساليبها. إن أسلوب الأحزاب السياسية لا يصلح في معركتنا هذه مع أعداء الله، خاصة إذا كان ذلك على حساب التربية والإعداد وتقوية الإيمان. ولا يعني ذلك أننا نرفض السياسة على الإطلاق، ولكننا نتعامل معها كجزء من الدين نضبطها بضوابطه، ونوائم بينها وبين التربية والتكوين، خاصة في مرحلة وضع الأساس وإيجاد القاعدة الصلبة التي يقوم عليها البناء مستقراً إن شاء الله.

●● المحن ليست هدماً لبناء أقيم:

وقد يلتبس الأمر على بعض الناس، ويظنون أن ما يتعرض له الإخوان من محن أو ضربات من أعداء الله هي هدم لبناء أقيم. وهكذا يتكرر الهدم في كل مرة. والحقيقة غير ذلك، فإن المحن التي هي سنة الله في الدعوات ليست هدماً، ولكنه صقل وتمحيص لتلك اللبنة التي سيقوم بها البناء القوي بإذن الله، وأن ابتعاد بعض الإخوان عن الصف نتيجة هذه

المحن ليس هدمًا ولا اضعافًا للصف، ولكنه تطهير للصف من نقط الضعف. والله يعوض الصف بغيرهم ثم لا يكونون أمثالهم.

لو كان الهدف إيجاد حكم إسلامي مستقل في بلد من هذه البلاد الإسلامية التي مزقتها أعداء الله، لكان الحال غير الحال، ولما احتاج الأمر إلى جهد كثير وأساس عميق. ولكن حينما يكون هذا البلد الإسلامي جزءاً من كيان ضخم هو الدولة الإسلامية العالمية فالأمر يختلف، وعمق الأساس ومتانته تختلف، وفرق كبير بين وضع أساس لمجموعة من المنازل المتجاورة كل منها من طابق واحد، وبين وضع أساس لناطحة سحاب على مساحة هذه المنازل نفسها.

إن أسلوب الأحزاب السياسية في الاهتمام بالكم وعدد الأصوات في الانتخابات دون اهتمام بالكيف، لا يصلح معنا ولا تؤمن عواقبه، إننا لا نريد من يعطينا صوته فقط.. ولكن نريد من يقدم نفسه وماله وكل ما يملك، ويتحمل ويثبت في مواجهة الشدائد. ولا يجوز أن تدفعنا الرغبة الملحة في رؤية البناء يظهر من فوق السطح، إلى التعجل في إقامة الأساس دون إتقان له، فالزمن يقاس بعمر الدعوات والأمم وليس بأعمار الأفراد. وقبل أن نستبطن النصر يلزم أن نسأل أنفسنا: هل قمنا بكل مقدماته ومتطلباته وأدينا واجبنا على الوجه الأكمل؟ ثم هل صرنا حقاً أهلاً لهذا النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] أم أننا مازلنا أذعيا على الإيمان ومحسوبيين على المؤمنين؟

نحن لا نقلل من شأن المعركة بين الحق والباطل، ونعلم أن الطريق عر وملى بالأشواك والدماء والأشلاء، وأن الباطل سيظل يقاثلنا حتى يلفظ آخر أنفاسه، ولكننا نستعين بالله واهب القوى، ونأخذ بأسباب القوة ما استطعنا امتثالاً لأمره تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ونؤمن بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [١١] وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. ونعقد الصئقة الرابعة مع الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١]. ونطمئن إلى تحقيق وعد الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

هكذا نكون على مستوى المهمة العظيمة التي تتصدى لها، وعلى مستوى الإعداد لها. والأمل يملأ قلوبنا والثقة بالله وتأييده تغمرنا، ولا يخالجننا خوف أو ضعف عندما نرى قوة الأعداء ولا نهن ولا نستكين ولا نضعف، بسبب ما يصيبنا من محن وضربات في سبيل الله.. والله المستعان.

•• صبراً آل ياسر:

وبعد هذا تناولنا تساؤلاً قريب الصلة بالتساؤل السابق وهو: هل سيظل الإخوان يتلقون الضربات ويتجرعون المحن أو يتذوقونها دون رد أو مقاومة؟

ولعله من المفيد أيضاً قبل الرد على هذا التساؤل أن نرجع إلى سيرة رسول الله ﷺ لنجد فيها الإجابة الواضحة: فقد تعرض عليه الصلاة والسلام هو والمسلمون معه للإيذاء والتعذيب الشديدين من المشركين في مكة، وكان يمر على آل ياسر وهم يُعذَّبون ويقول لهم: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^(١) أخرج الحاكم في المستدرک [٣/٣٨٣]. وقد صبروا حتى استشهد ياسر وزوجه سمية رضی الله عنهما تحت التعذيب.

ولم يأمر الرسول ﷺ أحداً من المسلمين برد عدوان الإيذاء بالقوة في ذلك الوقت، لأن أي محاولة من ذلك القبيل لم تكن لتوقف العدوان، بل من شأنها أن تصعده وتصل به إلى البطش الشديد الذي يقضى على المسلمين وهم مازالوا قلة، وتروى لنا السيرة أنه لما اشتد الإيذاء على بعض المسلمين قال أحدهم لرسول الله ﷺ: ألا تستنصر لنا؟ فظهر الغضب في وجه رسول الله ﷺ وقال: [ما يفيد]: إن من كان قبلكم كانت تحفر لهم الحفر ويشقون بالمنشير ويفصل ما بين اللحم والعظم دون أن يصرفهم ذلك عن دينهم]. ثم بشرهم رسول الله ﷺ بإتمام هذا الأمر وقال: «ولكنكم تستعجلون»^(٢). كان في إمكانه ﷺ أن يأمر بعض المسلمين بقتل أئمة الكفر كأبي جهل وأبي لهب، أو بتحطيم الأصنام، ولكنه لم يفعل، لما سبق أن ذكرنا. ولم يُعتبر ذلك موقفاً سلبياً منه ولكن الحكمة ومصلحة الدعوة اقتضت ذلك. فليس الهم والقصد إيقاف الإيذاء الذي يقع على المسلمين، ولكن القصد هو تبليغ دعوة الله، وتكوين القواعد والدعائم التي سيقوم صرح الدعوة والدولة الإسلامية عليها. كما أن رسول الله ﷺ يعلم أن الإيذاء والابتلاء ليسا أمرين طارئین غريبین في طريق الدعوة يلزم التخلص منهما وإيقافهما في الحال، ولكنهما سنة الله في الدعوات، لحكمة سامية هي التمحيص والصقل وزيادة الإيمان،

(١) يبق تخريجه وهو صحيح صححه الألباني في فقه السيرة ص ١٠٣.

(٢) سبق تخريجه وهو صحيح من حديث [عباب ابن الأثرث] عند البخاري بأرقام ٣٦١٢، ٣٩٤٣.

لأن أمانات النصر ثقيلة ولا يقوى على تحملها وحسن أدائها إلا هذه النوعيات المحصنة بحيث لا تفتنها دنيا ولا تشنها شدة .

ثم إننا نجد بمتابعتنا للسيرة بعد الهجرة، وعند بدء تكوين قاعدة انطلاق المسلمين أن رسول الله ﷺ لم يفكر في مواجهة المشركين بالقوة، فعند خروجه إلى بدر خرج لقافلة التجارة وليس للحرب . ولكن الله تعالى أراد أن تكون ذات الشوكة بعلمه وتقديره . فإذا رسول الله ﷺ يقف تحت العريش يدعو ربه ملحاً في الدعاء حتى سقط البرد من على كتفيه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض»^(١) . ومعنى ذلك أنه مازال بتقديره البشرى مشفقاً على مجموعة المؤمنين أن يقضى عليهم في تلكم الحروب وهي قلة فتتوقف مسيرة الدعوة . لكن كان في تقدير الله النصر المؤزر للمؤمنين، والهزيمة النكراء لأعداء الله، وكانت بدر فاصلة بين فترة الإيذاء والاستضعاف وفترة النصر والتمكين .

هكذا نرى أن البدء في رد عدوان أعداء الله لا بد له من توفر ظروف وملابسات تجعله مناسباً، وأن أى محاولة قبل ذلك لا تؤمن عواقبها، وتكون في غير صالح الدعوة التي هي القصد وليس أشخاص المعتدى عليهم .

ونقول أيضاً: لعل في موقف الإخوان في بعض أجزاء العالم الإسلامي رداً واضحاً لهذا التساؤل، وأنه لا يمكن أن يظلوا يتلقون الضربات دون رد أو مقاومة . فليطمئن المتحمسون، ولا يتسرع المتعجلون فالأمور تجري بالمقادير: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

•• هل هو خطأ القيادة؟

وفي جو المحن ومع طول أمدها، يتهاى الجو لتساؤل آخر - وربما يثيره البعض كتشكيك - وهو: هل هذه المحن والضربات نتيجة أخطاء وقعت فيها القيادة؟ وهل كان من الممكن تفاديها؟ ونعود أيضاً إلى السيرة لنجد فيها الإجابة، فنجد أن ما تعرض له رسول الله ﷺ وصحابته من إيذاء وتعذيب لم يكن نتيجة أخطاء وقعوا فيها، ولكنه الموقف الطبيعي لأعداء الله من دعوة الله والدعاة إلى الله . إنهم يحسون فيها الخطر على باطلهم وعلى سلطانهم القائم على البغي والظلم، ويعلمون أن في قيام دعوة الحق وانتصارها، قضاء على باطلهم وهزيمة لهم . فهم لذلك يحاربونها ويحاولون القضاء عليها قبل أن تقضى عليهم، لكنهم يفشلون في ذلك،

(١) سبق تخريجه وهو صحيح رواه مسلم برقم ١٧٦٣ .

لأنها دعوة الله ونور الله ، ولن يطفى نور الله بشر: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف : ٨].

● القيادة اجتهدت وسعها للخير:

ولكن أعداء الله حينما يحاربون دعوة الله لا بد أن يقدموا لجمهور الناس أو للرأى العام مسوغاً زائفاً يستندون إليه في حربهم واعتدائهم ، فيلصقون التهم الباطلة بالدعاة إلى الله ، كما قالوا عن رسول الله ﷺ: إنه كذاب وساحر وكاهن وشاعر ومجنون ، وإنه بدعوته وبدينه يفرق بين المرء وأهله إلى غير ذلك . وكما سبقهم فرعون والملا حوله باتهام موسى وقومه بالفساد في الأرض ، وكما حدث في عصرنا هذا بأن اتهم أعداء الله الإخوان والدعاة إلى الله بالتطرف والإرهاب والتستر وراء الدين للتسلق إلى الحكم . وكما افتعلوا الأحداث مسوغاً لضربهم كتمثيلية محاولة قتل عبد الناصر في الإسكندرية . إلى غير ذلك من أساليب التضليل والتشكيك والتشويه .

ولكن نور الحق أقوى وأسطع من أن تحجبه هذه التهم الباطلة . كما يحلو لبعض من تقصير همتهم عن مواصلة المسيرة نتيجة لهذه الضربات والمحن أن يعودوا باللائمة على القيادة ، وأنها هي التى تسبب فى هذه المحن نتيجة أخطاء وقعت فيها .

وهذا غير الواقع ، وكما أنه لم يكن فى استطاعة رسول الله ﷺ أن يتفادى وقوع الإيذاء والتعذيب عليه وعلى المسلمين معه إلا إذا تنازل عن كثير مما يدعو إليه ، مما يشير أعداء الله ويقلقهم . وخاصة الدعوة إلى إله واحد وترك هذه الأصنام وما كان له ﷺ أن يتنازل عن شيء من ذلك والله يدعو: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣ ، ٤٤] . فليس باستطاعة من يعملون بعمله أن يتنازلوا عن شيء من دعوتهم بغية الراحة والسلامة ، وبالتالي فلن يتوقف اعتداء أعداء الله وإيذاؤهم للمسلمين حتى يتحقق النصر .

ولا نعى بذلك أن الإخوان وقيادتهم معصومون من الخطأ ، ولكن يجب أن نفرق بين أخطاء جزئية أو فردية لا تخلو جماعة أو حركة منها ، حتى الجماعة الأولى مع رسول الله ﷺ ، وبين أن نرجع المحن فى أصلها إلى أخطاء من القيادة أو أنه كان من الممكن تفادى المحن بتفادى الأخطاء ، فهذا التصور هو الخطأ عينه .

رابعاً: مشهور والطريق لإعادة الخلافة

هدى الله تبارك وتعالى أستاذنا مصطفى مشهور وأنار له الطريق لإعادة الخلافة الإسلامية من خلال منهج الإمام الشهيد حسن البنا ودعوته التي هي صدى للدعوة والمنهج الأول الذي وضعه رسول الهدى محمد ﷺ، فأرشدنا أستاذنا إلى هذا الطريق وأناره لنا لنسلكه ونحن واثقين، فنسعى إليه سعياً حثيثاً ونجدد ونجتهد ونخطوه بثبات.. .
يقول أستاذنا^(١):

●● الطريق لإعادة الخلافة الراشدة

●● إيمان وعمل.. محبة وإخاء.. إعداد وجهاد..

بعد تفكير عميق ولجوء إلى الله، وفق الله الإمام الشهيد إلى أن الطريق الوحيد لتحقيق هذا الواجب العظيم هو الطريق الذي سار عليه رسول الله وصحابته من قبل، عندما أقاموا الدولة الإسلامية الأولى، وتلخص في كلمات قليلة: [إيمان وعمل، ومحبة وإخاء، وإعداد وجهاد] وهكذا ربي رسول الله المسلمين على مائدة القرآن وفي مدرسته ﷺ، وأخى بينهم ونظمهم وحثهم على الجهاد والتضحية، فكانوا أهلاً لنصر الله وتأييده، فتطهرت بهم جزيرة العرب من الشر والأصنام، وفتحت بلاد الفرس وغلبت الروم وأجلى اليهود وتبدد الظلام وعمّ النور.

عرف ذلك الإمام الشهيد فأقام جماعة الإخوان المسلمين وسار على الطريق نفسه ورأى أنه لكي تقوم التربية على أساس متين، ولكي يقوم بناء الدولة على أساس سليم، لا بد من العودة بالمسلمين إلى الإسلام الصحيح الشامل النقي كما جاء به رسول الله ﷺ بعيداً عن الانحراف أو الخطأ وبعيداً عن الاجتزاء والتشويه والبدع والخرافات، وبعيداً عن أسباب الخلاف، فوضع الأصول العشرين الموجودة في رسالة التعاليم تحت ركن [الفهم] من أركان البيعة العشرة؛ كإطار يحمي الفهم السليم للإسلام - وعرف كذلك دوره الجهاد في السير بالدعوة وأهميته والإعداد له إذ لا بد للحق من قوة تحميه.

وقد لمس أن روح الجهاد بين المسلمين في ذلك الوقت تكاد تكون معدومة، وروح الخنوع والاستسلام هي السائدة.

(١) من فقه الدعوة - الجهاد هو السبيل - مصطفى مشهور.

•• الجهاد سبيلنا.. شعار للدعوة:

فأعطى جانب الجهاد في دعوة الإخوان الاهتمام اللائق به، ونلمس هذا الاهتمام في صور متعددة: فنجده يؤكد أن الجهاد هو السبيل التي يهتف بها الإخوان المسلمون: [الله غايتنا.. الرسول زعيمنا.. القرآن دستورنا.. الجهاد سبيلنا.. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا]. ثم نجد شارة الإخوان سيفين حول كتاب الله، والسيفان رمز الجهاد والقوة التي تحمي الحق المتمثل في كتاب الله.

ثم نجد أنه أطلق على دعوة الإخوان أنها: [دعوة الحق والقوة والحرية] تأكيداً لضرورة القوة بجانب الحق. ثم نجد جعل [الجهاد] ركناً من أركان البيعة العشرة، و[التضحية] ركناً آخر، ثم نجد خص [الجهاد] برسائله التي كتبها وكان دائماً وأبداً في أحاديثه يحث على الجهاد ويرغب في الاستشهاد ويربط الإخوان بالرعييل الأول مع رسول الله ﷺ وما ضربوه من أمثلة رائعة في مجال الجهاد بالنفس والمال.

•• الواقع صدق التجريته.. واستمر الجهاد:

ولم يقتصر الأمر على القول والكتابة، ولكن عندما واتته فرصة الجهاد في فلسطين سارع وانتهزها، وضرب الإخوان فيها أروع الأمثلة، ولولا الكيد والتأمر وخيانة القضية من حكام بلاد المسلمين في ذلك الوقت لتبدل الأمر.

وكان من نشاط الإخوان غير الرياضة البدنية: الجواله والتدريبات الكشفية.. وكثيراً ما كنا نرى الإمام الشهيد بيننا وهو يرتدي معنأ زي الجواله ويشترك في هذه التدريبات.

وبعد تكريم الله إياه بالشهادة - وكان قتله جزءاً من تلك المؤامرة - واصل الإخوان مسيرتهم في طريق الجهاد على ضفاف قناة السويس ضد الإنجليز في أوائل الخمسينيات، كما واصلوا جهادهم ضد اليهود في مناطق إسلامية أخرى غير مصر بعد أن غيبت الدعوة في السجون أيام عبد الناصر، واليوم نرى الإخوان يشاركون إخوانهم المجاهدين في أفغانستان، كما أنهم يجاهدون في سوريا ضد النظام الطائفي الكافر الظالم.

•• هل الإخوان تعبوا من المحن؟ وألقوا السلاح وتركوا الجهاد؟.. لا..

مثل هذه الأسئلة تثار من بعض الشباب المتحمس. وبهدف توحيد الفهم والجهود، يعذر أستاذنا أصحاب هذه الأسئلة، ويرد عليهم موضحاً موقف الإخوان من هذه الأسئلة فيقول: [لا]، ثم يفصل ويشرح هذا النفي القاطع بقوله:

[وهكذا نرى أن الإخوان لم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقطعوا حاضرهم عن ماضيهم، ولن يقطعوا مستقبلهم عن حاضرهم وماضيهم، يورثون الأجيال الدعوة بشمولها ونقائنها، ويورثونهم روح الجهاد وحب الاستشهاد والتضحية حتى يتحقق نصر الله وتكون كلمة الله هي العليا.

● المحن عندهم تصقل التجربة.. وتزيد الإيمان وتؤكد العزم على المضي..

الإخوان لم تتعبهم المحن ولم ولن يلقوا السلاح أو يتركوا الجهاد، ولكن المحن تصقلهم وتزيدهم إيماناً وإصراراً على العمل لنصرة دينهم دون وهن أو ضعف أو استكانة بسبب ما أصابهم في سبيل الله.

● لا اندفاع وراء الحماسة ولا انتظار حتى الموت بل لكل أمر قدر..

ولكن الإخوان مع ذلك لن يندفعوا وراء تحمس بعض الشباب إلى القيام بأعمال فجة غير مدروسة، لا تغير الواقع الفاسد وربما أساءت إلى العمل الإسلامي واستفاد منها أهل الباطل. كما أن الإخوان لن يسلكوا سبيل الترتيب الميت الذي يفوت الفرص ويهبط بالروح الجهادية في نفوس الشباب، ولكنهم يقدرون الأمر حق قدره مسترشدين في ذلك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في كل خطوة - يخطونها مستعينين بالله، - سائلين إياه الرشد والتوفيق، ويتقبلون كل نصح أو تذكير أو إرشاد من كل فرد، مهما كان موقعه.

الإخوان يعلمون أن التسرع قبل الإعداد يمكن أن يكون بمثابة الإجهاض، كما يعلمون أن التواني أو التردد بعد حلول الوقت المناسب والإعذار إلى الله يكون بمثابة الموت المعنوي، وفي ظل الشورى والثقة المتبادلة يتحقق النصر بإذن الله..

يعتقد بعض الشباب التواق إلى الجهاد والاستشهاد أنه يحقق أمله هذا في أعمال جزئية: كإزالة بعض صور المنكر المنتشرة في بلادنا بالقوة، والحقيقة أن صور المنكر هذه ثمار شجرة خبيثة إذا أزيلت بعض ثمارها فستثمر غيرها طالما أنها قائمة، ولا بد من اجتثاث الشجرة الخبيثة كلها وغرس الشجرة الطيبة مكانها: شجرة لا إله إلا الله محمد رسول الله: ﴿أصلها ثابتٌ وقرعها في السماء﴾ (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴿ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وهذا أمر له تقديره وإعداده وتوقيته المناسب.

والإخوان عندما يقدمون شبابهم للجهاد في الوقت المناسب، لا يلقون بهم إلى التهلكة، بل التهلكة هي الإحجام عن الجهاد حينما يحين وقته وتحمته الظروف، إذ إنه في

تغلب أعداء الله يتعرض المسلمون إلى الفتنة في دينهم وتنتهك حرمتهم وينشأ أبناؤهم على غير عقيدة الإسلام.

كما يجب أن يكون معلوماً أنه ليس بالضرورة أن يرد المسلمون كل اعتداء أو إيذاء يقع عليهم من أعداء الله في حينه، ولكن عندما تتهياً لهم المكنة والظروف. ففي فترات الدعوة الأولى والمسلمون قلة ويتعرضون لاعتداء المشركين وإيذائهم لم يأمر رسول الله ﷺ المسلمين برد الاعتداء بالقوة، ولكن كان يوصيهم في ذلك الوقت بالصبر والثبات مبشراً إياهم بالنصر والجنة. ومع الصبر والثبات الاستمرار في تبليغ الدعوة رغم الإيذاء. وحينما تهيأت الظروف نزل الإذن بالقتال في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِن لِّلَّهِ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وعلى هذا الضوء لن يستمر موقف الإخوان من الاعتداءات المتكررة عليهم سلبياً، ولكن لا بد من يوم يعذرون فيه إلى الله ويردون العدوان ويدافعون عن أنفسهم.

●● ليس الجهاد لدفع الأذى فقط.. ولكن لإقامة الدولة المسلمة أيضاً..

وليكن معلوماً أيضاً أن الجهاد والإعداد له ليس مجرد دفع الاعتداء والإيذاء اللذين يتعرض لهما المسلمون من أعداء الله، ولكن الجهاد والإعداد له أيضاً لإتمام المهمة العظيمة وهي إقامة دولة الإسلام والتمكين لهذا الدين ونشره في ربوع العالمين، وبقدر عظم المهمة يكون الإعداد لها، وما يحتاج إليه هذا الإعداد من وقت وجهد، والوقت هنا لا يقاس بأعمار الأفراد. ولكن بأعمار الأمم والدعوات.

أما تلك المقولة الخاطئة بأن المقصود بالجهاد في الإسلام هو إكراه الناس على الدخول فيه بحد السيف، فلسنا في حاجة إلى جهد في إثبات بطلانها وقد كتب فيها الكثيرون، ويكفي أنها تتناقض مع قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والواقع والتاريخ ينفيان هذا الادعاء الكاذب.

خامساً: لماذا يخاف البعض من حكم الإخوان

هناك فهم خاطئ مغلوطة عند البعض عن الإخوان المسلمين أنهم:

- ١- طلاب حكم ويستترون بالدين !!
- ٢- إذا حكموا فسيكون حكمهم استبدادياً وسوف لا يتركون الحكم أبداً!!
- ٣- سيرجعون بالناس إلى الخلف أى عهود القرون الوسطى !!
- ٤- ستكون حكومتهم «دينية» يطبقون نظام الخلافة التي يحكمها ويتحكم فيها الفرد وهو: [ال خليفة]!!

هذه المفاهيم الخاطئة المغلوطة زرعها أعداء الإسلام وظلوا ينمونها حتى انتشرت في المجتمع، وغايتهم إبعاد دين الله تبارك وتعالى عن المجتمع المسلم ليسهل استعمار واستغلاله وإفساده ونهب ثرواته وإخفاء حضارته وطمس هويته. . . والرد على هذه النقاط الأربع يحتاج إلى السرد والتفصيل الذي لا تسعه إلا الأسفار والمجلدات ذات العدد، ولكنني أريد أن أختصر في الرد وأعطى القارئ رؤوس المواضيع التي تعتبر معالم للسير على الطريق. . .

●● الإخوان ليسوا طلاب سلطة:

يقول الأستاذ مصطفى مشهور^(١):

وأريد هنا أن أؤكد أننا لسنا مخالفين للدستور حينما ندعو الناس إلى الإسلام الصحيح، وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية، لأن الدستور المصرى ينص على أن: دين الدولة الرسمى هو الإسلام، والشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، وهذا ليس واجب الإخوان فقط، وإنما هو واجب كل مسلم ومسلمة؛ أن يحققوا مطالب الإسلام فيهم، فالإسلام ليس عبادة فقط ولكنه دين ودولة، وهذا الدين لا بد له من دولة تطبق الإسلام وتحمى المسلمين من أعداء الله، وترد كيد الأعداء عنهم، فهذا واجب لكن كثيراً من المسلمين غافلون عن هذا الواجب، والإخوان يدعون لتحقيق هذا الواجب والعمل على تطبيق الشريعة والحكم بالإسلام، ولو أن الحكومات قامت بتطبيق الشريعة، فإن كل الإخوان سيكونون عوناً وحثاً لهم، ولكن هذا هو تذكير، فنحن ندعو إلى الله، وندعو الرأى العام أن يناصر هذا المطلب ويقف معه حتى يتحقق].

(١) فى حوار مع مجلة المجتمع الكويتية - العدد [١١٨٦] - ١٠ رمضان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦/١/٣٠م.

ومن قبله الإمام البنا الذي أعلنها صراحة لكل المسلمين، براءة الإخوان المسلمين من المطامع والمنافع، فقال رضى الله عنه^(١):

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا - وكل المسلمين قومنا - أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة قد تسامت في نزاهتها حتى تجاوزت المطامع الشخصية. واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدماً في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلسنا نسأل الناس شيئاً، ولا نقتضيهم مالاً ولا نطلبهم بأجر، ولا نتزيد بهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً، إن أجرنا في ذلك إلا على الذى فطرنا].
وفى رده شبهة العمل السياسى يقول الإمام البنا^(٢):

ويقول قوم آخرون إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى... ولا ندرى إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب، وتترك يقيناً يؤيده الواقع فى سبيل ظن توجيه الشكوك؟

يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسياً فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة وإن شتمت أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شتمت فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات].

●● موقف الإخوان من الحكومات.. هو موقف الناصح الشفيق:

إن جماعة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها وقيامها تقف من الحكومة موقف الناصح الأمين الشفيق، ومسعاهم هو الإصلاح فى شتى صورته، وفى هذا المجال يقول الإمام الشهيد^(٣):
[فأما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها فهو موقف الناصح الشفيق، الذى يتمنى لها السداد والتوفيق، وأن يصلح الله بها هذا الفساد، وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا فى واد وهى فى واد، ويا ويح الشجى من الخلى].

(١) رسالة: دعوتنا - للإمام الشهيد.

(٢) رسالة: إلى أى شىء ندعو الناس - للإمام الشهيد.

(٣) المؤتمر السادس.

لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيراً من مناهج الإصلاح ، وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية في كثير من الشؤون التي تمس صميم الحياة المصرية .

لقد لفتنا نظرها إلى وجوب الغاية بإصلاح الإدارة الحكومية نفسها ، باختيار الرجال وتركيز الأعمال وتبسيط الإجراءات ومراعاة الكفايات والقضاء على الاستثناءات . وإلى إصلاح منابع الثقافة ، بإعادة النظر في التعليم ومراقبة الصحف والكتب والسينما والمسرح والإذاعة ، واستدراك نواحي النقص فيها وتوجيهها الوجهة الصالحة . .

وإصلاح القانون ، باستمداده من شرائع الإسلام ومحاربة المنكر ومقاومة الإثم بالحدود والعقوبات الزاجرة الرادعة . .

وتوجيه الشعب وجهة صالحة ، بشغله بالنافع من الأعمال في أوقات الفراغ . . [.]

●● الإخوان يؤمنون بالتعددية وتداول السلطة ومبدأ الشورى؛

سنقوم بتوضيح مفصل في الفصل الثالث من هذا الباب ، إيمان الإخوان المسلمين بالتعددية وتداول السلطة ومبدأ الشورى ، ولكننا نوجز في هذا المقام هذا الأمر ، وننقل ما قاله الأستاذ مصطفى مشهور وهو يجيب عن تساؤلات التي وضعها على طريق الدعوة . . يقول رضى الله عنه : [إننا نؤمن بتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي ، وأنه لا حاجة لأن تضع السلطة قيوداً من جانبها على تكوين ونشاط الجماعات والأحزاب السياسية ، وإنما يترك لكل فئة أن تعلن ما تدعو إليه وتوضح منهجها ، وما دامت الشريعة الإسلامية هي الدستور الأسمى ، وهي القانون الذي يطبقه قضاء مستقل محصن ، بعيداً عن أى سلطة أو جهة ، ومؤهل فكرياً وعلمياً وفقهياً وثقافياً ، فإن في ذلك ما يكفي لضمان سلامة المجتمع واستقامته على الطريق السوى ، واتخاذ الإجراء الشرعى المناسب تجاه من يخرج عن المبادئ الأساسية التي لا خلاف فيها بين علماء وفقهاء المسلمين ، والتي تعتبر المقومات الأساسية للمجتمع] (١) .

●● الإخوان المسلمون يحملون المشروع الحضارى للإنسانية؛

الإخوان المسلمون يحملون الإسلام ويعملون على رفع رايته وإعلاء كلمته وتحكيم شرعه ، فالإسلام هو أكمل الحضارات ، وأشمل المناهج ، وأخلد الأنظمة ، أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ فقال : ﴿ فَلذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ

(١) من فقه الدعوة - تساؤلات على الطريق - مصطفى مشهور .

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿[الشورى: ١٥]، وأمره أن يأخذه به كله فقال: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ولكن من الحكمة أن نستفيد من النافع المفيد فيها والذي لا يعارض شيئاً مما جاء في الحضارة الإسلامية . . . يقول الحاج مصطفى مشهور: [نقول لشعب مصر إنه ليس في الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر، كما يمد الإسلام بذلك كله أمه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة . فنراه يث الأمل للمستضعفين فيقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

ونراه يدعو إلى العزة القومية لأمة الإسلام: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ونراه يستنهض الهمم للجهاد ورد عدوان المعتدين: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤].

ونراه يهتم بالصحة العامة وقوة الأبدان: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وحديث الرسول ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١) وقوله: «إن لبدنك عليك حقاً»^(٢).

ونراه يهتم بالعلم والأخلاق، وبالاقتصاد وبكل النظم العامة^(٣).
نفهم الحضارة^(٤): من خلال تعريف المفكر الإسلامي العالمى مالك بن نبي: [البحث الفكرى والبحث الروحى] وتعريف العلامة أبو الأعلى المودودى: [تصور سليم للحياة الدنيا وغايتها فى نظام اجتماعى يقود الإنسان إلى الرقى والإخاء والأمان] ومن تعريف العلامة الكبير سيد قطب: [ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ تصلح لقيادة البشرية وتسمح لها بالنمو والترقى الحقيقيين، النمو والترقى للعنصر الإنسانى وللقيم الإنسانية وللحياة الإنسانية].

(١) صحيح سبق تخريجه عند مسلم برقم ٢٦٦٤ .

(٢) متفق عليه البخارى بأرقام ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٦٨، ٦١٣٠، ٦١٣٤ ومسلم برقم ١١٥٩ .

(٣) من فقه الدعوة - من التيار الإسلامى إلى شعب مصر - مصطفى مشهور .

(٤) من كتاب: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية - د. توفيق يوسف الواعى .

نعم الإخوان المسلمون يحملون حضارة الإسلام التي جاءت لخير الإنسانية جميعاً: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] أما حضارة الغرب فقد تجاهلت أهم ما فى الإنسان وهو روحه وقلبه وإيمانه، ولذلك دمرته تدميراً، لأنها أعطته علماً مكتته به من عبور الأجواء والمشى على القمر، لكنها أضعفت روحه فلم يعرف الرحمة بأخيه الإنسان ولم يعرف الحب والخير، بقدر ما عرف كيف يدمر أخاه الإنسان بالحروب الفتاكة، والانحلال الخلقى المدمر.

•• من أقوال علماء الغرب عن حضارتهم:

١- العالم الفرنسى [اليكس كارليل] يقول: [إن الحضارة العصرية تجرد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلاثنا، فقد أنشئت بدون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ إنها تولدت عن أخيلة الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأهوائهم ونظرياتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة لحجمنا وشكلنا].

٢- رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق [ولسون] يقول: [إن اختصار المسألة بأسرها هو ما يلى: إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار فى البقاء من الناحية المادية، إلا إذا استردت روحانيتها، هذا هو التحدى النهائى لكنائسها ومنظماتها السياسية، للرأسماليين عندنا، ولكل فرد يخاف الله أو يحب بلده].

٣- جون فستر دالاس - وزير خارجية أمريكا من عام ١٩٥٢م - ١٩٥٩م يقول: [إن هناك شيئاً ما يسير بشكل خاطئ فى أمتنا، وإلما أصبحنا فى هذا الحرج وفى هذه الحالة النفسية... لا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً، وأن يملكنا الذعر، إن ذلك أمر جديد فى تاريخنا... إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمى فى الأشياء المادية، إنما نقصنا هو إيمان صحيح قوى، فبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها... فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية، فإن النتائج السيئة تصبح أمراً حتمياً. وفى بلادنا لا تجتذب نظمنا الإخلاص الروحى اللازم للدفاع عنها، وهناك حيرة فى عقول الناس، وتآكل لأرواحهم، وذلك يجعل أمتنا معرضة للتغلغل المعادى - كما كشفت عنه أنشطة الجواسيس الذين تم كشفهم حتى الآن، ولن نستطيع أى إدارة لمكافحة التجسس أن تقوم بحمايتنا فى هذه الظروف.

لقد تقابلنا مع أقسى الاختيارات التى يمكن أن يلتقى بها أى شعب، وهو اختيار الحياة فى رفاهية، لقد قال يسوع: إن هذه الأشياء المادية سيحظى بها أولئك الذين يعملون من أجل ما

أمر به الله، من أجل تحقيق عدالته، ولكن عندما يحدث ذلك فعندئذ يبدأ الامتحان الأكبر، لأن هذه الأشياء المادية يمكنها أن تصبح الصدا الذي ينخر في الأرواح.

نستطيع أن نتحدث ببلاغة عن التقدم الذي حققناه وعن روائع الإنتاج الجماعي، وعدد السيارات وأجهزة الراديو والتليفزيونات التي يمتلكها أفراد شعبنا، ولكن المبالغة في وصف الماديات تعطى البعض فكرة بأننا قد أفلسنا من الناحية الروحية.

لقد أخفقنا بشكل يدعو إلى الرثاء في أن من الممكن الحصول على عدالة اجتماعية دون أن نمارس الإلحاد والمادية.

ونتيجة لذلك فإن كثيراً من قوما قد فقدوا إيمانهم في مجتمع حر، وكأمة فقدنا كذلك إيماننا الديني، وممارسة شعائرتنا الدينية، على الرغم من أننا مازلنا متدينين، ولم نعد نؤمن بأن الإيمان يتمشى مع الظروف الحديثة!! ومتى تحطمت الصلة بين الإيمان والعمل، فلن نستطيع بعد ذلك أن ننمي قوة روحية نستطيع نشرها في أنحاء العالم.

إن العبودية والاستبداد لا يمكن أن يكونا صواباً حتى ولو بصفة استثنائية، ويجب أن لا نخشى وضع الأديان في مرتبة الصدارة بالنسبة لحرية الإنسانية والتحرر، وأن نتمسك بالرأى الديني القائل: إن الله قد خلق الإنسان لكي يكون أكثر من منتج مادي، وأن غايته النهائية شيء آخر غير الأمن الجسدي.

ويجب أن نفهم بوضوح أن مجتمعاً حرّاً ليس معناه مجتمعاً يسعى كل فرد فيه لنفسه، بل إنه مجتمع متناسق، والقيود المفروضة هي قبل كل شيء روابط الأخوة المنبعثة من الإيمان، فإن الناس خلّقوا كي يعيشوا إخواناً في رعاية الله. . .^(١)

•• حكومة الإخوان لن تكون حكومة دينية؛

واجه الأعداء سعى كل إسلامي لتطبيق شرع الله وتحكيم كتابه بتهمة [إقامة حكومة دينية]، ولما أراد الإخوان إنشاء حزب سياسي اتهموهم بأنهم ينادون بحزب ديني. . . تماماً كما حاول بعض الباحثين الغربيين نسبة نظام (الحق الإلهي) إلى عصر الرسول ﷺ وانقلابه إلى حكم مطلق (ثيوقراطي) تنتقل فيه السلطة إلى قبضة الخلفاء تأسيساً على المبدأ الديني القائل بأن الحكم هبة من الله^(٢). . . ويؤكد الأستاذ موسى جار الله أنه: [لم تكن حكومة الإسلام أصلاً

(١) كتاب: حرب أم سلام - جون فومستر دالاس.

(٢) كتاب: وجهة الإسلام - الأستاذان: جب وماسينيون. ص ٢٧.

وأبدأ، لا في عصر الرسالة ولا في عصر الخلافة الراشدة حكرمة ثيوقراطية، وإن توهم كثير من أهل العلم غربيون ومتغربون أنها ثيوقراطية^(١).

•• مذهب الحق الإلهي وحكم الرسول ﷺ:

تُعرف مذاهب الحق الإلهي - الثيوقراطية - اصطلاحاً بأنها [المذاهب القائلة بأن السلطة مصدرها الله وأن الدولة إنما هي نظام إلهي، أي نظام من صنع الله] ويقول الأستاذ روجي: إن هذه المذاهب تعمل على تفسير وتبرير السلطة السياسية وذلك عن طريق تدخل سلطة سماوية^(٢).

وقد مرت فكرة الحق الإلهي بأدوار ثلاثة:

- الدور الأول:

كان يدعى الحاكم صفة الألوهية وأنه إله على الأرض أو يشترك مع الإله في ألوهيته كما ادعى ملوك الفراعنة قديماً، وما فعله أباطرة اليابان حتى العصور الحديثة.

- الدور الثاني:

ظهرت نظرية الحق الإلهي المباشر في القرنين السابع عشر والثامن عشر - يقابلهما على وجه التقريب القرنان العاشر والحادي عشر من الهجرة - في فرنسا وخاصة في عصر لويس الرابع عشر، وظلت الفكرة باقية في ألمانيا حتى أوائل القرن العشرين، فقد جاء على لسان غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا في عام ١٩١٠ م - موافق ١٣٢٨ هـ - أنه يستمد سلطته من الله وكذلك لا يحفل بالرأي العام أو مشيئة البرلمان.

- الدور الثالث:

تطورت نظرية الحق الإلهي المباشر إلى غير المباشر، فالمنادون بالحكم في ظلها يدعون بأن الله قد هيأ لهم الظروف الملائمة لكي يتولوا الحكم.

ويتبين لنا من هذا التعريف أن النظرية في صورها المختلفة - وخاصة في الدور الثاني بها - اتخذت سلاحاً لتبرير السلطة المطلقة للملوك وتدعيم العسف والاستبداد، وبالرغم من أن المسيحية الكنسية كما صاغها (بولس) وقدمها لأوروبا فصلت ما بين الدين والدولة عمداً بقول المسيح [دع ما لقيصر ليقصر، وما لله لله] إلا أنه قد نادى به البعض بعد انتشار المسيحية بعدة قرون.

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة - موسى جار الله - ص ٣.

(٢) القانون الدستوري والأنظمة السياسية - د. عبد الحميد متولى - ج ١ / ص ٣٢.

فهو مذهب في حقيقته لا يستند إلى الدين المسيحي (الخالص) أيضاً، بل يصح أن يعد ضد هذا الدين^(١)، فهل تنطبق هذه الظروف مع عهد رسول الله ﷺ؟ وهل تتفق أوصاف هؤلاء الملوك مع صفات النبي ﷺ؟

ملاحظات مهمة للنقاش:

ابتدعت نظرية الحق الإلهي المباشر كأسلوب من أساليب الحكم - لتبرير حكم ملوك مسيحيين في أوروبا - بعد عصر الرسول ﷺ بما يقرب من عشرة قرون .

وفكرة فرض السلطة وتبريرها تتعارض مع صفات الرسول ﷺ كمؤسس دولة [دعوته للتوحيد ضد عبادة الأوثان وتأليه الأشخاص ملوكاً كانوا أو أباطرة أو قساوسة أو أجبارة ورهباناً، وهدفها تخليص البشر من عبادة الأوثان وتوجيه العقول إلى كشف أسرار الوجود وحقايقه للاهتداء إلى وجود الله الواحد الأحد]^(٢)، وكذلك: [لم يدع الإنفراد بالنبوة، وإنما اعترف بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، ولم يكره اليهود والنصارى على ترك دينهم... (٣) فكيف يقال إنه فرض نفسه حاكماً؟! . . . ورسول الله ﷺ لم يرث حكماً ولم يدع لنفسه ملكاً وإنما شق طريقه ونشر رسالته بصعوبة بالغة وعانى ألوان العذاب، ومع ذلك رفض ما عرض عليه من حكم ومُلك وسلطان، وأيضاً يجب أن نفرق بين الحق الإلهي المطلق هذه النظرية التي وضعها فلاسفة السياسة - وبين الوحي الإلهي وهو رسالة من الله للبشر عن طريق الأنبياء والرسل .

•• دعامة حكم الرسول ﷺ:

يقوم منهج رسول الله ﷺ في الحكم على ركنين بارزين ودعامتين أساسيتين وهما:

١ - البيعة:

تلقى رسول الله ﷺ ببعثي العقبة بعد الإقناع بالحسنى والموعظة الحسنة للدخول في الإسلام، فلما قبل المسلمون وأعلنوا الشهادة أخذ منهم البيعة وفق مبادئ محددة هي: [ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفترية من بين أيدينا ولا أرجلنا، ولا نعصيه في معروف... (٤)].

(١) القانون الدستوري والأنظمة السياسية - د. عبد الحميد متولى - ج ١ ص ٣٤ وما بعدها . وكتاب: النظم السياسية - د. محمد طه بدوي - ج ١ ص ٤٧، ٤٨ .

(٢) كتاب رسالة محمد، منبع عظمته - الشيخ محمد الصادق عرجون - ص ١١ .

(٣) كتاب: حكم النبي - ليون تولستوى ص ٦، ٣٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ج/١ ص ٤٣٤ وانظر صحيح البخاري ج/٢ ص ٣٢٨ . وأرقام ١٧٠٩، ٣٣٩٢، ٦٨٧٣ ومسلم برقم ١٠٧٩ .

ونقول توضيحاً لما سبق :

- البيعة عهد على الطاعة أى - المبايع يفوض الأمير بالنظر فى أمره وأمر المسلمين ويعاهده على الطاعة فيما يكلفه به فى المنشط والمكروه^(١).

- تتضمن البيعة ثلاثة أطراف : الحاكم ، القائمون بالبيعة ، حدود الشريعة .

ورسول الله ﷺ لم يأخذ البيعة لنفسه وإنما دعاهم إلى الله وأكد أنه ليس بمكافئهم شيئاً على بيعتهم وإنما أمرهم إلى الله وقال لهم : « إن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء عذبتکم وإن شاء غفر لكم»^(٢) ، ولم يشترط فى البيعة عدم العصيان المطلق بل حدده فقط [فى المعروف]^(٣).

فهذه البيعة عقد تاريخى تم فيه الاتفاق بين إرادات إنسانية حرة وأفكار واعية ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية^(٤).

وشملت البيعة الرجال والنساء الراغبات فى الإسلام .

٢- الشورى :

أمر الله رسوله بالشورى برغم ما أمده به من التوفيق والتأييد^(٥) ، واختلف العلماء فى حكمة المشاورة ، فمنهم من قال : [الأمر بالمشاورة فى الحرب للاهتداء إلى رأى الصحيح ليعمل به - وهو قول الحسن البصرى-] [ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم]^(٦) وقال قتادة : [إن الله أمر بالمشاورة لتأليفهم وتطبيب نفوسهم] وقال الضحاك : [للمنافع التى تعود من اتباع المشاورة ، يرجع إلى حض المسلمین على اتباع هذه الوسيلة لأن النبى ﷺ كان فى غنى عن المشورة .

فالشورى إذن للمنافع والاهتداء إلى الصواب واجتماع الكلمة ، وزاد ابن جماعة بأنها كانت عادة الأنبياء^(٥) وقد أفردنا مكاناً واسعاً للحديث عن مبدأ الشورى فى باب سابق من هذا الكتاب .

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل التاسع والعشرون .

(٢) لا يوجد هذا النص فى أى من كتب الحديث .

(٣) متفق عليه [إنما الطاعة فى المعروف] البخارى بأرقام ٤٣٤٠ ، ٧١٤٥ ، ٧٢٥٧ ومسلم برقم ١٨٤٠ .

(٤) النظريات السياسية - د. الرئيس - ص ١٦ .

(٥) الأحكام السلطانية - الماوردى - ص ٤٣ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى - ج/٤ ص ٩٤ ، ٩٥ .

•• التغيير الفوقى ليس هو الخيار لدى الإخوان المسلمين:

إن نموذج التغيير الفوقى الذى يبدأ بتغيير ترتيبات الحكم والسلطة فى المجتمع ليس هو الخيار بالنسبة للإخوان المسلمين . .

ورفض الإمام البنا استخدام الثورة فى التغيير وقال: [وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر فى إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدى ذلك حتماً إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام إلا نذيراً من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال]^(٢).

ومن أهم ما قاله الإمام البنا فى هذا المجال: [فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطف فأجره فى ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة]^(٣) فمنهج الإخوان المسلمين فى التغيير هو منهج النبوة وهو: الدعوة، والتربية المتأنية . .

وغاية الإخوان: الإصلاح الحقيقى الشامل بالتعاون مع الشعب المصرى الأبى الحر، من خلال القنوات الدستورية والقانونية - لإقامة شرع الله وفى ذلك صلاح الدنيا والدين .

والإخوان المسلمون لا يملون النصح ومحاولات الإصلاح منذ نشأتهم وإلى يومنا هذا مهما تجاهلت الحكومات المتتالية الوثائق والعرائض المقدمة من الإخوان المسلمين منفردين أو متعاونين مع القوى السياسية .

وللحاج مصطفى مشهور رسالة: [من التيار الإسلامى إلى شعب مصر] الهدف منها: [تحقيق الالتحام الكامل والتعاون التام بين التيار الإسلامى والشعب للنهوض بالوطن، والتعرف على الداء، وتشخيص الدواء، والتعاون فى إقامة البناء على أساس سليم متين بإذن الله].

(٦) تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام - القاضى بدر الدين ابن جماعة - الباب الحادى عشر فى فضل الجهاد (مخطوط).

(٢) رسالة المؤتمر الخامس - للإمام البنا.

(٣) المرجع السابق نفسه .

وكانت آخر مبادرة تقدم بها الإخوان المسلمون حول مبادئ الإصلاح في مصر بتاريخ الأربعاء ١٢ من المحرم ١٤٢٥ هـ - الموافق ٣ مارس ٢٠٠٤ م^(١) . . أكدوا فيها رفضهم للهيمنة الأجنبية وإدانتهم لكافة أشكال التدخل الأجنبي في شئون مصر والمنطقة العربية والإسلامية . . وأن الإصلاح الشامل مطلب وطني وقومي وإسلامي وأن الشعوب هي المعنية أساساً بأخذ المبادرة لتحقيق الإصلاح الذي يهدف إلى إنجاز آمالها في حياة حرة كريمة، ونهضة شاملة، وحرية وعدل، ومساواة وشورى . .

وأن البداية يجب أن تكون من الإصلاح السياسي الذي هو نقطة الانطلاق لإصلاح بقية مجالات الحياة كلها . .

وأن القيام بريادة هذا الإصلاح لا تقوى عليه حكومة ولا أى قوى سياسية منفردة . . بل هو عبء يجب أن يحمله الجميع . . وأن المصلحة الوطنية العامة التي تؤدي إلى تضافر الجهود جميعاً، هي فريضة الوقت للوقوف بحسم ضد المخططات الهادفة إلى استباحة المنطقة، وللنهوض بجد من العثرات وعلاج المشكلات وإحداث التقدم المأمول والرقى المنشود . .

وأن الثالوث المدمر لهذه الأمة من جمود سياسي، وفساد وظلم اجتماعي وتخلف علمي وتقني، يهدد مصر الآن في أمنها الوطني ومكانتها القومية وريادتها الإسلامية ودورها العالمي .

وإيماناً منهم بأنهم يدعون بدعوة الله وهي أسمى الدعوات، وينادون بفكرة الإسلام وهي أقوم الفكر، ويقدمون للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع وأن العالم كله في أمس الحاجة إلى هذه الدعوة وإلى كل شيء يمهدها ويهيئ سبيلها تقدم الإخوان المسلمون بهذه المبادرة إلى المصريين جميعاً شعباً وأحزاباً وقوى وطنية وحكومة ويحدوهم الأمل في أن تجد الاهتمام المناسب من الجميع بالمناقشة والحوار حتى يتم إثراء هذه الرؤية الشاملة للإصلاح ويتحقق التعاون بين أبناء هذه الأمة بما يتناسب مع طموحاتها ومصالحها .

تقدم الإخوان المسلمون بهذه المبادرة على أسس ومنطلقات :

فمن خلال حقهم الأصيل في المشاركة الجادة والفاعلة في الحياة السياسية المصرية وعلى أساس أنهم جزء مهم من هذا الشعب الحر الأبي، فمهمتهم تتمثل إجمالاً في: العمل على إقامة شرع الله إيماناً منهم بأنه المخرج الحقيقي والفاعل لكل ما يعانى به الشعب من مشكلات داخلية

(١) مبادرة الإخوان المسلمين حول مبادئ الإصلاح في مصر - التي أعلنت في المؤتمر الصحفي الذي عقد في نقابة الصحفيين المصرية- بالقاهرة يوم الأربعاء ١٢ من محرم ١٤٢٥ هـ - الموافق ٣ مارس ٢٠٠٤ م.

وخارجية -سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية- وذلك من خلال تكوين [الفرد المسلم والبيت المسلم والحكومة المسلمة، والدولة المسلمة التي تقود الدول الإسلامية، وتقيم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم، وترد إليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم السليبة، وتحمل لواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بخير الإسلام وتعاليمه]. فهذه هي غاية الإخوان المسلمين وهذا هو منهجهم، أما رؤيتهم لإحداث الإصلاح فيرتكز على ثلاثة أسس هي:

- ١- ثوابت الأمة وقيمها.
 - ٢- مراعاة الواقع وملاءمة الظروف.
 - ٣- تحقيق آمال هذا الشعب وطموحات هذه الأمة.
- وتتحدد معالم مبادرة الإخوان المسلمين حول المبادئ العامة للإصلاح في مصر في الخطوط الرئيسية التالية:

- أولاً: في مجال بناء الإنسان المصري.
- ثانياً: في مجال الإصلاح السياسي.
- ثالثاً: في مجال الإصلاح القضائي.
- رابعاً: في مجال الإصلاح الانتخابي.
- خامساً: في مجال الإصلاح الاقتصادي.
- سادساً: في مجال التعليم والبحث العلمي.
- سابعاً: في مجال إصلاح الأزهر الشريف.
- ثامناً: في مجال مكافحة ظاهرة الفقر.
- تاسعاً: في مجال الإصلاح الاجتماعي.
- عاشراً: في مجال المرأة.
- حادي عشر: في مجال الإخوة الأقباط.
- ثاني عشر: في المجال الثقافي.
- ثالث عشر: في مجال السياسة الخارجية.
- رابع عشر: أهم القضايا القومية (فلسطين والعراق)^(١).

(١) راجع تفصيلات هذه الخطوط الرئيسية في الكتيب المطبوع [مبادرة الإخوان المسلمين حول مبادئ الإصلاح في مصر].

في الختام أقول: الخلافة الإسلامية هي الهدف الأسمى لدى الإخوان المسلمين، ولكنها ليست المطلب في هذه المرحلة، فهي في تصورهم وأذهانهم وصحيح أفكارهم، ولتحقيقها لا بد من الإعداد وإكمال المراحل واتخاذ الوسائل والخطط . . . والإخوان المسلمون يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون بالتي هي أحسن، وهم ضد التطرف والعنف والإرهاب، يتخذون الأسلوب السلمى المتاح ولا يخالفون الدستور، ويشاركون المجتمع في العمل السياسى مشاركة وليست مغالبة سواء أكان ذلك فى النقابات المهنية والمحليات ومجلس الشعب وغيره، ولهم وجود واسع ويشكلون القوى السياسية المنافسة الواسعة الوجود فى الشارع المصرى، والدليل على ذلك نجاحهم فى انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥م بعدد ثمانية وثمانين عضواً، ويؤمنون بتداول السلطة وتعدد الأحزاب والمنهج الديمقراطى، ويتعاونون مع القوى السياسية الأخرى لإرساء الحرية والديمقراطية ومحاربة الديكتاتورية والقضاء عليها، ويؤمنون بالمواطنة والمساواة بين جميع المصريين، ويسعون لإنشاء حزب سياسى مدنى ذى مرجعية إسلامية وفقاً للدستور؛ ولهم الحق فى ذلك . . . فهل بعد هذا كله يشكك المتشككون ويخاف المتخوفون من حكومة الإخوان المسلمين . . . [المزعومة]!!

الفصل الثاني

البناء الداخلي [التربية.. التكوين]

المقصود بالبناء الداخلي في هذا الفصل : [التربية والتكوين]، أي بناء الجماعة وبناء الصف، حيث لا يقوم بناء الجماعة إلا بالتربية والتكوين والالتزام بتعاليم الإسلام لتكوين القاعدة المتينة التي سيقوم عليها الصرح المنشود [الخلافة الإسلامية]، والبناء الداخلي هو إعداد ذلك النموذج الإسلامي القوي الإيمان والمتجرد لدعوته والمضحى في سبيلها، والثابت معها حتى يلقي الله... وهذا يحتم التزام طريق التربية وعدم الرضى بغيره بديلاً أبداً.

والارتباط بين هذا الفصل [البناء الداخلي] والفصل الأول [الخلافة الإسلامية] ارتباط وثيق، حيث إن الفصل الثاني هو الأساس الذي سيقوم عليه الفصل الأول، وقد عرفنا أن الخلافة الإسلامية هي الهدف المنشود، والهدف يمثل لدينا الصرح الشامخ والمبنى العظيم، وكلما كان البناء ضخماً كبيراً عالياً... كان أساسه قوياً عريضاً واسعاً عميقاً، وإلا لما تحمل هذا البناء الضخم وسرعان ما يتهدم البناء الذي يقوم على أساس ضعيف..

●● الفلسفة الإسلامية في البناء:

يقول الحاج مصطفى مشهور: (١)

«إن لنا فلسفتنا الإسلامية في البناء، والتي تحقق أكمل بناء وأفضله، والمتمثلة في منهاج كامل للحياة، من عند الله المتصف بالكمال، الذي يعلم كل ما يصلح الخلق وما يفسدهم، وما ينفعهم وما يضرهم، لأنه هو الذي خلقهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وإذا علمنا أنه بالناس رؤوف رحيم، ولم يطلب منهم أو يكلفهم إلا بما فيه خيرهم، ولم يحرم عليهم أو ينهاهم إلا عما هو شر لهم. فإيماننا بالله يحتم علينا الثقة التامة لصلاح منهج الله وشريعته كنظام لحياتنا، وألا نرضى بغيره بديلاً من تلك المناهج التي اجتهد فيها البشر لأنفسهم.

إن أهم عنصر في البناء لكي يكون سليماً هو بناء [المواطن الصالح] على المثل العليا والأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها ديننا، ولنعلم أن بناء الرجل أعظم وأهم من بناء المؤسسات

(١) من فقه الدعوة - التيار الإسلامي ودوره في البناء - مصطفى مشهور.

أو المصانع ، وهل يرجى من هذه المؤسسات خير إذا كان المواطن الذى سيقوم عليها مخرباً من داخله ، فلا ضمير ولا أمانة ولا إخلاص؟

وجدير بى وأنا أتناول هذه القضية المهمة أن أذكر بكلام الإمام الشهيد حسن البنا حول قضية النهوض والبناء وسنجد أنه جدير بالتقدير والأخذ به .

يقول رحمه الله : «إن الأمم المجاهدة التى تواجه نهضة جديدة ، وتجتاز دور انتقال خطير ، وتريد أن تبنى حياتها المستقبلية على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهية والهناء ، وتطالب بحق مسلوب وعز مغصوب ، فى حاجة إلى بناء النفوس ، وتشبيد الأخلاق ، وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة ، حتى يصمدوا لما يقف فى طريقهم من عقبات ، ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب . إن الرجل سر حياة الأمم ومصدر نهضاتها ، وإن تاريخ الأمم جميعاً إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات» .

ثم يقول : «وإن الأمة التى تحيط بها ظروفنا ، وتنهض لمهمة كمهمتنا ، وتواجه واجبات كتلكم التى نواجهها ، لا ينفعها أن تسلى بالمسكنات ، أو تتعلل بالأمال والأمانى ، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف ، وصراع قوى شديد بين الحق والباطل ، وبين النافع والضار ، وبين صاحب الحق وغاصبه ، وسالك الطريق وناكبه ، وبين المخلصين الغيورين ، والأدعياء المزيفين . وإن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد ، والجهاد هو التعب والعناء ، وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

وليس للأمة عدة فى هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة ، والعزيمة القوية الصادقة ، والسخاء بالتضحيات ، والإقدام عند الملمات ، وبغير ذلك تُغلب على أمرها ، ويكون الفشل حليف أبنائها» .

ثم يقول رحمه الله : «إن الإخوان استعرضوا وسائل تربية النفوس ، وتجديد الأرواح ، وتقوية الأخلاق ، وتنمية الرجولة الصحيحة فى نفوس الأمة ، فلم يجدوا أقرب ولا أجدى من الفكرة الدينية والاستمساك بأهداب الدين» .

«الدين الذى يحيى الضمير ، ويوقظ الشعور ، وينبه القلوب ، ويترك مع كل نفس رقيباً لا يغفل ، وحارساً لا يسهو ، وشاهداً لا يجامل ، ولا يحايب ، ولا يضل ولا ينسى ، يصاحبها فى الغدوة والروحة ، والمجتمع والخلوة ، ويرقبها فى كل زمان ، ويلحظها فى كل مكان ، ويدفعها إلى الخيرات دفعاً ، ويدعها عن المآثم دعماً ، ويجنبها طريق الزلل ، ويبصرها سبيل الخير والشر : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمُ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠] .

هكذا يوضح لنا الإمام الشهيد طبيعة البناء، والأساس الذى يقوم عليه، ومن أين تبدأ. واعتقد أن أى تنكب لهذا التصور أو مخالفته، ستعرض البناء إلى الانهيار أو عدم التمام. إن هذه النوعية من الرجال هم لبنات البناء الصلبة المتينة التى يقوم بها بناء الوطن، فبأمثالهم تقوم الأسرة المثالية التى تمثل ركيزة فى بناء المجتمع، فما المجتمع إلا مجموعة من الأسر، وإذا انهارت الأسرة انهار المجتمع.

والإسلام كما اهتم بمقومات الفرد، اهتم كذلك بمقومات الأسرة، وحماتها من عوامل التفسخ والانحلال، فهى المحضن الذى ينشئ الأجيال ويصنع الرجال. ولتأخذ الدرس بما يحدث الآن فى الغرب، فالانهيار الأخلاقى سائر فى كثير من مجتمعات الدول الغربية، وانتشار الرذيلة والفوضى الجنسية، كل ذلك تسبب فى انهيار الأسرة، بل أعرض الكثير عن إقامة أسرة وتحمل متطلباتها، وصارت تلك الدول تشكو الآن من التفريغ السكانى، وتسعى لتشجيع النسل، ولكنها تفشل لأن الأساس مفقود.

ولا أكون مغالياً إذا قلت: إن مستقبل هذه الدول لا يبشر بخير، إذا استمر الحال على ما هو عليه، رغم التقدم العمرانى المادى الموجود، وستتشر الجرائم، وتتوالى الأزمات وتتنوع، لفقدان الضمير والوازع العقيدى، والاكتفاء بالقوانين، إن الشباب فى كل أمة هو عدة مستقبلها ودرعها الواقى، فإذا انهدمت مقومات شخصية هذا الشباب، تعرض مستقبل تلك الأمة إلى الضياع، وعلى العكس من ذلك، إذا أردنا بناء مستقبل زاهر لأمتنا، فعلينا أن نعد الشباب ونربيههم، على المثل والقيم والأخلاق الفاضلة، ولن يكون ذلك إلا على أساس من عقيدة الإسلام.

إن الشباب المسلم الملتزم بإسلامه هو عدة المستقبل، والدرع الواقى لأمتنا من كل عدوان مادى أو معنوى، أما الشباب المائع المنحل أخلاقياً فلا يُعتمد عليه فى بناء، ويمكن أن يساوم على مصلحة وطنه إشباعاً لشهواته ورغباته الشخصية.

هذا هو الطريق للبناء السليم، وهذه بدايته ولبناته إن كنا صادقين فى توجيهنا للنهوض بوطننا، وتداركه من الهاوية التى يتردى فيها، إن ما يسمونه بالخطئة الخمسية تهتم أول ما تهتم بال عمران المادى، وما يتكلفه من نفقات، ومدى توفرها، وما تحتاجه من قروض لتنفيذ الخطئة، ولو غرقنا لآذاننا فى الديون وفوائدها، فى حين أن الأمر الجدير بالاهتمام هو [إعداد الرجال وبناء المواطنين الصالحين] الذين يقوم على أكتافهم صرح البناء الشامخ، فى استقرار وازدهار، كهدف يتردد ذكره هذه الأيام.

ما أحوجنا أن نركز في الخطة على تسخير كل أجهزة الدولة : التعليمية والإعلامية والاجتماعية وغيرها، لإعداد المواطن الصالح على أساس من القيم الدينية، وتنقية هذه الأجهزة من كل ما يفسد ويخرب المواطن .

إن أى تنكب لهذا الطريق لن يؤدي إلى خير، وسنظل في تخبط وانحدار، إننا نسمع ونقرأ كل يوم عن قضايا نهب واختلاس، ونفاجأ بإعفاء مجالس إدارة كثير من شركات القطاع العام، لانحراف أعضاء تلك المجالس، وتعريض الشركات إلى الخسارة .

ماذا يفيد إذاً أن نضع الخطة للإنشاء والتعمير، وإقامة المصانع والمؤسسات ثم يقوم عليها أفراد منحرفون، لم يعدوا الإعداد اللائق والذي تعرضنا لبيانه؟ النتيجة الحتمية هي ضياع كل ما أنفق من جهد ومال في إنشاء هذه المؤسسات دون جدوى وكما يقول المثل : [بينفخ في قربة مقطوعة] .

إننا ندعو المسؤولين، وكل غيور على مستقبل هذا الوطن أن يناقشنا في تصورنا هذا، حول قضية البناء، وهل هناك تصور أفضل منه وأضمن لتحقيق المستقبل الزاهر لهذا الوطن؟

نقرأ ونسمع من يرجعون سبب سوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية إلى الانفجار السكاني . هذا التعليل هو مشجب الفشل، وسوء التخطيط، والجري وراء المبادئ الأرضية، والفلسفات المادية، إن الطاقة البشرية هي أئمن وأغلى طاقة، حينما يخطط لها لحسن استثمارها وتوجيهها، بعد الاهتمام بإعداد الأفراد وتربيتهم . إن من سوء التخطيط تلك الموجات من الخريجين التي تنداعى كل عام في بطالة وشتات، إن تكدس العاملين في بعض دواوين الحكومة بسبب التزام الحكومة بتعيينهم لم يرتفع بمستوى العمل، بل هبط به .

إن الأمر يحتاج إلى مراجعة شاملة وجادة، ووضع الخطة السليمة لتدارك الحال . يراعى فيها كل المعانى التي أوضحناها سابقاً، وكل ما يقدمه المخلصون من أبناء هذا الوطن من أفكار أو آراء نافعة] .

هذه هي الفلسفة الإسلامية في البناء والتي طبقها ونفذها تنظيم الإخوان داخل الجماعة، فكان الاهتمام البالغ في هذا التنظيم بقسم التربية، ومعه التكوين أى الهيكلة التنظيمية لاكمال البناء الداخلى للجماعة .

●● التربية:

يقول الحاج مصطفى: «التربية في الجماعة من أئزم الأمور وأهمها لتحقيق مرحلة التكوين وإعداد العنصر الأساسى فى البناء وهو الفرد المسلم الذى يقوم به البيت المسلم والمجتمع

المسلم والحكومة المسلمة، ويمثل النموذج والقُدوة العملية لأخلاق الإسلام وأدابه وامتثال أوامره ونواهيه.

وقد أثبتت الأحداث والأيام أنه بقدر الاهتمام بالتربية تتحقق الأصالة للمحركة واستمراريتها ونموها، ويكون التلاحم بين الأفراد ووحدة الصف، والتعاون والإنتاج المبارك لكل جهد يبذل، ولكل مال ينفق ولكل وقت يقضى. وعكس ذلك إذا أهمل جانب التربية أو حدث فيه تقصير، يظهر الضعف والخلخلة في الصف ويبرز الخلاف والفرقة ويتضاءل التعاون ويقل الإنتاج.

وكلنا يعلم أن المسلمين الأوائل الذين نالوا حظاً وافراً من تربية الرسول ﷺ قامت على أكتافهم دولة الإسلام الأولى وأبلاوا بلاء حسناً^(١).

تشهد الأمة الإسلامية بأن حركة الإخوان المسلمين تمثل أعظم مدرسة نموذجية ناجحة للتربية الإسلامية الحقة، وتشهد للإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه أنه كوّن جيلاً مسلماً جديداً فريداً يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويؤمن به إيماناً عميقاً، ويطبقه في نفسه تطبيقاً سليماً، ويدعو الناس إليه، ويجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى ويسعى لتحكيم شرعه سبحانه، ويهدف لجمع الأمة المسلمة تحت الخلافة الإسلامية ويهتف دوماً: [الله غايتنا، الرسول زعيمنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا]^(٢).

وبهذه المناسبة أذكر شهادة خاصة وهي شهادة لأساتذة التربية: [كان الدكتور صالح عبد العزيز وكيلاً لمعهد التربية في القاهرة ثم وكيلاً للوزارة، قال في إحدى محاضراته عن الإصلاح: أصارحكم يا أبنائي بأن الإصلاح بأساليبنا وتفكيرنا شبه مستحيل، ونحن عاجزون، ولكن شيئاً واحداً يلمع في الأفق بالأمل، تلك هي تربية الإخوان المسلمين التي حدد معالمها حسن البنا وربى عليها جيله، أنا لا أدري كيف ربى حسن البنا رجاله وشبابه، أتدرون لم قُتل حسن البنا؟ إنه قتل من أجل التربية التي ستغير عجلة التاريخ الإسلامي]^(٣)، شهد الرجل بهذه الشهادة وهو يطرح ما استوردوه من أساليب التربية التي يسمونها حديثة ومتطورة وعصرية وراقية، ويرمون الأسلوب الإسلامي بالتخلف والرجعية!!

(١) وله عشرون ملاحظة للأخ المربي ليستفيد منها في مجال التربية وليكون قدوة في هذا المجال وقد ذكرناها كاملة في مكان سابق من هذا الكتاب.

(٢) الإمام الشهيد حسن البنا - مجدد القرن الرابع عشر الهجري - أحمد حسن شوريجي - ص ٢٠١.

(٣) شهداء على طريق الحق - على جاد مطر - ص ٩٦.

إن سبب نجاح الإمام الشهيد في تكوين هذا الجيل الفريد، هو إيمانه الفريد العميق الذي لا يتزعزع بأن التربية هي الوسيلة الوحيدة لتغيير المجتمع، مع أن طريقها بعيدة وشاقة، ولا يصبر عليها إلا أولو العزم، ولكنها هي طريق الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فوضع لهم منهاجاً للتربية محددًا وواضحًا، مصدره كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهما لهم جواً جماعياً متآلفاً، وكان هو يمددهم بما وهبه الله تعالى من فطرة سليمة وثقافة عالية وواسعة وخبرة واعية وقلب مؤثر بإخلاصه، وأنشأ لهم محاضن تربية وهي: [الأسرة... الكتيبة... المعسكر... الجواله]. واتخذ لهم وسائل مرنة متنوعة وهي: [الخطب... المحاضرات... الندوات... حديث الثلاثاء... الشعارات... الهتافات... الأناشيد... اللقاءات... الرحلات... الليالي القمرية... الفرق الكشفية والرياضية] وغيرها من أساليبه ووسائله العظيمة رضى الله عنه^(١).

فقد آمن رضى الله عنه بالإسلام دعوة وبالإيمان مادتها، فاستنهض أحاسيسه كلها لتعمل في ميدان العقل والنفس والشعور... فانبتت ينابيع كثيرة للخير كانت مجهولة... وتفجرت طاقة للشباب كانت مبددة ومقهورة وأشعلها يقظة في الوجدان والمشاعر وصحوة في القلب والوعى والشعور^(٢).

إن ما يميز دعوة الإخوان المسلمين أنها محددة الغاية والهدف والوسائل ومصطفى مشهور كما نعلم نشأ في المحاضن التربوية التي أقامها الإمام الشهيد حسن البناء، وتشرب الفكرة وترسخت وتمكنت في وجدانه، وتعمق كثيراً في فهم وتشرب أسلوب الإمام البنا المستمد من أسلوب رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله عز وجل... وتعهد أصحابه رضوان الله عليهم بالمتابعة والتربية.

وفهم أيضاً من التقاء صحابة رسول الله ﷺ به في [دار الأرقم] وعلى فترات طويلة ومتابعة... لم يكن ذلك من أجل حفظهم لما ينزل عليه من آيات القرآن فقط، وإلا لما احتاج الأمر إلى هذا الوقت الطويل، وإنما الأمر كان للمعايشة والإعداد والتربية، وغرس قيم وقواعد الإيمان في النفس والقلب والوجدان وإعداد هذا الجيل لحمل تبعة الإسلام للدنيا كلها... فلا بد أن يتميز هذا الجيل إذن بإعداد خاص وفريد... فالمسألة إذن ليس... حفظ نصوص وآيات... إنما هي إعداد نفوس وقلوب تحمل الحق وتؤمن به... وتنطلق تدعو إليه

(١) الإمام الشهيد حسن البناء مجدد القرن الرابع عشر الهجرى - أحمد حسن شوربجى ص ٢٠١.

(٢) حسن البناء: مواقف في الدعوة والتربية - عباس السيسى.

وتحمل همّ تبليغه . . . وتحمل ما يترتب على الحركة به من تبعات ومشقات وآلام ومتاعب وابتلاءات .

وفهم أيضاً أن المرحلة التي تمر بها دعوة الإخوان المسلمين هي مرحلة إعداد وتأسيس وإرساء قواعد متينة يجب أن توضع بعناية فائقة . . . ولا بد من تعهد الشباب بالمتابعة والتربية . . . لذلك نراه وهو يضع المعالم على طريق الدعوة من أضواء وعقبات ومنعطفات ومحن، ويحدد أصالة الدعوة ويجنبها الانحراف ليكون الدعوة والداعية قدوة صالحة، ولسلوك طريق الدعوة جهز الزاد اللازم للدعاة من صلاة وزكاة وصيام وحج وذكر وقيام ودعاء واتباع سنة وجهاد وصحبة وعمل صالح، ويوضح قضية الإيمان، ويعلمنا المناجاة لله كيف تكون، ولتجديد إيماننا يكشف لنا عن أسرار الربانية والمادية، ثم يحدد لنا مقومات رجل العقيدة، ليكون قدوة على طريق الدعوة فيجاهد حق الجهاد ليصلح مجتمعه، وبالتعاون مع هذا المجتمع الصالح يحقق الهدف المنشود والغاية العظيمة . وهذا كله يدور في فلك [التربية].

●● التكوين:

التكوين هنا يعنى البناء التنظيمى الإدارى للجماعة والذى يتمثل فى هيكلها الهرمى الذى يتكون من:

١- المرشد العام .

٢- مكتب الإرشاد .

٣- مجلس الشورى .

٤- المكاتب الإدارية - بالمحافظات .

٥- المناطق التابعة للمكاتب الإدارية .

٦- الشعب .

٧- المجموعات .

وهناك الأقسام وهى:

١- قسم التربية .

٢- قسم النشر .

٣- قسم المهنيين .

٤- قسم العمال .

٥- قسم الأشبال .

٦- قسم الأخوات .

٧- قسم الطلبة .

٨- قسم التخطيط .

- الأمانة العامة : وهي تشرف على هذه الأقسام .

والحاج مصطفى مشهور كما تجلت قدراته في البناء الفكري أيضاً تجلت في البناء التنظيمي الإداري، إذ إنه كان ذا مكانة عالية تؤهله لجمع شمل الإخوان المسلمين، وذا قلب كبير يجمع الناس حوله، وكان صاحب قدرة على الإقناع والوصول إلى الحلول الوسط التي تجعل الزمن جزءاً من العلاج كما كان يردد دائماً، وربما لا يقل دوره في إعادة هذا البناء عن الإمام الشهيد حسن البنا، ولا يوجد شخص في الإخوان المسلمين استطاع أن يجوب مصر وقراها بل وبلاد العالم المختلفة مثل مصطفى مشهور، وكان أعرف الإخوان بالرجال، وله ميزان دقيق يزن به الأخ المسلم وهو كما عرفناه في باب سابق [ميزان: أركان البيعة العشرة]..

وكان الحاج مصطفى أشد الإخوان حرصاً على كيان الجماعة ووحدتها وقوتها، وإثبات وجودها .

لذلك كان يختار الرجل المناسب في المكان المناسب له .

وهو الذي تولى أمر الشباب في السبعينيات، واستطاع أن يستوعب هذه الجموع التي تأثرت بأفكار شتى نزع منازع مختلفة، وبفضل الله كان يؤلف بين قلوبها ويوحد صفوفها ويتبنى منها لبنات صالحة لتتربى في المحاضن التربوية لدى دعوة الإخوان المسلمين، حتى وصلت هذه اللبنة الآن إلى تولى مسئوليات كبيرة في هيئات الجماعة وصولاً إلى المواقع القيادية . . لذلك كانت مكانته بين الشباب كبيرة وكانوا يعرفونه أكثر من بقية القيادات، وحتى لا يسبب ذلك حساسية لدى المرشدين السابقين له كان يحرص هو دائماً على أن يعرف الشباب على الأستاذين عمر التلمساني ومحمد حامد أبو النصر، وهما من جانبهما كانا لا يحسمان أمراً يتعلق بالأجيال الشابة إلا في وجوده أو بمعرفته .

لقد زرع الأسر بنفسه من جديد، وكان يسافر إلى المحافظات ليقوم بتأسيسها بنفسه، فقد سافر إلى [طنطا] ليضع الأسرة النواة بمحافظة الغربية .

وكان يختار الرجل المناسب في المكان كما قلت، فقد اختار على سبيل المثال: الدكتور محمد السيد حبيب في قسم المهنيين، واختار الدكتور رشاد البيومي عضواً في مكتب الإرشاد، وفي السبعينيات اختار ثلاثة إخوة في مكتب الطلبة هم: د. رشاد البيومي في جامعة القاهرة، د. على شهبان في جامعة عين شمس، د. محمود عزت في جامعة الزقازيق. واختار الأستاذ جلال عبد العزيز مسئولاً عن محافظة كفر الشيخ، واختار الشيخ يوسف عليان رحمه الله مسئولاً عن محافظة أسوان، واختار في الأربعينيات محمود الصباغ في قيادة النظام الخاص.

وكما نعلم أنه عمل بهيئة الأرصاد الجوية [متنبي جوى] لفترة من الزمن بعد تخرجه من كلية العلوم، فاستفاد من عمله هذا باستشراف المستقبل والتخطيط له، فقد أضاف قسمًا جديدًا إلى أقسام العمل الدعوى وهو قسم [التخطيط] ولا عجب إذا عرف أنه كان إلى جوار عمله كمرشد عام لجماعة الإخوان المسلمين كان يشرف بنفسه على قسم التخطيط بها.

ونعلم أنه عاش في أوروبا نحو خمس سنوات بعد خروجه من مصر عام ١٩٨١م وتكليفه بالترقب والانتظار وعدم الإسراع بالعودة، وذلك بعد ظهور بوادر وإرهاصات أحداث سبتمبر ١٩٨١م، ف قضى هذه السنوات متنقلاً بين أوروبا والكويت وأمريكا فكانت فرصة عظيمة لتوثيق الروابط وإعادة بناء الهيكل التنظيمي، وكان له الدور الأكبر والأعظم في بناء التنظيم العالمي الذي انتشر الآن في أكثر من ثلاثة وسبعين دولة في العالم.

الفصل الثالث: قضايا الأمة

قضايا خارج مصر

[١]

قضية القضايا قضية فلسطين

احتلت القضية الفلسطينية مكاناً محورياً وتبوتاً مقعد الصدارة في فكر وحركة الحاج مصطفى مشهور، ودفع الثمن غالباً مع إخوانه بقيادة الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه - في سبيل فلسطين طيلة حياته في مسيرة جهاده منذ أن كان في قيادة النظام الخاص المنوط بمهمة الجهاد في فلسطين، وبسبب اهتمام الحركة الإسلامية بقضية فلسطين لاقى أبنائها الاعتقال والتضييق وفقدوا قائدهم ومرشدهم ومؤسس حركتهم الإمام الشهيد حسن البنا الذى يعتبر شهيداً من شهداء قضية فلسطين لمواقفه العظيمة منها، يقول رضى الله عنه وأرضاه عن فلسطين: [هى وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام، وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله].

●● مفهوم مشهور للقضية الفلسطينية:

إن مفهوم أستاذنا مصطفى مشهور للقضية الإسلامية ولكل قضايا العالم الإسلامى مفهوم له مرتكزات وأصول وضوابط من شرع الله، فأرض فلسطين وقف إسلامى على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط فيها، أو التنازل عن جزء منها، ولا يملك ذلك حاكم أو دولة أو منظمة، هذا حكمها فى شريعة الإسلام مثل كل أرض فتحها المسلمون، فهى وقف إلى يوم القيامة . .

القضية الفلسطينية أكبر قضية سياسية عنيت بها الحركة الإسلامية فى مصر وغيرها، ومنذ عام ١٩٣٦م كانت القضية شغل الحركة الإسلامية، فشغلت بال أستاذنا منذ ذلك الحين وهو من أبرز الحاملين هم هذه القضية، يقول أستاذنا^(١): [نظرة واحدة إلى الصحافة الإسلامية فى (١) مجلة الدعوة عدد [١٠٨] - ذو الحجة ١٤٢١هـ - مارس ٢٠٠١م - مقال تحت عنوان: [فى ذكرى الإمام حسن البنا . . شهيد فلسطين ورمز الجهاد والتضحية].

ذلك الوقت تبرهن على أن الخطر اليهودي الصهيوني كان واضحاً أمام الإسلاميين، وقد بذلوا في العالم العربي والإسلامي كل ما كان في وسعهم من جهد، من أجل تبصير المسلمين وتوعية الشعوب بهذا الخطر، وإعدادهم المادي والنفسي لمواجهة، ثم كان العمل المنظم المرتب لمقاومة الخطر. وقادت الحركة الإسلامية [الإخوان المسلمون] الدعوة إلى المقاطعة الاقتصادية لليهود، ولؤسساتهم التجارية والمؤسسات المتعاملة مع اليهود، وأعدت كشوفاً ضمنتها هذه الأسماء، كما تم طبع كتاب [النار والدمار في فلسطين] ووزع على نطاق واسع، وأقاموا المؤتمرات لنصرة فلسطين، وخرجت التظاهرات، ووزع الإخوان دعاء للقنوت في صلاة الفجر نصرة لفلسطين، وإحياء لقضيتها في النفوس، وانطلق رجال الحركة الإسلامية إلى المدن الفلسطينية يشاركون رجالها ويبحثون أحوالهم وما يحتاجون إليه ويقدمون لهم العون والنصح ويشاركونهم في محتهم].

•• محنة تقسم فلسطين:

[وحين جرى التأمير من خلال الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين والغدر بأهلها، بدأ العمل الجدي، والتحرك العسكري، والتدريب، وجمع السلاح، واستنفار المسلمين لرد الخطر، وتحولت شعب الإخوان المسلمين في مصر وفي البلاد العربية إلى خلايا نحل لا تهدأ ليلاً أو نهاراً، تستقبل أنواع المتطوعين المستعدين للجهاد بالنفس والمال، وما أكثرهم في تلك الأيام، ووجه الإمام البنا كلمة واضحة قوية إلى الزعماء والحكام العرب فقال: [أيها الزعماء، إن هذا الشعب ليس هازلاً ولكنه جاد، وإن كان ينقصنا اليوم السلاح فنستخلصه من أعدائنا، وقد عاهدنا الله أن نموت كراماً أو نعيش كراماً]. فقد بدأ شباب الإخوان من مصر وسوريا والأردن والعراق يتسللون إلى فلسطين، بالرغم من القيود التي فرضها الاستعمار، وحافظ عليها أذنابه، فقد اشترك الإخوان في الحرب، وفي هذه الأثناء أرسل الإمام البنا برقية إلى زعماء الدول العربية الذين اجتمعوا في [عالية] بלבنا قال فيها: [إنه على استعداد لدفع عشرة آلاف مجاهد كدفعة أولى إلى فلسطين، لكنهم لم يردوا عليه.

ومفهوم الجهاد عند الإخوان في فلسطين وغيرها ينطبق على:

- ١- رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين.
- ٢- تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول أعداء الله فتنهم عن دينهم.
- ٣- حماية الدعوة حتى تبلغ للناس جميعاً.
- ٤- إغاثة المظلومين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين.

كما طلب الإخوان من حكومة النقراشى السماح لهم بإدخال فوج من المجاهدين ليرابط في الجزء الشمالي من فلسطين في صحراء النقب، فرفض هذا الطلب وأصرروا على الرفض .
 وحين توجه اللواء المواوى - القائد الأول للحملة الفلسطينية - إلى رفح لتولى قيادة القوات المصرية - حيث مركز القيادة للجيش المصرى فى حملة فلسطين - وجد أنه قد سبق إليها عشرة آلاف متطوع الغالبية العظمى منهم من الإخوان المسلمين^(١) وقد أشاد ببطولاتهم وبسالتهم وقوة شكيמתهم ومعاونتهم للجيش المصرى فى الحرب .
 وشهد بذلك أيضاً اللواء أحمد فؤاد صادق الذى حل محل اللواء المواوى بعد رؤيته لبطولات الإخوان وما قدموه فى المعارك بشجاعتهم وبسالتهم فى ميدان القتال، وأقر بأن الجيش المصرى فى فلسطين كانت ثمره مواقف وأزمات فكان الإخوان - حتى بعد اعتقالهم - يقومون بإجلاء اليهود عن المواقع التى احتلوها، ثم يتم تسليمها للجيش المصرى، كل ذلك يتم فى هدوء وصمت وشجاعة لا نظير لها . إن نوعية المجاهدين فى فلسطين كانت لا نظير لها فى العطاء والكفاح .

• المؤامرة:

[وبينما قوات الإخوان المسلمين تسير بخطى ناجحة إلى النصر بجوار الجيش المصرى الباسل إذ بحكومة النقراشى - رئيس وزراء مصر آنذاك - تعلن الهدنة، وكان هذا أقصى ما يطلبه اليهود ليستطيعوا أن يعيدوا تنظيم صفوفهم وإقامة دولتهم، ثم أصدر قرار حل جماعة الإخوان وسحب الإخوان من ميادين القتال .
 وبهذه المؤامرة استجاب النقراشى لمطالب الاستعمار، وحل جماعة الإخوان التى تقف أمام اليهود، وقبض على قياداتها وأودعهم السجون والمعتقلات وطلب من قيادات الجيش فى فلسطين القبض على الإخوان فى الميدان، فرفض اللواء أحمد فؤاد صادق - قائد حملة الجيش المصرى - وطلب من الإخوان تسليم أسلحتهم فسلموها طائعين، وكان الإمام البنا قد أرسل خطاباً للإخوان فى فلسطين قال فيه: [إنه لا شأن للمتطوعين بالحوادث التى تجرى فى مصر، ومادام فى فلسطين يهودى واحد يقا تل فإن مهمتهم لم تنته]. وتم اعتقال المجاهدين فى العريش، وكان من الممكن ألا يسلموا السلاح، لكن المجاهد فى سبيل الله لا يعرف الانتقام لنفسه، ولا يقر عملاً لا ثمرة له، لأنه خرج لهدف عظيم لا يتحول عنه ولا يساوم عليه مهما تكن الظروف].

(١) كان مصطفى مشهور هو المسئول تربوياً عن إعداد هؤلاء المجاهدين فى النظام الخاص .

• توعية الأمة بقضية فلسطين^(١):

حرص أستاذنا الحاج مصطفى مشهور حرصاً كبيراً على توعية الشعوب والحكومات الإسلامية والعربية بأن القضية الفلسطينية ليست للفلسطينيين وحدهم ليقوموا بحمل أمانة الدفاع عنها بمفردهم، بل هي قضية كل المسلمين والعرب. يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [إن قضية فلسطين هي قضية كل الأمة العربية والإسلامية، ومسئوليتها، ولا بد من مبادرة الجميع لتحمل تبعات المعركة، ولا بد من دعم الانتفاضة، والعمل على استمرارها، والوقوف صفاً واحداً مع كل القوى الفاعلة، ولا بد من رفض التنازل أو التفريط في شبر واحد من هذا الوقف الإسلامي، وهو جميع أرض فلسطين المسلمة، ولا بد من صيانة الأقصى وحمائته، والدفاع عنه وعن كل المقدسات الإسلامية]^(٢).

إن القضية الفلسطينية هي قضية عربية إسلامية، وإن حلها لا بد أن يكون في الإطار العربي الإسلامي، وعلى أساس من الجهاد بالمال والنفس، ومن أجل هذا فقد أهابت بالشعوب وتهيب بحكامها أن يرفعوا أعلام الجهاد، وأن يمضوا على الدرب الذي مضى عليه صلاح الدين وقطرز في تحرير كامل الأرض، وطرد العدو، وإزالة آثار عدوانه، وحين يمضي حكامنا على الدرب الصحيح فإن الذين جادوا بالدماء والأرواح على أرض فلسطين عام ١٩٣٦، ١٩٤٨م، وحتى اليوم لا يبخلون بالدروس أو الخبرة لأنهم على استعداد - إن شاء الله - للتضحية بالمال والنفس، وكل ما يملكون لنصرة إخوانهم وتحرير ديارهم.

وفي إشارة إلى الشارع العربي والإسلامي بعروبة وإسلامية القدس يقول أستاذنا: [لقد عادت الحياة إلى الشارع العربي والإسلامي من خلال فهم صحيح لعروبة وإسلامية القضية والاعتناع العميق بأنها قضية عقيدة سلاحها الرئيسي هو الإيمان الذي يدفع إلى الجهاد، والبذل والعطاء، والتضحية بالنفس والمال، ونصرة شعب شقيق، وتحرير أرض مغتصبة والتصدى لكل المحاولات الإجرامية لتهويد القدس أو هدم الأقصى المبارك]^(٣).

وكثيراً ما كان يؤكد في كتاباته وحواراته أن قضية فلسطين هي قضية القضايا. . يقول أستاذنا في أحد حواراته ويؤكد أن: [قضية فلسطين هي قضية القضايا، والكيان الصهيوني الغاصب يمثل خطراً، وهو فوق أرضها بالنسبة لشعبها، وتاريخها، ودورها بالنسبة للإسلام

(١) مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية - إحسان سيد.

(٢) احذروا. . إنهم يحفرون الأخدود- مقال [للأستاذ مصطفى مشهور] - مركز الإعلام الفلسطيني.

(٣) حوار للأستاذ مصطفى مشهور مع مجلة العالم.

والمسلمين، ومن ثم فالحل الصحيح يتمثل في الجهاد، وحشد الأمة لطرد المحتل، وتحرير كامل الأرض، ودرء الأخطار عن كافة المسلمين.

والأمة قادرة على ذلك إذا صدقت النيات، وشحذت العزائم وخلصت الوجهات، «أما مشروع السلام فهذا استسلام وليس سلاماً، وهذا ما تؤكد مواقف العدو بنا»^(١).

● معاناة الشعب الفلسطيني:

كثيراً ما كان ينقل أستاذنا مشاهد من إجرام الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني في كلماته: [. . . وصورايخ إسرائيل اليوم تقتل المسلمين في فلسطين أرض الإسراء، وتهدم بيوتهم، ولا أحد يطالب إسرائيل أو أمريكا بوقف المجازر، أو رفع الإرهاب الواقع على المسلمين العزل، لكن الغريب حين يدافع المظلومون عن حقهم وعن بلادهم، وعن حريتهم وعن وجودهم تنطلق الأبواق تندد وتهدد، وتعتبر الدفاع المشروع في جميع القواطين والنظم عدواناً وإرهاباً، وتقوم إسرائيل اليوم بالضغط على السلطة الفلسطينية لمعاينة المجاهدين والزج بهم في السجون، وهذه لعبة يهودية خطيرة، وفتنة كبيرة أشد من القتل نرجو أن تتب السلطة الفلسطينية إلى عواقبها بالنسبة للمصف الفلسطيني الذي يقاوم اليهود، فتعمل على تقريب الفصائل الفلسطينية وتوحد صفها خاصة وأن الهدف الذي يلتقى حوله الجميع هدف عظيم . . . تحرير بيت المقدس، وتحرير قلب العالم الإسلامي الوطن الحبيب عند جميع المسلمين .

في هذه الظروف الحرجة يجب أن يفوتوا على اليهود كل ما يدبرون من شر، ويببتون من فكر للقضاء على الانتفاضة المباركة التي أصبحت نداءً لأعتى قوى الشر المجردة من الأخلاق والإنسانية التي كشرت عن أنيابها، وبدأت القتل والذبح والترويع للآمنين وهدم البيوت على أهلها وتخريب المساجد، والمصانع وكل شيء»^(٢).

● المواقف الدولية هي ميزان مشهور^(٣)

أ- الموقف الأمريكي:

يتمثل الموقف الأمريكي تجاه المشروع الصهيوني في:

(١) نفس الحوار.
(٢) من مقال للأستاذ مصطفى مشهور بعنوان: [أين ضمير العالم من دماء المسلمين؟] مركز الإعلام الفلسطيني بتاريخ ٢٤/١٢/٢٠٠١م.
(٣) انظر: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية.

- التحيز للكيان الصهيوني:

وبمختلف صورته وتنوع أساليبه مثل: الكيل بمكيالين، المخطط الأمريكي لتقسيم العالم العربي والإسلامي وإضعافه، السعي لإنهاء الدور الحضاري للأمة العربية والإسلامية، اتخاذ الإرهاب ذريعة للقضاء على مقدرات الأمة... إلى غير ذلك من الأساليب والوسائل التي تصب في صالح الصهيونية.

فسر الأستاذ مصطفى مشهور سر كراهية العرب والمسلمين لأمريكا (على المستوى الرسمي) في رسالة وجهها للرئيس بوش بقوله: [يجب أن نفرق بين الشعب الأمريكي الذي لا نكن له أي كراهية أو عداوة، وبين السياسة التي تتبعها الإدارة الأمريكية إزاء عالمنا العربي والإسلامي، وعلى سبيل المثال ففي الوقت الذي تدعم فيه أمريكا الكيان الصهيوني، وتؤكد حرصها على تفوقه على كافة العرب والمسلمين، وتمده بالسلاح والعتاد الأمريكي ليحاصر الشعب الفلسطيني الأعزل مع استخدام ما يريد من سياسة القمع والقهر التي لا مثيل لها، نجدتها تقف من الحق الفلسطيني موقف العداوة، وتعتبر الشعب الفلسطيني مصدر العنف، وتنكر عليه حقه في الأمن والحرية وتقرير المصير فوق أرضه، وفي دياره أيضاً تتجاوز الإدارة الأمريكية عن جرائم الكيان الصهيوني وسفكه لدماء الأبرياء في فلسطين، وتعتبر المنظمات الفلسطينية التي تعمل من أجل حرية شعبها وتحريره منظمات إرهابية^(١).

ووصف ما يجري على الساحة الإسلامية والعربية أنه هجمة أمريكية صهيونية تستهدف وجود العرب والمسلمين ومصيرهم ودورهم الحضاري وبالطبع أرضهم وديارهم وثرواتهم - تحت شعار (الحرب على الإرهاب) لتصفية القضية الفلسطينية ثم قضايا المسلمين فقال: [القضية الفلسطينية معرضة الآن للتصفية على كافة الساحات وفي مقدمتها ساحة المقاومة والحركات الإسلامية جزء منها]^(٢).

ويؤكد أستاذنا مصطفى مشهور الانحياز الأمريكي التام من خلال خطاب الرئيس بوش الذي كشف لنا حقيقة وأبعاد المخطط الأمريكي لدعم الكيان الصهيوني: فيقول: [أمامنا حقيقتان على أرض الواقع المأسوي تفضحان المخطط الصهيوني وتلقيان الضوء كافيًا على خطاب بوش، ليعرف القاصي والداني أن الخطاب لم يحمل للفلسطينيين الأشقاء العزل غير السراب والسباب والانتهاج بالإرهاب والإهانة ودفعهم لمحاربة بعضهم البعض، وتسخير

(١) حوار مع مجلة الميدان

(٢) حوار مع مجلة الوطن العربي.

أجهزة أمنهم لضرب أى مقاومة أو رفض للاحتلال الصهيونى ، وحماية أمن الكيان الصهيونى ، ولم يحمل للعرب إلا التهديد والإنذار وصيحات الوعد والوعيد].

- الحقيقة الأولى: أمريكا لن تؤيد قيام دولة ما لم يشن زعماؤها حرباً متواصلة على الإرهابيين ويدمروا بنيتهم التحتية ، وهذا يستلزم جهداً خاصاً لإشراف خارجى لإعادة بناء وإصلاح الأمن الفلسطينى .

يقول جورج بوش : [قلت فى الماضى إن الدول إما أن تكون معنا أو علينا فى الحرب على الإرهاب ، ولكى تحسب الدول على حساب السلام ، فإن عليها أن تتحرك ، وكل زعيم ملتزم فعلياً بالسلام سيدين علناً العمليات الانتحارية ، وكل دولة ملتزمة فعلياً بالسلام ستوقف تدفق الأموال والمعدات وعمليات التجنيد فى الجماعات الإرهابية الساعية إلى تدمير إسرائيل ، بما فى ذلك حماس والجهاد وحزب الله].

- الحقيقة الثانية: استحالة قيام دولة فلسطينية فى ظل المخطط الصهيونى الذى ينهض به السفاح (شارون) بدعم أمريكى فالمساحة الكلية للضفة [٥٨٧٠ كم٢] اقتطعت منها للمستعمرات الصهيونية ولبناء الجدران الأمنية ما قلص مساحتها إلى [١٨٨٨ كم٢] هى المساحة التى تشغلها التجمعات البشرية الفلسطينية المتمثلة فى المدن والقرى الفلسطينية فى الضفة .

فإذا كان العدو الصهيونى قد جرف الأراضى الزراعية وضم مساحات واسعة منها إلى أراضى ١٩٤٨ ، وبنى المستعمرات المنتشرة فى الضفة فوق مخازن المياه الجوفية فإن معنى ذلك أن المدن الفلسطينية فى الضفة والتى يجرى حصارها واقتحامها وهدم منازلها واعتقال شبابها وإذلال أبنائها وعزلها عن بعضها قد فقدت مقومات الحياة ، وموارد العيش ، وبذلك فقدت مقومات الدولة ، وبذلك يصبح الحديث عن دولة فلسطينية مؤقتة أو غير مؤقتة ليس إلا تبريراً للتراع ، ومحاولة للتحايل على الغضب العربى ، وتضييع الوقت حتى ينتهى الصهاينة من التهام الضفة . وفى هذا الإطار يأتى الضغط على عرفات لدفعه لمزيد من التنازلات أو السعى لإبعاده والبحث عن (قرضاى) فلسطينى يتم المرحلة .

●● إدانة مشهور للسياسة الأمريكية (الكيل بمكيالين):

أدان الأستاذ مصطفى مشهور البجاجة الأمريكية وسياسة الكيل بمكيالين لصالح الكيان الصهيونى بقوله : [ونحسب أن أمريكا لو كانت صادقة ومنصفة لما أقامت العراقيل فى مجلس الأمن أمام إرسال قوات دولية تفصل بين الفلسطينيين العزل فى الضفة وغزة وبين قوات الاحتلال

اليهودى، أو لفرقت بين المقاومة المشروعة لقوات غاصبة محتلة وبين الإرهاب، أو لأدانت الإرهاب الصهيونى، واستنكرت أو انحازت إلى جانب قرارات دولية استنكرت الاستعمار والمستعمرات اليهودية، واستنكرت ما جرى ويجرى فى القدس، أو لحالت دون استخدام السلاح الأمريكى فى قتل الضحايا وهدم المدن والقرى الفلسطينية وحصارها وعزلها، أو لحالت دون تحطيم شارون لكافة المؤسسات الفلسطينية الأمنية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.

إلا أن خطاب بوش صور الفلسطينيين على أنهم الإرهابيون القتلة وأن محاولاتهم المتواضعة للدفاع عن حرياتهم وحياتهم لا تعدو الإرهاب، وأن انتفاضتهم ضد الاحتلال وممارسته البشعة هى العنف، وأن واجب العرب أن يدينوه ويشاركوا فى فرض الحصار على الشعب الفلسطينى، وينخرطوا فى ترتيبات أمنية تشمل منطقة الشرق الأوسط الهدف منها ضمان الأمن اليهودى وحماية المصالح الأمريكية، وتأكيد تبعية العرب والمسلمين للسياسة الأمريكية والتطبيع الكامل مع العدو الذى احتل ديارهم وأرضهم، وقتل وشرد شعباً شقيقاً ويعد العدة لقتل وتشريد شعوب عربية وإسلامية أخرى فى الغد].

•• حرب مقدرات الأمة تحت شعار الإرهاب:

كشف أستاذنا مصطفى مشهور فى لقاءاته، أبعاد الحرب الأمريكية الصهيونية على مقدرات الأمة تحت شعار الإرهاب بقوله: [وفى أجواء الحرب الأمريكية على الإرهاب شنت أمريكا هجوماً على التعليم ومناهجه فى عالم العرب والمسلمين، ومارست ضغوطها لتغيير المناهج، وخاصة المناهج الدينية، كما مارست ضغوطها لحصار العمل الخيرى الإسلامى، وفى الوقت نفسه تحرك الكيان الصهيونى الغاصب ليحكم الحصار الخائق حول الأشقاء الفلسطينيين فى الضفة وغزة، ويحصد أرواحهم ويسفك دماءهم، ويصادر كافة مظاهر وأسباب الحياة فوق أرضهم بأسلحة أمريكية، سعياً لابتلاع الضفة وغزة وإنهاء القضية الفلسطينية وإغلاق ملفها]^(١).

•• تلخيص مشهور لحقيقة العلاقة المشينة بين أمريكا والصهاينة:

- حصر أستاذنا حقيقة هذه العلاقة المشينة المتحيزة تمام الإنحياز فى أربع نقاط وهى:
- ١- أن أمريكا قد صارت القوة المنفردة بالسطوة والنفوذ على الساحة العالمية خاصة على ساحتنا العربية والإسلامية.
 - ٢- صار من الحقائق المعروفة للجميع أن أمريكا صار لها الموقف المنحاز المعلن ضد كل حقوق وقضايا العرب والمسلمين.

(١) حوار مع مجلة الوطن.

٣- تقف أمريكا اليوم سافرة في صف الديكتاتوريات وضد الشعوب وتجاهر بمساندتها الكاملة للكيان الصهيوني الغاصب المعتدى على الشعب الفلسطيني المسلم الأعزل وضد حقه في الحرية والحياة.

٤- ويصح من غير المنطقي أن ينتظر البعض من أمثال هؤلاء أن يقفوا موقف العدل والإنصاف أو فهم حقوق الشعوب وعدم الانحياز.

وما أشبه الليلة بالبارحة [خصوصاً اليوم هم خصوم أمس، وهم يقومون بنفس الدور الذي كان يقوم به أعداء الدين على عهد نزول القرآن]^(١).

ب- موقف دول الغرب المتواطئ:

عن موقف دول الغرب المتواطئ يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [الغريب أن الغرب نسي أو تناسى حروبه الصليبية التي شنّها على عالم العرب والمسلمين حتى ولغت في دماء المسلمين أقدام الغزاة الصليبيين، وتبقى القدس مثلاً على أشنع جرائم الحروب الصليبية التي خضبت أرضها الطاهرة بدماء الألوف من ضحايا المسلمين حين اقتحمها الصليبيون].

ونسى الغرب أو تناسى الغزو الاستعماري، وتقسيم العالم العربي والإسلامي بين دول الاستعمار التي وإن رحلت كجيوش استمرت تستخدم أسلحة الغزو الاقتصادي والفكري والثقافي ليقبى عالم العرب والمسلمين خاضعاً للسيطرة والنفوذ والهيمنة.

ونسى الغرب أو تناسى وعد بلفور، الذي منحت المجلترا لليهود بمقتضاه وطناً يهودياً فوق أرض فلسطين العربية الإسلامية، ثم توالى وتواصل الدعم الغربي الأوروبي والأمريكي ليجسد كياناً صهيونياً غاصباً وسط عالم العرب والمسلمين، وفوق أكتاف من جماجم الضحايا، وأنهار من دماء العرب والمسلمين الأبرياء أصحاب الأرض والديار.

ونحسب أن ما يهدف إليه الغرب من تصريحات زعمائه ومستولييه بعد إعلان الحرب الأمريكية على الإرهاب ليس بغامض، وليس ثمة سبيل أو وسيلة نحول بها دون تحقيقه لأهدافه على صعيد هويتنا وأصالتنا وحررتنا وأمننا واستقلال إرادتنا وقرارنا وأقطارنا، سوى الإسلام العقيدة والشريعة، ونظام الحياة، الإسلام بمفاهيمه الصحيحة^(٢).

(١) الأستاذ مصطفى مشهور... موكب الأنبياء والرسول وقضية الصراع بين الحق والباطل - موقع المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠٠٢/١/١٥ م.

(٢) الأستاذ مصطفى مشهور... إنها حرب تستهدف الإسلام والمسلمين - موقع مركز الإعلام الفلسطيني ٢٠٠٢/١/١٥ م.

•• جريمة الحضارة الغربية في هذا العصر:

عن هذا الأمر يقول الأستاذ مصطفى مشهور: [كانت جريمة هذه الحضارة الكبرى في هذا العصر: هي تمكين اليهود من الهجرة إلى فلسطين الإسلامية في ظل الانتداب البريطاني والسماح لهم بتكوين عصابات إرهابية تقتل أهل البلاد المسلمين، وتدمر منازلهم وتستولي على أرضهم وقراهم في حماية الإنجليز بالحديد والنار، وكانت النتيجة أن استولى اليهود على فلسطين، وشرّدوا أهلها، وعندما ثار الشعب الفلسطيني الأعزل في انتفاضة الأقصى، وقدم الشهداء والتضحيات، وتحمل الحصار والجوع والعدوان والدمار، وبدأ الاستشهاديون عملياتهم من أجل تحرير الأرض والمقدسات، وشعر الغرب بالخطورة على أمن الكيان الصهيوني، سارع المبعوثون من كل دول الغرب من أجل التهدئة، ووقف ما يسمونه بإطلاق النار.

وفي الوقت الذي يحاربون فيه الدول العربية ويجبرونها على التوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية يستثنون الكيان الصهيوني، ورغم أنهم يزعمون محاربتهم للعنصرية فإنهم يضغطون على الدول حتى تسحب تأييدها لقرار صادر من الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية دعوة عنصرية.

ورغم أنهم يزعمون محاربتهم للاضطهاد الديني فإنهم يتغاضون عن اضطهاد اليهود للمسلمين في فلسطين إلى حد حرمانهم من الصلاة في المسجد الأقصى، وتدمير المساجد، واحتلال القدس الشريف، والسعي لهدم المسجد الأقصى لإقامة الهيكل المزعوم مكانه.

ورغم زعمهم الانحياز لحقوق الإنسان وتقييم الأنظمة حسب موقفها منها فإنهم يرون حقوق الإنسان الفلسطيني تسحق؛ ابتداء من حق الحياة والحرية إلى حق التنقل والعمل.

وإن سياسة الكيل بمكيالين هي أبرز خصائص الحضارة الغربية المادية النفعية، ورغم التقدم المادي والعلمي والتقني الهائل الذي أنتجته هذه الحضارة، فإنه لن يستطيع أن يستر عورات هذه الحضارة، ولن يحميه إلا أن يفيء إلى كنف الحضارة الإسلامية الإنسانية السامية^(١).

ج- موقف الأمم المتحدة:

أدرك أستاذنا أن المجتمع الدولي والمنظمات الدولية وأمريكا والاتحاد الأوروبي جهات لا تستطيع أن تصنع شيئاً لصالح الشعب الفلسطيني أو لصالح العرب والمسلمين.

كما أدرك الشعب الفلسطيني منذ وقت مبكر أن المظلة الأمريكية لا تظل غير اليهود، كما

(١) حضارتنا وحضارتهم - مركز الإعلام الفلسطيني، رسالة الإخوان [العدد ٢٤٠]، ١٣/٧/٢٠٠١م.

أن الهيئات الدولية، والاتحاد الأوروبي، والدول الكبرى منحازة لمصالحها الخاصة، إضافة إلى انحيازها إلى الكيان الصهيوني، ومن ثم فالاستنكارات والتنديدات أو مناشدة واشنطن، وعواصم أوروبا أو المجتمع الدولي والمنظمات الدولية لا تحقق مصلحة، ولا ترد عدواناً، ولن تتدخل لتدفع عدواً، أو لتنشر على العرب والمسلمين سلاماً وأماناً^(١).

ويؤكد أستاذنا أن الأمم المتحدة فقدت جزءاً كبيراً من مصداقيتها وفعاليتها الدولية، ولم تعد تحتكم للقانون الدولي، وأحكام الميثاق، كما لم تعد أجهزتها التنفيذية تتوخى تطبيق العدل، والديمقراطية في ظل خضوعها لهيمنة أمريكا فيقول: [إن الأمم المتحدة لم تكن محايدة في القضية الفلسطينية في ظل اعتمادها سياسة الكيل بمكيالين، وأن أمريكا تستخدم الفيتو في مجلس الأمن والضغط، وأساليب التهريب والترغيب ضد الدول صاحبة الأصوات في المفاوضات العليا لحقوق الإنسان لصياغة قرارات تتماشى مع المصالح الأمريكية، وليس أمام العرب إلا اللجوء إلى القوة الذاتية، وهي الإمكانيات البشرية والعسكرية والسياسية الهائلة التي يمتلكها العرب في مواجهة التعنت اليهودي]^(٢).

●● الموقف العربي في ميزان مشهور^(٣) ●●

قرر أستاذنا في مناسبات عديدة أن: [ثمة فجوة وجفوة واسعة بين الشعوب والحكومات العربية والإسلامية تجاه قضايا الأمة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، فقد أكدت الشعوب عروبة وإسلامية القضية الفلسطينية، واتخذت موقفاً حازماً وواضحاً من الكيان الصهيوني ومن القوى الدولية التي تناصره وتدعمه وعلى رأسها الولايات المتحدة، وأعلنت تأييدها للعمليات الاستشهادية، وأفتى علماؤها بشرعية هذه العمليات والمنزلة العظيمة التي سينعم بها الشهداء، ورفضت متاهات المفاوضات، وأعلنت عدم ثقتها في اليهود، وأدركت أن المنظمات الدولية لا تملك قراراً ولا تنحاز للعدل ولا تناصر مظلوماً، أما الحكومات العربية فقد أدانت المقاومة، واعتبرت العمليات الاستشهادية عنفاً وإرهاباً].

١- الموقف الشعبي العربي:

أبدى الأستاذ مصطفى مشهور تحيزه الدائم والداعم لقضية الشعوب وتأييدها لانتفاضة الشعب الفلسطيني الصامد، فقرر أن: [الشارع العربي من خلال حماسه التي صاحبت انتفاضة الأقصى المباركة أعلن انحياز الشعوب العربية للشعب الفلسطيني الشقيق، ولقضيته

(٢) المرجع السابق.

(١) الانتفاضة تكمل عامها الثالث.

(٣) انظر: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية.

وتحرير كامل أرضه، ولاقتلاع جذور العدو، وعبر الشارع العربي ويعبر عن ذلك بأسلوب حضاري يستحق التقدير، وطالب ويطالب الحكومات بدعم الشعب الفلسطيني بشتى أشكال الدعم وفتح الحدود لتحقيق وتأكيد الدعم، وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني وأمريكا، لأن الخطر يهدد الجميع على مستوى الشعب وعلى مستوى الحكومات، ومن ثم فإن الأمر يقتضى وقفة صلبة جادة من الحكومات والشعوب لمواجهة الخطر الأمريكى والصهيونى، وهى وقفة تقتضى إزالة ما بين الحكومات من خلافات، وإزالة ما بين الحكومات والشعوب من جفوة فى تأكيد وحدة الأمة فى أخطر مراحل تاريخها الحديث]. بعد أن صار واضحاً ومفهوماً على الساحة العربية الشعبية بمستوياتها المختلفة أن الحلول السياسية والتفاوضية تحت الرعاية الأمريكية لم تجلب على الأمة إلا النكبات والكوارث^(١).

وقد اتضحت موافقة الشعوب العربية والإسلامية ليس فقط على دعم انتفاضة الأقصى المباركة لكنها أعلنت كذلك موقفها جلياً ومنذ اللحظة الأولى لترتيبات المفاوضات والحلول السياسية للقضية الفلسطينية، وهو ما رصده الأستاذ مصطفى مشهور فى كثير من لقاءاته ومقالاته، إذ رفضت مؤتمر مدريد، وكذلك اتفاقيات أوسلو، وأصررت على مدى سنوات على رفض التطبيع مع الكيان الصهيونى الغاصب من منطلق عقائدى إيمانى] ويقول: [وهبت الشعوب العربية والإسلامية رغم ما أحاط ويحيط بها من قيود حواجز وتعلن غضبتها وثورتها وتؤكد انحيازها بالمال والنفس للشعب الشقيق الأعزل، وتعيد تأكيدها رفض الكيان الصهيونى، ورفضها شتى أشكال العدوان الأمريكى ورفعها أعلام الجهاد سبيلاً لتحرير الأرض التى هى أرض العرب والمسلمين، مما يجعل التفريط فى ذرة من رمالها جريمة يُحاسب عليها كل المسلمين].

وأعلن أستاذنا مشهور أن موقف الشعوب العربية يدعم صمود الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن هويته العربية الإسلامية بقوله:

[ولقد جاءت انتفاضة الشعوب العربية حين انفجر بركان ثورتها هى الأخرى لتؤكد تجاوبها مع ثورة وانتفاضة الشعب الفلسطينى العربى المسلم الشقيق فى مواجهة العدوان الصهيونى على الحرم القدسى، والمحاولات الصهيونية الإجرامية لطمس عروبة وإسلامية القدس وتقويض المسجد الأقصى، فكان من الطبيعى أن يتفجر سيل الحشود والمسيرات الشعبية الهادرة فى كافة الأقطار العربية تدعم الانتفاضة فى مواجهة الحصار الصهيونى المضروب حول

(١) حوار مع مجلة الوطن العربى العدد [١٣١٤] - ١٠/٥/٢٠٠٢م.

الضفة وغزة وقصف الطائرات والصواريخ المتواصل ضد أبناء الشعب الأعزل وهي ترفع رايات الجهاد، وتطالب الحكومات العربية والإسلامية بضرورة دعم الانتفاضة وتقديم كافة أشكال العون لها حتى تواصل صمودها ومسيرتها].

وأنه: [قد التقت الشعوب مع الشعب الفلسطيني حول ضرورة تحرير كل الأرض واقتلاع جذور العدو والعدوان، وضرورة قطع كافة أشكال العلاقات والاتصالات مع العدو الصهيوني، مع رفض شتى أشكال التطبيع، مع إحكام كل أسباب ووسائل الحصار حوله، وبالطبع مع تسخير كافة الإمكانيات لدعم الشعب الفلسطيني، خاصة المفروضة على حركتنا والمعوقات التي تحد من جهودنا]^(١).

وأكد أن: [الرفض القاطع مع المعارضة الشديدة كانا هما أهم ما يميز موقف الشعوب العربية والإسلامية من اتفاقات أوسلو التي عقدتها منظمة التحرير مع الكيان الصهيوني الغاصب عام ١٩٩٣م، وهو موقف يعبر عن هوية وأصالة الشعوب ويجسد التزامها بشريعة ربها].

[كما أن الشعوب العربية بكافة قطاعاتها تدرك وتؤمن أن اليهود هم أشد الناس عداوة للمسلمين، وقد أكدوا هذا العدا منذ بعثة النبي ﷺ وتبشيره بدعوته.. وأيضاً تدرك الشعوب الإسلامية والعربية أن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة، وأن مصلحتهم هي هدفهم ومقصدتهم الأول والأخير ولو على حساب القيم والمثل.. أو على حساب وجود ومصير الآخرين.

وكذلك تعرف الشعوب جيداً أن قيادات وزعامات الصهيونية قد عقدت مؤتمراً في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م أعلنت فيه بلا مواربة وفي تحد سافر لكل العرب والمسلمين، العزم اليهودي على اغتصاب فلسطين والمد زحفاً إلى ما حول فلسطين وفق جدول زمني حددوا فيه ٥٠ عاماً لقيام دولة لهم في فلسطين ومائة عام لقيام وطن قومي لهم على أشلاء كل العرب والمسلمين فيما حول فلسطين، يؤكدون من خلاله سيادة مشروعهم، وإنهاء مصير ووجود ودور العرب والمسلمين العقيدى والتاريخى والحضارى، وها هم ينفذون مخططهم باجتياح عسكري أكثر من إجرامى عاث في الأبرياء العزل تقتيلاً وسفكاً للدماء وتدميراً وهدماً للمساكن وتجريفاً للأرض والمزروعات واعتقالاً وتعذيباً للشباب وتنكيلاً وإذلالاً للشيوخ والأمهات والأخوات]^(٢).

(١) حوار مع مجلة الوطن العربى ١٥/٥/٢٠٠٢م.

(٢) موقف تاريخى منتظر للامة من حكامها - ٢٣/٦/٢٠٠٢م.

٢- الموقف الرسمي العربي:

عبر مشهور عن استيائه الشديد من واقع الحكومات والقيادات العربية وتهافتها على السلام المزعوم على الأعتاب الأمريكية والصهيونية، واستنكر لهث هذه الحكومات على موائد الصهيونيين اللثام تحت شعار التفاوض من أجل السلام. يقول أستاذنا:

[والغريب في الأمر أن الحكومات العربية وسلطة الحكم الذاتي لا تفتأ تؤكد التفاوض والحلول السلمية سبيلاً للحصول على الفتات مع رفع شعار السلام كخيار استراتيجي في الوقت الذي يستعين فيه العدو الصهيوني بكل الإمكانيات الحربية وأحدث الأسلحة، ومنها أسلحة الدمار الشامل، ويلتقى العرب وهو مدجج بكافة أشكال السلاح ليعلن أن المفاوضات مع السلاح مع الاستيطان مع قتل الأبرياء الفلسطينيين تمثل كلها سبيلاً لتحقيق أهدافه وبلوغ غاياته والوصول إلى حدود وطنه المزعوم من النيل إلى الفرات، الأمر الذي يحتم على العرب وحدة الصف مع قطع العلاقات مع العدو وإعداد الأمة لمواجهة حاسمة معه تحقق تحرر كل فلسطين].

وأشار أستاذنا إلى أن: [أخطر ما يعد للمنطقة اليوم هو التطبيع مع اليهود، التطبيع مع المعتصب والمعتدى، التطبيع مع الذي يفرض نفسه بالقوة، والتطبيع مع من يغتصب الأرض والعرض ويشرد الأهل ويقضى على الكيان]^(١).

ونبه هذه الحكومات إلى أن يتعلموا من عدوهم ثبات مبدئه ووضح غاياته وأن [مضى] الزمن واختلاف الليل والنهار لا يجعل الحرام حلالاً ولا المنكر معروفاً. فالعدوان في موازين الإسلام هو العدوان، والاعتصاب هو الاعتصاب، والسرقه هي السرقه، والظلم هو الظلم، فما الذي تغير من جانب العدو حتى نادى بالتقارب والتطبيع والسلام؟ فالمستوطنات تزرع في القدس، والشباب المسلم المجاهد يعيش في أشد الظروف داخل السجون الإسرائيلية، وإسرائيل أصبحت ترسانة للأسلحة النووية ومعها ما لا تملكه البلاد العربية مجتمعة، وكل مسلم يحمل عقيدة التوحيد يرفض التطبيع ويدعو لمقاطعة هذه اللعبة، ويرفض أي شرعية للاغتصاب والعدوان، وهذا أصل شرعي إسلامي، فما أخذ من أرض المسلمين لا يصح أن يترك لمن أخذوه واغتصبوه، ولا يُعترف بشرعيته، ويجب أن تكون الأجيال الحاضرة من الذين يضعون أيديهم في يد الله وينظرون للأمور نظرة أخرى، ويعدون أنفسهم لكفاح طويل وصبر جميل وأخلاق عالية، فهذه مفاتيح تغيير الموقف وتحقيق النصر.

(١) التطبيع طريق الهيمنة والتوسع.

إننا نرى طلائع جيل النصر المؤمنة في الأفق يصنعها الله عز وجل وتربى على الشدائد، كما ربي بلال وصهيب وعمار فوق رمضاء مكة وفي شُعب أبي طالب لتخلص البشرية من كيد يهود ومكر يهود ونجس يهود^(١).

وحذر من الانسياق العربي (على المستوى الرسمي) وراء ادعاءات السلام والتفاوض على الطريقة الصهيون-أمريكية، وأن هذه الادعاءات ما هي أجزاء من مخطط أكبر لتصفية القضية الفلسطينية وتهويد القدس، والاستيلاء على المسجد الأقصى على موائد المفاوضات فقال: (إن اتفاقات أوسلو ومفاوضات السلام المزعومة لم تكن ولن تكون في المفهوم الصهيوني إلا جزءاً من مخطط أمريكي - صهيوني يصل بالعرب إلى التنازل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م لينتهي بهم إلى التسليم للكيان الصهيوني في نهاية المطاف بالتهام كل فلسطين، والتفريط في القدس والمسجد الأقصى، وما لم يتم إنجازها بالتفاوض والاتفاقات يجري بالحصار والاجتياح العسكري وإحكام سبل ووسائل الخنق والعزل حول الأبرياء ليصبح الخيار محصوراً في الهجرة وترك الديار أو الركوع والاستسلام التام).

ويقول: [والأخطر من هذا كله بالنسبة لوضع ومصير القضية، ووضع ومستقبل الشعب الفلسطيني اليوم، ووضع ومصير الأمة في الغد، أن يجري تصفية القضية بإصرار عربي رسمي على رفع شعار السلام خياراً استراتيجياً لارجعة عنه، وبذل ماء الوجه على الأعتاب الأمريكية لممارسة ضغوط على الكيان الصهيوني للانسحاب من مدن الضفة وقرها وللعودة إلى التفاوض مع السلطة الفلسطينية، ليس حول الأوضاع النهائية ولكن لرفع الحصار عن مدن الضفة وقرها، أي العودة لأوضاع أسوأ وأخطر من أوضاع ما قبل أوسلو ١٩٩٣م].

أثار الموقف العربي الرسمي لدى الأستاذ مصطفى مشهور علامات استفهام واستياء، حيث إن هذا الموقف ليس في صالح الانتفاضة وليس بالتالي في صالح الشعوب العربية والإسلامية ولا في صالح الحكام أنفسهم.

فعبر أستاذنا عن دهشته من أن هذا الموقف [لا يعبر عن روابط الأخوة التي تربط بين الشعوب العربية والشعب الفلسطيني، ولا تعكس روابط التعاون والتراحم ولا روح الجهاد عند صاحب التاريخ الحافل بالجهاد].

وتأسف أستاذنا من أن دولاً عربية كثيرة لم تف بما تعهدت به من دعم صندوق القدس والانتفاضة، ولم تلتزم بقرارات القمة بقطع العلاقات وتفعيل المقاطعة، فما زال هناك تعامل

(١) التطبيع طريق الهيمنة والتوسع.

اقتصادي ومالي مع العدو، وهناك فتق في تفعيل مكتب المقاطعة العربي، ويجد هنا [أن القضية قضية مصير حددت فيها الشعوب موقفها من خلال مسيراتها ومظاهراتها وعطائها وبذلها، رغم القيود المفروضة عليها، وبقي دور الحكومات الذي يحتاج إلى تحريك وتفعيل ليلتقى مع دور الشعوب، ومن خلال قرارات حازمة تعبر عن روح وإيمان وتوجهات الأمة، وتقرب المسافات بين الحكام والحكام، وبين الحكام والشعوب، وتحطم القيود والأغلال التي تكبل حركة الشعوب عن ذاتها، وترفع رايات الجهاد، وتبعث بكافة أشكال الدعم للانتفاضة المباركة]^(١).

- حالة العجز العربي على مستوى الحكام والقيادات:

صور الأستاذ مشهور حالة العجز العربي على مستوى الحكام والقيادات ووصفهم بأنهم سلموا فلسطين لأعدائها بقوله: «وإنه ليروعنا أكثر من هذه الصور - مأسى أبنائنا في فلسطين - الحالة الخلقية والإنسانية المتردية الهابطة والموات والجمود في الأمة العربية والإسلامية حكاماً ومحكومين، لقد سلم العالم الغربي والولايات المتحدة الشعب الفلسطيني لأوليائهم من اليهود ليعملوا على إبادته، واليهود حين يفعلون ذلك وتحتم سمعهم وبصرهم لا تحس منهم انتفاضة ضمير أو صوت استنكار لهذه المذابح والمآسى البشعة ولا حتى مجرد تفكير لوضع حد لهذه المجازر».

ويقول: «وإنها لفتنة للذين يذبحون ويقتلون وللذين ينظرون إلى الجزارين صامتين، وإنها لفتنة موجهة إلى الذين وضع بين أيديهم المواثيق الدولية من المنظمات المختلفة، ومن الأمم المتحدة أمانة ليرعوها فأهملوها عمداً، وحذفوا حقوق الإنسان، وأهدروا كرامته وحياته، خاصة حين يكون المعتدى عليه عربياً مسلماً، ولقد نادى الحركة الإسلامية العرب والمسلمين من ٧٠ سنة على المستوى الرسمي والشعبي، على أن يعودوا إلى الله وأن يكونوا أمة واحدة تجتمع على عقيدة التوحيد ليعمل لها الأعداء ألف حساب، ولا تصبح كلاً مستباحاً، وللأسف فلم تستجب لهم الحكومات، بل أعلنت الحرب عليهم إلى اليوم، بدل أن تقف معهم أمام اليهود وترد عدوانهم»^(٢).

- التراجع والصمت العربي:

قرر الأستاذ مصطفى مشهور أن سياسة الحرب التي يشنها الأمريكيون وحلفاؤهم والصهيونيون على الأقطار العربية والإسلامية في فلسطين وغيرها تستهدف قيم العرب والمسلمين وهويتهم ومصيرهم في ظل حال الغياب العربي . .

(١) الانتفاضة تنهض بدور تاريخي نحو الأمة، فهل تنهض الحكومات بدورها؟ رسالة الإخوان العدد [٢٣٨]، ٢٩/٦/٢٠٠١ م.

(٢) اليقظة الإسلامية ومستقبل الأمة - ٣١/٧/٢٠٠٢ م.

يقول أستاذنا: [ففى الوقت الذى تصر فيه أمريكا على الفصل بين قضايا العرب والمسلمين فى التعامل مع أقطارهم وحكوماتهم، وتتهج سياسة واحدة محددة الأهداف والغايات إزاء العرب والمسلمين، لا تقف الحكومات العربية والإسلامية من هذا التوجه الأمريكى موقف الرفض مع حشد قدراتنا وطاقاتنا لإفشاله، وتأكيد التعامل مع قضايا العرب والمسلمين كخدمة وأحد لها مرجعيتها الشرعية وتصورها الإسلامى على صعيد المعالجة والتعامل معها، وبالتالي تنطلق حلولنا للأزمات من منطلق عربى إسلامى ورؤية إسلامية تضع مصالح العرب والمسلمين فوق المصالح الشخصية والنظرة الخاصة الضيقة].

ومن ثم فإن [حالة الغياب العربى والإسلامى عما يجرى من مذابح فى فلسطين وكشمير والشيشان، وغير ذلك من أقطار إسلامية كثيرة، تبقى مثيرة للألم والحزن، كإثارتها للاستفهام والتساؤل، فهى تتنافى مع ما هو مطلوب ومفروض على المسلمين فى كافة الديار؛ من مسارعة لنجدة الملهوف والمظلوم والمعتدى عليه والمغتصبة أرضه، إنها تتنافى مع روح التضامن والتعاطف وروابط الأخوة وتناقض المسئوليات التى أوجبها الإسلام على الإنسان المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة والحاكم المسلم]^(١).

وخرج أستاذنا بعد رحلة طويلة مع الواقع العربى والإسلامى بأن حقائق الواقع العربى الإسلامى المر تقول: [إن هناك نظاماً إقليمياً عربياً وإسلامياً أكثر من هش وأكثر من ضعيف، والجامعة العربية والمؤتمر الإسلامى أكبر شاهدين ودليلين على العجز العربى والإسلامى على المستوى الرسمى، بعد أن أكدت الشعوب استعدادها للتضحية وتمسكها بالجهاد سبيلاً لتحرير كل الأرض وحماية الأمم وتأكيد العزة والكرامة. . على مستوى الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامى غابت اتفاقات الدفاع المشترك والوحدة الاقتصادية والقرار الفاعل الذى يؤكد مواجهة الغزوة الصهيونية الأمريكية]. وفى موضع آخر نعى على الحكام العرب والمسلمين خضوعهم واستسلامهم لهذا الواقع المرير: [رغم أننا نملك أسباب القوة وأهمها وحدة صف الأمة القائمة على إيمانها العميق بإسلامها الذى فيه عزتها وكرامتها ونصرها، ثم إمكاناتها وطاقاتها المادية الطائلة، فإن حكامنا زرعوا أسباب الخلاف فيما بينهم فى انصراف عن الوحدة، كما جعلوا العيش فى ظلال وأجواء الإسلام كشرعية وعقيدة ونظام حياة علامة من علامات التخلف والرجعية، وحكامنا لم يكتفوا بتوسيع هوة الخلاف فيما بينهم، ولكن أوجدوا فجوة وجفرة بينهم وبين شعوبهم.

(١) ما يجرى فى فلسطين. . يجرى فى كشمير - ٩/٦/٢٠٠٢ م.

فلم يقتصر الأمر على تهميش الشعوب، لكن استخدمت وسائل القمع والإرهاب لترويع الشعوب وإسكات صوتها وحرمانها من حقها الفطري في الحرية والأمن].

ويقول: [وفي الوقت الذي يحشد العدو الصهيوني وتحشد فيه أمريكا كافة الجحافل للعدوان على العرب والمسلمين، نفاجاً بأحكام على ساحة العرب والمسلمين تصل إلى الاعدام في حق شباب تممسوا لإخوانهم في فلسطين فنهضوا بجزء من واجبهم نحوهم فحاولوا تهريب قطعة سلاح لهم ليدافعوا بها عن أنفسهم ضد الطغيان الصهيوني الأمريكي، كما حُشد العشرات من أبناء الأمة الأشراف أمام محاكم عسكرية بتهمة جمع تبرعات للأبرياء العزل الذين يتعرضون للحصار الصهيوني الخائن في فلسطين ويذوقون شتى صنوف الترويع والعدوان]^(١).

•• حل القضية الفلسطينية في نظر مشهور^(٢)؛

أعلن الأستاذ مصطفى مشهور منذ الحظاظ الأولى في إدراكه ووعيه بقضايا أمته، وفي مقدمتها المخطط الصهيوني، عزمه على مواجهة هذا المخطط الذي يسعى للقضاء على وعينا وكرامتنا، فجيّش مشاعره وفكره وحركته وجعل سلاحه في توعية الحكومات وال جماهير العربية والمسلمة بحقيقة عدوها وواجبها لمواجهته ونصرة إخوانها، وترجمت لقاءاته ومقالاته المختلفة ومواقفه تجاه ما يُحاك للأمة العربية والمسلمين، وأولوية إعادة ترتيب البيت العربي من الداخل كخطوة أولى لتوحيد القوى الفاعلة في حركة المجتمع، شرطاً أساسياً لنجاح المجابهة مع العدو الصهيوني.

أدرك أستاذنا أن الجهاد واستدعاء عقيدة الإيمان والأخوة والوحدة الإسلامية والأخذ بأسباب التفوق والاستعداد الدائم للجهاد بالنفس والمال من أجل استرداد الأرض، هو وحده الطريق الصحيح إلى تحرير الأقصى والأرض المحتلة وإلى استعادة كرامة الأمة وهيبتها وإلى دحر عدوها الصهيوني ومن يدعمه بالمال والسلاح والموقف.

يبين أستاذنا فكرته في حل القضية الفلسطينية على عدة محاور وهي كما يلي:

أولاً: صياغة الإنسان العربي والمسلم:

يقول أستاذنا في هذا المحور: [إن الأمر يحتم صياغة الإنسان العربي والمسلم في كل مكان، من خلال إعادة الصياغة لبرامج الإعلام، ومناهج التعليم وسياسة التثقيف وتغذية

(١) أهدق الخطر الأمريكي بالجميع فمتى يعود الحكام للطريق الصحيح، ٦/٨/٢٠٠٢ م.

(٢) انظر: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية.

العقول والأذهان .. وإذا كان المتحمسون للحلول السلمية وللتفاوض مع العدو قد عادوا فأكدوا عروبة وإسلامية القضية، فإن الأمر يقتضى الالتزام بالحل العربى والإسلامى للقضية، وهو رفع شعار الجهاد واستنفار واستنهاض الهمم، من خلال تهيئة وإعداد الأجواء للجهاد، وإعادة صياغة الإنسان والأمة فى إطار وعلى درب الجهاد^(١).

ثانياً: وحدة الأمة:

ينجح أستاذنا فى رصد داء الأمة الإسلامية، وحقيقة أزمتها الراهنة، معتبراً دروس التاريخ والى اجتاحت فيها التتار مشرق العالم الإسلامى، حينما تصدى لهم السلطان المجاهد «قطز» فجمع كلمة الأمة على الثأر للعرض والأرض والعزة والكرامة، وكانت العقيدة الخالصة هى المحرك والموجه، وكان الجهاد بالنفس والمال والسلاح هو السبيل والوسيلة، ومن ثم تحقق النصر للمسلمين فى [عين جالوت] تحت قيادة حاكم مؤمن مجاهد التف حولة علماء الأمة وكافة قوى الشعب.

وكذلك حينما دخل الصليبيون القدس وجعلوا من دماء المسلمين فيها أنهاراً ولغوا فيها بخيولهم، ورفعوا الصليب فوق الأقصى أكثر من ثمانين عاماً... حتى نهض «صلاح الدين» الحاكم المؤمن المجاهد ليوحد الصف، ويجمع الكلمة على الحق والهدى، ويبعث فى النفوس الهمة والعزم والحسم، ويحرك فى القلوب الإيمان والعقيدة، ويبعث فى الصدور روح الجهاد والتضحية، وكان النصر وتحرير الأرض كاملة فى [حطين]^(٢).

يقول أستاذنا: [إن الأمة التى تعتمد الإسلام منهج حياة وعقيدة بها تدين، تستمد منه منطقياً أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وتحتكم فى كل تصرفاتها إليه، وتستلهم منه ترشيد خطاها، وخطوط سياستها وبرامجها. ومنهج الإسلام يملك رصيده من التجربة وأثبت صحيح دوره وعظيم نتائجه وإنجازاته وكبير قدرته على مواجهة الأزمات والتغلب على الصعاب، وسحق وهزيمة الأعداء.

والأمة التى تفاعلت وثارَت وانتفضت لما جرى ويجرى فى فلسطين من مجازر ومأس، وما يحيق بها من تأمر أمريكى - إسرائيلى، هى الأمة التى هزمت الصليبيين وكان يقودها صلاح الدين بالإسلام واستخلصت منهم فلسطين بحد السلاح وتحت رايات الجهاد وهى التى سحقت التتار فى عين جالوت وكان يقودها قطز ..

(١) مجلة الدعوة - العدد [١٠٧] - ذو القعدة ١٤٢١ هـ - فبراير ٢٠٠١ م مقال تحت عنوان [طريق وحيد لتحرير

فلسطين واقتلاع جذور العدو الصهيونى].

(٢) انظر: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية.

وهي التي في إمكانها وقدرتها اليوم مواجهة العدو الصهيوني على ساحات المواجهة والجهاد، واقتلاع جذوره ووجوده وتحرير كامل أرضها من البحر إلى النهر، وهي ترفع مصحفها في إحدى يديها وسلاحها في الأخرى وهي ترحب بالشهادة أو النصر، وهذا أمر من واقع التجارب ومن خلال حقائق التاريخ^(١).

وخلص أستاذنا إلى: [أن الأمة حين تتفرق وتتشردم، وينصرف حكامها عن شرع الله تطبيقاً والتزاماً وبهمش الحكام دور وجود الشعوب، تفتح أبوابها ونوافذها للأفاقين والمعتدين والاستعماريين ولقوى البغى والعدوان والعصابات الصهيونية ويُطرد الناس من أرضهم وديارهم أو يُبادرون في تصفيات جسدية أو حمامات دم رهيبية، أو تحت وطأة الصواريخ وأسلحة الإبادة مثلما حدث ويحدث في كوسوفا وكشمير، ولا مخرج إلا بوحدة الأمة، وتكاتف كافة المخلصين لتحقيق هذه الوحدة والاحتكام لشرع الله ورفع أعلام الجهاد وحشد كافة الإمكانيات والطاقت لردع العدوان، وتأكيذ المنعة والعزة]^(٢).

لقد أكد الأستاذ مشهور عدة حقائق منها:

- أن المسلمين يعتقدون أن أرض فلسطين وقف على أجيال المسلمين، ولا يجوز التفريط فيها أو في جزء منها، ولا تملك ذلك دولة ولا ملك ولا رئيس ولا جماعة، ولا منظمة عربية أو فلسطينية، وأي تصرف يخالف هذا فهو تصرف باطل، كما أنه من المقرر شرعاً أنه إذا وطئ العدو أرض المسلمين فقد وجب جهاده والتصدي له، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة حيثما وجدا.

- أن ولاء المسلم والتزامه أحكام شريعة الله هو الأساس، وليس معنى ذلك أن ولاء لوطنه يأتي في الدرجة الثانية، لا، بل هو جزء من ولاءه لدينه، وهذا الولاء لا يبيح للمسلم أن ينفذ أمر مخلوق إذا كان معصية.

- ضرورة المقاطعة، مقاطعة اليهود ومن يساندهم ضرورة وطنية وفريضة شرعية، وخاصة أن الأمة العربية الإسلامية تبلغ اليوم أكثر من مليار وثلث المليار من المسلمين في جميع أنحاء المعمورة، يستطيعون لو أرادوا وصدقوا أن يصيبوا أمريكا وشركاءها في مقتل، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم، فالمسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدانهم وهم يد على من سواهم، وهم أمة واحدة جمعتهم وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة القبلة ووحدة الآلام والآمال.

(١) مجلة الدعوة - العدد [١٠٧].

(٢) حوار مع جريدة الشرق القطرية.

- العولة -بشتى صورها- تعمل لصالح المشروع الصهيوني، ولا بد من العمل لحماية المسلمين من هذا الغزو الجديد، بالتماسك والتناصر والفهم والوعى الصحيح.

- أن الجهاد هو الحل الوحيد، والعمل الوحيد الذى أثبت التاريخ أنه يعيد الحقوق، ويرد البغى، ويدفع الظلم، ويعيد للأمة وحدتها وقوتها.

- أن أهل فلسطين هم أصحابها، وهى دولتهم، ويجب أن يكون وجودهم على أساس أنهم حماة هذه الأمة، ولا يكونون دولة مقابل التنازل عن حق العودة، ولا التنازل عن القدس، دولة ذات سيادة كاملة تنتزع بالجهاد، ولا تقوم حسب شروط اليهود، ويجب على الشعب المسلم فى فلسطين أن يرد كل من يعتدى ويقف لليهود بالمرصاد، وأن يحرق الأرض تحت أقدامهم، لأن هذا هو الحق الطبيعى فى الدفاع عن النفس والأرض والعرض والدين^(١).

ثالثاً: العقيدة والجهاد سلاح المواجهة:

قرر أستاذنا الأستاذ مصطفى مشهور وأكد مراراً أن العقيدة السليمة الحققة هى التى تنتصر دائماً فى نفوس أصحابها: [وهذا هو السلاح الذى يثبت فى المعارك، والإيمان الحق قول وعمل وحركة وجهاد. إن أسلحة المؤمنين بالله المؤمنين بالغيب أسلحة فعالة لا يملك العدو لها صبراً أو يستطيع أن يبطل مفعولها، لذلك يقف اليهود الآن رغم ما يملكون من سلاح وأدوات التدمير الرهيبة، مذهولين عاجزين عن مواجهة من يمتلك سلاح الإيمان بالله والثقة بنصره، والإصرار على مواصلة الجهاد، طمعاً فيما عند الله من الفردوس الأعلى].

ولللخروج من هذه المحن -التي تواجه الأمة- لا بد من الجهاد، فأحوال العالم اليوم بعد أن توحدت قوى الشر تحت قيادة واحدة، وتصاعدت عمليات القهر والتهديد والظلم والنهب والقتل والذبح، تؤكد ضرورة بعث الجهاد الإسلامى، للمحيلولة دون القضاء على وجود الأمة، وعلى الحضارة الإسلامية ولمنع مزيد من الآلام والظلم الواقع على المستضعفين بهذه البشاعة. .
يعنى أن العالم والحياة والبشرية على الأرض أصبحت فى خطر، لأن حضارة الغرب لا ضمير ولا أخلاق ولا عدالة ولا نظام، ولذلك فالجهاد الإسلامى هو الوسيلة الوحيدة التى تنقذ المستضعفين فى الأرض وتنقذ الحياة البشرية.

ولكى نصل إلى مرتبة الجهاد والكفاح، لا بد من تربية النفوس تربية عميقة وإعدادها حتى لا تهتز عند النوازل، ولا تنهار جزعاً أمام الشدائد، إنه الثبات والتماسك حتى تذهب الدواهي والنوازل، ويجعل الله بعد عسر يسراً.

(١) الموقف العربى المرير وعالم المبادرات - ٢٣/٣/٢٠٠٢ م.

وإلى المسلمين وجه نداءً صادقاً يناشدهم فيه فيقول: [لا تعرضوا عن أداء الواجب ولا تتفاعسوا عن نصرته إخوانكم ولا تنفروا، بل يجب أن يجتمع لكم صف وترتفع لكم راية، وتُعرف لكم غاية، لا تركنوا إلى الراحة والدعة، وقد أشهت لكم السهام، ولا تجعلوا بأسكم بينكم، فقد أشعل اليهود في دياركم النيران، لا تهزلوا ولا تلعبوا فقد جد في مطاردتكم الأعداء ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] (١).

وكذلك أكد أن انتصار بدر يمكن أن يتكرر في حياة المسلمين مرات ومرات: [يوم أن تكون روح الجهاد سارية في نفوسهم، ويوم أن يعودوا إلى ربهم طالما تمسكت الأمة بالجهاد، وقامت بأعبائه، وأصرت على عدم التخلي عن هذه الفريضة العظيمة ولم تترك إلى القعود، خاصة وأن أحوال المسلمين تدعو إلى ذلك، وتحتاج إليه أيما احتياج، فالكثير من الأقطار الإسلامية وقعت أسيرة في قبضة أعداء الإنسانية، فالدماء في فلسطين والشهداء تتوالى مواكبهم، والبيوت هدمت على أهلها، والقذائف تنطلق في كل مكان، حتى أطفال المدارس حصدتهم قذائف اليهود.

ونجد في أفغانستان وفي كشمير وفي مواقع كثيرة من العالم، وهذا يجعل الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة لرد هذا القهر والظلم والعدوان، وسيظل الجهاد في سبيل الله هو الركيزة الأولى في حفظ الحضارة الإسلامية، خاصة بعد أن توحدت قوى الشر والاستكبار وأصبح العالم كله تحت السيطرة الحضارية والثقافية، والاقتصادية والسياسية الغربية الأمريكية، فسنة التدافع بين الحق والباطل لمنع القوى الغشوم من العدوان على الضعيف، من قوانين الله في الكون، وهي لازمة لصالح العالم وإيقاف المعتدى عند حده.

ويجب أن نؤمن أن الحرب الدائمة ضد المسلمين عامة وضد طلائع البعث الإسلامي بخاصة لا يقصد بها أشخاص الدعاة، بل توجه إلى الحق الذي يحملون وإلى الله سبحانه ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] (٢).

رابعاً: الانتفاضة والمقاومة:

* موقف مشهور من (ما يسمى بالحلول السلمية مع العدو الصهيوني الغاصب):

أكد الأستاذ مشهور مراراً أن الاتفاقات والمفاوضات -مفاوضات السلام المزعوم لم ولن تكون في المفهوم الصهيوني إلا جزءاً من مخطط أمريكي - صهيوني يصل بالعرب إلى التنازل

(١) أين ضمير العالم من دماء المسلمين - مركز الإعلام الفلسطيني - ٢٤/١٢/٢٠٠١ م.

(٢) غزوة بدر الكبرى والأسباب الحقيقية للنصر والهزيمة - مركز الإعلام الفلسطيني - ٢٤/١٢/٢٠٠١ م.

عن الأرض الفلسطينية ليتهاي الأمر بالتهام اليهود كل أراضى فلسطين والتفريط فى القدس والمسجد الأقصى ..

يقول أستاذنا: [بعد خمسة وعشرين عاماً من اعتماد قيادات منظمة التحرير الفلسطينية والحكومات العربية لنهج التفاوض وما يسمى بالحلول السلمية مع العدو الصهيونى الغاصب، وبعد ثماني سنوات من توقيع منظمة التحرير على اتفاقية أوسلو، وقيام سلطة الحكم الذاتى على ساحة أجزاء من الضفة وغزة، تجدد الشعوب العربية والإسلامية نفسها أمام واقع مأساوى يعيشه الشعب الفلسطينى وتمر به القضية الفلسطينية، وتواجهه دول الطوق المحيطة بفلسطين المحتلة بشكل خاص وكافة الدول العربية والإسلامية بوجه عام .

هذا الواقع المأساوى بقدر ما يطرح من تساؤلات أكثر مأساوية عن حقيقة وحجم النوازل والكوارث التى لحقت بالقضية الفلسطينية وبالشعب الفلسطينى، وحقيقة هول الأخطار التى تهدد الوجود والمصير العربى والإسلامى، فإنه فى نفس الوقت يحمل فى طياته الإجابة عن هذه التساؤلات، ويكاد يضع أيدينا على المعالم والأبعاد المرة التى جرتها علينا مسلسلات التفاوض، وما قُدم على مواثدها من تنازلات .

لقد حذر كافة المهتمين بأمور وشئون القضية الفلسطينية من الانزلاق فى منحدر التفاوض مع عدو غاصب لا تنطوى جوانحه إلا على الغدر والحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، ولا يتراجع عن السعى بكافة السبل والوسائل لاقتلاع جذور الإسلام والمسلمين من ديارهم وأرضهم وطى صفحاتهم وإنهاء دورهم العقيدى والقومى والحضارى، وإقامة مشروعه فوق أشلائهم وأطلالهم، بل كان نصيبهم من جراء تحذيرهم ونصيحتهم لأهل التفاوض، والذين رفعوا شعارات السلام كخيار استراتيجى لا رجعة عنه، أن أتهموا بالسعى لإبقاء نيران الحروب مشتعلة تلتهم الموارد، وتفجر أنهاراً من الدماء وتحول دون مشروعات التنمية .

ورغم كل المؤشرات والدلائل التى كانت تنبئ منذ بداية التفاوض أو النتائج التى ستؤدى إليها الاتفاقات والمعاهدات ستكون أكثر من وخيمة، إلا أنه كان هناك إصرار على الصعيد العربى الرسمى، على مواصلة التفاوض، ومواصلة عقد الاتفاقات والمعاهدات، ومواصلة التغنى بشعارات السلام المزعوم خاصة شعار السلام كخيار استراتيجى عربى لا رجعة عنه، لأن فيه حقناً للدماء، وتحقيقاً لمصلحة كافة الأطراف .

- لقد صاحب مسلسل التفاوض ومسلسل المعاهدات، مسلسل من التنازل، بدأ بنبذ السلاح والتنصل من فريضة الجهاد، ووصل إلى حد إلغاء منظمة التحرير لميثاقها الذى ينص

على تحرير كل فلسطين، وعدم الاعتراف بالكيان الغاصب، وحثمية عودة الأرض والديار لأصحابها، مع تراجع عن الثوابت؛ وصل إلى حد الدخول في ترتيبات واتفاقات أمنية لحماية ودعم أمن العدو، وقهر وقمع القوى الإسلامية والوطنية على صعيد الشعب الفلسطيني .

- وتم القبول في رضا بالرعاية الأمريكية للتفاوض، وهي رعاية أحكمت قبضتها حول المفاوضات وأكدت انحيازها للعدو الصهيوني وعداءها غير المحدود للحقوق العربية، وأعلنت بالقول والعمل عن ضرورة توفير كل أشكال الدعم للكيان الصهيوني ليحرز التفوق العلمى والعسكرى والتكنولوجى على جميع الدول العربية والإسلامية، مع فرض حصار حول العرب والمسلمين يحول دون التسلح بأسلحة العصر، أو الولوج إلى ساحة العلم الحديث والتكنولوجيا .

- وقبلت قيادة منظمة التحرير التوقيع على اتفاقات ومعاهدات جرت صياغتها بشكل منح لليهود كافة الصلاحيات، وأتاح لهم كافة الفرص للتوسع فى بناء المستوطنات وتثبيت جذور الاحتلال ومصادرة ما ورد فيها من فئات بالنسبة للجانب الفلسطينى .

- واتبع الكيان الصهيونى كافة أساليب المراوغة واللف والدوران لتفريغ القضية من مضمونها والوصول بالمفاوضين الفلسطينيين إلى مستوى التسليم بالأمر الواقع والقبول بما هو مطروح ومفروض، حتى أنه رغم ما جاء فى الاتفاقات والمعاهدات من نصوص تؤكد التفاوض بشأن المرحلة النهائية بعد خمس سنوات من توقيع اتفاق أوسلو، إلا أنه وبعد ما يقرب من ثمانى سنوات، لم يتم تنفيذ أكثر من ثلاثين استحقاقاً فلسطينياً متواضعاً لا ترقى إلى مستوى التسليم بالحق الفلسطينى فى الحرية والأمن واسترداد ولو جزء من الأرض متحرراً من الهيمنة وغير محاصرة بقوات الاحتلال أو غير معرض للاقتحام، وممارسة شتى أشكال العدوان ومصادرة الأرض وتدمير وهدم البيوت وإنشاء المستوطنات وتصفية أبناء الشعب الفلسطينى وتجريدهم من حق الحياة^(١) .

●● الانتفاضة والمقاومة:

أكد الأستاذ مصطفى مشهور فى كثير من لقاءاته ومقالاته أن المواجهة والجهاد والانتفاضة والمقاومة، هى الطريق الوحيد لتحرير فلسطين واقتلاع جذور العدو الصهيونى، وركز على ثلاثة مستويات وهى (٢):

(١) طريق وحيد لتحرير فلسطين واقتلاع جذور العدو الصهيونى - مجلة الدعوة - العدد [١٠٧] - ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م .

(٢) انظر: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية .

١- المستوى الفلسطيني .

٢- المستوى العربي الشعبي .

٣- المستوى العربي الرسمي .

١- المستوى الفلسطيني:

أعلن الأستاذ مصطفى مشهور تأييده الكامل للمقاومة الفلسطينية، وللعمليات الاستشهادية كإحدى أدواتها المبتكرة، وفسر ذلك بقوله: [حين يجرى احتلال بلد ما وحصار شعبه الأعزل، وتمضى فى رقاب أبنائه أسلحة التصفية، وتحرق أراضيه، وتهدم دوره، وتسفك دماء أفرادها دون أن تتحرك منظمات دولية أو مجتمع دولى لوقف العدوان، أو توفير الحماية والأمن له، فمن حق هذا الشعب أن يدافع عن نفسه همجية الصهاينة وأن يرد عدوان المعتدين الغاشمين بكل ما يملك]^(١).

وفى مجال إشادته بالانتفاضة الفلسطينية المباركة أكد الأستاذ مشهور: [أن الانتفاضة حققت الكثير للقضية وأفشلت مخططات أمريكية يهودية، ولو دعمها العرب والمسلمون لواصلت دورها، وحققت المزيد من النفع والكسب للأشقاء الفلسطينيين وقضيتهم]^(٢).

واعتبر أن هذه الانتفاضة المباركة هى السبيل الوحيد لنجاح المقاومة وامتلاك ناصية تحرير الأرض، وهنا فقط يمكن الحديث عن الدولة الفلسطينية بقوله: [تصورنا للدولة الفلسطينية قائم على تحرير كامل الأرض من النهر إلى البحر، وأملنا أن يتحد كل الفلسطينيين حول تحرير الوطن وإقامة الدولة المستقلة لأمن شعبها].

وأعلن أن الانتفاضة الفلسطينية هى تجسيد لإصرار الأشقاء الفلسطينيين على رفض الاحتلال الصهيونى لأرضهم وديارهم والقدس، وعنوان لتأكيد حقهم فى العيش فى أمن وحرية، فى إطار دولة عاصمتها القدس كخطوة لتحرير كامل الأرض، واستعادة كافة الحقوق.

وفى الوقت ذاته وقفت الانتفاضة الباسلة صامدة تجسد رفض الشعب الفلسطينى كافة المشروعات اليهودية الأمريكية التى تهدف إلى تفريغ القضية الفلسطينية وإغلاق ملفها، كما تجسد فى الوقت نفسه نهوض الشعب الفلسطينى بدوره التاريخى فى الدفاع عن حاضر الأمة ومستقبلها فى مواجهة عدو يسعى لفرض مشروعه ووجوده على أشلائنا وأطلالنا بعد أن يفرغ من التهام كل فلسطين، وينتهى من تصفية أو طرد شعبها.

(١) حوار مع جريدة الميدان .

(٢) حوار مع جريدة السياسى المصرى .

ومن ثم فالدور الذي ينهض به الشعب الفلسطيني الأعزل هو دور أكثر من عظيم وخطير يلزم الأمة بكافة أقطارها، ويوجب على كافة حكامها أن يتحدوا خلفه، وينهضوا بدورهم كمصدر دعم وإمداد له، وأن يحشدوا الأمة بكافة إمكاناتها لنصرته ومؤازرته، لأنهم بذلك ينصرون أنفسهم ويدرون شراً مستطيراً يهدد في الغد وجودهم.

وعمل الأستاذ مصطفى مشهور على دعم الانتفاضة بفكره وآرائه، وألح على مآثرها وثمراتها لحشد التأييد العربي الشعبي والرسمي لدعمها.

فإذا كانت الانتفاضة رد فعل طبيعياً لأعمال العنف والإجرام التي يمارسها الصهاينة على أرض فلسطين وشعبها، فقد وحدت الشعب الفلسطيني وجمعت بين كافة فصائله، وبين سلطة الحكم الذاتي، ومن ثم فهي تستحق تحية تقدير وتعظيم لشأنها ودورها، كما أنها توجب علينا أن ندعو الأمة شعوباً وحكاماً وهيئات وجماعات، للنهوض بالواجب والارتفاع إلى مستوى المسئوليات.

وقال: [صار من الملموس أن انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسل قد أحاطت العدو الغادر الذي أسلم زمامه لسفاح درج الولوغ في دماء الأبرياء بالعديد من الأزمات، فبددت أمنه وأفشلت مشروعاته في التوسع أو تثبيت وتعميق الجذور.

كما أكدت قوافل الحريصين على الاستشهاد دفاعاً عن الدين والحق والأرض والعرض، أنها كفيلة بإشغال الأرض تحت أقدامه والوصول إلى عمق حصونه وتحصيناته.

وذلك بعد أن تأكد للجميع أن طريق وأسلوب التفاوض، وعقد الاتفاقات والمعاهدات لا يكفل للأمة استرداد شبر من فلسطين، بل يمضى بالقضية على درب التصفية وإغلاق الملف، ومن ثم كانت الانتفاضة وقوافل الشهداء في نظر ومفهوم الأمة السبيل الصحيح والأسلوب الوحيد لبلوغ هدف التحرر والتحرير، وتحقيق الأمل في إعادة الأرض والديار.

كما أنها في الوقت نفسه، العلامة الواضحة على أن الروح المعنوية للأمة ما كانت لتخبو أمام أساليب القمع والإرهاب الدموي التي يمارسها السفاح شارون.

كما أنها تضع العامل البارز على الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكه العرب والمسلمون، كما تضع الجميع أمام مسئولياتهم وفي مقدمتها وعلى رأسها دعم الانتفاضة بشتى أشكال الدعم، مع تحريك وتفعيل قرارات القمة العربية الخاصة بصندوق دعم القدس ودعم الانتفاضة.

لقد أعلننا من قبل ونعلن اليوم وسنظل نعلن، أن وحدة الأمة وحشد كافة إمكاناتها وهي كثيرة، مع إزالة الهوة والفجوة بين حكامها وشعوبها، وتأكيد حق الشعوب في الحرية والمشاركة في القرار، هي الخطوة الأولى والرئيسة على طريق تحرير كامل الأرض، وإزالة كافة أشكال ومصادر العدوان، والتصدي لكافة أشكال العدوان الإجرامى الذى صار يظال العرب والمسلمين في كل مكان^(١).

وربط أستاذنا بين تاريخ العداء اليهودى للمسلمين والعرب وبين إصرار الشعب الفلسطينى على الصمود فقال: [تاريخ اليهود الأسود مع المسلمين منذ اليوم الأول لتأسيس وإقامة الدولة الإسلامية، يؤكد موقف التريص والعداء والكيد والتأمر . وحتى الآن وبعد مرور أكثر من أربعة عشر قرناً مازال اليهود يمارسون عداءهم للمؤمنين وكيدهم للإسلام وتآمرهم على الأمة ودفعها للرضوخ والاستسلام].

ويقول: [وعلى أرض فلسطين المحتلة يبرز الصراع فى أعنى أشكاله بين الشعب الفلسطينى العربى المسلم واليهود الغاصبين الذين اغتصبوا الأرض والديار وفرضوا حصاراً خانقاً على أصحاب الديار وقصفوها بالطائرات والصواريخ . واستخدموا معهم سلاح التصفية والاعتقال، إلا أن الأشقاء الفلسطينيين رفضوا الاستسلام وأبوا أن يتخلوا عن الأرض والديار رغم الحصار المضروب حولهم ورغم القصف المتواصل الذى يستهدف مدنهم وقراهم ويقتل وجودهم بل واصلوا انتفاضتهم المباركة مؤكدين إصرارهم على استرداد الأرض أو نيل الشهادة ضارين المثل فى العقيدة التى تحرك الشعوب، وتمنحها الطاقة والقوة والقدرة على ملاقاته العدو وإفشال خططه ومؤمراته .

تمضى الانتفاضة رغم العديد من المحن والضغوط التى يتعرض لها الأشقاء الفلسطينيون والمجازر التى ينصبها لهم السفاح شارون، ورغم العجز العربى الرسمى، ورغم الحصار المفروض حول الشعوب العربية والإسلامية التى لا تترجم انجيازها للشعب الشقيق إلى دعم ومؤازرة^(٢). [ولم تقتصر ثمرات الانتفاضة الفلسطينية على الداخل الفلسطينى، فبرغم أنها حطمت مشروع شارون، وأبطلت ادعاءاته التى أعلنها فى آذار/ مارس ٢٠٠١م: (أعطوني ١٠٠ يوم وسأقضى على الانتفاضة)، فقد مضى على اندلاعها ثلاث سنوات، وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، بل لقد استطاعت الانتفاضة أن تفجر انتفاضة الشعوب فى كافة

(١) قوافل الشهداء وحدها تحرر فلسطين - ٢٠٠٢/٣/٩م.

(٢) فى ذكرى الهجرة... الأمة حكاماً وشعباً مطالباً بدعم الشعب الفلسطينى ونصرته - ٢٠٠٢/٣/١٩م.

الأقطار في تحد للرسوم والحواجز الرسمية، كما أعادت القضية إلى هويتها الإسلامية، وعلى مستوى الشعوب سقط شعار السلام ليرتفع شعار الجهاد لتحرير كامل الأرض، ونحسب أنه ليس أمام الحكومات إلا أن تعدل الوجهة والاتجاه فتتجاوب مع غضبة الشعوب التي أكدت في إصرار انحيازها لحقوق الشعب الفلسطيني الشقيق، ودعم انتفاضته، كما أكدت إحكام الحصار حول الكيان الصهيوني، وتفعيل مقاطعته كخطوات أساسية ورئيسية على صعيد مواجهة حتمية].

ويقول: وبرغم المؤامرات الصهيونية والأمريكية لقمع الانتفاضة وإسكات صوت وحركة شعب عربي مسلم ثار وانتفض ضد محتليه ومغتصبى أرضه، وقاتلى شبابه، ومدمرى قرأه ومدنه، ومغتالى قياداته: فما زالت الانتفاضة مشتعلة وما زالت روح الجهاد والتضحية سائدة مرتفعة، ولا تخبو ولا تفتتر، مع استعداد لمواصلة المعركة، وتقديم المزيد من التضحيات دون تراجع^(١).

وبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على اندلاعها فقد طرحت الانتفاضة المباركة، بنجاحها واستمرارها في طريقها الجهادى المبارك، ثلاث حقائق عرضها الأستاذ مصطفى مشهور بقوله:

١- أن الشعب الفلسطيني العربى المسلم لم تلن له قناة، ولم تفتتر له همة رغم التضحيات الجسام، ورغم المحنة القاسية التى يعيشها، بل ازداد إصراراً على مواصلة الجهاد حتى تحرير الأرض.

٢- أن الشعب الفلسطيني وهو يدافع عن نفسه، وعن العرب والمسلمين فى المواجهة مع الاحتلال اليهودى الوحشى، والدعم الأمريكى اللامحدود له، مصرعاً على المضى فى هذه المواجهة، رغم ما فى الاستفراء اليهودى والأمريكى به من وحشية وإجرام وتخريب ودمار، وهو أمر إن دل فإنما يدل على تنصل الآخرين عن واجب الجهاد ودعم الأتقاء.

وإن كانت الشعوب قد أبانت عن مدى إيمانها بالقضية وحقوق الشعب الفلسطينى فى أرضه ودياره وواجبها فى دعمه، ونهوضها بالجهاد، وإلى جانبه ولا يحول بينها وبين ذلك إلا المواقف الرسمية التى تستجيب للضغوط أو تتراجع أمام الضغوط.

وتأكد لكل ذى بصيرة أن اليهود الغاصبين الذين تدعمهم أمريكا بكافة أشكال الدعم وتصبر على تفوقهم، لا يؤمنون بسلام ولا يعدل ولا يحترمون اتفاقات أو معاهدات وأن المفاوضات ومشاريع الحلول السلمية ما هى إلا وسائل لخداع العرب والمسلمين أو لتحقيق هدف مرحلى

(١) الانتفاضة تكمل عامها الثالث وهى ترفع علم الجهاد.

أو لاجتياز مرحلة، فإذا تحقق الهدف كان مصير الاتفاقات والمعاهدات سلال المهملات أو وضعها على الرفوف.

ومن ثم فإن شعار السلام كخيار استراتيجي وحيد والذي درج العرب الراسميون على رفعه مع نبذ السلاح، هو شعار يدفع العدو للمزيد من الوحشية والإجرام.

كما أكد في نفس الوقت أن الشعب الفلسطيني حين رفع راية الجهاد، وتحمل كافة أعباء الجهاد وتضحياته، واختار سبيله وصولاً لتحرير أرضه، فقد اختار الطريق الصحيح وعرف وأدرك أنه ليس هناك غير الجهاد سبيل لتحرير أرضه أو الدفاع عن عرضه أو العيش في حرية وأمن.

•• دروس الانتفاضة:

لإن الانتفاضة بعد سنوات -من انطلاقها- تطرح العديد من الدروس أهمها:

أ- عجز الصهاينة عن توفير الأمن للكيان الصهيوني، أو الأمن اللازم لمزيد من التوسع فيما حول فلسطين.

ب- إضافة إلى ما يعانيه الاقتصاد الصهيوني من خسائر لحقت بالسياحة والاستثمار، وكافة المشروعات الهادفة لدعم الاستعمار الصهيوني^(١).

•• موقف مشهور من حركة حماس:

كان أستاذنا يؤمن بحتمية توحيد والتقاء جميع الفصائل الفلسطينية صاحبة الهمم والأجبر في الدفاع عن أرضها وكرامتها، وقد لعبت حركة حماس -وما زالت- دوراً محورياً في حركة مقاومة الغزو والاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين.

وفي هذا الصدد أكد في حوار له مع مجلة المجلة: [أن حماس لها قرارها التابع من سياستها الهادفة لتحقيق ما ترى فيه صالح قضيتها، وقضية فلسطين، وقضية كل المسلمين، ومطلوب من كل المسلمين أن يبذلوا ويضحوا من أجلها ويساندوا ويدعموا شعبها، فالخطر الصهيوني يهدد وجود ومصير الجميع، وشعب فلسطين إنما يتحمل الكثير ويدفع الكثير من أجل حريته وأمنه، وأيضاً من أجل حرية وأمن كل العرب والمسلمين]^(٢).

وقرر في موضع آخر استقلالية قرار حماس بقوله: [حماس أعلنت وتعلن أنها تلتزم الإسلام، والحل الإسلامي بالنسبة للقضية الفلسطينية، وهي منظمة فلسطينية لها قيادتها

(١) الانتفاضة تكمل عامها الثالث.

(٢) حوار مع مجلة المجلة.

وسياستها ورؤاها، ولا دخل لنا في أمورها أو سياستها، وإن كنا لا نكف عن رفع أكف الضراعة إلى الله عز وجل أن يجعل النصر والتوفيق حليفها^(١).

ورصد بعض ما تتعرض له حماس من مضايقات وملاحقات بسبب مرجعيتها الإسلامية [ولاشك أن الاعتقالات التي جرت في الأردن ضد حماس لها علاقتها بتطورات القضية الفلسطينية وبمرحلة الاتفاقات والمعاهدات وبالضغوط الإسرائيلية والأمريكية وضغوط السلطة الفلسطينية، والمطلوب من حماس أن تمشى في ركب التفاوض والتطبيع إلا أن حماس تلتزم موقفاً مبدئياً لا يمكن التراجع عنه أو التفريط فيه، ونحسب أن المستقبل بإذن الله هو الذي سيؤكد حتمية هذا الموقف وحتمية التزام الأمة به]^(٢).

وناشد عرفات ضرورة تفادي الصدام مع حماس والسعى إلى التصالح معها خدمة للقضية الفلسطينية، وتفعيلاً للمواجهة قائلاً: [يجب ألا يُخدع عرفات بوعود أمريكا والعدو الصهيوني إذا ما قام بضرب حماس أو غيرها، فحماس لا تنافس السلطة الفلسطينية لكنها ترجو الخير للوطن]^(٣).

٢- المستوى العربي الشعبي:

لم يفتر الأستاذ مصطفى مشهور في تنبيه العرب والمسلمين حكاماً وشعباً لحجم الخطر الذي يهدق بهم اليوم وغداً على أيدي المجرمين الصهاينة وأنصارهم وحلفائهم الأمريكيين والغربيين، وظل إلى آخر لحظات حياته ينادى بالمصالحة بين الحكومات والشعوب، والتفاتها على نصرة دينها، ودعم ومناصرة إخوانها في فلسطين والعراق وكشمير، وأن تستجيب لأمر ربها ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأن تتعاون مع بعضها للخروج من كبوتها، وتحقيق أملها في التحرير والاستقلال ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].
وأن تقوى حالها، وتعد عدتها، وإمكاناتها ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وألا تضعف كرامتها، وأن تسترد هيبتها المفقودة.

وبالتنبيه لموقف الشعوب العربية والإسلامية وواجبها [فهو معروف وملموس أنه الانحياز إلى الشعب الشقيق وحقه في وطنه وأرضه ودياره، وحقه في الأمن والاستقرار والاستقلال، ونهوض دولته على كامل أرضه، ومطلوب من الحكام أن يسمحوا للشعوب بالتعبير عن

(١) حوار مع جريدة الميدان، ١٠/١/٢٠٠٢ م.

(٢) حوار مع مجلة المجتمع الكويتية.

(٣) حوار مع جريدة الرأي العام الكويتية.

غضبتههم وإرادتهم بالمال والأرواح وأن يسعوا لجمع الكلمة ووحدة الصف وتفعيل القرارات التي اتخذوها في قمة ٢٠٠٠ وقمة ٢٠٠١، وأن يحيوا اتفاقية الدفاع المشترك، وأن يهيئوا الأمة لمواجهة حاسمة تعيد الحقوق إلى أهلها، وتحمر الديار المغتصبة بكاملها، مطلوب من الحكام وقفة حاسمة إزاء السياسة الأمريكية المنحازة التي تدعم الكيان الصهيوني في سفور^(١).

وأعلن في مقام آخر، [أن دعم الشعب الفلسطيني من قبل كافة الشعوب العربية والإسلامية وكافة حكامها واجب مفروض على الجميع يحتم على الحكومات والحكام أن يرفعوا كافة القيود والمحاذير، والتحسينات التي تحول دون وصوله إلى أشقائنا المحاصرين والمعرضين لهجمة صهيونية شرسة تجردت من كافة القيم والمثل وتسلحت بشتى أسلحة الدمار والقتل الأمريكية.

كما نادى برفع أي عوائق تحول دون تدفق التبرعات ووصولها إلى الإخوة والأمهات والأبناء والآباء في فلسطين.

وعن واجب الشعوب الإسلامية في دعم جهاد الشعب الفلسطيني قال: [لقد طالب المخلصون المهمومون بهموم الأمة، وسيظلون يطالبون بإعادة ترتيب البيت العربي الإسلامي، وبأن الأمة تملك الإمكانيات والقدرات الكفيلة برد العدوان وتحرير كامل الأرض وتحقيق العدل والأمان والحرية، وقالوا وسيظلون يقولون: إن وحدة الأمة على أساس من إيمانها بالله وكتابه وسنة رسوله هي أهم وأمضى سلاح في المواجهة المفروضة عليها اليوم.

وليس ثمة عذر لهذه الجهة أو تلك أو هذا الحاكم أو ذاك في عرقلة هذه الوحدة أو السعي لتعويقها أو إعلان رفضها بالقول أو العمل.

ومقومات هذه الوحدة ومعالمها ودعائمها معروفة، وفي مقدمتها الحكم والاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكتاب الله الذي ألزم المسلمين بالجهاد من أجل فلسطين بالمال والنفس لم يدع مجالاً للمجادل أو مغرض أو غافل أن يقول إن الفلسطينيين يدافعون عن أنفسهم وأرضهم وديارهم في حين أنهم يدافعون عن أرضهم وديارهم وأرض وديار المسلمين، ومن ثم فوحدة الأمة وانخراط أبنائها في الجهاد هو الكفيل برد الهجمة وهو وحده مفتاح الفرج والنصر.

[وإن الأمة الواحدة الحرة الأبية هي التي تستطيع أن تجيش الجيوش تحت أعلام الجهاد، وتحشد الإمكانيات والطاقات، وتغير مناهج التعليم وخطط الإعلام والثقافة لتثبت وجودها، وتروج لقضيتها وحققها وتنتظر الفرج والنصر من ربها.

(١) حوار مع جريدة الميدان المصرية.

وإن الشعب الفلسطيني رغم المحنة التي يعيشها وهي أكثر من قاسية أعلن رفضه الرضوخ، وأكد إباءه وإصراره على عزمه، وهو ينتظر من الأمة حكاماً ومحكومين أن يكونوا على مستوى المسئولية والنهوض بالأمانة، ولا يعقل أن ننصرف عن مفاتيح النصر والعزة، ونتلهف على خطاب «بوش» الذي لا يحمل لنا إلا الإهانات والوعود الجوفاء والتحذيرات والتهديدات. [كما لا يعقل أن نغفل أو ننصرف عن أسلحة في أيدينا اليوم ولنلمس فاعليتها وأثرها وفي مقدمتها مقاطعة العدو وإحكام الحصار حوله وتفعيل مكاتب المقاطعة التي تنهض بهذه المهمة أو أن ننصرف عن دعم الشعب الفلسطيني بالمال وغير المال تأكيداً لحقوق الجسد الواحد، وتعزيزاً لأواصر التراحم والتآخي] (١).

ومن ثم فقد كان من الواجب، ومع الذكرى الثالثة للانتفاضة أن نوجه كلمة تحية وتقدير للشعب الفلسطيني العربي المسلم الشجاع المؤمن، اعترافاً بدوره العظيم وإشادة بموقفه الأبي الكريم، وأيضاً كلمة تذكير للأمة بمختلف شعوبها وأقطارها وحكامها كي تنهض بواجبها الجهادي الذي فرضه الله على كل فرد فيها، لتؤكد انحيازها للشعب الفلسطيني من خلال العمل والدعم بشتى أشكاله وعلى مختلف أصعدته ومساحاته لتحقيق الانتفاضة أهدافها] (٢).

٣- المستوى العربي الرسمي:

سعى الأستاذ مصطفى مشهور دائماً لوضع الحكومات والقيادات العربية والإسلامية أمام مسئولياتها وواجبها في نصرته القضية الفلسطينية، محذراً إياها من التخاذل أو استمرار الصمت المخجل على جرائم العدو الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني اليوم وفي حق الأمة كلها غداً. فقال: [يحتّم الموقف التاريخي على الحكومات العربية والإسلامية أن تعيد النظر في سياستها تجاه الولايات المتحدة وأن تستخدم كل إمكاناتها وهي عديدة في الضغوط على واشنطن لتوقف من دعمها وتأييدها للكيان الصهيوني، وأن توقف من تسخيرها للهيئات الدولية لتكون في خدمة السياسة الصهيونية، وتغض الطرف عن عدوان الكيان الصهيوني، وانتهاك قرارات المنظمات الدولية.

وإذا كانت الشعوب ترى أن مستقبلها إنما يتأكد من محلال الوحدة واسترداد أرضها، وتحقيق أمنها، فإن منطق المصلحة العامة يحتم على الحكومات أن تزيل أسباب الجفوة على المستوى الرسمي، مع تجسير وتوطيد العلاقات مع الشعوب، وإعداد الأمة على كافة المستويات لمعركة قادمة.

(١) خطاب بوش.. انحياز تام للكيان الصهيوني، ٦/٧/٢٠٠٢م.

(٢) الانتفاضة تكمل عامها الثالث.

وأعلن بصراحته المعهودة أن الخطر والمخطط الخبيث الذي لم يعد خافياً على أحد [يفرض على المسلمين حكاماً ومحكومين أن يتبهاوا وأن يعدوا أنفسهم لمواجهة، فيعدوا شعوبهم وينهضوا بهم لمواجهة الأعداء، وأن تقلع نظم الحكم عن سياسة القهر والقمع، وكبت الحريات، وهم أحوج ما يكونون إليهم للتصدي لسياسة الأعداء.

ولياخذ المسلمون مكانتهم كخير أمة أخرجت للناس، وعلى المسلمين أن يتقوا في تأييد الله ونصره لهم ماداموا ملتزمين بتعاليم ربهم، فلا يمكن لأى مجموعة من البشر مهما أوتوا من قوة أن يقضوا على هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده^(١).

وكان الأستاذ حريصاً على انتهاز المناسبات الدينية والإسلامية لإحياء روح الجهاد في شباب الأمة وتبصيرهم بمكانتهم كخير أمة أخرجت للناس، وبث حماس المقاومة والتصدي للهجمات والمؤامرات التي يحيكها أعداء الأمة الأمريكان والصهاينة وحلفائهم. فقد أكد في مقال له بعنوان: (خير الزاد في رمضان)^(٢).

[إن شهر رمضان كان دائماً على مدار تاريخ المسلمين شهر الانتصارات العظيمة، غزوة بدر الكبرى، فتح مكة، سرية اليمن، انتصارات طارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي، ثم نصر أكتوبر... كلها وقعت في رمضان].

وهذا المعنى المفروض أن يحيى في قلوبنا روح الجهاد والتضحية لتخرج الأمة الإسلامية من هذه الحال المهينة التي تعيشها هذه الأيام والتسلط الأمريكى الصهيونى، والحصار لشعوبنا، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠] وأول القوة قوة الإيمان، ثم قوة الوحدة، فالتزود من رمضان بزيادة التقوى والإيمان والتواصى بالحق والصبر، والجهاد في سبيل الله والسعى الجاد للوحدة.

ويجب ألا يداخلنا يأس، أو إحباط بسبب انتفاش الباطل وانكماش أهل الحق، بل يجب أن نبعث الأمل الكبير في المستقبل، وأن نثق في تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين، فعلينا أن نصلح علاقتنا بربنا، وأن ندعوه ونلج عليه بالدعاء في هذه الليالي الطيبة في شهر رمضان بأن يرفع الظلم عن المظلومين.

وعلينا ألا نهن أو نضعف أو نستكين أمام الأعداء ولنصبر ونثبت على الحق كما صبر رسولنا وصحابته^(٣).

(١) الله أكبر... الله أكبر، جريدة الشعب، ٢٣/٣/٢٠٠١ م.

(٢) جريدة الشعب، ٢٩/١٢/٢٠٠١ م.

(٣) رمضان وروح النصر - جريدة الشعب.

وناشد أستاذنا الحكومات العربية القيام بدورهم وواجبهم في الدفاع عن مقدساتهم ودعم إخوان العقيدة في فلسطين وفي كل مكان بقوله: [من أجل ذلك كنا ومازلنا ننتظر من الحكومات العربية والإسلامية موقفاً صريحاً واضحاً وحاسماً مشفوعاً بتحريك فاعل إزاء الاستراتيجية الجديدة لحلف الأطلسي التي أعلنها رؤساء أمريكا وأوروبا، تحرك على مستوى الدعوة إلى قمة عربية وإسلامية عاجلة لمواجهة خطر يستهدف الجميع، قمة تعلن رفضها لكافة أشكال التدخل العسكري وغير العسكري في شئون وأمور عالمنا وأقطارنا.

وأيضاً ننتظر تفعيلاً لمنظمتنا العربية والإسلامية لتفعيل دورها في مواجهة الأخطار المحدقة بالأمّة والتعامل معها من خلال كافة مؤسساتها.

كما ننتظر تفعيلاً لمعاهدات الدفاع المشترك، والوحدة الاقتصادية والاتفاقات التعليمية والثقافية التي تؤكد هوية الأمّة، وتصلق الأجيال على المواجهة والعطاء. إن الأمّة في انتظار خطوات عاجلة وفاعلة لتوحيد المواقف والسياسات، ونبذ الخلافات، والارتفاع إلى مستوى المسؤوليات الجسام، كما أنها في انتظار خطوات عاجلة من الحكومات لإصلاح وتنقية العلاقات بينها وبين الشعوب... خطوات تعتمد على سياسة إطلاق الحريات، وتأكيد المشاركة الشعبية، وإصلاح برامج التعليم والإعلام.

إن مثقفي الأمّة ومفكرها وعلمائها وكافة أحزابها وقواها الشعبية أمام واجب تاريخي عظيم، هم مسئولون عنه أمام أجيال الحاضر والمستقبل، وأمام التاريخ، واجب يشمل -من بين ما يشمل- العمل من أجل وضع الحكومات والمسؤولين أمام مسؤولياتهم، والسعي من أجل وحدة الصف والكلمة، ووضع المعالم الصحيحة للعلاقات الصحيحة بين الحكام والشعوب، وتبصير الكافة بأبعاد الأخطار المحدقة بهم، والإسهام في رسم السياسات، ووضع الخطط الكفيلة بصد وردع العدوان، وإفشال الاستراتيجيات المهيمنة، والتدخل ومصادرة حقنا في الأمن والحرية ونهوضنا بدورنا الحضاري في ديارنا وفوق أرضنا، وعلى الساحة العالمية^(١).

كما طالب الحكام العرب والمسلمين: [أن يعوا الدرس ويتحملوا مسؤوليتهم تجاه القضية المقدسة، فيلتمسوا أسباب القوة المعنوية والمادية وأولها قوة الإيمان، وحب الشهادة، والصبر على المكاره، والترفع على الدنيا، ويجب تربية الأفراد والشعوب على هذه المبادئ، وثانيها قوة الوحدة والترابط، ويقتضى المصالحة بين الشعوب والأنظمة، وإطلاق الحريات والالتزام

(١) أيها العرب والمسلمون اقدروا أنفسكم وخذوا حذركم.

بالشورى، والقضاء على الاستبداد والفساد، وإقامة العدل، وإعطاء الحقوق، ثم إزالة أسباب الشقاق والخلاف بين الحكومات، وتطبيق قرارات مؤتمرات القمم العربية والإسلامية.

وثالثها القوة المادية، بالحض على العلم وتطبيقاته فى كل المجالات، وبخاصة فى مجالات التسليح، وفى مجالات الاقتصاد وإقامة السوق العربية الموحدة تمهيداً لسوق إسلامية موحدة، واستخدام المصالح الاقتصادية للضغط على أمريكا والغرب لاتخاذ مواقف عادلة.

وإذا كان الخطر الأمريكى بات يهدد عالم العرب والمسلمين - الوجود والمصير والدور الحضارى - وأوشك التجزئ والتفتت أن يصيب أكثر من قطر، وصارت أمريكا تحشد كل إمكانياتها، وتتخذ كافة السبل لحشد دول أوروبا فى مواجهة العرب والمسلمين، فإن السؤال الذى يطرح نفسه هو دون شك:

ماذا على العرب والمسلمين أن يفعلوه وينهضوا به ليوажوها الهجمة الأمريكية ويتصدوا للعدو الصهيونى؟

وفى إجابته عن هذا السؤال قرر الأستاذ مصطفى مشهور أنه لا يختلف اثنان على ساحة العرب والمسلمين حول سبل المواجهة:

- وعلى رأسها أو فى مقدمتها تأتى وحدة الأمة.

- كما تأتى إعادة ترتيب البيت العربى والإسلامى من الداخل. ووحدة الأمة وإعادة ترتيب البيت أمران حتميان لمواجهة الهجمة الأمريكية، كما أنهما أمران ضروريان للتصدى للعدو الصهيونى ودحره، وهذان لا يمكن أن يتحققا إلا بخطوات نهض بها السابقون فى أوقات عصيبة واجهتها الأمة، ولكن تغلبت عليها واجتازتها منتصرة، ويأتى فى مقدمتها:

- ضرورة فض المنازعات والخلافات بين الحكام، وإحلال روح الوثام والالتقاء وتغليب مصلحة الأمة والنظر بعين المسؤولية لطبيعة المرحلة وفداحة الكارثة التى يمكن أن تحل بالجميع حكاماً وشعبياً إذا ظلت نوازع التفرق والاختلاف والتشتت.

- كما يأتى فى مقدمتها على مستوى الأقطار ضرورة رد المظالم والاعتراف بالآخر، وبذ سياسة الإقصاء والتخلى عن أساليب القهر والقمع، واعتماد أسلوب وجسور الحوار، وضرورة الاعتراف بحق المشاركة فى مواجهة خطر بات يهدد الحكام والمحكومين، ورفع القيود والسدود التى تكبل أو تعوق الحريات.

ويخص بذلك مسئولية الحكام فى مواجهة المؤامرة الأمريكية والصهيونية بقوله: «ومن

أجل ذلك تبقى المسئولية في شطرها الأكبر أمام التاريخ، وأمام الشعوب، وأمام الله معلقة في رقاب الحكام، مسئولية الوحدة، ومسئولية إعادة ترتيب البيت، وتوجيه إمبراطوريات الإعلام للدفاع عن قضايانا ورصد الميزانيات لإعداد العدة للقاء وحشد أجهزة الأمن وجيوشه بعد إعدادها لمواجهة العدو المتربص بنا، والذي يزاول في تبجح إجرامه في مختلف أقطارنا وضد إخواننا، هو رصيد في الميزان وصفحات بيضاء في سجل التاريخ^(١).

•• المصالحة بين الحكومات والشعوب:

وأكد أستاذنا: «أن الحكومات مطالبة بإفساح المجال أمام الشعوب كي تعبر عن نصرتها وانتصارها للشعب الفلسطيني، لنقدم له كافة أشكاله دعمها له، وتمارس حقها ودورها في اتخاذ القرار في وقت صارت وحدة الأمة -حكومات وشعوباً- مع حشد كافة الطاقات سبيلاً وحيداً لمواجهة العدوان الصهيوني الإجرامي ونصرة الشعب الفلسطيني «الأعزل». ومن أجل ذلك أهاب أستاذنا بالحكومات العربية: «أن ترفع يدها عن الشعوب، وترد إليها حقها في التعبير عن رأيها وموقفها بالقول والعمل، ولتمارس دورها على صعيد التضحية والبذل والعطاء في أخطر وأحلك الظروف التي تواجهها الأمة، وتتضافر فيها قوى الشر للنيل منها»^(٢).

•• إصلاح البيت العربي:

يقول أستاذنا: «إن واقع الأمة العربية والإسلامية والصلف الأمريكي المتحيز للكيان الصهيوني القبيح لا يوافق ولا يصده إلا إصلاح البيت العربي والإسلامي، وهو أمر نادينا به، وسنظل ننادي به، لأن فيه المخرج والخروج من المأزق، وإصلاح البيت العربي أمره في يد حكمانا، وفيه نجاتهم ونجاة شعوبهم وأقطارهم، كما أن فيه تبييضاً لصفحات تاريخهم». وعن أهمية القمة العربية كأحد مظاهر التلاقى العربي قال: «لنا أن نتساءل ويتساءل معنا جميع المهمومين بشأن وأمر الأمة، لماذا لا تكون هناك قمة عربية عاجلة تتبعها قمة إسلامية تنبئ قراراً واضحاً وصريحاً برفض أى عدوان أمريكى على العراق أو غير العراق، ورفض أى ضغوط أو تدخل أمريكى لتغيير عرفات أو صدام أو غيرهما، وفي الوقت نفسه تلتقى حول ميثاق يجمع صفوف الأمة، ويوحد قدراتها، ويحشد إمكاناتها لصد هجمة أمريكية، واقتلاع سرطان يهودى صار ينخر في الجسد العربى والإسلامى، والإعلان عن تغيير في أساليب الحكم والسلطة يعيد حق الحرية والأمن والاختيار للشعوب.

(١) هجمة شرسة لتفتيت وتجزىء عالم العرب والمسلمين، ٢٤/٨/٢٠٠٢م.

(٢) فى ذكرى الهجرة ١٩/٣/٢٠٠٢م.

لقد استيقظت الشعوب منذ زمن، ترى متى يستيقظ أصحاب الحكم والسلطان، ولقد صار الخطر يحدق بكراسى السلطة والسلطان، والمثال أكثر من واضح ومؤلم ومشين فى السلطة الفلسطينية وفى العراق»^(١).

وفى مقام آخر يقول أستاذنا: «علينا جميعاً أن نصلح أنفسنا وأن نعمل على إيقاظ غيرنا كي نعيش قضايا إخواننا وما يتعرضون له، وأن نعمل على تنبيه غيرنا ليكونوا ضد هذه الهجمة الشرسة، وأن نطالب حكومات العالم العربى والإسلامى بأن تفيق من غفلتها قبل فوات الأوان، وأن تقف الوقفة التى يملئها علينا جميعاً الإسلام إزاء هذه الحملات الضارية».

ويقول: «وإن كل ما يحدث رغم مرارته وشدته لن ينال من عزيمتنا أبداً، ولن يضعف الأمل فى النصر فى نفوسنا، لأن النصر جزء من إيماننا، بل كلما اشتدت ضراوة العدوان، تضاعف الجهد والحرص على التضحية مع الصبر والمصابرة والثقة فى تأييد الله ونصره».

ونستطيع أن نقول: [إن المستقبل للإسلام بإذن الله، ولكن من خلال عمل وجهاد وعرق، بعد التسليح بالإيمان والأخذ بكل أسباب القوة، فإلى الإيمان الصادق وإلى الأخوة والوحدة والعزة والثقة فى وعد الله]^(٢).

(١) أمريكا تعد اليوم لضرب العراق وغدا تضرب غير العراق - موقع مركز الإعلام الفلسطينى ١٩/٨/٢٠٠٢م.

(٢) من وحى الحج: بين عالمية الإسلام وخطايا العولمة - موقع مركز الإعلام الفلسطينى ٩/٢/٢٠٠٢م.

[٢]

أفغانستان

كان للحاج مصطفى مشهور مشاركات عظيمة في قضية أفغانستان، وتعاون معه الدكتور أحمد الملط عليه رحمة الله والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، فقد قام بدعم المجاهدين الأفغان لتحرير وطنهم من الاحتلال السوفيتي، وكانت له لقاءات كثيرة مع قادة المجاهدين، وذهب كثيراً إليهم وزارهم في أماكنهم لدعمهم والتعاون معهم ومساعدتهم في المجالات الإغاثية والمجالات الطبية والدعم المعنوي، ولم يكن للإخوان دعم في المجالات العسكرية، لأنهم لا يملكون مثل هذا الدعم. . . كما كان له دور كبير في فض الخلافات التي كانت قائمة بين قادة المجاهدين الأفغان وحثهم على التوحيد والترابط، واستمر دعم الإخوان لهذه القضية حتى خرج السوفييت ودخل المجاهدون [كابول].

والجدير بالذكر أن الحاج مصطفى مشهور ومعه الدكتور أحمد الملط والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح كانوا في بيشاور وقت خروج السوفييت ودخول المجاهدين إلى [كابول]، وكان الحاج مصطفى يريد دخول كابول وكان منفعلاً ومهتماً وحرص على الدخول، إلا أن قادة الجهاد الأفغانى نصحوه وطلبوا منه عدم الدخول في هذا الوقت بالذات لعدم الاستقرار الأمني واحتمال تعرض حياته ومن معه للخطر، وحرصاً على سلامته ومن معه، وأن يدخلوا في وقت لاحق بعد استتباب الأمن. . . ولكنه عاد ومن معه إلى مصر ولم يدخلوا بعد ذلك لمنع الدخول إلى هناك والسفر إلى أفغانستان من الحكومة المصرية^(١).

يقول الأستاذ مسعود السبحي^(٢): «عشت مع الحاج مصطفى في بيشاور، حيث كان هو يترأس لجنة الد [١٧] المكونة من الدول التي تقوم بمساعدة المجاهدين الأفغان، فكنا ننام سوياً، فأقوم بالليل فإذا به يقوم ليله وما ترك القيام أبداً لا في سفر ولا في حضر، أجده يصلح ويدعو للمجاهدين الأفغان وغيرهم، وكان يغسل ثيابه بنفسه، فأطلب منه أن نرسلها لمن يغسل الثياب بأجر فيقول لي: «إذا كان لديك ثياب تحتاج إلى غسيل فأعطينها!».

احتاج المجاهدون الأفغان إلى مستشفى للنساء والأطفال، وكنت من المسؤولين عن التبرعات في [جمعية الإصلاح في دولة الإمارات]، فوعد الحاج مصطفى الأستاذ [عبدرب

(١) حوار مسجل مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

(٢) حوار مسجل مع الأستاذ مسعود السبحي.

الرسول سياف - أحد قادة الأفغان] ببناء هذه المستشفى وإعدادها وتجهيزها تجهيزاً كاملاً...
وكان معنا الأستاذ [صقر المرى] وكيل وزارة العدل والشئون الدينية والأوقاف في دولة
الإمارات - وكان هو المراقب العام للإخوان المسلمين في الإمارات، وتم بفضل الله تبارك
وتعالى ثم بفضل الحاج مصطفى مشهور بناء المستشفى وتجهيزها تجهيزاً كاملاً كما وعد.
وكان الحاج مصطفى يجلس مع قادة الأفغان [برهان الدين رباني وعبدرب الرسول سياف
وقلب الدين حكمت يار ويونس خالص وغيرهم الساعات الطوال حتى يكونوا على قلب
رجل واحد... ولكنهم تنازعوا وفشلوا!!

[٣]

باقي قضايا الأمة والأقليات المسلمة

أما القضايا الأخرى على سبيل المثال لا الحصر: البوسنة والهرسك، كوسوفا، الشيشان، كشمير، حرب الخليج، السودان، الصومال، الفلبين، بورما... إلخ. فقد كان أستاذنا مصطفى مشهور يحرص على الإلمام بها بكل دقة وتفصيل ويتابعها أولاً بأول، ثم يتناولها في كتاباته وأحاديثه المختلفة، ويبحث إخوانه على الاهتمام بها أيضاً.

وكان دعمه المعنوي واضحاً لهذه القضايا، وكذلك موقف جماعة الإخوان المسلمين الذي يتمثل في البيانات التي تصدرها دعماً لهذه القضايا، هو خير دليل وأوضح برهان. وبهذه المناسبة نرفق بعضاً من هذه البيانات:

- ١- الإخوان المسلمون يهيئون بألف مليون مسلم نصرته المسلمين في كوسوفا.
- ٢- بيان بشأن اشتعال نار الحرب في كشمير.
- ٣- بيان بشأن العدوان الروسي على جمهورية الشيشان.
- ٤- بيان بشأن التهديد الروسي للشيشان.
- ٥- بيان بشأن العدوان الصهيوني الإجرامي على لبنان.
- ٦- بيان بشأن العدوان الأمريكي على العاصمة العراقية بغداد.
- ٧- بيان بشأن حكم المحكمة الأوروبية ضد حرب الرفاه.
- ٨- الإخوان المسلمون يستنكرون العدوان الإجرامي من حكومة الصين على القيادات الصينية المسلمة.
- ٩- بيان بشأن العدوان الأمريكي على الشعب الأفغاني.
- ١٠- بيان بشأن الأحكام الضالة في حق كوكبة من أخلص وأنزه أبناء ليبيا.
- ١١- الإخوان المسلمون يحيون الجهاد الكشميري - ويستنكرون التحالف الأمريكي الهندي ضد باكستان.

الإخوان المسلمون يهيبون بألف مليون

مسلم نصرته المسلمين في كوسوفا

الإخوان المسلمون، وهم يحسون ألم الأمة يعتصر القلوب . . وغضب شعوبها يغلى في الصدور إزاء ما نزل وينزل بإخوانهم المسلمين أصحاب الأرض والديار في كوسوفا من قتل وإبادة على أيدي الصرب المجرمين . . مع إحراق المدن والقرى وسلب للممتلكات وحصار للألوف الذين يسقطون صرعى الرصاص أو صرعى الجوع . . وطرده وتشريد الألوف، لإخلاء الأرض من أصحابها الشرعيين، يهيبون بملوك وأمراء وحكام المسلمين أن يهبوا لنجدة وإنقاذ مسلمي كوسوفا من خلال اجتماع عاجل وحاسم يحشدون فيه كل إمكانات وأسلحة الضغط والمواجهة لدى الأمة وهي كثيرة . . من أجل وقف المجازر وإعادة أهل كوسوفا لديارهم، وتأكيد رفض أكثر من ألف مليون مسلم لكافة أشكال العدوان الوحشى الذى يتعرض له المسلمون فى أى مكان .

كما يهيبون بمنظمة المؤتمر الإسلامى والمنظمات العربية الإسلامية وكافة الشعوب العربية والإسلامية وكافة القوى الحرة أن ينهضوا بدورهم الصحيح فى التصدى لأساليب الإبادة والذبح والطرده التى تنتهجها القوى المعادية للإسلام والمسلمين . . وتقديم كافة أشكال الدعم والعون لإخوانهم . . ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

ويناشدون أصحاب الضمائر الحية فى شتى أنحاء العالم للنهوض بدورهم الإنسانى فى مساعدة وإنقاذ أهل كوسوفا .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ١٧ من ذى الحجة ١٤١٩هـ

٢ من أبريل ١٩٩٩هـ

بيان بشأن اشتعال نار الحرب فى كشمير

إن قضية كشمير من أقدم القضايا الخطرة والساخنة، والتى نشأت بسببها حروب متعددة، والسبب فى ذلك تعنت دولة الهند ورفضها الانصياع للحق الطبيعى لشعب كشمير فى تقرير مصيره وهو ما قرره هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن منذ نحو خمسين عاماً، وخلال هذه المدة وهى تعمل على تغيير الطبيعة السكانية لإقليم كشمير، وتعمل على استئصال الغالبية المسلمة،

وأن يحل محلها جاليات أخرى غير مسلمة، ورغم ذلك فإنه حتى الآن ٨٠٪ من أهالي كشمير من المسلمين، الذين ينتهزون كل فرصة لإعلان رغبتهم في الانفصال عن دولة الهند. وقد استعرت الحرب مؤخراً، وصار الوضع خطيراً؛ لأنه في السنوات الأخيرة أصبحت كل من الهند وباكستان من الدول النووية، مما تزايد معه مخاطر الحرب، وأنها قد تؤدي إلى كارثة دولية.

ونحن نطالب بتدخل دولي محايد وسريع لحماية شعب كشمير، ولإجراء استفتاء صحيح وسليم تظهر فيه رغبة الشعب الكشميري بوضوح وبصورة لا تقبل الشك، ومن ثم يتقرر مصير كشمير، وحق أهلها الطبيعي في اختيار ما يريدونه. إن ما وقع في الشهور الأخيرة في البلقان عموماً وفي كوسوفا خصوصاً، يؤكد حق الشعوب في تقرير مصيرها، وإن هذا هو ما يؤيده الرأي العام الدولي.

الإخوان المسلمون

القاهرة في، ٢ محرم ١٤٢٠هـ

٦ يونيو ١٩٩٩م

بيان بشأن العدوان الروسي على جمهورية الشيشان

يستنكر الإخوان المسلمون ويدينون العدوان الإجرامي الذي تشنه روسيا ضد الشعب الشيشاني المسلم، في انتهاك سافر لاستقلاله وأمنه، وتجاوز خطير لأبسط القيم والمثل الإنسانية، يتمثل في تدمير القرى والمدن وإبادة مظاهر الحياة، بالغارات الجوية والصواريخ والمدفعية من قطع المياه والكهرباء وفرض الحصار حول الأبرياء مما أدى إلى مقتل وجرح الألوف، وهجرة أكثر من ربع مليون شيشاني إلى خارج بلادهم يعانون الجوع ويفتقرون إلى المأوى الآمن كما يتعرضون لأقسى أشكال القهر والحرمان.

كما أن الإخوان المسلمين وهم يدينون انتهاك روسيا للمعاهدة التي وقعتها مع جمهورية الشيشان وسحب الاعتراف باستقلالها، والسعي الحثيث لاحتلال كافة أراضيها وفرض حكومة عميلة، يعتبرون الموقف الأمريكي والأوروبي وأيضاً الموقف الصيني الذي أعلن أن ما يجري من مذابح للشعب الشيشاني وعدوان على أرضه هو شأن روسي داخلي يلتزمون إزاء الحياد، إنما هو موقف منحاز للعدوان الروسي على الإسلام والمسلمين في الشيشان، كما أنه يصادر كافة حقوق الشعوب الإسلامية التي تحتل روسيا أراضيها في الاستقلال والحرية وحق تقرير المصير، كما يحول دون المنظمات الدولية وممارسة أدنى أدوارها.

إن الإخوان المسلمين ليهيبون بالحكومات العربية والإسلامية وكافة المنظمات والهيئات الإنسانية العالمية والعربية والإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية، أن تقف إلى جانب الشعب الشيشاني ضد العدوان الروسي، وأن تؤكد دعمها ومساندتها لاستقلاله وحرية، وأن تمارس كافة ضغوطها ضد روسيا حتى توقف عدوانها وتسحب قواتها من الشيشان، التزاماً بالمواثيق والمعاهدات واحتراماً لحق جمهورية الشيشان فى الاستقلال والأمن والحرية.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ٥ من رجب ١٤٢٠هـ

١٤ من أكتوبر ١٩٩٩م.

بيان بشأن التهديد الروسى للشيشان

لقد صُدم العالم وأصابته الدهشة والوجوم إزاء تهديد القيادات الروسية بتدمير عاصمة الشيشان جروزنى وقتل كل من يتواجد فيها، بصرف النظر عن كونه طفلاً أو شيخاً أو امرأة أو عاجزاً مريضاً، وذلك فى الوقت الذى تحاصر فيه الجيوش الروسية البلدة من جميع جوانبها بأعداد ضخمة وأسلحة متطورة لا وجه المقارنة بينها وبين القلة من المحاربين الشيشان الذين هم أشبه بالعزّل لقلة عددهم وأسلحتهم.

إن الإخوان المسلمين ليستنكرون هذه الوحشية البالغة الشذوذ، والتى تشير الاشمئزاز وهى بكل المقاييس الإنسانية وقوانين الحروب العالمية مرفوضة وبغيضة.

إن الإخوان المسلمين يطالبون القيادة الروسية بما أجمعت عليه القيادات العالمية، من ضرورة قبولها البحث عن حلول سياسية تنتهى بها هذه الحروب البشعة، التى ليس من ورائها إلا الخراب والدمار وتأصيل العداة والبغضاء.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل،

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ٣٠ من شعبان ١٤٢٠هـ

٨ من ديسمبر ١٩٩٩م

بيان بشأن العدوان الصهيونى الإجرامى على لبنان

إن العدوان الغاشم الذى شنه الكيان الصهيونى الغاصب على لبنان الشقيق ليقتل أبناءه

ويروع ويشتت شعبه ويدمر بنيته التحتية، فضح ما يسمى بمسيرة السلام، وأبان عن حقيقة ما يُسمى بالعملية السلمية، وأكد في الوقت نفسه حقيقة ونوايا وأهداف العدو الصهيوني الذي يسعى لسيط نفوذه وسلطانه على المنطقة واقتلاع جذور هويتها وأصالتها.

وكنا وما زلنا نحسبه كفيلاً بجمع العرب على كلمة سواء عبر قمة عربية عاجلة، ترتفع فوق الخلافات وتضع حاضر ومستقبل العرب فوق كل الاعتبارات، لتوحد صفوف الأمة وتحشد إمكاناتها وطاقاتها في مواجهة العدو، هي السبيل الوحيد والصحيح لردع العدوان واقتلاع جذور المعتدين.

إن الإخوان المسلمين إذ يستنكرون هذا العدوان الإجرامي الغاشم على لبنان الشقيق، يطالبون الدول العربية إعلان وقوفها في حزم وصلابة وبكافة أشكال الدعم والحشد إلى جانب لبنان الشقيق، وتذليل كافة العقبات التي تعترض طريق القمة العربية المأمولة لاتخاذ الموقف الذي ترتقبه الأمة وتنتظره على مستوى الردع والمواجهة.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الإخوان المسلمون

القاهرة في ٦ من ذي القعدة ١٤٢٠ هـ

١٢ من فبراير ٢٠٠٠ م.

بيان بشأن العدوان الأمريكي على العاصمة العراقية بغداد

جاء العدوان الأمريكي البشع ضد المدنيين العراقيين في بغداد عاصمة العراق الشقيقة ليذكر الشعوب العربية والإسلامية بازواجية المعايير الأمريكية في التعامل مع القضايا العربية، حيث الصمت التام إزاء المجازر البشعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني ضد شعبنا البطل في فلسطين المرابطة، والعدوان غير المبرر على الشعب العراقي، وجاء وصف الرئيس الأمريكي لقتل المدنيين بأنه عمل روتيني ليعكس نظرة الإدارة الأمريكية الجديدة إلى الشعوب الأخرى، وانفرادها التام بتقرير مصائر الأمم وغطرسة القوة حين تتجبر وتطغى.

إن هذا العدوان البشع رسالة واضحة إلى الشعوب العربية والإسلامية، وإلى الأنظمة والحكام الذين سيعقدون قمتهم الشهر القادم في عمان.

وإن ردنا على هذه الرسالة يجب أن يكون باستمرار التقارب مع الشعب العراقي والوقوف بجانبه في محنته تحت الحصار الذي طال وامتد لعشر سنوات، وإن القمة العربية القادمة مطالبة

باتخاذ قرارات حاسمة لرأب الصدع العربي ، واستعادة وحدة الصف والوقوف ضد هذه الهجمة الوحشية البربرية ، لكي تفرغ الأمة لدعم وتأييد الانتفاضة الباسلة بصورة جدية ملموسة ، حيث أوشكت السلطة الفلسطينية على الإفلاس والانهيار ، ولمواجهة حكومة الحرب الصهيونية الجديدة بجدية كاملة واستعداد تام على كل الأصعدة .

الإخوان المسلمون

القاهرة في: ٢٢ من ذي القعدة ١٤٢١ هـ

١٧ من فبراير ٢٠٠١ م

بيان بشأن حكم المحكمة

الأوروبية ضد حزب الرفاه

كشفت أوروبا عن حقدتها وعدائها الشديدين للإسلاميين والمسلمين ، وأسفرت عن وجهها المتعصب ضد كافة حقوق ومصالح المسلمين ، أكدت ذلك في سفور من خلال الحكم الصادر عن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان والذي أيد حل الحكومة العلمانية في تركيا لحزب الرفاه ومصادرة أمواله وحرمان مؤسسة د: نجم الدين أربكان ومجموعة من قياداته من حق العمل السياسي ، رافضة الدعوى التي أقامها د. أربكان على الحكومة العلمانية في تركيا ، والتي أكد فيها أن قرارها بحل الحزب عمل يخالف حقوق الإنسان .

لقد زعمت المحكمة أن حل حزب الرفاه الإسلامي عام ١٩٩٨ ، لا يشكل خرقاً للمادة ١١ من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان التي تضمن حرية الاجتماع وإنشاء الجمعيات ، وأن العقوبات التي فرضتها الحكومة العلمانية ضد أربكان يمكن أن تعتبر تلبية لحاجة اجتماعية ماسة لحماية الديمقراطية ، لأن مسئولى الحزب كما زعمت المحكمة ، قد هددوا باللجوء إلى القوة لإنشاء نظام قضائي متعدد يقوم على التمييز في المعتقدات واعتماد الشريعة الإسلامية التي تختلف جداً عن قيم الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان .

هكذا أصدرت المحكمة حكمها ، وهي تقفز فوق حق كافة الناس ومنهم المسلمون في أقطارهم وديارهم في الاعتقاد وفي حرية الرأي والفكر والعبادة ، والاحتكام إلى شرائعهم وقوانينهم ، ولم تتورع أن تعتمد اتهاماً مزعوماً لا يستند إلى دليل ، وجهته الحكومة العلمانية لحزب الرفاه الإسلامي بالتهديد باللجوء إلى القوة لإنشاء نظام قضائي يقوم على التمييز في المعتقدات . وإن كانت المحكمة لم تستطع أن تخفي حقيقة توجهها وجهها حين قالت إن الحزب يعمل على اعتماد الشريعة الإسلامية التي تختلف عن قيم الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان .

لقد أكد الحكم انحياز أوروبا ضد الإسلام والمسلمين ، وأكد زيف وكذب الدعاوى التي ترفعها أوروبا تزعم فيها دعمها ومساندتها لحقوق الإنسان .

إن الإخوان المسلمين لا يرون في الحكم الصادر عن المحكمة إلا وجه أوروبا المنحاز ضد الإسلام وحق الشعوب الإسلامية في الاحتكام إلى الشريعة السمحاء ، التي تؤكد حرية وأمن الناس وحقهم في العبادة والرأى والفكر دون تمييز ، أوروبا التي عاثت فساداً واستعماراً وظلماً وجوراً في عالم المسلمين وناصرت ومازالت تناصر الكيان الصهيونى الغاصب في ابتلاع أرض وديار الشعب الفلسطينى العربى المسلم ، واستخدام كافة السبل الإجرامية لتصفيته أو طرده من أرضه ، ومن ثم فإنهم يدينون هذا الحكم المنحاز ضد الحق والعدل ، ويهيبون بالأمة بكافة مؤسساتها وقواها الشعبية ومفكريها وعلمائها أن تعلن رفضها واستنكارها لهذا الموقف الأوروبى وأن تعلن دعمها وتأييدها لحق الإنسان التركى المسلم وحق الشعب التركى المسلم ، وكافة الشعوب الإسلامية ، فى العيش فى ظلال إسلامها وممارسة كافة حقوقها فى الحرية والأمن والفكر والعبادة ، واتخاذ كافة السبل المشروعة لتأكيد الحفاظ على هويتها وأصالتها ، ودفع الظلم وإزاحة الفساد والمفسدين ، وإعادة توثيق روابط الإيمان والأخوة بينها .

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] .

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ١٢ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

٢ من أغسطس ٢٠٠١م

الإخوان المسلمون يستنكرون العدوان الإجرامى

من حكومة الصين على القيادات الصينية المسلمة

أفادت وسائل إعلام محلية وعالمية أن حكومة الصين قامت باعتقال مجموعة من القيادات الإسلامية الصينية وأجبرتهم على شرب الخمر ، وطاف بهم فى عربات نقل فى الشوارع قبل اقتيادهم لمواقع الإعدام وتصفيتهم بالرصاص أمام آلاف المواطنين للسخرية منهم .

وإذا صح الخبر ، وهو ليس بمستبعد على حكومة الصين التى آلت على نفسها محاربة الإسلام وتصفية المسلمين ، فإنه يعنى أنها استغلت الأجواء التى خلفتها عمليات التفجير التى لحقت بمقر التجارة العالمية فى نيويورك والحملات الموجهة عبر الإعلام الغربى والصهيونى ضد الإسلام والمسلمين ؛ لترتكب جريمتها الشنعاء متجردة من كافة القيم الإنسانية .

والإخوان المسلمون وهم يستنكرون هذه الفعلة الدنيئة الخسيسة يهيبون بكافة الحكومات العربية والإسلامية أن تستنكر وتدين هذا العمل الإجرامى ، وتعيد النظر فى علاقاتها وارتباطاتها مع حكومة الصين بما يتفق وما فيه أمن وحرية وكرامة الإخوة المسلمين فى الصين . . كما يهيبون بكافة الشعوب العربية والإسلامية أن تقاطع كل الواردات الصينية وأن تعلن رفضها بكافة الطرق المشروعة لهذا الإجرام الصينى المسافر .

كما يستنكر الإخوان المسلمون كافة أشكال العدوان والتطاول التى تلحق بالإنسان المسلم ودور العبادة ومواقع العمل الخاصة بالمسلمين فى دول الغرب ، مؤكدين أن قدرة الأمة الإسلامية على مواجهة ما يحاك ويحيق بها من أخطار ومؤامرات إنما تتمثل فى اعتزازها بإسلامها وبوحدتها على أساس إيمانها وسعيها فى عزة وإصرار لتحقيق قول ربها فيها : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ١٢ من رجب ١٤٢٢ هـ

٢٩ من سبتمبر ٢٠٠١ م

بيان بشأن العدوان الأمريكى على الشعب الأفغانى

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [الحج : ٣٩] صدق الله العظيم . إن موقف الإخوان المسلمين الثابت هو إدانة العنف والعدوان على الأبرياء أيًا كان مصدره : فردًا أو جماعة أو دولة أو تحالفًا عدوانيًا .

وانطلاقًا من هذا الموقف الثابت ، وكما أدان الإخوان من قبل تفجيرات الثلاثاء ١١/٩/٢٠٠١م فى أمريكا ، فإننا ندين العدوان الأمريكى على الشعب الأفغانى الشقيق ، ونطالبها فوراً بكف العدوان واتخاذ خطوات وإجراءات دولية قانونية تستند إلى ميثاق الأمم المتحدة ، ومحاكمة المتهمين محاكمة عادلة بدلاً من الحرب والتخريب وقتل الأبرياء وتدمير بلد بأكمله .

إن الحرب الأمريكية المعلنة لن تؤدى إلا إلى مزيد من الغضب فى الشعوب الإسلامية وستؤجج مزيداً من العداوات ضد السياسة الأمريكية المتحازة الباطشة المتحيزة .

إن أمريكا تتصرف منفردة دون قرار دولى ، ولا تستند إلا إلى شرعية القوة والغلبة ، وهى نفس الشرعية التى استند إليها مرتكبو أحداث الثلاثاء .

إننا ننادى بصوت العقل في أمريكا كلها شعباً وحكومة وأفراداً، أن يراجعوا سياستهم مع الآخرين، وأن يتعاملوا بحكمة واعتدال حتى لا تتولد عداوات جديدة.

فالمسلمون يرون الشعوب المسلمة في فلسطين والعراق وغيرها تحترق بنيران الأسلحة الأمريكية كل يوم ولا صوت في العالم يطالب أمريكا بالعدالة.

إننا نطالب أمريكا بالتوقف عن الانحياز الكامل للعدو الصهيوني وإعلان فك التحالف الاستراتيجي مع هذا الكيان المغتصب والاعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه وموارده ومقدساته وإعلان دولته الحرة المستقلة.

كما أننا نطالب أمريكا برفع يدها عن مصائر الشعوب الأخرى والاعتراف بتعدد الحضارات وتوازن المصالح وإرساء قيم العدالة والمساواة والحرية.

يا شعوب العالم الحر، أوقفوا هذا العدوان البشع على شعب أعزل لا يملك ما يرد الاعتداء.

يا حكومات العالم العربي والإسلامي، قدموا يد العون إلى الشعب الأفغاني المسلم، فمن العار أن تعلن أمريكا تقديم المساعدات وهي تضربه بالصواريخ والعالم الإسلامي يلفه الصمت.

ويا أمة الإسلام أعلنى لأمريكا غضبك على سياستها الخرقاء المنحازة، واعملوا لمساندة الشعب الأفغاني المظلوم لرد هذا العدوان، فالمسلم للمسلم كالبنان يشد بعضه بعضاً.

الإخوان المسلمون

الاثنين الموافق ٢١ من رجب ١٤٢٢ هـ

٨ من أكتوبر ٢٠٠١ م

بيان بشأن الأحكام الظالمة في حق

كوكبة من أخلص وأنزه أبناء ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي يحدق فيه الخطر الأمريكي بالعالم العربي والإسلامي مهدداً الوجود والمصير على مستوى الشعوب والحكام، وعلى مستوى الدور الحضاري، مما يوجب ويحتم وحدة الصف العربي والإسلامي وإزالة كل أسباب الخلاف والمشاحنات بين الحكومات مع توثيق عرى وروابط المصالحة بين الحكام والشعوب سعياً لحشد كافة الإمكانيات العربية والإسلامية لمواجهة الهجمة الأمريكية التي باتت تهدد حاضر ومستقبل كافة العرب والمسلمين، إذ بنا نفاجاً بأحكام ظالمة جائرة قاسية تصدر في ليبيا عن محكمة استثنائية، شكلها

النظام الليبي الحاكم لمحاكمة كوكبة من أبناء الشعب الليبي الشقيق يمثلون طليعة مفكره ومتخصصيه ومخلصيه على مستوى الجامعات ومختلف المؤسسات فى ليبيا، وذلك بعد عام من المحاكمات السرية تعرضوا فيها لأقسى أشكال التعذيب دون سند من قانون، وفى ظل التغيب التام للإعلام بكافة وسائله، ودون حصولهم على أى حق قانونى فى الدفاع عن النفس أو العرّض على القضاء الطبيعى أو توكيل محامين عنهم، ومن ثم صدرت الأحكام الجائرة تتراوح بين الإعدام والمؤبد والسجن، فى حق مائة وستين من المشهود لهم بالصفاء والنزاهة والسيرة الطيبة والعطاء على مستوى الجامعات والمؤسسات والمصالح التى يعملون فيها؛ لأن تهمتهم هى الانتماء إلى الفكر الإسلامى الوسطى المعتدل.

إن الإخوان المسلمين وهم يدينون هذه المحاكمات والأحكام التى لا تستند إلى قانون، يعتبرونها مؤشراً صارخاً على استمرار غلبة وهيمنة سياسة القمع والبطش وحرمان الشعب الليبي من كافة حقوقه خاصة فى الأمن والحرية والمشاركة، كما تمثل حرماناً للشعب الليبي من طاقات وإمكانات وجهود أبنائه المخلصين فى مجالات العلم والتقدم والنهوض، وهى فى الوقت نفسه دليل الانصراف عن خطر الطوفان الأمريكى الذى يهدد وجود وحاضر ومستقبل الجميع على مستوى الدول والحكومات والشعوب.

إن الإخوان المسلمين يهيبون بكافة الحكومات العربية والإسلامية وكافة القوى الشعبية الإسلامية والوطنية وكافة منظمات حقوق الإنسان، التحرك لشجب وإدانة هذه الأحكام الجائرة الظالمة، ومطالبة النظام الحاكم فى ليبيا بإلغائها وإطلاق سراح هذه الصفوة من أساتذة الجامعات والعلماء والمفكرين والمثقفين الليبيين، تأكيداً للعدالة وحفاظاً على ثروة ليبيا المتمثلة فى أنزله وأخلص أبنائها، ومضياً على طريق الوفاق الوطنى الداخلى الذى تقتضيه مصلحة ليبيا وتحتمه المصلحة العربية الإسلامية، والتزاماً بتوجه الشعب الليبي العربى المسلم المعتز بأصالته الراسخة عقيدته والزاهر والمشرق مستقبه، فى ظلال وإطار ما تمثله هذه الكوكبة من فكر إسلامى وسطى مستنير... فيه وحدة مقومات النصر والتمكين.

الإخوان المسلمون

الاثنين الموافق ٨ من ذى الحجة ١٤٢٢هـ

٢٠ من فبراير ٢٠٠٢م

الإخوان المسلمون يحيون جهاد الشعب الكشميرى

إن الإخوان المسلمين وهم يحيون جهاد الشعب الكشميرى الشقيق من أجل ممارسة حقه

في الحرية والأمن والحياة الكريمة فوق أرضه وفي دياره وإزاحة الاستعمار الهندي عن ترابه، ويستنكرون الممارسات الإجرامية للاحتلال الهندي الغاشم لكشمير، كما يستنكرون الموقف الأمريكي المتحاز في سفور إلى جانب الهند في احتلالها لكشمير، وتصفية القضية الكشميرية وإغلاق ملفها.

إن الإخوان المسلمين وهم يهييئون بكافة الشعوب العربية والإسلامية وكافة العرب والمسلمين . . أن ينهضوا بواجبهم في دعم ومؤازرة الشعب الكشميري ودعم ونصرة باكستان، والوقوف إلى جوارهما تحامياً مع قول النبي عليه الصلاة والسلام: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»^(١)، كما يطالبون بقمة إسلامية عاجلة تتصدى للهجمة الأمريكية اليهودية في فلسطين والهجمة الهندية المدعومة أمريكياً ضد كشمير وباكستان.

كما يهييئون بالرئيس الباكستاني مشرف أن يفسح المجال لكافة الجهود لإعادة ترتيب البيت الباكستاني بما يؤكد الحرص على وحدة الصف، وجمع الشمل، وتضافر كافة القوى، تأكيداً وتحقيقاً لاستقلال القرار والإرادة، واستجابة وامثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾ [الحج: ٧٨] وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧].

الإخوان المسلمون

القاهرة في: ٢٢ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ

٢ من يونيو ٢٠٠٢م

(١) سبق تخريجه وهو صحيح رواه البخاري برقم ٦٠١١.

[٤]

العلاقة مع الأقباط

من التهم الباطلة والافتراءات المقيتة التي ألصقت للإخوان المسلمين للتشويه على دعوتهم: أنهم متعصبون ضد الأقليات الدينية والأقباط بصفة خاصة، وأنهم لا يعطونهم حق المواطنة، ويطالبونهم بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، ولا يبدأونهم بالسلام، ويضيقون عليهم الطريق، ويمنعونهم من وظائف الدولة خصوصاً العسكرية (الشرطة والجيش) . . إلى آخر هذه التهم . .

أما حقيقة الأمر وواقع العلاقة بين الإخوان المسلمين والأقباط، فهي طيبة منذ نشأة الجماعة ولا تزال كذلك .

فالإمام الشهيد حسن البنا كان يعي تعاليم الإسلام جيداً في هذا الأمر وفي غيره، ويتعامل مع الأقباط بروح التسامح الإسلامي الأصيل، ومفهوم المواطنة الصحيح، وكان موقفه هذا يصدر عن عقيدة راسخة وإيمان عميق وفهم للإسلام صحيح ودقيق وليس نفاقاً سياسياً يظهر غير ما يبطن لمواقف بعينها، أو حل مشاكل معينة .

وهناك مواقف وقصص تشهد على ما نقول منها على سبيل المثال:

ما قاله الدكتور حسان حتوت في مقاله: [تهمة التعصب]^(١).

[فماذا عن قنا؟ البداية حفل كبير زاخر، على رأسه علماء المسلمين وقسس الأقباط . . وعلى ذكر قسس الأقباط فإن كثيرين يحاولون أن يلصقوا بالرجل ودعوتهم تهمة التعصب ضد النصراني، أو التفرقة بين عنصرى الأمة، ويشهد الله ومن حضر من الصادقين أن العكس هو الصحيح، فلم يكن الرجل داعية بغض ولا تفرقة، وكان يبرهن أن الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تكون مصدر إزعاج للأقباط، لأنها ستطبق علينا وعليهم على السواء، وأنها لا تصادر نصرانية نصراني . . .

وقد وجدت دعوة الرجل صداها وتصديقها لدى ذوى الفهم من المسلمين والأقباط . . . ويكفى أن أذكر بأن الأستاذ [لويس فانوس] من زعماء الأقباط، كان من الزبائن المستديمين لدرس الثلاثاء الذى يلقيه حسن البنا وكانت بينهما صداقة وطيدة .

(١) نشرت هذه المقالة مجلة الأمة القطرية عدد [٥٥] بتاريخ رجب ١٤٠٥ هـ.

وأن حسن البنا عندما تقدم مرشحاً لانتخابات البرلمان كان وكيله الذى يمثله فى مقر إحدى اللجان الانتخابية رجلاً قبطياً .

وأن البنا لما اغتيل ومنعت الحكومة أن يشيع فى جنازة، لم يمش وراء نعشه إلا رجلان هما والده ومكرم عبيد السياسى النصرانى المعروف .

وشهادة ثانية:

شكل مكتب إرشاد الجماعة لجنة سياسية عليا برئاسة وكيل الجماعة وعضوية سكرتير الجماعة وعضو من أعضاء مكتب الإرشاد و ٩ أعضاء آخرين منهم ثلاثة من كبار الأقباط هم: الأستاذ وهيب بك دوس المحامى، والأستاذ لويس فانوس عضو مجلس النواب، والأستاذ كريم ثابت الصحفى الكبير .

وثالثة:

أرسل الإمام حسن البنا رسالة تهنئة إلى [توفيق دوس] بمناسبة انتخابه عضواً فى مجلس الشيوخ المصرى، رد عليها [دوس] بتهنئة بمناسبة صدور جريدة [الإخوان المسلمين] اليومية وتأكيد نزع الإخوان القومية^(١).

ورابعة:

رد [توفيق غالى] من أقباط مصر على مقالات [سلامة موسى] فى عهد الإمام البنا، اتهم فيها موسى الإخوان بأنهم يثيرون الفتى الطائفية .

وقد أكد توفيق غالى فى رده: [إنى أعترف بأنهم [الإخوان المسلمون] أشرف الجماعات مقصداً، وأنبلهم خلقاً، ولن أقدم دليلاً إلا أن شعبهم يجاورها المسيحيون من كل جانب، ومع ذلك لم نر منهم إلا كل أدب وتقدير لإخوانهم المسيحيين، وأن شعبتهم بقسم الصيادين بالزقازيق تجاور الكنيسة ولا ينظرون إليها إلا بكل احترام].

قصة نقل الإمام البنا إلى قنا:

فى منتصف عام ١٩٤١م تم اتصال بين السفارة البريطانية وحسين سرى باشا رئيس الوزراء والمعروف بولائه لهم، ليصدر الباشا أمراً بحل جماعة الإخوان المسلمين وإغلاق شعبهم! . .

(١) أذكر بمناسبة النزعة القومية أن الأمام البنا قد عقد المؤتمرات فى عواصم المحافظات لشرح الأهداف والمبادئ القومية، وكان يصطحب معه أحد الأقباط المتخصصين ليتحدث فى قضية [قناة السويس] واسمه ناصف ميخائيل، وذلك ليؤكد معنى التضامن الوطنى بين الأغلبية المسلمة والأقلية القبطية، وأن مصر لهم جميعاً. وكان هذا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ولكن ما الدافع إلى هذا؟ قالوا: إن رئيسهم حسن البنا عدو لنا ولن نأمن وجوده في حالة الحرب هذه... إذن النفي إلى آخر الدنيا، هكذا كان رد الباشا: [أنفيه لكم إلى آخر الدنيا، اطلبوا أى شيء، اعتقال قادة الإخوان، بل اطلبوا اعتقال الإخوان، ولكن طلب حل جمعية دينية لا أستطيعه! ثم أصدر أمره إلى وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل آنذاك... بنقل حسن البنا فوراً إلى قنا... وصدر بذلك أمر عسكري لينقل بالقوة وفوراً!!... وإلا الاعتقال...]

اجتمع الإمام البنا بمكتب الإرشاد لدراسة الأمر... ورفض المكتب تنفيذ النقل، ثم جهز الإمام نفسه وأعد حقيبته للاعتقال... ولكن جاءه وزير المواصلات إبراهيم دسوقي أباطة سكرتير حزب الأحرار الدستوريين وقال: لقد علم عبد العزيز باشا فهمى رئيس الحزب بالأمر العسكري الصادر بنقلك إلى قنا فكلفني بدعوة عاجلة لمجلس إدارة الحزب، وقرر المجلس أن الحزب لا يمكن أن يشارك في اضطهاد جماعة إسلامية ولا يتحمل هذه المسؤولية والسابقة الخطيرة، وقرر انسحاب الحزب من الوزارة واستقالة وزرائه أو إلغاء الأمر العسكري، وفعلاً أخذت الاستقالات وسلمتها لرئيس الوزراء الذي دُهِش وقال: [ما هذا يا إبراهيم باشا، معنى هذا سقوط الوزارة وأنتم تعلمون معنى هذا جيداً؟! وكان ردى حاسماً، هذا قرار من الحزب بعد دراسته ولا رجوع فيه.

إلا أن الإمام الشهيد حسن البنا قابل هذا الموقف الكريم بموقف كريم، وقال لإبراهيم باشا: هذه حقيبتي أعددتها للاعتقال سأسافر بها إلى قنا وأبلغ تحياتي إلى عبد العزيز باشا وجميع أعضاء مجلس إدارة الحزب^(١).

وناقش الإمام مكتب الإرشاد وشرح الله صدور الإخوان بهذا الرأي.. ونفذ الإمام النقل.. بعد مضي شهر على الإمام في قنا، صار أحب الأساتذة إلى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء.. وكما يقول الأستاذ العدوي: جرت الدماء في العروق وتوافد الناس على الدار (دار الإخوان المسلمين) وزاد نشاط المنطقة من محاضرات ولقاءات وتنظيمات ومؤتمرات...]

ثم جاءت ذكرى المولد النبوي الشريف، وجهزت إثنتا عشرة محاضرة لتختتم بالموكب الكبير... في هذه الظروف دخل بعض الإخوان على الإمام البنا والغضب باد عليهم، يقدمون له إعلاناً وزع بعضها تعلن عن اثنتي عشرة محاضرة في الكنيسة... واحدة بواحدة!! فقال لهم الإمام البنا: وماذا في الأمر، ستقومون أنتم بتوزيع هذه الإعلانات وأرفق كل إعلان من إعلانات الإخوان بإعلان من إعلانات الكنيسة، وبالفعل تم التوزيع في أنحاء قنا.

(١) انظر: كتاب حقائق وأسرار - للأستاذ محمد العدوي.

أنهى الإمام البنا احتفالات المولد باستعراض بديل في هيئة جديدة بدلاً من الموكب المشهور، جواره الإخوان وأعيان قنا يسرون وفي مقدمتهم القائد يرددون نشيداً وضعه الإمام البنا، وختم الاحتفال بمؤتمر دعا إليه مطران قنا وأعيان النصارى فيها وقساوستها وأجلسهم بين الإخوان، وكان حفل شاي (١) .

وألقى الإمام البنا خطابه في قضية الحكم بالشريعة الإسلامية، فقال: [عما هو معلوم عن جماعة الإخوان المسلمين، أنهم يدعون ويتصدرون الدعوة إلى الحكم بالقرآن الكريم، وهذه القضية ولا شك تثير بعض الخوف والشكوك عند إخواننا المسيحيين . وأنا أحب أن أجلى هذه القضية بروح المودة وما خفى أو يخفى عن الناس من أمور حتى يتبينوا فيها وجه الحق والصواب، فالتناس أعداء ما جهلوا، لا شك أننا مع إخواننا الأقباط نعتبر أنفسنا عرباً، حيث إننا جميعاً نتكلم اللغة العربية ونتعامل بها، وما دمننا عربياً فمن الطبيعي أن نتحمس للتحاكم إلى قانون عربي لا إلى قانون غربي متنوع المصادر فرنسي وبلجيكي وغير ذلك، والقانون العربي الوحيد الجامع الشامل الذي جربناه مسلمين ومسيحيين مئات السنين هو القرآن الكريم . .

فيذا اعترض على أن القرآن كتاب المسلمين، فنقول فليكن ذلك اعتقاد المسلمين كدين وليكن قانوناً عادياً عند الأقباط، كما نتحاكم نحن اليوم إلى قانون نابليون .

. . . ثم قال: إن الشواهد التاريخية المكررة والتي لا تحتمل الإنكار، تشهد بأنه في ظل حكم الشريعة الإسلامية عاش المسلمون والمسيحيون في وئام وسلام ليس له مثيل، وضرب لذلك عدة أمثلة، منها موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الصلاة في كنيسة القيامة، كما ذكر بعضاً من وصيته المشهورة، واستطرد في ضرب الأمثلة الحية من واقع تاريخ الخلفاء .

ثم ختم حديثه فقال: إن الإسلام لا يعرف معنى الديمقراطية التي يحدد مدلولها الناس حسبما تقتضى أهواؤهم ومصالحهم، فالإسلام لا يعرف هذه المتغيرات بل هو شريعة العدل التي لا تتغير ولا تتبدل تبعاً للمصالح والأهواء .

وهكذا لم يتنه الإمام من حديثه إلا وقد شرح الإسلام كدين ونظام وعلاقة المسلمين بغيرهم من أهل الذمة . وأحكام الإسلام وقوانينه وآدابه في هذا الشأن (٢) .

(١) المرجع نفسه .

(٢) لعل هذه الكلمة هي الرد الواضح في الحوارات والنقاشات التي تثار حول تعديل المادة الثانية من الدستور المصري، والتي يستهدف بعض أقباط المهجر في الخارج وبساعدهم البعض من أقباط الداخل وبعض الكتاب المسلمين لإشعال نار الفتنة الطائفية في مصر . أما نص المادة الثانية في الدستور فهي: [الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع] .

قال النصرارى: يا فضيلة المرشد لم نسمع مثل هذا من قبل وقد فهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وقبل أن نقوم من مكاننا لنا رجاء، اكتب طلباً إلى رئيس الحكومة لتنفيذ ما نطلبون ونحن نوقع عليه، وقد كان، وأرسل الخطاب إلى رئيس الحكومة.

لم يمض أكثر من شهر ونصف حتى أحست إنجلترا بقواتها الاستعمارية والحكومة المصرية التي تتحرك في إطارها، أن حسن البنا في الصعيد أخطر منه في القاهرة، فهو يتحرك في مكان بكر مفتوح، ويلتقى بأناس خلص، لم تفسدهم الحضارة ولم تعرف الطراوة طريقها إلى قلوبهم أو أبدانهم.. فردته إلى القاهرة من جديد.

●● مصطفى مشهور على درب أسلافه:

لم تتوقف هذه السياسة بعد استشهاد الإمام حسن البنا، بل التزم بها الإخوان المسلمون ديناً وأصلاً، فكان مرشدوه الأمانة: حسن الهضيبي، وعمر التلمساني ومحمد حامد أبو النصر على نفس السياسة ونفس المنوال.

حتى جاء أستاذنا مصطفى مشهور، فسار على نفس الدرب الذي سار عليه مع إخوانه منذ نشأة دعوة الإخوان - دعوة الحق والقوة والحرية..

شارك أستاذنا في جميع الأعمال مع إخوانه، ورافق أخاه الأستاذ عمر التلمساني في مقابلاته للبابا شنودة..

تحدث وكتب للأمة في نفس المفهوم..

وها هو في كتابه^(١): [من التيار الإسلامى إلى شعب مصر] يقول للإخوة الأقباط:

[التيار الإسلامى لا يقصر حديثه وكلامه على المواطنين المسلمين فقط ولكنه يتوجه بالحديث أيضاً إلى إخواننا الأقباط فنقول للأفراد أولاً:

إن يحسنوا ظنهم ويصححوا أى خطأ فى تفكيرهم حول الإسلام والمسلمين، وذلك بالتبين وسؤال أهل الذكر، فالإسلام يهتم كثيراً بحسن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب الذين يعيشون فى ظل دولتهم ويقر لهم بكل الحقوق الأساسية.

نريد منهم أن يراجعوا التاريخ ليعلموا كيف أنقذ الفتح الإسلامى الأقباط فى مصر من ظلم الرومان، وقد سمعت هذه العبارة بنفسى من سيادة الأنبا شنودة، كما ذكر أيضاً تعايش إخواننا الأقباط مع المسلمين هذه القرون الطويلة فى جو من الوحدة الوطنية ودون متاعب.

(١) من فقه الدعوة ج/ ٢ من التيار الإسلامى إلى شعب مصر - مصطفى مشهور.

نريد من إخواننا الأقباط أن يطمئنوا كل الأطمئنان أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيضمن لهم حقوقهم، أكثر مما تحققه القوانين الوضعية حالياً، ويذكر التاريخ أن كثيراً من إخواننا النصارى تركوا الأقطار التي كانوا يقطنون فيها ليعيشوا في ظل الدولة الإسلامية لما يتحقق في ظلها من أمن وعدل وأمان.

نريد من إخواننا الأقباط ألا يستجيبوا للإشاعات والأباطيل التي يرددها أعداء المسيحيين أيضاً من الملحددين والماديين، ومن هؤلاء الذين في المهجر الذين يرسلون مجلات وكتابات لإثارة الفتنة هنا في مصر.

فالتيار الإسلامي يؤكد لإخواننا الأقباط أن المسلمين لا يحملون كراهية أو حقداً نحوهم، ويحرصون على المعاشة الهادئة الخالية من أي إثارة واحتكاك، كما يتوجه التيار الإسلامي إلى الهيئات غير الإسلامية ويطلب منهم النظر إلى الإسلام بعين الإنصاف، ومحاولة التعرف عليه من مصادره الصحيحة لا من الأقاويل والأراجيف الصادرة عن أعداء الإسلام، ونحذر من كثير مما يقوله بعض المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

كما نطلب منهم العمل على منع صدور أي إساءة أو تشويه للإسلام، لأن ذلك خلق يآباه كل دين، ويآباه الإسلام للمسلمين، وعلى تلك الهيئات أن تنتبه إلى التيارات التي تحاول بث الفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

ونطلب منهم النظر بعين الحذر للتيارات العالمية التي تستهدف حرب الأديان عموماً كالإلحاديين والماديين، كما نطلب منهم الاقتراب من الهيئات الإسلامية والتفاهم معها في القضايا التي تهم المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى.

•• المواطنة تسقط الجزية:

سئل الإمام حسن البنا عن الجزية، فقال: إن مسألة الجزية أصبحت غير ذات موضوع مادام كل المواطنين ينخرطون في الخدمة العسكرية، ويدافعون عن الوطن، سواء بسواء، وقد كان المسلمون قديماً هم الذين يدفعون ضريبة الدم، فعلى الآخرين أن يدفعوا ضريبة المال.

يريد الإمام أن يقول ما قاله بعض الفقهاء من قديم: إن أهل الذمة إذا اشتركوا مع المسلمين في القتال ضد أعدائهم سقطت عنهم الجزية.

وكان الإمام البنا يفسر دفع الجزية بأنه [بدل خدمة عسكرية]، وقد كان غير المسلمين سعداء بدفع هذا البديل في الزمن الماضي، بل كان كثير من موسرى المسلمين يدفعون هذا البديل لإعفاء أبنائهم من الجندية، قبل عصر التجنيد الإجباري.

وكان حفظة القرآن الكريم يعفون من هذه الخدمة ، فلم يكن الناس ينظرون إلى الجندية نظرتنا إليها اليوم^(١) .

ونشر تصريح على لسان الحاج مصطفى مشهور قال فيه : [إن على الأقباط أن يدفعوا الجزية بديلاً عن التحاقهم بالجيش حتى لا ينحاز المسيحيون الذين في صفوفه إلى صف الأعداء عند محاربة دولة مسيحية]^(٢) .

أراد الأعداء استغلال هذا التصريح وبث الفتنة والفرقة واتهام الحاج مصطفى بأنه متعصب ولا يؤمن بالمواطنة ويريد أن يرجع بالبلاد إلى الوراء المتخلف ، إلى عصر الجزية المظلم . . إلى غير ذلك من الاتهامات .

ونحن إذا قارنا هذا التصريح بكلام الإمام البنا الذي أعجب القساوسة نجده هو هو ونفس المفهوم للجزية^(٣) . . . ولكن هذا شأن كل مغرض .

لقد اتهموه بأنه يريد أن يحدث فتنة طائفية وهو الذي سئل عنها فقال : [الفتنة الطائفية تعبير أطلقه الرئيس الراحل أنور السادات من خياله ، فليس في الواقع أى توتر طائفي بين المسلمين والأقباط ، وأتذكر أن الشيخ حسن البنا ذهب ذات مرة إلى الصعيد ، وألقى سلسلة محاضرات ، وبعد أن عاد إلى القاهرة علمنا أن عدداً من القساوسة في محافظة قنا رفعوا مذكرة إلى رئيس الوزراء يطلبون فيها تطبيق الشريعة الإسلامية ، لأن محاضرات الشيخ البنا أوضحت لهم الحقوق الكاملة التي يتحصل عليها القبطى في مجتمع إسلامى ، ومن هنا أقول إنه لا توجد فتنة طائفية ونحن أحرص الناس على حقوق المواطن القبطى في مصر^(٤) .

وقال عن العلاقة بين الإخوان والأقباط : [العلاقة بين الإخوان والأقباط طيبة جداً منذ أيام البنا ، وكانت هناك لجنة سياسية فى عهد المرشد الأول تمثل فيها أقباط ، ولم تحدث طوال تاريخ الجماعة خلافات بيننا وبينهم ، والمصريون مازالوا يذكرون دور (الإخوان المسلمون) فى احتواء الفتنة الطائفية التى تفجرت فى حى الزاوية الحمراء قبل مقتل السادات)^(٥) .

وفى حديث آخر قيل له :

هل معنى ذلك أن الحكومة لو وافقت للجماعة على إنشاء حزب فإنه سينضم فى تنظيمه أقباط ؟

(١) الإخوان المسلمون - ٧٠ عاماً فى الدعوة والتربية والجهاد - د . يوسف القرضاوى .

(٢) الأهرام ويكلى ، بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٩٧ م .

(٣) أصدر الإخوان المسلمون بياناً بينوا فيه موقفهم من هذه القضايا .

(٤) جريدة المستقلة - ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٥ م .

(٥) جريدة الحياة - ٢٤ / ١ / ١٩٩٦ م .

فقال: إذا كان هناك أقباط يوافقون على برنامج الإخوان الإسلامى ويتقبلون مبدأ الإسلام هو الحل، فلم لا نقبلهم معنا^(١)؟

وكلنا نذكر الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٨٧م وكانت بالقائمة، والتي أنزل الإخوان المسلمون [جمال أسعد عبد الملك] القبطى المعروف فى أسيوط، وبالفعل نجح جمال أسعد عبد الملك فى البرلمان من ضمن أفراد القوائم.

●● القضاء ببرى مصطفى مشهور^(٢)،

كان أحد المواطنين الأقباط قد رفع دعوى ضد الحاج مصطفى مشهور متهمًا إياه بالتحريض ضد الأقباط فى التصريح الذى نشرته جريدة الأهرام الإنجليزية «الويكلى» التى تصدر بالقاهرة بشأن العلاقة بالأقباط وموقف الإخوان منه وهو ما اعتبره المدعى سبًا فى حق الأقباط.

وكانت هيئة الدفاع عن الحاج مصطفى مشهور قد فندت هذه الاتهامات، وردت على هذه المزاعم، مؤكدة أن خلطًا وتحريفًا قد وقعا أثناء ترجمة أقوال وتصريحات الحاج مصطفى إلى الإنجليزية، وقد أرسل الحاج مصطفى بعد النشر ما يفيد تكذيب الكلام المنسوب إليه، وأرفق معه ردًا وأيضًا حول رأى الصواب فى علاقة الأقباط بالإخوان فضلًا عن أنه أرسل إلى الكنيسة ما يفيد ذلك. فأصدرت المحكمة المختصة فى نظر القضية حكمًا ببراءة الأستاذ مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين - من تهمة سب الأقباط والتقليل من شأنهم.

●● انفتاح مصطفى مشهور على الأقباط:

يقول الدكتور محمد السيد حبيب: [كان مصطفى مشهور حريصًا على الانفتاح على الأقباط، وعمل مناقشات وحوارات وورش عمل تضمنا وتضمهم. . إلى أقصى ما يمكن أن يتصوره أحد]^(٣).

ويقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [كان سلوك الحاج مصطفى تجاه الأقباط هو نفسه ما تربى عليه الإخوان المسلمون، أنهم مواطنون مثلهم مثل المسلمين يتساوون معنا فى الحقوق والواجبات وفى حق المواطنة: لهم مالنا وعليهم ما علينا. . وكانت علاقته على المستوى الشخصى مع الأقباط طيبة، فكان وهو نائب للمرشد يستقبل الإخوة الأقباط فى دار الدعوة بالتوفيقية، ودار حوار بين الإخوان المسلمين والأقباط فترة طويلة مع أعضاء [جريدة وطنى]، وقد شارك مع الأستاذ عمر التلمسانى فى زيارة البابا شنودة. . وكان كذلك بعد أن صار مرشدًا]^(٤).

(١) جريدة الشرق الأوسط - ١٦/٧/١٩٩٦م.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد [١٣٤٥] - بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٤١٩هـ - ١٣/٤/١٩٩٩م.

(٣) حوار مسجل مع الدكتور محمد حبيب.

(٤) حوار مسجل مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

[5]

التعددية وتداول السلطة

قال تعالى في سورة الشورى موضحاً صفات المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] صدق الله العظيم .

الآية الكريمة تضمنت حكماً هو أن: أمر المسلمين شورى بينهم ، فهم يتشاورون في أمورهم العامة والخاصة لإقامة العدل ، وتنفيذ حكم الله وتحقيق مصالح المسلمين ، وحتى لا يستبد فرد أو فئة من الناس بالتصرف في أمر تعمُّ به البلوى ، وتتأثر به مصالح الغالبية من الشعب المسلم .

ومفهوم ذلك أن: [الأمة هي مصدر السلطات] فهي التي تولى من تثق في دينه وأمانته وخبرته وعلمه ومواهبه وكفاءته ، ما تحدده من أمور ليقوم عليها بالعدل والإحسان والإنصاف .

ولما انتقل المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، اجتمع رؤساء القبائل والعشائر من المهاجرين والأنصار - وهم ممثلو الأمة الإسلامية آنذاك - وبعد مناقشة وحوار اختاروا أبا بكر -رضي الله عنه- لرئاسة دولة الإسلام والقرآن التي أسسها المصطفى ﷺ ، ولم يقل أحد منهم إن رئاسة الدولة تؤخذ غصباً ويحد السيف ، بل انتقلت الولاية من بيت النبوة إلى من ليس من بيت النبوة .

وهكذا كان اختيار الصديق -رضي الله عنه- برضى غالبية ممثلي الأمة الإسلامية وشعبها ، وذلك هو فعل صحابة رسول الله ﷺ ومنهم المبشرون بالجنة ، وإذا كان أفراد قلائل قد تأخروا عن بيعة أبي بكر -رضي الله عنه- فلم يكن ذلك اعتراضاً منهم على أسلوب أو طريقة اختياره ، بل لاعتبارات أخرى ، ثم إنهم ما لبثوا إلا فترة قصيرة ثم بايعوا ، وبذلك انعقد ما يقارب الإجماع .

وإذا كان أبو بكر -رضي الله عنه- قد أوصى أن يخلفه في ولاية الأمر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فإن تلك الوصية لم تكن بذاتها هي القرار الذي أعطى عمر رضي الله عنه الولاية ورئاسته الدولة الإسلامية ، وإنما عرض الأمر على ممثلي الأمة الإسلامية ، وهم زعماء القبائل والعشائر من المهاجرين والأنصار ، ولما رضوا بتلك الوصية عن قناعة وأقروها عن اختيار ، كانت بيعتهم هي سند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تولى رئاسة الدولة الإسلامية .

وكل من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- قال إنه أجبر استأجره المسلمون ، ولم يقل أيهما: إنه استحق الولاية بأي طريق آخر غير اختيار المسلمين له .

وكل منهما بدأ ولايته بقوله: إنه وُلِّيَ على المسلمين وهو ليس بأفضلهم ولا بخيرهم .
وأى منهما لم يدع عصمة أو ارتفاعاً عن احتمال الخطأ، بل قال كل منهما على الملأ: إنه
بشر كسائر البشر، يصيب ويخطئ، وأن من حق أفراد الأمة أن يصوبوه إذا أخطأ، بل إن
يقوموا العوجاجه ولو بحد السيف، إذا اقتضى الأمر .

وكل منهما ذكّر الناس علانية أن نطاق طاعتهم له أن يكون أمره في غير معصية الله
ولرسوله، وإنما إنفاذ لحكم الله وشريعة الإسلام، أو تقدير لصالح الناس فيما أباحه الله، إذ لا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما قال سيد الخلق ﷺ (١).

والأمة المسلمة تدين بالعبودية لله وحده، وتقدس أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة،
وتؤمن بأن الناس لا يملكون الحكم إلا بما أنزل الله، وبمقتضى شريعة الإسلام، ومن ثم فهي لا
تملك أن تفوض من اختارته ليلى أمراً من أمورها إلا فيما قرره الشرع لها، ولا يجوز لها أن
تفوضه فيما لا تملكه، ولا حق لها فيه، فإذا ما اختارت والياً لبعض شئونها فلكى يسوس
الأمر على مقتضى أحكام الدين، [لأن الدين هو الأساس، والسلطان حارس، ومن لا
أساس له فمهذوم، ومن لا حارس له فضائع].

وتوالى الحكام على أمة الإسلام، قلّة منهم برضى واختيار الشعوب، وغالبيتهم -بكل
أسف- باستبداد وغلبة، ورغم انغماس بعض الحكام في الملمات وبُعدهم عن روح العدل
والإنصاف، ورغم شيوع المعاصي وتفشى الوهن في كثير من المجتمعات، إلا أنه لم يحصل
أن نُحييت الشريعة الإسلامية كعقيدة ومرجع ودستور، ولم يحصل أن فرض حكام أو اتخذ
شعب من الشعوب الإسلامية غيرها أصلاً عاماً ومرجعاً، حتى ابتليت الأمة الإسلامية بعصر
الاستعمار الصليبي الذي غزاها وحكمها، وفرض عليها قوانينه ومبادئه، ثم سار على دربه
خلفاؤه من عملائه، ومع ذلك فإننا نقول بكل صدق: إنه لم يحصل أن اختار شعب من
شعوب الأمة الإسلامية بإرادة صحيحة وحرّة أو ارتضى حكماً غير حكم الله أو شرعاً غير
شريعته عز وجل . . بل قامت في شعوب الأمة الإسلامية -ولم تنزل تقوم- ثورات ومطالبات
للعودة إلى حكم الله وشريعة الإسلام، وروت الدماء الزكية الطاهرة ساحات الجهاد في سبيل
إعلاء كلمة الله وشرع الإسلام، وإنما هو الاستبداد والقهر .

إن هذه الجماعة قامت تجاهد ما وسعها الجهاد لتعود بحكم الله إلى شعوب الإسلام، ومن

(١) صححه ابن القيم في أعلام الموقعين ٥٨/١ والهيتمي في مجمع الزوائد ١٧٩/٩ والشوكاني في السبيل الجرار
٥٥/٢ وأحمد شاكر في مستند أحمد ٢٤٨/٢ والألباني في مشكاة المصابيح رقم ٣٦٢٤ .

ثم فهي تقرر بكل تأكيد أن : [الأمة هي مصدر السلطات] - طبقاً للمفهوم الذي أسلفناه- وأن الشعب هو الذي له الحق في أن يولى باختياره الصحيح من يرتضى دينه وأمانته وعلمه وكفاءته، ليقوم على ما يحدده له من أمور الدولة، ونحن نرى - مع التسليم بأن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما الدستور الأسمى لحكم المسلمين، ولا يعتد ولا يقبل ما خالف أيهما- أن الأمة لا بد أن يكون لها دستور مكتوب، تضعه وتتفق عليه، تأخذه من نصوص الشريعة الغراء، ثم من مراميتها وغاياتها وقواعدها الكلية، فيتضمن ما يحقق توازناً بين اختصاص مختلف المؤسسات التي تدير الدولة، حتى لا يطغى بعضها على الآخر أو يستبد بالأمر دون الباقين ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ كَفَّارٌ ﴾ [العنق: ٦، ٧] كما يتضمن من القواعد والأحكام ما يصون ويحفظ الحريات العامة والخاصة لكل الناس من مسلمين وغير مسلمين، ويجعل الحكم شوري، استمداداً من سلطة الأمة، ويحدد مسئولية الحكم أمام الشعب، وكيفية محاسبتهم وتصويبهم، وتقويم اعوجاجهم بطريقة سليمة ناجحة إذا ما قصرُوا، وإبدالهم إذا لزم الأمر، وهذا يقتضى وجود: [مجلس نيابي] له سلطات تشريعية ورقابية ذات فعالية تتمثل فيه الإرادة الشعبية الحقيقية نتيجة انتخابات حرة ونزيهة وتكون قراراته ملزمة.

كما أننا نرى - باعتبار أن رئيس الدولة ما هو إلا وكيل عن الشعب- أنه يجب أن تكون رئاسة الدولة لمدة محددة، ولا يجوز تجديدها إلا لأمد محدد، وذلك ضماناً لعدم الطغيان.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات التي نصت عليها شريعة الإسلام، ولما كان تقويم الحكم ومواجهتهم ومعارضة نزواتهم وانحرافاتهم لم يعد مما يقوى عليه فرد من الأفراد، بل بات من الضروري أن يجتمع عليه جمهور من الأمة، ولما كان الاختلاف واقعاً فيما هو محل اجتهاد من النصوص الشرعية، ولما كان تنظيم المباح يشمل غالب معاش الناس، ولا بد أن تختلف مناهج الإصلاح والتدبير، إذ إن الخلاف والتعدد طبيعة من طبائع البشر وواقع ملموس في الحياة، لا يجوز إنكاره.

وقد حدثت الاختلاف في الرأي في حضرة الرسول ﷺ في العديد من الأمور فلم ينكره^(١)، وإنما المنهى عنه هو التنازع الذي يؤدي إلى الفشل والضعف والهوان، أما اختلاف

(١) حادثة بنى قريظة... متفق عليها البخاري برقم ٤١١٩ ومسلم برقم ١٧٧٠ [وكذلك حينما خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فتيما فضليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد زحدهما الصلاة ولم يعد الآخر فقال النبي، للذي لم يعد أصبت السنة وقال للذي ترضأ وأعاد لك الأجر مرتين] انظر صحيح سنن أبي داود للآلباني برقم ٣٣٨ وصحيح سنن النسائي برقم ٤٣١.

الآراء فهو تكامل وتنوع للنظر لا بد منه لاستجلاء الحق والوصول إلى الأصلح والأرجى في المنفعة، خصوصاً إذا اقترن بالتسامح وسعة الأفق والبعد عن التعصب وضيق النظرة.

لذا فإننا نؤمن بتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي، وأنه لا حاجة لأن تضع السلطة قيوداً من جانبها على تكوين ونشاط الجماعات والأحزاب السياسية، وإنما يترك لكل فئة أن تعلن ما تدعو إليه وتوضح منهجها، وما دامت الشريعة الإسلامية هي الدستور الأسمى وهي القانون الذي يطبقة قضاء مستقل محصن، بعيداً عن أى سلطة أو جهة، ومؤهل فكرياً وعلمياً وفقهياً وثقافياً، فإن في ذلك ما يكفي لضمان سلامة المجتمع واستقامته على الطريق السوي، واتخاذ الإجراء الشرعى المناسب تجاه من يخرج عن المبادئ الأساسية، التي لا خلاف فيها بين علماء وفقهاء المسلمين، والتي تعتبر المقومات الأساسية للمجتمع.

كما أننا نرى أن قبول تعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي على النحو الذي أسلفناه يتضمن قبول تداول السلطة بين الجماعات والأحزاب السياسية وذلك عن طريق انتخابات دورية^(١).



(١) من قه الدعوة ج/١ - تساؤلات على طريق الدعوة - مصطفى مشهور.

[٦]

الجماعات الإسلامية الأخرى

تعتبر جماعة الإخوان المسلمين نفسها جماعة من المسلمين، ولا تدعى أبداً بأى حال أنها جماعة المسلمين، ولكنها تسعى لتحقيق بمواصفات جماعة المسلمين، ولا تنظر أبداً إلى من ليس معها أنه ضدها وأنه على باطل، كيف لا وهي الجماعة التي عُرف عنها سعيها الدءوب لجمع كلمة المسلمين . . .

والإمام البنا رضى الله عنه حدد موقف الجماعة من الهيئات الإسلامية وقال في المؤتمر الخامس^(١):
والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها، تعمل لنصرة الإسلام، وهم يتمنون لها جميعاً النجاح، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاهجم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة، وقد تقرر هذا في المؤتمر الدورى الرابع للإخوان بالمنصورة وأسيوط في العام الفائت، وأبشركم أن مكتب الإرشاد حين أخذ يعمل على تنفيذ هذا القرار، وجد روحاً طيبة من كل الهيئات التي اتصل بها وتحدث إليها مما يبشر بنجاح السعى مع الزمن إن شاء الله.
وها هو ذا في المؤتمر يؤكد هذا المعنى فيقول^(٢):

وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء، نحبها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرب وجهات النظر، ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً يتتصر به الحق في ظل التعاون والحب - ولا يباعد بيتنا وبينها رأى فقهى أو خلاف مذهبى، فدين الله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى، إذ نتحرى الحق فى أسلوب لين يستهوى القلوب، وتطمئن له العقول، ونعتقد أنه سيأتى اليوم الذى تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية، والحواجز النظرية، وتحل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتية المحمدية، حيث لا يكون هناك إلا [إخوان مسلمون] للذين عاملون وفى سبيل الله مجاهدون:
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

ويقول أستاذنا مصطفى مشهور معلقاً على كلام الإمام الشهيد:

هذه هى الروح الحقيقية التى يحملها الإخوان من قديم الزمان وإلى ما شاء الله، نحو الجماعات الإسلامية الأخرى: حب وإخاء، وتعاون وولاء، وحرص على جمع الكلمة

(١) رسالة المؤتمر الخامس - للإمام الشهيد حسن البنا.

(٢) رسالة المؤتمر السادس - للإمام الشهيد حسن البنا.

وتوحيد الصفوف وإزالة الحواجز، ويلاحظ تعبير الإمام الشهيد [وتحل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية حيث لا يكون هناك إلا «إخوان مسلمون» ولم يقل «إلا الإخوان المسلمون» والفرق بين التعبيرين واضح. كما نلاحظ دقته في التعبير عند قوله: [ونحاول جاهدين أن نقرب وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً يتصر به الحق في ظل التعاون والحب] فهذا يعني أن التوفيق لا يكون بإقرارنا لباطل، ولكنه توفيق يتصر به الحق. وفي ظل الحب والتعاون وليس بالتجريح والمهاترات كما يفعل بعض الناس.

ويعلم الله كم تعرض الإخوان للإساءات من غيرهم من التجمعات، ولكنهم دائماً يحتملونها ويحتسبونها، التزاماً بهذا الموقف، وسعيًا لجمع الكلمة، وبعدها عن كل ما يفرق، وغفر الله لمن يشوهون الصورة ويسعون للتفريق^(١).

كان الحاج مصطفى مشهور من أكثر الإخوان حرصاً واهتماماً بالتواصل مع الهيئات الإسلامية سواء داخل مصر أو خارجها.

فعلى المستوى العالمي، فقد كان له الدور الأكبر وكان هو سبب تواصل الإخوان بالجماعات الإسلامية في أوروبا وأمريكا وآسيا. هذه الجماعات على سبيل المثال: [الجماعة الإسلامية في باكستان، والجماعة الإسلامية في بنجلاديش، وحزب الرفاه في تركيا. وغيرها] والإخوان المسلمون في هذه القارات^(٢).

أما على المستوى الإقليمي، فكان التواصل بطبيعية الحال بين الإخوان المسلمين في هذه البلاد والجماعات الإسلامية الأخرى. ولم يفته التواصل بجماعة الدكتور حسن الترابي بعد انفصاله من الإخوان وتكوين ما يسمى بالجبهة الإسلامية وإنشاء المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي. وكان الحاج مصطفى يحرص على التواصل بالجماعات الإسلامية المعتدلة وليست المتطرفة عقائدياً أو فكرياً.

ففي داخل مصر كانت له علاقة طيب بالجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة المحمدية والجماعات السلفية، علاقة تعاون ومحبة وود.

أما الجماعات المتطرفة عقائدياً وفكرياً مثل التكفير والهجرة والجهاد والجماعات الإسلامية، فلم يكن هناك تواصل وعلاقات، وذلك لعدم اختلاط الأوراق عند البعض. كما كان حريصاً على التواصل ومد الجسور بالشيعة وتقريب وجهات النظر في الخلافات بين السنة والشيعة.

(١) من فقه الدعوة - تساؤلات على الطريق - مصطفى مشهور.

(٢) كان الحاج مصطفى مشهور كثير الأسفار للتواصل مع الهيئات الإسلامية خارج مصر، حتى أطلق عليه الأستاذ مأمون الهضيبي مازحاً: [جوال الإخوان المسلمين] يعني كثير التجوال والسفر.

[٧]

العلاقة مع الحكومة^(١)

الإخوان المسلمون لهم منهج ثابت، لا تتغير أهدافه ووسائله وأساليبه بتغير مرشدهم، ودعوتهم لا ترتبط بأشخاص وإنما رباطها الوثيق بالمبادئ والقيم والمثل والأهداف التي تتمثل في إقامة الدولة الإسلامية بأسلوب معتدل في الدعوة والسلوك والبعد عن العنف، والدعوة إلى الله وفق الوسائل المتاحة التي لا تخالف دستور وقوانين البلد التي يقيم فيها الأخ، وقد تتغير الظروف من بلد إلى آخر، فتحصل موائمة بين متطلبات الدعوة والظروف الأمنية بما لا يؤدي إلى صدام أو توقف.

وكانت المرحلة التي يمر بها الإخوان المسلمون وقت أن بويع الحاج مصطفى مشهور مرشداً عاماً مرحلة بها ضغوط وتضييق ومحن وإبتلاءات وسجون ومعتقلات - وهي سنة الله تبارك وتعالى في الدعوات الحقة.

وبمجيء مصطفى مشهور وقيادته للجماعة ظنت الحكومة من خلال بعض وسائل الإعلام أن هناك نقلة جديدة في أساليب وعمل الجماعة وأنها ستجبه إلى الأسلوب المتشدد، وذلك لما عرفوه عن الحاج مصطفى ودوره البارز والتاريخي في النظام الخاص.

فكان لا بد من إزالة هذا اللبس والاتصال والتواصل وتحسين العلاقة ومد الجسور، خصوصاً وأن الحاج مصطفى كان يوصى إخوانه في القيادة بالتواصل بالتنفيذيين ورجال السياسة والسلطة وذلك من باب التعاون، وكانت له ثقة في إيمانه وإيمان إخوانه وموقفهم بأن هذه الصلة مع الحكومة ستكون في صالح الدعوة والوطن والإسلام والمسلمين، ولذلك لم تكن لديه حساسية من الاتصال بالحكومة، وكان يعتبر هذا الاتصال فرصة لتوصيل آراء وأفكار ومبادئ الإخوان المسلمين إلى السلطة. ومن أقواله الشهيرة للحكومة: [اسمعوا منا خير من أن تسمعوا عنا] وأن الإخوان المسلمين هم خير من يتحدث مع الحكومة فيما يتعلق بمواقفهم ووجهات نظرهم نحو مواقف الحكومة، وخير للحكومة أن تهاوهم وتسمع منهم لا أن تقيم بينها وبين الإخوان سدوداً وقيوداً ثم ترخي أذنانها للأعداء وللوشاة فتسوء العلاقة بين

(١) خلاصة ما جرى من حوارات مجلة المجتمع الكويتية مع الحاج مصطفى مشهور في العدد [١١٨٦] ١٠-١٦ رمضان ١٤١٦هـ - الموافق ٣٠ يناير - ٥ فبراير ١٩٩٦م والعدد [١١٧٨] ١٣-١٩ رجب ١٤١٦هـ - الموافق ٥-١١ ديسمبر ١٩٩٥م.

الحاكم وشعبه . . . وعزم الحاج مصطفى على معالجة الأمور وتحسين العلاقة ولكن كانت مهمة شاقة ومكلفة، فأخذ يوائم بين متطلبات الدعوة والظروف الأمنية التي تفرض ظلالها وآثارها على أسلوب العمل، وكان ما يهمله توضيح أن الإسلام دين السلام، ودين الحرية، ودين العدل، ودين الرحمة، ونفى كل التهم التي تُلصق به مثل: [الأصولية]، [التشدد]، [الإرهاب] وغيرها من التهم الباطلة، وأن يؤكد أن الإخوان ملتزمون بالأسلوب المعتدل، ولا يريدون إلا الإصلاح، وأنهم يحبون وطنهم كأخلص الناس لوطنهم، وأن الإخوان يرون أن الإسلام هو الحل الأمثل والوحيد لإصلاح كل أزمات المجتمع، لأنه من عند الله الخالق تبارك وتعالى النافع الضار.

وكان في ممارسته للعمل الدعوى السياسى يستغل كل الوسائل المتاحة لنشر الدعوة وتعريف الناس بالإسلام دون مخالفة للشرع ولتعاليم الإسلام، ولا يترك وسيلة مهما صغرت حتى ولو وقف الأمر على الدعوة الفردية التي يقوم من خلالها كل فرد بدعوة غيره إلى الإسلام الصحيح، وذلك لأن الإمام البنا حينما قال الفرد والأسرة والمجتمع، فليس معنى المجتمع أن يصبح كل الناس من «الإخوان المسلمون» ولكن معناها أن يكون كل فرد مسلماً في ذاته ملتزماً بإسلامه ويؤمن أن الإسلام هو الحل.

ولكسر الطوق المضروب على الإخوان من قبل الحكومة كان الحاج مصطفى يدعو للحوار واللقاء مع المسئولين، لإيضاح الرؤيا وإثبات أن الإخوان لا يتنافسون أحداً على السلطة وأنهم ليسوا طلاب سلطة لذاتها، وإن كل ما يريدونه هو: أن تطبق السلطة القائمة شرع الله تبارك وتعالى وأن الإخوان سيكونون عوناً لها وجنوداً طائعين وخاضعين لها في ظل الحكم بشرع الله تبارك وتعالى . . . ولكن للأسف فالحكومة دائماً تغلق جميع الأبواب في وجه الإخوان ولا تتيح لهم مثل هذه الفرصة أبداً!! ولقد حدثت دراسات في البرلمان حينما كان الدكتور صوفى أبو طالب رئيساً له، حيث أعد الشيخ صلاح أبو إسماعيل -رحمه الله- دراسات لتطبيق الشريعة لكنها وضعت في الأدراج ولم ينظر إليها أحد.

إن الإخوان المسلمين يتمنون أن يحدث لقاء ويكسر هذا الطوق وأن يحدث تفاهم بشكل صحيح حتى لا يحدث عدم استقرار في البلاد. ولكن الحكومة كانت دائماً تمارس ضغوطها وتضيقها على الإخوان كلما وجدت الإخوان ينشطون في أى عمل اجتماعى سياسى إصلاحى في البلاد، وذلك لتخوفها من اتساع انتشار الإخوان في المجتمع وخصوصاً نجاح الإخوان فى الدخول إلى البرلمان المصرى منذ سنة ١٩٨٤، ١٩٨٧، ٢٠٠٠، ٢٠٠٥م فكانت

تسعى لثنى الإخوان وإضعافهم بإصدار الأحكام العسكرية وكثرة الاعتقالات ومصادرة الأموال . . وللأسف كانت الحكومة تعطي هذا الظلم الشرعية الكاملة، ولكن الإخوان رغم ذلك كله قرروا أنهم لن يتوقفوا عن النشاط وعن الدعوة وعن العمل، لأنهم لا يدعون إلى تأمر . . ولكنهم يدعون إلى الإسلام الصحيح وإلى تطبيق شرع الله تبارك وتعالى، وهذا حق يكفله الدستور لكل إنسان . . وهذا كان موقف الإخوان دائماً .

والملاحظ أن الحكومة تصعد الأمور بشكل كبير بسبب نجاح الإخوان في الانتخابات وتجاوب الرأي العام مع الإخوان وخاصة بعد ما حققه الإخوان من نجاحات في النقابات المهنية رغم القوانين التي أصدرتها الحكومة لتكون عقبات في الطريق، لكن الإخوان نجحوا رغم هذه العقبات، فهذا دليل على تجاوب الرأي العام مع الإخوان، ودائماً ما تخشى الحكومة تجاوب الرأي العام مع الإخوان وأحزاب المعارضة الأخرى والذي سوف يؤدي إلى حصول الإخوان والمعارضة الأخرى على أكثر من الثلث في مجلس الشعب وبالتالي لا تستمر هذه الحكومة في الحكم وحدها، وهذا هو السبب في تصعيد الحكومة حملتها ضد الإخوان المسلمين .

لم يحدث حوار سياسى بين الحكومة والإخوان، رغم طلب الإخوان وإلحاحهم على الحكومة إلا أنها لم تستجب لذلك أبداً، لكن كانت هناك حوارات محدودة بين الإخوان وبعض رجال الأمن .

كانت الحكومة تعلم جيداً أن «الإخوان المسلمون» بعيدون كل البعد عن العنف والإرهاب ولكنها كانت -إذا أرادت وحسب ما تريد أن تمارس ضغوطها على الإخوان- تلصق بهم اتهامات بالإرهاب ومساندة الإرهابيين وتصف الإرهابيين بأنهم قد خرجوا من تحت عباءة الإخوان بالرغم من التصريح الذى أدلى به الرئيس حسنى مبارك إلى صحيفة [لوموند] الفرنسية فى نوفمبر سنة ١٩٩٣م والذى قال فيه: [إن الإخوان يفضلون النضال السياسى وأنهم دخلوا النقابات ونجحوا فيها] وتصريح وزير الداخلية الأسبق حسن الأئلى الذى قال - فى أبريل ١٩٩٤م حينما سئل عن علاقة الإخوان المسلمين بالعنف والإرهابيين-: [إن الإخوان ليس لهم صلة بالعنف]، ولكن الحكومة بدأت تحاول إلصاق علاقة بين الإخوان وبين الجماعات المتطرفة لما رأت الإخوان يزداد نشاطهم وأعلنوا مشاركتهم فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٥م، والجدير بالذكر أن الرأي العام سواء المحلى أو الدولى أصبح لديه صورة واضحة عن (الإخوان المسلمون) وأنهم ضد الإرهاب والعنف وأنهم يحيون الخير لوطنهم، وهناك شواهد ودلائل كبيرة على ذلك سواء فى النقابات المهنية أو نوادى أعضاء هيئة التدريس أو المدارس أو المستوصفات أو المجالس المحلية أو مجالس اتحاد الطلبة أو غير ذلك .

فصار واضحاً لدى الناس بالفعل أن الإخوان بعيدون عن العنف وأن أى اتهام لهم أو تصعيد من الحكومة ضدهم سيكون غير مقبول من قبل الرأي العام سواء المحلى أو الدولى ، لأن الحكومة إن أقدمت على ذلك فسوف تفضح نفسها بشكل كبير . . .

•• الإخوان يمدون أيديهم إلى الحكومة بمنتهى التواضع والإخلاص:

فى حفل إفطار الإخوان المسلمين سنة ١٤٢١ هـ الموافق ديسمبر ٢٠٠٠م قال الأستاذ مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين فى كلمته :

إياتى احتفالنا هذا العام بعد متغيرات داخلية وخارجية أهمها على المستوى الداخلى انتخابات مجلس الشعب بما حفلت به من أحداث ونتائج ودلالات ، مؤكداً أن النظام الحاكم أساء إلى نفسه إساءة بالغة ، وساهم بتصرفات غير مسئولة فى تشويه صورة مصر أمام العالم . وقد قال الشعب كلمته وأعطى ثقته لرجالنا ، ولهذا فالإخوان المسلمون يدعون السلطة - بمنتهى التواضع والإخلاص - إلى الاستجابة لليد الممدودة منذ سنوات ، وأن يسمعونا بدل أن يسمعوا عنا ، وأن يحاورونا بدل أن يغلقوا أذانهم دوننا ، وأن ينزلوا على إرادة الشعب فى مشاركتنا فى الحياة السياسية بدلاً من محاولات لا جدوى لها تبغى نفينا وإبعادنا .

والإخوان لن يملوا من الدعوة لإلغاء قانون الطوارئ والقوانين سيئة السمعة ، ولن يملوا من تكرار الدعوة إلى التعددية السياسية ، وحق كل تيار فى تشكيل حزبه ، وألا يكون لأى جهة إدارية حق التدخل بالمنع أو الحد من هذا الحق ، وأن تكون السلطة القضائية المستقلة المرجع لتقرير ما هو مخالف للنظام العام والآداب العامة والمقومات الأساسية للمجتمع .

ونحن ندعو إلى التداول السلمى للسلطة ، عن طريق صناديق الاقتراع فى إطار جمهورية برلمانية دستورية ، وإطلاق الحريات العامة للمواطنين فى نطاق النظام العام والآداب العامة .

إن الإخوان يدعون إلى أن تكون الشريعة الإسلامية هى المرجعية العليا التى يجب الالتزام بها قولاً وعملاً وتطبيقاً ، ويؤمنون بأن الإسلام أنشأ حضارة عالمية شارك فى صنعها المسلمون وغير المسلمين ، الذين عاشوا فى كنفه ، وأن هذه الحضارة أسعدت العالم قرونًا عديدة بقيمتها السامية ومبادئها الرفيعة وأخلاقها الكريمة .

إننا نؤمن بالتدرج فى الإصلاح ، ومن ثم فإننا نمد أيدينا إلى كل مبتغ للإصلاح ، نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، ونرفض الإرهاب والعنف بكل صورته وأشكاله ، ونعتقد أن إطلاق الحريات والاعتراف بالآخر كفيل بإطلاق البخار المكتوم ، وإزالة

حالة الاحتقان وأن الحوار بين فصائل الجماعة الوطنية بالتى هى أحسن كفيلة بجذب الشاردين والخارجين إلى دائرتها].

ونحن نظن أن ما بين الحكومة والإخوان لا يمكن أن يصل إلى درجة الإبادة والإعدام، لذلك فإن الحكومة مهما صعّدت الأمر ضد الإخوان ومهما سعت إلى الضغط والتضييق، فإنها لا تسعى إلى الوصول لدرجة الاستئصال أو محاولة مثل ما حدث عام ١٩٥٤م و عام ١٩٦٥م، وإلا فيسكون الظلم والتجنى واضحا أمام الرأى العام.

إن الحكومة لا تصعد ضد الإخوان طالما أنها مستقرة فى الحكم . أما موقف الإخوان فكان الحاج مصطفى مشهور دائما ما يؤكد أن الإخوان لن يكون من جانبهم تصعيد تجاه الحكومة، ولن يكون هناك أى عنف أو إرهاب ولكنهم سيواصلون دعوتهم إلى الله بكل وسيلة متاحة يقرها الدستور وغير مخالفة للقوانين، وأن الإخوان يدعون إلى الله وإلى تعاليم الإسلام وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية بكل ما يتاح لهم من فرص دون أى تصعيد من جانبهم، أما إذا قامت الحكومة بالتصعيد من جانبها فلتتحمل هى مسئولية ذلك.

وكان يؤكد للجميع أن كل ما يهم الإخوان أن المجتمع الدولى يجب أن يعرف حقيقة الإسلام وأنه دين السلام، ودين العدل، ودين الرحمة والحرية، وأن الإخوان يتمسكون بالإسلام ولا يخالفون تعاليمه سواء فى جزئيات صغيرة أم كبيرة، وأنهم يودون أن تتضح هذه الرؤية وهذه الصورة، خاصة بعدما قام الصهاينة بدور كبير فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى العالم الغربى على وجه الخصوص وصوروا الإسلام دين الإرهاب، فى الوقت الذى يعلم الجميع أن الصهاينة هم أصل الإرهاب.

أخيراً أقول: الإخوان المسلمون إذا اتصلوا بفرد فى داخل الحكومة أو خارجها فإتهم يتصلون لوجه الله تعالى ولمصلحة الإسلام والمسلمين ولمصلحة الوطن، فهم ليس لهم أية مصلحة شخصية من وراء هذا الاتصال أبداً، كما اتهمهم أحد رجال الأمن وهو: [اللواء مصطفى عبدالقادر] الذى كان مديراً لمباحث أمن الدولة ثم وزيراً للتنمية المحلية بعد ذلك، قال: [أنتم لا تتصلون بالحكومة إلا لمصلحتكم - أى لمصلحة الجماعة وعودة الشرعية للجماعة - العودة الشرعية للجماعة مطلب مهم من مطالب الإخوان لتعود الجماعة وتعمل فى النور تحت سمع وبصر الجميع وتتعاون مع غيرها من المؤسسات، فجماعة الإخوان المسلمين مؤسسة من مؤسسات الشعب المصرى وهى ملك الشعب المصرى ومن حق الشعب أن تعمل هذه المؤسسة فى النور لتحقق المصالح المنشودة للوطن . . وهذا ما يتمناه الإخوان المسلمون ويدعون الله تبارك وتعالى أن يحققه.

[٨]

البرلمان

● لماذا يشترك الإخوان المسلمون في الانتخابات:

كتب الإمام الشهيد حسن البنا مقالاً رائعاً تحت هذا العنوان نشرته مجلة (الإخوان المسلمون)، في عددها الصادر في ١٨ / ١١ / ١٣٦٣ هـ - الموافق ٤ / ١١ / ١٩٤٤ م، يجيب فيه على التساؤل الذي مازال مطروحاً عند البعض إلى الآن وهو: لماذا يشترك (الإخوان المسلمون) في الانتخابات؟

يقول الإمام البنا: [الإخوان المسلمون كما عرف الناس، وكما أعلنوا عن أنفسهم مراراً، جمعية للخدمة العامة، ودعوة إصلاحية تجديدية تقوم على قواعد الإسلام وتعاليمه. فإما أنهم جمعية للخدمة العامة، فذلك هو الواضح من ممارستهم في شعبيهم لأنواع هذه الخدمة من ثقافة وبر وإحسان ورياضة وإصلاح بين الناس وإقامة للمنشآت ما بين مساجد ومعاهد ومشاف وملاجئ في حدود طاقتهم ومقدرتهم.

وأما أنهم دعوة إصلاحية، فذلك أن لب فكرتهم وصحيحها أن يعود المجتمع المصري والمجتمعات الإسلامية كلها إلى تعاليم الإسلام وقواعده التي وضعها في كل شئون الحياة العملية للناس.

وعماد الدعوة لتنجح وتظهر، تبليغ واضح دائم يقرع بها أسماع الناس، ويصل بها إلى قلوبهم وألبابهم، وتلك مرحلة يظن (الإخوان المسلمون) أنهم وصلوا بها إلى المحيط الشعبي إلى حد ما من النجاح ملموس، مشهود، وبقي عليهم بعد ذلك أن يصلوا بهذه الدعوة الكريمة إلى المحيط الرسمي، وأقرب طريق إليه (منبر البرلمان) فكان لزاماً على الإخوان أن يزوجوا بخطباتهم ودعاتهم إلى هذا المنبر، لتعلو من فوقه كلمة دعوتهم، وتصل إلى آذان ممثلي الأمة في هذا النطاق الرسمي المحدود، بعد أن انتشرت فوصلت إلى الأمة نفسها في نطاقها الشعبي العام، ولهذا قرر مكتب الإرشاد أن يشترك الإخوان في انتخابات مجلس النواب.

وإذن فهو موقف طبيعي لا غبار عليه، فليس منبر البرلمان وبقاً على أصوات دعاة السياسة الحزبية على اختلاف ألوانها، ولكنه منبر الأمة تسمع من فوقه كل فكرة صالحة، ويصدر عنه كل توجيه سليم، يعبر عن رغبات الشعب، أو يؤدي إلى توجيهه توجيهاً صالحاً نافعاً.

●● فوائد جلية:

وسيفيد الإخوان من هذه الخطوة فوائد جلية . . سيفيدون على أسوأ الفروض انتهاز هذه الفرصة لنشر الدعوة في هذا المحيط الذي تعترك فيه الفكر، وتشتجر فيه الآراء، وما كان لدعوة الحق الكريم أن يخفت صوتها في وقت تعلق فيه كل الأصوات، ويختلط فيه الحابل بالنابل، ولا قيام للباطل إلا في غفلة الحق.

وسيفيدون بعد ذلك أن يفهم الناس أن دعوتهم لا تقف عند حدود الرعظ والخطابة ولكنها تحاول أن تشق طريقها إلى المنابر والمجتمعات الرسمية، وأن على المؤمنين بهذه الدعوة أن يهتوا أنفسهم لهذا الميدان، وأن يستعدوا لخوض غماره وسيفيدون إرشاد الناس . في هذا المظهر الكريم من مظاهر التنافس الفاضل الشريف في هذا الميدان، ستقوم دعاية الإخوان على المبادئ والأهداف، وسيرى الناس أمامهم لوناً فريداً جديداً من ألوان الدعاية الانتخابية البريئة المطهرة تستمد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْألقَابِ بِسْمِ اللّٰهِ الْمُسْتَوْقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

هذه فوائد مقطوع بها مهما كانت النتيجة الانتخابية، وسيفيد الإخوان بعد ذلك - إن قدر لهم النجاح - وهو المأمول إن شاء الله، هذه الصفة الرسمية لدعوتهم، وهذا التحليل الرسمي لنجاحهم في وصولها إلى أذان الشعب ومداركه.

ودعايتهم وفكرتهم التي اختلطت بصميم نفوسهم وأرواحهم، وعدتهم - إن أصحرتهم بأحقية الفكرة، بأن تقود الأمة وتهدى الناس سواء السبيل.

ويتساءل فريق من الناس فيقولون: أليس معنى هذا الاشتراك أن الإخوان سيخرجون من حيزهم الديني إلى حيز سياسي فيصبحون هيئة سياسية بعد أن كانوا هيئة دينية؟

ونقول لهؤلاء: إن الإسلام لا يعترف بهذا التفريق بين الأوضاع في حياة الأمة الواحدة. فالهيئة الدينية الإسلامية مطالبة بأن تعلن رأي الإسلام في كل مناحي الحياة، والطريق البرلماني هو أقرب الطرق وأفضلها لهذا الإعلان ولا يخرجها هذا عن صفتها ولا يلونها بغير لونها.

●● معركة انتخابية مثالية:

وتقول طائفة ثالثة: أليس هذا التنافس مما يكسب الإخوان أعداء منافسين، والدعوة أحوج ما تكون إلى مصادقة الجميع وتأييد الجميع؟ . . وذلك كلام طيب جميل، ونحن أحرص ما نكون

على أن تظفر الدعوة بهذا الوضع من القلوب وستكون المعركة الانتخابية الإخوانية معركة مثالية في البُعد عن المثالب الشخصية أو إثارة الأحقاد والحزازات فإذا فهم الناس هذا المعنى، وبادلونا إياه، فستدخل أصدقاء ونخرج أصدقاء، وإذا لم يفهموه ولم يقدرّوه فهم الملمومون، وليس الدعوة ولا أصحاب الدعوة بمكلفين بأن يتجنبوا طرائق نجاحها خشية الناس، والله أحق أن نخشاه.

ويوجه بعض المتسائلين سؤالاً جميلاً فيقولون: وماذا تصنعون في اليمين الدستورية إذا نجحتم وفي النص على احترام الدستور، وأنتم معشر الإخوان تهتفون من كل قلوبكم [القرآن دستورنا]؟ والجواب على ذلك واضح مستبين، فالدستور المصري بروحه وأهدافه العامة من حيث الشورى وتقرير سلطة الأمة، وكفالة الحريات لا يتناقض مع القرآن، ولا يصطدم بقواعده وتعاليمه، وبخاصة وقد نص به على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وإذا كان فيه من المواد ما يحتاج إلى تعديل أو نضوج، فقد نص الدستور نفسه على أن ذلك التعديل والنضوج من حق النواب بطريقة قانونية مرسومة، وتكون النيابة البرلمانية حيثئذ هي الوسيلة المثلى لتحقيق هتاف الإخوان.

وبعد، فقد اختار مكتب الإرشاد العام هذا القرار، واتخذّه بعد أن درس الموضوع من كل وجوهه، وهو مع ذلك يرقب سير الأمور عن كثب، وسيرسوم للإخوان طريق اشتراكهم في هذه الانتخابات على ضوء ما سيرى من ظروف وملابسات، وسيكون رائده في ذلك الحكمة التامة، ومراعاة الظروف العامة والخاصة، وأن يكتسب للدعوة أعظم الفوائد بأقل التضحيات والأمر بيد الله، وهو حسينا ونعم الوكيل]. أ. هـ. كلام الإمام حسن البنا.

●● الإخوان المسلمون والتجربة البرلمانية^(١)

خاض الإخوان المسلمون التجربة البرلمانية في وقت مبكر وكانت البداية في مصر، حيث قرر المؤتمر السادس للإخوان المسلمين المنعقد في ذى الحجة ١٣٦١هـ- الموافق ١٩٤٢م المشاركة في انتخابات عام ١٩٤٢م للبرلمان المصري، وذلك لما حققته الجماعة من النجاح الكبير والمشهود والملموس في المحيط الشعبي، وبقي علينا الوصول إلى المحيط الرسمي..

لكن الظروف السياسية التي كانت تمر بها مصر أثناء الاحتلال البريطاني وأثناء الحرب العالمية الثانية حالت دون قبول ترشيح مرشد الإخوان المسلمين حسن البنا في دائرة الإسماعيلية. . وانتهى الأمر برفض رئيس الوزراء «النحاس» ترشيح البنا.

(١) مقال للأستاذ بدر محمد بدر- مجلة المجتمع الكويتية- العدد [١١٧٦] بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ- الموافق ١٩٩٥/٩/٢١م بتصرف.

شارك الإخوان المسلمون مرة أخرى فى انتخابات البرلمان سنة ٤٤ - ١٩٤٥ م لكن التزوير فى هذه المرة كان فاضحاً وتدخّل الإنجليز السافر، مما أدى إلى إسقاط حسن البنا بعد تقدمه على خصومه بفارق كبير .

ثم دخلت الجماعة بعد ذلك فى سلسلة من المحن والابتلاءات والسجون والاعتقالات حتى أفرج عنهم جميعاً سنة ١٩٧٥ م .

وبعد خروج الإخوان من اعتقالات أحداث سبتمبر ١٩٨١ م بدءوا فى التفكير مرة أخرى فى خوض انتخابات مجلس الشعب الذى جرى فى ٢٧/ مايو ١٩٨٤ م .

قام الإخوان المسلمون بالتنسيق مع حزب الوفد الجديد - الذى ولد قبل بضعة أشهر من الانتخابات وكان يسعى إلى الاستفادة من الانتشار الجماهيرى الذى حققته جماعة الإخوان بعد خروجهم من السجون وللممة شملهم وانتشارهم الواسع بين الجماهير - بينما وجدت الجماعة فى هذا التنسيق الإطار القانونى لخوض الانتخابات التى جرت لأول مرة وفق نظام القوائم الحزبية .

ونجح الإخوان المسلمون بعدد (٩) من قيادات الجماعة فى الوصول إلى مجلس الشعب فى انتخابات ١٩٨٤ م رغم القيود التى فرضها حزب الوفد على وضع أفراد الإخوان فى القوائم والضغوط التى مارستها السلطة بشكل مباشر أو غير مباشر .

مهد لنجاح الإخوان فى التحالف مع حزبى العمل والأحرار فى انتخابات أبريل ١٩٨٧ م ما حصده من الخبرة الانتخابية والبرلمانية، خصوصاً أنهم تحرروا من القيود المفروضة عليهم فى ترتيب القوائم بعد الصورة الضخمة التى ظهرت بها فى انتخابات ١٩٨٤ م ففازوا بعدد (٣٦) مقعداً فى مجلس الشعب سنة ١٩٨٧ م وكان يمكن أن تتضاعف هذه المقاعد لو أن الحكومة نفذت الأحكام القضائية النهائية التى صدرت لصالح المعارضة بشكل عام، والجدير بالذكر أن الإخوان قد حصلوا على أكثر من مليون صوت انتخابى من عدد حوالى ستة ملايين شاركوا فى انتخابات ١٩٨٧ م - مما دفع اللواء زكى بدر - وزير الداخلية - وقتها إلى الاعتراف بأن الإخوان كانوا [الأكثر تنظيمًا والأقدر دعاية] .

أما فى انتخابات سنة ١٩٩٠ م فقد رفض الإخوان المسلمون المشاركة فيها وأصدروا قراراً يفيد ذلك .

وفى انتخابات ١٩٩٥ م شارك الإخوان بعدد ١٧٠ مرشحاً، ولكن الاعتقالات الواسعة والضغوط الأمنية من قبل الحكومة وإحالة عدد كبير من الإخوان المعتقلين إلى المحاكم

العسكرية، وإغلاق مقرهم في القاهرة، اضطرت كثيراً من الإخوان المرشحين للتنازل عن الترشيح لظروف الاعتقال، وقد أصدرت المحكمة العسكرية العليا حكمها في القضيتين [٨]، ١١ لسنة ١٩٩٥م عسكرية] يوم الخميس ٢٣/١١/١٩٩٥م بإدانة ٥٤ من قيادات الجماعة منهم ٥ بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات، ٤٩ بالأشغال والسجن لمدة ثلاث سنوات، وبراءة ٢٧ آخرين، كما قضت بمصادرة جميع المضبوطات وإغلاق مقر الجماعة الكائن بشقة رقم ٥ بالعمارة الأولى في شارع سوق التوفيقية بوسط القاهرة بعد أن ظل مفتوحاً لمدة ١٨ سنة تقريباً. وكانت الانتخابات الأكثر دموية، الحاصلة فيها ٢٧ قتيلاً وأكثر من ألف معتقل، واتسمت هذه الانتخابات بالتزوير واستعانة الأمن بالبلطجية ضد الإخوان وإغلاق نصف الدوائر الانتخابية لمنع الناس من الإدلاء بأصواتهم، وما نجح من الإخوان غير واحد هو [على فتح الباب].

•• الإسلام هو الحل:

شعار «الإسلام هو الحل» كان له مفعول السحر في نفوس أبناء الشعب المصري أثناء انتخابات ١٩٨٤، وبقوة أكثر في انتخابات ١٩٨٧م، ولم تدخل الحركة في تفاصيل كثيرة حول هذا الشعار، لكنه في ١٩٨٧م أعلنت عن برنامج «التحالف الإسلامي» من عشر نقاط يتناول: الحريات، الديمقراطية، تطبيق الشريعة الإسلامية، الإصلاح الاقتصادي، الاهتمام بالشباب، إيجاد حلول عملية لمشاكل الشعب، ركزت الجماعة على العموميات وعلى أن نوابها هم نواب الأمة، ولكنها وجدت من الصعوبة تجاهل مصالح أبناء الشعب الخاصة في مختلف الدوائر، حيث اعتاد الناس الذهاب إلى نائب الدائرة لتزكية طلب أو البحث عن عمل أو لاستخراج رخصة... إلخ خصوصاً وأن الأوضاع الاقتصادية الضاغطة تجعل من تجاهل هذه المصالح أمراً شاقاً.

•• أسلوب ممارسة الإخوان للعمل البرلماني:

يقول الأستاذ أحمد سيف الإسلام حسن البنا -الذي كان عضواً بارزاً في الهيئة البرلمانية للإخوان المسلمين- ٨٧/٩٠- عن أسلوب ممارسة الإخوان للعمل البرلماني: حرصنا منذ البداية على المشاركة بعضو أو أكثر في كل لجان المجلس حتى نتمكن من معرفة ما يجري في الكواليس، ونشارك في الحديث في كل الموضوعات المطروحة، ونحاول التأثير قدر الاستطاعة في الموضوعات المطروحة، خصوصاً في المجالات الأساسية مثل: التعليم والإعلام وتطبيق الشريعة والحريات العامة وغيرها، وقامت سياستنا على امتداح المواقف

الجيدة للحكومة ونقد ما نراه خاطئاً، وقد أكسبنا ذلك احترام الكثيرين حتى من أعضاء ونواب الحكومة إلى الدرجة التي قال فيها الأستاذ إيهاب مقلد -وكيل مجلس الشعب- [أشهد أنه لأول مرة ترى مصر هذه المعارضة الموضوعية الوطنية الجادة الحريضة على مصلحة الوطن أولاً وأخيراً]. ويضيف سيف الإسلام: [كنا دعاء إلى الإسلام قبل أن نكون نواباً معارضين وبالتالي كان تأثيرنا الفكرى والمعنوى يفوق عددنا بشكل كبير فقد كان عددنا يمثل حوالى ٨٪ فقط من تعداد المجلس .

وقد نجح الإخوان المسلمون فى التأثير المباشر وغير المباشر فى كثير من قرارات ومواقف النواب داخل البرلمان، لكن أبرز نجاحاتهم على الإطلاق -كما يقول النائب السابق مختار نوح- كانت فى انتزاع قرار من رئيس المجلس «الدكتور رفعت المحجوب» وقتها- بأنه «لن يصدر قانون يخالف الشريعة الإسلامية» وأن أى قرار أو قانون لابد من التأكد من عدم مصادمته للشريعة قبل إقراره» .

أيضاً نجحوا فى طرح قضايا لم يكن من الممكن طرحها على أعلى منبر سياسى مثل قضايا الحريات والمعتقلين والأمن، وأوضاع الدعوة الإسلامية، ومواجهة الفساد... إلخ..

●● الحديث فى كل المجالات:

تحدث نواب الإخوان فى القضايا الرئيسية مثل: سياسة التعليم ودورها فى مستقبل الأمة، والحريات السياسية والعامه، وحق المواطن فى خدمة صحية أفضل، كما تناولوا السياسة الخارجية والعلاقات المصرية- العربية، ودور مصر فى المنطقة، والموقف من العدو الصهيونى، والعلاقات مع أمريكا، بالإضافة إلى قوانين تطبيق الشريعة، وأوضاع الإعلام... ولم يكن هناك إهمال للقضايا التى تخص الدوائر الانتخابية مثل: إصلاح المرافق العامة، والتيسير على المواطنين وحماية الحقوق، وتوفير حياة كريمة لأبناء الشعب، وكان نواب الحكومة أو بقية الأحزاب الأخرى يندهشون من حسن إعداد نائب الإخوان للموضوع الذى يتحدث فيه والاقتراحات العملية البناءة التى يقدمها، حتى وصل الأمر بأن يتقدم الدكتور أحمد فتحى سرور -وزير التعليم وقتها ورئيس البرلمان الحالى- بالشكر إلى النائب الإخوانى مختار نوح على حسن عرضه لاستجوابه المدعم بالوثائق والمستندات، ويتعهد أمام المجلس بالاستفادة من كل الملاحظات والآراء التى طرحها السيد المستجوب، ولم يسع المجلس إلا التصفيق بحرارة للطرفين، وشكل ذلك درجة عالية من الممارسة البرلمانية الهادفة، مما دفع الآخرين للاستفادة من هذا الأسلوب .

وبرغم التعظيم الإعلامي والتضييق العام إلى الدرجة التي دعا فيها بعض صحفيي الحكومة إلى منع عرض تقرير من مجلس الشعب في التليفزيون تحت زعم أن النواب يتحدثون لكي يصورهم التليفزيون، لكن الهدف كان واضحاً، وهو منع الإخوان من الظهور على الشاشة الصغيرة، لما في ذلك من تأثير واضح على آراء ومواقف الجماهير، برغم ذلك فقد نجح نواب الإخوان في لفت نظر الرأي العام لأرائهم والموضوعات التي يطرحونها.

•• الممارسة البرلمانية أفادت الإخوان:

يقول الأستاذ محمد مهدي عاكف - المرشد الحالي للإخوان المسلمين - عضو البرلمان السابق - : بالنسبة للإخوان فقد أتاحت الممارسة لهم عدة أمور :

- ١- تبنى قضية الإسلام والدفاع عنه باسم الشعب، وهو الهدف الأسمى للجماعة.
 - ٢- رد الاعتبار للجماعة باعتبارها أكبر حركة وطنية إسلامية محرومة من الغطاء القانوني، والحديث عنها وعن أهدافها أمام ممثلي الأمة، وإزالة الحواجز التي صنعتها الحكومة بينها وبين الناس.
 - ٣- اكتساب الحركة لخبرات ومهارات كانت بعيدة عنها، والوصول إلى موضع التأثير والتفاعل ومحاولة التعامل مع القيادات السياسية بعيداً عن التقارير الأمنية المزيفة.
 - ٤- دخول الجماعة في مؤسسات الدولة الحديثة ومعرفة كيفية إدارتها وقيادتها.
- أما على مستوى الأفراد فقد عمقت لديهم الفهم للعمل السياسي المنضبط بضوابط الشرع، وقدمت لهم رؤية أوسع للخريطة السياسية في الساحة المصرية، ومنحتهم القدرة على التعامل الراعي مع معطيات الواقع السياسي، وكيفية الاستفادة منه والتأثير فيه، ومنحتهم كذلك فرصة أوسع للاحتكاك بمختلف فئات الشعب والوصول إلى مواقع وأماكن تجمعات لم يكن ممكناً الوصول إليها بدون الانتخابات.

•• دور الحاج مصطفى مشهور التاريخي في انتخابات ٢٠٠٠م^(١):

اعتاد النظام الحاكم في مصر أن يقوم بعمليات قمع وضغوط كبيرة على جماعة الإخوان المسلمين قبل كل انتخابات برلمانية أو شورى أو محليات. فيمارس النظام ظلماً مفضوحاً في شكل اعتقالات واسعة أو تعذيب للمعتقلين أو تحويل بعضهم إلى محاكم عسكرية... والهدف من ذلك واضح وهو: ثني عزم قيادة الإخوان لتأخذ الموقف الذي يذهب بها بعيداً

(١) حوار مسجل مع الدكتور محمد السيد حبيب.

عن المعتزك السياسي المنافس للنظام الحاكم المستبد الديكتاتوري الطاغى، وبالتالي يكون النظام الحاكم قد حقق هدفه المنشود... فضلاً عن الهجوم الشرس والضارى على الجماعة بأنها محظورة ورميها بالتطرف والعنف وإعادة تشغيل الاسطوانة المشروخة عن النظام الخاص والتاريخ المزور وذكر الاتهامات الضالة التى تتمثل فى: «قتل النقراشى، والحازندار، وقضية السيارة الجيب، وقضية الأوكار... إلخ...»، لعلها تفت فى عضد الجماعة... ولكن القيادة وبفضل المولى الكرم كانت دائماً وستظل ثابتة قوية لم ولن تنشى أبداً أمام هذه العواصف الهوج، وإنما كانت تقاومها بمتهى الصلابة والشدة والقوة والحسم والعزم...

ففى انتخابات سنة ٢٠٠٠ لمجلس الشعب، قام مكتب الإرشاد باستطلاع واسع فى صفوف الإخوان للمشاركة فى هذه الانتخابات، وكان الرد من المكاتب الإدارية هو: [لا مانع من الدخول فى الانتخابات على مستوى القطر كله ولكن نحن مكتب إدارى فلا نستطيع المشاركة] تقريباً كان رد كل مكتب إدارى هو هذا الرد... فالمحصلة إذن (صفر).

هنا بدأ دور الحاج مصطفى الذى بدأ يستدعى المكاتب الإدارية ويناقشها ويعيد طرح الفكرة ومحاولة إقناع الإخوان بأن هذه فرصة لإثبات الوجود، ولكسر طوق الحصار المفروض على الإخوان من قبل السلطة الحاكمة، وإذا لم يشارك الإخوان فسوف يتحقق هدف النظام الحاكم فى إقصاء الإخوان عن الساحة السياسية، وأن دعوة الله تبارك وتعالى سارية ومنطلقة وإن لم تكن بنا فسوف تكون بغيرنا، فلا بد من أن نلحق بها، ونبدى من المقاومة والصلابة ومن القوة ومن الجلد ما يعين على اللحاق بها.

كانت بعض المكاتب الإدارية تبنى التخوف من التصييق والاعتقالات والقمع والملاحقة، ولكن الحاج مصطفى كان يقاوم هذا كله ويحاول أن يعيد صياغة النفس كيف يربطها بدعوتها وكيف يربطها بالجهاد بل كيف يربطها بخالقها، ويقول للإخوان: إذا كنا نحن سنتخلف فمن الذى سيتقدم، وأن الشعب ينظر إلينا بل الأمة كلها تنظر إلينا... وأن الشعوب فى حاجة إلى قيادة مخلصه صادقة قوية تبذل من نفسها ووقتها وجهدها لتعطيها الثقة والولاء وتعطيها نصرتها، ونحن بقدر ما نبذله من وقتنا ومالتنا وأنفسنا وحريرتنا وجهدنا فستعطينا الشعوب الثقة والتأييد وسنحى الأمل والرجاء فى الله سبحانه وتعالى... أما إذا تقاعسنا وتراجعنا وتراخينا وقعدنا، فسوف تتأثر الدعوة والشعوب بل ستتأثر نحن كجماعة وكأشخاص، وسيصيبننا نوع من ضعف الهمم والنشاط وستفتر عزائمنا، فالعمل يجلب عملاً والنشاط يجلب نشاطاً، ويجب على الإخوان أن يثقوا فى أنفسهم وأن يثقوا بربهم وأنهم أصحاب دعوة وأنهم مربيون

بالله عز وجل وأنه سبحانه وتعالى لن يتركهم في معركتهم وسوف يؤيدهم بنصره وينزل عليهم تأييده من السماء .

كان الحاج مصطفى يبذل قصارى جهده في إعادة صياغة النفس ، ولا يهمله ما يروى في الصحف وما يقال في أجهزة الإعلام ولا ما يروى من تهمة وإشاعات وما كان يشنيه شيء من هذا القبيل ، وما يقال عن الصف إنه مضطرب وغير مهيباً!! . . . وكانت عنده ثقة ويقين وقوة ديناميكية محرقة عجيبة وطاقة نفسية هائلة لا يعرف اليأس طريقاً إليها .

وكان مكتب الإرشاد يتقوى بالحاج مصطفى مشهور ويتأثر به وتأثراً بالغاً ولا شك أن وجود شخصية كشخصية الحاج مصطفى مشهور والأستاذ مأمون الهضيبي ، شخصيات من القوة والصلابة والجلد لا تشنى ولا تنحني ولا تلين ، وقد تمثلا قول الله تعالى ﴿ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [الفصص : ٣٥] فكان الأستاذ مأمون نعم الأخ ونعم الرفيق ، وكانا سبيكة واحدة .

جرت الانتخابات وشارك الإخوان المسلمون وأحرزوا نتيجة تفوق ما أحرزته الأحزاب مجتمعة من فوز .

وبالرغم من التزوير والبلطجة والتضييق وإغلاق مراكز الاقتراع والحرب المعلنة على الإخوان والإرهاب الذي مارسته الحكومة ممثلة في الحزب الوطني ، كان الأمر أشبه بالقتال كما حدث على سبيل المثال لا الحصر في [دائرة البساتين ودائرة أشمون وفي الغربية وفي الإسكندرية] كانت الصورة بشعة وفظيعة حقاً ، ولكن لم يكن ذلك كله ليثنى الحاج مصطفى وقيادة الإخوان .

كانت القضية العسكرية المعروفة بقضية [النقابين] الذين اعتقلوا في ١٤ أكتوبر عام ١٩٩٩م وظلت المحاكمة مستمرة . . تتوقف حيناً وتعاود استمرارها حيناً آخر ، حتى تكون ورقة في يد الحكومة تستعملها كورقة ضغط ضد الإخوان المسلمين وعلى قيادتهم لمنعهم من المشاركة في انتخابات سنة ٢٠٠٠م التي تمت في أكتوبر ٢٠٠٠م أي بعد بداية المحاكمة بعام كامل!! كيف تستمر محكمة عسكرية -وهي المعروفة بسرعة البت وإصدار الحكم- لمدة عام في النظر في قضية كهذه؟! وكان أمر الحكومة مفضوحاً . .

وقتها كثر الكلام وكثر الناصحون المتخوفون من ضغوط النظام الحاكم وممارسته ضد النقابين وغيرهم . . وكثرت الضغوط وكثر التلويح بالإفراج إذا ما تراجع الإخوان ، واتخذت القيادة قراراً بعدم المشاركة في الانتخابات البرلمانية ، وكانت محاولات مضنية .

ولكن الحاج مصطفى مشهور كان يمضى وينطلق فى طريقه كالسهم رغم كل هذه الضغوط ولا يعبأ بشيء أبداً، وكان فى غاية الصلابة، لسان حاله يقول: نحن لا نتهمنا المحاكم العسكرية أو هذه الضغوط جميعاً.

وتحقق النصر والتأييد، فقد كسب الإخوان: [الثقة فى القيادة] أولاً: ثم كسبوا [١٧ مقعداً فى مجلس الشعب].

ورأى الإخوان فى قيادتهم صبراً ومثابرة وصلابة، فزادوا ارتباطاً وثقة بقيادتهم، فكانت تجربة انتخابات سنة ٢٠٠٠م تربية على مستوى القيادة وعلى مستوى التطبيق فى الصف.

بذل الحاج مصطفى مشهور محاولات متواصلة مع المكاتب الإدارية، واستطاع أن يقنع الجميع بالمشاركة فى الانتخابات... وكان كسباً عظيماً للدعوة بفضل الله تبارك وتعالى، ثم بفضل الموقف التاريخى للحاج مصطفى مشهور.

[٩]

دور المرأة في المجتمع المسلم

بعث الحاج مصطفى مشهور برسالة إلى زوجته وبناته من داخل السجن أثناء محنة ١٩٦٥م، بين فيها ما يرجوه منهن وما يرجو تحقيقه بالنسبة للفتاة أو المرأة المسلمة، واتسمت هذه الرسالة بأنها مختصرة، وواضحة، وجمعت وحوث دور المرأة في المجتمع المسلم. . . فكانت رسالة جامعة، ولكنها سهلة ممتعة، وردت في شكل نقاط محددة دون تفصيل وإسهاب ممل، ولم يكن أسلوبها المقتضب مقلداً في جمع هذا الدور العظيم الذي يجب أن تلعبه كل فتاة أو امرأة مسلمة.

يقول الحاج مصطفى في رسالته^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

ما نرجو تحقيقه بالنسبة للفتاة أو المرأة المسلمة:

١- أن تكون مسلمة في ذاتها:

أ- أن تكون سليمة العقيدة: من حيث إيمانها بالله وجوداً ووجدانية وقدرة وما يتصل بصفاته، وإيمانها بالرسول والكتب والملائكة واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار.

ب- أن تكون صحيحة العبادة: بأن تعرف العبادات المفروضة عليها وتلم بأحكامها الفقهية وشروط صحتها ومبطلاتها وفقه العبادات عموماً، ثم الجانب القلبي المصاحب لكل عبادة حتى تؤدي على الوجه الأكمل. وضرورة المحافظة عليها وعدم التقصير فيها.

ج- الجانب الأخلاقي: وضرورة التحلي بالأخلاق الإسلامية من صدق ووفاء وأمانة وحلم وعدل إلى آخر هذه الصفات الحسنة وضرورة التخلي عن الأخلاق الذميمة كالكذب والخيانة والغضب والغيبة والنميمة وغيرها. ويمكن التركيز في كل اجتماع على صفة أو خلق من هذه الأخلاق للالتزام بها والانتباه إليها، ثم تضاف إليها صفة أخرى في الاجتماع التالي، ويلزم تناول هذا الخلق بطريقة توضح فضائله وثواب الله ورضاه لمن يتخلق به.

(١) حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته - ص ٧٥-٧٨.

د- أن تكون حريصة على وقتها: فالوقت هو الحياة والواجبات أكثر من الأوقات، وأن تكون منظمة في شئونها، فإن النظام يوفر الوقت والجهد ويشرح الصدر، بعكس الفوضى وعدم النظام.
هـ- أن تهتم بصحتها ولا تعرضها إلى ما يضرها: وتعطى الجسم ما يلزمه من غذاء ورياضة وراحة، مع الاهتمام بجانب النظافة في كل شيء ونظافة الظاهر والباطن بأن يكون القلب خالياً من كل ما يغضب الله.

و- أن تكون نافعة للغير: تقدم الخير والمعونة للغير، دون انتظار لرد الجميل.

٢- أن تكون زوجة مسلمة:

أ- أن تعلم حقوق الزوج وأن تكون عوناً له على طاعة الله والعمل للإسلام، وتحقق له الراحة والسكينة فيجد في البيت راحته ويجد فيه نشاطه ليستأنف عمله اليومي.

ب- ألا تخلق مشاكل تتعب بها زوجها، وأن تحسن تدبير منزلها وميزانيتها بحيث لا ترهق ميزانية الزوج بأي صورة من الصور.

ج- أن تحسن معاملة أهل زوجها وأهلها: وتسد أبواب الفتن التي تحدث عادة من قبل الأقارب والجيران.

د- أن تطيع زوجها في غير معصية ولا تخالف أوامره، ولا يمنع ذلك من إبداء الرأي والنصح في معروف، فالزواج شركة مديرها الزوج.

٣- أن تكون أما مسلمة:

أ- بأن تهتم بأمر الأولاد من بدء الحمل، فتراعى كل ما يلزم الجنين في غذائها وحركتها وراحتها وكل ما يتصل به بعد الوضع والرعاية فترات نموه وحسن تأديبه على آداب الإسلام.

ب- الاهتمام بالنظافة والتعليم والغذاء للأطفال وحمايتهم من كل ما يضر بصحتهم أو أخلاقهم من أجهزة الإعلام أو من أولاد آخرين.

ج- تعويدهم المشاركة في الأعمال المنزلية وخاصة البنات.

د- مراعاة التزامهن بالنزى الإسلامى قبل سن البلوغ بوقت كاف [من سن عشرة إلى إحدى عشرة سنة تقريباً].

هـ- تحفظهم ما تستطيع من القرآن والأدعية المأثورة والعبارات الحسنة فى الكلام مع الغير.

٤- أن تكون بنتاً مسلمة:

أ- بأن تراعى مشاعر والديها وتحسن إليهما ولا تسيء إلى أى منهما.

- ب- أن تطيع والديها وتحرص على رضاها .
 ج- إذا بلغ والداها سنًا متقدمة يجدان منها كل عطف ورعاية وخدمة لشدة حاجتهما إلى ذلك في تلك السن ، ولعل البنت أقدر على القيام بذلك من الولد .
 هـ- أن تكون داعية مسلمة :

أ- واجب كل مسلم ومسلمة أن يدعو غيره للتمسك بالإسلام وآداب الإسلام والعمل للإسلام حتى يعود للإسلام مجده ويكون الدين كله لله .

ب- الأخت المسلمة الداعية أكثر قدرة وأشد صلة بينات جنسها فتدعوهم إلى الله .

ج- على الأخت المسلمة أن تطلع وتتمرس على الدعوة وسط جيرانها وأقربائها ومعارفها ، ويمكن التدرج في ذلك باختيار معنى من المعاني ودراسته أو تفهمه ثم تحكيه مرة واثنين وثلاث لصديقاتها حتى يستطعن التعبير عنه بسهولة ، فتحكيه في جمّع من الأخوات . ثم تضيف معنى آخر بنفس الطريقة وهكذا بعد فترة تستطيع أن تتحدث في عدة معانٍ في جمع كبير دون هيبة ولا تعثر .

د- يمكن تكليف بعض الأخوات بإعداد درس في موضوع معين مع تحديد المراجع لتلقيه على أخواتها .

هـ- الموضوعات السابق ذكرها يحسن أن تكون هي الموضوعات التي تتمرس الأخوات على الحديث فيها .

تقول أسرة الحاج مصطفى : [وكتطبيق لهذا النموذج الذي ورد في الرسالة كان يجلس معنا يرحمه الله ليعطينا درسًا بعد صلاة العصر في السيرة النبوية ، وكان يتابعنا حتى في طريقة إعداد الطعام وكيف تنجز المهمة في وقت قصير ويتابعنا في ترتيب البيت ، وكانت الوالدة توزع أعمال البيت علينا بالتبادل من حيث طهي الطعام وميزانية المنزل وترتيب البيت وأعمال الخياطة ، وقد حرصنا على دروس السيرة وكيفية الدعوة ومرآحليها ووسائلها ، ولكنه كان يصحح لنا هذه الرغبة في أن الفتاة يجب أن تحرص على معرفة دورها في أعمال البيت وتربية الأولاد وأن تتعرف على واجباتها كزوجة ، بمعنى آخر كان يهتم بالتربية الشاملة الكاملة للفتاة حتى وإن احتاج هذا لوقت طويل ، وكان يضرب لنا المثل بما يحدث عن طهي قطعتين من اللحم ، قطعة اشتعلت تحتها نار عالية واستوت على هذا الحال ولم تأخذ فرصتها الكافية في التسوية والمتابعة وإن كان ظاهرها أنها قد استوت ، وأخرى استوت على نار هادئة بحيث يمكن

أن تستوى على كل الجوانب وتكون الفرصة أكثر لإضافة ما يلزم أثناء عملية الطهي، وهناك فرق كبير بين نتيجة عمليتي الطهي من حيث الرائحة واللون واستساغته.

وكان يقوم بتوجيهنا كذلك وتشجيعنا على إعطاء دروس في مساجد الحي، وكان يصحح لنا ما نقع فيه من أخطاء عند متابعتنا بعد عودتنا من الدرس.

هذا هو دور المرأة المسلمة في المجتمع كما يدركه ويتصوره أستاذنا الحاج مصطفى مشهور، ولكنه لم يكن منظرًا كما عهدناه في كل مشاريعه الدعوية وفي كل فكر صحيح عميق يحمله، بل كان إيجابيًا عمليًا، وكما تقول أسرته إنه كان يطبق ما ورد من نموذج في رسالته التي ذكرناها تطبيقًا عمليًا.

لقد أفاد أستاذنا إفادة عظيمة بتقديم النموذج النظري لدور المرأة المسلمة في المجتمع، فنفح به إخوانه ودعوته والمجتمع بأسره، وبتقديم نماذج ناجحة مارست دورها ممارسة عملية فعلية تحت رعايته ومتابعته رضى الله عنه وأرضاه، هذه النماذج هي: أختنا الفضلى العزيزة الأستاذة وفاء مشهور التي صارت علمًا من أعلام الدعوة تجوب الأقطار وتزور الأمصار داعية لله تبارك وتعالى ومربية للجيل الصاعد من فتيات الدعوة وناصحة للنساء تقدم لهن الدروس والمحاضرات والمؤتمرات ومن خبراتها وعلمها الغزير، وكذلك أختنا الكريمة الأستاذة سناء التي لا يتقطع عملها مع أخواتها ولا عطاؤها من ذلك المنهل الذي لا ينضب بفضل بركة الله تبارك وتعالى على الأسرة الكريمة، الأسرة النموذج الذي قام بإعدادها وإدارتها والإشراف عليها أستاذنا العظيم الحاج مصطفى مشهور. ولا ننسى أختنا العزيزة سلوى التي لا تichel أبدًا بما يُطلب منها أن تؤديه راجية عفو ربها وهي النموذج الذي يُحتذى في برها لأبيها، فقد قامت بخدمته حتى آخر يوم عاشه في هذه الدنيا فكانت الحنون الرؤم وقامت بواجبها كاملاً نحو والدها، فعوضته الكثير والكثير مما كانت ستقدمه كل بارة بوالدها.

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح: [لم يكن موقف الحاج مصطفى من قضايا المرأة بالفكر والرأي فقط، وإنما كان بسلوكه في بيته مع زوجته وبناته، لقد كان مثالا في إكرام المرأة واحترامها والتعامل معها على أنها قريب له مثلها مثله، فضلاً عن اهتمامه بالأخوات وقسم الأخوات، وكان مشجعاً لصنع داعيات وقد نجح في إعداد بناته، ومشجعاً لمشاركة المرأة في البرلمان والنقابات وغيرها من الهيئات، ولم يكن لديه أي اعتراض على ممارستها الاجتماعية كطبيبة أو مهندسة أو محامية أو غير ذلك]^(١).

(١) حوار مسجل مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

الباب العاشر: شهيد على فراشه

الفصل الأول: مرضه.

الفصل الثاني: وفاته.

الفصل الثالث: جنازته.

الفصل الرابع: مرثيان مشهور.

الفصل الأول :

مرضه^(١)

فى يوم الثلاثاء ٢٣ من شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٢م، عاد الحاج مصطفى مشهور من مكتب الإرشاد بالروضة كعادته بعد أن صلى صلاة الظهر مع إخوانه هناك، ثم تناول الغداء، وبعد ذلك دخل غرفته ليستريح كما تعود أن يستريح وقت القيلولة قبل صلاة العصر، ولكنه لم يخرج كعادته ليتجهز لصلاة العصر، فدخلت عليه ابنته (سلوى) الكبرى التى تقيم معه، وكانت وحدها فى المنزل، فوجدته وقد سقط على الأرض، فرفعت، وهى تنظر إليه فى قلق شديد مما حدث، ولكنه وقف مطمئناً إياها بقوله: [لا تقلقى أنا بخير والحمد لله]، ولكنها كانت تتفحص آثار سقوطه فوجدت (خدشة) فى وجهه، فطمأنها ثانية وطلب منها أن تساعد على الوضوء وتحضر له العصا ليتوكأ عليها ويذهب إلى المسجد ليصلى العصر، وكانت سلوى مشفقة عليه، فطلبت منه أن يستريح ويصلى معها فى البيت، ولكنه أكد لها أنه بخير والحمد لله. ويستطيع الذهاب إلى المسجد، فحاولت تعطيله عن النزول بعض الوقت حتى يحضر أحد الأقارب أو الإخوان لكى يصحبه إلى المسجد، وبالفعل اتصلت بأحد الأقارب فجاء بسرعة واصطحبه إلى المسجد. . . وفى طريقه إلى المسجد كعادته سلم على عمال وموظفى مطعم الشيراوى فلاحظوا عليه التعب وقالوا له: [ألف سلامة يا حاج]، أما الحاج مصطفى إلى رفيقه وهمس له قائلاً أنا بخير، وحاول أن يعتمد على نفسه فى المشى حتى لا يقلقوا عليه، ولم ينس توزيع الحلوى على الأطفال فى الشارع كعادته وهو فى طريقه إلى المسجد، وبعد وصوله المسجد وأداء فريضة العصر فى جماعة وبعد ختم صلاته ذهب ليحمل عصاه ويخرج متوجهاً إلى بيته فسقط مرة أخرى على الأرض داخل المسجد، ودخل فى غيبوبة تامة. .

كانت ابنته قد اتصلت ببعض الإخوان وأخبرتهم بما حدث لأبيها فى المنزل قبل نزوله إلى المسجد، فسارعوا إليه ولحقوا به فى المسجد، وعلى الفور نقلوه إلى مستشفى النزهة الدولى بجوار شيراتون المطار. . .

أدخل الحاج مصطفى على الفور غرفة العناية المركزة، وقام بالإشراف عليه الأستاذ الدكتور ممدوح سلامة، الذى شخص حالته بأنها: [جلطة دماغية تسببت فى نزيف فى المخ] حاول

(١) انظر: حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته.

بعض الإخوان الاستعانة بأطباء من الخارج، وبالفعل أحضروا الدكتور أيمن رمضان - حفيد الإمام الشهيد حسن البنا- نجل الدكتور محمد سعيد رمضان .

وبذل الأطباء ما فى وسع البشر وما يجب عليهم أن يقوموا بعمله كأطباء أكفاء تجاه كل مريض، والأمر كله لله تعالى من قبل ومن بعد فهو يتولى عباده، ودعوا الله سبحانه وتعالى أن يتولاه كما يتولى عباده الصالحين وأن يكتب له الشفاء التام العاجل من هذا المرض . . .

كانت غرفة العناية محاطة بكامل العناية والاهتمام البالغ المقدر من قبل إدارة المستشفى والأطباء، وعناية أخرى قلبية وعاطفية بالشفاف أهله وإخوانه وذويه، وقد تناوب الإخوان تلاوة القرآن بجواره على مدار الأربع والعشرين ساعة، حيث إن المعهود عن الحاج ملازمته لكتاب الله تبارك وتعالى، فأرادوا ألا يحرموه هذه الملازمة، فأنعم به وأنعم بإخوانه . .

لقد عرفنا فى الأبواب السابقة من هذا الكتاب مدى حب الحاج مصطفى لإخوانه ومدى حبه لهم . . . وظهر ذلك جلياً من خلال زيارات الإخوان له فى المستشفى حيث التقى الزوار من الإخوان بأهله وذويه وبالأطباء والإداريين والاختصاصيين وظهرت سلوكيات وأخلاقيات مجتمع الإخوان أمام الجميع ولاحظ رجال الأمن ورجال الصحافة -الذين كانوا يقيمون بالمستشفى بصفة شبه دائمة- مدى حب الإخوان لهذا الرجل العظيم بإقامتهم الطويلة شبه الدائمة ومودتهم لبعضهم وأسلوب تعاملهم فيما بينهم وبين الناس، وأوا نموذجاً لا مثيل له فى المجتمع . .

كان الإخوان يقدمون كل ما فى وسعهم لخدمته وتوفير كل ما هو سبب لراحته وعافيته وشفائه . . فإلى جانب أهله وذويه كان الأستاذ مسعود السبحى بارك الله فى صحته وعمره مرافقاً دائماً له كما عهدناه مرافقاً للمرشدين . . وكان الدكتور جمال عبد الهادى من أكثر الإخوان تردداً وزيارة، وكان يحمل معه ماء زمزم وعسل النحل ويقوم بتوصيله للمشرفين على غرفة العناية المركزة ويطلب منهم إضافة ذلك إلى المحاليل، وكان يقف طويلاً وهو يدعو له بالشفاء والعافية، وأحضر معه ذات مرة أستاذين متخصصين فى الحجامة؛ حيث كان يرى المصلحة فى عملها للحاج مصطفى ولكن رأى الأطباء عدم جدوى الحجامة فى هذه الحالة من المرض . . أما باقى الإخوان الذين لم تمكنهم ظروفهم بالحضور والزيارة -كل حسب ظروفه- فلم يكفوا عن التضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لأخيهم وحبيبتهم وأستاذهم ومرشدهم الحاج مصطفى مشهور .

ظل الحبيب فى غيبوبة تامة من يوم الثلاثاء ٢٣ من شعبان ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠٢م وحتى يوم الخميس ٩ من رمضان ١٤٢٣ هـ الموافق ١٤ من نوفمبر ٢٠٠٢م .

الفصل الثاني:

وفاته.. [شهيد على فراشه]

تقول أسرة الحاج مصطفى مشهور عن وفاته^(١): [فى يوم الخميس ١٤/١١/٢٠٠٢، وأثناء تناولنا لطعام الإفطار فى شقة قريبة من المستشفى اتصل بنا خالنا الدكتور جلال مشهور ليبلغنا بخبر وفاة الوالد، وأسرعنا فى الذهاب إلى المستشفى ولحق بنا الأستاذ مأمون الهضيبى -رحمه الله- وباقى إخوانه، وتم الاتفاق بعد إذن العائلة فى دفن الوالد فى مقابر المرشدين - التى كان له الفضل بعد الله فى بنائها- «فى مقابر القطامية بمدينة نصر بالقاهرة»، وتم نقل الجثمان إلى مكان مكيف فى المستشفى حيث تواجد عدد من الإخوان يرتلون القرآن حتى الصباح، وتم الاتفاق على وقت ومن يشارك فى عملية الغسل^(٢) ناهيك عن الاتفاق على خط سير الجنازة مع مسئولى الأمن. وهناك الكثير مما كُتب عن الجنازة التى لم تشهد لها مثيلاً فى كثرة المشيعين والنظام الدقيق أثناء تشييع الجنازة، رحم الله والدنا الأستاذ مصطفى مشهور وجزاه عن أهله وإخوانه خير الجزاء وألحقنا به على خير ما يحب ربنا ويرضى، وتلقى الله وهو عنا راض غير مبدلين ولا مغيرين].

أه يا حبيب الإخوان . . . وواه يا أحب الإخوان إلى الإخوان . . . لقد تمت فى فراشك أيها المجاهد . . . ومرت فترة مرضك عصبية قاسية . . . كان كل من حول فراشك محبين، يتمنون أن يفتدوك بكل ما يملكون، وبالنفس إن استطاعوا لو يملكونها]. . .

وطالت وقفة الأطباء والأحباء والتلاميذ والأتباع، ومرت ليال قاسية غير أن نوراً كان يغطى المكان . . . فأنت أنت المتوسد فراش المرض . . . أنت الذى أقلقت كل من حول سريرك، ومن ازدحم بهم المكان . . . وأنت فى عالم آخر غير عالم المرضى، فى استغراقات حانية بأنوار روحانية على الجسم العاجز عن الحركة والكلام، فأنفاسك هى قول لا إله إلا الله، محمد رسول الله . . . يا الله يا الله . . . يا الله . . .

لقد سافرت وجسدك بيننا يوم الخميس، صعدت روحك الطاهرة والناس على وشك

(١) من كتاب: حياة مصطفى مشهور كما عاشتها أسرته.

(٢) قام بغسله كل من: [الدكتور محمد عبد الجواد- زوج ابنته] و[المهندس محمد أحمد البحيرى- القيادى الإخوانى المعروف] و[الدكتور جمال عبد الهادى].

الإفطار في يوم من أيام الله المباركة في شهر رمضان المبارك خير الشهور عند الله، الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، في يوم الخميس الذي تُعرض فيه الأعمال كما قال ﷺ: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس»^(١) رواه مسلم برقم (٢٥٦٥). وسافر جسديك في اليوم التالي يوم الجمعة اليوم المبارك المتصدر لخيرية الأيام كلها: قال ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» رواه مسلم برقم: [٨٥٤]. . . . روحك أيها الحبيب جوهر صعدت حقيقة إلى السماوات العلاء . . . إلى جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . . . وهلت الملائكة مرحبة بقدمك ونودي: يا عبد الله تقدم في زمرة الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

ختم الرجل حياته التي كانت كلها جهاد وبيان وحركة، وصبر واحتسب عشرات السنين في سجون الظلم والطغيان والاضطهاد، وكافح بالكلمة الصادقة وكان صريحاً وشجاعاً في أسلوبه، وبذل ماله ووقته ونفسه لله تبارك وتعالى - على مدى أكثر من ستين عاماً قضاها في طريق الدعوة، ختم حياته شهيداً على فراشه تصديقاً لما جاء في الحديث الصحيح: «من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» رواه مسلم برقم ١٩٠٩ .

استصغرت نفسى أمام هذا الرجل العظيم العملاق وأنا أكتب عنه ولا أستطيع أن أجمع مآثره، فإن كتابي هذا المقروء لا يرقى إلى مكانة الكتاب الحى المشاهد لحظة بلحظة، إن حياة هؤلاء (أمثال الحاج مصطفى مشهور - رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه الذين رباهم الإمام الشهيد المجدد العظيم والفهم لخير مترجم وخير ذكر وخير سيرة لهذا الإمام الشهيد المجدد العظيم، وأفضل دليل على أنه مجدد القرن الرابع عشر . . . يقول الإمام الشهيد حسن البنا: [إننى لا أولف كتباً يكون مصيرها تزيين الرفوف وأحشاء المكتبات، وإنما مهمتى أن أولف رجالاً أقذف بالرجل منهم في بلد فيحييه، فالرجل منهم كتاب يتنقل بين الناس، ويقتحم عليهم عقولهم وقلوبهم، ويبشهم كل ما فى قلبه ونفسه وعقله، ويؤلف منهم رجالاً كما ألف هو من قبل].

(١) ضعيف: انظر رواه الغليل للالباني ١٠٥/٤ بهذه الصيغة - والصحيح رواية مسلم [تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء . . .] مسلم برقم ٢٥٦٥.

• آيات الغفور الشكور في وفاة مصطفى مشهور:

- الآية الأولى:

كان آخر عهد الحاج مصطفى مشهور بالدنيا: الصلاة، فقد دخل في غيبوبة تامة بعد أداء فريضة صلاة العصر وختم صلاته ثم توجه ليأخذ عصاه وينصرف إلى بيته فوق على الأرض ودخل في الغيبوبة التامة، لم يتكلم مع أحد بعد صلاة العصر ولم يطلب شيئاً من أحد، بل كان آخر كلامه الذكر، وآخر أعماله صلاة العصر... وما أدراك ما صلاة العصر، يقول الغفور الشكور عن صلاة العصر: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة 238] والأمر هنا بالمحافظة على الصلوات يعني إقامتها في أوقاتها، وإقامتها صحيحة الأركان مستوفية الشرائط، أما الصلاة الوسطى فالأرجح من مجموع الروايات أنها صلاة العصر، لقوله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر. ملأ الله قلوبهم ناراً»⁽¹⁾ أخرجه مسلم، وتخصيصها بالذكر ربما لأن وقتها يجيء بعد نومة القيلولة، وقد تفوت المصلي... وربما يكون لفضلها عن الصلوات الأخرى والله أعلم..

وقال عنها ﷺ مبيناً فضلها ما سأذكره في بعض الأحاديث وهي:

- عن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى البردين دخل الجنة» متفق عليه. [البردان]: الصبح والعصر، البخارى (574) ومسلم (635).

- وعن أبي زهير عمارة بن روية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعنى: الفجر والعصر. رواه مسلم (634). [لن يلج النار]: لن يدخلها.

- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» متفق عليه - البخارى (555) ومسلم (632).

- وعن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ريكماً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم

(1) متفق عليه مع اختلاف في بعض الألفاظ وفيه ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً وليس فيه ذكر العصر عند البخارى: انظر البخارى بأرقام 2931، 4533، 6396 ومسلم بأرقام 627، 628.

ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا» متفق عليه، البخارى (٥٧٣) ومسلم (٦٣٣) يعنى حافظوا على صلاة الفجر وصلاة العصر.

- وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» رواه البخارى رقم ٥٥٣، ٥٩٤.

اجتهد أستاذنا الحاج مصطفى مشهور بعد أن وقع فى المنزل قبل صلاة العصر ألا تفوته صلاة العصر، ونزل وهو يغالب المرض، وأكرمه الغفور الشكور وأعانه على أدائها لتكون شاهدة له يوم القيامة، ولعله يحملها فى يده ويُبعث بها إلى ربه وهو يذكر ويشكر . . .

- الآية الثانية:

أن الله تبارك وتعالى أكرمه بالشهادة، وذلك لسببين هما:

السبب الأول: أن الحاج مصطفى مشهور مات فى سبيل الله أى مات على طاعة الله تبارك وتعالى، فقد كان الرجل على دوام الطاعة والذكر والعبادة والجهاد والدعوة، وأن الله تبارك وتعالى استعمله ووفقه لصلاة العصر جماعة فى المسجد رغم ما حدث له قبل صلاة العصر، وكان من الممكن ألا يصلى فى المسجد، وهذا دليل على حسن الخاتمة كما قال ﷺ فى الحديث الذى رواه الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه»^(١)، وهذا دليل على موت الحاج مصطفى فى سبيل الله، أى على طاعة الله، فهو بهذا شهيد بدليل ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتى إذاً لقليل». قالوا فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قتل فى سبيل الله فهو شهيد. ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، ومن مات فى البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»^(٢) من مات فى سبيل الله: على طاعة الله.

السبب الثانى: كان الحاج مصطفى مشهور لا يكف فى دعائه عن سؤال الشهادة بصدق. . . ولكنه مات على فراشه، فأكرمه الله تعالى بالشهادة، بدليل ما رواه مسلم فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٣).

(١) رواه الترمذى برقم ٢١٤٢ - صحيح سنن الترمذى للألبانى عند الهيئى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢١٧.

(٢) رواه مسلم برقم ١٩١٥.

(٣) رواه مسلم برقم ١٩٠٩.

- الآية الثالثة:

وفاته في رمضان بعد غيبوبة تامة استمرت منذ يوم ٢٣ شعبان وحتى ٩ رمضان، وهذه مكرمة من الله عز وجل أن يدخل له أيام مرضه في العشر الأوائل من رمضان ليكتب له ما كان يعمل قبل مرضه في هذه الأيام العظيمة المباركة، فالمرضى يكتب له ما كان يعمل قبل مرضه، بدليل ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كُتِبَ له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»^(١)، فكتب له ما كان يعمل في رمضان.

ثم إن الدعاء مستجاب في هذه الأيام العظيمة المباركة، ولقد دعا له جميع الصائمين الذين حضروا تشييع الجنازة والذين لم يحضروا سواء داخل مصر أو خارجها على مستوى العالم الإسلامي كله.

وكذلك أكرمه الله تعالى بتكفير الذنوب من رمضان إلى رمضان، بدليل ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٢).

- الآية الرابعة:

وفاته يوم الخميس الذي قال عنه ﷺ: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس»^(٣)، وكان يوماً من أيام شهر رمضان وهو اليوم التاسع تنزل فيها رحمت رب العالمين ويكتب فيه عتق رقاب المؤمنين.

- الآية الخامسة:

دفن يوم الجمعة، الذي قال عنه النبي ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة»^(٤) وقال «الجمعة إلى الجمعة... كفارة لما بينهن»^(٥) وقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» متفق عليه، البخاري (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢)، وحدد ﷺ هذه الساعة فقال: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»^(٦).

(١) رواه البخاري برقم ٢٩٩٦.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٣٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح رواه مسلم برقم ٨٥٤.

(٥) رواه مسلم برقم ٢٣٣.

(٦) ضعيف انظر ضعيف سند أبي داود للالباني برقم ١٠٤٩ وضعيف الترغيب برقم ٤٢٨ وضعيف الشوكاني في نيل الأوطار ٣/٣٠١ وضعيف الصنعاني في سبل السلام ٨٧/٢ والذهبي في المهذب ٣/١١٨٢.

فانظر أخى المسلم: تكفير السيئات له ما بين الجمعيتين، وقد دعا كل الذين حضروا تشييع جنازته، فضلاً عن الذين لم يحضروا، كلهم دعوا له فى هذه الساعة المستجابة.

- الآية السادسة:

أدخل قبره مع أذان العصر، ففى الوقت الذى أدخل فيه جثمانه الطاهر القبر كان المؤذن يؤذن لصلاة العصر، وذلك تأكيد خروجه من دنياه بعد أداء صلاة العصر ودخوله فى الغيبوبة التامة، وبهذا تكون صلاة العصر شاهدة له يوم القيامة أمام الغفور الشكور.

- الآية السابعة:

كان تشييع الجنازة يوم عطلة مما سهل تيسيرها، فلو مات الجمعة وكانت جنازته السبت لحدثت مشكلة كبيرة، كان الرئيس يلقي خطابه بمجلس الشعب والطرق مغلقة والمرور متوقف تماماً.

ولو كانت جنازته يوم الأحد لضاع حفل الإفطار على الإخوان، أما يوم الإثنين فلا يصلح لأن فرصة تأيينه فى الإفطار السنوى للجماعة والذى أقيم قبلها بيوم ستكون قد فاتت، وهذا يؤكد أن موته ودفنه فى هذا التوقيت كان آية.

- الآية الثامنة:

الجموع الهادرة والألوف المؤلفة من البشر الذين شيعوا جنازته رضى الله عنه، لقد توفى مساء الخميس ودفن وقت أذان العصر!! يوم الجمعة.. كيف تم إبلاغ هذه الجموع بموعد الجنازة فى هذا الزمن القصير جداً جداً!!! مع أن الحكومة حرصت حرصاً شديداً على إخفاء خبر وفاته عن الرأى العام، وصدرت تعليمات للصحف الرسمية بعدم الإشارة من قريب أو بعيد إلى موت مرشد الإخوان المسلمين مصطفى مشهور، ورفضوا نشر نعيه فى الأهرام، بل تعمدوا تأجيل النشر إلى ما بعد تشييع الجنازة والتأكد من الانتهاء من دفنه.

الفصل الثالث: جنازته

•• بيتنا وبينهم الجنائز

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[وقال الدارقطني: سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر. وقد صدق الله قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام السنة في زمانه، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته. ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان، وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس، وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة سيرة جداً، فله الأمر من قبل ومن بعد].

وفي تاريخ دمشق أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بعث عشرين رجلاً فحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، فحزروا فبلغ ألف ألف وثمانين ألفاً، سوى من كان في السفن في الماء.

وقال ابن كثير أيضاً:

ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلدة دمشق وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حيث كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاضر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته وانتهوا إليها، هذا مع أن الرجل مات بالقلعة «قلعة حلب» محبوساً من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة مما ينفر منها طباع أهل الأديان فضلاً عن أهل الإسلام وهذه كانت جنازته].

ولا شك أن جنازته أهل العلم والفقهاء والدعوة والجهاد لتوحى بقدرهم في نفوس الناس، وتشعر بقدر ما حملوه وما بذلوه.

يتجمع الناس وتزدحم الجموع غير راغبة في دنيا ولا رهبة من سلطان، يودعون علماء من أعلام دعوتهم، يودعون علماء غزيراً وفقهاً عميقاً وتواضعاً جمّاً وجهاداً كان متواصلاً لم يقطعه إلا الموت، ويدفنون رجلاً طالما أحبته القلوب . .

ذكرتني جنازة أستاذنا مصطفى مشهور رحمه الله مقولة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: [قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز].

وذكرتنا قول معاوية لابنه -وقد رأى ابن عمر رضى الله عنهما يُسأل عن مسائل من العلم ويلتفت الناس حوله-: [هذا والله الشرف].

وذكرتنا قول أم ولد لهارون الرشيد وقد انجفل الناس إلى ابن المبارك عند قدوم هارون الرشيد الرقة فتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

وسط مئات الألوف -يقدر العدد بـ ٢٠٠ ألف كحد أدنى ويصل إلى نصف مليون- شيعت جماعة الإخوان المسلمين مرشدها، بعد صلاة الجمعة ١٠ من رمضان ١٤٢٣ هـ الموافق ١٥ من نوفمبر ٢٠٠٢ م . . .

وصاحبت جنازة مشهور -رحمه الله- إجراءات أمنية مشددة، وحضور مكثف من عدد كبير من قيادات الأمن، مما استدعى فى بعض الأوقات إغلاق الشوارع المؤدية لمسجد رابعة العدوية بحى مدينة نصر الذى شُيعت منه الجنازة، التى استمرت سيرها لنحو ساعتين ونصف الساعة بطول ٤ كيلومترات حتى وصلت إلى مقابر الإخوان . .

كان قد توافد المشيعون منذ الصباح الباكر من معظم المحافظات المصرية، وقد أغلقت السلطات مداخل القاهرة منذ الصباح الباكر وأوقفت القطارات ومنعت السيارات القادمة من دخول القاهرة إلى أن انتهت الجنازة، ولو لم يتصرف مسئولو الأمن بهذه الطريقة لارتفع عدد المشيعين إلى الضعف . . افترش المشيعون الساحات العامة، ولم تشهد إجراءات الجنازة أى احتكاكات، وضرب شباب الإخوان المسلمين نموذجاً طيباً للشباب المسلم فى مصر؛ إذ قادوا مسيرة ما يقرب من نصف مليون دون أن تحدث حالة واحدة من الخروج عن النظام!! - فلم تحدث أى احتكاكات مع أجهزة الأمن التى تعاملت مع الموقف بصورة معتدلة للغاية، ولم يخرج عن نظام الإخوان أى من أعضائه، ولم يردد أى هتاف وراء الجنازة، واكتفوا برفع

المصحف والسير في صفوف منتظمة متشابهة الأيدي وبعضهم يرفع لافتات الإخوان وشعارهم وقد كتب عليها [الله أكبر والله الحمد].

وحضر جميع أعضاء مكتب الإرشاد، وحضر أحمد سيف الإسلام؛ نجل الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه - وكان من بين الحضور رئيس وزراء السودان الأسبق الصادق المهدي، وقف بعيداً خارج المسجد انتظاراً لتحرك الجنازة، وحضر كذلك عدد من ممثلي القوى السياسية والحزبية في مصر كان من بينهم رئيس حزب العمل المهندس إبراهيم شكري، وتقيب الأطباء الدكتور حمدي السيد.

انتهت صلاة الجمعة وصلاة الجنازة في تمام الساعة الثانية عشرة والربع ولم يخرج جثمان مشهور في نعشه الذي كان مكشوفاً إلا في الساعة الثانية عشرة والنصف، ولم تحدث حالات هرع، وكان الإخوان أحرص على التنظيم والمحافظة على الأمن من رجال الأمن أنفسهم.

خرجت الجنازة من مسجد رابعة العدوية عبر شارع الطيران، ثم شارع ذاك حسين ثم الوفاء والأمل، ثم انطلقت الجنازة بعد ذلك وسط زحام شديد إلى مقابر الإخوان بمنطقة القطامية بحي مدينة نصر ليدفن مشهور في مقبرة مرشدي الجماعة.

وصلت الجنازة إلى المقابر، وألقى عدد من قادة الإخوان ودعاتهم كلمات نعي، وكان من بين من تحدثوا: الأستاذ لاشين أبو شنب عضو مكتب الإرشاد، والدكتور مهندس محمد علي بشر عضو مكتب الإرشاد، وأستاذ التفسير الدكتور عبد الحى الفرماوى، والأستاذ محمد بدوى، والدكتور جمال عبد الهادى، والسكرتير الخاص لمشهور الأستاذ مسعود السبحى.

ثم بدأ الدفن مع أذان صلاة العصر... فارتفع البكاء والنشيج... وساد جو من السكينة، أثناء إدخال الجثمان الطاهر ووضع في القبر.

مات الإمام المجاهد... مات الداعية الفقيه... مات الأخ الحبيب... مات أمين دعوة الإخوان المسلمين... مات الرجل القرآنى... مات القائم الصائم... مات الذاكر... مات الصابر... مات الثابت... مات حامى أركان البيعة... مات حوارى الإمام البنا وتوأم روحه... مات مصطفى مشهور، ولكنه لم يمض كغيره وإنما هو حي عند ربه... لأنه شهيد.

قام الأستاذ مأمون الهضيبى فى هذه اللحظات - ويعد أن وورى الجثمان الطاهر، وألقى كلمة استمرت لنحو ثمانى دقائق نعى فيها مرشد الإخوان مصطفى مشهور - رحمه الله - وأكد

أن الأمور مستقرة داخل الجماعة، وأن ما يشاع في الصحف عن وجود خلافات داخل الإخوان أمر غير صحيح، وأن الجهة المختصة باختيار المرشد العام الجديد للجماعة سوف تنتهى من عملها قريباً، وأشار إلى أنه سيتم إعلان اسم المرشد الجديد فور الانتهاء من الاختيار ليتحمل هذه الأمانة خلال المرحلة المقبلة، ولفت الهضيبى خلال كلمته إلى أن الإخوان سيعقدون إفطارهم السنوى فى الموعد المحدد له سابقاً ولم يحدث هناك تغيير، مشيراً إلى أن الجماعة ستلقى العزاء فى مرشدها مساءً بمسجد رابعة العدوية.

وكان عدد كبير من أعضاء التنظيم الدولى للإخوان من مختلف الدول يرغب فى حضور تشييع جنازة مشهور، إلا أن الوقت لم يسعفهم، وقرروا حضور مراسم العزاء.

وبعد الانتهاء من الدفن بدأت وكالات الأنباء الرسمية وغير الرسمية والصحف والمجلات المختلفة تبث خبر وفاة مرشد الإخوان المسلمين مصطفى مشهور.

مات المجاهد مصطفى مشهور، وقال الشعب المصرى من جديد: نعم للإخوان المسلمين..!!



الفصل الرابع: مرثيات مشهور

قديمًا عرف المدح بأنه ذكر محاسن الحى ، وعرف الرثاء بأنه ذكر محاسن الميت ، إلا أن هذا التعريف كما يقول الأديب الشاعر الأستاذ الدكتور جابر قمبيحة : هو تعريف أو توصيف جامد يعطى انطباعًا بأن هذا الغرض الشعري الفنى يهدف -ولو فكريًا- إلى ما تهدف إليه العلوم الإحصائية ، بحيث تتفوق القصيدة على غيرها بعدد ما تعرضه من مناقب الميت ومآثره .
أما ما كُتِبَ عن مشهور من رثاء فهو ليس مجرد إشارة وذكر المحاسن ، وإنما معايشة (لجوانيته) ، النفسية والعقلية والروحية وقيمه الدعوية وبصماته فى مجتمعه ومشاعر الأحياء بفقده ، حيث توافقت وتعانقت الأفكار بالوجدان فأخرجت الرثاء فى ثوب قشيب جميل .

[١]

عبرة - فى رثاء الحاج مصطفى مشهور

الدكتور/ رشاد البيومي^(١)

أرفيق الجهاد رفقًا ومهلاً	فوداع الحبيب يدمى جنابى
هل عصانى البيان قصداً وهماً	وتحجرت من دمعتى الأجنان
بالأمس كنا بالعزى نزرى	ظلمة السجن وغلظة السجنان
ونطوف الكون بالروح نرعى	دعوة الحق والعلل بالبيان
ونعيد للتاريخ مجداً قد توارى	ونزيح عنه غلالة النسيان
ونقوم للحق لا نبالى بقهر	أو بعسف أو بظلم كل جبان
كنت خير عون إن جد أمر	كنت نعم الرفيق عند وقع السنان
وكم بصرتك للعلياء تدعو	وكم رصدتك صامداً فى تفران

(١) كان الدكتور رشاد البيومي عضو مكتب الإرشاد داخل المعتقل ، وأبلغه الأستاذ عبد المنعم عبد المقصود بمرض الحاج مصطفى فى يوم عرضه على النيابة ، ولما توفى الحاج مصطفى صلى عليه الإخوان المعتقلون صلاة الغائب وكان الإمام هو الدكتور رشاد وبحضور الدكتور محمد بديع سامى ، وبكاء الإخوان وكانت هذه الأبيات هى عبارات الدكتور رشاد البيومي .

وعندما حملت اللواء كنت أميناً
وتزود عنه ما ألمّ بصدد
وتوالت الأيام تمضى سراعاً
فحمدنا الله حمداً جزيلاً
ها قد سبقت للخلد تمضى
فهل يا ترى سألقاه يوماً
من عالم الأسوار تهوى دموعي
لنعدّ للتاريخ جيلاً أريباً
وشرى حياة النور مزهواً بها
اللهم جمع شمل هذه العصابة
واشف صدور قد تعاظم جرحها
وتتوق شوقاً للقاء بجنة

تبذل الجهد خالصاً في اتزان
وتواجه النكران بالإحسان
كلما مرّ يوم زاد عزماً كياني
ورجوناً أن يثيبنا بالجنان
ثابت الخطو راضياً في امتنان
في ظل عرش الواحد المنان
تبكى عليك بلهفة الأحزان
رصد البعيد لربه والدانى
يرضى الإله بغضبة السلطان
بلواء نصر يقهر البهتان
وتجردت للحق في إذعان
فيها السلام برؤية الرحمنش

[٢]

الشهيد على فراشه «مصطفى مشهور»

فقيد الإسلام والأمة العربية والإسلامية

الدكتور جابر قميحة^(١)

ورأيتُه - وهو المسجى ساكناً
وسألت: مات؟ فلم يجبنى من أسى
كررت سؤلى: مات حقاً؟ لم أجد
وأعدت سؤلى: كيف مات وبسمة
وأرى صفاءً، غامراً في سمته

في صمته - ملكاً حواه سريرُ
أحد وقد علت الوجوه كسور
إلا دموعاً في العيون تدور
في وجهه الهادى سنا وسرور؟
وعليه من زهر الجنان عطور

(١) الأستاذ الدكتور الأديب الشاعر الإسلامى الكبير فارس الفرسان فى هذا العصر أخى الحبيب جابر قميحة الذى تلات أفكاره بوجوده منذ أن سمع خبير وفاة الحاج مصطفى مشهور - الجمعة - فولدت درراً تناثرت على الحاضرين فى إنظار الإخوان المسلمين يوم الأحد، وبكاه بهذه القصيدة وأبكى السامعين، وبعد ذلك كل من يقرأ هذه الكلمات التى تنبض بالحب والتقدير والتوقير والصدق وتسطف بتوهج الشعور وجمال التصوير وبراعة التعبير.

والعهد في كل الوجوه إذا قضى
 أيموت والأرض السليبة نهبة
 أيموت والإسلام نهب أسافل
 أيموت من أحيا القلوب بشرعة
 وهتفت في أمل جريح ربما
 عما قليل بعدها ويقوم من
 وأفقت من غيبوتي مستسلما
 .. والله قدر إذ دعاك بأمره
 إنا إليه راجعون فكلنا

في جمعة الأحزان: ماذا؟ ما أرى
 عجباً ولكن كيف كيف تجمعوا
 لا تعجبوا: فالله جمع جندة
 والظالم الباغي ضلال سعيه
 هذى الجحافل في الظلام منارة
 رفعوا المصاحف في الجنائز قربه
 ورأيت منهم ألف ألف موحد
 عجباً أفي الموت الصموت تقودهم
 بالحب يا مشهور أنت تقودهم
 والحب فتى فن القيادة جامع
 بالحب قاموا غسلوك ودمعهم
 ولو استطاعوا كان قبرك فيهم
 حملوك فوق أكفهم وراء وسهم
 إن كان في أرض الكنانة ماتم

أصحابها فيها الشحوب ستور
 والقدس في أيدي الكلاب أسير؟
 ويعيش مغترباً وليس مجير؟
 فتحت بها مدن وعز فقير؟
 أخذته فيها غفوة وفتور
 غفو ليتصر الهدى والنور
 فالموت حق حاسم مقدور
 فأجبت داعي الله يا مشهور
 للموت في ظل الحياة نسير

سيلاً من البشر الطهور يمور
 عجباً!! وإن نشاطهم محظور؟!
 والحظر محظور هنا مقهور
 وعليه دائرة البوار تدور
 عجباً!! أيحظر في الظلام النور؟!
 فتكاد في أيدي الشباب تنير
 في جند طه يقودهم مشهور
 مثل الحياة وصفهم مبرور؟
 وبذاك أنت على القلوب أمير
 والحق في كل الأمور يقير
 ولأنت بالدمع الطهور جدير
 وحوتك منهم أضلع وصدور
 والنعش من فرح يكاد يطير
 فهناك في عليا السماء بشير

وقصورها وثمارها والخور
فرضاًؤه للمؤمنين النور
يغشاه نور ساطع وعبير
بجهادهم ودمائهم منصور
في كل عصر ذكرهم . . مذكور

يلقاك في سحر الجنان نعيمها
لكنّ رضوان الإله سنامها
يلقاك في شم الجنان محمد
وصحابة عاشوا الجهاد فدينهم
يلقاك سعد والحسين وجعفر

درب الشريعة دائماً سنسير
عزماً يحار أمامه التفكير
وهمو لشرعته فدى ونصير
يعلوه قانون ولا دستور
ودماؤهم في النازلات مهور
عند الكوارث إنهم لكثير
أما الذي أغفلته فغزير
فالشعر عجز شابه التقصير
يكفيك أنك مصطفى مشهور

إن تلقهم بلغهمموا أنا على
وتركت جيلاً شبيهه كشبابه
الله غايتهم ونور قلوبهم
تخذوا كتاب الله دستوراً فلا
جعلوا الجهاد سبيلهم فتقدموا
عند المطامع لا تراهم إنما
يا سيدى، ما قلت غير قلائل
مهما ذكرت محاسناً ومآثراً
يكفيك فى التاريخ أنك مرشد

[٣]

إيه يا مرشد الإخوان.. سلاماً

عبدالعظيم^(١)

قد كنت للدرب الطويل الخُداء ..
قد كنت للصحب الكريم الفداء ..
قد كنت للحق المبين الضياء ..

(١) نقلت هذه القصيدة من مجلة العصر - صفحة (تقارير إخبارية) بتاريخ ١٤/١١/٢٠٠٢م وهذه المجلة تصدر على شبكة الإنترنت، أما عبدالعظيم فهو أحد قراء هذه المجلة وهو نفسه مؤلف القصيدة، ولم أعر على اسمه بالكامل.

يا من إلى دار الحياة تسير . .
لا تنس إخوانا بطول المسير . .
تهفؤ بهم نسمات قلب صبور . .
للصحة الحسنى وطيب القصور . .
والخور والدور الفسيحة . . للحبور
والنظرة العليـالرب شكور . .
يرضى بها الدهر ولن يسخطا . .
أرسل من الإخوان كل السلام . .
للرحمة المهداة خير الأنام . .
للقوم فى عهد مضوا . للكرام . .
واسأل من المولى الكريم لنا الثبات . .
والنصر والتمكين للمستضعفين . .

[٤]

فى رثاء المرشد مصطفى مشهور: بين الغياهب عز السجين

بقلم: محمد عبدالله الشيبانى (١)

على نهج أهل الهدى الأولى وسيرة إخوانك المخلصين
وفوق عوالى الخطوب عبرت لفجر قد أسفر للملهمين
نظر إلى أمة غالها، مع الجهل، مبتدعات السنين
وإخلادها لأراضى الخنوع وتكيبها عن صراط مبين
ومزقها كيد أعدائها ومستكبر تلها للجبين
وأحرق أمالها فى النهوض وأعلا أكابرها المجرمين
فكنتم لأمالها المنقذين وللحق والعز حصناً حصين
وبين ظلال سيوف الطغاة لن ننحنى لن نهن لن نلين
بأنشودة العز لا لن نموت والله أكبر لن نستكين

(١) نقلا عن مجلة العصر - صفحة الثقافة والأدب - بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٢ . أما كاتب القصيدة فهو موريتانى الجنسية .

بإسلامنا وبقرآننا نشق الطريق لعز مكين
على سنة المصطفى لن نحيد شأته بها أوجه المرجفين
عجبت لعشرين عاماً دعت لتبلو فيك علا المؤمنين
فعلمتها بثبات الجنان بين الغياهب عز السجين
وسرت بها آية في الثبات سيراً على ملة المرسلين
وكنت معلم جيل الهدى وليث العقيدة حامى العرين
و«قائد القدوة» المستقيم و«زاد الطريق» لدنيا ودين
وودعت مليار باك يحن وبكية عرفت فى الأنين
بكوت فيك «مشهور» تضحية وعطقاً ولطقاً وخلقاً رزين
وروض حنان يفيض بغيض دمع اليتيم وكرب الحزين
بكيت فيك قائدها المستتير ومرشدها والقوى الأمين
وهذى دموع الجموع تنيت إلى ربها ودمع سخين
ليدخلك الله فى الصالحين ويقبلك الله فى المتقين
تداعب روحك بين الجنان نساتم ما بين حور وعين
بما كنت غيظ قلوب اليهود وحرماً على الطغمة المفسدين
ونوراً لإخوانك العاملين، وعزاً لإخوانك المسلمين

الخاتمة

أردت لهذا الكتاب أن يكون كتاب دعوة وتربية، فحياة ملهمه كلها كانت دعوة وتربية، وعليه أوصى نفسى وكل فرد من أفراد الأمة تصله هذه الكلمات أن نتقى الله تبارك وتعالى في الإسلام والدين والعقيدة والدعوة، وأن يسد كل منا ثغرة من ثغور الإسلام العظيم ونعمل جادين وجاهدين على ألا يؤتى الإسلام من قبلنا، وأن نكون جنوداً مخلصين ونشارك ما استطعنا بحول الله وقدرته في العمل ورفع الصرح الشامخ والبناء العظيم، ونجعل من أنفسنا لبنات - بعد أن نجعلها أساساً قوياً متيناً - مرصوصة حتى يأذن المولى العلى القدير الكريم بالتمكين بقيام الدولة الإسلامية العالمية دول الخلافة، فهى الهدف الأسمى المنشود.

•• أقول لكم جميعاً:

ما أجمل أن نختم هذا الكتاب ونحن ننصت خاشعين إلى صوت أستاذنا الإمام المجاهد . . .
الداعية الفقيه مصطفى مشهور، هذا الصوت الحنون الصادق الذى طالما تمتعنا بسماعه ولكن مرارة الشوق ولهفته تجعلنا ننصت بخشوع علنا برحمة من الله تعالى نسمع كما كنا نسمع من قبل، وإن كانت العبرة بالالتزام والطاعة وتطبيق ما نسمعه من منشور درره النفيسة وبعض وصاياه:

فقد كان أستاذنا دائماً يوصينا ويقول:

[الإيمان أهم سلاح نسلح به، يصبرنا، ويثبتنا، ويطمئنا أن المستقبل للإسلام، فعلينا أن نصبر، ونثابر، حتى يتحقق وعد الله بالنصر إن شاء الله .

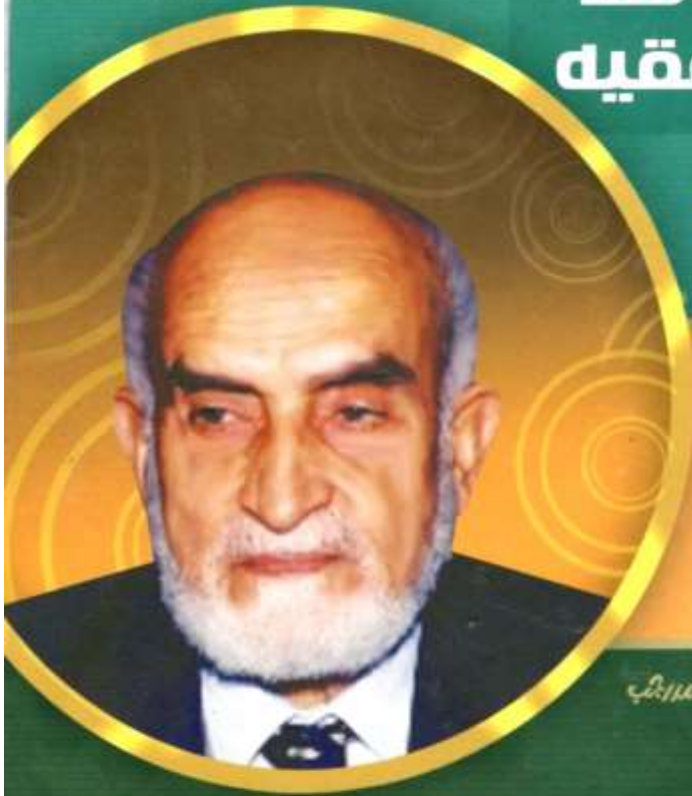
علينا أن نتواصى بالجيل الجديد، ونهتم به، ونورثه الدعوة، وندعوه لمواصلة المسيرة بالإيمان، والدعاء، والصبر، والاحتساب، والاستبشار بأن المستقبل للإسلام، ونهتم بالتربية، والأشبال، وبأبناء الإخوان، وهذا معنى مهم جداً، فالأستاذ البنا عندما قال: نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم الذى يرفض أن يستقر عليه غير الحكم الإسلامى فالعلم عند الله، والله علم الغيب أن هذا الجيل من الأشبال، وأولاد الإخوان، ربما يتحقق على يديه النصر، فعلينا أن نهتم به وحدوث صحوة إسلامية فى العالم الإسلامى قد لمسناها هنا فى مصر، فالنساء كن يلبسن فوق الركبة، فحل الحجاب، وأقبل الشباب على الصلاة، فالصحوة فى العالم الإسلامى، قابلها انهيار الأخلاق فى العالم الغربى، وصدق الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ففى انجلترا تقر بعض المجالس النيابية الشذوذ الجنسى رسمياً، فهذا انحراف فى الأخلاق
مصيره الانهيار، ودخل الكثير الإسلام وانتشر الإسلام فى أوروبا وأمريكا، فلا بد لنا أن
نستبشر، ونشعر بالعزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ونحرص عليها.
رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ورضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه،
وألحقنا به فى الصالحين، وجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ومن يتفجع بهذا
النصح العظيم من رجل عظيم كريم أراد لإخوانه وللمسلمين الخير العميم، وسبحان ربك رب
العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين.

مصطفى مستطهور

الإمام المجاهد
و الداعية الفقيه

تأليف
أحمد حسن تنوربجي



تقديم
مستشار / عبد الله العقيل
مستشار / علي جريئة

انتزاف
محمد أحمد البحري

دار الدعوة